

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1939

Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

**PROVENANCE DE LA
COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

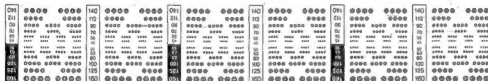
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1
INF 2 43-007

AFNOR
Cedex 7 - 92060 PARIS-LA-DEFENSE



الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والسير

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستقر
احمد حسن الزيات

برل الاشراف من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الوزارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
طابرين - القاهرة
تليفون ٢٣٩٠

العدد ٤٨

٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ - ١٥ يناير سنة ١٩٣٩

السنة الثالثة

من ضهور الرقيق
جذيلة

أقصوصة مصرية
يقلم الأستاذ محمد الخفيف

وأخذته الحيرة وهو يدنو
منها ماذا عساه أن يقول بعد
هذا النياب ؟ وجعل يدور بعينه
لئين ما إذا كان أحد يراه من
أهل القرية ... ولكنه حين
أصبح منها على خطوات وحين
وقفت على عباها عيناها أحسن
من نظراتها كأنما أصاب قلبه

مهم مسموم ...

وصرت به الفتاة مصفارة الوجه لا تكاد تنفجر
شفتاها على رغمها عن بسمه كالشعاع الخافت ، حتى
تطبقهما كأنما تداركت أنها تأتي شيئاً محرماً ،
وتتجهج للفتى وتتشكر كأنه بات من عدوها ؟ ثم
تدور بوجهها متظاهرة أنها تزجر بقرتها فتجذب
حبيلها وتستعجبها ولا تستقبل الطريق حتى تقوته
بخطوات .

رأى أول مرة بعد عودته ، ولم يبق من الشمس
إلا حمرة طفيفة في أطراف السعف ؟ وكانت كعادتها
كل مساء قافلة إلى القرية بعد أن سقت بقرتها من
قناة قرية
أخذتها عيناه مقبلة فسار للقاءها وإنه من فرحه
ليطفر كما يطفر المصفور ، وإن قلبه ليخفق خفقات
بكاد لا يقوى عليها جسده ، فلقد ارتبكت مفاصله
حتى ما تحمل رجلاه بدنه إلا في مشقة



يرى في لون الشفق مثل حمرة الجنون قرصها النحيب
والسمر ...

وصات جلية إلى دارها فربطت بقرتها وألقت
أمامها بعض الملف ، ثم تناولت جرتها من فوق
المصطبة الناعمة في مدخل الدار وخرجت لتلاها
من الساقية ، وسارت ثقيلة الخطى كأنما ينقص
ظهرها عبء ... وجلست عند الساقية حتى يأتي
دورها ، وصاحباتها يتساحكن ويتمايبن ، وهي عنهن
في شغل بما يقلل فؤادهن ، وهن لا يدري ما يكربها
وكانت من قبل يبينهن أسرعهن إلى الزواج وأمهرهن
عند اللدابة ، كما كانت تفوقهن جميعاً على كثرتهن
عذوبة روح وخفة حركة ..

وعادت تحمل الجرة فوق أفتالها ، فوضعتها حيث
كانت ثم صعدت إلى سطح الدار فجلست على التراب
شاحصة إلى القمر وبوجهها مثل ما بوجهه من
شحوب ومثل ما به من ملاحه

ودخل على القرية في نور القمر وإنه ليتواري
من الأعين في ظلال النخيل والشجر ، ولا يدري
لماذا يحس في نفسه الرغبة ألا يراه الناس ، ولما بلغ
منزله وهو في القرية أول ما تقع عليه عين القادم من
الحقول ، صعد إلى حجرته ونادى الخادمة فأشعلت
له الصباح ؛ ثم صرفها مشدداً عليها أنه متعب فلابح
أن يرى أحداً وأنه عما قليل سيأوى إلى مضجعه
وأخذ الفتى يفكر وقد طافت برأسه الوسواس
وأخذته الحيرة من أسر تلك الفتاة التي طالما كانت
تبتنى إلى قلبه الوسيلة ونجد في استرضائه وتحرص
على مودته ، والتي بلغ من سرورها بلقائه في العام
الماضي أنها لم تقو وهي في سرب من صاحباتها على
كتمان ما بها حتى لقد سقطت جرتها فتحطمت
وبللت ملابسها وزادتها ربكة على ربكة

وكيف يحمل على الصبر نفسه ، وهو يرى في
هنا الجفاء إهانة له ، وأى إهانة أشد وقسا على نفسه

ويقف هو كالنخال لا يبي ولا يتحرك ، وقد
جف ريقه وتصيب بالمرق جبينه ، ويظل على تلك
الحال الأليمة حتى يبتله بعد لحظات على صوت رجل
يحييه وقد صر به مسرعاً على ظهر دابته ... فيعد
عينيه ويرسل بصره فلا يراها تلتفت وراءها صرة
حتى تنيب عنه . فيكاد يأكل النعيق قلبه ويود لو أنه
استطاع أن يسحقها أو يسحق ذلك القلب . ثم إنه
يجر رجله بعد ذلك جراً لا يدري أين يذهب ؛ فهو
مأخوذ عن نفسه كمن تزغه من الشيطان نزغاً !

كان ذلك أول الصيف وقد عاد على إلى القرية
يلتمس في مساربها الراحة بعد الغناء ، ويقضى
لباة نفسه وأرب مشاعره من فتون السحر وضروب
الجمال في مجالها ؛ وإنه ليحمل للقرية كل عام أجازته
العلوبة اللهم خلا أيام ممدودات يقضها غريباً على
بعض السواحل ... وإنه ليحس كلما عاد إلى منبته
ومنتج أرومته مثل إحساس النبات بجي به إلى يمينه
وتربته فترعرج واستمظن واستوى على سوقه ...

السماء حلو النسيم تبق أنفاسه الرخية في غير
انقطاع ولا ونا ؛ والأفق الغربي يروع الرواء تطرز
حواشيه ظلال الغروب وتتجمع في جوانبه ألوان
للشفق ، والحقول منبسطة أمامه إلى آخر ما يجتد إليه
بصره ، وهي بين خالية تتناثر فيها بقايا عيدان القمح
بعد الحصاد ، وحالية ترهبها شجيرات الفطن الغالية
التي تقرأ العين في سطورها مبلغ غناء الزارع وكده ،
وشجيرات السرو والصفصاف والجوز على جوانب
القدردان موزقة فيناة تتباعد حيناً وتتقارب أحياناً
فتكون منها تخاليل بهيجة لا تعمل الأعين من النظر إليها
ولكن عليها يحس أن هذا الجنلي الساحر قد شملته
في تلك الساعة كآبة قابضة فلم يدرى شيئاً من
رواه ؛ وإنه ليخيل إليه كأنه منجأ غريباً من الوجوم
والوحشة بات يشقى الغضاء من حوله وأن بالشجر
مثل ما به من مم فهي تهايل من فتور ومسكنة ، ثم إنه

ومهما يكن من الأمر فهو لن يحفل بمدى كان أو يلتفت إليه .

كانت جليلة في الثامنة عشرة من عمرها بمجسدها صبايا القرية على ما توافق لها من أسباب الجمال ، وكان اسمها على ألسنة الشباب كلما هفا بهم إلى الحب والجمال ذكر ... وكانت تعرف ذلك فتدل به وترمي ولا ترداد باللال إلا ملاحه وقتنة

وماذا عسى أن تبلغ الكليات من هذا الجمال وفي مقدمة خصائصه الأعجاز ؟ وما كان للنظر إليه إلا ليشر الناظر لأول وهلة بالتعدي ، تحدى الريف أنه قد بنيت من الجمال نوعا تتقاصر عنه المدن ... وتحدى الطبيعة أنها تأتي إذا أرادت بحالا يحسن أن يأتي بتله فنهما تأتي له من قوة التخيل وعمق التأمل وبراعة الابتكار ... وتحدى الفقر أنه قد يبلغ على ضئفه منزلة يتحرق النفي أن يلينها ولو بخلع رداءه والجوهر من سمائه ، ثم من وراء هذا كله يرى الناظر ذلك السحر الذي يحس ولا يفهم ويسبج ولا يوصف ، ذلك السر الذي يكون قصارى أمرنا فيه هافتنا به وانجذابنا إليه وإذعاننا له ولقد أحس على حينها وقت عيناه على هذا الجمال أول ما وقتنا كأنما يتخلل له طيف أحلامه هيكلًا يمشى على الأرض ، وهو لا يدري لهاته على هذا الجمال سببا غير هذا السبب ، وكثيرا ما حدثه خياله الشاهر أن هذه الفتاة القروية من السحر ما لم ير في غيرها من بنات الريف أوبتات المدن

كان يجيل إليه أن هذه القسامة لن توجد في وجه غير هذا الوجه ، وكان إذا تأمل في تكوينه يحار أي أجزاءه بث فيه تلك الفتنة الأخاذة وهاتيك الطلاقة الرائسة ، أما هاتيك العيان الساجيتان المدججوان ، أم هو ذلك النعم الطفيف الذي ترف عليه أحلام الصبا وتختلج في بساطه عذاب اللنى .. أم هو ذلك الأنف الذي يراه وكأنما صيغ لينتسق في هذا

من أن يقدم بالزنى إلى فتاة لا يحسبها تزيد في المرتبة عن خادمته ، فتشيع بوجهها عنه ولا ترمي له مقاماً ، ثم إنها تظهر الجفاء على غرة فلا تحفظ الجليل ولا تذكر ما كان بينهما من مودة ولا ما كان منه على بعد ما بينهما في الدرجة من ملاطفة وإحسان و زين له شيطانها أن بعض الحافدين قد سمى بينها وبينه ، غود لو يعرفه ليدبغه من بأسه وليريه عاقبة تطاوله ثم ليربها معه مبلغ ماله من جاء وسطوة وليفهمها أنه إن عفا عنها فما ذاك إلا لضمفها وهوان شأنها عنده

وتطوف برأسه فكرة تمذه وترمجه فهي قد آثرت عليه غيره ، وهذا الذي باتت تؤثره قد أخذ عليها المهد ألا تكلم الناس وعلى الأخص لا تكلمه هو ، وإلا فهو لن يعرفها إن قلت ... ومضى إنما تنفذ الآن ما أمرها به لا تنهاون فيه ، وما أشد ما يشغل منها هذا الاذن لصاحبها وهو لا يراها . أفأ كان منها كلمة ثم تنطلق في سبيلها ولا تفجأ هذه المفاجأة الشقية الوحشة ؟

ثم إن الفتى يقزع إلى النوم من هذه الوسوس فيطفيء المصباح ، ولكنه قبل أن يذهب إلى سريره يطالع من النافذة على القرية المحاجة ، وقد غاب القمر ، وما يلبث أن يتقسم كأنما هو يسخر من نفسه ويضحك من أوهامه ، وكأنما يلقي بأفكاره في هذا القضاء النبسط أمامه والذي تكتنفه الظلمة فلا يراه وإن كان يعرفه ...

يسخر من نفسه أن كان يحمل كل هذا الملم من أجل فتاة قروية ساذجة فقيرة ؟ ورأي المسألة أهون من أن تكدر عليه صفوا أجازته ، فانه إلى الراحة في هذا الصيف أشد حاجة منه في كل ما سلف من الأعوام ، لما كان من نصيبه في الاستعداد لامتحان . ولن يخرج الأمر فبا يظن عن أن يكون أبواها قد شدوا عليها ألا تليبه أو تليح غيره من شباب أسرته

نظرات التناشأت في الحرير والورد ، بل لتكون أكثر حزة لأن فيها عفة هي مع الفقر غاية للنبل هكذا كان نصيب جليلة من الحسن ، بحيث لو جعلوا في الريف ملكة للجمال لاستويت هي على عرشه ، ولكانت وهي في عرشها التبخذ من الصنفاص والسف والكافور والسعد ، أسمى منزلة في الجمال من كثيرات تربن على عروش الذهب والتمس

وكان على يستشرف للحادية والمشرن وهو في القرية سيد ابن سيد ، لأسرة الرئاسة والحكم فيها منذ أكثر من مائة عام ، وقد انحصرت الرئاسة في هذا البيت لا عن جبروت وبلش كما هو الشأن في كثير من البيوت في الريف ، ولكن عن كرم محند وطيب عنصر وسماحة

ولئن لم تكن تلك الأسرة بذات ثروة واسعة كثيرا من الأسر في القرى المجاورة ، فلقد كان لها من حسن سمعتها وعراقها أصلا ما رفع قدرها في أعين الأصحاب والغصوم على السواء

وكان على يجب الفلاحين ويغطف عليهم ، وكثيرا ما كان يجلس إلى جماعتهم يتفياون ظلال الأشجار في أوقات المجهير وينعمون بالهواء الرخي على ضفاف الترع في ساعات الأسيل ويسمرون على جوانب اليبادر في ليالي القمر ، ولقد أحبه هؤلاء الفلاحون وأكبروه ، وما لبثت أن ارتقت بينه وبينهم السكفة فصار كأنه أحدم ، وهو في القرية يحس كأنما انقطعت الصلة بينه وبين المدينة حتى كأنه ما خرج منها قط ، وكثيرا ما كان يضحك بينه وبين نفسه ، إذا تصور ما عسى أن يقوله شاب من خلانه من أهل المدينة إذا هبط القرية ورآه في جلبابه الفضيض جالسا في ذروة كومة من الرماح تحت سرحة أو على بقايا حصير في مصلى على ضفة قناة ، ولكنه لن يبا بذلك ولن يرى شيئا أحب إليه من

الجمال ... أم تري هو ذلك الخلد الأسيل الشرب الصفحة من حمرة الشفق وضادة البدر ؟ الحق لقد كان مراد ذلك الجمال إلى هذا كله ، وقد اختلف على صورة معينة اهتزت لها نفسه وجاوبتها روحه ، بحيث لو جاء على نسق آخر ما كان له في قلبه ذلك السحر العجيب ... أضف إلى ذلك سماحة ونضارة كانت منهما الروعة وكان فيهما السر وكأنما أرادتا الطبيعة ألا يكون في هذا الجمال نقص ، فأودعت فيها سر الأنوثة كأنم ما تكون الأنوثة وسوت ميكها بحيث يكون بهجة في منظره ثم هو في حركته نوع عجيب من الألحان الصامتة التي تحس النفس فيها وإن لم تقصد معاني الالتلاف والتناسق والظرف . ولقد كان على يشبه حركاتها والتفاتاتها بما يكون من حركات المهرة للكرمية التي لم تطل شيئا مما يتبدى من رشاقتها فهي تأتي به لأنها هكذا خلقت ... وإنه ليراهما من بعيدين صويحباتها فيميزها منهن بمجرة أو التفتاة قبل أن تتحقق من شخصها عيناه

وكان لها صوت يجمت فيه كل معاني أنوثتها وكل خصائص جمالها ، حتى لو قدر للمرء أن يسمع ذلك الصوت دون أن يرى صاحبته لدل عليها دلالة الصورة أو دلالة الوصف ... صوت كأنما يلين به الحب من نفسه ثم هو يسوقه ببدليل على سلطانه وكان في سجاياها شيء من الكبر فوق ما كان فيها من الدلال ... ولكنه كان كبراً تحبه النفوس إذ تشير أن مبته الاحساس بالتفوق والليل إلى اللساي ، وما كان التبذل ليتفق وهذا الجمال ، بل ما كان التواضع إلا ليتال من عفوانه وينقص من سلطانه ؛ وكثيرا ما استمتع على بهذا التكبر لأنه كان يكبر فيه معنى السمو ، وإنه ليجب ويطلب تلك النظرات التي كانت تنبت من عينيها وهي في أعمالها ، فلا تكون أقل أنفة واعتزازاً من

يسطف على أخبها ، وهو فني في مثل سنه ، وكان
أخوها يثنى عليه إذا جاء ذكره ويصف لأبيه وأمه
طيب قلبه وتواضعه وسخاء يده . وعرفت جليلة
هذا السخاء بمد حين فبا كانت تبنيه له من الخضر
التي كان يشتريها ولا حاجة به إليها فينقدها أضاف
نمها وهو متبسط بهذه الوسيلة التي بها يستطيع أن
يسطيها من ماله دون تخرج أو استحياء ، وإنه ليدكر
ما عراه من الاضطراب وعراها من الحياء يوم غير
طريقته في السطاء لأول مرة . فقال لها : « خذي
هذا نمما لتلك الخضر وهذا لك أنت »

وطاقت الفتاة إليه وصارت تحرس على لقاءه
على علم من أمها إذ كان يسرها سخاؤه ؛ وما كان
على يقين يده عنها قط وما كانت هي تتردد أن تمد
يدها لتتال ما يمنحها حتى لقد دعاه ذلك أن يحمل
إليها من القاهرة بعض الهدايا كلها إلى القرية ،
وإنها لتفرح بذلك أشد الفرح وما كان أشد غبطته
وابتهاجه حين كانت تقبل هداياه بقولها : « كتر
خيرك يا سيدي . ربنا يحبك لنا »

ذكر على ذلك حين رأى من الفتاة ما رأى من
إعراض وسد ؛ وأخذته حال عجيبة من الحيرة والألم
مما ؛ وصار إذا اتجه فكره إليها يتنازع ضريح من
الصمغ والنضيب والمم والتأمي ، وكثيرا ما كان يسخر
من حاله وردما هو فيه إلى الوم والخيال ... ولكنه
يمود فيسأل نفسه أهو يجب تلك الفتاة ؟ فإذا أجابته
نفسه بالنفي تسأل فيم إذا هذا المم له من أجلها ؟
وماذا يهيم من إضرابها عنه وهي مهما تلاوت
لا تريد صرابة على غامته ؟ وإذا أجابته نفسه أنه
يجبها ازدادت حيرته وراح يتسأل ما غرضه من هذا
الحب ؟ إنه لا يعرف السوء ولا يطبق حتى مجرد
ذكره ، وهو يسمو بروحه عن مواطن الفواية ،
ويقوي على عصيان الشيطان قوة قلما تحتاج لن كان
في مثل سنه ، كما أنه من خياله وحسه يصبح أبدا

أن يطلق نفسه على سجيته
وكان لا ينبغي من القرية إلا ازداد حباً لها
ونملاً بكل ما فيها ، فإذا آب راح يحمل كل شيء
حسنه لا يستقي منظرأ مهما هان أخذه ، وبخاصة
تلك الللاب التي كان لا يفتأ وهو غلام يثب في
أحماها وبرف كما يرف الفراش ... تلك المسارح
الخضراء في ظلال النخيل وحول أشجار الليمون
والنارنج في بستان أسرته ... وهاتيك الظلال
الوارفة التي تبسطها خائل التوت على ضفة التربة
الكبيرة في الحقل البعيد ...

وكان على يستصعب منه بعض الكتب كل
حام وكان أكثرها دواوين شروق قصص ، وما كان
أعجب أمر هذا الفلاح الشاعر حين يقلب صفحات
الشعر يقرأ نارة اللثني ونارة ليبرون في تلك القرية
فيرى في كل شيء لمة واختلاجة تصور ما تنطوي
عليه نفسه ... إذ كانت مناظر قريته أعز عنده
وأحب إلى فؤاده من كل ما يجيء به الكتب

في وسط هذا الكون الذي ينسم بروائح الجنة
وفي ميمة هذا الشباب التوثب للفتى ، وفي نشوة
هذا الخيال الشاعر ، رأى على جليلة وكان ذلك منذ
عامين حين كانت في السادسة عشرة تسويها يد
الطبيعة وتفيض عليها من روثها ، وتبرز محاسنها
وتوضح مفاتيحها

رأها الفتى فمجب كيف لم يرها من قبل ،
وما أسرع ما نسي ما بينها وبينه من الفوارق ،
فصار يرى فيها خلاصة ما في القرية من سحر ،
وكان جمال تلك القرية بكل ما يسع من الماء قد
تجسم فكان هاتيك الفتاة . بل لقد غدت عنده هي
التي تثبت في تلك البقعة من الوجود كل ما يجيبها إلى
نفسه ويربطها بمشاعره

وحادثها فلم تمرض عنه أو تهيب من مودته .
فكانت لا تزال غريبة لاهية ، ثم إنها كانت تراه

ولكن ذلك كان قصاراه منها ؛ كان حسبه أن ينعم بالجمال في صورة من صورته وفي غط من أعطاه وأن يستمتع به استمتاع صاحب الفن بمثل من غائله ، فما كان يرى فيها أكثر مما يراه في دمية من الدمى إلا أنها تتحرك وتتنطق وتبتسم !

والآن تمس دميته وعمر به كأن لم يكن بينها وبينه شيء ، وما كان ذلك منها من غضب فكثيراً ما رآها من قبل غاضبة ، ولكنه يكن لم يري في ملامحها وعينها من اللامني مثل ما يري اليوم ؛ إنه يري القطيعة سافرة جليلة بحيث لا يتجابه فيها شك ؛ وهذا المم الذي يرسم على عيائها وتلك الصفرة التي بانت تشاء وهذا السكون الذي حل محل الجذل والمرح في ظنهما ، إنما هي دلائل لا يفشل عنها إلا غر أو أحمق . ولكن فلنفسم جليلة كما تشاء أو كما يشاء لها صاحبها فهو لن يشغل بها نفسه بعد اليوم . ذلك ما وطد عليه العزم

تجنب على طريقها فلم يمد يراها ، وأعرض عن أختها فلم يمد يدعوه إليه ، وخاصم أمها فلم يمد رد عليها تحياتها إلا بقدر ؛ ورأى أبوها أنه لا يتحرك للدفاع عنه إذا شكاه إلى عمه الممدد شاك من الملائين أو إذا اعتدى عليه ممدد من الفلاحين ؛ وحارت تلك الأسرة في ذلك أول الأمر ولكنهم ردوه إلى ما استقر في نفوسهم من ممان وما علق بخيالهم من صفات بنت بها كثير من الفلاحين في قرى مصر فوى الجاه والنفوذ فيهم ، سها تبين لهم مما يهض دليلا على عكس ما يعتقدون ؛ وإنهم يؤمنون بتلك الأفكار إيماناً كونه فيهم ما تودوا أن يذوقوه من البطش والجورم وأسلافهم طوال القرون وهم يملكون على تلك التربة لياكلوا وينفسوا ولو كما تأكل وتنفس الدواب !

ومضى شهر من الأجازة وعلى لا يري جليلة ، ولكنه لم يطق أن يبق حيث هو طول هذا الشهر ،

في عالم من الشر والسحر لا يري فيه الجمال إلا على أنه وسيلة لتخلص بها النفس من هذا الطين وتطلع بوجهه صوب السماء ، ولكن كان له في هذا الجمال الذي أسبقته الطبيعة على تلك الفتاة ، من شروب الرحي وصنوف الألهام

وإذا كان هذا أمره فلم يبق من غاية إلا الزواج ، ولكنها غاية أبعد من المستحيل ، فما زال سلطان العرف في مصر يضع بين الطبقات من الحوائل والعوائق ما لا تكسره إلا ثورة جارية أو حطب قد تمتد حتى تبلغ القرون . وهل يجوز في عقل أن يقدم شاب من أسرة كأمسرة ، له مثل ثقافته ونظرة إلى الحياة ، فيمد يده إلى فتاة كنتلك الفتاة التي ما عرفت سوى دارها وحقلها والتي مارأت غير أهل قريبها من الناس إلا من يجيئون إليها من الباعة والشرين يوم السوق من كل أسبوع ؛ إنه لكي يفعل هذا لا بد له من أحد أمرين : السر ، وهذا غير مقبول ولا مقبول ولا طم له ، أو اللعن ، وهذا ممناء في رأي الناس الجنون

وإذا كان هذا وقفه من جليلة فقيم إذا كان انصافها بها مئة عامين ؟ وكيف يفسر تلك الصلة ؟ - ألم يك يحرم على لقائها فيجلس وإياها إذا جنهما الليل وسترها عن أعين الرقباء وينم بمحبتها الساذج ساعة أو بعض ساعة ؟ ألم يك يمد إلى المرور بمحلقها الصغير مرتين أو ثلاثاً في اليوم الواحد كلما علم أنها هناك في بعض شأنها ؟ ثم ألم يك يحمل مسيره عصر كل يوم في طريقها إلى التربة لكي يراها يتحدر بين أربابها من حاملات الجراد فلا يتحول بصره عن صدرها الناهد ومن قوامها للزحف الرشيق حتى تنسب عنه ، وفي نفسه نشوة قوية تهزه إثر نظره من نظراتها أو إثر ابتسامه خفية لا تلبث حتى تطفئها وقد أثلج قوادها أنه رآها ؟

ذلك كله حتى لا يصر فيه ولا أثر لحيال أو وهم ؛

وأقبل الليل فأقبلت عائشة فأشارت إليه بيدها وهو جالس أمام داره ، تخف إليها فأسرت في أذنه ككلمات ثم أنصرفت مسرعة وجلس هو يفكر ، وفي نفسه نشوة كشوة النعصر

أمام دار من تلك الدور المتواضعة ، في دزب من الدورب الضيقة خلف « دوار » للعمدة ، اجتمع لفيف من الشبان لسباح « المواويل » يتنهي بها في سكون الليل إبراهيم ، ذلك الذي يتيمه شباب القرية أبنا سار ويتحللون حوله في كل سامر ، يمتنون أنفسهم بتلك الأغاني الحلوة التي يرتجلها في يسر عجيب وفي رشاقة تسحر الألباب ويدبرها على كل معنى يحظر له أو يقترح عليه . وكان إبراهيم في تلك الليلة في حال من التجلي ارتفع بها عن مستواه ؛ فأنشد كانت ليلة من ليالي عرس صاحبه حسن ، ولذلك اكتظمت الحارة بالمجالسين حتى لم يبق فيها إلا امر ضيق يسلكه القادمون في عسر شديد ؛ وكان أمام دار حسن في تلك الليلة « كابوب » وهاج يشيع الضوء في الحارة كلها ، لذلك لم يجلس الفتيات كأنموذج أن يجلسن إلى جوانب المحيطان فأوين إلى سطوح الدور ليستمن مسجورات طرويات .. وعلى سطح إحدى الدور الملاصقة « الدوار » للعمدة جلست عائشة وجلييلة ؛ وكانت عائشة قد أغلقت باب دارها حتى لا يصعد إلى سطحها أحد من البنات .

جلست البناتان على حافة السطح ، أما إحداها فكانت مقبلة على إبراهيم تني مواويله بسمها وقلها وأما الأخرى فهي جلييلة فلم تك تسمع شيئاً وما هي إلا برهة حتى نزل شبوح على سلم كانت وضمتته عائشة على جدار « الدوار » ، وغمرزت عائشة صاحبها بأصبعها فأفاقت صراخاً ونظرت فافاً هو على ..

وهنا تلقاه فساراً يضيء خطوات على استحياء

كما أنه لم يستطع أن يسافر فيبعد كل البعد ، ولذلك أكر أن يذهب إلى حيث يقيم جماعة من البدو في حقل لأسرته بعيد فأقام هناك في شبه عزلة ، وهو يتمثل بمحاجته إلى الهدوء والراحة والهواء النقي

وخطر له ذات صباح أن يعود إلى القرية فولي وجهه شطرها ، وسار حتى أصبح منها غير بعيد فلمحت عيناه سرباً من البنات كن عائدات من التربة ورأى فيهن جلييلة فأكثر أن يمشي على مهل حتى لا يدركهن ، ثم رأى إحداهن تتأخر عنهن فكداد يدخل في روعه أنها هي لولا أنه يبين أنها عائشة ، ومن عجيب أمره في تلك اللحظة أنه تأهب ليحدثها كأنما نسي غضبه وترقه . ثم إنه أدرك عائشة فجثته باسمه وحياها ، فرأى في وجهها وعينها أنها تود أن تقول شيئاً ولكنها تحار كيف تبدأ الحديث فبدأ هو بسؤالها لم تختلف عن صاحباتها ، وكأنما فتح لها هذا السؤال باب الحديث على مصراعيه فأجابت في خفة وفي خبث :

— عازره أقول لك كله يا سيدي

— قولي

— رأيتك من بعد فأجبت أن أكلك فأنا من أيام أريد ذلك

— وهل رأيتني وحدك ؟

— لا . رأيتك كنا وجلييلة في الأول

— لا . لا أحب أن أسمع اسمها أو سيرتها

— كيف وهي دائماً تذكرك وتشكرك

— كاذبة .. كاذبة ؟ فأبلي فيا بعد ... فأبلي

فيا بعد

وأمرح على في مشيته وترك عائشة في حيرة شديدة واضطراب ؛ ولم يتوقف أو يطع حتى بلغ القرية فأمرح فدخل منزله ، وصرت عائشة بعد برهة وفي وجهها كدرة من أثر الخيبة ، وذهل مما قلعت به الدهشة

ياكية وهو يصدها، وأما من قريب تدعو عليه دعوة
ارتفاع لها فؤاده...

وأخذت الأيام تنصرم، وكان على ربي صاحبته
من بعد إذا ساقته إليها المصادفة، وكانت إذا أمنت
الربيب تدنو منه فتحييه بأصمحه ويحييها... ولكنه
لم يمد يده في وجهها شيئاً من تلك المعاني التي
يفهمها الماشقون بالهبة المحاطفة دون حاجة منهم
إلى لغة الكلام... واكتفى على بذلك، وكانا هان
أمر تلك الفتاة عنده، فلقد استثمر الراحة بعد
تضرعها إليه وبكائها بين يديه في تلك الليلة التي
لا ينساها؛ وكان إذا لمس يدها في نفسه هاجس
أنها تحبها، وأنها تحب فتى من طبقها حاول أن
يرضى بذلك، بل لقد صور له قلبه أن يكون قصارى
حبه لها العمل على إسعادها وما وسمه الاسماء، وكان
يسأل نفسه كلما دبت التيرة إلى قلبه: ماذا يريد منها؟
وماذا ينتظر سوى أن يحب فتى على شاكلتها تأمل
من وراء حبه ما تأمله فتاة في مثل عمرها؟

وأوشكت أجازته أن تنتهي فلم يبق منها إلا شهر
أو نحوه. وأقبل الخريف السمح على القرية يسبح
عليها بكفه وينفحها بأنفاسه، وغصت الطرقات بين
المزارع في البكر والأصال بالبنات والصبية يسيرن
جبايات إلى الحقول ويمودن منها بدمج تلك الثمرة
البيضاء اللطيفة التي ما زال الفلاحون يملقون عليها
الأمال كل عام على رغم ما لحق بها من كساد وما
أصابها من بوار. والمزارعون يودون بالقطن في
الأعدال فيكون في منظره وهم يدخلون به القرية
فرحة السنة وبشير الخير، وإن كان منهم من ينى
على القطن وسينته «الى بقت زى الوقت»

وكان يحشد من أبناء القرية وبناتها عدد كبير
لجمع قطن المصدة وأسرته، فيذل على كل ما في وسمه
لكي تكون جليته بين هؤلاء فيحشدونها وتعدنه
ولو مرة قبل أن يسافر، وما لبث أن تذكر أن أباهما

قد يده دون أن يتكلم وأخذتها عائشة فقبلتها،
وأحضت جليته لتلقها ولكنه شهدا سريراً وجلس
فجلسا أمامه...

ولم يدر أول الأمر ماذا يقول، ولكنه داعبهما
مشيراً إلى ما يسمع من معاني الحب ترخر بها
أفتيات إبراهيم. ثم أشار إلى عائشة من طرف
خفي فطلبت إلى جليته أن تنتظرها برهة ريثما تعود
ونزلت إلى فناء الدار... فلما انفردا قال لفتاته:
— أهكذا يصير ما بيننا؟

— لا شيء ياسيدي، أنا خادمتك، وسأبقى
خادمتك. أنا «غياة» ولتناس بهمونى إذا...
أعني أخاف أن «يعيل يحنى».. وأنا أحلف لهم فلا
بصدقونى، أبداً لا يمكن أن أرى مثلك وسأبقى
طول عمري أحلف بحياتك. بس أنا خائفة من
«ميلة البخت»

— وماذا أردت من مقابلي؟

— أردت أن أعتذر إليك وأرجوك أن تنساني
فأنا خادمتك ياسيدي فلا أستحق أن يهتم بي مثلك
إني لن أنساك أبداً... أبداً ولي عندك ياسيدي
مسألة؛ ابن عمك سيدى محمد يريد أن يحجز على
الجاموسة في نظير الإيجار المتأخر فن أجل خاطري
قل له ينتظر حتى يفرجها ربنا الله يخليك لنا يارب.

وأجهشت الفتاة، ولكنها كتمت بكاءها
خشية أن يسمها أحد، واستجمع على قوته وأخذها
بين ذراعيه لأول مرة منذ رأها وضمها إلى صدره
وأحس بدسوعها تبلل شفتيه، ثم حس في أفنها
فأثارت: «لا تخافى فلن يحجز عليك أحد وأنا
بوجود»... ولم يفصد على السر وتركها وحدها

في حال أشبه بالاغفاء، وآوى إلى مضجعه وهو
لا يدري إن كان ما وقع حقيقة أم كان في حلم؟ ورأى
تلك الليلة فيما يرى النائم أن جليته أمامه تتوسل إليه

يريقهما لولا بقايا من فتور زادتها ملاحه وسعراً ؛
وقام بنو الأعمام متظاهرين أنهم يفتشون وراء
الحولى وأعوانه ... وكان يذهب كل منهم إلى حيث
كانت جليبة يجمع القطن فيحبسها ويلطفها وهي
لا يجيب إلا بإتسامة هادئة ... أما محمد فربها وفي

عينه شر وفي وجهه جوس وحقن
وحاول على أن يذهب كما ذهبوا ولكنه بقي
مكانه متردداً ؛ ولقد كان يحفل إليه أن الأنظار جميعاً
لا بدأن تنجس إليه إن هو فعل وهو لا قبل له بالتمزات
تبادلها الخبيثات من البنات ؛ وعلى الرغم من أنه كان
يدرك أن موسم جمع القطن موسم تطلق فيه الحرية
بعض الشيء ، فقد بقي مكانه لا يتحرك ؛ وكان يكتفي
بنظرة من عيني صاحبه كلما جاءت إلى « الفرش »
على رأس الحقل لتضع فوق كومتها ما جمعت ...
على أنه كان يتبرم أحياناً لندرة مجيئها ، ولأنها لا تأتي
إلى التربة لتسرب كما يفعل غيرها كأنها لا تحب أن
تبادل النظرات ، وكأنها إنما تأتي لتضع القطن
خسب ...

وجاء فتى من القرية يدعى أحمد طويل القامة
أبلج الجبين ، طلق الحيا ، في عينيه خبث وفي نظره
جراً وذكاء ؛ ودخل بين الخدم ولم يدعه أحد وراح
يجيب « الطلبات » في خفة وسرعة ويؤدي ما يطلب
منه في لباقة عجيبة ، حتى لقد صار لا ينادي غيره ،
فهو طوراً ينقل الفرش إلى الطل ، وطوراً يصنع
الشاي ويدبر كؤوسه ، وطوراً يشغل نفسه بأعداد
الطعام ...

وفي الظهيرة خرجت الماملات يطمنن ويتلمسن
في ظلال الشجر مقيلين ؛ وبسعت كل منهن خرقه
فيها طعامها ، وجلسن يأكلن على ضفة التربة وقام
على فرهن ، ونظر ماذا تأكل جليبة ، فلم يجد على
خرقتها غير الخبز المتخذ من الترة ؛ وقطعة من الجبن
وبعض الملح ، وراحه سفرة قائمة تمشت في وجهها ،

مدن لأن عمه فلمعمل ألياً نظير جزء من هذا
الدين وليضعف هو لها الأجر سراً ، ولما إلى
صاحبتها تخين إليها ذلك كأنه من ليهن حتى قبلته
من أجل أبيها ؛ وسر على بذلك وأخذ يتربق شوق
شديد ...

وحان يوم الجمع في حقول الأسرة وخرجت
جليبة مع « القافلة » كما يسميها الفلاحون في هذه
القرية ، ولقد جرت المادة أن تكون على رأس كل
قافلة امرأة تتمهد بجميع البنات تسمى « شيخه »
القافلة ، وقابل على « الشيخة » في الليلة السالفة
وأوصاها بجليبة وشدد عليها أن تتأكد من
حضورها كل يوم

ولم يشأ أن يذهب على أول يوم إلى الحقل إلا عند
الاصيل ؛ ولقد استطاع أن يحمل على الصبر نفسه
طول النهار ، ولما ذهب وجد عمداً زين للبنات لكل
ما جمعت ويكتب ذلك ابن عم آخر في كراسة ، ووقف
على ينظر فلما جاء دور جليبة أبصر عمداً يداعبها
ويطيل في مداعبتها ولكنها لا ترد إلا بإتسامة خفيفة
ثم تدير وجهها عنه ، ورأى على أن ذلك يؤله وإن
كان يخفي ذلك الألم ، فأوجس في نفسه خيفة عليها
لما كان محمد بالدي يرضي أن تتكبر عليه فلاحه وهو
الذي يخشى الرجال والشباب بأسه ويتوقون جرأه
وبطشه به النساء والبنات

وفي اليوم الثاني بكر على إلى الحقل في رفقة من
بنى أعمامه فسيقوا إليه القافلة ، وقد حمل الخادمون
لهم سجادة ووسائد فرشوها تحت شجرة ؛ ولم تك
ترتفع الشمس على الأفق حتى أقبلت الماملات ،
وزلت كل واحدة في خطها ، وبعد ساعة أو نحوها
خرجن بـ « الرش » الأول وضمت كل فتاة قطعها
في كومة ...

وكانت جليبة في ذلك اليوم فتنة الحقل وبهجته ،
عادت إلى وجهها نصرته وبشاشته ، وعاد إلى عينها

مقربة منها رجال لهم الظلام وقد هجبت القرية ،
وتقدم أحد الرجال فمضى في أذن محمد وعاد إلى
موضعه ، وغمر محمد الغفيرة ، فذهب حاراً ومشى
به خطوات وقد أقبل نحوه شيخ فلما سار أمامه
أسك به وتفتح في « صفارة » وتجمع الرجال
وقد هب بعضهم من النوم ، وجازوا يستفهمون
فوجدوا أحمد يساق إلى « دوار » السمدة لأنه
سرق حاراً من زريبة البستاني

وشهد اليهود وكتب المحضر وسبق للسكين
إلى « قطة البوليس » ، وأصبح حديث القرية
كلها في اليوم التالي . وراحت جبلة تبيح حفظها
الماتر فلا أقل من ستة أشهر يقضيها قناها في
السجن كما يجبرها بذلك المارغون ...

وعرف السمدة حقيقة الأمر ، فدعا أبا الفتاة
وأما ، وأمرها في حجة سارمة أن زوجها من
ابن خالتها إسماعيل خشية أن يفتضح أمرها وأن
يقول عليها الناس الأذول ... وحيى بالأذن بعد
ساعة وأدخمت البنت إرغاً على القبول فاعطت
« التوكيل » ولها لنوشك أن تموت من اللبظ
والحسرة ...

وسافر على بعد أيام ولو أنه بقي لرأى مكان
جبلة فتاة غير فتاته التي أحبها . لو أنه بقي لرأى
بقايا هيكل من جمال وسحر ، يمت منظره اليوم في
النفوس من حسرة وألم بقدر ما كان يمت فيها
أسس من نشوة وشجون ، وهل كان يقوى على رؤية
جسدها الناحل المربل ووجهها الذي يلوح عليه
شيخ الموت ، وعينها اللتين أصبحتا تبران عن
الألم والوقعة ؟ حسبه ما يؤرقه إذا أراد النوم ،
وما يشغل باله من م كذا ذكر ذلك الحلم الذي آفاق
منه على توصيل جبلة ودعوة أمها

الغفيف

وضريح من الدهشة والظوف يختلج في عيها ...
وكانت قد بسطت مائدة الطعام ومخاض حول
المصينة النحاسية الكبيرة بنو الأحسام ، فسادوا
عليها جلس وأخذ من الطعام جزءاً بيديه ونادى
إحدى الخادومات فأمرها أن تذهب به إلى جبلة ،
ولم يبال في تلك اللحظة ما ارتسم على وجوه الجميع
من دهشة وسخرية ، وتلفت فلماذا رأى ؟ أيمن ذلك ؟
ها هي ذى جبلة تريد أن ترفض مستندرة ! ولا حظ
عليها أنها تعد بها تارة وتسترددها فاطرة إلى أحمد
وهو يحدها حدج اللامة ، ولكنها لم تستطع آخر
الأمر إلا أن تأخذ الطعام فتضمه أمامها . وصارها
أحمد بعد برهة وقد حمل إليها بعض الحلوى مما بقي
على المائدة فأخبتها مطرقة وفي وجهها ووجهه من
المانى مالا يخفى على أحد

إذا لقد انكشف الأمر ؛ ولكن ليتها ما انكشف !
لقد تبد وجهه على وأظلمت في عينية الدنيا ، وصارت
تأكل الفيرة قلبه ، وعبثاً حاول أن يهدي نفسه ،
فلقد غابت عنه فلسفته ؛ وذهل منطقته وتبدد حلمه ،
أوتيمه هذه الفتاة من أجل أحمد ؟ وكيف اجترأت
على خداعه والمكر ؟ ! ألا إنه لنخدوع غر ثم إنه
لما نفي أحسن . ذلك ما كانت تحدته به نفسه ؛ وفي تلك
اللحظة التي يسمى الحقد فيها البصائر ، حدث على
محمد حديثاً ، يا شؤمه من حديث !

انقضى اليوم ، وسار البنايت تلقاء القرية ،
وركب على دابة لتعود به فلما كان مابها من م بقوي
على المضى ، وكأنما أرادت الظروف أن تكيد له كل
الكيد فما هو ذا يرى جبلة وأحمد تحت شجرة
بتناجيان ، ولما رآه الفتى من بعد أسرع الخطى
واخفى ... واختفت جبلة ولم تمد بعد بلج القطن
اقتضت أيام وفرغت القرية من جمع القطن ،
وشغلها فنور الخريف وطافت بها طيوفه .. وفي ذات
ليلة كان يقف محمد وإلى جانبه أحد الخفراء وعلى

عروس الماء

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْيْ خَشَبَة

وكان النسيم يهبط شمسها
الأسود الفاحم المنفوذ لیسرق
عطره، وينشره في ذلك الكون
العظيم أرجاً ينمى النفوس
بالأمل، أو يكون الضالين قبسة
من سيناء !
تري لماذا أرسلت هذا
الدنار الأسود الحزين، فوق تلك

كانت تجلس وحدها على صخرة فريدة من تلك
المخور الوردية التي تشرف على هذا البحر القديم
الكریم القدس، بحر اللزائم كما كان يسميه العرب،
أو البحر الأحمر كما تسميه الطبيعة والشرق، لأنه بحر
الزبرجد والنفيق والمرجان، وبحر الجبال والذكريات
والجوارى النشأت !

وكانت الشمس تهبط إلى الأفق، متأججة في
السحاب المنثرة في سماء السويس الساحرة، فتوشى
أذيالها بالشفق، وتغر في اللجة دناير الذهب،
وتسكب في حواشها ذوب اللجين... ثم محور
للطبيعة كلها هيكل تلك الراهبة الصامته، الجالسة
فوق الصخرة الفريدة تفكر ساعمة، وتخلو من
جمال الله ووحدانيته، وتعبده في هذه الأفكار الجليلة
الجليلة للسكينة التي أبدعتها يده، وبرأها قدره،
فعى عندها الغليل عليه، والوسيلة إليه....

وكان النسيم الرخي يهب في أنفاس الغرب كأنما
عمره هزة من ذكريات موسى حين ألمح الليرة الجليلة
الرائمة تشرف على بحره القديم للكریم القدس فيكاد
يكون فرقين لتخوض بينهما. فقلب بمصباح دهره،
وتلوه بمكنون صرجه...

كانت تنظر بين يديها التجلاويين في الموج المضطرب

الشفوف البيض الحمرية !؟

تري إذا جلست وحدها فوق تلك الصخرة
الفريدة الثانية عن السويس، في تلك الساعة التي
توشك أن تنام فيها الطبيعة ؟

كل شيء ساكن هادي، إلا خبر الماء
ورشاش الشبح

الشمس تاج أبواب الغرب، والبدر يندر من
بيان المشرق...

الشمس تحم كتاب النهار... والبدر ينفى
أنشودة الليل...

فيا ترى لم جلست هذه الحساء وحدها
هناك... فوق تلك الصخرة الفريدة ؟

فيم تفكر ؟

أوه ! إنها تبكي !

يا لله ! ألا ما أجل الموع في ميون المناري ؟
ألا ما أجل المذراء تبكي وحدها في دنيا جميلة كهذه
من شفق ونفوس ونسيم وبر وبحر وأرض وسما
وليل مقبل ونهار مول ؟

فيم تبكي يا ترى ! ألا ما أقل هذه الموع التي
تنسكب من هذه الميون !؟

إسمى يا طبيعة ! إن عنراءك تنفي :

وجه حزین ، یبد أنه جمیل فتان رائع .. وجسم
شفه الوجد وأشتهه الأحزان ، یبد أنه أعیف محشوق
یقننى ... وثویان ، أما أحدهما فأیض كالنهار
وأما الآخر فأسود كاللیل ، یبدل فوقهما شمر فاحم
خلق الحب ولم یخلق للأحزان !

وحجب علوی لفناء الفتاة ، لأنه كان ینشقی عن
نفس باكية ، وروح وفیة ، فی صوت بللته الدموع ،
وأفئاس صهرتها نیران الألم ، وعاطفة مكبوتة محبوسة
لا یفرج عنها الشدو إلا قلیلا

ثم صمعت الفتاة فجأة ، لأن القرص اللهب أخذ
یستتر رویداً وراء الأفق ؟ ونضت ثوبها الأسود
فی هدوء وثؤدة ، وترزت حذاءها ، وكشفت عن
ساقها ، فأختلط بیاض الحریر ببیاض اللحم الوردی
وقبل أن یخنى القرص اللهب كله ... أوحین
لم یبق منه إلا هذه البضمة التي تحكي الجرح فی كف
الأفق ... تجردت الفتاة من ثوبها الأیض كذلك
ثم وقفت عروساً من عرائس الماء مادة ذراعها نحو
البحر ... وهبطت إلى الماء فجأة فناصت فیه

وأفاق علوی من الطلسم الذي سحر قلبه حینا
شهد الفتاة تتجرد من ثوبها ، وذكر أن هذا الجزء
من الشاطئ هو أخطر الجهات للاستحمام ، لكثرة
ماه من الصخور للؤذیة ، وما یأوی إليه عادة من
حیوان هذا البحر لیستخفی فیه ... وإن تكن تلك
خرافة انتشرت بین أهل السویس ، لم تؤیدها
حجة ، ولم یقر علی سمها برهان

ذكر ذلك علوی فبرز من مخبئه علی مجمل ...
ونضا ثیابه علی مجمل كذلك ، وكانت فكرة جدیدة
من ألوف الأفكار التي ترد فی الخاطر فی مثل تلك
الحظة ترید فی مجلته ، وتضاعف نشاطه ، حتی

« ما أفساك أیها البحر ، لم قتلت حبیبی ؟ »
إنها تسرد مأساة غرامها ، وهاهی ذی تنقم من
بحر موسی ما أطبق موجه علی ابن فرعون !
مسكينة أینها العذراء ، لقد تخضب مرجان
البحر بدماء حبیبك ، وفتحت أصدافه لتلقف
أنفاسه لیکسب المر سناءها !

كان علوی یذرع وصال الشاطئ فی هذه الهدأة
الرائحة من مغرب السویس ، حینا لمح الفتاة الباكیة
تجلس وحدها فوق الصخرة القریفة ، ترسل فی أطباق
الوج نظراتها للنداء

لقد أحس الشاب بماطفة قوية تجذبه إلى حین
جلست الفتاة ، فهرول كالشیخ بین الكتبان الناعة
حتى كان قاب قوسین من صخرتها ، فجلس فی كن
یسمع إلى بكائها وغنائها ، فإذا بالبكاء والفناء قصة
حب دامیة ، وإذا الفتاة قد أقبلت من جهة بیدة
نافیة تصل من أجل حبیبها ، وتذرف الدموع حارة
سخینة علی ذكراه !

ولقد كان علوی ینظر إلى الفتاة من ركبته ،
فیراها ملاكا نورانیاً صورته ید القدرة فی نسیم
البحر الأحمر ، أو طیفته فی أدم سماء ؟ وكانت
جلستها جلسة شمرة ، لأنها لم تكن تلقت حولها
یمنة أو یصرة ، بل كانت تثبت عینها فی لجة واحدة ..
وتبکی ! وبكاء عذراء تجلس وحدها فوق صخرة
موحشة من صخور هذا البحر ، نئی یشیر الفضول
فی فؤاد العابر ، وخاصة إذا كان فی مثل شباب
علوی الشباب

لقد لمح علوی جمالاً یشیر الألم فی النفس ...
جمالاً غامضاً من ذاك الجمال النادر الذي یخلق الله
كما یخلق المعجزات

قرية من سطح الماء ، فوق فوقها منوها مكدوداً ،
لا يكاد يحسك نفسه من التنب
وكان القمر المصري الجليل قد أخذ يسكب فضته
فوق الكون الهامد إلا من جرجرة الموج حول
الصخرة التي وقف فوقها علوى الحائر ...
فيأري ؟ هل يبصر القمر بعلى ، كما سبخر
به البحر ؟ !

أين الفتاة يا ترى ؟
لقد راح السكين يبحث فيها ببنيه المرتبطين
في آفاق الماء ... لكنه لم يجد شيئاً ، غير لجة عند
لجة عند أخرى ... !!

هل غرقت ؟
ولم لا يكون ذلك ؟
إن هذا بحر تفرق فيه الجن ، فبال فتاة طرية
حزينة كمود القصب الرقيق !

أخذ علوى طائف من الحزن والوجوم وأخذت
الوساوس تمصف في قلبه ، وشعر كأن كنزاً بأ كله
من السعادة والهناء قد أفلت من يديه .. وراح وهو
فوق الصخرة ، وحوله هذا الموج القفرس ، يستميد
رجع التنامالى ملا أذنيه فوق الشاطئ ، فلا يذكر
أنه سمع مثله فيما عاش حلاوة وطلاوة ولا سحراً ..
ولا ليحاجاً كذلك !

وطفق يتحدث نفسه حديثاً طويلاً مؤسياً ...
« وأأسفا عليك يا فتاة ! لبتك عشت لي ؟ لبتك
عزفتي قبل أن تلقى بنفسك في هذا اللج الصخاب
هل حسبت أن الدنيا أقفرت من القلوب بعد
حببك ؟ ! أى قلوب العالم لا تنفتح كأثره لتنشق
أنفاسك ؟ هلى إلى من الماء يا هروس الماء اعودى
إلى الحياة فعلى أحفل من قاع البحر بحبك

لأوشك أن يرتبك وهو يخلج ثيابه ، فكان لا يزال
تقطيع أزراره أو تعزيق إزاره ... ذلك أنه حسب
أن الفتاة قد فطت قلبها لتتبعه ، وقد كان غناؤها
الحزين يمي ذلك ، لأنها ذكرت أن تلك اللجة في
ذلك المكان عند هذه الصخرة ، كانت قبر حبيبها
الذى غيبه البحر في أحشائه ، غير راحم شيابه ...
لذلك ارتبك علوى ارتباكاً شديداً قبل أن يقذف
بنفسه في اليم لينقذ الفتاة الجميلة البارة التي ضاقت
بها الحياة بعد حبيبها ، فبادرت إلى الانتحار في
المكان نفسه ، وفي البحر نفسه ، وفي هذه الهدأة
الرائمة من مغرب السويس نفسها

وسبح علوى ...
ثم سبح ... بيد أن البحر الذى يخضع للنفيد
الحسان التوامم ، هو البحر نفسه الذى يأبى أن
يقهره أحد من ذكران البشر ، ولو كان فرعون
ومن وراء فرعون جنوده ! لذلك لم يدر علوى لم
نار العباب حوله وفار ، واسطخب الموج وأرغى الزيد
وهزى الشاب للفتى أول الأمر ، ثم مضى في
سباحته قدما ، غير أن البحر هزى هو أيضاً ،
ثم جرجرت حول علوى أمواجه ، وأزبدت من
فوقه أتيابه ، حتى غدا الليل في جنبه ليلين ،
وإن كان البدر السافر قد سار هو الآخر في روعة
بدرين ، بدرأ في السماء وبدرأ في الماء !

وحجب علوى لطيفان البحر وشدة صراسه ،
ودرجع بنا كرتة إلى ألوف المرات التى خاض فيها
عياه ، فلم يذكر أنه عتا مثل هذه المرة ، ومثل ذلك
المتو ...

ثم سبح ولم يزال ...
وبلغ بعد إعياه وبعد جهده ، جزيرة من الصخر

— أنا ... أنا ... علوى ؟ وأنت ؟

— علوى ؟ ... من علوى ؟

— أجل ... أنا علوى ... أنا والله علوى الذى
كاد يهلك فى هذا الباب من أجلك ! ألا تريدن
أن تذكري اسمك ؟ إذن لماذا كنت تبكين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فوقت فوق الصخرة ،
وراحت قلب فى وجه علوى حينها الحالتين ...
ثم أشاحت فجأة ، وصرخت قائلة :

— كلا ... لست أنت علوى ... هذا حلم ...
هنا ... باطل !

ثم أصرحت إلى اليم فأحملت فيه ذراعها
ولم يتوان علوى ، بل قذف بنفسه فى البجة ،
وانطلق يسابق الفتاة إلى الشاطئ ... وقد نشط
هذه المرة ، وتدقت القوة كالخديد فى أعصابه ،
وأحس كأن الماء الذى كان كالنارج قبل لحظة ،
قد صار حمامًا ساخناً

وبلغم مما حراء من جأ وتلف ، فقد ذهب
بأكل هذا الجبال اللامع بينيه الجائعتين ، وعلا
رقله بذاك الأرج الذى أخذ يتضوع بالحب فوق
البحر وتحت القمر ...

وكان علوى أسبق من الفتاة إلى الشاطئ ،
فوقف عنده ينتظرها ...

وقالت له وهى فى الماء

— إذا أنت ظلت واقفاً هكذا فما عود !

— تبودين ؟ وإلى أين ؟

— إذ ذهب أرجوك !

— بل اخرجى وأنا خادمك ... إلى أميك

حياتى تسمير فى ركاك حتى تبلى مامن المدينة !

— أشكرك ... لا حاجة بي إلى أحد !

وللمرعبين بك ، وعباد جمالك ! إن حبيلك الذى
نحسينه قد نوى كالمز فى أسدان هذا اليم ، هو
هنا ! هنا ، فوق هذه للصخرة ، وهو يكلمك الآن ،
إنه ليس هناك فى القاع يا فتاة فمودى ! عودى إلى
الذى لا يعرف اسمك ، وإن كان قد انطبع فى فؤاده
رسمك ! عودى فإن فى قلبك جنة موشاة بأزاهير
حبك ، وهى فى حاجة إلى الأنفاس السبعة التى ردها
فك الجبل الشاذى ! لم كرهت الدنيا وشيكا هكذا ؟
لأن قلباً واحداً من ملايين القلوب التى تنفق
بجيك قد أودى ، فانك تهجرين الدنيا من أجله ؟
أو قد كنت تخلصين له إلى هذا الحد ؟ ما أسدده
حياً وميتاً ؟ ترى من هو يا فتاة ؟ أو هكذا تسمين
حلماً فى خلدنى بعد إذ كنت حقيقة ملء نظرى ؟
وكان الربح قد هدأ ، والمزج قد تطامن إلا قليلا
والبدن قد ارتفع بضمة أمتار فوق الأفق ، وكان
علوى قد يس من الثور على الفتاة ولو جنة هامة
تطفو على اليم ... وكان قد سرت فى كياته وعشة
من البرد والحزن والخوف ، فاعترم أن يسود إلى الشاطئ
وقبل أن يخوض الماء ، سمع خلفه هاتفاً
يقول : « هل السيد فى حاجة إلى معاونة ؟ »

وتلفت علوى مذهولاً ، فرأى الفتاة مملقة
بنتوه من صخرته ، وجسمها الجليل يلمع فى فضاء
القمر ، تخفق قلبه خفقة شديدة لهذه المفاجأة ثم قال :

— أى أنت ؟

— ... ؟ ...

— ألم تفرق ؟ أما ترالين حية ؟ ما أسعدنى !

— ماذا ؟

— لقد كنت أبكى قبل لحظة من أجلك !

— من أجل أنا ؟ ... من أنت ؟

كالجامة من فوق صخرتها واقترت حتى كانت تلقاه
ثم وقفت صامتة ساكنة ولم تحرك ...
ومد علوى يديه للتداعيتين بالنوطة آخر الأصر
ثم قال :

— أشرك !

— وأين ثيابك ؟

— وراء الصخرة السعيدة !

— الصخرة السعيدة ؟ ماذا تعني ؟

— الصخرة السعيدة التي كانت تحملك إذ أنت

تبكين وتشتين !

— أوه !

ونهدت الفتاة فكانت فوق الصخرة ، ثم
استدارت حولها . فاكشفت لكن السانكن
حيث ملابس الشاب ، وحيث كان يجتبي ويسترق
السمع . والأئين . والبكاء . والنرا !

وعادت تحمل ملابسها جميعا فوضتها على الرمال
تلقاه ثم قال له : « هذه ملابسك فينبغي أن
تلبسها ولا تعرضت نفسك لخطر البرد . أما فوطي . »
ولم تكمل عبارتها ، بل أطلقت ساقها لتسليم
البحر فكانت فوق الصخرة ، وحات حقيبتها
وانطلقت لا تلوى على شيء ...

وجفف علوى ما تبقى على بدنه من قطر ، ثم هرول
فوق الشاطئ . وملابسه في يده ، وانطلق يمدو
في إثر الفتاة ... وكان مع ذلك يدس إحدى ساقيه
في جزء من سرواله — أى يتناولوه — ثم يخطو
فيتنثر ، ويقف يبدس الأخرى في مكانها الآخر
من السروال ، ثم يمدو ... ويدس ذراعه في كم
القميص ، ويخط ، ثم يدس الذراع الثانية في الكم

— وكيف ؟ إن هذا مكان موحش ، وإن
الطريق لغفر ، ولا بد أن أصحبك إلى المدينة ...
أو إلى حدودها على الأقل ! أتمرعين لم تزلت ورايك
إلى البحر ؟

— لتفرق ؟ أليس كذلك ؟

— بلى ! لقد كنت أحرق والله !

— لقد رأيتك تجمده الوج ، ولولا أنك كنت
قريبا من الصخرة لأتخذتك ... فاذهب مشكورا
إذن !

— ولكنك تفرين نفسك بالبقاء هكذا
في الماء . فلم لا تخرجين ؟

وبرزت الفتاة من الماء فاززل فؤاد علوى ...
ثم تواتبت كالقطاة فوق رمال الشاطئ حتى كانت
دون الصخرة ، قفزت قفزتين أو ثلاثا فكانت
فوقها ...

وانتذت تفتح حقيبتها فأخذت فوطة فمسحت
بها جسمها البيض الرقيق ... وهنا ... نظر إليها
علوى وهو فوق رمال الشاطئ ينتفض من برد
الليل ، ففهمت سؤلها ، وقبضته بالنوطة فخلقها
باسما ، وبدا من أن يجفف بها جسمه الرتمش ،
دس فيها وجهه ، ولا يمل إلا الله ماذا كان يصنع ،
وأى أنفاس حار كان يرد ، ولا أى دموع كان
يذرى ويسكب !

ولبست الفتاة ثوبها الأبيض الناصع الذي زاده
أشمة القمر بهاء وسناء وجاذبية ، ثم أضفت عليها
من ثوبها الأسود ، واستدارت لترى هل انتبهي
علوى ... فلما رآه واقفا تحت هذا الليل النفضي
والريح تساوره ، وقطرات الماء تداوره ، هبطت

- الأخر، وهكذا. حتى لم يبق في يده إلا حذاءه !
ضحك علوى حين رأى نفسه يقتنى أمر محبوبته
المفاجئة وفي يده حذاءه ! فتركه على الصخر
وانطلق كالظلم وراءها .
— ما هذا ؟
إن الفتاة تقفز في سيارة كانت تنتظرها عند
هامش الصحراء في أول الطريق الموصل إلى طريق
القاهرة ...
ولمح علوى ذلك ، فكاد يصق وتخشب ساقه ،
فلا يستطيع عدوا بل لا يستطيع حراكا ...
لكنه سمع على أن يلحق بها . لأنه أحس بشيء
غريب يمتزج بدمه ، ويجرى دفقا في عروقه ...
وأحس أيضا أن القدرة التي حرمته كل
هذه السنين الطوال نعمة الحب ، قد تحت له
جنة الحب فجأة يتفأ منها حيث يشاء فافا
هربت هذه الفتاة فستطلق أبواب الجنة ، ويظل
إلى الأبد طريقا منها ، يطوف بأعراقها ، ولا يناله
من نعيمها شيء ... فجري ، ثم جري ، وظل يجري
كالمجنون ، وكان يسب الأرض لأنها لا تقطوى
يسهولة تحت قدميه ، وظل يدعو الله أن ينبت له في
ظلمه جناحين أو ثلاثة أو أربعة ... أو أجنحة
لا عدد لها ، ليبلغ السيارة قبل أن تنهم ...
ولم يقبل الله دعاءه طيبا ... فلم تنبت له أجنحة
بيد أنه مع ذلك قد بلغ ذاته ... وقبل أن تتحرك
السيارة ، استطاع أن ينظر ح أمامها لتقف ...
أو لتقتله ... وهل أشقى في هذه الدنيا من قتله
بسيارة تحمل حبيبا كهذا الحبيب !
وتبسمت الفتاة ... وأوقفت الماكينة ... ثم
- زلت لتري ما خطب هذا الشاب !
— أوه ؟ ما ذا تريد ؟
— أريد أشياء كثيرة .
— أريد أن أعرف
— قبل كل شيء أحب ألا تبسب هكذا ؟ هل
أنت غصبي ؟
— وكيف لا أغضب وقد حصل منك كل
ما حصل ؟
— وماذا حصل متى جملت فذاك ؟
— ألم تخشى لتسرق سرفاتة ؟
— الصدقة والله فملت هذا ؟
— ولماذا زلت البحر وأنت لا تحسن السباحة ؟
— أنا أحسن السباحة جدا ، وقد فملت فملتي
هذه لأتقذك ؟
— لتتقذني ؟ وماذا ظننتني أسنع ؟
— حببتك ...
— حببت ماذا ؟
— حببتك عولت على الانتحار ؟
— وماذا يجعلني أنتحر ؟
— ألم تكوني تقنين وتبكين وتذكرين حبيبا
لك ... أوه ؟ مغفرة ؟ ...
— آه ! إنها أغنية يا هذا ؟
— أنا لست (هذا) .. أدرجك .. لقد ذكرت
لك اسمي ؟
— آه ! اسمك ... علوى ... أليس كذلك ؟
— هو ذاك ... ويقيني أنه كان يسمى
علوى^(١) أيضا
— كان يسمى علوى ؟ ومن هو يا ترى ؟

(١) تنتشر عن منح الأعلام من الصرف في كل قصصنا

— لا والله يا أخاه ، لكنى أشفق على شبائك
وجالك أن يستلما ليدربول فتدوى زهرتك وحي
أعقب ماتكون ، ويصوح ريمك وهو يد فى إياه !
— أشكرك ... ألا تتركى أنصرف إذن ؟
— تنصرين ... وأنا ؟
— وأنت ماذا ؟
— أين أذهب ؟
— إلى بيتك !
— ليس لى بيت ... لقد خرجت اليوم من صدفة !
— أرجوك ... أنا لا أحتمل العنابة !
— دعابة ؟ أية دعابة يا ... يا حبيبا ! ألا أعرف
اسمك ؟

— هذا مستحيل !
— وله ؟
— لأنى أقسمت ألا أخونه !
— أقسمت ألا تخونى من ؟
— لقد عرفته ...
— ألم أقل لك ؟
— ألم تقل لى ماذا ؟
— ألم أقل لك إن اسمه علوى !
— حقا ، لقد كان اسمه علوى ...
— ولماذا غرق إذن ؟
— كما أوشكت أنت أن تغرق !
— ليتنى غرقت ... ليتنى غرقت !
— ولم تمنى ذاك ؟
— لأنى أوشكت أن أقنط من ...
— م ؟
— من إقناعك !
— إقناعى بماذا ؟

— الشاب السميد الذى غرق فى البحر
— لقد بدأت تمزح !
— كلا والله ، إنى ما إلى المزاح أردت !
— إذن كيف يكون سميداً من يفرق ؟
— أى مخلوق يرزقه الله نعمة ... حبك ...
يكون أسعد خلق الله ولو غرق ؟
— حقا إنك شاب جرى ...
— لست جريئاً ولكنى ...
— ولكنك ماذا ؟
— ولكنى أقول الحق !
— إنهم ... لقد أرويت الرمال بالدم للتعب
من قديمك ؟
— دم ؟ ... أوه ؟ ... ليتنى سفكت دى كله
تحت قديمك !
— ما شاء الله ؟ كيف تستطيع لنفسك أن
تخاطبنى هكذا ؟
— وكيف أخاطبك إذن ؟
— كما يخاطب الناس أناساً لا يعرفونهم ؟
— غير أنى أعرفك !
— تعرفنى ؟
— ولم لا ... لقد كان غناؤك وحيا تنزل على
فؤادى لحفظته من ظهر قلب ... لقد حفظت قصتك
كلها ... أنا ذنير بسماها ؟
— وهل تؤمن أن ما غنيت قصة ؟
— بل أومن أنها حقيقة لا ريب فيها !
— فلم إذن لا تحترم قدس الموت ؟
— قدس الموت ! أوه ! ما أبشع أن يذكر
اسم الموت هنا ؟
— لأنك رجل أنانى !

- بجمال هذه الدنيا وكثرة مباحيها ...
- فاذا غاب منها شخص لم نجد جيلة كاتحسب ...
- هذا وهم ، ويجب أن نتأمله بالتيان !
- أجل ، سأطأله بأن أنسى كل شيء ...
- إلا ذكره آه يا علوى آه يا حبيبي ! تمال الآن من قاع هذا البحر للقدس فانظر كيف يريد الناس أن ينسحقوا من ذا كرتي ! الناس الأثانيون الذين لا يحرمون قدس اللوت ، ولا تقشمر ذلهم فرقا لذكره ! لقد سارت الدنيا بليدة من بملك يا حبيبي ها هو ذا رجل ... لا يريد أن يخلص فتاة لانها ادى أخلص لها حتى اللوت ... الذى خفى نفسه وشبابه من أجلها ... ما أفعلك أيها الدنيا ! لقد شوهتك أمانة الانسان ! لقد كنت قبل آدم جيلة ساذجة طهوراً فطبخ وجهك بأوحاه
- تتح أيها الشاب ! لقد كنت أحسب دماءك هذه دماء نقية ... لقد كنت أرى لك والبحر يلقفك ... لقد خدعت في دموعك التى ذرفت من أجلى فوق رمال الشاطئ ، وكنت أرجو أن أعثر في روحك على صديق ، فاذا للشيطان القدر يتجسس في صلبك من أيام آدم
- أختاه ... أرجوك ؟
- علام تسأمني ؟ على قلبي ؟
- بل أن نصية أخرى من نصاياك
- أسكت فان ليس لى نصايا ... إنك تدنس دمك ودموعك بهذا المرء ! كيف تستطيع لنفسك التخلص على جناح القلوب
- اللصص ! أوه ! إنك تهيننى !
- وأنت أمنت ذكرى حبيبي ، وآلمت روحه !
- إذن ، فانا أعتذر
- إذن ، نتج ، فقد طال حوارنا ، وأريد أن
- أبلغ القاهرة في ميداد لا أحب أن أعدوه وتنحى علوى ... وقفزت الفتاة في السيارة .. وقبل أن تطلق بابها نظرت إلى الشاب نظرات غامضة لم يفهم منها إلا أنها تدعوه . فتقدم خطوات ووقف كالشبح .. فدت إليه يدها الناعمة المصعبة ، فتناولها في يديه جيما ، ثم أهوى عليها بضمه المرتش يطبع فوقها عشرات القبل ، وينثر عليها قلبه وروحه ودموعه ...
- ثم مدت يدها الأخرى فربقت بها على شعره الأثمت ، وخديه البليل ، وجذبتة إلى جانبها في السيارة .
- آه يا قاسية !
- لنفس !
- وما اسمك إذن ؟
- اسمى ... ستعرفه في القاهرة !
- في القاهرة ؟
- أجل ... هناك !
- لقد تركت هنا ...
- طربوشك وحذاءك ؟ أليس كذلك ؟
- بلى !
- نشترى غيرهما من هناك ؟
-
- وأقيم في السويس سراقذ نغم حاشد ، وأقبل الناس من كل فج يزورون والده علوى ... أليس قد غرق ؟ أليس هذا طربوشه وهذا حذاءه ، وهذه فوطة ملقاة على الرمال !
- وكان من بين المزين علوى نفسه !
- لقد أقبل هو وأسماء في الليلة التالية ليزقا إلى أيه البشرى السعيدة ... لقد خطبها !
- دميتى فضيت

الرسالة في عامها السابع

الجلّة التي أحدثت في الأدب الحديث مدرسة خاصة

الجلّة التي ثبتت على مكاره الجهاد والانتقاد والزمن

الجلّة التي تنسج بأريج الإسلام والعروبة والشرق

الجلّة التي لا تتخلف ولا تتوقف ولا تنهت

ستخطو هذا العام أوسع خطواتها وأجرأها

أدب ، علم ، غز ، فلسفة ، اجتماع ، سياسة ، اقتصاد ، قصص ، شعر

تدريس ، محاضرات ، مؤتمرات ، أبحاث ، صراع ، سبيل

أسرة الرسالة في سذتها الجديدة

الأستاذ العقاد ، الأستاذ المازني ، الأستاذ توفيق الحكيم ، الأستاذ عبد الرحمن شكري ، الأستاذ اسماعيل النشاشيبي ، الأستاذ ساطع بك المصري ، الدكتور محمود عزمي ، الدكتور عبد الوهاب عزام ، الدكتور زكي مبارك ، الدكتور محمد محمود غالي ، الدكتور أحمد موسى ، الدكتور يوسف هيكل ، الأستاذ محمد أحمد النمراني ، الأستاذ سعيد الريان ، الأستاذ دريني خشبة ، الأستاذ عبد اللزيم خلاف ، الأستاذ محمود الخفيف ، الأستاذ عمر الدسوقي ، الأستاذ محمد حسن ظاظا ، الأستاذ أحمد خاكي ، الأستاذ علي الطنطاوي ، الأستاذ أنور المطار ، الأستاذ أحمد الطرابلسي ، الأستاذ الحوماني ، الأئمة أسماذهمي ، الأئمة زينب الحكيم ، الأئمة الزهرة ، الأئمة فلك طرزي ، الأستاذ محمد لطفي جمعة ، الأستاذ فليكس فارس ، الدكتور بشر فارس ، الأستاذ محمود غنيم ، الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، الأستاذ أحمد حسن الزيات .

ادفع من الآن لغاية آخر يناير ستمين قرشاً

تكتب مجلة الرواية ومعهما كتاب متوسط الحجم ، أو كتاب كبير بالتخفيض ، أو مجموعة السنة الأولى أو الثانية من مجلة الرواية بحيث يصبح اشتراك الرسالة مع هذه الهدايا عشرين قرشاً . والاشتراك في الخارج هو مثله في الداخل ، ويزاد عليه ثلاثون قرشاً مصرياً فرق أجور البريد . وسنعلن عن كتب الهدايا في الرسالة خلال شهر يناير — أما الاشتراك بعد مدة التخفيض فهو ستون قرشاً للرسالة وثلاثون للرواية في الداخل ، ومائة قرش للرسالة وخمسون في الخارج للرواية ويخصم في كل منها للطلاب ٢٥٪ .

تظهر في ثوبها الجديد : بحروف جديدة ، وطبع متين

القليل الذين يصادفهم أجل
التوفيق وأسمده في دنيا النساء
فصنق عدداً وافرأ من المثلاث
والراقصات وربات القصور
المصونات غير متردد ولا متعرج
ورشف من كؤوس الهوى خراً
صافية ، أعمته نشوتها عن طي
الأهوام ، فأيدي يوماً وإلا وهو

كَيْلُهُنَّ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ

بقلم الأديب نجيب محفوظ

يصحو على حافل يقول : « أتباع الخامسة والأربعين
ولما تزوج ؟ » الخامسة والأربعون ... أحفأ ذهب
الشباب الناضر وولي ؟ أحفأ تسم ذروة الكهولة ؟
ووجد نفسه يفكر في مسألة الزواج تفكير
شاب يهدف للتلايين ، ويكاد الزواج أن يكون
كالموت نهاية كل رجل ، وإلا فلن يترك هذه الثروة
الطائلة التي يمتلكها ؟ ومن يؤمن وحشته إذا احتجزه
البيت يوماً ؟ ومن يسيته على متاعب الشيخوخة
وأهوال الكبر إذا تألبت عليه عوامل الفناء ؟

ولكنه لم يشغل عن طبعه وأنه متاعس عشاق ،
ومثله يستطيع أن يقرأ قلب المرأة كما يقرأ الكتاب
الافتوح ، ويعرف طبيعتها معرفته لبدنيات الحساب
لذلك رأى أن الحكمة تعل عليه ألا يختار زوجة
شابة تفصل بينها وبينه عشرات الأهوام ، وصحت
عزيمته على الزواج من أرملة أو مطلقة في الثلاثين
على أدنى تقدير ، حننراً من أن يقضى عليه بما قضى
به على نضايها الكثيرين ...

ولكنه شاء غير ما شاءت الأقدار ، وما حيلته
في ذلك ؟ لم يكن هو الذي يرم الأقدار حين دعى
يوماً إلى حفلة زفاف فراح مالكا لنفاده وعاد مسلوب
النفوذ والارادة ، ولم يكن هو الذي يخلو الأحمار

هل يمتنى الانسان على الله أكثر من أن يهبه
زوجة حسناء وثروة طائلة ، ويعتمه بصحة سائلة
وبنين ، ويؤمنه مركزاً اجتماعياً فذاً ، وقد فاز حفرة
صاحب المزة جمال بك ذهني بأولئك جيماً ؛ كانت
له زوجة شابة حسناء يمزى للنظر إلى وجهها الحسن
عن أحزان الدنيا جيماً ، ووجهه الله أربعة من الأبناء
كالرود سعة وجمالاً ، وترقى في مراتب العولة حتى
نولى كرسي الاستشارة في أكبر هيئة قضائية ،
وورث عن والديه ثروة طائلة ما بين عقار ومزارع ،
ومع ذلك فن كان يطلع على وجهه ذلك اليوم إذ هو
جالس في شرفة قصره المطل على شارع السرايات
ياخذ المصباح لهذا الاكفهرار الذي يظله وتلك
النظرة الثقيلة التي تحار في عينيه منذرة بالشقاء !

ولا سبيل إلى إبطال هذا المصباح ما لم تلزم بماضيه
لأن حاضر الانسان يقع غالباً من ماضيه موقع النتيجة
من القدامات وإن كانت لا تدمم السلافة بينهما
في الحياة بما ندم به في النطق من الضرورة والاحكام ،
ومهما يكن من الأمر فقد كان ماضى صاحب المزة
حافلاً بالشباب الرح السعيد والعمل النزيه والذكاء
الرفاد والمناصرات التي تجمل من الشباب ديوان
شمر غنياً بالكريات المذبة ، لأنه كان من الرجال

في هذه الفيلا يارى منذ زمن بعيداً وهل هو متزوج أم أعزب ؟ وكان يستطيع أن يسأل زوجه عما يحيرة ولكنه ففر من هذا نفورا عجبيا وأثر عليه الجمل والحيرة .

وكان قلقه غريبا لدرجة أنه ود لو يستطيع أن يجعل زوجه على ثقل حجرة النوم إلى الجهة الأخرى من القصر المطل على شارع التفشلاق وإحلال المكتبة .
علاها، ولكنه لم يدر كيف يبل طلبه وأبت كبرياؤه عليه أن يقاها بشأه .

ووجد في حياة الفراع الجديدة فرصة طيبة لمراقبة «غريمه» في صمت وحذر، فلاحظ أنه يتناول الشاي كل صباح في شرقته وأنه يعود فيجلس بها عند الأسيل ساعة أو نحو ذلك ، وفي تلك الأثناء يصادف أن تدخل زوجه إلى الشرفة فيديم الشاب النظر إليها ، وخيل إليه أن يصرها يتجه أحيانا إلى شرقته ، ثم يحتمل ألا يكون وراء هذه النظرات أى معنى سوء ولكن يشذر عليه أن يتصور أنه من الممكن أن ينظر شاب إلى مثل زوجه الحسنة نظرة برشة لا يشوبها طمع .

وضاق بصمته المرهق فأشار يوما إلى شرفة الضابط وسألها :

— من يقم في هذه الفيلا ؟

فقلت :

— جار جديد ، أظنه مفتشاً في الماخلية

فسلها بلا اكتراف في الظاهر :

— ومن الضابط الذى يظهر أحيانا كثيرة

في هذه الشرفة ؟

— أى ضابط ؟ ... لا أدري ... لمهلبان المفتش

فوقع تجاهلها من نفسه موقفاً أليماً ؛ واشتد

إذا كانت التى سلبته نؤاده في الشرين من عمرها ، ربما قلت إنه كان يبنى له أن يلب الحكمة والمقل على الهوى ، ولكن وأسفاه فان هذا القول وأمثاله لا يجدى فيمن تسيطر عليهم الشهوات ، فجميعهم — أيا كانت الشهوة التى تتحكم فيهم — لا يرون في المقل إلا وسيلة لتحقيق شهواتهم ، يستوى في ذلك منهم من يعبد الله أو يعبد المال أو يعبد النساء ، فلو يتردد جمال بك عن سلوك سبيله المحتوم وخطب الأكنسة حياة إلى والدها الأستاذ محمد هويس الخبير بالمجلس الحسى وتمت الزيجة وأثمرت على الأيام أربعة من الأبناء أكبرهم في المدرسة الثانوية وأصغرهم في الروضة ...

ولكن الزمن حكاه الصارم كذلك ، فقد أحبل المستشار في هذا الأسبوع إلى الماش وأذن النذير بجى الخامسة والستين بكوارثها الممهودة من نضوب الأعصاب وبرودة الاضمحلال وتكرر معالم الدنيا وتآلب أمراضها ، وما كان به من ظلم ولا جوع فقد ارتوت نفسه من لذائذ الدنيا وأخذ نصيبه كاملا من متاعها للفرور ، ولكن دب بقلبه ديبب التفلن الذى تعود بواسته التى تلك الزوجة الحسنة التى يعطيها الزمن — الأخذ منه — نضجاً وكالا ويزيدها كل يوم حسناً على حسن ، وما كانت مخاوفه أوهاما ولا محض حذر عليه مناسرائه الماضيه ، ولكنه شاهد هذا الصباح في شرفة الفيلا التى تواجه قصره ضابط بوليس شاباً ، يتألق جماله في بذلته الرسمية المزدانة بالنجوم الذهبية ، وتنفخ صدره قوة الشباب وعزوره ، وتبث أمانه بشاوبه الأتيق الصغير فانقبض صدره لمرآه وتوجس منه خيفة لئير سبب بين ، وعجب كيف أنه لم يره قبل اليوم ، وهل يقم

وكان يمهّد في زوجه البرود والزناة والسيطرة
على الأعصاب وكانت كهمده بها فلم تنفجأ بحضوره
وسأته بانكار :

— خير... ما الذي أني بك قبل ميمادك ؟

فانفجر غاضباً وسألها بنيت وحنق :

— قول لي أنت ما الذي أني بك إلى هذه الشرفة ؟

فقال غضب وإياء :

— إنك تهينني يا بك إهانة لا تحتمل

فاشدد به الغضب والتهيّز وقال بمنفّ :

— أنت تحاولين تضليلي بأسطع هذا الإباء

الكاذب

— عهدي بك أعظم أدباً من هذا

— ما شاء الله ، وحدث لو يستمع إليك أبتاؤنا

إذ تملين أيام الأدب

— أما أنا فلا أود أن يستموا إلى أبيهم وهو

يكيل لهم لشرف أمهم

فنظر إليها نظرة حمية وهو يضرع إلى الله أن

يطامه على خبيثة نفسها وجعل يتسأل في حيرة :

تري هل هي صادقة في غضبها ؟ هل هي حقاً بريئة

عما رماها به ، وتهذ حزناً شقيقاً وقال وكأنه يحادث

نفسه :

— حقاً إن الشك مس من الجنون..

فقال باستياء :

ألا ترى أنك تعترف بأنك شككت في ؟

فناوده الغضب وقال لها بمرارة :

— لماذا تودين إلى الظهور بهذه الشرفة ؟ وفي

هذه الساعة المهددة؟ اسنى إلى يا هاتم، أنا لا أسمع

لأمرأة بأن تنفثني أبداً...

— هذا كلام لا يليق برجل له مكانتك

فضبه اشتداداً لا يستند إلى أسباب معقولة فقال :

— لا أشك في أنه ضابط أحق وقع

فبدت الدهشة على وجهها وسأته :

— ما الذي يضربك عليه ؟

فقال بمحبة :

— رأيته مراراً ينظر إليك نظرات وقعة

سافلة ، جعلني أفكر جدياً في قتل حجرة النوم

إلى الجمة الأخرى

فقال بلهجة استياء :

— ولكنه تمب لا مبرر له ، وأرى أنه يتضمن

إهانة قاسية لي يا بك

— كلا يا هاتم، ما أردت هنا قط ولكني أحب

أن تمتص بحريتك مبيداً عن تطفل السيون

فهزت منكبيها استهانة وقالت : « افعل

ما بدا لك »

وتحققت مشيئة ، ولكن آله استهانها واعتقد

أنه تسرع تسرعاً مميماً ودره فيه الغضب وأحس

من تصرفه بجزي ألم وكبر عليه أن يتلذذ رعباً

من نظرة يرسلها هذا الشاب للزور ، وما عسى

أن يفهمه قتل حجرة من مكان إلى مكان ؟ وهل

يمنى هذا زحزحة الحب من موضعه إذا كان أنشب

أظافره في لحم قلبها الطرى ؟ ... هيات ...

ولم تهادهن شكوكه وخاوفه ، وقد ثققت عليه

وطأنها يوماً وكان يجلس في قهوة لولبارك مع محام

كبير فاستأذن بئنة وقام إلى سيارته التي انطلقت به

إلى قصره وبلدت شارع السرايات وكان الوقت

أصيلاً ونظر خلل زجاج النافذة فرأى زوجته في

شرفة المكتبة ونظر إلى الناحية الأخرى فرأى

الشیطان ...

— أبداً ؟

نقال بهوده :

— سألازمك كظلك

— يا له من أمر صرعى !

— لك ؟

— كلا ... فانه يسعدنى ولا شك أن يظل

زوجه إلى جانبى ، ولكن كيف لك أنت بالصبر على
هجر لولائىك وسنت جيمس ؟

— هذا شأن بيتنى وحدى

فلم ترد على أن قالت : افصل ما فيه راحتك

ومضى اليك يحقق وعده أو وعيده دون إسهال
تفعل نيسابه وارتنى اليبجما والروب دى شامبر
وجلس إلى جانبها . وتسلست الأيام على متوال
واحد ، فكانا يقطعان النهار معاً يتحدان حيناً
ويطالمان حيناً آخر ، فإذا شئت من جلستهما قامت
إلى الشرفة أخذ مقعداً إلى جانبها ، أو نزلت إلى
حديقة القصر تترىض فى عاشيا واقفها إليها حتى
إذا ولى النهار وجاء الليل وحانت ساعة النوم أو ما
إلى مخدعهما فنام ملء جفنيه ...

وكانا يخرجان كثير أزيارة الأصدقاء والأقارب ،
أو لنشيان اللالاب والملاهى والسينات فلا يفرقان
دقيقة . وتأثر على حياته الجديدة مثابة الصابرين
ولازمها حقاً كظلالها ، وحافظ على كفته أن يتركها
تفصل كما تشاء على أن تتركه بفصل ما يشاء كذلك ،
ولم تظهر السيدة أى تذمر وقضت أيامها مرحلة
ضاحكة كأنها أسعد الأزواج حقاً . وفى يوم من
الأيام اقترحت عليه أن يذهب إلى شيكوريل لشراء
حاجاتها وحاجات الأولاد ، فذهب معاً ودخلا
الحل الشهير ، ودارت به على الأقسام المختلفة تشاهد

وأخلاقك ويجدربك أن تنادى عقلت الذى عذب به
الغضب ، فإذا ينشك إغلاق الأبواب والنوافذ إذا
أنا بيت التدر ؟ ... وما يشيرك ظهورى بكل مكان
إذا انطوى قلبى على الاخلاص والأمانة ؟
نقال بذهول :

— الاخلاص ... الأمانة ... ما عدت أفقه
مضى لهذه الكلمات لأن عقلى تسم فىبنى أن تفهمى
ذلك جيداً ، قد يكون المرض لمة ، وقد يكون
لنبر علة إلا الوم ، فاعمل على إعادة العالائنة إلى
نفسى ، ودعى الوعيد جانباً ... فأنا رجل لا يمكن
أن تنفله امرأة مهما أوتيت من المكر والدهاء
— أهلكذا تتغير بعد المشرة الطويلة وتقلب
إنساناً غير الإنسان لأنك رأيت شاباً ينظر إلى من
بيد ؟

وأى امرأة لا تلتهمها الميون ككابتد لناظرين ؟
نظرة من بيد . كلا ليس الأمر كذلك ، إنها
تكذب وتجد فى الكذب وهى تعلم بما يقبده ويشقيه
إنها تتجاهل الحقيقة وليس لتجاهلها إلا معنى واحد
إنها تنفله ولكنها لن تفوز بطائل ...

— اسنى إلى يا هامم لا بد من وضع حد
لسكل هذا

فنظرت إليه بارتياح وقالت :

— يا له من قول خطير . فقال :

— لا خطورة هناك ، إنى أقر بأنى أخطأت
فيا صنعت من تغيير ترتيب بيتنا ، وأقر بأنى ليس
لى الحق فى الحجر عليك لأنه فىبنى أن أكون أرفع
من العوام ، فاذعنى إلى حيث تشاءين وتنقل كما
تشهين ولكنى لن أأفارك وأظن أن هذا حق أيضاً
فلم تتألك نفسها من الضحك وسأنته :

إلى المحل ، ويحث عن زوجه بسنييه ، ومضى يسير هنا وهناك ولكن للظاهر أنها كانت بالطابق العلوى فسمد الأدراج على مهل وقطع المكان ذهاباً وإياباً ولكنه لم يثر لها على أثر ، فماد أدراجه وهم بالبحث مرة أخرى في الطابق الأول ولكنه رآها مقبلة من أقصى المحل والندام يتبعها حاملاً المشتريات فلم يرد أن يظهر لها نفسه وسبقها إلى السيارة ... وتساءل في صمته كيف لم يثر بها مع أن المحل لم يكن مزدحماً ؟ هل لأنه لم يحسن البحث ياترى ؟ ... وقدمه الشك ... هل من الممكن !... ولكن هذا بعيد عن التصور

وجاءت معه في غداة اليوم التالي ودخلت المحل ولبت هو في السيارة كما فعلت بالأمس ولكنه لم يمهلهما إلا دقيقة ثم تبعها على الأثر وراكها تسرع الخطأ منمنطقة إلى بين المداخل فظن أنها قاصدة إلى المصعد ولكنها واصلت السير إلى باب المحل الجانبي واخرجت منه ، تخفق قلبه بشدة وتبعها بخطى سريعة ، وبأنح الباب ، ثم نظر إلى الطريق فرآها تدخل إلى عمارة « لا كلير » المواجهة لباب المحل وشاهدها تدخل إلى المصعد ثم صعد بها ، فاجتاز الطريق ودخل إلى المارة وانتظر هبوط المصعد وسأل البواب عن الطابق الذى صعد إليه فرفع الرجل بصره وقال : « الطابق الرابع » فدخل المصعد وضغط الزر رقم ٤ وخرج منه فوجد نفسه في ردهة تواجهه ثلاثة أبواب فالتفت إليها نظرة هائلة وهو يقول : تري في أيها دخلت ، واقترب من أولها فقرأ عليه اسم السيد فالديمر كراوس المهاجر بالحكمة المختلطة ، وقرأ على الباب الثانى اسم هـ . ليني منمهد راديو تلفنكن وكتب على الثالث « مدموازيل فلورا خياطة

البضائع وتساءل البائمين وصعدا إلى الطابق الثانى وجالا هنا وهناك ، وهو يتبعها صامتاً يقف حيث تقف ويسير حيث تسير ، فمر على تجوالهما ساعتان أو يزيد لم يسترح الشيخ فيها دقيقة واحدة حتى لثت من شدة التعب وعلا صدره وانخفض ، وسال عرقه بارداً ، واشترت ذلك اليوم شريطاً من الماتلا : ثم حاد إلى السيارة فارتى الرجل على مقدمه منهوك القوى وقال لها :

— لم تشتري شيئاً ذا بال

فقلت :

— يذنى التريث في الشراء ، سنمود غداً

وعاد في الند ودارت به كما فعلت بالأمس ولكنه لم يحمّل المشى والوقوف ولغفه الايام فقال لها :

— سأنتظر في السيارة

وانتظراها ساعة أو يزيد ، ثم حضرت يتبعها غلام يحمل المشتريات ، فسألها البك :

— هل انتهيت والحمد لله ؟

فقلت بهدوء :

— هذه كسوة حسنى

فقال الرجل دهشاً :

— حسنى فقط ؟ ... وإخوته ... وأنت ؟

فقلت :

— لسه يابك ... لسه ... أدجو ألا تشكر

على تباطي فهذه عاتق في الشراء وإن كنت تطلع عليها لأول مرة ...

وجاء مما في اليوم التالي ودخلت الزوجة إلى المحل وانتظر البك في السيارة وقات على دخولها ساعة ثم ساعة أخرى فتملأ البك في جلسته وأحس برغبته في الحركة فقاد السيارة ودخل

البواب حسيابه ؟ أم أن الشيطانة موجودة بداخل شقة الخياطة ؟ ولماذا صرخت الفتاة للموتة بهذا الصوت المزعج وهي تنادى مدام جمال ذهني ؟ ألا يجوز أنها فلتت ذلك لتحذر النافلين ؟ وهل يجوز أن يبقى في مكانه لا يحرك ساكنا وزوجه في داخل الشقة في خلوة غرامية ؟ فاعسى أن يفعل وكيف يضبط الآئمة متلبسة بجرمتها ؟ ...

وعند ذاك فتح الباب ، فتقهقر خطوتين ، وخرجت سيدة ، وأوصلتها الفتاة الانجليزية وقد رأته ولكنها لم تبأله ، وأغلقت الباب صرة أخرى . ففى يروح ويحيى في خيرة شديدة . من المؤكد أنها في هذه المارة ، قد رآها وهي تدخل ورآها وهي تندس في الصمد ، وأكد البواب أنها سمعت إلى الطابق الرابع وما هوذا الطابق الرابع ، ولا مكان يصح اقراض دخولها إليه إلا شقة الخياطة . فالشيطانة لا شك في الداخل ، ولكن ما عسى أن يفعل ؟ هل يظل يروح ويحيى ؟ أم هل ينتظر إلى ما شاء الله ؟ وما زيد ارتباك أن وقوعه هكذا قد يربب الصاعدين والمهابطين وتيارم لا يتقطع . وصرت عليه ساعة كاملة كانت أقصى ساعات حياته جيما ونال منه التنب والتهر كل مبال ، فاضطر إلى مناداة مكانه وفي نيته أن ينتظرها لدى الباب الخارجى ولكن خطر له خاطر أزعجه فسأل البواب : « هل للمارة مدخل آخر ؟ » فأجابه الرجل بلهجة البربرية بأن للمارة ثلاثة أبواب ، فأحس بإلياس وذاق صرامة الخفية وعض شفته من الحنق والنيظ ، وكبر عليه أن تتنقل للشيطانة وتعمل بهذا التمثيل الزرى . وكان ما عااه عقله وجسمه فوق ما يحتمله شيخ في (٤)

السيدات « ووقف أمام الباب الأخير لا يرم ، وقد انحصر فيه ارتياحه ، وضط على الجرس ففتح الباب ، ودخل قبل أن يؤذن له بالدخول فتراجعت أمامه التي فتحت الباب دهشة مستاءة ، وألقى نفسه في ردهة متوسطة الحجم تحيط بها حجرات أربع ، منها ثلاث منفلة الأبواب وواحدة مفتوح بابها على مصراعيه ويرى بداخلها بعض السيدات والأوانس منهن من تظلمن إلى مقدمها ومنهن من تقف أمام المرأة لتلقى النظرة الأولى على فستانها الجديد . واتبه إلى الفتاة الواقفة أمامه يبدو على وجهها الانكار وسمها تسأل : « هل اللدام مع البك ؟ » فالتفت إلى مغزى السؤال وتبحر كيف يجيب أو كيف يستدر عن وجوده ، لأنه اندفع تحت تأثير التضب والحنق اندفاعا فلم يتدبر أسره ، وألقى على الأبواب النلقة نظرة ارتياح وقهر ، وود لو يستطيع أن يقتحمها ليرى ما بداخلها ولكنه لم يفعل شيئا لأنه لم يكن فقد عقله ، ولأنه وهو رجل القانون - لم تكن تخفى عليه منية عمله فيما أخطأ تقديره وحسيابه . وكأنه أراد أن يقاصر بما تبقى لديه فسأله « أليست هذه شقة مدموازيل فلورا ؟ » فقالت الخبيثة : « بلى ، ألم تقرأ اللافنة ياسيسو ؟ » فقال : « إن زوجتى سبقنى إلى هنا » فسألته : ما اسمك ياسيدى ؟ فقال : جمال ذهني . فصاحت بصوت عال لدرجة مزعجة : مدام جمال ذهني . ولكن سيدة من الموجودات لم تلب النداء ، فقالت : اللدام غير موجودة بلا شك . قالت ذلك بلهجة من ترى وجوب انتهاء القابلة عند هذا الحد ، فلم يردنا من الخروج ، وأغلق الباب خلفه ، ولكنه لم يشعر من مكانه ولبت يرمى الباب بين متقدمة . ترى هل أخطأ

إلى القبر وهو كظيم . وكيف يفضل غير ذلك وهو
القاضي الذي قضى حياته في خدمة القانون ؟
ولاحث منه التفتاة إلى الطريق فرأى بعض
المارين يمدجون السيارة بنظراتهم الطفلة ، فسأل
نفسه ترى هل ينفسون عليه السيارة الفخمة
والزوجة الحسنة ؟

حقاً إنه يستحق الرثاء ، وسيكون أحق بالرثاء
في مستقبله حين يحلوا بيته منها — وهو ما صدقت
نيته عليه — فكيف تكون حياته بلازوجة ؟ وكيف
تكون حياة أبنائه بلا أم ؟

وهل تروج يوم تروح إلا إشفاقاً من أن يلحقه
الكبر وهو وحيد فيماني مرارة الشيخوخة ووحشة
الوحدة ...

نجيب محفوظ

سنه ، فساد خائر القوى إلى سيارته . ولم كانت دهشته
عظيمة حين م بال دخول فرأى زوجه جالسة آمنة
مطمئنة تنتظر أوبته منذ زمن غير يسير وقد نظرت
إليه بانكار وسألته :
— أين كنت يا بك ؟

فأنس في وجهها النظر فرأها يتنسم ابتسامها
اللؤلؤة ، ولكن لم يخف على عينه الثابتة شعوب
لونها ونظرتها الدالة على الائم بقدر دلالتها على
الطهارة المصطنعة ، فهي شيطانة بلا ريب ولكنها
لم تنمود الاجرام بمد

وجلس إلى جانبها سامتاً وانطلقت بهما السيارة
وكان مقهوراً مغلوباً على أمره ، يماني مرارة
المزجة ويحس كأن بدأ تخفق كبريائه خفقا . وكان
يسوؤه أن يجلس هكذا إلى جانب المرأة التي تنفثه
وهزأت بكرامته ولوثت عرضه ، ولم يرب قط في
أنها تعلم بأسر مطاردة اللعاشة لها . ومن يعلم ؟ فلعلها
تضعك في سرها الآن من خيئته وهزيمته . ياله من
نصور لا يحتمل !

لقد أئذرها بأنه لن يتركها لحظة ، ثم اضطر
إلى تركها أو هي اضطرت له إلى ذلك ، ولكن لم يحظر
له على بال أن تتخذ من زيارتها لشيكورديل سبيلا
إلى مقابلة عشيقها

واستلزم للتفكير الحزين ، وذكر طريقة عامة
الشعب في الانتقام من الخائنات فوجد نفسه — في
هتته — يقرها ، وهل تستحق الأفي إلا تهيم
رأسها ؟ ... أما هو اليك الوجيه الثقف فيجلس
إلى جانب ممدبته يماني الآله في سمت ، ويشيع كبريائه

آلام فتر

للساعر الفيلسوف جون ايرلاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالبة تدبح من آكار الفن الخالاه

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشاً

تصطدم بصخرة تنصر الهائلة
وتنحصر عنها فيسمع لها زئير
كزئير الأسد وهزم كهزم
الوعد

في تلك الأثناء كان الأميرال
الركيز « دى بك هيلون »
جالساً إلى نضد صغير وضع عليه
بضع رسائل على طولها الزمن

فأسفر وحال ، وبضع زهور زاوية ونوط قلادة
وشريط من الحرير الأزرق ، وبحجار هذه الأشياء
صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس المطم
بالماس ، كان ولا ريب يضم تلك الآثار الغرامية للتجارة
على النضد . وبجملت أمارات الحزن العميق على وجه
الأميرال بينما لمعت عيناه فجأة يديق للنضد المسجوز
وكان الأميرال رجلاً رقيق السن واهن اللحم
له وجه مفضن بارز العظام ، وعينان غائرتان قد
انطفأت فيهما التآقي والبريق ، وبدان مبروتتان
عاريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان بدنه المهوك قد
ذبل بفعل المرض الذي يفتك به فتكا ذريماً
ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة للمزم التي
كانت تسبب ثائرة في حمة وقشع من عينيه .
وخفت فيه ذلك الصوت الجهوري المثل الذي
كان يمزق المواصل ويطن عليها . ولم يبق
فيه ذرة من القوة التي طالما أعجب بها رجال أسطوله
وبهارته من قبل . وأبّت الجراحة والبسالة أن تسكنا
ذلك الجسم المهدم اللغاني ففارتقاه بعد إذ كانتا تفوران
فيه فوراناً حينما كان يزخر بقوة للشباب ويحوج
بفتوة الرجولة . واشتد به السقام حتى سيره هزلاً
ناحلاً . ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا
ليعالج هذه الجريحة النكراء التي اكتشف الآن فقط

انْتِقَامُ لَامِيَالْ

لِلْقَصَصِي الْفَرَنْسِي أُرِسْتُ دُودِيَه
بِقِلمِ الْإِدِيْبِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ

كان القصر العتيق يجثم كالحصن الجبار فوق
صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس
حينذاك تضيّف للغروب وتنحدر وريداً من شارف
السماء ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها
أباطح الدم ، وارتسم على جبينها الكلال والأثني .
ويشرق القصر أيضاً على الطريق المتبد إلى « برست »
وعلى قارعة هذا الطريق تقع البناء وقد أطلت من
ورائها سوارى السفن ومداعنها مذبذبة بألوان
الشفق الزاهي الجليل ... ومن نوافذ القصر الضيقة
بان البحر كأنه بساط من سندس واستبرق مجزى
عليه السفن بقلاعها التي يهددها نسيم الأسيل
فتتموج ، وتداعبها الرياح الخفيفة فتخرج
وتلوح من القصر للثيف قباب وأبراج شائعة في
الفضاء تتعدى الزوايا العاتية والمواصل الموهجاء ..
وتحف أغصان الأشجار اللغاء الوارفة بمجدران
تحرّكها الرياح الدواني فتبدو كصفائر جافة خشنة
لطيف أصراة تضرب فرعاً في الليل اللطم ...
وعند ما غسق الليل وأجن الكون في مسوحيه
الطامخي الأسحم ، أترعت السماء سحب ثقال بنشئات
تحرّكها المواصل الموح في شدة وعنف . وغب
عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة الزبدية فراحت

من عنايته ، وغمره بفيض من صداقته .. يا للمار
واللدرن ! أنسى هذا السافل الخثون ، هذا الجاحد
الكنود ... أنسى كيف كان يرما كاتبه وزبادة ؟
وهذه الشقية زوجة ؟ لا نكران أنه اقترن بها
والفرق بين محرهما جد كبير . إذ كانت في العشرين
وهو في الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من يتكرأ أيضاً
أنه اتشلهما من وحدة الليم والسفينة ، وأضنى عليها
لقبه المهيد التائه وقلها في ثرائه الواسع ، وضمن
لها الحماية والرعاية في حياته ، وسيطلع عليها من
ترأه درعاً يقبها من بعده عدوان الناس وغدرات
الزمن . أبداً ما أرغما امرؤ على الزواج منه ، بل كان
هذا عن اختيار منها ورغبة ... ولم يكن يوماً ليني
عن تلبية رغبة لها مهما صبت وشقت . فالصيف
في الريف الجليل الساحر ، والشتاء في أرفع فنادق
إدريس الفواخر . أو إذا شادت في قصره العظيم
في « نيس » . في كل حفل كانت تبدو زينة الأراب
والصواحب . في كل جمع كان يملو بها اسم زوجها
إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سائر اللعنات والمقاتل .
وبينا كان يثق في وقائها وإخلاصها ويسجب ببها
وقتنا ويقيه لسعرها وأنوثتها ، إذا هي تخونه
وهو لا يدري

لقد خدم بلاده أربعين سنة سوياً . حارب في
أفريقيا وفي المكسيك ، وحاز أرفع التلائد والأوسمة
وجلب الجهد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك
الحياة الحافلة بمجلائل الأعمال وطيب المائر ؟ حار
تجلبه عليه هذه الخلقة الشقية وهو من الموت على
شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا غصب ، بل جرت
إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله
فيمضى إلى رمة غبولا . ابنه « باتريك » زهرة

دليلها الحاسم ، وإليرى مدي قدرته على التآر وهو
من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث
اعتاد أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة ، يقول
فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك
محمدة في خباتك ، دائبة على البث بشرفك ، ولملك
وحبك للشخص الذي لا يمل شيئاً عن علاقتها الآتمة
بمساعذك السابق الكاتبين « فوشيرون » . وإذا
أردت على ما أقول شاهداً ودليلاً فاذهب إلى مخدع
الركيزة ، فهناك من ناحية رأس السرير تري تحت
إحدى الصور المعلقة خزاة في الحائط ، بها صندوق
صغير . افتح هذا الصندوق واقرأ ما فيه ، فستشعشع
النشاة من عينيك ، وتبين يوضوح ما غاب عن
بصيرتك كل تلك السنين الواضى »

وعزا المركز هذه الساية إلى خادم مطرود . لذلك
قضي سريعاً على ما أثاره الخطاب في نفسه من
شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة في يمانه وهمزيتها
لولا أن حاك الشك في صدره فأرجع الكتاب بتلوه
مرة أخرى ... والمرة الأولى في كل حياته مع زوجته
تساوده الظنون والريب . وتحامل على نفسه وغادر
مضجبه ، ثم راح يحرق نفسه جراً ، وفي الحز الممين
في الكتاب أنى أدلة الإههام السود

وراح يمثمل ويسجب كيف حمرت عليه هذه
السنون الطوال وهو غارق في لجج هذا الوحل دون أن
يدري ... ها هو ذا يمضي إلى متواه الأخير تكتشفه
قرائن الجريمة الدسة التي اكتشفها اليوم فقط هازئة
ساخرة ... فكيف إذن يتسنى له التآر لنفسه من هذين
الجرمين قبل أن ينطق سراج حياته الخافت الضليل
باللخانة وبالفندر ! أزوجه التي شملها بحبه
وهوب لها كل قلبه ! وصرؤسه الذي أسطره بوابل

— قل إني انتهيت يا دكتور
 — لم يضع الأمل بعد يا سيدي ... إنك في
 حال سيئة ولكن ...
 — لا تراوغي . لقد سمعت الموت مراراً ،
 ولا أود أن يأخذني هذه المرة على حين غرة . قل الحق
 إني أمرك ...
 فظل الطبيب صامتاً لا يتبين دقيقتين قال بهذهما:
 — سيختارك الله هذا . الساء على الأكثر
 يا سيدي إن لم تحدث معجزة
 وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال
 — حسن ... وستموتون طبعاً مرة أخرى ...
 أليس كذلك ؟
 — بالتأكيد يا سيدي الأميرال . ألا تحب أن
 تخطر سيدي المركبة
 — وأى جدوى في ذلك وهي في نيس . ثم
 إني لا أود أن أحلها الجزن فجأة . إنها تعلم أنني
 مريض . وستمر على كل حال أنها تزلت . ولكن
 يجب أن يكون هذا بعد أن أموت
 فانسحب الطبيب
 وقابله باريك لدى الباب فقال له :
 كيف أرى ؟
 فلم يتيسر الطبيب بل أجابت عنه عيناها . فأمرع
 الصبي نحو أبيه بقلب جزوع . فنهض الأميرال
 بجهد جهيد على سريره وقال :
 — ادن مني يا بني . إن لي حديثاً معك ...
 إنك في الثانية عشرة من عمرك بإباريك . ولكني
 مضطر أن أحدثك كما أحدث رجلاً
 ولم يأخذ منهما الحديث طويلاً . ولكن حينما
 انتهى ومضت عينا الصبي يريق من نار ، وتلج بدنه
 حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه

آياه وعمره الثاني ... آتبه هو ، أم ابن خريعه
 فوشبرون ؟ باريك . لقد شب ونما في قصره المتيد
 حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو
 ليمائقه ويتعلم من رؤيته . إنه يبدو قوياً كصن
 شامخ فني ، ويحمل الزهو والكبرياء في نظراته ،
 ويبدو الصلف والخيلاء في لفتاته ، وتتعلق ملائح
 وجهه بقوة الهمز وشدة الراس . ياله من إله صغير
 من آله القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف .
 وما زاد الرجل تعلقاً بابنه وحياً له أنه ورث عنه
 قوة الهمز وصلابة الرأي وثبات الجنان
 والآن تقضى هذه الجريعة التي اقترفتها زوجة
 على كل تلك الكريات السامية حول ابنه وذلك
 الانحباب الذي يجنه الرجل لوحيد
 وأمسك الرجل التنس رأسه التأثر بين كفيه
 كأنه يمنه من الانفجار ، وسرت جي الغضب في دمه
 فتمغم وهو في تلك الحال من اليأس والصف والمرض
 — سأنتقم لنفسى ... سوف أثار لشرفى ...
 ولكن كيف ؟ أقتل ذينك الذين لوأ اسمهم
 ولطخا شرفه ، وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ
 المدببة تفصلهما عنه . فلا هو بمستطيع أن يلفهما .
 ولا ما يبالغه قبل أن يموت ... وأوغل في سبل
 الانتقام للكثيرة التشبه ... وأغطش الليل ولا يهتد
 فكره إلى سبيل يلفه طيته فيشقي غليله ... واستلقى
 على الفراش بقلب عمزق وأضلع تكتنز نازاً تكاد تأتي
 على بقايا جسمه المظم
 وعند ما انصدح عامود الفجر أقبل طبيب
 الطوافة « المتيد » التي اغتلاها علم الأميرال طويلاً ،
 ليמוד رئيسه الليل وذعر لدي رؤيته وجه رئيسه
 الشاحب المنتع ودمع لتقدم المرض السريع في
 يوم وليلة ... وتم وجهه من ذعره ودهشته فقال
 الأميرال :

فاستدار نحو باتريك وقال :

— إن الباقية تقضى بدق الباب قبل الدخول
— إنه بيتي ياسيدي . ومن حق أن أدخل
أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان . ثم إن
لي حديثاً ممتعاً

— لك حديث ممتع ... تكلم

— إلى أهل سبب وجودك هنا . وإن ما ينبغي
لا يمكن أن يتم . ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود
أبداً . إنني أضمنك من الزواج بأبي
— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل
— من الخير لك أن تطيعني

فشعب وجه فوشيرون من شدة الغضب .
وومضت عيناه من فرط الغضب . قال :

— أخرج أيها الغرور وإلا عركت أذنك

واتجه نحو باتريك رافضاً يده . فراجع الغلام
عنه ثم وأخرج من جيبه شيئاً كان مخفياً ، مسدساً
ورفع به يده . سقط الرناد ، فانطلق

فانشق صدر فوشيرون عن صرخة هائلة دوت
في سكون القصر العميق . وتزعج ثم سقط جثة
هالمة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركيزة على جمل ورأت كل شيء ...
ثم صرخت تقول بعد أن ألقت بنفسها على ابنها
وجردته من سلاحه .

— ماذا فعلت أيها الشقي ؟

وتركها باتريك تأخذ منه السلاح ثم قال : وقد
رأى أنها ترمي على الجثة تيكها وتندسها :

— لقد أنبأني أبي قبيل وفاته أن هذا الرجل
عذولي وعدو لك ، وأوصاني بمهاينتك من شره وغدره
حتى ولو أدت الحال إلى قتله . ولقد نفذت وصية أبي .
ثم أصبح بين الناس أن السكابتين فوشيرون
مات متحرراً محمد عبد الفتاح محمد

إلى يده . وفي أثناء هذا الوقت التقصير انتقل فجأة
من طور الطفولة إلى طور الرجولة وما تحمل من
متاعب وأعباء

وفي السنة التي تلت ذلك . أي بعد موت الأميرال
بشرة أشهر أو تقل راح الناس يلغطون بقرب
زواج أرملة من الشاب الوسيم المقسم فوشيرون .
تناقروا ذلك فيما بينهم في غمز ولز كما كان ذلك
مع ما يتوقعون . ويبدو أن الماشقين قد آثروا بعد
علاقتهم النسبة الآتمة أن يرتبطا بملقة بقراها
العرف والدين

ووصل السكابتين فوشيرون ذات صباح إلى القصر
المتيد حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد إقضى
زوجها محبة

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل
باتريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره
الصغير . قال لها :

— أحق أنك تدين للمدة للزواج من السكابتين
فوشيرون يا أماء ؟

فأجابته بصوت مضطرب :

— من أبلنك هذا ؟

لم ينس الغلام . فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه

— إنني لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل

السكابتين فوشيرون مكان أبي

— لا تقبل ! ماذا تقصد بهذا الهراء ؟

ثم أشارت إلى الباب غاضبة واستأنفت

— أخرج من هنا حالا يا سيدي

فانصرف من لهنها إلى غرفته ، ثم غادرها بعد
بضع دقائق إلى غرفة فوشيرون واقترعها دون
استئذان واضحاً أجدى يده في جيب بتطلونه
وكان فوشيرون يملأ لحته أمام مرآة ،

التلاف بطبيعة كونه مسجلاً ألف
مثل هذه الأحوال فيها على عينيه
منظاره ، وقرأ في صوت أجش
جبل على تقصيل المقود :

يا ابني ، يا ابني العزيزين ،
إني لا أستطيع أن أنام قريراً
في ضجتي الأبدية ما لم أبت

إليكما من رجاء القبر باعتراف ، باعتراف بجمرة مرقّت
حياتي بالندم . أجل ، لقد اعترفت جرماً ، جرماً
خيفاً شنيعاً

كنت إذذاك في السادسة والعشرين من عمري ،
أمارس الحمامة في باريس ، وأعيش في تلك المدينة
عيشة الشبان الغريباء ، بشير مكارف ولا أسدقاء
ولا آباء .

فأخذت خلية . وكم من الناس من يشورون
لهذا اللفظ وحده : « خلية » ولكن بعض الخلق
لا يستطيع أن يعيش فردياً ، وأنا من بين هؤلاء ؛
فإن الوحدة لنملأني باستيعاش خفيف ، وحدة المأوى ،
قرب المصطل ، في السماء . حينئذ يحيل إلى أنني أعيش
على ظهر الأرض وحيداً ، تحديقاً في أخطار مهممة ،
وتكنفي أشياء مجتوية وخفية . حينئذ يحيل إلى
أن الحاجز الذي يقصني عن جاري ، جاري الذي
لا أحرفه ، يمدني عنه بعد التجوّم التي أناها من
نافذتي ؟ فتمرون حي من الجروع والخوف ، ويرعبي
سمت الجدران . ما أبلغ الحزن وما أجمع الصمت
في غرفة الرجل الوحيد ! أنت هناك لا يأخذك
الرب إذا رنق الصمت قدر ما يحتويك إذا اختلط
ستر أو قرقت قطعة من أثاث . لأنك في مأواك

الإعتراف

للقصص الفرنسي جي دي موباسان
بقلم الأديب شكري محمد عيسى د

أقيمت قرية « فزيرو لوريفيل » من بكرة أبيها تشيع
جناز السيد « بادون ليرمنتيه » وتشهد رسمه .
وانطبعت في كل ذهن كذات نائب الولاية في تأييده :
« إن أقل ما يقال فيه إنه رجل شريف ! »

لقد كان رجلاً شريفاً بكل ما قدم من عمل مجيد ،
بأفواله ومثله ، بساوكه ومما ملاته ، بسياه وشارته ،
بهيشة لحيته ووضع قبسته . ما قال يوماً كلمة إلا ضمنها
حكمة ، ولا جاد يوماً بصدقة إلا ضمنها نصيحة ،
ولا بسط يوماً يده إلا كان كمن زلف حسنة
ولقد خلف ولدين : ذكرراً وأنثى . أما الابن
فقد كان على وشك أن يمين قائداً في الجيش ؛ وكانت
الابنة من عتائل فزيرو ، فقد كانت زوجة للسجل
السيد بوارل دلا فولت

وكانا لوت أبيهما آسيتين لا يميزان ، فقد كانا
بصدقاته الحب ومخلصان له الراء

وما انتهت مراسم الفتي حتى آبا إلى المنزل ،
واختلوا ثلاثتهم : الابن والابنة وزوجها ، ففضوا
الوصية التي كان عليهم أن يتلوا وحدهم بعد أن يقر
في الأرض تابوت التقيد . وكانت على المظروف
إشارة تبين هذه الرقبة ، ونحتم هذا الشرط
كان السيد بوارل دلا فولت هو الذي فوض

ينشأ ويحفظ دون أن يمرقي، ودون أن يمرقه الناس . ذهلت لهذا الخبر وامتلكتني فكرة مبهمة ما كنت لأحسبها ، ولكني أحسستها في قلبي على أهة للبروز ، كأولئك القوم التوارين وراء السدل ينتظرون إشارة بالظهور . كانت تدور في أعماق تفكيري رغبة فانكة : لو حدثت حادث ! إنه كثيراً ما يقع لتلك الكائنات الصغيرة ، التي تموت قبل أن تولد !

أوه ! ما كنت أريد أن تموت عشيتي ، فقد كنت أحبها حقاً تلك الفتاة المسكينة ؟ ولكن لي كنت أؤمل أن يموت الآخر من قبل أن أراه يبدأ بهز إلى الوجود برهقنا بالنفقات وبطالبتنا بالنناية ؛ لقد كان يشبه كل الأطفال وما كنت لأحبه . والآباء لا يجيبون إلا متأخرين فليس لهم مثل ما للأهات من حنان فطري وحذب مكتسب وحب سريع . لكن يستيقظ عطفهم شيئاً فشيئاً ، ويرتبط قلوبهم بتلك الوشيجة التي تؤلف بين التمايشين وتزيد على الأيام توثقاً وإصراراً .

وأدبر حول جديد فاذا أنا أفر من مسكني الصغير وقد انتشرت فيه ثياب ولعائف وجوارب كالقفازين ، وألف شيء من كل نوع ملق في كل مكان : على قطعة من أثاث أو على ذراع من مقعد . ولقد كنت أفر حتى لا أسمع صياحه ، فقد كان يصبح دائماً ويمرغ بشير انقطاع : إن بدلنا مكانه أو نظفنا جسده ، أو لسنا أو أرقناه أو حملناه .

وعقدت مع بعض الأسرات أوامر المرفة ، فقلت في أحد الأبناء تلك التي عدت أمكاً ، فشفت بها حباً واستيقظت في نفسي رغبة أن أتزوج منها .

الكتيب لا تنتظر صوتاً ولا توقع نامة وكم من مرة أرحبى السكون الآخر فطقت أنكم ، أفوه بألفاظ لا رابطة بينها ولا معنى لها لأحدث صوتاً . حينئذ يلوح لي صوتي من الثرابة بحيث أخافه هو أيضاً . وهل أبست على الرب من أن تنكح وحيداً في منزل خال ؟ إن صوتك ليروح لك حينئذ كأنه صوت سواك ، صوت مجهول يتكلم لغير سبب ولغير أحد ، ويشق جوف الهواء لغير أن أسمه . ذلك بأنا نعرف قبل التلفظ ما نوشك أن نقول ، فإنا أرن الصوت الحزين في الصمت الجاثم لم يمد إلا شبيه الصدى ، صدى عجيب خلفت ضليل خمس به الدهن الكليل .

اتخذت خلية : فتاة ككل أولئك الفتيات اللاتي يمشن في إربس من عمل لا يقين . كانت حلوة ناعمة ممحة بسيطة ؛ وكان أبواها يستوطنان ولس ، فكانت تذهب إليهما من حين إلى حين فتمضي بينهما بضعة أيام .

قضيت معها حولا في عشرة هادئة ، وأنا ثابت العزم على هجرها متى وجدت الفتاة التي أرتضيها زوجة . وكنت أهبها أجراً قدرأ صغيراً من المال ، فقد جرى العرف في مجتمعتنا أن الحب يجب أن يشرى من المحبوب بالمال إن كان فقيراً وبالمدايا إن كان غنياً .

ولكن هامى ذى تينثي ذات يوم أنها حبل . فذهرت ولحت في لحظة كارثة وجودي . وبدا لي النمل الذي سوف أرسف فيه دائماً : في أسرى المستقبل ، في شيخوختي ، حتى أموت . غل المرأة التي ارتبطت بي بوليد ، غل الطفل الذي يجب أن

أن أذوده ، وبأن أفتح ذهني لأفكار جديدة وآمال جديدة ، كما تفتح النافذة لنسيم الصباح البكر فيزج هواء الليل للسم ، ولكني لم أستطع أن أبده من ذهني لحظة واحدة . لست أدري كيف أصف هذا المذاب . لقد كان يقضم روحي ، فأحس لجذ أسنانه أنا هائلا ، أنا حقيقيا يلهب الجسد والروح جميعا .

لقد قضيت نحيبي ، فكيف أخلص من هذا الكلام ؟ كيف أرد الهممة ثم أثبت الاعتراف ؟

لقد كنت أحب تلك التي غدت أمل حب الجنون . وكنت أقول إن الحجر الكئود سوف يسد طريقها أيضا ، وسوف يغل قلبها شجي ولوعة وامتلكتني غضب غثيف ، غضب سد حنجرتي ودفتني نحو الجنون ... نحو الجنون ... ! بقينا لقد كنت عجنونا ذلك المساء البعيد ؟

كان الصنير ينام . قمت ونظرت إليه وهو نائم . إنه هو ذلك السقط ، تلك البودة ، ذلك اللاتشي الذي يلزمني شقاء مبرما لا يرجع ! كان ينام مفتوح الفم ، مدرجا في لثائفه ، ناعما في مهده ، قرب فرائثي الذي لم أكن أنا أستطيع عليه نوما !

كيف فعلت ما فعلت ؟ هل أحم أنا ؟ أي قوة دفتني ؟ أي شيطان استبطنتي ؟ لقد كانت الجريمة تحتذي بشير وهي مني . لست أذكر إلا أن قلبي كان يدق ، وكان في رأسي سنبج عجيب كأنما غادره كل تفكير وكل هدوء . كنت في ساعة من ساعات الدحول حيث لا يقدر المرء ما يرى ، ولا يدري ما يفعل ولا يقرر ما يريد

: رفعت الأعطية التي كانت تستر جسد ودي ،

وعينت في القضاء فطلبت يدها ، وأجبت إلى ماطلبت . وأمسيت من أمرتي في رهن شديد . أبني بتلك التي أبغدها ولي ذاك الولد ، أم أصرح بالحق فأفقددها وأفقد السعادة والمستقبل وكل شيء ؟ لقد كان أبواها من الصارمين المترفين ولو علما الحقيقة ما أسلمها إلى .

قضيت شهرا في أنون من الهم والألم ، عوج في ذهني آلاف من الأفكار الخفية ، فتثير في نفسي البغض والعداء نحو ابني ، نحو هذه القطعة الوجلة من اللحم الحلي ، نحو هذه النطفة التي تسد طريق ، وتسلي إلى وجود لا رجاء فيه ، ولا أمنية تملأ للشباب حياة وجمالا .

ولكن ها هي ذى خليتي يمتريها الرض فأبقي والطفل وحدي .

كنا في ديسمبر ، وكان الطقس قرأ شديدا . يا لها من ليلة ! لقد بارحتني خليتي فتتمشتت في قاعتي الضيقة وحدي ، ودلفت إلى غرفة الصنير النائم .

جلست على مقعد إلى المصطل ، وكانت الزبح نصف فيقرقع لها الزجاج ، وكنت أبصر النجوم من نافذتي نلغ لهما الحاد في ليالي الصقيع .

إذ ذاك سعد إلى رأسي الكره التي احتواني شهرا ، وما كنت أجلس ساكنا حتى هبط على ونفذ إلى وتاكل قلبي . وإذا هو في رأسي كال فكرة الراسخة يتخر فيه نحر السرطان في اللحم للترييض . كان يخيل إلى أنه يدب معني في الرأس والقلب والجسد ، وعس مني الأطراف والثغاف والسامع ، ويبتلني كأنه الوحش الجائع النهوم . فأردت أن أطرده ،

رأيتُه يقنفس في هدوء فطأت نفسي ، بيد أنه سعل
مرة ثالثة فأحسست مثل وقع الصاعقة ، ونكست
على عيني كمن رأى شيئاً أزعجه فسقطت الشمعة
من يدي

ولما التقطتها واستويت واقفاً إذا بجدي مبلبلان
بالرق ، بذلك الرق الذي تعجبه النفس ساعة نورتها
لاهباً مثلجاً في وقت ممك ، وكأنما تنفست بين العظم
والخناخ نقعة من ذلك المذاب النليظ ، للفارس
كالثج ، اللافح كالنار

طلبت حتى الصباح طافاً على ودي ، أسرى
عن نفسي المم كلاً رأيتُه هدأ وصفا ، وعزفتي الألم
كلاً انبثت من فمه الصغير سلة خافتة

واسيقظ وقد اجمرت عيناه ، واضطرب حلقه
وبأن عليه الألم

وعند ما أنبلت جاذبي أرسلت في طلب طبيب ،
جاء بعد ساعة ، وقال بعد أن فحص الصغير :

— ألم يصيبه برد ؟

فطفقت أرتمد كارتعاد الشيوخ الطاعنين
ونعمت :

— كلا ، لا أظن

فأجاب :

— أنا لا أعرف شيئاً غير هذا . سأعود هنا
الساء

وعاد في الساء . وكان ودي قد قضى جل النهار
مثنياً لا يفتق ، ساعداً بين الحين والحين

وولمت تلك الحال عشرة أيام ، ولست بمقادير
على أن أسف ما سويت في تلك الساعات للثلاظ التي

وأنفيتها تحت المهد ، فرأيتُه طارياً تماماً . ولم يستيقظ
فذهبت إلى النافذة في هدوء وفتحتها

واندفت هبة من الهواء كأنها المجرم الأثيم ،
نكست لبردها ، وخفق لمصفا نور الشمعتين .
وظلت بجوار النافذة قائماً ، لا أجسر على الارتداد
حتى لا أرى ما يجري خلفي ، وأنا أحس على يدي
وخدي وجيبي برد الريح الميتة لا تفتأ ما كفة
على المبوب ، وبقيت كذلك طويلاً

لم أفكر قط ولم أندبر شيئاً ، حتى نمت سلة
صغيرة أرسلت في رعدة بلنت مثبت الثمر أحصاها
الحظة مرة أخرى ، وفي حركة حثيفة مجنونة أو سلت
مصرامى النافذة ، ثم عدت فصدوت إلى المهد

كان ما يزال قائماً ، مفتوح الفم ، طارياً تماماً .
فلست قديمه قائماً بما يرد كان كالثج ؛ فرددت
عليهما النظام

ورق قلبي فجأة وانحطم ، وامتلاً حناكاً وعطفاً
وحبا لذلك الخلق البريء السكين الذي أردت قتله
قلبت طويلاً في ضميره الزقيق ، وعدت فجلست
إلى المصطلي

تدبرت في ذهول ورعب ما فعلت . وساءلت
نفس من أين تمصف بالإنسان هذه الفكر التي يفقد
مهما كل تقدير للأشياء وكل سلطان على نفسه ،
ويعمل في مثل نشوة السكران أو ذهول الأخرق
غير عالم ما يفعل ولا حاسب حساباً لما سيكون ،
فكانه زورق وسط إعصار شديد

سمل الطفل ثمانية ، وأحسست كأن قلبي يتمزق .
آه لو مات آواه آواه ! ومن أعذو أنا ؟

نهضت كي أراه ، وحنوت عليه وفي يدي شمة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،

وفي أسلوبه ، وفي مناهيه . وهو الذي قال فيه

ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل

طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة

في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زكّاني

تضمن ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب المشهورة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التي ١٢ قرشاً

تفصل بين كل صباح ومساء ، وكل مساء وصباح
لقد مات ...

ومنذ تلك اللحظة لم أحرف ساعة واحدة
تغيبني من شناعة هذا الجرم ، أو تحبيني من لحب
هذه الذكرى التي تعد الحشا وترمض الجوانح ،
وتدور في النفس كوحش ميت ، حبيس في أعماق
هذه الروح

آه ! لو استطعت أن أعدو مجتونا !

خلق السيد بوارل دلائل منظاره في جرعة
مألوفة لديه عند فراغه من قراءة عقد ، وتبادل الورثة
الثلاثة النظرات دون أن يتبسوا بكلمة ، فقد كانوا

شاحنين سامعين لا يتحركون

وبعد دقيقة قال المسجل :

— يجب أن نعلم هذه

ونخفض الأخران رأسهما إشارة الاقرار ،
فاوقد السيد شمعة ، وفي عناية واحتراس فصل
الأوراق الحاوية الاعتراف المخوف عن تلك الشاملة
توزيع المال ، ثم قدمها إلى الثار وقذفها في للدخنة
وراقبوا الأوراق البيضاء وهي تحترق ، فلم تدم
بعد قليل غير كومة صغيرة سوداء . ورأت الابنة
أجزاء من الورق لا تزال بيضاء تحمل حروفاً قليلة
خطمتها بضرابات صغيرة من كذب حديثها وخلطتها
بالرماد القديم

وبقي ثلاثتهم زمناً يشهدون هذا الرماد ، لا تها
خشوا أن يفر من للدخنة السر المحرق

شكري محمد عياد

وفي مقصورة - وقتئذ -

من مقاصير الحمراء ، اللقمة
بأربع السك ، وشذى النبر ،
كان أبو عبد الله آخر ملوك
بنى الأحمر جالساً للقرنصاء في
حرايب من محاريب الصلاة ،
يمد الله ويندب حظه ، ويودع

نَفْسُهُ الْعَجْزِي
أَقْصُوصُهُ شَرْقِيَّة
يَقْلَمُ الْأَسْنَادَ مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ الْعُودِيَّ

أيامه المطرعة السابحة على أمواج اللامى في آخر
ليلة من ليالى الحمراء العالسة !

وتوالى الطلقات تدمدم في آفاق غرناطة ،
فلم أن الساعة قد أذفت ، وأمر الله قد وقع ، فقام
من فوده متثاقلاً وانحط على شرفة من شرفات
الحمراء قترمت له جبال سيرانفادا Sierranevada^(١)
وقد تمتمت بركام من الثلج الفضى الذى يلع في
أعطاف الفجر ؟ وإنه لكذلك وإذا بنسبات الفجر
الرفيعة قد هبت من أطال هذه الجبال حاملة معها
أنفاس اللروج ، وطر الأحرار ، إلى غرناطة
وحرائها !

ثم أغمض عينيه ، ووضع رأسه بين يديه ،
واستسلم لتفكير عميق ممض ، وراحت مواكب
الذكريات تنزاح على نفسه ، وتثقل صدره ، ولم تدم
طويلاً لأن غفمة الأحرار ، وهجمة الجداول
الساحية التى تنشق دوهات الحمراء قطعت عليه سلسلة
تفكيره فرفع رأسه الثقيل ورمى بطرفه ثانياً في ضوء
الفجر فرأى غرناطة ، غرناطة حبيبتها التى صب
عليها أجداده من قبل أنوار العظيمة والجمال ،
تارقة في أمواج من الحضرة والنضرة والسكون

المعيق ...

(٢) متناعاً سلسلة جبال الثلج

(إلى غرناطة ...)

لوه ... يا زهرية مدائن الأندلس أنجليه ؟
يا موطن النور والحب والأزهار !
أين ذهبت السادة التى كان يرغل في أثوابها
سادتك الأجداد ؟ أين قصورك الصيفية المغربية
البدعة ذات اللآلئ الطاعة في أجواز الفضاء ؟
ما الذى حدث يا غرناطة حتى قطعت عن الوجود
لنك للطرب ، وأغانيك الشجية ؟

(الفرغاطى : جوزى زورلا)

في صباح مكفر الوجه ، صرهد الأفق ، وفي
ساعة مشوشة من ساعات الدنيا الفاصلة لجمال التاريخ
وقست ألجبع فاجمة دامية حملها تاريخ الاسلام ،
وطويت آخر صفحة من صفحات النبوغ العربى
في بلاد الأسبان !

كان ذلك في صباح ١٠ يناير من سنة ١٤٩٢
ميلادية عند مادوت في سهل لاشيجا Vega القسيح
غربتان من مدفع نصب على أعلى برج من أبراج
الحمراء ، غطرة ملك إسبانيا الجديد فرديناند التحصن
بمدينة سانتافى Santefé^(١) التى لا تبعد كثيراً عن
غرناطة ، أن يتحرك ليتسلم زمام الأمر ومقاليده
الحكم في حمراء غرناطة !

(١) مدينة في اليبيا بناها الكاثوليك أثناء حصار
لغرناطة

شوارع غرناطة وقد أقفرت من كل شيء تحف به كوكبة من رجاله المخلصين وبلغ آخر المار فاحتضنه سهل الفيجا، فلاحته خلال أغصان القار الخوذ اللامعة، والرياح الثاقفة، وخدمة الجيش الاسبان المتصر يشق طريقه إلى غرناطة....

وهناك في مكان معين قابله أولى طلائع الجنود الاسبانية وقد نسجت في الجو من عثيها رداء عكراً حجب قرص الشمس، وقد ملأ هزنها الآفاق وفي مقدمتها ذلك الملجج الأسباني (يدرو فانزالو دي مندوزا) الذي يستبهر التاريخ أعظم موقد لنار الحرب على غرناطة. ونظر هذا إلى أبي عبد الله نظرة الشبهة، أثبتها بتحية صفراء صرقت أحشاء الأمير العرب الشمس

وتتابعت مواكب الأسبانيول تملأ السهل والوهر، وهي تسب في سهل الفيجا أروع حماسيات قشتالا، وأعذب الحان أرافونيا، وابن الأحمر سام واجه تفرسه الآلام، وتنوشه الموموم من كل جانب، ولكنه أبدى من رباطة الجأش، ومثافة الرجولة، ما بهر أنظار الفرسان وهم يعرون به سريماً. وبينما طرفه موج في هذه الأمواج إذ لاحته له كوكبة من الفرسان تنوسطها مركبة مرصعة بكرات الفضة، وعلى واجهتها الخلفية الرقعة يتذبذب في واهج الشمس صليب ضخم الحجم هائل المنظر، من تحته يجلس الزوجان السيدان فرداند وإزابلا ومن حولهما صفوة مختارة من الفرسان شاكي السلاح !

وطبقاً للشروط القاسية التي تمهد بتنفيذها هذا الأمير الشمس قد انحط من على فرسه بسرعة البرق

وصعدت من صدره زفرة أرسلها في جوف الفجر لإزاء هذه المناظر الساحرة التي حركت إحساسه، وألهمت عواطفه، وهزت أسلاك قلبه، وأثارت كامن شجونه ! ثم طفرت من عينيه دميستان ساختان، وعيناه ذنبتان يمثل هذا الماء في جميع الأدوار القاسية التي صرت به، ولكن للرجال ساطت ثلاثي فيها رجولتهم وكبرياؤهم

وراح صدره يمار ويهبط، وعيناه عدتتان إلى غرناطة وقد بلتهما الموموم ونسجت عليها ثوباً شفافاً ترامت له هذه المدينة الساحرة من خلاله وهي مضطجعة في هذا السهل المرع المنضجل، كأنها قطعة من سحب ناصع ضارب في سماء صافية ! !

وغرق ابن الأحمر في بحار التأملات، وما أفاق إلا على قول الحارث بن حازم :

أجموا أمرهم عشاء فلما

أسهبوا أصبحت لهم ضواء

من نادو من مجيب ومن نصها

ل خيل ، خلال ذاك رغاء

فاطل من شرقة ليري ما الخبر ، فاذا بمحاشيته تضطرب في فناء السباع ، وقد أعدت كل ممدات السفر ، ولم يبق إلا نزول السلطان ليأخذ طريقه إلى منفاه !

غامت مقاصير الجراء في عينيه ، وقد كانت بهجة النفوس ، ومثمة الخواطر ، ونزل ابن الأحمر . يجرد أذيال الخمية وقتل الزمن ، وحساب التاريخ ، متفادلاً متهاكاً يترنح في مشيته كائن ، واخترق الفناء فامتطى صهوة جواده الأدم فاندفع به في

أبواب غرناطة بينها الأهازيج تجلجل في أجواء القيعا
ووقف سيد الأسس وطريد اليوم ، يندب حظه
وملكه للضاع ، ثم زفر زفرة محرقة صرخت أحشائه
وسقط منشياً عليه ، وما أفاق إلا على طلقة مدفع
أحدثت دوياً شديداً في سهل الفيجا ...

نهض وقد علت بوجهه الشاحب حبيبات من
الرمل ، أبدها برده ثم أقبل على جواده فرأى هناك
بيداً على قنة برج من أبراج الحمراء صليبا من الفضة
الصالفة مؤذناً بأفول الهلال ، وعلى برج آخر حلت
على راية القرآن الاية القشتالية تتموج في الرياح !
ومن هذا اليوم انقطع ذلك اللحن الساي
الحنون الذي ينصب في أذن الفجر هائلاً : الله أكبر ...
الله أكبر ... وارتفعت ضربات النواقيس ، ودق
الطبول ، وترانيم القسوس ، وسقطت غرناطة في
أحضان المسيحية !

تحرك ابن الأحمر من مكانه ، وامتنى صهوة
جواده ، ولحق به أصحابه ، فلفهم الأفق برده
وهناك تحت أقدام جبال الثلج انطجعت قرية
صغيرة على سفح من سفوحه قد لها الضباب رده
تسكنها بضعة عائلات عربية رقيقة الحال ، تشتغل
بالزراعة

فزل ابن الأحمر على عين من عيونها يقضي
(سواد) نهاره هناك ، وعلمت بمقدمه جموع
المغرب تتوافدت إليه تسكب بين يديه العبرات
الحرار ، وتقبل ملكاً عززته العصية ، وتثره
الشهوات والأهواء !

عند ما اقتربت منه المركبة الملوكية ، واخترق
الصقوف ، ووقف في قلب الوكب والحزن يحز قلبه
حزاً ، وشاهده في هذه الأثناء فردناند بعلمته العربية
البيضاء المتأززة فترت قليلا في سيره ليسلب شرفه
هائلاً ويعلم كبرياءه العربي ، ونظر إلى أبي عبد الله
نظرة فهم مضمونها فأضحى له هذا ، وقد أغمض
عينيه ، انحناءة ماحرفتها ملوك المغرب منذ الأزل ،
انحناءة كان كابوسها الرهيب يمثل له في لياليه
الأخيرة حتى أجهز عليه !

وتأذت أنظار الجمهور من هذه النهاية المؤلة التي
حلت بأمر المؤمنين سلطان غرناطة ومالقة والمرية
أبي عبد الله سليل بني الخزرج !

ثم رفع السلطان رأسه وقد اجرت عيناه وأدلى
بينه على جبينه وأخرج مفاتيح المدينة وقدها
لفردناند قائلاً :

« أيها السيد ! هذه غرناطة ملكك ، وما قدر
الله كان ، فهأنذا أشع مفاتيح هذا الفردوس بين
يديك وأفوض إلى رحمتك وصدق إخلاصك حقوق
أبنائي » (١)

ثم أشاح بوجهه وقد تقصد جبينه هزناً ،
وظن الجمهور أن الاسبان قد أخذته نشوة
النصر ، وتفتحت له جنان غرناطة ، ستأخذ حنوة
على هذا الأمير الشكود فيفيض على قلبه المسحوق
اللطيف وحسن المعاملة ، ولكن المزة الكاذبة ،
سلبت منه مميزات النفس البشرية فاستلم المفاليد
وتابع سيره في جموع المسيحية التي قاربت طلائعها

(1) Luisa banal : gli ultimi signori dell'al-hambra

فترامت لهم أكاف الأندلس في حموة الفجر تبمت
مما في التهليل والتسبيح في النفوس... هذه وحاب
الأندلس كلها قد بدت كالإسباط الدور حالة غارقة
في أمواج الخضرة، ضاحكة بفنائ الطليعة؛ وهذه
خيالات القرى البيضاء قد لاحت من خلال أشجار
السرو والصفصاف كاللؤلؤ المنتثورا، وتفقد ابن الأحمر
مدينة أحلامه، ليودعها آخر نظرة، وأحر زفرة،
إلى الأبد! فرأها غارقة في سبات حميم وقد غسلت
أمواج القمر أبراجها للشمخرة ومنتارها الساقطة،
فبدت تتلألأ في ضمير الفجر كمنارخ من فضة
تهللت من أجفان السماء!

أثر هذا النظر الساحر في نفسه فزفر زفرة
عميقة سجلها التاريخ في مطاويه ثم هتف هتافاً
عالياً:

الله أكبر... الله أكبر...!
غرناطة... غرناطة...!

وسقط تخنقه العبرات في نجيب طويل!

في هذه الأثناء كان قرص الشمس المتهيب قد برز
من خلال الجبال مهشياً تلك النائم الرقيقة السابعة
في هذه الأجواء. وأفاق ابن الأحمر على قبيلات
الشمس المائهة وقد تهرجت أجفانه من فرط النجيب
بينما كان أحبابه ينسجون نسيجاً مؤلماً يثبت الأكراد
ويذيب الجناد، وتشجع أحدهم وقد آلت له هذه
المواقف التي تدى الفؤاد فتقدم نحو السلطان وعلى
شفتيه بضع كلمات تقال في مثل هذه المناسبات
للموجة تخفيفاً للكرب وترفعها للخاطر المنرد:
— صبراً يا عظيم الروح صبراً... فليصبر

لم يحضر على وسوله ساعث حتى أقبلت أمه
عائشة، المرأة التي كان لها التقدير المثل في هذه
الفتاحة، تحف بها جوع الخدم والحشم وقد حملت
من أبهاء الحزاء كل ما خف حمله، وغلا ثمنه!
وأذنت للشمس بالنفيس، وقبل أن تختبئ وراء
خرب الأبدية، وقبل أن تمانق ظلوها هبات الجبال
المكلاة بمصائب التلج، أوى أبو عبد الله إلى مخدعه
ياثماً وقد هد الحزن أركان قلبه، وأكث نار
المنادب فؤاده، واضطرح على فراشه وهيون تنفجر
بآلام أعظم فأجعة عرفها تاريخ البشر!

كان ذلك في اليوم الحادى عشر من شهر يناير
سنة ١٤٩٢، قبل أن تنفض ذكاء أسعنها الدهافة
على أعلى جبال البشترات Alpuxarrat أخذ
أبو عبد الله طريقه إلى إنيغيا في غلس الفجر قبل
انبثاق النور...

ولفهم سهل النجيبا بصمته الرهيب، فلم تحس
لهم حساً ولا جرساً، اللهم إلا حوافر الخيل توقع
الحن للوجع في سماع الطليعة، وتل على الوجود
سورة الخلود العربي الخلف في بلاد الأسيان
ونجاة، كانت الخيل قد وصلت إلى أعقاب
جبال التلج، فالتحمت صخورها، وتغللت
في أحشائها زحاما مرتفعاتها الماهية صمداً إلى
أعتان السماء!

وهنا بلنوا البروة القصوي لهذه الجبال،
وهنا نثت العربي المزرجى زفرته الأخيرة كآفاس
الصيف...
وأجال للفرسان أنظارهم من على هذا التخم،

وقفته الأخيرة ، وزفر فيها زفرته المشهورة فلا تزال
حتى هذه الساعة تؤلف مزيجاً من الخرافة والتاريخ
في صدور الأسبانيول

يعربها السائر فيحياها فتستخدم في نقشه ذكريات
الماضي الماطر ، ويرنو إليها البحار الأسباني وهو
معلق بسارية سفينته في عرض البحر المتوسط فيطرق
ملها مشغول الليل ، ميليل الماطر ، ثم يترنم بأغاني
شجية ومقاطع رومانسية تتلاق بأخبار العرب
وأثامهم ... هذه الروبة مشهورة في الفناء والتاريخ !
هذه *il sospiro del moro* (أزفرة العربي) (١)
محمد عبد الله العمري
ديوم دار العلوم

المصائب عن ... ! ولها فوائد فאלة عند ما تتموج
ذكريتها في أذهان الأحفاد ... !

ولكن أبا عبد الله لم يبق بهذا ، بل أشار بيده
وقد خفضها قليلا إلى غرناطة الساحرة وهي تضعك
في نور الشمس وأجاب بكلام رقيق كنوم الشعر :
— آواه ! أي نكبة تعادل نكبتى هذه ؟

ثم همز جواده العظم ، فابطلته أحشاء الجبال ،
وغابت من عينيه غرناطة ... إلى الأبد !
ودرك البحر إلى (ميللا) على الشاطئ الأفريقي
وشخص نحو (فاس) حاسمة الأيالة الراكشية وبقيت
روحها متشعبة بوشاح الحزن والكآبة طيلة حياته



(1) Yoseph moccabe : the splendour of moorish
spain

أما الروبة المألية التي وقف عليها أبو عبد الله

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها ...

رائعة في ألوانها ...

فبادروا باخذ طلباتكم

حَاجِي يَا أَصْبَحْهَا نِي

لِكَاثِبِ الْإِنْجِيلِ بَنِي "جَهَنَّمُ مُؤَبَّرٌ"
بِقَوْلِ الْأَرِسْتَاذِ عَزَّ وَجَلَّ الْطَائِفَةِ الْمَشَارِقِ

الفصل الخامس والثلاثون

الخط يتسم في ربه حاجي بابا بك

كانت الهدية الوحيدة التي عدنا بها إلى رئيسنا هي كبشين سميين، فلما وصلنا إلى مسكرنا قدمنا نفسينا إلى النائب الذي قدمنا إلى «النازا كشي باشا» وكان إذ ذاك جالساً في خيمته يتحدث مع بعض أصدقائه

قال لشعير بك : « هل جئت بالضريرة أم بالمدة ؟ ما الذي فعلت ؟ »

قال شعير بك بلهجة محيية من التلقا لم أتصور أنه قادر على مثلها : « كلا ياسيدي الرئيس لم أجد بهذا ولا بذاك، ولكن المدة أرسل كبشين ليذبحها عند بابك، ولم يكن عنده غيرهما حتى ولا القوت، وإذا لم تنجد الحكومة الإيرانية هذه القرية بما يكفيها من الطعام فإن أهلها سيموتون جوعاً أو سياً كل بعضهم بعضاً »

فصاح الجلال : « أ هذا هو الصديق ؟ إذا كان عديم خراف فهل يعقل أنه ليس عديم ناسج ؟ هل هذا القول مقبول ؟ »

قال شعير بك : « إن غنك سائب يا سيدي الرئيس ولكننا لسنا نتكلم عن النعم بل عن القمع » قال الجلال : « ولكن لماذا لم تتبع الأوامر

الصادرة إليك خاتى بالمدة وكبار أهل المدينة ؟ أنا لو كنت هناك لأخرقت جثث هؤلاء الأوغاد أو لأذقتهم أنواع التعذيب حتى يعرفوا بأن لديهم ثروة مخبوءة »

وقال شعير بك بصدآن نظري مستنجداً : « لقد كنا نريد أن تأتي بهم وعدنا ونأقهم

وغربناهم وعفتناهم وحاجي بابا يعرف كل شيء فقد طلب إليهم أن يدفعوا الضريبة قديماً وإلا فأنهم لن يجدوا منا رحمة لأن الرحمة ليست من أخلاقنا، وحذرهم من سطوتك يا سيدي الرئيس قائلاً إن شعاعتك لا تعرف التردد، وقوتك لا تعرف الهين، ولم يزل يصفك أمامهم حتى أغشى عليهم من الخوف »

قال لي الجلال : « ما الذي أجابوك به يا حاجي بابا ؟ إنني لم أقهم لماذا لم يأت هؤلاء القوم أمامي كما أمرت ؟ قتلتم بمتنتي الخضوع : « وأنا لم أقهم كذلك فإن شعير بك هو الذي كان ينوب عنك في هذه المهمة، وقد تولى الأمر كله بنفسه وقد ذهبت في خدمته فلم يهد إلى شيء »

عند ذلك ثارت ثائرة الجلال وغلطينا بأشد ألفاظ الاحتقار ونظر إلى أصدقائه وقال : « من الواضح أن هذين الرغدين قد لعبا لعبة هناك . قل لي يا شعير بك بحق الملح والخبز الذي أكلته في خدمة الشاه، كم طوماناً أخذت في هذه المصفقة ؟ » ثم نظر إلى وقال : « وأنت يا حاجي لم يرض عليك أكثر من شهر واحد في الخدمة فكيف طوماناً ربحتم ؟ »

حاولنا عبثاً أن نبري أنفسنا وأقسمنا أغلظ الايمان فلم تقابل بنير التكذيب. ثم استدعى الجلال (٦)

زملائي ينظرون إلى نظرتهم إلى رجل تزيه لانه يخفيه الطامع وقال أحدم : « إن ذلك يرجع إلى كونه طبيبا والأطباء يعرفون الحكمة وهي أعلى من كنوز الأرض »

وقال آخر : « إنه رجل يقدر العواقب فلا يضع رجله حيث يذني أن توضع رأسه »

وصفة القول أنني اشتهرت بأني رجل حريص وحذر وأني - بالرغم من كل ما رأته من الصائب - رجل حسن الطالع موفق الحظ

وكانت نتيجة هذه الشهرة أنني عينت مساعداً لرئيس الجلادين، وهذا منصب كبير الأهمية كما سيوضح للقراء .

الفصل السادس والثلاثون

رزة القاب لا تغيرها طبيعة المنصب

في ذلك الوقت نشبت الحرب بين حكومة الشاه وبين السكوف الذين اعتدوا على الحدود الإيرانية في المقاطعة الواقعة بين نهري خور وأراس، وهي مقاطعة يحكمها قائد من خاصة أتباع الشاه، ورتبته في الجيش رتبة « سردار » قصد هذا الحاكم الجنود الروسية التي اخترقت حدود بلاده، ولكنه لم يكتف بذلك بل طارد الأعداء في بلادهم رغبة في تحقيق أمل قديم عند الإيرانيين وهو الاستيلاء على البلاد الجنوبية من القوقاز حتى مدينة تفليس

وكانت الأخبار تصل يومياً إلى الشاه في قصر السليمانية كما كانت تصل بين حين وحين رؤوس الضباط الروسين الذين يقتلهم الجيش الإيراني، فكانت تقابل بمقتلات عسكرية لأن استمرار إرسالها كان دليلاً على النصر

قائه وأصره أن يسجننا حتى يأتي العمدة ورجال المدينة فيواجهوم بنا

ولما صرت أنا وشعير بك وحدنا عرض على نصف ما أخذناه قائلًا : إنه لم يرد نعماني ولكنه كان ينتظر هودتنا ثم تقسم المدينة

فقلت له : « كلا أيها الصديق . لقد جاء هذا الجود بصد فوات الوقت وإذا كنت قد شربت من الخمر الحمرمة فأصيب رأسك بالصداع فلماذا تطلب إلى أن أصدع رأسي وأنا لم أشاركك في شربها؟ حتى من هذه الرحلة أنني تعلمت درساً وقتت به ؟ وشكراً لأنك أنت الذي علمتني هذا الدرس »

فحاول بعد ذلك أن يتال مني وعداً بمساعدته عندما نواجه العمدة وأن أقسم على صحة ما سوف يدعيه . وبالرغم من تشدده فكرة ولينه طوراً فإني لم أأنه هذا الوعد . وقال لي إنه إذا جلد ظني يمشي لأنه اشتهر بالقسوة الشديدة في جلد المحكوم عليهم وأنه لذلك لا يرجو من الجلادين شيئاً من الرحمة، وأقسم أنه يفضل أن ينكب بأية نكبة على أن يحكم عليه بالجلد

ولما اقترب الوقت الذي سندهي فيه إلى « التازا كشي بائي » لم يوجد شعير بك . وسئلت عنه فقلت : إنه خاف أن يحكم عليه بالجلد ، ولذلك لا ذ بالفرار

ولما جئ بالعمدة وأصحابه شهدوا بأنني لم أخذ منهم أي شيء ، وأنني على التقيض من ذلك كنت أحثهم على تقديم هدية ثمينة للتازا كشي بائي وشهدوا ضد شعير بك بأنه جاورهم وقبل رشوتهم وقد أثرت شهادتهم هذه أثراً حسناً في نفس التازا كشي بائي . وتداولت صيرت الألسن فأخذ

وولى العهد إلى مدينة جانبها التي حاصرها العدو
ولما تداول السردار مع نازا كشي بائى يوم
وصول الأخير اتفق رأيهما على بث الجواسيس فى
الجهات القريبة من الميدان لترقب حركات الروس
وجعلت رئيساً للجواسيس المينين من قبل
نازا كشي بائى وجعل رجل آخر رئيساً للجواسيس
المينين من قبل السردار ولكن القسم الأخير لم يكن
له مثل درايتنا بهذه البلاد فكفوا باستشارى وجعلت
فى الواقع رئيساً على اللقرتين، فجمعت الرؤساء حولى
بعد صلاة المشاء وألقيت عليهم أوامرى ثم صرحت
بهم إلى قرية « اشتارك » وصرهنا فى أثناء الطريق
إليها بقرية ايتشمبارك وهى قاعدة للبطركية الأرمنية
وكان وصولنا إلى جسر اشتارك قبيل الفجر؛
وكنا نسير على الشاطئ الصخرى للنهر بين المرتفعات
العالية . وكانت القرية واقعة خلف تلك المرتفعات .
ولرغم من أن نور الفجر لم يكن قد سطع فى هذا
الحين فقد كان من فى القرية يستقيمون رؤيتنا بين
الأكام المتخلفة عن بقايا الكنائس الأرمنية الكثيرة
فى هذه البقعة من إيران

وقد نهت حوافر الجياد فى عدوها كلاب
القرية فأخذت تنبح ونحن لا نزال يمينين ، فلما
ازددنا من القرية ذواً سمعنا رجلاً يقول للآخر :
« يا على ! يا على ! ألا ترى شعباً أبيض بالقرب من
الكنيسة ؟ »

وأشار إلى مكاننا

فأجابه الآخر : « نعم هذا هو النول الذى
اعتدنا رؤيته فى هذه الساعة . إنه يحث من جثة
لينا كاشا »

سرفنا فى الطريق ونحن نسمع هذين الرجلين

وأمر الشاه حاكم مقاطعة أذربيجان بأن يعد
السردار بقوة عظيمة من جيشه ليستمر فى غزواته
للبلاذ الروسية

وفى يوم من الأيام جاء رسول من السردار
يقود خمسة جمال بحملة برؤوس الروسين، ولكن يظهر
أنه جاء فى الوقت نفسه بأخبار مقلقة لأن الشاه
أمر بإرسال حملة يقودها نازا كشي بائى وعدد
جنودها مائة ألف ومعه شباط ترتبة بكباشى
« قائد ألف » و « يوزباشى » « قائد مائة » وأونباشى
« قائد عشرة »

فى ذلك اليوم أنسم على كثيرين من الجلادين
ببعض هذه الرتب واكتظت الطرق المؤدية إلى خيمة
القائد بالضباط الراغبين والنادين على عمل لتلقى الأوامر
الخاصة بنظام هذا الجيش

وكانت مهمتى من أصعب المهمات لأننى كانت
بقيادة فرقة من الجنود والمرور بها على القرى لتجنيد
الشبان من أهلها وتدريبهم على القتال
وكانت هذه المهمة تستلزم نشاطاً شديداً وحركة
دائمة ولكن فيها من جهة أخرى نفعا كبيرا لأنه
كان من السهل على فيها أن أحصل على ثروة كبيرة
لأودرت ذلك . لكن الموعظة التى استفدتها من حادثة
شهير على ياك لم تنب من ذهنى، فعمزت على أن أطلق
نار الطلع بماء الصبر وعلى أن أبقي يدى طاهرة من
أموال الناس

وصلت بفرقتى إلى مدينة أريفان قبل وصول
الجيش يعضة أيام . وهناك وجدت السردار وكان
قد وصل إلى مدينة جانيشار ولكنه عاد فتنهقر
إلى أريفان منتظراً وصول اللد . وفى هذا الوقت
وصلت فرقة أخرى من الجيش الفارسى بقيادة

شيئا بشأنك . من أين جئت ؟ وإلى أين تريد الذهاب ؟ »

فقال لى الشاب : « إن قصتي طويلة عريضة ، فإذا ساعدت على نقل هذه الفتاة المسكينة إلى حيث تأمن ويمنى بأمرها فسأقص عليك قصتي . وهي مصابة بجراح شديدة ولكنها ستشفى منها إذا سادت عناية . أحمده الله على أنك لم تكن من جنود السردار وأرجو أن تعطف على " لأنك ستجد بعد أن تسمع قصتي ما يملك على مساعدتي وإقاذي »

لم أكن في حاجة إلى استجدائه رحمتي لأنني أشققت عليه وعلى المرأة التي معه ساعة وقع نظري عليهما وقتلته لى أنى أجيب مطلبه فيما يتعلق بالفتاة وإبنى سأخبره عن رأيي فيه بعد أن أسمع قصته

ثم ساعدته على تضميد جراح الفتاة وأمرت واحداً من جنودي بأن يترجل عن جواده وحملاها عليه وأخذناها إلى القرية ثم درنا على منازل أهلها حتى توصلنا في أحدم الروء والانسانية فهدأنا إليه بملاجئنا ووجدنا من الرجل قبولا حسناً وشهامة ، وقابلتنا زوجته فقالت إنها تسر من أداء هذه الخدمة في علاج المريضة ، وعلت من ذلك الشاب أن صاحي النزل أرمتيان مثله ومثل المريضة التي معه وأنه مسرور لذلك فهو لم يكن يتوقع أحسن منه

الفصل السابع والثلاثون

يوسف الأرمنى وزوجته مريم

كان في عزى الذهاب إلى مرثعات أيران حيث الهواء يرد طاق وحيث الرمي مشب خصب صالح للحياد ، ولكنني علمت أن قبائل الرجل التي كنت أحسبها مسكرة في مكان معين قد انتقلت

وعبرها يستميزون بالحسين والألعة وبالنبي وبلى . وعلمهم أحد الموجودين آية ، قال : إنهم إذا تلوها هرب القتل . فتلوها ولكنهم ما زالوا يرون شيئاً غامضاً ، فأكد ذلك الرجل أن الشبح لو كان غولاً لاخفى بعد تلاوة الآية الشريفة ، وقال وهو يبدو بجواده : استظروني حتى أراء وأخبركم بحقيقته وجرى في غير انجهاها ثم عاد يقول : إن الذي كانوا يحسبونه غولاً لم يكن إلا امرأة على وجهها نقاب أبيض وهي تحاول الاختفاء في أنقاض كنيسة أرمنية

عرفت أنهم لم يكونوا ناظرين إلينا . وذهبت إلى المكان الذي أشار إليه لأرى تلك المرأة ذات النقاب الأبيض لها ذات صلة بالهمة التي نيلت بنا وأمرت رجال أن يتبعوني عن بعد

وجدت في ركن بين جدارين صديعين من هذه الأنقاض امرأة يظهر من اصفرار وجهها أنها مريضة وكان معها رجل ، وكلاما في ميمة الشباب ؛ والفتاة جملة فائنة والفتى قوى تبدو عليه غاييل القوة والنشاط والرجولة ، وهو يحمل إلى جنبه سيفاً ولاحت أن ثياب الفتاة وبها غضبة بالدم ، وعرفت أن الرجل ليس عدواً لها لأنه كان يضمد جراحها ويواسيها . وبالرغم من أن عملي ومهمتي كانا يستلزمان قسوة في القلب فقد أخذتني رحمة بهما واحتزمت حزنهما وقلت : « ما الذي تفعلانه هنا ؟ وإذا كنتم خرييين فلماذا لا تذهبان إلى القرية ؟ »

فقال لى الشاب : « إن كنت رجلاً ذا قلب فاحم هذه الفتاة ؛ وإذا كنت مسلماً من قبل السردار لا اعتنلي فاني لن أقوم ولكن الفتاة تحتضر فارحمها » قلت له : « من أنت ؟ إن السردار لم يقل لنا

وهو قسيس القرية ، ومن أجل ذلك أراد والهاوي أن يجعلني قسيساً

ولما بلغت العاشرة من العمر أرسلت إلى الكنيسة لأتلمذ الكتابة والقراءة وأصول الدين وكان في الكنيسة كتب كثيرة أخذت أقرأها واحداً بعد واحد حتى أصبحت القراءة أحب طائفي وأزهرها ، وصرت أشتري كتباً من أنواع مختلفة فلا أسترخ منذ يصل إلى كتاب حتى آتي على آخره

وكانت أكثر هذه الكتب دينية ، ولكنني قرأت بعض كتب التاريخ الأرمني فتبته إحصاءى بماطفة الوطنية وعرفت أن بلادى كانت أمة وكان لها ملوك اضطروا العالم إلى احترامهم ، وتاملت في حالتنا اليوم فغزفت ووددت أن يتاح لنا من يث بيننا الدعوة ويجمع شملنا للتخلص من نير الحكم الأجنبي وشتلى العزم على أن أحمل نحو هذه الغاية عن الواجبات الدينية التي كرست حياتي لها باعتباري قسيساً

وفي هذه الأثناء نشبت الحرب بين روسيا وبين فارس وكانت بلادنا في وسط ميدان القتال لوقوعها على الحدود فانتقلت من الكنيسة إلى قريتي لأكون بين أهل الدين وجسدتهم شديدي الخوف والقلق بسبب هذه الحروب لأن كلا الفريقين التجار بين (فارس وروسيا) جدير بأن يخاف

ولم تكن نتيجة الحرب لتفيد إحدى الدولتين فائدة كبرى ولكنها كانت شديدة الضرر علينا ، لا نخوفنا من القتل فقط بل لأن الجيوش المماربة من الجانبين كانت تقسم علينا زراعتنا فتسلب الناضج من الحبوب وتطمح جيادها بما لم ينضج بعد

وكان الفلاحون ممرضين دائماً للاعتقال والأسر ، ولما خشينا أن نموت من الجوع بسبب هذا الاعتداء

إلى تلك المرتفعات وما يليها من الجبال خوفاً من الحرب الناعبة ، فزمت على أن أظل في أشتاروك حتى تنفخ حراة النهار

واقسم رجالي فذهبوا إلى أجزاء مختلفة في المدينة فذهب البعض إلى جهة الجسر ليطلعوا جيادهم من الحشائش الطويلة النابتة على الشاطئ ، وذهب فريق آخر إلى طاحون بجانب النهر ليستظلوا ولتفرض السائف أيضاً . وجلست في غرفة من أقباض إحدى الكنائس قائمة على قبة عالية لأشرف على المنظر كله ولأرى أى شبح يبدو من جهة الحدود الروسية وقد أثر الهواء الطلق في نفسي فتمت ساعتين ثم قمت فاحتديت الشارب الأرمني وطلبت إليه أن يقص على قصته خصوصاً ما كان متعلقاً بمجيئته مع السيدة إلى هذا المكان الذي قابلتهما فيه وكانت القوة والحياة قد ظهرتا على وجهه وتبينت من مخايل النبل البدائية عليه أنه لم يقل غير الصدق وهذا هو مجمل القصة على لسانه :

« أنا أرمني للولد مسيحي الدين واسمى يوسف وكان أبى رئيساً لمدينة جافيشلو التي أكثر سكانها من الأرمن وهي قرية من مجرى نهر « بمباكي » وتبعد عن هذا المكان ستة فراسخ وحول هذه المدينة أراض خصبة مزروعة وهي غنية بمحصولاتها جميلة اللناخ هادئة السكان

وكنا كسائر أهلها سعداء على فقرنا بما رزقناه من جودة الصحة ومنا فريق يسكن في الجبال خوفاً من مظالم الحكام الذين لا ينجو من بطش أيديهم كل أهل المدن

وعادتنا كلها بسيطة ونظام حياتنا ديني يحث ولى عم من الأساقفة في بطريركية أبشميزين ، وخال

المر . وإذا نسيت شيئاً فلن أنسى شموري بالحب
وبالسرور وبالشقة ساعة أبصرتها وأحسنت بأن
مشاعري في هذا الحين جديدة كلها ونسيت كل ما كان
لي في الحياة من غاة أو غرض إلا السهر على ما فيه
خير هذه الفتاة ورضاها

وجرت أول كلمات قائلاً الفتاة في مجري دى
من المروق ثم بكت بكاء شديداً أخذت بعده تمالك
نفسها شيئاً فشيئاً

ولما علمت أنني من أبناء جنسها وأبناء دينها
وذكرت أنني منقذها أخذت تشر نحوى شموراً
مختلفاً، وأمل على غروري أن إحساسها نحوى كان
مثل إحساسى نحوها

وشجعتنى هذا التردد على أن أكشف النقاب
عن وجهها وكان ذلك منى جريئة لم تنتفرها الفتاة
لأن اللقيات الأرمنيات يحتفظن به كل الاحتفاظ
أمام الأجانب عنهن ويملدن السفور فضيحة منكرة
ولما رأيت غضبها وقفت أمامها وقوف المجرم
ولكننى اعتذرت بأن وقوعها عن ظهر الجواد
قد حبس أنفاسها وبأنه لولا نزاع هذا النقاب عن فها
وأفها لاختنقت ، لكن هذا الاعتذار لم يصادف
قبولاً عندها . ولم يكن فى استطاعتى إقناعها بأن
رؤيتى وجهها كله أمام هذه الضرورة لا تشيها
ولا تلحق بها عاراً لأن ذهنها كان ممتلئاً بهذه الفكرة،
ثم أقسمت لها بأن رؤيتى إيها سبق سرّاً أكتمه
ما دمت على قيد الحياة ، فاطمأنت وتمزت ثم طلبت
إليها أن تقص قصتها على وتغبرنى عن الرجل الذى
كان من حسن حظى أنني أهبطها من بين يديه
فقلت : « إن كل ما أعره عن الرجل أنه فارسي

على المزارع وصلنا الليل بالهادر في خدمة الأرض
لنوض ما فقدناه ، ولكن فلاحينا كانوا يخرجون
إلى الحقول والقفوس في أيديهم والسيوف إلى جنوبهم
والبنادق محشوة بالبارود معلقة على ظهورهم ، وكنا
كلاً رأينا أجانب مقبلين نحونا تجمعتنا وأظهرنا
استعدادنا للدفاع

وبقينا على هذه الحال عدة أعوام استطعنا فيها
أن نحفظ بالقوت بالرغم من القليل الذى كان يؤخذ
على الرغم منا

ومنذ طعين ذهبت في جلة من ذهب إلى الحقل
من أبناء قريتي لمراقبة الحصاد عند جنتيه كالعادة
حاملاً بندقيتى وسبقى فرأيت جواداً يبدو على ظهره
رجل فارسي ووراءه فتاة أسيرة

وعندما وقع نظر الفتاة على صاحبة مستجيرة
مستجدة فركبت جوادى وركضت نحو الفارسي
شاهراً أسبني في وجهه فلم يستطع الرجل بالنظر لوجود
المرأة خلفه أن يجرّد سيفه ويهاجمنى فاختار أن يسرع
حتى يفر منى ، ولكننى أسرعت فأطلقت من بندقيتى
رصاصة في الهواء ففزح جواده لأن الرصاصة كانت
قريبة من عينيه وشب فصرخت الفتاة للردفة خلف
الفارس وسقطت عن الجواد

وكان الرجل في هذه الحالة يستطيع أن يقاتلنى
إما بالسيف أو بالبندقية ولكنه وجد بندقيتى مصوبة
نحو رأسه فرأى الفرار أسلم ونجا بنفسه ، وذهبت
إلى تلك الفتاة التى كانت منقبة فساعدتها على الوقوف
ووجدتها جريئة لسقوطها عن الجواد

وبعد إسماق لها وتأتا كدى من أنها لم تصب بكسر
أورض تبينت أنها أرمنية مثل ووجدتها أجمل شيء
وقع نظري عليه وحى لا تتجاوز الخامسة عشرة من

ولما دنوا أمر بوا لها من ذهرهم لما علموا أنها اختطفها وقالوا إنهم يحمدون الله إذ لم يشاروا الطريق وبعد أن وصفت لهم كيفية اختطفها قالت في حياء واضطراب إن الفضل إن نجاتها يرجع إلى فأتجهت إلى ميونهم وبدأ عليهم الأهتام بمعرفة حقيقتي وقال لي أبوها : « من أين أنت يا بني ؟ »

قلت : « أنا ابن رئيس قرية جافوشلو »

فأجابني : « أنت إذن ابن صديقي وجاري ولكنني لم أرك من قبل . لملك الطالب الذي كان يتعلم في الكنيسة ثم عاد بعد نشوب الحرب لمساعدة أهله ؟ »

قلت : « نعم أنا هذا الطالب » فرحب بي ودعا لي وقال إنه وأسرته مدينون لي بالشئ الكثير، وأمر على أن أذهب معه لأكون في ضيافته ، وقال : إن أبناء أسرته يسرون بأن يعملوني على رؤوسهم ويقبلوا قدي لا تقاضى منهم من البيع في سوق اربيق فتصبح طول عمرها في أسر المسلمين »

ثم حياني أمحاضها بكلمات رقيقة وألحوا على أن أرافقهم إلى القرية فلم أستطع مقاومتهم لشدة تأثيري بما أبدوه من اللطف ولأنني كنت أريد أن أرى صريم في دارها قبلت الدعوة وسرنا جميعاً إلى قربتهم ولما وصلنا إلى تلك القرية وجدنا النساء والأطفال عند بابها منتظرين عودة صريم مع من ذهبوا للبحث عنها . ولما رأوها تود منهم أبداً من مظاهر الفرح ما ليس في وسع كاتب أن يوفيه حقه من الوصف . وأعيدت على مسممهم قصة اختطفها وإتقاذها

وبمثل سرعة البرق انتقلت القصة من فم إلى فم وزيد عليها من المبالغات ما لا يد منه في مثل هذه الحالة ، وكان مجمل القصة كما رويت للمرة الأخيرة : أن شيطاناً ذا رأس من الحديد وحوافر

ولم أره قط قبل هذه المرة ولم يختطفني إلا لكي يبيعي في سوق الرقيق .

ومنذ أيام قليلة حدثت موقعة بين الفارسيين وبين القوزاق ، فطرد الفارسيون القوزاق من قرية أربنان وهي القرية التي أنا منها وابتهجوا بذلك ابتهاجاً عظيماً، وصار الفرس يتقنون النساء للقوزاقيات ويرسلونهن إلى البلاد الأخرى ليبيعن في أسواق الرقيق . ويظهر أن الوغد الذي اختطفني أراد يبي على أني قوزاقية

ذهبت في الصباح كالعادة لأملأ إناء من البئر فلاني وشرع في وجعي سيفاً وعدني بالقتل إن لم أتيه حيث شاء دون أن أحدث ضجة فاطمته صكره وأركبني جواده

وكان الفتيات في ذلك الوقت يصيرننا فذهبن إلى المدينة ركضاً واعتمدت على الضجة التي سبغتها هؤلاء الفتيات بعد عودتهن . ولكنه لم تحض بضغ دقائق حتى كنا بيدين عن المدينة بسرعة الجواد بين التجاد والوهاد التي يقل فيها سرور الناس، وكنت أنت أول إنسان رأيته واستجذبت به على الرغم من طول المسافة التي قطعناها »

لم تكن الفتاة تصل إلى هذا الحد من قولها حتى بدا لنا عدة أشخاص أحدم على ظهر جواد واللباقون مشاة، وكانوا مقبلين نحونا على جناح السرعة وقد عرفتهم الفتاة عند ما رأتهم فهلل وجهها استبشاراً وصاحت : « هذا أبي وإخوتي أوطان وأغوب وأرتوان ومهم أمحاي أيضاً »

وكننت أخشى أن يكون في الأشخاص المقبلين أحد يستميل عطفها عني ولكنني حدثت الله إذ لم يكن فيهم غير الأخارب

الحديث الذي دار بين عيني وعينيها طويلاً ممثلاً يدل على أن شعورها نحوي مثل شعوري نحوها . وبلغ بي الزهو إلى حد تخميت منه لو أن الفارسي الذي اختطفها وأتقنستها منه كان مشربين فارساً ليكون لي حق المفاخرة والتباهي ، ولكنني عدت فذكرت أنني لست إلا أرمنياً فقيراً من شعب حقير وأنا في لست من النوة بحيث يحق لي أن أعني هذا التمي .

وحسبي أن أطرد الدثب عن أغناني

أمضيت طول هذا اليوم في قرية « جلوكو » وهي للقرية التي فيها أهل حريم . وأقيمت لي وليمة ذبح فيها كبش سمين ودعى كثيرون من الأصدقاء والأهل . .

وفي اليوم التالي عدت إلى أبوي الذين أزعجتهما غيابي عنهما والذين أنصتوا إلى قصتي بكل ما كنت أرجوه من الاهتمام، وكان اشتغالي بهذا الحب الأكبر من أن يسمح لي بالتفكير في أي شأن آخر وقلت لهما : « إنني بفضل الله وفضلكما أصبحت قوي الدراعين وبلنت من العمر ما يحق لي منه أن أفرد بالنظر في أمر نفسي وأريد أن أتزوج وقد هيات لي العناية الالهية طريق الزواج »

ثم طليت إليهما أن يضبطا حريم من أبويها ثم قبلت يدي والدي ووالدتي ، وكان جوابهما أن الزواج أمر كبير الاهمية خصوصاً في هذا الزمن الصعب، وأن الأسرة فقيرة لا تستطيع القيام بنفقات الزواج، وأنه من الضروري شراء ثياب وخاتم وشمع وحلوى وفراش وأغطية للفراش واستئجار منبتين والدموعة إلى وليمة ، وأن كل ذلك يتطلب من المال مالا يوجد منه شيء . .

قلت : إن هذا كله صحيح ؛ فالل غير موجود

كخوافر الخليل وغالب كغالب الأسد اختطف الفتاة فوضها على جواد من جياد النار ينهب الأرض في قفزه ، ويكاد يبلغ السباء بوثيه ، وجري بها فراسخ وأميالاً ، فهبط من السباء ملاكاً من ملائكة الرحمة ولعن للشيطان لعنة حاقته به ، فلت يده وأخروست لسانه وأتقنت الفتاة من غيابه بمد أن أحالته رماداً . ومازال هذا الملك الحارس يحمي الفتاة حتى وصلت إلى أهلها . ثم أشير إلى وقيل : إنني هذا الملك . فاتجهت إلى عيون أهل القرية جميعاً . ولكن حدث لسوء الحظ أن فني من الزارعين كنت أراه كثيراً في الحقل نظر إلى وقال لأهل القرية : إنني لست ملاكاً ، ولكنني يوسف بن رئيس قرية جاشيلو ، فصدت في نظرم إنساناً هالكا كما كنت . ولكنني مع ذلك ظلت أعامل مساملة ممتازة عن التي يساملها سائر الناس خصوصاً من أهل حريم الدين لم يتركوا وسيلة إلا أعزبوا بها عن شكرهم وعن مجرم عن إظهار كل ما تكتنه جوارحهم نحوي من الشكر وحرمان الجليل

ولكنني لم أجد أبصر حريم صرفوعة النقاب ، فقد مضت تلك اللحظات الهنية التي ملئت فيها بحسبها ، ولكنني قلت في نفسي إن هذه الصلة لن تنقطع بل ستعود وستبقى مستمرة طول الحياة، ولن تكون في الحياة قوة تستطيع للفصل بيني وبينها . إنني لم أكن أعرضها ولم يكن بيني وبينها أية علاقة؛ فالقوة التي سافنت إليها وساقتها إلى قوة مريدة رأيت جمع حظي وحظيها والتوثيق ما بين نفسي ونفسها . ولو أن هذه القوة كانت تريد غير ذلك لترك الفارسي الذي اختطفها يذهب بها إلى حيث شاء . وإلغرم من أن يحدثني مع حريم كان قصيراً فقد كان

وكذا من المصوغات ومناويل اليد وأخرى للرأس وجوارب وحذاءين وسلسلة ذهبية للمنق وخمسين قرشاً فارسياً للمصاريف الثثرة وأن يكون سلسلة المنق طومان فارسى .

وبعد أن استشار أهل المروس بعض سواحبن قبلن ما عرضته أى ، ولكن مجوزاً فيهن كانت خادمة فى بيت من البيوت الإيرانية اقترحت اقتراحاً أثار المناقشة وهو أن أقدم مقداراً من المال لا يتفق على تحديده وإنما يترك لاختيارى جرباً على العادة الإيرانية

قالت أى : إن هذه العادة ليست من موائد الأرمن ولا يحسن بنا اتباعها . وقد أدت المناقشة إلى ارتفاع الصوت فى المخاطبة من الجانبين بالرغم من تأكيدى على والذى ألا توجد أو تعين على وجود شيء من المصاعب . ثم وقف البحث فى ذلك إلى مقابلة أخرى مع الرجال

ودعيت وخالى فذهبت ، وقد نصح لى الأصدقاء ألا أضحك أو أبتم فى أثناء الحديث لأن ذلك يشتر عند الأرمن فالأ سناً على الحياة المليئة

ذهبت فوجدت أى ومن معها وأماهين أم المروس وإلى جانبها سواحبا . ودخلت صرير فى اللحظة التى دخلت فيها فقدمت أى لها خاتماً (وكان لسوء حظى من النعاس) فوضته فى أصبعها وقدم النبيذ إلى القسيس فشرب جرعة منه وقال : إن الخطيئة أصبحت مقودة بين صرير وبينى وهنأنا الحاضرون فكان سرورى عظيماً بقبول هذه التهنئة . ورأيت على وجه خطيئى كل علامة السرور والفرح وربما كنا أسعد المتزوجين فى هذه الساعة التى تم فيها عقد الخطبة .

والزواج لا يحسن أن يتم بنشر هذه التكاليف مخافته على كرامة أسرته وإظهاراً لتقديرى أسرة المروس . ولكن فى وصى أنت أقترض لأن لى أصدقاء فى الكنيسة وسأعمل بجهد مضاعف حتى أتمكن من الوفاء ولن أعيش عيشة المسرفين حتى لا يصبح وفاء دهنى مستحيلاً .

وقلت لهما إن فى عزمى الاشتغال فى خدمة واحد من التجار والسفر معه أو عنه إلى الاستانة أو استرخاء ، وفى كسب هذا العمل ما يقوم بنفقانى ويوفى ديونى .

ومجل القول أننى أقنعت والهى بمقدرتى على الكسب وعلى تحمل مسئوليات الزواج وقد وعدنا بأن نخطب صرير من أبويها . وتحدد يوم قريب لسفر أبى وصى القسيس ورجل من التقنيين فى السن من أهل القرية — إلى قرية « جوكلى »

وفى نفس هذا اليوم ذهبت إلى تلك القرية منتحلاً سبباً من الأسباب حتى لا تفاجئى هي وأهلها بهذه الخطبة

وقد استقبلت أسرة الفتاة رجال أسرة أحسن استقبال ، وفتح باب الكلام فى هذا الموضوع فأبدى أهلها رضى واعتباطاً وانتهزوا هذه الفرصة فقدموا لضيوفهم أكثر مما اعتادوا شربه من الرق ، وهو الشراب المفضل عند الأرمن ، وتم الاتفاق على إتمام المراسم الشرعية للزواج بعد أن يتم الجهاز

وبعد ثلاثة أيام ذهبت أى وثلاث من نساء القرية وخالى القسيس إلى جوكلى فكان استقبالهم أحسن من الاستقبال الأول وتم الاتفاق معهم على جانب آخر من التفاصيل وهرضت أى بالنياحة على أن أقدم للمروس كيت وكيت من الثياب وكذا

في أثناء الطريق بضع رجال القبائل الراحلة فننام في خيامهم

وقد اشتهرت هذه القبائل بكرم الضيافة على الرغم مما هو معروف عنها من الشر والميل إلى الثوب والسلب سافرت وكانت أمي على ظهر الجمار وكنت أسير على قدمي والبنديقة على ظهري والسيف إلى جنبي فلما وصلنا إلى حرقصات أيران وجدنا خياماً كثيرة بيضاء وفي وسطها خيمة كبيرة حسنة الشكل هي خيمة الزعيم . وأخبرنا فارس قائلنا في الطريق أن هذه خيام سردار إيفان وجنوده وقد عسكروا هنا استعداداً للحرب مع الروس

أزعمنا هذا الخبر ورأت أمي أن تعود إلى قربنا وأن تؤجل الزواج الآن . ولكن حبي كان أكبر من أن يسمح لي بالإسقاء إلى مثل هذا الرأي فغشينا على الإسراع حتى نتسكن من العودة سريعاً . وأسرعنا في اليوم الأول حتى بد لنا في نهاية هذا اليوم دخان إيفان

وقضينا الليلة تحت صخرة بارزة واستأنفنا السير في فجر الند فوصلنا إلى إيفان آسيتين

وفضيت أمي لشراء الملابس في يوم وصولنا؛ أما أنا فتجولت في الأسواق مصنيماً لأحداث الدين يسرون فيها فسمعت إشاعات كثيرة عن الحرب وعن الواقع التي ينوي السردار أن يقوم بها ضد الروس . وظهر لي أن هذه الحرب ستكون من أشد الحروب التي اشتركت فيها فارس لأن عمال الأخيرة كانوا يواصلون الليل بالنهار في صنع قنابل من نوع لم يسبق صنعه في البلاد الفارسية

وخطري خاطر كدت أبداً في تنفيذه وهو أن أطلب بواسطة الكنيسة من السردار أن يحمي قرانا

ثم حدث أمي ومن معها إلى القرية ، وبقيت للاتفاق على سائر المسائل التي لم يكن تم الاتفاق عليها . وعزمت على أن أجبب القبول على كل ما يطلب مني مما كان الثلو فيه والسرف ولما تكلمنا عن المال وجدت مجلة ما يطلب مني على أجزاء قد بلغت مبلغاً معضلاً فوافقت وأنا أفكر في اقتراض البقية من شخص آخر غير الذي أزممت الاقتراض منه إلى حد معين

ولكنني دهشت عند ما رأيت أبي يخرج من جيبه كيساً من النقود ويقدمه لأهل العروس ويتوالى عشرة طومات وهو يقول لي : « إن رئيس قرية جانشيلو لا يرضى على ابنه بشيء في يوم عرسه . خذ هذا يا يوسف وقدمه لزوجتك زيادة على ما اتفقتم عليه »

عند ذلك لم يسنني إلا السجود وتقبيل يديه وتأثر عني من موقف أبي وموقفني فباركني وقال لي : « إن للكنيسة الأرمنية فقيرة وإن رجالها أشد فقراً؛ ولكن خذ هذا واشتر به سمكاً لمرسك » وأعطاني عشرين عباسية فضية

وكذلك فل سائر أقربائي حتى لم تعد ضرورة ندمو إلى الاقتراض ؛ وزاد عندي من المال ما يكفي للاتفاق مدة بعد التقيام بكل النفقات المطلوبة . فشكرت لهم وعزمت على السفر إلى إيفان وهو المركز الذي تنبئ القرية لكي أشتري منه الثياب اللازمة

لكنني كنت أجهل في البيع والشراء خصوصاً ما كان متعلقاً بشباب النساء ، فمزمت على أن أأخذ مني أمي وأن أركبها جماراً وأن أسير على قدمي . ولكن للسافة كانت بعيدة ولا بد من النوم ليلاً في أثناء الطريق فاعتمدت على أن أجهد مصادفة

قريبين . وكان من المنتظر أن تدوزح الحرب فوق رؤوسنا

وكان صبرى يقل فى كل يوم وحى يزاد ولكنه كان من المحال إتمام الزواج فى هذه الظروف ولذلك كان على أن أصبر على كرههما ككفى الصبر مضى أسبوعان من يوم عودتنا ولم يحدث حادث جديد وكانت علاقتنا بشيوقنا الروسين خسنة جداً . وكانت الروابط التى تربطنا بهم كثيرة فهم مسيحيون مثلنا ينادون عند الفزع الإلهى تنبده ويشكرون عند النصر الذى نشكره ويصلون فى الكنائس التى نصل فيها ويشربون معنا الخمر ومجالسها كما يسل شاربوها تقوى الروابط

وكان قائد الفرقة الروسية شاباً حسن الأخلاق شديد الرغبة فى معرفة أحوالنا وعوائلنا كثير الميل إلى محادثتنا فى كل موضوع نحب أن نتحدث فيه . وقد كلمته فى موضوع زواجى فأسنى إلى بإهتمام شديد ووجدت فيه صديقاً صادقاً . وكان مما قاله لى :

« ولماذا تؤخر الزواج ؟ اقبل نصيحتى وتزوج الآن فإنا إنما جئنا لنحملك ولم نظاهر الفارسيون إلى الآن ما يدل على أنهم سيقدمون خطوة واحدة وودنى فضلاً عن ذلك بأن يقدم لروسى هدية هي عقد من الذهب الروسى وبأن يبرئ جواده لأركبه فى يوم الزفاف ولم يكتف بحديثه من بل حدث أهل المروس فى هذا الموضوع فاقنعتهم بتسجيل الزواج ومحدد يومه بواسطته . ولقد كان اهتمامه الشخصى بإتمام هذا الأمر يكاد يثير ديبقى ويحمل على النيرة منه لولا أنه كان قبيح الوجه إلى درجة عظيمة فلا خوف من أن تبيل صبرى إليه لأنه خير لها أن تحب قروداً بدلاً من أن تحب ضابطاً كهذا

الأرمية . ولكن قليلاً من التفكير جعلنى على المدول عن هذا الخطر وقلت إن حماية الله وسيوفنا خير من حماية السردار وجنوده

ومعدت أنا وأبى من نفس الطريق الذى ذهبنا منه ولكننا كنا أبطأ فى السير لعدم الحاجة إلى السرعة ولأننى كنت أحمل عبئاً ثقيلاً من الثياب . ولم يحدث لنا أى حادث يستحق الذكر حتى وصلنا إلى مرتفعات جافشار فرأت أى خيمة فأشارت إليها وسألنى عنها ولم أكن إذ ذاك أفكر فى أى شئ غير المرس ومعداته فكان جوابى لها : « لئلا أهل المروس سيقبضون لنا مادية فى هذا المكان »

قالت : « ما هذا القول يا يوسف ؟ هل جنت ؟ يظهر أن اروسين قد احتلوا قريتنا » فلم أحجها ولما وصلنا إلى القرية وجدت ظهنا كان سائياً فان فرقة صغيرة من الجنود الروسية قد احتلتها وأثبتت كل أسرة فى المدينة أن تقدم الطعام لواحد من الجنود . ولما كانت أسرنا أسرة الرئيس فقد كان ضيفنا هو قائد الفرقة ؟ ولقد كان من سوء حظى حدوث ذلك فى وقت المرس ، وقد شكوت أمرى إلى بعض أصحابى فى جوكلى التى لم يكن الروسون قد احتلوا ولكن أهلها شاركوا خوفنا لما علموا بما حدث عندها

وقابلت صبرى بالرغم من أن عوائلنا لم تكن تسمح بالتحديث معها فى الفترة ما بين الخطبة والزفاف ، ولكن الحب يتلب كل عادة ويتلب على كل المصائب قابليها وتحادثت معها صراراً وكنت على وشك الجنون من حدوث هذه الحوادث التى من شأها تأخير زواجنا . وكانت القرائن كلها تدل على قرب حدوث نكبة عظيمة لأن الجيوشين التصاريين كانوا

أصحابي من الأرمن والاضابط الروس، وكانت الموسيقى
أماننا تمرز بألحانها الجميلة . ولما وصلنا إلى منزل
المروس أدبرت علينا المرطبات ووفد علينا أهل
القرية جميعاً لتهنئتنا

ولما حان وقت عودتنا مع المروس إلى قرية
أبي ألبست المروس ثياباً حمراء من مفرق الرأس
إلى القدم . وأركبت جواد أبيها وسار حولها إخوانها
وأحماصها ووضموا في يدها طرفاً من جبل أمسكت
أنا بطرفه الآخر وأنا على جوادى وفقاً للمادة حتى
وصلنا إلى الكنيسة

وحسب للوكب كل من له علاقة به من قريب
أو صهر أو صديق وأن بعضهم مشاة والبعض على
ظهور الخيل وكانوا يهتفون ساعة ويثنون ساعة

وكان عمي يقود هذا اللوكب . ولما وصلنا
إلى القرية وجدنا فرقة من الجنود الروسية في انتظارنا
كما أحمرها الضابط للتولي قيادتها وهو صديق الذي
رافقتي في اللوكب ومشت أماننا هذه الفرقة
إلى الكنيسة فزادت موكبنا جلالاً وهيبه .

وكنتم والمروس لانزال عمسين بطرف الخيل
حتى بعد أن ترجلنا عن الجوادين . وألقي علينا
الأصدقاء الزهور والورد .

ثم ، وقفت أمام حريم ووضعت يديها في يدي
وضعت الكتاب المقدس فجعل بين رأسي ورأسها
ثم جاء القسيس وسألها وسألني هل يريد كل منا
أن يتزوج من الآخر ، فأجبنا إجابة القبول ثم أخذ
القسيس يترنل وأقيمت صلاة الرس .

ولما انتهت هذه الصلاة علا الغناء والانشاد
ودقت الطبول وصدحت الموسيقى . وكان ضوء
النهار في هذه الساعة قد تلاشى وبدأت المصافة

وذا وجه كبير المظالم وحجرتين عظيمتين في مكان
عينيه ، كبير الأنث أثناء ، هيئة وجهه كهيئة
البومة ، وكانت شفته العليا غليظة وفكها الأسفل
منثرا وذقنه رفيعة عذبة

قلت في نفسي : « عمال أن تحب حريم مثل
هذا الوجه وهي أشبه بأن تحب محملاً فارسياً من
حبها مثل هذا الروسي

ثم وازنت بينهما وبين نفسي فأرسلت خروزي
بأن قلت إنني أجل منهما وإنها لن تحب فيري

قبل الزفاف بيلة أرسلت الثياب وغيرها من
الهدايا إلى قرية المروس في موكب يتقدمه الموسيقيون
وهم يكتفون في كل مدينة وكل قرية ، وقد أعارنا
الضابط الروسي طبلة من طبول الجيش زيادة
في إكرامنا

وبعد إرسال الهدية بساعات قليلة ذهبت إلى
نلك القرية لكي أأخذ الهدية التي تهديها المروس
وفقاً لمواثنا

وكانت هديتي لي مسدسين مصنوعين في الفوزاق
وقد كانا مملوئين من قبل لأحد أحماصها وهو ضابط
في جيش الرالي الفارسي تلك الولاية قبل أن يستولى
عليها الروس

وفي اليوم التالي وهو الذي كنت أعدّه أسعد
أيام حياتي وكنت أنتظره بصبر نافذ استيقظ كل
أطاري ميكرين . وكان الجو ينثر بهبوب حاصفة
والسواء بلبدة باليوم ، ولكن الهواء كان مستدلاً نقياً
لأن المطر الذي هطل في الليلة السالفة نفاه وطهره .

وأرسل إلى صاحبي الضابط جواده في ذلك اليوم
وابست ثيابي الجديدة وتخلعت بكل ما أمك من
الخناجر والسدسات وعلب انطرطوش وسار معي

وسمنا أسواناً عتيقة ونجيحاً لحسناً ذلك من هزيم
الرد . ولكننا عرفنا بعد قليل أنها أصوات آدمية
وسمنا وقع حوافر الخيل تدوي في الطريق
وكانت الكوة مسدودة سداً محكمًا خوفًا من
الطر ولم أجسر على فتحها خوفًا من نسر الساء
إلى النرف ولكن سرعان ما سمعنا وقوع شيء ثقيل
فوق سقف النرفة ووجدنا جانبًا منه يسقط بجانب
الفرش ورأينا نور الساء يتخلل النرفة فصحت
بزوجتي: إن هذه صاعقة. وأسرعتها بالفرار من النرفة
لتنجو ، ولكن قبل انقضاء لحظة واحدة حدث
انفجار في النرفة فذهلت وحسبت أنني نقلت إلى
الجحيم ووقعت على الأرض في حالة إغماء ، وكل
الذي أذكره عن تلك اللحظة أنني رأيت نوراً يتفجر
وشمت رائحة كبريتية ثم ساد سكوت مريب
لا أعرف كم انقضى وأنا غائب عن الحس؛ ولا
عاد إلى الشمر عاد بالتدرج . ولا تنهت وجدت
أنني لم أسب بجرح أو كسر وراجعت فاكرتني في
الحوادث النرفية فذكرت زواجي كأنه حلم رأيته
في النوم أو قصة سمعتها، وأصغيت فسمعت حركة
عظيمة اضطط فيها الأثنين بأصوات الفرقعات
وصليل السلاح بالأصوات التي تحدث من تهديم
النازل . ولم أزل أحسب نفسي في عالم آخر حتى
ذكرني بالحقيقة صوت امرأة تصرخ وكان هذا
الصوت هو صوت حريم وقت لأري مصدر الصوت
فوجدت تراباً كثيراً قطعاً صغيرة من الأحجار
ملقاة فوق جسي فنفستها وقت فرأت في الطريق
منظراً لا أستطيع وصفه لموه

وجدت رجلاً فارسياً يجرى وفي يمينه سيف
مجرد محض بالسهم وفي يساره رأس مقطوعة ، وكان

التي كانت منذ الصباح تنفر بالمربوب فقتلت
الأمطار للزيرة وهبت الرياح الموجه وأرعد الرعد
وأرق البرق ، ومن أجل ذلك انتهت سرياً الحفلة
التي أقامها أبي الضيوف . وبعد انصرافهم قابلت
المروس فكنت بهذه اللقابلة أسعد إنسان في الوجود
لست أعرف هل يجب أن أقف عند هذا الحد
من قصتي المزجة الرهيبة أم تريد أن تسمع ما حل
بنا بعد ذلك من التكبكات .

أريد قبل كل شيء أن تعلم أن هروسي كانت
جميلة مشرقة مثل كوكب الصبح طاهرة، بريئة مثل
اللائكة، وكانت تحبني أخلص حب وأثاء؛ وأظنك
تقدر موقفي في هذه الساعة بعد إذ علمت أنني كنت
شديد القلق من تأخر يوم الزواج ، وبعد إذ علمت
مقدار حبي لها ورغبتي في التزوج منها، وبعد اعتباري
هذه الآلة أسعد ليلة في الحياة

ولكي تفهم حقيقة الحال يجب أن تعرف أولاً
أن البيوت في القوزاق وفي هذا الجزء من البلاد
الأرمنية يميل جزء منها تحت الأرض لأنه ينحت
في بطنها نحتاً بحيث أن الساكنين في الطرقات يسمعون
أن تحت الطبقة الأرضية التي يمشون فوقها خروفاً
من البيوت القائمة على الجانبين . وفي هذه النرف
يقم أهل تلك البيوت . وكانت خروفتي في بيت أبي
إحدى تلك النرف الأرضية وبها كوة على الطريق
تصلح باباً وتقوم مقام النافذة .

وكان من عادات الأرمنيين أن يدخل الزوج
خروفته قبل عروسه وتتولى المروس نزع حذاءه
وجوريه ثم تطلق النور قبل أن تنزع ثيابها
وفي هذه اللحظة كانت المروس تهزم في الساء
وتحدث أسواناً خفيفة مزجة، وكان الشتاء يتدفق.

من الافتراضات التي أهل نفسي بها غير أنني قد جفنت وعند ذلك فاضت من عيني الدموع التي كانت لا تزال محبوسة ، وقت أمشي على مهل نحو المنزل ورأيت الفلاحين في أثناء الطريق مجتمعين ذرافات وهم يتحدثون محسًا عما جرى بالأمس والخوف يكاد يقضى عليهم جميعاً . وكان كل منهم ينتظر أن يحل به نكبة من النكبات

أما أنا فلم أكن أنتظر شيئاً منها لا اعتقادي أنه لم يبق في الدنيا نكبة لم يحل بي وأنني لم أجد أحداً من أهل باقي على قيد الحياة فلا زوجة لي ولا أب ولا أم ولا إخوة ولا قريب أو صاحب، وأن المنزل الذي أسير نحوه قد أصبح أنقاضاً مهتمة . لكن خيالي كان متألياً في تصوير الواقع قائم كد أقرب من المنزل حتى رأيت أي مقبرة محوى وعافنتي وقبيلتي وهي تبكي

ثم لا هداً روحموا وروحي أخبرتني أن أين أصيب في جسمه ورأسه بجراح من انفجار المفرقات وأن منزلنا قد هدم بمضه خصوصاً غرفة الروس فانه لم يبق بها شيء وأن الضابط الروسي الذي كان ضيفاً لدينا قد خرج عند ما حدث الانفجار الأول فاختطفه جنديان فارسيان وأن أهل منزلنا فيما عدا ذلك لم يصابوا بسوء

قالت ذلك ثم أدخلتني المنزل فقدمت لي قوباً من ثياب أبي . وبعد أن عدت أبي عرفت على أن أبدأ في الحال بالبحث عن زوجتي واقتنعت بأن بعض الجنود الذين هاجموا المدينة قد اختطفوها وأنها لابد أن تكون الآن في مدينة أرياف لأنها أقرب سوق للرقيق وأخذت سيفي ومسدساتي وبنديقي ووضعت في جيبي بعض النقود الفضية وودعت

ينير الظلام بين لحظة ولحظة وميض البرق وتمكنت بواسطته من رؤية ما يجري في الطريق من مطاردة الجنود الفارسية لجنود الروس ومن كان يؤوبهم من الأرمن

ولم أحرف كيف ولا أين أبحث عن زوجتي وكنت لا أزال أسمع بكاءها، وعمرت جسمي رعشة لما خفت أن يكون أيتها هو أنين الاحتضار، وبالرغم من أنني كنت في ثياب النوم فقد خرجت إلى الطريق بحلة أشبه بحالات المجانين فرأيت على وميض البرق فارسين يجران ومعهما امرأة فتبعتهما ركضاً لأنني لم أكن أبلى بشيء غير زوجتي

ولما كان اتجاهاهما ساعة رأيتهما نحو الجبل فقد سررت في هذا الانبجاء وأنا لا أراها، وكنت حافياً والأرض كثيرة الأجبار والصخور . وكنت طارياً والبرد شديد والمطر ينهمل ، وكنت متسبب الجسم من شدة الدحر ، ولكنني لم أزل أجرى على غير هدى حتى رأيت نفسي على قمة الجبل، ثم أدر كني الكلال واشتدت الجراح فلم أعد أستطيع الاستمرار في الجرى الذي رأيته غير مجده، فجلست باكياً منتجعاً ولم أفنى حتى سمعت في الصباح تفريد المصافير وقصحت عيني فرأيت الشمس مسفرة

وقلت في نفسي : « أين أنا ؟ ومن الذي جاء بي إلى هذا المكان ؟ »

وكان الجو في ذلك اليوم جليلاً ، وليس بالساء ما يدل على حافة الأسس ، فلم أستطع تطيل الحالة التي كنت فيها إلا بأنها حلم من أحلام الشيطان لكن إذا كان كل ما رأيته حلاً فابن زوجتي المحبوة ؟ هل هي لا تزال بالمنزل وهل تركتها فيه وجئت إلى الجبل حافياً بثياب النوم ؟ إذن فلم يبق

وأنا لا أعلم شيئاً عن مريم ولكنى كنت أعتقد أنها في قصره هناك وكان ذلك القصر مبنياً على صخرة عظيمة تحبسها هاوية تفصل بين ذلك القصر وبين مجرى النهر

وكان على هذا النهر جسر وهذا الجسر هو الذى يصل البلاد التركية على أحد الشاطئين بمجران على الشاطئ الآخر

وكان القسم المخصص للسيدات فى هذا القصر مطلقاً على النهر وهو مميز عن غيره بما على نوافذه من الحواجز؛ وكنت لا أشك أن مريم موجودة وراء تلك النوافذ فوقت على الجسر أتنظر أن تطل فأراها. وكنت أقول فى نفسى : « ماذا أستفيد إن أطلت على ؟ إننى لا أزداد بذلك إلا يأساً وحسرة » وكان مما يشبه المستحيل أن تنجو من هذا السجن أو تبقى على قيد الحياة إذا ألفت بنفسها من إحدى النوافذ المطلّة على الهاوية سوى أن تحت نافذة واحدة من تلك النوافذ شجرة يمكن أن تكون وسيلة للفرار ظلت فى مكانى أنظر إلى النوافذ وأطبل التفكير والتأمل وكنت أخشى أن يرانى أحد فتقع على شبهة فشيت على أن أعود عند انتهاء النهار

استمرت مرافقى للنوافذ أسبوعين كاملين ، وفى آخر يوم من هذه المدة رأيت نافذة مفتوحة ، وقد رفع الحاجز الذى عليها ورأيت امرأة تطل منها فاشتبهت فى أنها هى وانتطعت أنفاسى حتى ظهر لى أن التى تطل من النافذة قد عرفتنى ودنوت من المنزل قائلاً مريم ، وكنت إذ ذاك بالشاطئ الآخر . ولما مدت يديها نحوى لم أفكر فى الواجب بل ألقيت بنفسى فى النهر وسبحت إلى الشاطئ

فريقى منذراً ألا أعود إليها حتى أجد زوجتى وسافرت بخطى سريعة إلى أديفان سالكا إليها أقصر طريق . وفى أثناء الطريق وجدت فارسين فاستوقفتنى وسألانى عن غايى فلم أرد فى إخبارهما بالحقيقة عليهما يساعداًنى على البحث عن زوجتى وقد حرصا على هذه المساعدة ولكن بأخشن لمجة مما دعانى إلى الشك والريبة

وكانا لقسوتهما يضحكان من حزنى ويسخران من شدة اهتمامى وأفهمانى أنها إن كانت الآن فى منزل السردار بين الجوارى التى أسرن كان كل جهد أبذه سينهب سدى

حدث الله إذ سمع لى هذان الشريدان باللهاب وحدى فذهبت وكلى أمل فى الله الذى ابتلانى بهذه النكبة أن يجد لى مخرجاً منها أو يلهم قلبى صبراً وسلوفاً

ولما اقتربت من المسكر الذى كنت قد رأيته أثناء ذهابى مع أمى إلى أرتيان علمت أن السردار كان لا يزال فى هذا المسكر وأنه أرسل رؤوس الروسين الذين قتلوا فى قريتنا إلى الشام لأن جلالته لا يتقنع بنصر جنوده إلا إذا رأى هذا الدليل المادى وعلمت أن فى المسكر حركة تدل على شدة السرور بما فعلوه فى قريتنا كأنما كانوا يظنون أنه ختام للحرب أو أن هجومهم فى الليل على قرية صغيرة يمد موقعة حاسمة . ولكن سرعان ما تغيرت الحال فان هذا المسكر النشئ بنشوة السرور قد أهد المدة للتقهقر وجلا عن موقعه فى أقل من ساعتين حيث ظهر الجيش الروسى من جهة الحدود رحل السردار بجيشه إلى أديفان وتبته إليها

الغاب بها إلى قريتي ولكنني عدت فذكرت
أنه لا بد لنا من عبور النهر أو الانتظار إلى الند
حيث يصاد الجسر الذي يرفع في المساء عادة لنمر
السفن . لكنه ما كان في وسعنا الانتظار حيث
كنا . وكذلك رأيت أن تقضى الليل في أنقاض
الكنيسة الأرمنية وهناك أبقنا حتى جئت ووجدتنا .
ولقد كان أمل كبير في عطفك ولست أستطيع
وصفك بمد الذي وجدته من رأفتك إلا بأنك
حاميتنا ومنقذنا فشكلك لك من القلوب النعمة التي
تنتظر هودتنا . ومهما كانت مهمتك والفرض الذي
جئت من أجله فانك كبير الرجولة وسندعو لك
بالرغم من كوننا على غير دينك دعوة يستجيبها الله
الذي يثيب على عمل الخير

« يتبع » عبد اللطيف النشار

الذي هي فيه ووقفت على حافة الهاوية تحت النافذة
التي تطل منها زوجتي المحبوبة

وتكرر مدعها فذاعبها نحوى كأنما كانت
هم بأن تلقى بنفسها من النافذة فأشرت إليها
بالأقل وكلدت أرفع صوتي بتنبيهها إلى ذلك
خوفاً عليها

وكان كلانا ينظر إلى الآخر نظرة شوق وقد
منعنا الخوف أن نتكلم وأن نهرب مما يجيش في
صدورنا من الشوق

وأخيراً رأيتها على حين فجأة ترفع بقية الحاجز
وتفتح الصراع الآخر من النافذة فبقيت في مكان
أنتظر النهاية ثم رأيتها تلقى بنفسها من النافذة فهت
ولم تقو رجلاي على حلي وشردت نظراتي وفارت
عيناى في وجع ثم رأيت جسمها معلقاً على الشجرة
التي تحت هذه النافذة فصعدت على الشجرة مدفوعاً
بدافع الفريضة لأنه لم يكن لدى مجال للتفكير . ولو
أن حيواناً في مكانى لما فعل غير ما فعلت ، وبذلك
أقذت أعز مخلوق لدى

ولما أزلتها عن الشجرة جلست وإلها على
جانب حائط مهدم ، وكان كلانا مسلوب القوة ولكننا
كانت مشغلة بالجراح من أثر الصدمة التي اصطدمتها
بفروع الشجرة . وبالرغم من أنه لم يتكسر شيء
من عظامها فقد كانت جراحها بالثة لأن بعض
فروع الشجرة قد شق ثيابها وجعلها في مواضع
متعددة وأضعفها ما ترف من دمها ضعفاً شديداً وكانت
مفقودة الرشد من الخوف والاعياء

وأخيراً آفقت وولدت باسمي فكنت في هذه
الحظة أن أجن من الفرح وعاقتها وقت أردت

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالاسماء الآتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

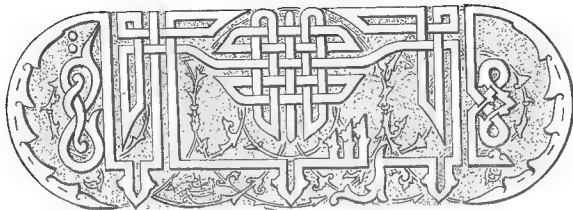
٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قروشاً في الخارج عن كل مجلد

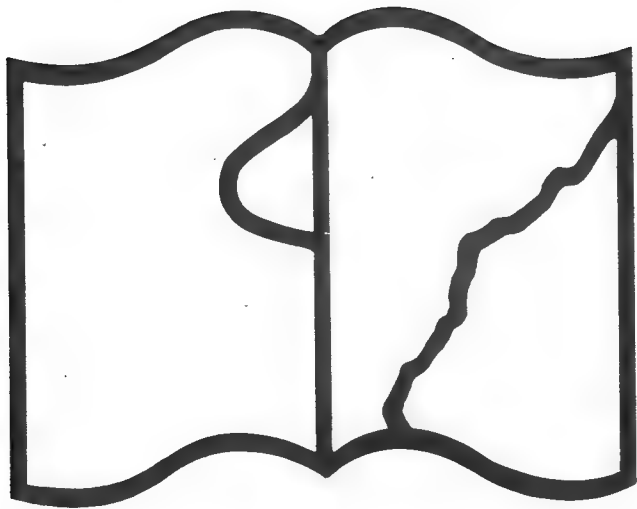


مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضى بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهير العبقرية للأمة العربية
الرسالة تسجل مظاهير التجديد في الآداب العربية
الرسالة تتجوى في النشء أساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجموعة أعداد هاديو أن العرب المشترك ، وكناب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

لاشتراك اللاهلى سنون قرنا ، والحاجى مايسارى جنيها مصرى ، وللبدار العربية بمضمون ٢٠٪



Texte détérioré —_reliure défectueuse

NF Z 43-120-11



صاحب المجلة ومديرها:
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل انوشر الكه عم سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

ادارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الحرورية

مجلة أسبوعية لتفصيل الأخبار

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — أول فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٤٩



فهرس العدد



صفحة		
٥٨	صوفية جديدة ...	أقصوة مصرية ...
٦٩	النافذة المفتوحة ...	عن الانجليزية ...
٧٢	الأراجوز الحزن ...	أقصوة مصرية ...
٧٩	غزوة الجزائر البريطانية ...	للكاتب الانجليزي آرثر كونان دويل
٨٥	الأب التاكيل ...	أقصوة مصرية ...
٩٢	مذ هبط من سمائه ...	أقصوة مصرية ...
٩٧	حاجي بابا أصلهاني ...	للكاتب الانجليزي « جيمز مور »
	بقلم الأستاذ دويي خشبة ...	
	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...	
	بقلم الأديب نجيب علوط ...	
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...	
	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...	
	بقلم الأديب محمد طه الحلاجري ...	
	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...	

صُوفِيَّةٌ جَلِيلَةٌ

أَقْصُوصُ مُصَرِّفَةٍ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ دُرَيْخِ خَشْبَةِ

— لست أعهم ! جمال
الظاهر كأي شيء ؟
— كالسحر الذي ملأ به
عيونهن ، وحرارة الورد التي
تموّه بها خدودهن
— وكأي شيء أيضاً ؟
— القوام الرشيق !
— وماذا أيضاً ؟

— والسيفان الخلدجلة والأفدح التي تكاد
تتمدد من بين وطراوة ؟

— ثم ماذا يا شيخ عبد القوي ؟
— أسكت لحاك الله ... وماذا بعد هذا ؟
— بعد هذا ما يمدّه يا شيخ عبد القوي ...
أيها الصديق الصوفي !

— مآذ الله أن أكون قد ضللت !
— أنت . ومن زعم لك أنك ضللت ؟
— حسبتك ظننت هذا !
— كلا أيها الصديق ... لكنني أطمع في أن
تكلمني بأصرح مما فعلت ... أفني الحق أن الله
قد خلق أكثر جمال الظاهر كما ترحمون فتنة لعباده
التقيين !

— أنا أعتقد هذا
— إذن أنتم تؤمنون أن الله يريد الفتنة ؟
— مآذ الله أن يريد شرّاً بالعباد !
— أليس قد خلق أكثر جمال الظاهر فتنة لنا ؟
— هو بلاء غيب !
— إذن نحن غيرون
— الله خلقنا وما نصنع ؟
— من خير أو شر !

— آه يا صديقي الشيخ عبد القوي لو رأيتهن
مرة واحدة ! مرة واحدة يا صديقي الشيخ
عبد القوي ثم تنسى هذه الصوفية وذاك النقشب
— ذاك لأنني إن فعلت ألقى بزمامي للشياطين
أمثالك !

— أستطيع أن تحسد لم خلق الله النساء ؟
— خلقهن لمار هذه الدنيا يا صالح !
— ولم خلقهن جيلات رائعات فائنات ؟
— ليبار عباده ، فمن سلم منهن سلم في دينه
ودنياه ، ومن أغوينه خسر الدنيا والآخرة
— إذن أنتم يا معاشرة التصوفة ترحمون أن الله
خلق الجمال للنوايا !

— ليس الجمال كله ... أرجوك !
— جمال النساء غيب !
— وليس جمال النساء كله !
— جزء من جمالهن فقط ؟
— هو ذاك
— وهذا الجزء ، أأكثر الجمال هو أم أقله ؟
— أكثر جمال الظاهر
— جمال الظاهر ؟
— أجل ...

- قل كل من عند الله !
— هذا هو الذى لا تفهمونه من كلام الله ...
لترك هذا... وجمال الباطن ، ماذا تقصدون به ؟
— جمال الروح
— وكيف تكون الروح جميلة ؟
— الروح التى تفزع من الالم
— هذا هو الجانب السلبي ...
— وتصدر عنها الكرمات
— أحسنت ! والروح التى تفزع من الالم ،
هل تحسبونها تفزع من جمال المرأة ؟
— قل جمالها الظاهر أرجوك ! أجل ، إنها
تفزع من هذا الجمال الخبيث فزعا شديدا
— ألا تتفق معي أن مثل هذه الروح تكون
روحاً شريرة ناقصة ؟
— ولماذا تكون كذلك ؟
— لأنها كلما رأت جمال المرأة الظاهر نفرت
وقرنته بالشر ؛ ولو أنها قرنته بالخير ، ومجدت الله
الذى خلقه ، لكان خيرا لها وأكثر إيماناً بالله !
— .. ؟ ..
— أراك لا تستطيع أن تتكلم ، وأنت تريد
أن تفعل ؟ !
— ولماذا هذا الحوار الطويل عن المرأة ،
ألا يوجد فى الدنيا غيرها ؟
— بل يوجد غيرها كثير ... فم تريدنى
أن أتأكد ؟
— أنا لم أعترض على مخلوقات الله مثلك ،
فتكلم أنت !
— وهل حشيتنى اعترضت على مخلوقات الله
يا صديق ؟
- وهل تريد أن تتكرر ذلك ؟
— إني أنكره لأنى لم أفعله !
— ألم تعترض على الصوفية والتصوفة ؟
— لقد سألتك عن أشياء فلم تستطع أن تفرح
حسبى ، أفيمكن ذلك اعتراضاً معي ؟
— إننا يا صديق قد طلقنا هذه الدنيا ثلاثاً ،
ونحن أحرار نصنع ما نشاء
— وكيف تطلقونها وقد اعترفت أن الله أراد
عمارها ؟
— أنا اعترفت بهذا !
— ألم تعترف ؟
— أبداً ، أبداً ...
— إذن يريد الله خراب الدنيا !
— أليست الساعة ستقوم ؟
— سوف تقوم ما فى ذلك ريب !
— أليس فى قياسها خراب الدنيا ؟
— إنها تكون قد انتهت إلى الأجل الذى
أجلها الله إليه ، وإلى أن يجيء سوف تظل طامسة
جميلة ناضرة !
— آه من عمارها وجمالها ونضرتها !
— وما عليك من ذاك يا عبد القوى ؟
— طوبى لمن يخلع عنه بردها الزائف بإسالم !
— وكيف يخلع بردها ولماذا ؟
— إنها دار الضرور يا أخى !
— أنا أسألك كيف يخلع المرء بردها ولماذا
يخلعه ؟
— يخلعه هكذا ... إليس كما إليس أنا ...
ذاك الصوف الحشن وتلك التمل المخصوصة ، وهذا
الطروش الذى ليس له زر ... و...

— ما ضر الدنيا من عبادة الأصنام !

انصرف صالح لشفائه ، وأقام عبد القوي ،
أو الشيخ عبد القوي زعيم متصوفة القرية ، يفكر
في هذا الحديث الطويل الذي جرى بينه وبين صديقه
من ظاهري الجبال وباطني ، وعن المرأة من وجهة
نظر المتصوفة ، وعن الدنيا ... والتشف ...
والشعر المرسل والملبس الخشن ... والنمل
المخسوفة ... ثم هذه المكحلة وتلك المذبة التي
هي فضل مندبل الهامة ...

ولكنه كان يهود من كل أفكاره إلى التفكير
في المرأة ، فما كانت أفكاره فياعداها إلا كما يخطف البرق
لقد نمي عليه صالح أن المتصوفة يمدون المرأة
عدوم الأكبر لأنهم يزعمون أن الشياطين تتخذ
من مفاتيحهم سموم تصيد فرائسها ... وصالح يقول
إن هذا زعم خاطئ ، لأنه يقرن جمال المرأة بالنسر ،
ولو قرونه بالخير لكان أسلح لأرواح الناس ،
ولقربت الدنيا أن تكون جنة ، ولهربت الأبالسة
من حياتنا ...

فكرة طيبة ، وهي أقرب إلى حكمة الله من
هذا النظر الأسود إلى أحسن مخلوقاته التي اختصها
بالجمال ، واستودعها الرقة والندوبة والطلاوة والسحر
ووفر في قلب الشيخ أنه لم يستطع أن يدفع
حجة صديقه صالح في فساد رأي المتصوفة في المرأة ..
وكان مجزء ذلك أول إحساسه الخفي بالهزيمة ، وقد
رأى يميني تصوره كيف أخذت هذه التصور العجيبة
التي شادها الوم في وجدانه الصوفي تنهار وتنقض
وتتسطح وتصبح ركاما

— وماذا أيضا يا عبد القوي ؟

— وترسل لحيتك وشعر رأسك حتى تكون لك

وفرة ولة وفواجب

— ثم ماذا ؟

— وتكون لك سبعة كبيرة ومكحلة

— ولماذا المكحلة ؟

— لا تكون صوفيا إلا بها !

— لقد جملت المكحلة لتجمل والزينة ، أليس

كذلك يا صديقي الشيخ ؟

— كلا ... كلا ... إنها تقاليد يا صالح !

— لا ... لا بد أن تفسر لي اتخاذكم المكحلة

وتشبيكم بها !

— وهل ذلك في استطاعة أحد ؟

— ليس في استطاعة أحد أن يفسر

اتخاذكم المكحلة ؟

— هذا محال يا صديقي !

— ولماذا يكون محالا ؟

— مثل المكحلة مثل هذه المذبة التي ترى !

— لقد كدت أسألك عن أمر هذه المذبة

لماذا ترسلونها على أفتيتكم هكذا ؟

— هي أيضا من تقاليدنا معاشر المتصوفة

— ما أحسبها إلا من بقايا الوثنية التي تندس

في طبائع الناس دون أن يشعروا ...

— وثنية ! نحن لسنا وثنيين يا صديقي !

— ومن قال إنكم وثنيون يا عبد القوي !

— وما بقايا الوثنية التي اندست في طبائنا إذن ؟

— هذه المكحلة التي تأخذون بها أنفسكم

وتلك المذبة ، والنمل المخسوفة

— وماذا خربك من ذلك ؟

— حل من حديثه في قلبي أنه يعبرني بأنتا
مماشر التصوفة ترقن نظرا إلى ما ظهر من جمال
المرأة بالشر ، ولو أننا قرنا هذه النظرة بالخير لكان
خير الأرواحنا ، ولطردنا الأبالسة من حياتنا وبذلك
تصبح الدنيا جنتنا الأولى ...

— كلام جميل ، بيد أنه مُخْطَب ... أو ...
ممسول !

— أما إنه جميل فهذا رأيي فيه ... ولست أدرى
كيف يكون خلبا

— إن الذي قال صالح هو ما تقول يا أخي
— نحن نقول بالذي يقول به صالح أيها الشيخ
— هو هو !

— هذا عجيب !

— وما يجبه ؟

— وأي خير ترقن به جمال المرأة ؟ ألم تخلق
عدة للشيطان ؟

— لماذا الله أن يكون ذلك ؟

— إنك تخبرني يا سيدي الشيخ !

— وكيف ؟

— أليس أول ما يأخذ به الصوفي نفسه هو

الحذر من المرأة ومن الدنيا ؟

— هذا حق !

— إذن فلم ترقن ما ظهر من جمال المرأة ؟

— نحن لا نرقن جمالها ما ظهر منه وما بطن !

— يا سيدي وأنت مع ذاك كبير من مشايخ

الصوفية ؟ !

— بل أنا أكبر مشايخنا قاطبة ! ! اسمع

يا عبد القوي ، إننا معاشر للتصوفة نجب الجلال

ونهم به وفقى فيه ، وجمال المرأة هو أبرز صورة من

ولقي بعد ذلك شيخنا من أجل مشايخ الطرق
فما علم أن آثار السئلة بخلافهما ... وكان قد نسي
القرار الذي لم يكن منه يد في تناول هذه المسائل ،
والتي يزعم التصوفة أن الخلو في فيها كالخوض في
حديث القضاء والقدر ، لا بد فيه من الاحتراز
والاحتباس إن لم يفضل فيه التسليم كل التسليم
ولحظ الشيخ الجليل في عهده هذا التبدل الذي
يخرج بالصوفي عن أصول المذهب ، فشده أول
الأسر ... ثم علم أنه الشيطان قاتله الله قد استطاع
أن ينفذ إلى قلبه ، وأن يسيل من هناك على لسانه ،
فقال له :

— أي حبيبي عبد القوي ، ماذا دهاك ؟ إنك
تتحدث بما لم نمهد فيك !

— حمرك الله ما دهاني شيء ... إنما هو حديث
جري بيني وبين صديق صالح ، لم أستطع أن أورد
عليه شيئا عما قال

— لا بد أنه كلك في المرأة وفي الدنيا وفي الذي
محاربهما به من الجفوة والتشفي !

— أوه ! ... لقد حصل كل هذا ، فهل حدثك
مثل ذاك الحديث ؟

— كلا ولكن فهمت ذلك من سياق حديثك

— وماذا ترى إذن في الذي حدث ؟

— أرى أنه حق يؤدي إلى باطل

— حق يؤدي إلى باطل ؟

— أجل يا أخي !

— وكيف أيها السيد ؟

— أنسألي كيف ؟

— إني والله إنني أسألك

— قل لي أولا ماذا حل من حديثه في قلبك !

— لذلك ...
 — لذلك ينبغي أن نحارب في نفوسنا الهيام
 بالمرأة ...
 — ولذلك ...
 — ولذلك أرسلنا شعورنا وأعفينا لحانا وآثرنا
 لبوس الصوف الخشن والنمل المخصوفة والمندمام
 الجاني ...
 — ليتك جادلت صالحاً ... ليتك جادلت صالحاً

لم يدع عبد القوي هذا الرجل التصوف النقشب
 الزاهد يد ... لقد تبدلت حاله ، وصار كلما تذكر
 المكحلة والنمل المخصوفة والسبحة والوفرة والدواب
 يلحن هذه الأيام التي حرم نفسه فيها من مباحي الحياة
 لقد شك أول الأمر في قيمة هذه الأسلحة
 التي يتخذها التصوفة ليظهروا في ذلك المظهر الخشن
 الجاني بحجة أن هذه أحسن وسيلة لاذلال النفس
 وقهر الشيطان ... وعجب لماذا لا تكون الأناقة
 والمظهر المحتشم والنظافة موانعاً للمرء على ضبط
 النفس واكتبال أديها ...

— لا ... لن تكون لي هذه السحبة الكثة ،
 ولا ذاك المظهر الزري ... لتذهب المكحلة والسبحة
 إلى الشيطان ... لماذا أعد صلاتي وتبديعاتي ؟
 أفضل ذلك لأحسب ديني ؟ أم أخضع السبحة شماراً
 ومظهراً ورواء الناس ؟ لن يفتنى ظاهري إن لم يكن
 لي وازع من باطني ... إن هذا الطربوش الذي
 ليس له زر تدجيل وشموقة ، إن لم يكن على الناس
 فعل فتى ... لقد خلق الله الدنيا وجعل فيها من
 كل شيء ، فلنملأها بشرأ وخيراً ولنملأها سلاماً
 وإنساناً ... ليكن كل ما فيها جيلاً فقد خلقها الله

جال الدنيا ... لكن نظرنا إلى جلالها غير نظرة
 سواناً من الناس ... إن الناس ينظرون إلى المرأة
 بعين تنقد شهوة وفسوقاً ، أما نحن فننظر إليها
 لنميد الله وتقدس أسماؤه . ونحن حين نحشى المرأة
 لا نحشاها لأنها عدوة لنا ، بل نحشى أن نفتن
 ونزل ونقع في حبال الشيطان الذي أقسم ربنا أن
 يقدم لعباده طريقهم المستقيم ... فنحن نستفيد
 بالله من الشيطان إذا وقع بصرنا على المرأة ، ليس
 لأنها عدوة لنا ولكن لأن الشيطان هو عدو لنا ...
 ونحن ننظر المرأة كأننا ننظر الدنيا التي غلاها بالفساد
 والماضي ، ولو عقل بنو آدم للملأوها بالطاعات
 والخيرات فتكون جنهم الأولى كما زعم لك صديقك
 صالح ... ولكن ...

— ولكن ماذا يا سيدي الشيخ !
 — ولكن ... لي معك كلمة يد الله قلته لك !
 — تفضل !
 — أنستطيع يا عبد القوي إذا أنت نظرت إلى
 المرأة ، غير طاق طبعاً — أن تجعل نظرتك للخير
 لا للشر ؟

— وكيف لا أستطيع ؟
 — هذا ما أشك فيه !
 — وهل تستطيع أنت يا شيخنا الجليل !
 — أنا دائماً أجاهد نفسي
 — ولماذا لا أجاهد نفسي أنا أيضاً ؟
 — هنا تفاوتت نفوس الصالحين ... ولذلك
 قلت لك إن كلنا صالح حق يؤدي إلى باطل يا صديقي !
 — وكيف أيها الشيخ ؟
 — لأننا لا نستطيع دائماً أن نقرن نظرنا
 إلى المرأة بالخير ... هذه مرتبة الملائكة التي أعيت
 أكثر البشر

لا ينبغي إلا من أعين المؤمنين الصالحين الخاشعين ،
الذين لا يستمنون على عبادة الله بغير أبدانهم وحرمان
نفوسهم ، ولكن يستمنون على تقديسه بالاندماج
الطاهر في الدنيا التي برأها وأبدع فيها الكائنات

وذهب صرة إلى قرية قريبة في عمل له ، فسمع
الناس يلججون بذكر رجل تقى ورع قوام الليل
سوام للدهر عزوف عن الدنيا ، تكفيه السمعة
إذا أفطر ، والزينة إذا نحل ، ونبتة الماء إذا غلى ...
لا يحرك لسانه بهجر ولا يرفع عينيه فيمن يكلمه ...
يطيل الركوع ويخضع في السجود ويسبغ الوضوء
ولا يفتر لسانه عن ذكر الله والتسبيح له

وعرف أن الرجل يتخذ صومعة في منبرج
قريب تحت حجرة باسقة عند شاطئ النيل ، فهو
يمرل الناس فيها فلا يلقاهم إلا لاما

واتوى الشيخ عبد القوي أن يزور هذا الرجل
الصالح حتى أن بنفسه الله بقاءه ، أو أن يقف منه
على سر عزله واستيعاشه ... ولم يشأ أن يصحب
أحدًا ممن عرضوا أن يذهبوا معه إلى الشيخ الصالح
بل شكرهم وآثر أن يذهب إليه وحده ... لأنه

يعرف من تجاربه أن الوحدة هي الطريق إلى البوح ،
ثم هو يعلم أن التأمل والاتحاد بالعالم لا يتلقهما
إلا فضول الناس والثرثرة التي هي فطرة في ألسنتهم
فا يلقون عنها إلا قليلا

وخرج الشيخ عبد القوي من مسجد القرية
بعد صلاة المشاء ، وتسلل من الناس ثم اتخذ سبيله
إلى شاطئ النهر

وكان الليل قد نشر طيلسانه فوق الكائنات ،
والقرية توشك أن تهجع إلا من بناح الكلاب ،

جميلة ... لماذا نبدو في هذا الظاهر الأشعث الأغبر
لنذل أنفسنا ونؤذيها بالهجر ، وكان خيرا لنا أن
نأخذها بالكرامات وحيد الخصال ... إن السبع
لا يزداد بالقائمة إلا شراسة وشمسا ... وهو بالين
والموادة يسلس وينقاد ويطأطيء لروضه ... إنما
ينبغي أن أذكر دائما أنني في نضال مع نفسي ...
لن أتركها تنتصر على ... لن أدع زمامها للشيطان
ولكني لن أأخذها بالخشوة والتهجر مع ذاك ... كلما
لقيت امرأة قلن أنظر إليها بشهواء ولا فسوق ...
إن المرأة الجميلة تحفة رائحة من صنع الله فينبغي
ألا ندنسها بانظارنا الشريرة ... والدنيا مثل المرأة
فيجب أن نغلاها بهجة ... إن اشتهاها للمرأة هو
مثل اشتهاها للدنيا ... الأول يدل على قصص في
طباقتنا كلما حاولنا إرواءه من النساء تضاعف ثم
تضاعف حتى يجرحنا ... والثاني يدل على طائفة من
عيوبنا من أبرزها الجشع والطمع والافتقار والذل
المقيم لمطالب الجسد من طعام وشراب وكساء ...
ونحن أمام هذين ننحط إلى مراتب الحيوان الأحمق
وننسى فضائلنا ...

وهكذا استطاع الشيخ عبد القوي أن يرسم
هذه الصوفية الجديدة ... وهي صوفية ممتونة سامية
لم يزخر على نفسه بلوغها بذنائر الشر وفوائده ،
ولا بهذه البهانة التفضاضة من الصوف الخشن ،
ولا بتلك النمل المصنوفة والسبحة الهائلة
وصرت الأيام ...

وبدا عبد القوي يبين الناس فتي أنيق البزة
رشيق المندام نظيفا ، لا تحمل ذقنه إلا شمرات ،
وينبت من عينيه هذا البريق العجيب الجميل الذي

يضئ في سمواتهم بهذه العبارة ، وهم يرددونها بعده
لكل كما سمعوها ،

وبرز رجل من كهف فجأة ، وأخذ هو أيضاً
بقول في إرتسيح الكروان : « اللهم مالك الملك .
لك الملك .. وأنت صاحب الملك .. »

وتلفت عبد القوي فاذا حياه رجل أشعث أغبر
قد أرسل لحيته حتى تهدت فوق بطنه ، وانتشرت
فوق ظهره ذوائب بيض كالندف ، وهو مع ذلك
أصلع عريض النكبين ، ويده مراوطة كبيرة كأنها
مراوطة نوح أو عصا موسى

ثم صرخ الرجل صرخة مدوية ، وأخذ يترنح
بينة ويسرة وهو يقول :

« الله — حى — الله — حى — الله — حى —
وكان يقولها في تلك النغمة الموسيقية المروعة
التي وقع بها المنشدون أذكارهم ، ورتلون
على جرسها أورادهم ...

ووقف عبد القوي مكانه باهتا سامتا مسبوها
لهذا الشيخ المتمرد الذى انشق عنه بطن الأرض
فبرز يشوه جال الطبيعة بصوته الأجش ويحته
المنكرة ، وإنشاده المختق ، ويكسب بصدأ حشرجته
موسيقى القمر وغناء الكروان

— للسلام عليك أيها المؤمن !

— حى — الله — حى — الله —

— اللهم لا حول ولا قوة إلا بك !

— الله — حى — الله — حى !

— الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... رويدك
يا أخى وترفق بنفسك

— حى حى ... حى حى ... حى حى ...

وإلا من فاك لضوء المريض التنبث من دكان البقال
الذى يبيع الناس ألف صنف مما يحتاجون
ما أعد رهبة الليل في صروج الريف ؟

لقد كان خرب المساء التدفق في التيل يمت
الربح في قلب الشيخ عبد القوي حتى لقد فكر
في أن يثنى إلى بيت مضيقه ، ويقذف إلى الشيطان
زيارة هذا الشيخ الصالح الذى أدنزل للعالم تحت تلك
الصفصافة البعيدة كأنها في عالم وحدها ...

وكان الظلام المماس يسل عفاريته في الهواء
الربط فلافتأ رقص فوقاً كوام السباخ وشواخص
القبور القورية .. لكن عبد القوي استماد بالله وتمم
بآيات من القرآن .. ثم ذهب لا ياب بهاول الليل
واقترب من الجزيرة ... فأرهف أذنيه عسى
أن يسمع تسبيح الشيخ الصالح المنكفئ نمة ...
بيد أنه لم يسمع شيئاً

وكان القمر قد أخذ يرسل أذنته المواكن
في الأفق الشرقى ، فيختلط الضوء النحاسى بقحمة
الليل ...

ومن وراء أحراج النخل البعيدة ، ظهر البدر
لشاحب فاهزت السكائنات غاشمة لهذه الآية من
آيات الله القدير ... ووقف للشيخ عبد القوي هو
أيضاً يفكر في خالق الأرض والسموات ، ويرى
النهر الجبار الأبدى يجري كأنه نهر الزمن لا ياب
لثوانى والمفاتيح والسباحات .. بل الأيام والعهود .

وأرسل الكروان المصرى الجليل شدوه في هدأة
الليل السامى ، فقال الشيخ عبد القوي منه « اللهم
مالك الملك . لك الملك وأنت صاحب الملك ... »
والفلاحون في ريف مصر يزعمون أن الكروان

- أجب ... أنا أعرفك ... أعرفك من زمن طويل !
- ومتى عرفني وأين ؟
- قل لي أولاً ... إن أعجبك حتى تقول لي :
- أقول لك ماذا ؟
- أين لحيتك الضافية السابقة ؟
- لحيتي ؟
- أجب ... لحيتك التي كانت أطول من هذه !
- حلقها !
- وله ؟
- لقد كانت تضانيقني !
- والكحلة ؟
- استنثيت عنها
- والسبحة ؟
- فرطت عقدها !
- ولماذا آثرت هذا المندمام الأثيق ؟ هل صبات ؟
- معاذ الله أن أفعل ! ألا تخبرني من أنت إذن ؟
- أنا ؟ ... أنا عبد الله !
- عبد الله من ؟
- ولماذا تلحف ؟
- أحب أن أعرفك ...
- لا حول ولا قوة إلا بالله ! سبحان الذي بدلنا يا عبد القوى !
- سبحان من بدلنا كيف ؟
- إذن ... قاهر أنني ... خدعني شبابيك ورفيق صباك ... صالح !
- وخطا عبد القوى نحو الرجل خطوات ثم أخذ يربت على كتفه يمينه ، والرجل مع ذلك كأنه يندول الساعة يهبط هنا ثم يهبط هناك
- ثم جذب عبد القوى جذبة قوية فتوقف الرجل ثم حلق فيه بصره وقال :
- إني الله ... لماذا تجذبني هكذا ؟
- أعتذر إليك إن أكن قد أسأتك
- ولماذا آيت إلا أن تقطع عليّ تأملاتي ؟
- أنا ؟ أنا قطعت عليك ... ؟ أي تأملات
- يا صاحبي ؟
- تأملاتي في خلق الله ؟
- لقد كنت تتأرجح وتعيد وتهتز ، أهذه تأملات ؟
- أسكت ... لحك الله أيها الشيطان !
- من ؟ أنا ؟ ... أنا شيطان ؟
- أنت أكبر الأبالسة !
- معاذ الله يا صاحبي ... ليس هكذا يكون خلق الرجل الذي انقطع لعبادة الرحمن
- من أنت ؟ هه !
- أنا ... أنا عبد من عباد الله سميت إليك لأزورك
- ما اسمك ؟
- ولماذا تريد أن تعرف اسمي ؟
- أنت عبد القوى ؟
- هل تتنبأ ، أم أنك تطلع النبي ؟
- لا هنا ولا ذاك ... لكني أعرفك !
- تعرفني ؟

- قال ذلك وكأنما ساخت قدماء في الأرض ، ثم
نشج نسيجا مؤلما ... واستمرت عيناه ... ثم
استخبط في البكاء ...
- ماذا ؟ هل تبكي ؟ ... ويك ... ؟ أنت
حقا صالح ؟
— ... ! ...
- لا حول ولا قوة إلا بالله !
— أجل يا عبد القوى ... أنا صالح يا صديقي !
وهذا حال !
- ممكنين أبها الرفيق !
— أين أنت أيها الأخ طيلة هذه السنين ؟
ليني ... ولكن ...
- ليتك ماذا ؟ ... لماذا قطعت كلامك ...
قل ...
- لا أجسر !
— لا نجسر ؟ ولماذا يا أخي ؟
— أخشى أن تنخسف الأرض تحتي !
— أترك يا صديقي هذه المواجهات التي تستمر
في قلبك فإله ولينا ...
- ليني يا أخي سرت في الحياة سيرتك ...
— أية سيرة يا صالح ؟ ...
— سيرتك الأولى التي كنت أحبها عليك !
— سيرتي الأولى ؟
— أجل ... سيرتك الأولى التي كنت تستعين
عليها بلحيتك وسبعتك ومكعبتك وهراونتك
وصوفتك الجاني الخشن ونسلك المخصوصة النليظة !
— أنت تحيرني يا صالح ...
- لا ... لست أحيرك ... أنظر يا أخي ماذا
أصابني !
— إن كنت تشتهي أن تكون مثل في الأيام
الخلو ، فإليك الآن أشد رهابة وأكثر تشفيا ...
فم تشكروا ؟
— أشكو أنني لم أكن كذلك قبل أن أعترض
عليك !
- لقد كنت تميب هذا الظهر على ، فما الذي
جعلك تؤثره على ما أحل لنا الله من زينة هذه
الحياة الدنيا ؟
- أوه ! ... لا أستطيع ... لا أستطيع !
— لا تستطيع ماذا ؟
— لا أستطيع أن أحرك بذلك لساني !
— هو سر رهيب إذن ؟
— رهيب جدا يا صديقي !
— ممكنين !
— ممكنين جدا !
— لكناك تمنب نفسك بالكتمان أضنان
ما تعذبها بالبوح ... تكلم ...
- هذا حق ... لكنني لا أستطيع ...
— يخيل لي أنك عصيت الله معصية كبيرة !
— أوه ...
— ولذلك فأت تخجل من الكلام !
— كل ما تقول ...
— صحيح ! أليس كذلك ؟
— أجل يا صديقي !
— لكنني أعذك أن أكنم ما تقول ، وأن

جسدي شيئا آخر... لقد ضاعت كل نظراتي التي
 كنت أبدعك بها فلا تستطيع لها ردا... لقد
 كنت أقول لك، لم لا تقرر نظرتنا إلى المرأة بالخير؟
 لم لا ننظر إليها فنبدد الله وبقدر أسماها؟ لماذا جعل
 من جمالها شرأ مستطيرأ تمنجنه وتتوقاه؟ لم تستمبون
 يا معاشر التصوفة على إذلال أنفسكم بارسال شعورك
 وإعفاء لحاكم والصوف الخشن والنمل الخسوفة؟
 إنكم تشوهون خلق الله الذي شاء أن يجعله جيلا
 موقعا وتأيون أنتم إلا أن تجعلوه بشعا كريها...
 هكذا كنت أقول لك.. وهكذا كنت أني عليك!
 وأسفاه! ليني كنت مثلك يا عبد القوى... ليني
 أرسلت الحقي وأعفيت شعري وأذلت نفسي بما أذلتم
 به نفوسكم.. لا.. لقد ذهبت أدل بشيائي وأنيه..
 وأتصدق بنظريات فارغة ما جعل الله لها سندا من
 الحق، وإن جعل لها رواء وإن جعل فيها خلاوة!
 لم أستطع يا أخي أن أصبر على حبا الذي غزا
 قلبي وعصف بنفسي، وزلزل وجداني... إذن،
 لقد غاظتها... ولم تمتص ظويلا على... فقد
 صديتها في شرك عككة من كلات النزول المسول
 وآهات الهوى المشتملة...
 وسهرنا الليالي...
 وتبادلنا القليل...
 ثم.. سقطنا!
 وضقت بها وبفسي حينما جاءها الخاض... ماذا
 أصنع؟! ألونها... لكن، لأنجو من جرمي...
 لأفك من الجريمة...
 ثم فردنا إلى جبة نائية. وفي الطريق. ونحت جنح
 الليل، جلسنا تحت صفصافة حيث وضعت!

أعينك على براك إذا استطعت!
 — أنقسم لي!
 — أنقسم لك!
 — إذن... لقد قتلت...؟
 — قتلت؟
 — أجل يا عبد القوى! أجل يا صديقي!؟
 — قتلت من؟
 — ولدي...؟... ولدي...
 — ولماذا أيها الرجل تقتل ولك؟
 — ألا تعرف لماذا؟ لقد أتيت به من سفاح
 يا أخي!
 — آه... خزيمة تله جريمة...
 — لقد خدعتني نظراتي في الحياة يا أخي!
 — كلا... لقد كنت أنت السبب في اعتناق
 هذه الصوفية الجديدة الهذبة يوم عنيت بالرد عليك.
 لقد كنت على حق يا صالح، ولم تكن قط على ضلال
 ولكن لم تخدني كيف سقطت هذا السقوط!
 — أوه؟ هذا حديث شاق يا أخي!
 — ليس شافا كما تصور... أوه... لقد تميت
 على ما يبدو... لم إلى كهفك السحيق تسترح به
 وكان القمر قد أطل وارتفع، وأرسل أضواءه
 ملء الكون... وكانت البرايا كلها قد أرهقت
 آذانها تصني للحديث وتلقفه... أليست هذه
 مأساة الجميع؟ أليس بسبب الانسان أمرا ثم يتردى
 فيها هو شرمته؟!
 — عرفتها يا أخي راية الالهة موفورة
 الشباب... لقد كانت فينا كالأهرة تيق بالحب
 في فؤاد كل من نظر.. حينما رفت إلى قلبت كياني..

- يا لله ... ! ربى ؟ لقد وسعت رحمتك كل شيء ... مسكين يابى ؟ ... ليتنى أبقيت عليك وأعترفت بك وذبحت فداك ... لقد خفت يابى أن تضعضعى حينما سمعت أول سيحنتك فى هذه الدنيا المنكودة فلم أبال أن أبض على رقبتك وأخفقت ! لماذا يابى لم أمت قبل أن أفعل هذا ؟ !
- مسكين يا صالح . والفتاة ؟ ماذا صنعت ؟ !
- لقد كانت تبكى على ولدها
- أهذا كل شيء .. ؟
- لا إنها طلبت إلى أن أقتلها
- هل ضلت ؟
- أجل يا صديق
- وواريت سوء نيتها ؟
- بل ألقيتها فى ...
- أين !!
- فى هذا النهر ... آه ... آه ... إنه ينتظر إلى ... إجنى يا عبد القوى إجنى يا صديق ... إن اللبيل يفرقاه لبيتلنى ! إني أسمع صياح ابنى وآلام حبيبتى ...
- مسكين ! ومن يدري !
- ومن يدري ماذا يا أخى ؟ !
- لا شيء ... ولكن ... خبرنى يا صالح ...
- ماذا ترجو بعد ذاك من الله ؟
- أرجو مغفرته يا أخى ! إلى أسوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !
- وهل ذلك يكفى لو فصلته ألف سنة ؟
- وماذا أصنع ؟ لقد مجزت عن حرب نفسى
- وبجاهدتها قبل أن أرتكب جرائمى ، ولو استطعت ما حصل منها شيء مما يروى الآن
- إن كنت تطمع فى مغفرة الله
- فإذا أصنع يا أخى
- فلا يكن أن تحيا حياتك هذه !
- وكيف ؟
- يجب أن يقع عليك اللقصاص الذى أمر الله أن يقع على أمثالك !
- أوه ! لقد فكرت فى ذلك ... !
- وما الذى طامتك أن تفعل ؟
- خفت أن أقتل نفسى !
- لو قتلت نفسك لكانت جريمة رابعة !
- إذن ...
- قتل نفسك لولى الأمر !!
- وربى غضبة

آلام فرتر

للساهر القيسوف جرمه الإنسانى

مترجمة بقلم

أحمد حسنى الزيات

وهي قصة طالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وعنها ١٥ قرشاً

- ومن يدري ماذا يا أخى ؟ !
- لا شيء ... ولكن ... خبرنى يا صالح ...
- ماذا ترجو بعد ذاك من الله ؟
- أرجو مغفرته يا أخى ! إلى أسوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !
- وهل ذلك يكفى لو فصلته ألف سنة ؟
- وماذا أصنع ؟ لقد مجزت عن حرب نفسى

كنت من الذين تصاب أوتار الصوت عندهم بالشلل عند رؤية رجال البوليس

وكان هذا الجندي طويلاً جداً عريض الأكتاف قوى الجسم والنظرات أحمر الشعر مهبب العظمة في نظري على الأقل ، وكان ينظر إلى

القضاء كما كثر رجال البوليس حيناً يرون سارقاً أو قاتلاً لا يستحق التشريف ينظرون إليه

فلما اقتربت منه رمقني بنظرة كمنظرة علماء الحشرات تحت المهر فلاحت زرقه عينيه واتساع ذقنه وبروزها

ولم يكن من عادتي دعوة رجال البوليس إلى الاشتراك في حديث : أولاً لأني أخشاهم ، وثانياً لأني قصير القامة نحيل وأعد من الأمور الهينة لي أن أقف ثانياً رأسي إلى الوراء لأتمكن من عادة المراقبة الطوال ، لكنني الآن تحت تأثير الحجر وجدت في نفسي ميلاً إلى تحية هذا الجندي لا لأحده ، ولكن لأتق عليه السلام ثم استمر في طريق . وقد يكون هذا الليل من جانبي مظهماً واضحاً من مظاهر الخوف .

قلت : « سمد صباحك ! » فأجابني الجندي وقد سر من تحييتي إياه سروراً كان يحاول كتمان : « سمد صباحك ! »

قلت وكنت لا أريد أن أحدث ولا أن أفاخر ، ولكن لأشرح علة وجودي في الطريق في مثل هذه الساعة : « لقد كنت مدعواً إلى وليمة فتأخرت للآن » فنظر إليّ الجندي نظرة طويلة وقال :

« وهل أنت من سكان هذا الشارع ؟ »

قلت : « نعم في المنزل رقم ٢٨ » فأشار لي الجندي

النافذة المفتوحة

عن الأنجلو
بقلم الأستاذ عبد اللطيف المنشار

وقفت لحظة في منطف من شارع « كريكت جراوند » لأشمل غليون وأشكر نعمة الله عليّ أنني غير متزوج ، لأنني في حياة العزوبة استطعت أن أقضى هذه الليلة الساهرة ساهراً إلى منتصف الساعة الخامسة صباحاً فأشهد طلعة الفجر في اليوم المقبل الجبل من أيام شهر يونيو . وكنت إذ ذاك في طريق إلى المنزل بعد وليمة دعيت إليها في بداية الليل فتمتعت بالطعام الشهى والمشروبات اللذيذة . وكنت رجلاً كسائر الرجال غير خال من الهم ، ففي ليلة كهذه تفرج عن النفس وسرور ومثمة قلما ينسيان بعد عدة أعوام . وفضلا عن مسرات هذه الليلة فقد اشتركت فيها في لعب القمار فكان حظي حسناً وفوق الحسن

ثم مشيت وأنا أتفي طروباً مرحاً ولكن لا تحسب أنني كنت أرفع صوتي بالفناء في مثل هذه الساعة فألقني راحة الناعمين لأنني كنت أوفر أدباً من ذلك بل كنت أغني بصوت رقيق لأرضي طامعني التي يمتها في نفس نشوة الحجر ونشوة الكسب في المقامرة . وإلى آخره بأن تأثير الحجر في نفسي كان شديداً جداً وإن كان لم ينسني إلى ذلك الوقت طريق إلى منزلي ولم يسلبني قوة التفكير

ولما وصلت إلى شارع « لا بورنم » رأيت جندياً من جنود البوليس فاحتبست الأغنية في حلق لأنني

النافذة في هذا الوقت. فلما وقف الجندي أمام الباب قلت له : « إذا كان بالنزل لص واحد ساعدتك عليه؛ وإن كان به لسان قبضت على واحد وأنت على الآخر وإن كانوا عدة لصوص استمعت في على الاستنجاد بمجنود أخرى »

فلم يجيبني الجندي ولكنه دفع الباب فوجده مفتوحاً ودخل فدخلت وراءه بغير دعوة . وكنت في أثناء سيرى أراقب الأثاث وقد أعجبني بناء المنزل ولم يسجني لأنه قلت للجندي : « هذا فراشي رث وإن منزل إحدى الخدم لأفضل . . . » فلم يدعني الجندي أعجم جلتي بل زجرني بلفظة حادة ونظرة أشد إزعاجاً لنفسى ، فزيت القسمت وتبته إلى الغرفة التي رأينا فيها النافذة المفتوحة ، فانا بها مكتب المستر ترول ؟ ولحت أدراج مكتبه مفتوحة وأمرني الجندي بالوقوف في مكاني وقدم هو :

وكانت هذه أول مرة خالفت فيها أوامر البوليس لأنني لو بقيت حيث كنت لما تمكنت من رؤية الجسم المدد على الأرض ، وتبته الجندي فرأيت

قال الجندي : « أهذا هو المستر ترول ؟ »

قلت : « نعم هو وأري رأسه ماثلاً بشكل غير طبيعي . فقال الجندي : « إن رقبته مكسورة ولا بُدَّ أن يكون الذى لواها قد فعل ذلك من وقت قريب » قلت : « إن الذى فعل ذلك قد أراح الدنيا من شرير كبير ، ولا شك أن كثيرين سيفرحون عند ما يصل إليهم هذا الخبر »

وقلت : « نعم فقد كان الرجل مرابطاً يتر في وقت عمله أموال الساكين ويتجر بالفضائح ليحاول الكسب أيضاً عن طريق التشهير بالناس وإذاعة أسرارهم » فقال الجندي : « هل كان الرجل سيئاً إلى هذا الحد ؟ »

إلى المنزل الذى أمامه وقال : « وهل تعرف القيم في هذا المنزل ؟ » فنظرت إلى منزل جميل صغير الساحة له حديقة أنيقة وقلت : « نعم هذا المنزل رقيم ؟ يقيم فيه المستر « الأريك ترول » هل يجب أن تتعرف به ؟ » فقال الجندي : « هل هو صديقك ؟ »

قلت : « إنه ليس صديقاً لأى إنسان » فتأمل الجندي في المنزل لحظة ثم قال : « إننى أستغرب بقاء هذه النافذة مفتوحة في مثل هذه الساعة » وأشار إلى نافذة قلت : « إن نظرك كنظر الصقر ولكن لا أظن أن من حق أحد أن يسأل المستر ترول عن فتح نافذته »

قال الجندي : « هذا صحيح ولكن هذا وقت غير مناسب لفتح النوافذ وأظن أنى رأيت النافذة مغلقة ساعة مررت بالمنزل منذ عشرين دقيقة » قلت : « إن المستر ترول رجل شاذ ولا يبعد أن يكون قد تمهد فتح النافذة الآن ليستنشق نسيم الفجر في هذا اليوم الجميل »

فتأمل الجندي في وجهي لحظة وقال : « يظهر أنك تعرف الشيء الكثير عن هذا الرجل فكيف مع ذلك تقول إنك لست صديقه ؟ »

قلت : « لقد أخبرتك بأنى لست صديقه وبأنى لا أظن له صديقاً في العالم؛ ولو أنى خيرت بينه وبين كلب أمور أخرج لقبحت في الحال لأشتري طوقاً للكلب . إننى لست صديقه ولكنى أهرفه كما يهرفه عدد كبير من الناس »

قال الجندي : « أهذا وصفه ؟ إننى على كل أرى فتح النافذة الآن أسراً غريباً » ثم عاد إلى النظر نحو النافذة ومشى مسرعاً نحو منزل المستر ترول مشيت وراءه لأنى لم أكن متوجلاً في الذهاب إلى منزلى، ولأنى كنت مثل الجندي أستغرب فتح

السرى وقدمت لى ابنها فوجئت ساعة رأيتها وصاحته دون أن يفوه كلاماً بحرف

وانتهزت فرصة غفوت به فقال : « لا تذكر شيئاً لأنى عن سابقة لقائك لى فانى لم أخبرها »

وكان ابن خالى هذا هو الجندى الذى اجتمعت به فى منزل القنيل

ثم صارحته فقلت : « لقد عثرت ساعة كنت تتسكلم فى التفون على زر من أزرار سترة عسكرية تحت ذراع القنيل فوضمته فى جيبى وهذا هو » ثم أريته إياه

وقلت : « وقد نسيت به بعد ذلك نظراً لحالة السكر التى كنت فيها . ولكنى تنهيت له بعد انتهاء القضية . وأظننى فهمت بعض الشيء »

فانقسم ابن خالى وقال : « هو زر سترى وأنا الذى قتلته ثم عدت إلى الوقوف فى الطريق متربحاً رؤية سكران مثلك برى . لأستشهد به على ملاحظتى رؤية النافذة المفتوحة واستكشاف الجريئة . ولكنى لم أكن أريد قتل هذا الرجل بل أخذ أوراق عتده لأنه كان يهدد أى بالتشهير بها لأن لديه خطابات منها . وكانت أى تسكنه بالمال حتى لم يبق لديها شيء منه فذهبت لأحصل على تلك الخطابات ولكن الرجل كان ضيقاً فلم يتحمل تهديدى ومات بين يدي ، وأندكر أنك حدثنى من قريب لك اضطر إلى الاستدانة منه ثم سرق بسببه ليوفى باقى الربا المضاعف منها . أنا هذا القريب . وقد تطوعت فى خدمة البوليس من أجل هذا الفرض .

وعلى الرغم من أنى لم أكن أميل إلى الاجرام فلم يسعنى إلا تهنية ابن خالى على قتله هذا الشرير وعاهدته على بقاء سره مكتوماً . وقد كتمته حتى مات ابن خالى بعد عدة أعوام

عبد الطبيب النشام

قلت : « نعم ولو لم يقتله قاتله القيلة فانى أعرف نحو خمسين من غير الجرمين يودون لو يقتلوه ؟ ثم هم مستعدون بعد ذلك لتعصبل جزاء القتل لى يرمحوا العالم منه . وقد علمت أن شاباً من أغاربى اضطر إلى الاستدانة منه وكان هذا الشاب لا يزال صغيراً جداً فلم يزل يدفع من أقساط الدين ما بلغت جلته نصف ما استدانه ، ولكنه ظل مدينياً بعد ذلك بجزء كبير من الربا . وضايقه « ترول » ليضطره إلى الوفاء فاضطر هذا الطائش إلى سرقة مال من المصنع الذى كان يشتغل به ووفى دينه ، ثم هرب لا وقت عليه الشبهة ولا يزال أهله يبحثون عنه فلا يجدونه من نحو عشرين عاماً

وكان الجندى يصنى إلى قصتى باهتمام ثم خطر ببالى خاطر فقلت : « لعلنا بالتحدث الآن عن حياة هذا الوغد نفعل غير الذى ينتظره القانون من رجلين استكشفا جريمة فى الساعة الخامسة . ألا نستدعى الطبيب ؟ » فقال الجندى : « هل تعرف مكان التفون ؟ » فأشرت إلى غرفة الجلوس وذهب وأصرنى بالبقاء حيث أنا حتى يعود .

أخذت القضية مجراها فلم تهتد النبابة إلى شيء وقضت بأن القاتل مجهول

وبعد بضعة أسابيع وصل إلى كتاب من خالى فى بلدة قريبة فى الريف تدعوى فيه إلى مادية ، فسافرت وكنت قد علمت قبل ذلك أن ابنها الخائب منذ عشرين عاماً قد عاد من أمريكا فجلست غرضى من إجابة الدعوة أن أهنئها وأرى ابن خالى الذى أوقعه سوء الحظ فى شبابه فى نكبته تلك التى اضطرته إلى الفرار

وتلقتنى خالى بالثاق وعرفنى بسائر المدعويين وكلمهم من على القوم الذين كانوا أصدقاء لزوجها

ولكن هيات أن تكفى هذه
الكلمة للدلالة على ثروته، فهو
يملك خمسة آلاف فدان في النيا
ونصف مليون من الجنهات
تقدأ في البنك الأهل، وعمارة
النياوى للشهيرة بشارع الملكة
نازلى بالقاهرة. هذا غير الأهم

الإبراهيم الخنزير
أقصوصة مصيرية
بقلم الأديب نجيب محفوظ

والسندات مما لا يعلم عده إلا الله
فصاح الشاب وقد تملكته الدهشة :
— يا سلام سلم
فقال الشيخ مبتسما :
ألا تعلم أنه الآن حميد أحرق أسرة بالنيا ؟ ...
هو الابن الوحيد المنفوق على لباشا النياوى الذى
كان وزيراً للأوقاف، وحفيد محمد باشا النياوى أحد
النظار في نظارة نوبار باشا
فنها الشاب عن عده لحظة ثم قال متسائلاً :
— والظاهر من خطابه أنه متعلم
فأمن الرجل على قوله قائلاً :

— إنه حاصل على شهادة الحقوق المصرية .
وعلى أعلى شهادات فرنسا في القانون . والحق أن العلم
والمال من بعض تراث أسرته البريقة ...

وانتهى عند ذلك الحديث وودعه الشيخ وذهب
إلى حال سبيله . وأحس الشاب رغبة في المشى بمد
طول الجالوس في السراى المكنت ، فسار إلى غير
وجهة مملومة ينتقل من طريق إلى طريق كيفما
اتفق، وخواطره تهم حول الشاب السعيد وما قاله
عنه الشيخ إبراهيم . وانتهت به قدسه إلى محطة
النيا . وعند اقترابه من بابها الخارجى وقفت أمامه
سيارة فخمة ، وقفح بابها وإذا بالخارج منها الوجه

كانت المرة الأولى التى رأى فيها عبد الرحيم
افندى جاد الكاتب بناية النيا الأهلية الوجه السرى
محمد بك النياوى في الاجتماع الانتخابى الذى أقيم
للدعوة للبك الوجه . رآه واقفاً على منصة الخطابة
بأقى الخطاب الختلى فأننى على من تقدمه من الخطباء
والشراء الذين أخرجوا تواضعه ، وشرح برنامج
الانتخابى الحرى بأن يصلح أنما برمتها شرعاً مسهباً
في أسلوب خطاين رائع قبول من ألوف الحاضرين
بالتصديق الحاد والمهتاب التواصل ، ولكن عبد الرحيم
افندى لم يؤخذ بمنطقه قدر ما أخذ بجمال وجهه
الفنان ، ولم يتحمس لبرنامج الانتخابى بعض تحمسه
لشبابه الفض وقامته الكاملة وقوته البادية . وانفض
الاجتماع وغادر المكان وخياه لا بى يتشبث بصورة
الشاب الجليل ، الذى لم تقع عينه قط على إنسان يعائله
حسناً وشباباً وقوة . وكان يدير إلى جانبه الشيخ
إبراهيم سليم المعلم بالمدرسة الإلزامية وهو شيخ
متقدم في السن قضى من عمره سنين طويلة في النيا
فقال له :

— مرشح دائرتنا عظيم لا نظير له بين الشباب ،
ويتبدو عليه النعمة ... هل هو غنى ؟

فقال الشيخ إبراهيم :

— غنى ! .. نعم يا بى غنى وما غنى إلا الله .

لحوم وطيور وعاكة . وإن أراد شرباً فله ما يشاء
من ماء للثبل وماء فيثي والكونياك والشمبانيا .
وإن أتى إلى مشاهدة فالأرض جميعاً من الأسكندرية
إلى البندقية ، ومن سويسرا إلى اسكتلندا تفتح
له ذراعها وتمنائه ... فيا للقوة ... ويا للحرية ...
ويا للسعادة ... !

رباه ... وما نصيه هو من الدنيا ؟ ... !
وحين خطر له هذا السؤال علت شفثيه بإسماعة
ساخرة صريرة .

ما هو إلا هيكل عجيب ، شاحب اللون ، غائر
العينين ، بارز الفكين ، متهافت البنيان ، يستقبل
الفصول الأربعة بيذلة واحدة لا تتبدل حتى ييأس
منها الرقاء يتكشف فيها شتاء كمتصفر يتق البرد
تحت غصن شجرة عار ، ويشوي فيها صيفاً في جو
الصعيد الحاقق ... وهو ابن جادرسوان البائع النائس
بمحل عطارة الماوردي بالنورية ؛ والله وحده يعلم من
هو دسوان جده ، فلو كان شيئاً يذكر ما أتى أبوه
على ذكره استلزاماً من الصمت الأليم . وأما تزوجه
فهي ستة جنهات شهيرة . رسل منها لوالده ثلاثة
لتسنيه على معاش أسرته المكونة من عشر أخوات
وعثنين . فهو على يؤسه وفقره ليس الابن الوحيد
لجادرسوان ، وإن كان محمد بك النياوي الابن الوحيد
للي باشا النياوي . وبقى له ثلاثة جنهات يدبرها
حياته من مسكن وما كل وملبس . وإن كان يدبر
لشيء غير هذا فهو القول المدمس والطعمية والطياطم
والجبن الروي ، فهي غناؤه طول أيام الأسبوع
إلا يوم الجمعة جملة عياداً بهيجاً فيذهب فيه إلى
« لوكاكة الأسماء » ويطلب أرزاً ونصف رطل
كباب ونصفاً من الحضر تشتد حيرته عادة قبل
(٢)

محمد بك النياوي وفي محبته غادة هيفاء مياسة
القد ، بادية الفتنة ، وهبها الله عينين ساحبتين جمع
فيهما ما وزعه على عيون الحسان النوان من الفتنة
والروعة . وكانت ترتدي مطفأ أسود ويزين وجهها
البرقع الأبيض الشفاف الذي تتمسك به سيدات
الأسر التركية النبيلة ؛ فأحس بقلبه يكاد يقفز من
صدوره ، ولبت مكانه واقفاً ذاهلاً غافلاً عما حوله
حتى غيبتها عن عينيه الساهيتين باب المحطة . ثم مضى
ثانية في سيره وهو لا يشك في أنه رأى الوجه
مع زوجه

وشعر عبد الرحيم بقهر غريب لا يجيده
إلا المظلومون المظلون على أسرهم . وخال الدنيا عدواً
يتكبر به ويشتق منه . فأحس نحوها بكراهية صريرة
وتغرد مكتوم لا يجيد منفذاً بنفس منه عن كربه .
وانطوى على نفسه كأنه يرغب في مقاطعتها تنالاً
عليها . والحق أنه يمجز كل الدجز أن يصلها صلة تجبل
له فيها قيمة أو شأناً . وتساءل متكرراً غاضباً : كيف
أمكن أن يوجد الكمال على الأرض ؟ ... كيف
غفل الدهر من هذه السعادة التتامية ؟ وكيف
جهلت الأحزان الطريق إلى هذه الجنة الآمنة ؟ ...
ألا من عيب يشينه ؟ ... ألا من نقص يمتوره ؟ ...
جمال لم يكتس بثقله وجه رجل من قبل ، وصحة لم تمتنع
بمثلاها جسم إنسان ، ونسب يردد غفراً وتهاً كلاً
أوغل في الماضي المجيد ، وثروة لا يحيط بها حصر
ولا يفنيها الدهر ، وزوجة تسير السعادة بين يديها
سير الشماع النير بين يدي الشمس السافرة . ومستقبل
بأس مشرق بالآمال يبشر اليوم بالنيابة وغداً بالوزارة
والدنيا جميعاً طوح بإشارة من يده . تعطيه ما يشاء
حين يشاء ، فإذا اشتهى طعاماً فدونه وما يحب من

وتساءل : ترى هل يوجد في هذه الخليقة من يشمر
بآلاى ... ؟

ولكن كانت السماء جامدة متعالية ، والأرض
صلبة خرساء ، والناس منشغلين بنهمهم . فأحس
بمزلة قلبية موحشة . وخلال نفسه ميتاً في قبر مظلم ،
وعاد إلى حجرة الكتيبة كاسف اللبال ، تنطوى نفسه
على غيظ قاتل . وثورة جامعة وحسد أليم ضاعف
أثقال حياته ، وجعلها سلسلة متصلة من الغضب
والسخط والتبريم

والواقع أنه كان مقدراً له أن يرى من حقائق
الدنيا أعجب مما رأى . واستطاع وهو جالس إلى
مكتبه الحقيق أن يطلع على أسرار حسنها عقله الشارد
لثباته أعجب ما في الدنيا من عجائب ...

أند كحادثة الصراف حسين عارف الذى اختلس
عشرة آلاف من الجنيهات منذ شهر ؟ لقد اتضح
للمحققين أن التهم تمت بصلة القرى إلى الوجه
محمد بك النياوى ، فطلبوا إلى نيابة النيا إجراء
اللازم للاطلاع سرأى على الخطابات الواردة للبك من
جميع أنحاء القطر لمل وعسى أن يمتروا بينها على
خطاب من اللص الهارب . يهدون به إلى المنطقة
التي يلوذ بها . وكانوا قد شدوا الرقابة على الحدود
فندا اللص محصوراً داخل القطر عرضة لقيود
البوليس في أى وقت . وظنوا لذلك أنه ربما دفعه
الخوف واليأس إلى الاستغاثة بقرية ذى النفوذ ...
وكان الأمر خطيراً ، لأن انتهاك حرمة
الخطابات إجراء لابلجأ إليه المحققون إلا في ظروف
قاسية دقيقة ، وزاد من خطورة ما يتمتع به البك
من منزلة سامية في البيئات المالية والأوساط
السياسية . وعرضت النيابة المسألة على القاضي ،

اختياره ... ومن الغريب أن نفسه كانت تهوى
الحركة والتنقل والمغامرات الجديدة ، وتبرم بالعمود
والجمود ولون الحياة الذى لا يتغير ولا يتبدل ،
ولكنه لم يعلم بمواقع البلدان إلا في كتاب الجغرافيا .
وأن له أن يراها وكامل بنوه بالفقر وسلاسل الوظيفة
الرهقة التي تحلبه وقته كله ونحتم عليه أن يكون
رهن إشارتها آلام الليل وأطراف النهار ؟ ... ولشد
ما يمزج الحرمان ويقتله التبريم . ولشد ما تتوزع
قلبه للشهوات وتنتب به الأحلام والأخيلة ، وكمن
عمره يكون جالماً إلى مكتبه بدار النيابة ، ثم يتشرد
عقله فتغيب عن حنيه الأوراق والدفاتر ، ويخال
الكتيب مائدة طعام حقت بما قد وطاب من فرائح
محمرة ولحم مشوى وفريك بالحمام والبطاطس والرز
والهلبية والبقلاوة والكنافة . أو يستحضر له خياله
صوراً قاتنة مما علق به في الطريق فيرى صدراً ناهداً
أو ردفاً قتيلاً أو لحظاً كيلاً أو ساقاً ممثلة . وربما
جذبته الأوهام إلى وديان ببيدة فيخلق لنفسه دنيا
على هواه ويندمج فيها اندماجاً كاملاً ويستسلم
لأحلامها السعيدة ويظل كالنائم حتى يستيقظ على
نداء زميل أو دعة جوع ...

ولكنه كان على كل حال يسلّم — في أوقات
يقظته — أنها دنيا خيال لا تتحقق على الأرض
أبداً ، حتى رأى النياوى بك ، فأمن بأن تلك الدنيا
التي حلم بها لنفسه تحققت في عالم الحقائق لغيره .
ودفع ما كان يظنه معجزة

وحين انتهى من هذه الموازنة النعمة بينه وبين
الشباب الوجه نهد من صدر ثقيل ، ونظر فيما حوله
إلى السماء والأرض والبيوت والحدكاكين والسابلة ،

وأما الخطاب الثاني فكان مختصراً لا يشق غلة
 الطفل ويدل على مخرج كاتبه ولكنه كان عظيم
 الدلالة وقد جاء فيه ما يلي « ... لماذا تشكو دائماً
 يا بني العزيز .. لماذا تكتب إلي دائماً هذه الكلمة التي
 ينفر منها قلبي أشد انفرور: (ليت الله يأخذ ثروتي
 ويهبني السعادة) والحق أقول لك أن قلبي لا يسلم
 بوجهة نظرك . وأنا على كل حال أمك ، ويعني لي
 أن أقول إنني في هذا الشأن على الأقل أعظم منك تجربة
 ومعرفة ، لذلك تلمعي نفسي بأن التوفيق بينك وبين
 قريبتك ليس أمراً مستحيلاً كما تقول وتؤكد .
 فأرجو أن تثبت قبل أن تخطو تلك الخطوة الأليمة
 التي لم تنكب بها أسرتنا من قبل . وإني أقترح عليك
 أن تنفصلاً مؤقتاً عسى أن يشوب كل منك إلى رشده
 ويدير أمره بما يصون كرامته ويحقق له السعادة . »
 ولبت عبد الرحيم زمناً لا يدري كيف يصدق
 ما طالت عيانه ، ولا كيف يفتيق من الدهشة والحيرة
 اللتين استولتا على عقله . ومضى يتساءل تسأول
 الجيران هل حقاً أن ذلك الشاب الذي رآه منتصباً
 كالطود على منصة الخطابة عليل سقيم ؟ وهل حقاً
 أن مرضين ويبلين يهدان شباباً للنقض بالبول
 والعماء ؟ وهل حقاً أنه مضطر إلى الزهد الأبدى
 في أطيب الطعام والشراب ليدفع عن نفسه غائلة
 الهلاك ولا ضحلال ؟ ولئن خلق نعيم الدنيا إذن مادام
 يمز على الفقير ويؤذي النقي القادر ؟ ... أيكون
 وهو الضعيف التهاك الذي لا يستطيع أن يتق
 شراً أو يدفع بلية أسح منه بدناً وأكل حافية
 وأهناً حياة .
 إنه على أي حال لا يشكو مرضاً ولا يعاني مر
 السوء وألم الحزن . نعم إنه لا يستطيع أن يأكل

وأذن القاضى للنيابة بفحص الخطابات بعد اقتناعه
 بوجهة نظر المحققين ...

وكان عبد الرحيم يتتبع سير التحقيق باهتمام
 شديد . فلما انتهى إلى تلك النهاية تهدأ ارتياحاً
 وأحس بفرح أثم أن تتاح له فرصة الاطلاع على
 خطابات محمد بك الخصوصية . أليس هذا انتقاماً
 شافياً من الذي خلقته الدنيا عدواً له وغريباً ... ؟
 واستطاع بالفعل أن يطلع على الخطابات التي وردت
 للبك في فترة التحقيق ، وكان مرسلوها إما من
 الأصدقاء أو التجار أو بعض شباب الحزب الوطني
 ولم تكن تحوى شيئاً ذا بال ، ولكن أرادت المصادقات
 أن تكتب إلى البك أنه في تلك الفترة خطابين
 غريبين قد ينسى عبد الرحيم افندي ماضيه وحاضره
 قبل أن ينسى مدلولها . وقد جاء في الخطاب الأول
 بعد القدمات الممهودة ما يلي « ... أخبرني الدكتور
 بأنك لا تنفي باتباع نصائحهم وتعاليمه المعنوية المروجة ،
 وأنت تهانون أحياناً كثيرة فتأكل ما تشهيه
 نفسك وربما تباطأت عن تجديد الأدوية ؛ وقد يبالغ بك
 الاستهتار ألا تتماطلي الحفن في مواعيدها المقررة .
 والله وحده يعلم بما أحدثه كلام الدكتور في نفسي
 من الحزن والأسف . لأنني أدري خطورة السكر
 وضغط الدم وخاصة إذا اجتماعا . فخذ حذرك يا بني
 العزيز ولا تهمل صحتك واتبع بدقة تعاليم الطبيب
 مهما كانت قاسية ، فلا تذق اللحوم ولا الصلصة
 ولا المواد الدهنية ، وامتنع بتأنك عن تناول المشروبات
 والحلوى ، وواظب دائماً على تماطلي الهواء عسى الله
 أن يبقيك شراً للمرض ويصون لي ولك شبابك .
 واذكر دائماً أن أي إهمال لتعاليم الدكتور هو بمثابة
 قضاء أبدي على بالحنن والألم »

شكوى البك أن الزوجة هي المتجنبة عليه .. فهل جنت هذه الشابة الحسنة فهي لا تبصر ولا تنقل ؟ كيف لا تحب هذا الشاب الكامل ؟ . وإذا لم تحب عمك بك الليناوي فمن عسى أن تحب من الرجال ؟ .. وبدت له هذه الأسئلة التي يراها الجربون غاية في التفاهة والابتذال أنفاً مستمعية على كل حل ومحاجبات خارقة تمحل المعجزات ، وتوهم عقله المريض الذي أنهكه الحرمان أن هذه الحقائق دليل على الانتقام الإلهي من الأغنياء . فالدنيا تطعيم مالاً وجاهاً والله يسومهم سوء العذاب والمرض ، ولكن لماذا لم ينف الفقراء من خيرية الشقاء والعذاب ؟ ومهما يكن من الأمر فإن عبد الرحيم لم يشعر نحو غيره شيء من الرحمة أو الإثراء ، وعلى العكس من هذا وجد في شقاءه شقاء لحفده وسخيمته وعزاء عن حرمانه وقهره ...

وقد التقي في ذلك الوقت بالشيخ إبراهيم سليم فأفضى إليه بالسر الزهيب وقال له دهشاً وهو يضرب كفاً بكف :

— أنظري أستاذ إلى محاجبات الدنيا ! ولكن الشيخ إبراهيم هز رأسه استهانة وقال برزاقته المبهودة :

— ألم نسمع يا بني بالقول الحكيم : (لو اطلمن على النيب لاخترتم الواقع) وهأنذا نطلع على خبيثة أكبر الناس حطاً من حسد الناس فكيف نجده أحق بالإثراء مني ومنك . . . أليس كذلك ؟ فتغلب طبع الشاب المريض عليه وقال بمحبة :

— كلا يا شيخ إبراهيم . لست أقل منه شكوى أو شقاء . بل إن شقاءه يهونه للسال أما شقاؤى فلا يهونه شيء ، أتقول اخترتم الواقع ؟ ... كيف

ما تشفيه نفسه ولكنه يتناول يوم الجمعة ما لا يستطيع أن ينوقه البك الوجبه إلا ويمرض نفسه لشر المرض وقدره . وقد نتاح له فرص سميدة فيدعي مع موغلي النياية إلى ولائم وأخيرة لتناسبات الترقى والملاوات فيأكل بشهوة نهمة ويشرب بشراهة مفترسة غير متحرج ولا خائف حتى ينتفخ بطنه ويفقد التلظى والقدرة على الحركة .

يا محباً ! فما فائدة المال ؟ .. كيف لا يبق صاحبه شر المرض والمحاف ؟ . . . وكيف لا يشفيه إذا أصابه سوء ؟ .. كيف ينسل حزن من أحزان الدنيا إلى بيت تتمر خزانته الذهب والفضة ؟ ...

على أن ذلك جميعه بدا لناظره قافها إلى جانب الحمجية الأخرى التي يدل عليها الخطاب الثاني وتساءل في تهييب وخوف وعدم تصديق ترى هل يفرق شقاق بين قلبه الوجبه الثرى والتادة الحسنة التي رآها تخطر إلى جانبه كلاك كريم ؟ .. ياله من تساؤل سخيف بيد عن التصور . ومع ذلك فما الذي يدل عليه خطاب الأم الثاني ؟ ... وياه .. أي شيطان ما كراستطاع أن يسي بالفاسد بين هذين الخلوقين الجميلين ؟ ... أيطمع البك في امرأة تفوق زوجه حسناً وجمالاً ؟ . أم تتوهم الزوجة أنه يوجد بين الرجال من يفوق زوجها شباباً وثراءً ومكانة ؟ .. فما الذي عكر صفوحياتهما وجعل البك بجار بالشكوى ويسارح أنه بأن التوفيق أصبح مستحيلاً ؟ ما الذي جعل البك المجنون يتمنى الفقر الذي لا يفقه معناه ويزهد في ماله وجاهه ؟ ..

واشدت به الحيرة وغلبه القهر ومضى يضرب أخماساً لأسداس ... ترى أيهما المسئول عن هذا الشقاء الزوج أم الزوجة ؟ ... أليس الظاهر من

وقلت لنفسي جاداً: حري بمن كان حاله كحال الأبا كل
إلا كذا من الطعام وألا يرتدى إلا كيت وكيت
من الثياب وأن تقتصر ملاهيه على هذا وذلك من
الملاهي البريئة . وانبت نظاماً دقيقاً لا أحيد عنه
ولا أنطلع إلى سواء حتى أنه لا يوجد من الطعام
في الدنيا إلا ما آكله ، ولا من الثياب إلا ما أرتديه
ولا من الملاهي إلا ما أتلهي به . فلم أرمق بعين الحسد
من فضلهم الله على بالكلاء والنعيم وتمزيت بذكر من
فضلي الله عليهم فقدر لهم حظاً دون حطلي وعشت
حياتي قائماً سعيداً لا يني لساني عن الشكر والحمد .
ولكل حياة سعادة توائمها يستطيع الإنسان أن يفوز
بها إذا راض نفسه على الرضاء والقنوع وسداد
النظر . ولو أنني تركت نفسي تهيم في وديان الأمانى
والأحلام الخلب لأستلنى شقاء وشكوى ولم نجدني
شكوي شيئاً ... فقال عبد الرحيم بتمرد جامع :
« إذا كانت هذه هي القناعة فعي الموت . وأنا
لا أدري ماذا كان يكون حال الدنيا لو أمنت بمحنتك
هذه . هل كانت تكشف أسرياً ؟ هل كانت تستفل
الناسم وتستمر الأراضى ؟ ... هل كانت تقوم
الثورات وتخلق اللبادى والأنظمة ؟ .. هل أستطيع
بالقناعة أن أكل ما تشتهي نفسي ، وأن أسعد
أخواتي وأبي ، وأن أشفي في أسوان وأصطاف في
الاسكندرية ... وأن أزوج امرأة حسناء وأخلف
بين وبينات .. ؟ هل السعادة أن أقنع نفسي بأنه
لا يوجد طعم في الدنيا سوى الطعمية والفقول
للحمس ... وأنه لا توجد بها ثياب إلا هذه البذلة
للقدرة للهلهلة ... وأنه لم تر فيها نساء قط ؟ ... »
فضحك الشيخ إبراهيم وقال :
« المسألة قناعة أو لا قناعة . والذي لا يقنع

أختار الواقع إذا كان ييسر أمانى مستقبلاً مظلماً
فانها وفقر مدحاً ويضع على طاق أبا شيخاً وعشر
أخوات وعنتين ؟

فقال الشيخ :

— إن الله لا ينسى مخلوقاته : ألا ترى أنه رزق
الطير على فصوص الشجر ويظم النمل في سراديب
الأرض ؟

— أرى حقاً أن النمل يجد رزقه سائناً ،
أما عبد الرحيم جاد الكاتب بنبأية الدنيا الأهلية
فلا يذوق اللحم إلا يوماً واحداً في الأسبوع ،
وأصبحت الطعمية تأكل كل مدتي وليس بمدتي
التي تأكلها

فقال الشيخ بلهجة المهادة :

— القناعة ملاذ المؤمنين

— إنما جميعاً مؤمنون ولكننا لا نفي عن الشكوى .
الكل يشكو ويثني . والظاهر أن الدنيا هي أصل
البلاء . وكأنني بها تطرب لألذات الشكوى والألم
فهز الشيخ سليم رأسه بقوة وقال بمجدة :

— من أخطر الأخطاء التي ترتكبها أن نظل
الشيء بغير أسبابه الحقيقية فنخلق لأنفسنا مشكلاً
غير قابل للحل ومستمصباً على العلاج ، ومثل أنهامك
الساذج هذا للدنيا مثل آهام الغوام للشيطان أو العين
الحاسدة أو لتناول اللبن والسمك يوم الأربعاء .
ما ذنب الدنيا ؟ هل الدنيا هي التي جعلت للنياوى بك
يفرط في الأكل والشراب والاستهتار حتى وقع
فريسة للأمراض ؟ أم هي نفسه الأماراة بالسوء ؟
الإنسان هو السبب الجوهرى في إسعاد نفسه
أو شقاءها ... أنظر إلى يابى . أنا إنسان سعيد
لا يعرف الشكوى ، وقد عايت خبرت حالى بين فاحصة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر اللاتب

ابي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته،
وفي أسلوبه، وفي مبادئه. وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن. ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زحاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاهوتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

لا يفتن ولولمك الدنيا . فكما يشكو عبد الرحيم أفندي
يشكو محمد بك النياوى . وإذا كان ذلك كذلك
فاجدوى التفتير ؟ ... أراك تهم بالاعتراض على ..
ملاً فقد وجدت صلاة المصر وليس لدى متسع
من الوقت ولن أقول لك إلا كلمة واحدة : إذا
استطعت أن تحول التراب إلى ذهب كأبناء أمريكا
فانمل .. وإلا فاقنع . هل تجد سبيلاً غير هذين ؟ ..
ولكنه لا يستطيع أن يحول التراب إلى ذهب ،
ولا يستطيع أن يقنع ويرضى . وهل كان محمد بك
النياوى حول التراب إلى ذهب ؟ وهل في مصر
كلها من حول تراباً إلى ذهب ؟ ... ومع هذا فيها
من يتقلب على الذهب وأغلبها يعمخ في التراب .
ما ذنبه أن يكون هذا نصيبه من الدنيا ؟ ...

وانتهى التحقيق في جريمة الصراف بالقبض
عليه كما يذكر القراء . واستدعى رئيس نيابة
النيا حضرة صاحب العزة محمد بك النياوى ليخبره
بما اتخذته النيابة بحقه من الاجراءات السرية ،
وحضر الوجه إلى دار النيابة فقرأ عبد الرحيم للمرة
الثالثة ؛ ولكنه لم ينظر إليه هذه المرة بالعين التي
نظر إليه بها في المرتين السابقتين . نعم لم يزل يمدد
عدو له ، ولكنه عدو حقيق بالراء على أية حال .
وقد اجتمع لراء ابسامة ساخرة كأنه يقول له لائته
جيباً ، ولا تنس في الأرض مرصاً ، فانا أعلم بما
وراء هذا الحسن والشباب من البلاد والشقاء

آه لو يتكاشف الناس ! ... آه لو تملن سرائرهم
للأعين كوجوههم وثيابهم ! ... ألا يدون حينذاك
كألموبة بالثة ؟ ...

ولكن ما عسى أن تكون اليد التي تلمس بهم
على هذا الوجه الأزدي ؟ من الذي يحمل ثمة هذا
السخط الحزن .. الدنيا كما ظن هو ، أم الانسان نفسه
كما يظن الشيخ ابراهيم ؟ ... يجب تحفظ

من مصاحبته . ولما قامت
زوجتي في الأمر تهلل وجهها
وقالت :

— يا لها من فرصة سائحة
تجمع بيني وبين مستر هولز
وما أطيب الأيام نقضها في كنفه
على شاطئ البحر . وفي الساعة
الثامنة من صباح السبت التاسع

من شهر فبراير سنة ١٨٩٠ — قصدت إلى مكتب
شركة الأسفار في بوند ستريت ففأخينا التذاكر
وأجازات الرجل لركبة النوم والطعام . وبعد الظهر
بساعة واحدة تحرك بنا القطار من محطة تشانج
كروس . وعند الساعة الرابعة انتقلنا إلى باخرة
الفتال الانجليزي فتناولنا للشاي قبل أن تطأ أقدامنا
أرض فرنسا في ميناء بولوني، وكان القطار السريع
ينتظر الراكبين على إفريز الميناء فتبوأنا مقاعدنا في
عربة عريضة مديدة مكتوب عليها بالخط الكبير
بولوني سيرمير — نيس ومونت كارلو . فصرخت
زوجتي صرخة صغيرة تدل على الفرح وقالت : هلو
يا زوجي العزيز ! قد آآن الأوان أن نقضى أجازة
تموض علينا شهر العسل الذي لم تتم لنا الأيام فرسته
فابتسم هولز وقال : ويل للشجي من الخلق !
ما أسهل ما تلتمس المرأة أسباب السعادة وقال :
الغاية الأولى الاستراحة والاستجمام وشهر العسل
يأتي مؤجلا . بيد أنني لا أرى لذة في شهر العسل
بعد مولد الطفل الأول ، إنما تكون لذة اللوسين
خابي الليل

فضحكت وقلت له :

— من يسمحك بحكي هذا القول بمنتهى أنك

غزوة الجزائر البريطانية

للكاتب الإنجليزي سيرا أرثر كونان دويل
يؤلف الأستاذ في الطب في جامعة

روى الدكتور وطن قال :

كان لحادث الهندي أثر عميق في نفس هولز
فقد ساق رجلا وامرأة إلى المشتقة على أهون سبيل ،
ولم نمد نرى الوالد للتكول بعد تأدية شهادته في
محكمة أولد بيلي . وقد طلب هولز من القضاة أن
يقبلوا الرض لاسمه بحرفي الكاف والماء أمام الجمهور
وأن يكتفوا بتقرير كتاب بدل الشهادة للشفوية
المسبوبة بالنقص التي يحتمها القانون ، ولكن بخبري
الصحف لم تفهم حقيقة الأمر ولم تخف عنهم خافية ،
فذكروا في جرائدكم أن بطل هذه المأساة هو مستر
شروك هولز نفسه كالمادة ؛ وقد بز رجال الشرطة
الرسمية ولكنهم في النهاية يمحسدون ثمرات جهوده ،
لأنه يجب الاستخفاف كثيره من الهواة . فقال لي
هولز : خير لنا أن نقضى بضعة أيام في ريفيرا ،
وهو شاطئ الذهب ومشق الأعيان والسرعة في
جنوب فرنسا ، استجماما وفراجا من هجوم جيش
من طالبي الثغيا وهواة الاستشارة . فأبدت له
مناذيري وتلكأت في إجابته متسللا زوجتي وطفلي
الذي ما زال في المهد رضيعا ، ولكنه لم يأت لهقولي
وقدم لي شيكا دسما قائلا : « هذا لتوظيف طبيب
ممتاز يحمل علمك في عيادتك » فقلت أن لا مناص

السبعين إلى وقتنا هذا ، فإن الحرب الحاضرة بين مولدافيا وزيندافيا مقدمة لحروب أخرى سيرامها العالم ويخوض غمارها وهذه الحروب كلها ستكون أسلحتها الماضية وسائل التجسس

قلت : مصلحة الأخبار (١)

فضحك هولز وأشار زوجتي وخادمتي بالانصراف بعد أن شربنا الشاي وأكلنا الكعك وانلخز التمدد الموه بالزبدة والربي

وقال لي : سميا ما شئت ، ولكن اعمل أنني أنا الذي أسست هذا العمل الضخم ورسمت خططه ، فأخذوا في تنفيذه بخلافه دون أن يستشيروني في وسائل التنفيذ . ومن هنا

فبدت علي "علامة الدهشة" ، لأنني لم ألحظ في أثناء احتكاكي به أنه تدخل في النشاط السياسي ، ولم يكن يمر حرب مولدوفيا ضد زيندافيا أقل اهتمام فقال لي :

— أيدهشك ذلك يا وطنسون ؟

قلت : لا ، ليس ثمة ما يدعو إلى العجب من ذلك ، فإن من له ذكاؤك وخبرتك يستطيع أن يفعل ما فاعل دون عناء أو مشقة . ولكن أين الشخص الذي تتوافر له اللفظة والخبرة . فإن رجالاً مثل أكشندو وكروسويل وجراسفام جديرون بأن يكونوا تلاميذك ، والأآن فقط أدركت سر عجبهم واتفتاح أوداجهم ظهيم يسرحون ويمرحون على شهرة خطة أنت مدبرها وسبيل مبدتها لهم . فقال هولز :

— الواقع أن شيئاً لم يستص على في بلوغ غايتي ... وأثناء دراستي سكنت أجمع المعلومات الخاصة بوسائل التجسس المولدوفي والمجروسوفاني

خبير بنظم الزواج وطبائع النساء . وكنت قد اتخذنا مقاعدنا في صرابة المائدة ، بصدان كافنا حارس القطار بتصنيف أمتعتنا في أسا كنها . وطلب هولز إلى النادل أن يحضر قناني المياه المعدنية التي يشربها ثم أمر لنا بالشاي ، وكان شديد العناية بمس جولز هامر مربية طفلي الصغير . وكانت المائية غضة بضة حراء الوجتين كأنها تحمل على خديها وردتين من ورود الربيع فأطلق عليها هولز اسما جديداً يناديها به وهو : « فراولان بروز » فسرت بهذا الاسم كثيراً وسألته إن كان يتكلم الألمانية ، وكانت خادى هذه من البساطة بمكان عظيم ، فقال هولز لها وهو يتسم : « بضع كلات لقفنها من أفواه الناطقين بها » ثم سكت برهة وقال لي :

— أأذكرها يا وطنسون ؟

وكان لا يذكر ضمير المؤنث الغائب إلا وهو يقصد إليها : إلى السيدة جوز بند أدل ، بطله تلك النافرة المريقة وهي فضيحة في بوهيميا . وعند ما نطق باسمها لمحت في عينيه برقاً عجيباً ، حتى لقد سألت نفسي : هل تركت تلك المرأة في نفسه أثراً . وهل كان يحبها لو أن الحب بما قسم له في هذه الدنيا ؟ هذا ما لم أستطع الجواب عليه . كان هولز يبدو لي ذا شخصية غامضة كل القموض ولا يظهر منه إلا ذكاؤه الخارق كأنه مصباح نافذ الضوء في وسط الضباب . فقلت له : ثم ومن ينس تلك المرأة ، يحرم نفسه أجل ذكرى وأوقمها وأبقاها

فقال هولز : إن فضلها علي في هوايتي أعين أترأ من جمالها أو حنكها أو سمة حيلتها أو دقيق فكرها ، فلولما لم أكن لأتمصل بتلك الدوائر السياسية التي كان لها الشأن الأول منذ حرب

وكان القطار السريع يظوى سهول قرنسا وديانها ويمتدق الحقول والبطاح ويصعد في الجبال ويمر خلال الأنفاق وينساب تارة كالأنفوان وطورا يندفع كالسيل التهمر . ونحن من هذه المركبات الفسيحة في نعمة لا يقدرها إلا القليل من أهل الفطنة ، فهنا مجلسك ومطعمك ومنمك ومشربك ومثناك على عجل يتحرك ويدور بسرعة ثمانين ميلا في الساعة الواحدة

وكان القطار يقف في المحطات الكبرى دقائق ممدودة . وعند ما يبلغ محطة كبرى مثل ديجون أوليون يتزوى هولز فلا يبدو لأحد ، ثم أراه بصمد فجأة قبيل تحرك القطار بقليل ولا أسأله عن مكانه أو مسرعه أثناء وقفة القطار . ولا كانت الساعة التاسعة تناولنا طعام المشاء وعلنا أن القطار يبلغ ثمر صرسيليا عند الفجر ثم يبرج على ثمر طولون الحربي ، وكان هذا الحسن البحري متلفاً من الجانب الشمالي فلا تطاء قدم المدينين بسبب الأعمال الحربية القاعة على ساق وقدم .

ولم يكن ثمر طولون أو صرنا بونارت أوحياض الاصلاح والتتويج الهولة التي بناها مهندسون بحريون من فرنسا وإنجلترا هي التي تهمني في تلك اللحظة ، ولكن الذي كان يهمني زيارة مونتكارلو وكان أنيس في حصة امرأتى وبجائتنا نحن وطفلتنا الصغير من أهوال البرد القارس في إنجلترا أثناء هذا الفصل الشديد الرطوبة والضباب ...

وأيضاً ... وهذه مسألة أخجل من ذكرها ، فضلا عن تدوينها ... تجريب حظي على مائدة اللعب في مونتكارلو ... فنحن الأطباء نعلم أن المفامرة أظهر معالم الحظ في الحياة . وهي تتفق (٤)

ووجدت السبل إلى إحاطة إدارة المخابرات في لندن وباريس ببعض المعلومات المهمة في أوقات متعاقبة فقلت : أكبر الظن أن فرنسا وإنجلترا والجمهورية الأمريكية أعادت من وسائلك

قال هولز : نعم ، ولكن ليس هذا الذي يكرهني ويكرهني في الوقت الحاضر ، وإنما الذي يكرهني انتقال ذلك الداهية للشديد الخطر ، الذي يستير الحياة رقعة شطرنج يبادتها وتلاعها وفيلها ملوك الأرض وسواس الدول

قلت : أتقصد إلى البروفسور مورياتي ؟

قال : هو بنفسه فإن هذا الرجل لا وطن له ولا دين ولا ملة ولا عقيدة ولا ضمير وقد باع نفسه لأعدائنا بنصف مليون جنيه ذهباً تسلمها عدداً وتقداً وسمح له بأجزة حتى تمكن من إخفائها في مكان مجهول ، ثم عاد واقطع إلى عمارتنا بسفله

قلت له هولز : وعلام استقر رأيك ؟

قال : لقد استقر رأيي على إحباط مناووته مهما كلفني ذلك من جهد . غير أني أدركت أنه لكي أنتمه إلى بلاد الأعداء يجب على أن اخترق فرنسا من شمالها إلى جنوبها

قلت : إن هذه الطاردة هي الأولى من نوعها ، لأنك خبرتني من قبل أنك لن تمكن هذا الوغد من مقارنة مواهبه بمواهبك

فقال هولز : صدقت يا وطن ولكن هذا للشرط ضرور بأوراق تكفل له مخادعة رجال المخابرات السرية الإنجليزية والفرنسية وقد وفق في اختيار الاسم الذي انتعله لشخصيته الجديدة فضلاً عن أنه يبدو للناظر متواضعاً ، رضى الخلق ، مثقفاً لا تفارق الانسامة شفثية المقيتين حتى في أخرج المواقف ...

التي يتلف عليها ، تلك الساعة التي يقضى فيها على الرجل الذي باع دينه وشرفه وعقله لبيع وطنه للأعداء . لقد خيل إلى أن هذا كل ما يطلبه هولز من الحياة ، فإذا تحقق هذا الطلب فليكن بهد ما هو كائن . لم يكن حب الوطن وحده ، أو مقاومة الشر أو رغبة الانتصار على خصم قوى عنيد هي التي تحركه ، بقدر ما كان هواه في تخلص الانسانية من ذلك الملل المجرى الذي يلبس الشر ثوباً عسكراً على أجزائه .

وفي صباح اليوم التالي قامت مسر هولز في رغبتها ، ولشد ما دهشت عندما علمت أنه هو أيضاً يرغب في مشاهدة موتكارلو وذلك «للكازينو» الفخم الذي يزورها . وكانت الشقة بين أتيب وعاصمة مونكو صنيطة . وكان هولز قد احتجز لنا بالتلفون مائدة في البهو البار الذي نسقته يد الأناقة والذبح أجل تنسيق . وكان هولز ببعد الفراغ من المشاء يجوس خلال القاعات الارجوانية الفخمة التي مدت فيها موائد اللعب الخضراء . وللمرة الأولى وجدته مستغنياً في زى كونت إيطالي بلحية كثة مستطيلة وسرطان ما التفت حوله فريق من بني جلده المزعومة كان يتحدث إليهم بلغتهم بقصاحة نادرة . وكانت زوجتي قد اتحت تلك اللثة في أوقات الفراغ .. وبقاء شق تلك الصغوف رجل قصير القامة عريض التكوين وأخذ يتكلم بالفرنسية النصحي للضيف من السيدات والفتيان الذين جاءوا ليقضوا إجازة آخر للعام وقد أصنبت إليه وتخلت عن الحلقة التي كان يقف حولها هولز فقال :

« إذا حدثتكم أنفسكم باستغلال شهرتكم أو ثروتكم والتوسل بها لأغراضكم الشخصية وشهواتكم البدنية

وصنعتنا انفاقاً تاماً . فإن صنعتنا حظ وحذر وكذلك المقامرة . ولكن مالي أراي قد اندفعت في تسجيل خواطري ؟

عند الفجر بلغنا مرسيليا وعند الظهر كنا في مرفأ أتيب وهو ركن من جنة ألفردوس في وسط الشتاء . واتخذنا موطناً مؤقتاً ، وموتلا في فندق « جرانداوتيل ديش » وفي الحق أنني شديد الدهر من أسماء هذه الفنادق التي تدور على المظمة والأراء وتبمد عن البساطة التي تتبعها في تسمية فنادقنا الطيبة الهادئة . وكانت شرفات ذلك الفندق الفخم التي تطل على البحر بطبيعة الحال ، كما أن له بستاناً نخا في جنوب البناء فيه لغائف الأشجار ويدائع الأزهار ولذائد الثمار .

وفي الليلة الثانية استأذنته في السفر إلى موتكارلو فاستمهنى يوماً ولية .

وقد لقيته في إحدى شرفات الفندق المطلة على البحر وكان متكئاً بمرقبته على حاجز الشرفة وقد تجلت في عيني نظرة لامة وإن كانت سامية مما دلى على أنه مستغرق للتفكير ، وظل ينقل بصره بين صفحة المساء ووجه السماء الذي زينته السناة بأغواء ومصابيح كأنه يريد أن يستشف ما وراء الحجب .

وقد هالني وأنا لني أن يقضى هذا الرجل العجيب حياته بعيداً عن عواطف الحنان والرحمة التي يمكن أن تسبها على قلبه الكبير امرأة غلمسة ودود ، ولكن أنني لى أن أمير له عن إخلاص وحي إلىه وورعني في إسماده ؟ لقد خيل إلى أنه يشمر بالظنون ، لا من اللوث ولا من المرض أو اللقافة ، ولكن خشية أن يدمه القدر قبل أن تحين الساعة الراهية

ليس في القلب. ليس من أسوة. وآخر يقول: عليك أن تطيبي وتنفذي ! ليس من شأنك أو شأن أن يجادل

ورأيت الكونت كاسياني يشق الصفوف وبهمس في أذني: خذ حذرك من الظلام. ولم يكذب ينطق بهذه الألفاظ حتى أطفئت الأنوار فجاء ولم يبق في الغرفة ضوء ثقاب، وساد المرح غطوت إلى الميكن خطوة وقبضت على يد زوجتي وسحبني متقهقراً وإذا بصوت يدوي كالرعد :

— لقد خاطرت بحياتك يا موريارتي وخلطت بين الحياة في السياسة وبين سرقة قطاع الطريق . هل قبضت عليه يا جريفيين؟ لقد سهلت الأمر لي . واختلطت أصوات النساء بأصوات الرجال وسمنا طلقات الرصاص في الظلام وتطعيم مرآة كبري ، واستغاثة وصغيرا ، وقد أخذت حذري كأنهت منذ هنية وقادني التريزة وزوجتي إلى باب الخروج بمد أن اسطلمنا مرتين أو ثلاثا في عمود من الممر الوردى أو في مقعد مقلوب كدنا تتمر فيه ، لولا أن الله سلم . وكانت ساحة الكازينو الكبير هي الأخرى مظلمة ، ولكن نجمة المشاعل قد وصلت إلينا فخرجنا جميعا صاخبين سارحين وقد سلبت النساء حلين والرجال قودوم وبعض أسلحتهم ، وكان يودى أن أفندي هولز يجياني لو أمكني الاعتناء إليه وقد تبينت كل ذوى اللهى فلم أله بينهم ولم يكن يخفي شيء عليه بقدر الفندر . فان موريارتي وأخوانه لا يترددون في أن يوردوه الردى بخنجر خائن أو وخزة دبوس مسموم ، وقد حشدنا جميعا في بهو الطعم الكبير ولم نستطع حركة وبقينا ذهن محقق البوليس

المادية ، قالويل للانسانية منك والويل للحقيقة من شموذتك والويل لأبطال الرافة والرحمة والمدل والخلق الكريم من خيانتك ونكرانك وجعودك ستكون أحسابك وأنسابك وأماؤكم أكبر مساعد لكم على خداع السذج ومضاغة الأغلال في أعناقهم . لقد أدهشكم أن تجدوا الناس والمنجمت تسير على نظم تخالف ما تفرسه الفضيلة فلا يأخذنكم المعجب لأن السلطان لا يزال بأيدي المشوذين والمجالين . وفي الوقت الذى يسيطر العلماء للتخصصون على القوى التي تدبر العالم متحل مشا كل كثيرة .

ستجدون أناسا يصفون الأبيض بالسواد والأسود بالبياض وآخرين يجسدون الجبروت والطينان ويحتفرون من تملأ قلوبهم عواطف الرحمة والحنان وينتمونهم بأهل الخيال والمخف . ستجدون لصومكا يتحنى الناس أمامهم لخوف لا لاحترام ، وقد يقدمون شرفهم وضائرم وكرامتهم للناس بالأقدام ، ومثل هؤلاء كتل الجندي الذى يتسلم السلاح والناد للقطاع عن وطنه فاذا ما لقي كنة العدو هي الراجعة انضم إلى المتصرين وسدد نار سلاحه إلى قلب بى وطنه وأهل جنسه

وفي تلك اللحظة كان الكونت كاسياني أو كاسيني يقرب من حلقتنا شيئا فشيئا وهو يمشى إلى كلام الرجل .

ثم استدردت لحظة واتجهت نحو المائدة الوسطى المستطيلة وهي التى عليها لعبة الروليت الشهيرة وكان « الكروبييه » وهو الموظف اللو كركل إليه حصاد المال وتوزيمه بين اللاعبين يقول : لا شيء ينزل إلى المائدة ، لقد تمت الصفقة . ادفعوا قودكم ورسوها رسا قبل الختام . فسمت خلفي صوتا ناعما يقول :

زدهي في « ثوب المساء » المحكم التطريز ، المحبوك الأطراف

ولم تكده عنه قطع على حتى قال :

لقد كانت غزوة موقفة ، فقد البتلك أثناءها مليوني فرنك ، وقد النساء نصف حلبين ، والرجال بمض أموالهم . ثم ضحك ضحكة عالية . أما نحن فقد خسرنا مورياتي ، ولم تتمكن من القبض عليه ، وإن كنا قد سمعنا صوته واعطاك .

قلت : وماذا نكسب إذا خسرنا مورياتي ؟ أجاب وهو يتسهم ابتسامة عريضة حاوة :

لقد كسبنا غزو بلاد إنجلترا واسكونلاندا وإيرلاندا بلاد الغال . وأخرج من جيبه خريطة ملونة وفسرها على المائدة . وقال :

والذي يفرحني وأعجبني له أن هذه الخريطة مفردة وقد احتوت على مفتاح الشفرة ، فلا يحتاج أثناء حل رموزها ، لقد أعدها مورياتي فهي خلاصة دراسة عشرين عاماً وتجسس خمسة أعوام . خذها يا وطن وسافر فوراً إلى لندن . إن لورد كراوبروك أوف كاتودراج ينتظر في دوننج ستريت وأبق زوجتك معي وخادماتها كذلك ، وفي أثناء غيابك ... سيقبض عليّ أياً ما ممدودة ، ولم يكده ينتهي من حديثه وأفرغ من طي الخريطة ووضعها في أنفي مكان في ثيابي حتى تقدم إلينا أربعة من الشرطة وقال أحدهم بلنسة مونتكاتيني : سنوردى أيكما سنيدو سارلوك هولمز ؟ فأشار هولمز إلى وقال : أما أفصاحبه دكتور وطن ، غفلوا سبيل وألقوا القبض عليه وبسعد عشرين ساعة كانت خريطة الفزوة للبريطانية في إحدى خزان وزارة الحربية وقد اجتمع الوزراء لدراستها ونقصها .

محمد لطفي محمد

وفي الصباح خرجنا من البهو مبشرين بمزقين مهللين ، ومشيئاً إلى فناء الكازينو بخطى متعاقبة . وكان الفناء ينص بزاري الكازينو الذين أطفئت عليهم الأنوار وسلبت تقودهم ورأيت ضباط البوليس السري وهم يستجوبونهم فرداً فرداً بينما كان مدير الكازينو وحصاد السال « كروبيه » عند الباب الكبير ينتظرون الأوامر

وكان من البت أن يرفض أحد اللاجئين الاجابة عما يلقى إليه من الأسئلة أو الامتناع عن تقديم « جيبوه » أو حقبة اليد للتفتيش والقمع المتيق وإبراز الوثائق الخاصة بتحقيق شخصيته ومركزه الاجتماعي وماضيه وعمله في الحاضر وما يترجم للقيام به في المستقبل ، وكان أي تردد أو تلمس أو ارتباك كافياً لأن يبعد أحداً إلى الطعم مقبوضاً عليه . لم أدم في حباتي على شيء ندب على موافقتي على اقتراح هولز في مصاحبته إلى شاطئ ريفيرا . وكان القتي يهمني أكثر من كل شيء خوفاً على أعصاب زوجتي من الاختلال فقد تمزق نياط قلبي من الظلام والظن . وقلق البال على هولز الذي اقتضته ... وقبيل الظاهر وصلنا إلى الفندق ونحن بحال من الالام لا مثيل لها . ولكن كان همي الأول أن أطل ماذا حل بهولز الذي سمعت صوته بلا ريب وكان مترياً بزي الكونت كاسيان .

أما زوجتي فقد ثمت الفرائش عليه بما أصابها من الازعاج وبللة خاطر .

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دق تليفون الغرفة التي تطلها زوجتي وأنا ، وإذا بهولز يستبطي حركتنا في مؤاكلته على مائدة المساء . فليتنا دعوته مبتهجين . فالغناء حليقاً مطعراً منتظلاً

الْأَدِيبُ الشَّالِكُ

أَقْصُوصُ مُصَرِّبَةٍ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ

مسحة من الشقاء والبؤس
لأنها تحفى في سبيل حياتها دون
أمل أو رجاء . ولكن صرحت له
أنها على استعداد للتنازل عن أعز
ممتلكات مقابل أن تنجب طفلاً ..
ولكن الأبناء — وبالأسف —
لا يشتركون بالمال ، وإلا لما استطاع

العامل الفقير أن يرى حوله عدداً كبيراً من الأبناء .
إنهم هبة الله ونمته يوليهما من يشاء من عبادته
ثم رفع تحفى وجهه إلى أعلى وتغم في حرارة
وإخلاص :

— اللهم هب لها من لئلك طفلاً
وظل ينظر إلى أعلى فترة طويلة كأنما أحس
الراحة في الاتجاه إلى الله في هذا المطلب الذى خرج
تحقيقه عن طوقه وقوته . ثم أخذ يخفض بصره
رويداً رويداً حتى وقع على زوجته ، فلعج الدموع
تساقط من عينيها ، ففاض قلبه بين جنبيه وهتف
وهو يتأدّر مكانه إليها :

— سميرة !
وجثا تحت قدميها ثم رفع وجهها المنحفل
بالدموع وقال :

— أتبيكين يا سميرة ... ؟ أنت مجنونة ؟
فحولت وجهها عنه كأنما أخجلها تساقط دموعها
ثم مسحت عينيها بمندبيلها اللوى الصغير وقالت :

— لا شيء ... دعنى ... دعنى بربك
— إننى أعرف لماذا تبكين ، ولكن ماذا تفعل
ولا حيلة لنا في الأمر ؟
فالتفتت إليه بسرعة وأنتمت فيه النظر لحظة
قصيرة ، ثم ابتسمت في تهكم وقالت :

... ومضى فتحى ينظر إلى زوجته نظرات
تفيض بالحنو والاشفاق وهى تجلس تحت مطرقة
واحة ... كأنها تحلق بروحها في أجواء هموم
وأشجان طوتها فجأة فأنسيتها زوجها الذى كان
يحادثها منذ لحظة ... وكانت في وضعها هذا برأسها
الستقر بين كفيها ، وشعرها الوحف المرسل ،
وجسدها اللدن الملىء ؟ يبدو عند أهل الفن وحياً
صادقاً للجمال الحزين

كانت سميرة — وهذا اسمها — هى التى كتبت
عن الحديث فجأة عند ما عرض اسم نبيل ابن
جيرانهم ، واسترسلت في أفكار تملكها فوراً ،
فتقلصت ملامح وجهها الساحر وارتسمت عليه علام
اليأس الشديد

وقد احترق فتحى صمت زوجته إذ كان يدور
الواقع القاسى الذى زجها فيه . كان يعلم أنه نكاح
الجرح الذى في صدرها بذكره اسم نبيل ابن
جيرانهم ، فقد لوّح لها بشيء هو محرومة منه ،
ونحس الشقاء والبؤس في هذا الحرمان

لقد كانت أميتها الوحيدة عتب أن ينى بها
أن تزق طفلاً ؟ أما وقد انصرفت ثماني سنوات
على زواجها منه ولم تنسل ، فقد ضاعت آمالها
وانهارت آمانيها ، لذلك كان ينشئ وجهها الجليل

منها ؛ غير أنها تحس نقصاً هائلاً يتضاد إحساسها بالنعم الذي هي فيه بجانب إحساسها ببذاه وآلامه .
 لشد ما تمنى أن يهوى بها الله من حائق هذا النعم
 ازائل إلى حياة الفقر والموز على أن يهبها نعمة غداً ،
 ابناً تتركه في هذه الحياة الدنيا قطعة منها يخلدها
 على مر الأجيال والزمن ، ابناً يشع النور من بسمته
 ويفيض الحنان من نظره ... ماذا تفيد تلك الفرش
 الثمينة والرياش الغالية وهذا البيت الجميل وتلك الحديقة
 الفينائية التي تكتنفه ؟ ماذا يفيد كل ما هي فيه من
 متاع مع هذا النقص الذي يحسه ؟ إنها تضر
 كأنها تعيش وسط صحراء قاحلة تضرب للظلمات
 في جنباتها ، وأنها بعيدة عن عالم الحياة والنور .
 إنها لا تدخل غرفة من غرف المنزل إلا تراها
 قابضة موحشة خالية من الحياة والروح ، فتراها
 تلتفت بمنة ويسرة كأنها تبحث عن شيء تفقده
 بجوارها ... ولا تسير في الحديقة حتى يتولاهما
 السأم والضجر ... ولا تقف أمام المرأة حتى ترى
 جمالها الذي طلالا غرها ، مجرداً من الروح كأنه
 تتثال من الحجر الأسم . وأين روحها وهو محلق
 في شروود وراء أمنيته البعيدة ؟ بل إنها ترى أن
 جمالها إن هو إلا كأموال البخيل التي يسهه أن ينظر
 إليها كل يوم دون أن يستمرها وينمها ... قصص
 وحرمان يقضان مضجعا ويذهلان عقلها ويستلبانها
 سوء الأفكار السود للدممة

كانت يحياها هذه تعيش مسلوية العقل عازية
 القلب ، تعيش بمجدها الآلى كاتيش البى والألاحيب
 وما كانت يتقنها من عذاب هذا التفكير
 إلا الترييض سائرة إلى بيت صديقها (زاهية) تنبها
 شجنها ونفث إليها خيبة نفسها ... وقد تسكب

— ماذا تفعل ... ؟ أجل ماذا تفعل
 كانت تعلم أنه فكر كما فكرت هي في أن يستد
 الأسر إلى طبيب ليرى أيهما المقيم ، بيد أنه لم يفعل
 غافة الهزيمة . لقد استخفت منه هذا الاحساس
 من حديث لها في هذا الأمر . ولا ريب أنه محق في
 خوفه ، لأنها تحس إحساساً صادقاً بأنها كأي
 امرأة أخرى فيها الاستعداد للانسال ... والنفثت
 إليه لجأه وقالت :

— ومع ذلك ففي وسعنا أن نصنع شيئاً
 — ماذا ؟

— لماذا لا أذهب إلى طبيب ليخصني ، ومن
 ثم يالجئ إذا كان المقم مى ؟
 وكان في جلستها تريض بفتحى ، بيد أنه لم ينتبه
 إليه إذ قال :

أخشى أن تذهب هذه المحاولة سدى . فاقى أعلم
 أن الأطباء لا يملكون — على رغم تهويلهم —
 في ذلك الأمر شيئاً
 وتوقف قليلاً ثم استطرد :

— وما يدريك ؟ لعل أنا السبب
 فادت سميعة إلى إطفائها ولم يجب

كانت سميعة تحس في نفسها فراغاً كبيراً لا يملأه
 إلا وجود طفل لها يقضى حياتها المظلمة . أجل ،
 لقد أحست لجأه وعقب أن هدأت نشوة حبها
 وخذت شلة غرامها — بحياتها يتكاثف فيها الظلام
 وهواله حتى أمتحت قاعة مدلمة تتخبط فيها يائسة
 القلب ، مقرحة الجفن . لقد أولاهما الله من نعمته
 كثيراً ، ولكنه حرماها النسل والولد . ها هي ذى
 تغفل في كل أسباب المتع والذائد لا يتقصها شيء

وبترت جلثها إذ لحث ملامح صديقها تنقلص
وتفشها الحزن العميق . فأدركت خطأها في الافضاء
لها بالظلم على هذه الصورة السارة البهيبة .. وأحست
سميرة بألم هائل يحز في نفسها ... بيد أنها تماثلت
نفسها بمجدد واصطلحت الإهتمام ثم سارت بجوار
زاهية إلى غرفة الاستقبال لتتسابق الهواجس
والأفكار .. لقد جاءت لتتسلى هموسا قليلا ففسدها
عمر كاس آثار عواصف قلبها الهوجاء . . . وقالت
في نفسها : « لم يارب هذا العذاب ؟؟ لم خصصتني
بهذا الحرمان القاسي الشديد ؟ كل من حولي من
النساء يتجنبن قرة أعين .. أما أنا ... آه ... »
وكانت زفرة حارة انشق عنها صدرها الجياش لم تحف
على زاهية فأطرقت خجلى من تصرفها إزاء صديقها
المحرومة

وأحست سميرة بالجلسة يسودها النكاف البئيس
حيناً والسمت الثقيل حيناً ، فاستأذنت ثم غادرت
دار صديقها ، وسارت تضرب في الطرقات ذاهلة
على غير هدى ، وراحت تفكر في حياتها المحرومة
وهي في سيرها البطيء التثدد

وانشبت من أفكارها الطاغية السبيدة على
صوت يهيس في أذنها كانت لم تتبينها فاستدارت
إلى التكلم فآلفته شاباً غريباً عنها ، فحدثته بنظرة
قاسية وقالت له :

— ماذا تبني ؟

— ماذا أبني ؟ لا شيء ... غابة الأسماء أن
رأيتك تسيرين ذاهلة عن الطريق فأترت أن أحادثك
قليلاً لأستريح أقبالك الشارد وأعيد عليك ذهنك
الماذب

لم تجيب سميرة وإذ أنمت إليه النظر فوجدته

أمامها الدمع فيفرج عنها عجب هذا البكاء الهادي ،
وتنسى هموسا قليلاً فتنتقلق هي والصديقة تتجاوزان
أطراف الحديث في مختلف الشئون

وكانت زاهية فتساء في مية الصبا وشرح
للشباب ، وقد تزوجت منذ بضعة شهور ، وكانت
في غرة الحب الأولى ، لذلك كانت تسرى من نفس
سميرة ما هي فيه من عذاب وشجن وتبجح لها ما وراء
تربية الأطفال من تعب وإرهاق ، وتعرض على نفسها
صوراً عديدة من تفرغ الزوجين لإشباع هواطهما
الجياشة المثارة بمبدين من جلبة الأبناء وهموم
تربيتهم ... وما كان مثل هذا الحديث ليلى أذناً من
سميرة ، بل كانت تستمع إليه في ذمول وشروء ...
ثم تنخرط فجأة في البكاء

وعابت سميرة على نفسها أن تعمل زاهية هموسا
وأشجانها وهي من نصيبها وحدها .. ومن يدريها ؟
للمها هي الأخرى لا تنجب بتين فيكون بينها الحزن
والهم لإحباء لها بالأينال في الحزن والهم . . . لذلك
راحت تقلل من زيارتها ، بل آلت على نفسها
ألا تزورها إلا إذا وثقت أنها تخرجت من هموسا
وأفكارها بمض للتحرر ، أو أن في وسها أن تتلم
بقناع صفيق من البشاشة والرح

وخرجت سميرة إلى صديقها بعد أن ثابت عنها
شهرراً برمتة فظلتها زاهية بفرح عنيف تجلى في
حركاتها العصبية وضحكاتها الضطربة . ودهشت
سميرة لحال صاحبها فقالت تنكاف البشاشة والرح:
— ما كل هذا الفرح يآري ؟ خير إن شاء الله !
فأجابها زاهية بين الضحك والندني :

— آه يا سميرة آه ... إن في أحشائي جنيناً ،

وعما قريب سأعدهو ...

وأبقطها من أفكارها يد للشباب وهي توضع في رفق على ركبتيها فأجملت إجمالاً ، وانقبضت في دكن العربة وهي تنزع يدها عنها ، فالتصق بها وراح يفرغ في أذنها آياته التي يحفظها عن ظهر قلب .. ثم طوق خصرها بذراعه وهو ي على شفتيها لئلا وتقيل

أوه ... ماذا تصنع ؟ ماذا تصنع ؟ أينكها أن تترض ؟ إذن فلماذا ركبت معه ؟ لا ... إنها لا تستطيع أن تترض ... ولكنها جريئة تلك التي تأتيها . يجب أن تبعد الشباب عنها وتطلب إليه النزول .. وتصرخ إن أبي .. ولكن من ذا الذي سيستمع إلي مرارحها وها هي ذى العربة تطوى الأرض طياً ؟

وأحست بالضئف بين هذين السامعين اللذين يتجاذبها فأنشأت تبيكي في بأس صرير ومعنى الشاب يسرى عنها قبلاًه المهمة المائلة ويهدئها بكلماته المنقطة للمسئلة حتى وقفت للسيارة فأمسك يدها ودعاها إلى النزول ... ثم صعد بها بعد أن تعد السائق أجرته إلى أحد طوابق المبنى الذي وقفت أمامه السيارة

بعد ساعتين من ذلك كانت سميرة تدخل منزلها وهي تتكاد لرؤيتها تحت عبء الاثم الذي اقترفت أن تلطم خدها وتجنب شمرها ... كانت في حالة بأس هائل فأتجهت قدماً إلى غرفتها وهي تتنهم : « أواه ... لقد عرفت ... »

لقد أدركت الآن فقط الدافع الذي دفعها في عتب إلى اقتراف ذلك الجرم الشنيع ... هو رغبتها في إعجاب وده

شاباً طويل القامة مريض النكبين جميل الوجه ، كان في مكتبته أن يفخر برجولة زاهرة لم يصف عليها رداء من اللنخت والناثق . ولم يخف على سميرة صرعي الشاب من ذلك الطفل ، إذ أدركت أنه من أولئك الشبان التاليف الذين يتسكمون في الطرقات ابتغاء لإفحام الفتيات في حبالهم ... قالت :

— أشكرك .. إني أفضل أن أسير وحدي فابسم الفتى ابتسامة أقرت سميرة بينها وبين نفسها أنها فائنة خليقة بأن تجذب القلوب حقاً . وقال :

— ولكني أخشى على هذا الجمال الساحر أن يتعرض للخطر وهو معنى هكذا ذاعلاً عما حوله ولم تدرك سميرة ما الذي منهما أن تصنع للشباب على هذا الراحة ؟ كأن عتافاً خفياً يدفعها إلى الصبر . فوفقت عن السير ونظرت إليه نظرات لاهي بالفاضة ولا بالمشجعة . كانت نظرات حبري زائفة ، وأيقن الشاب إزاء حبرتها أنها غدت في قبضة يده فاستدعى سيارة كانت مارة ودعاها إلى الركوب وارتاحت سميرة لجرأة الشاب وتلفتت بمنة وبيرة ثم قفزت إلى السيارة مبهورة الأنفاس وارتعت على المقعد وهي ترتعد ارتعاداً

وأحست بهول ما أقبلت عليه . وراحت تظلم في رأسها الأفكار . لقد حدثها الشاب وسار إلى جوارها كأنه يهرقه . ثم توقفت عن السير فاستدعى السيارة . أكان في مكتبته بعدئذ أن تقضب وترفض الركوب ؟ أبداً ما كان لها أن تفعل ذلك إذ أحست أن كل الناس ميون تنظر إليها ، وأنهم أدركو أنها على معرفة سابقة بالشباب . ومع كل فذا في ذلك ؟ ستطلب إليه النزول تنمضي إلى حال سبيلها ...

وزوجها — بل لأنه طفلها هي غصب ، فما كانت لتلقى إلا إلى شعور زوجها الذي كان سيئاً في حرمانها تلك النعمة طوال تلك السنوات الماضية ... لقد ارتكبت إنكاً زوراً ... ولكنه أيضاً لم يحتمل . ألم يمنعها ما يحجز زوجها عن منحها إياه ... إنها مجرمة في نظر المجتمع وفي نظر الناس ، ولكن أيدري المجتمع عن إنكها شيئاً ؟ ما من أحد يعلم ، حتى زوجها لا يدري من الأمر شيئاً ، وخبره ألا يعلم . ولكن أبلغ بها اللندر والحياة أن تحبها هذه الخديعة ؟ لم لا تصارحه بالحقيقة وتفضي إليه السر ولكن بمدئذ ما يكون . وما الذي تراه سيكون ؟ سينكرها ؟ سيطردها ؟ أجل ، فما في وسعه أن يفعل غير هذا . حسن ! وماذا في ذلك ؟ حسبها إذا طردها أن يكون لها عادل . ذلك للنور الذي أشرق في أفق حياتها المظلم . ذلك الأمل الذي أجرت لتحقيقه وأتمت لتبنيه . أجرت ؟ أتمت ؟ إنها لم تجرم ولم تأتم . إن المرأة تخر بساطقة أخرى غير عاطفة الحب ... عاطفة الأمومة ويجب أن تشبعها كما تشبع عاطفة الحب ... فهي لا تستطيع أن تعيش على الحب غصب .. وهما هو ذا زوجها قد قصر عن إشباع تلك العاطفة المكبوتة فالتفت إشباعها عند رجل غيره ، فهل في هذا إجرام ؟ . . . خليك بالرجل قبل أن يتزوج أن يمس في نفسه كل ما يحقق آماني المرأة ... وإلا فليتنع عن الطريق لغيره ... إذن قالدب ذنبه لا ذنبها .

وهكذا أخذت سميرة تتلمس لنفسها الماذير وتبرز المحجج حتى أتوى ضميرها وطنى عليه ذلك الحب الوليد الذي نشأ بين جوارحها نحو طفلها المميز وتصرفت بضمة أشهر كبر فيها الطفل واستطاع

وتفضى شهران شمרת سميرة بدمها بشير تام في حالها . إذ أصابها نحول خفيف وامتنع لونها قليلاً وصدقت عن الطعام وأخذ الاغماء يماودها من حين إلى حين فارتاع زوجها من تلك الأعراض وظن أن بها داء فاستدعى الطبيب بنفس خائفة جزمة .

والتمت الطبيب إلى فتحي باسمًا ثم سحبه من ذراعه إلى خارج الغرفة وحس في أذنه يقول : — أبشر يا سيدي ... إن زوجك حامل عقلت الدهشة لسان فتحي فظل برهة ينظر إلى الطبيب في ذهول ، ثم اتلبه أخيراً إلى نفسه وقال بصوت يتهدج من شدة الفرح : — آه ... أشكرك يا سيدي ... أشكرك

ثم تركه وهربول مسرعاً إلى خدع زوجته ووقف بالباب لحظة قصيرة ينظر إليها وتنتظر إليه وكانت نظراتها مزمجاً من الحدة والخجل ... والخوف غير أنه لم ينتبه إلى تلك النظرات الناطقة بل أسرع إليها وهو يهتف :

— سميرة ! ما علمت يا سميرة ؟ إنك حامل . هكذا قال الطبيب ... وافرحتي وافرحتي ... فأسبلت سميرة عينها وقالت في نفسها : « نعم ... كنت أعرف . كنت أعرف . لك الله أيها الرجل » ومنذ تلك اللحظة أحست سميرة بأن هذا الرجل الجاني بجوارحها غريب عنها



اكتملت أشهر الحمل وأنجبت سميرة طفلاً فرح به فتحي فرحاً شديداً وأطلق عليه اسم عادل ... وفرحت سميرة بالطفل ، لا لأنه طفلها — هي

وما كان يفيظ سميرة ويغسد عليها ساداتها إلا رؤيتها
زوجها متملقاً بابنها كل هذا التعلق

وكان يصير أن ترى الحياة على هذا النسق ،
لو لم يحدث ذلك الحادث الجلل الجسيم ، إذ سقط
عادل مريضاً عموماً فألقى على البيت رداء حالكا
كثيلاً . . . وجزع فتى لمرض صغيره ودعا له
الأطباء فكانوا يخرجون بنتيجة واحدة ، هي أنه
مريض بحمى معوية ، إن ينج منها فسكناً ولد
من جديد

وكاد فتى يمين من هول الصدمة ... فأخفى
لا ينادر غرفة عادل ، بل راح يمضي إليه ونهاره على
مقعد بجوار فراشه لا تفارق عيناه وجهه النحل
المصفر ، وإذا أضواء السهر أو أمهك التيب تراه يغفو
قليلاً في جلسته ثم ينبه من غفوة فجأة على نجيب
زوجها ونشيجه

ومضى يومان أو غل فيهما المرض في بدن الصغير
فصيره كالغليال ، ورسم الموت على وجهه علام الفناء ،
وارتاع فتى لتقدم المرض السريع فراح يذرع
أرض التربة في عصبية واحتياج وهو بين الفينة
والفينة يحسح السمع للسخين ويصرق الزفرات الحار ،
يننا جثت سميره بجوار الفراش تتطلع إليه بمتينين
شمتا كل ماني الجزع واللهفة والبأس

لم تكن تبكي فقد استمضى عليها البكاء ، إنما
كان قلبها يتقطع ويتفت أسى وحزناً ...

وكان الطفل راقداً في فراشه كالغليال بلوصدوره
ويهبط في أنظراب وحشيرة وتجه عيناه الطفان
إلى سقف الحجرة كأنما شيء فيه يسترعي النظر

أن يتسم لمأى فتى ، فكاد هذا يطير من الفرح ..
وراح يحمله بين ذراعيه ويهدده في حنان ويحاده
بلهجة مكسرة إضراراً وتديلاً ويخرج من الأصوات
ما يجمل الطفل يمدق فيه ويتسم في سداجة الطفولة
البرينة ...

وكانت سميرة إبان ذلك تنظر إلى زوجها نظرات
جامدة لا ترسم على وجهها تلك البسمة التي تبدو
على وجه الأم حين يداعب الأب طفله ... بل كثيراً
ما كانت نظراتها تقسو حتى تخرج بالهيك والازدراء
وتسكاد أن تهم بأن تنزعه منه قائلة : « وعه ...
دعه أيها الرجل فانه ليس ابنك »

وبلغ الطفل السامين من عمره فكان فتى
لا تسمه الدنيا حين يتاديه بلطفة « بابا » أو يمتطي
نخديه ويداعب شارب بأمانه الصغيرة البيضاء في برامة
وطهر ... بل كان يشمر بالزهو والغلياء حين يسير
في الطرقات المويता وبجانبه عادل يمشي في مشيته
وهو ممسك بيده

واستقرت سميرة وهدأت نفسها وظنت أنها
أوتيت خزائن الدنيا في شخص صغيرها القدي ...
وكانت تنظر إلى وجهه الأبيض المشرق فتعس الحنين
يطغى عليها وتشمر بقلبها بمحقق الحب الكبير ...
وكثيراً ما عاودتها ذكريات قديمة وهي تنظر إلى
وجه ابنها ، فقد كانت ترى في وجهه ملامح نجم
أشرق في أفق حياتها ساعة ثم خبا ... كانت ترى
في وجهه وجه أبيه فترتمد وتهتر كأنما مسها تيار
من السكر بياض عفيف

ملأ الطفل البيت حياة وبهجة ، فأخفى كدينة
مأهولة صابحة بمد إذ كان كصحراء مجدبة قاحلة .

كوبا من الماء وأدقته من فم الصغير وما كاد الماء يلمس
شفتيه حتى لفظ النفس الأخير

صرخت سميرة في جنون وراحت تلطم خدها
وتقتلع شعرها فتناض قلب فتحى وجزع. وكأخاف
الحقيقة فوقف ينظر إلى الطفل الميت نظرات ذاهلة برهة
قصيرة.. ثم أدركته الحقيقة القاسية فاندفع إلى الجنة
يطرحها وابلا من قبلاه وهو يزأر زئير أسد جريح
وانتهت سميرة من حزنها على براخ زوجها
وعويله ونظرت إليه وهو منكب على الجنة يقبلها في
كل أجزاء الوجه الممتنع... نظرت إليه في ذهول
ودهشة... ثم تولاهما الحنى والنيظ... وتمتعت
وعلى وجهها ابتسامة ساخرة :

— يا لقر الأبله ! ماذا يفعل إذن لو كان يعلم !؟

محمد عبد الفتاح محمد

وانشق صدر سميرة عن صرخة هائلة دوت في
سكون الثرفة الرهيب ، ثم واتها الدمع فانفجرت
تبكي بكاء صراخاً . فارتاح فتحن وأسرع إلى الطفل
فألفاه بشفة يبطء وصموية فمواودة الأمل ، وأدرك
أنها تسكاد نجن من شدة الحزن وأن منظر الطفل
المشجى قد بحث في نفسها اليأس قتالا ميمتا

والواقع أن سميرة أنكرت على القدر أن ينتقم
منها هذا الانتقام الرهيب فيسلب منها طفلها...
ماذا عليه لو تركه لها ليفعل فيها هي بدئذ ما يشاء ؟
إنه انتقام... أجل إنه انتقام . فيا القسوة المنتقم !
والثفت الطفل برأس أفتلته الحى القتالة إلى أمه
وقال بصوت تمشى فيه القناء :

— أشرب... طاوز أشرب

فاندفعت أمه تتمتر في دموعها النزار وأحضرت

شركة مصر للغزل والنسيج

تقدم لكم المنسوجات القطنية الجميلة على اختلاف أنواعها

معتدلة في أثمانها...

رائعة في ألوانها...

فيادروا باخذ طلباتكم

مَذْهَبُ طَائِفَةِ سَمَاءٍ

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ طَهْ الْخَالِصِيِّ

إلا عطر الأحاديث . إذ كان رجلا كامل الرجولة ، فاضلا على أئمته من الفضيلة ، لا يستهويه من تزق الشباب ونزوات الفتوة ومنريات البيئة ما نهافت عليه أهل المصراعمة إلا من عصم الله . فنعمت به خير ما ينعم حبيب بحبيبه ، وحدث الله على هذا

التوفيق الذي أنساني هموم الحياة وغمرني بالثمة الحقة ، وأوجد حولي جوامع الواقع يتسق مع ما كان يقوم في نفسي من أحلام الليل العليا التي أنشأتها في نفسي تلك البيئة العنيفة الخاصة في انقياضها وترتمها ، وزينتها في صدري غضارة القلب للناس . السلام . . .

ولكني لا أكتفك أني كنت أحس في بعض الأحيان أنه قد احتجز فيه من أسراره سرا يطويه عني ، ويسطنع الحيلة والخدع في كتمان وإخفاء بوارده ، فكان يحبك لهذا في صدري شيء من التيرة والألم ، ولكن ما كان أسرع ما يتلاشى في غمرة النسيم الروحي الذي يملأ قلبي ، فلا أرى أمامي إلا ذلك الرجل المفاضل المهذب ، وتلك الروح اللطيفة للصفافية ، وذلك الضوء الساطع الذي يمتد فيها بيننا ويضمحل ما حولنا ، وهكذا مضينا أرواما خمسة لم ينل من هذه الصداقة شيء . ولا تغير في عيني شيء من معاني الكمال الخلقى الذي كانت تتألق به نفسه ، ولم أهدأ أبداً بذلك السر الذي كان في قرارة صدره وكان يحيل إلى أحيانا أنه سر امرأته ، إذ كنت أشم منه عبير الحب ، فلم أحاول مطلقاً أن أسئله منه وما ندمت على شيء فيها بعد ندي على إغفالي هذا

حدثني صاحبي ، قال :

كان فيمن سميت من الناس في أوائل الشباب شاب في عتفوان السن ، وكان من أهل اليسار والنعمة ، أنيق اللبسة ، متدفق الفتوة ، كثير المرح ، ولكنه مع هذا على خير ما يكون عليه الرجل السميد ، فبا أعرف أنا من كلمة الصداقة ، سلامة صدر ، وطهارة قلب ، ومثانة خلقي ، وبسدا عن سفساف الحياة وصنائر الشباب .

وكان أول أمرى منه أني لم أكد أعرفه معرفة السمع والبصر ، حتى أحببته حب الرأي والمباقة ، كأنما كان بين روحينا منذ البدء أسرة ، كما يقول علماء الروح ، وإن فرقت من بعد بيننا شقي للفوارق الاجتماعية ، حتى ما كان لئلي أن يصحب مثله . ولكننا ما إن تراءينا حتى تمارفنا فثقتنا فحضر كل صاحبه وده وخلق به نفسه ، فكان عيبة سره ومستقر أسرته وراحة صدره . وذهبتا تتساقى ككؤوس الصداقة الصادقة ، لا يشوبها شائبة غرض ، ولا يلبسها ما تخضع له علاقات الناس من أهواء النفوس المختلفة ، وعلاوات الحياة المادية المنيفة . ومعنيانا على ذلك عهدا طويلا لا أجد له في قلبي إلا كل محبة ، ولا أنسم عنه بين الناس

الروحى الذى فقدته فقدت منه حظاً غير قليل من
الثمة الصادقة والروح النفسى

وسارت إليه ، فمشى لى ، وتحقّق لى ، وأجمل
تحقيقى ، ويألف فى تكريمى . ولكنى كنت أشعر بذلك
كله فى دخيلة نفسى ألفاظاً لا معنى لها ، وسورة
للصدقة لا روح فيها ، وأنكرت من شخصه
ما أنكرت بالأس من رسالته ، وكان لم يتغير شيء
فى رأى قلبى . وحسبت هذا صنع الزمن ، فرجوت
منه تجديد ما أخلفه

ولكن هيهات ... !

فلقد تراءت إلى الأخبار من كل وجه أن صاحبى
قد حال أمره ، وتغير عهده ، وانقضت عهده ،
فأصبح من ذوى الحيانة والمهر والتبطل ، وجعل
حياته كلها فى أعقاب كل فاجرة ، وابتداء كل
مستهتر ، واقتناص كل ساذجة . وجعل يبذل لهذا
عن سمة من نفسه وماله لا يبالي ما أنفق منهما ،
ولا يابى لمصيبته فيهما ، ولا يراجع فى ذلك رأياً ،
ولا يعبأ بمبرة مطوية أو مكشوفة . وذهب عنه كل
ما عهده الناس فيه من رأى مترن وبصيرة نافذة ،
فطوى كل قواء الفكرية ومواهبه النفسية فيما زين
له من شهوة غاية ونزوة طائشة

قيل لى هذا ورويت لى النوادر العجيبة والصور
الطريفة من حياته هذه ، وأنا لا أكاد أصدق ما يرويه
الناس ويؤكدونه ويتواترون عليه . فقد سمعته تلك
اللذة اللديدة ، وخالطته خالطة الأخ الأدنى ، كما سبق
لى القول ، فأأنكرت عليه شيئاً تحزى منه الفضيلة ،
ولا أخفنت عليه ما يقدح فى خلقه أو سروده ،
ولقد أثبت أسرّه قائماً هو تقي الدخلة قد تشابه ظاهره
وطبخته واستوى سره وعقله ، فما باله اليوم ؟

الأمر ، وإغضائى من هذا السر ، وعدم احتيالى
لمعرفته فربما كان فى ملكى أن أحمل شيئاً أخذه
قرباناً للحب والصدقة والفضيلة ، وما أجعلها قرية ،
ولكن الله غالب على أمره

ثم ضرب بيننا الدهر فطرحنى بمضى شؤون
الحياة الماتية مطرحاً بعيداً ، فكنا تراسل بما يقوم
بحق الصدقة بمد أن حاول الزمن أن يتال منها ،
وكانت تأتبنى رسالته فيفتتح لها قلبى ، وتسطع ألفاظها
بمعانيها سطوحاً روحياً باهرراً ، فأجند لها نشوة
أى نشوة ، وأستشعر منها لذة لا تمدها لذة ثم ...

ثم أخذ شعوري بهذه اللذة يصفى ويتضائل ، ثم
إذ بانى لا أرى ذلك النور الذى كان يتألق فى كلالته
وعدت من بعد لا أقرأ فى رسالته إلا أحرفاً مجتمعة
وعبارات مصطنعة ، لا أكاد أحرف لها معنى ،
وأخذت لى لها غاشية من الألم والحيرة ، واهتت
نفسى بالنسيان ، ودميت قلبى بالليل ، وطلعت الملاج
الشديد أن يعود إلى عهده من إدراك معنى الصدقة .

ثم لم أدر بمد إن كان قد صدق فلم تعد تلك اللذة الماتية
تتجلى فيه وتنعكس عنه ، أو أن فى الأمر شيئاً وراء
هذا يرجع إلى أن الصدقة قد فقدت قوتها الروحية
وخلت من معانيها التى قامت عليها وشدت منها
وحاطتها بأبلغ الحياطة . وما زالت الحيرة ترددى
بين شقى الفروض ولكن الرسائل كانت ما تزال
تروح وتغدو فيما بيننا نعمل ما يتراسل به عامة الناس
من كلام لا طعم له ولا روح فيه

ثم أتيت لى العودة إلى مسارح ودى القديم
بمد هام وبمضى العام ، فسدت وأنا أشد ما أكون
شوقاً إلى مطالعة صاحبى وتجديد العهد بذلك الجمال

روح المكان ، وفنتنا في جلال الذكرى وأحسست في قرارة قلبي بالضوء الجليل الذي كان يضرنا حين كنا نجلس هذا المجلس من قبل . ثم بدأ صاحبي يتحدث أجل حديث وأروحه على قلبي حتى كدت أنسى تماماً انقلابه الأخير ، ولا أرى إلا عهداً من الود الصادق موصولاً .

وبينا نحن كذلك لاح لنا ضوء سيارة على الطريق الأترابي تتوجه شطرنا ، حتى إذا حاذتنا أو كادت وقفت لتمود . وكان بها شاب حسن البزة ، متألق الشباب ، وإلى جانبه فتاة بدية القوام مشرقة الوجه ، وقد أتى القمر عليها أشمته فبدت في أبهى منظر وأروع مجلى . ورأيت صاحبي قد أتى نحوها نظرة ثابتة مبهوطة لم يرجعها حتى دارت السيارة ورجعت أدراجها ، فزفر زفرة حرة والتفت إلى يقول :

— أرايت هذه الفتاة ؟

— أجل ! وماذا تريد ؟ أطريدة جديدة تنصب لها شاباً كك ، وعد لها أشراكك ؟

— ماذا الله ! بل مبد روحى وعروابي قلبي :

حيل بينى وبينه ، فاندفعت في الطرقات اندفاع الهم الجامعة

فسكت برهة أنأمل قوله ، فلم يكشف لى عن وجهه ، فاستوعمته منناه ، فأطرق لحظة حسبته بما لى فيها نفسه أعدل العلاج ، وبرادها عن سر قامت دونها الحب والأعلاق ، ولبثت أنتظر وأناهب لسباع قصة ممتعة تكشف لى عن ناحية من حياته . ثم التفت إلى يقول :

— أعنى أنها كانت حبيبتى التى سيطرت على قلبي ، ثم ...

أفى الممكن أن تنفیر الأخلاق وتحول العباث وتتحول الشخصیات بهذه السهولة ، وفى عدة من الشهور قليلة ؟ أم كنت غدوعاً فى أمره ، معصوب العينين تجاهه ، وأنا أحسبى بصيراً به ، مثبِتاً من حقیقته ؟ أفى الممكن هذا ؟ ذلك سر من أسرار النفس ، ولنزمن أنار الحياة الانسانية ، وما أكثرها وأخطرها !

لقد ذهبت النفس التفسير من كل مظانها ، وأقبلت أعمدت إلى هذا وذلك من أقره الأذنين فى خاصة أمره ، وما عساه قد داخل حياته ولايس نفسه ، فأعياى أن أجده تفسيراً يطمئن إليه عقلى ، ويطرد مع ما أمحرفه عنه ، فانصرفت عن هذا وفى نفسى من الحيرة بقلوع ما أجده من الألم له ، والفتنة فيه ، واللوعة لصابه ، وترجت على عهد كانت صداقتنا فيه كالنذير الصافي تنمكس عليه أشمة الساء

ولفينة أصبل يوم من الأيام فى طريقى إلى صراشى بظاهر المدينة ، وكنا نمتاده صامان قبل . فاستصعبته فمضى إلى ، حتى إذا غشيتاه كانت الشمس قد غربت بمغربها ، وطلع للبدر من مشرقه . وصراشنا هذا هو روضة على جانب طريق زراعى ، تقوم بها أشجار متشابكة الأغصان ، وتحفها شجيرات ملونة الألوان ، وتنثر على أرضها أزهار مختلفة الألوان ، وقد جرى إلى جانبها غدير صاف يتألق في ضوء القمر وقد سطع علينا من ضمامه ، فاجتمع لهذه الروضة جمال الأرض وجمال السماء ، وكانت نسباها تتأرجح بكرات الود للقديم ، فاجتمعت لنا منها ممتة الحس وممتة الروح . جلسنا على مقعد وضع هناك ، وقد تركنا أنفسنا لذكريات تتناهى وتتجاوب ، حتى غمرتنا

ولكني لم أدمه بكل حديثه قلت له :

— أيهن ؟ فمن كثر

فنتار لي نظرة فيها معاني الألم والتوسل وقال لي :
« ناشدتك الله دعني من هذا التهمك والتأنيب
وحسبي ما أشعر به في قلبي من لدغ كلذع الجمر ،
فإن روح هذا المكان قد لبست ضميري فنفخت
فيه الحياة ، ولا والله ما أحببت إلا هذه الفتاة التي
رأيتها ، والتي أنا محدثك عن أمري ، مها :

لقد مررت في فيمة السن ، وأحببتها في مطالع
الشباب . واست أذكر الأسباب التي وصلت بيني
وبينا ، وهيأت لي سبيل حبها ، ولكني أذكر أنها
ما زالت تكبر في عيني وتعظم ، وما زالت تتحد معانيها
وتشع ملء الأفق ، حتى تأملت في رأي قلبي ،
وغررتني بأشعتها الساحرة فأحسنت كأن نفسي
مشتقة منها ، وكأن وجودي متدمج في وجودها .
وجعلت لا أراها بعد إلا معنى متساق من الجلال
والطهر والنعمة ، يمت في نفسي معاني الحب
والفضيلة والخضوع

وجعلت أدور في فلكها الساحر الجميل للتألي
وما شرت قط بالضيق به والرغبة عنه والتفت منه ،
إذ كان عالمي الذي لا أحرف طلك سواء ، والذي
اجتمعت لي فيه كل أسباب النعمة ومعاني الذة
ومظاهر السكال

ولقد كنت في تحلاً الفتوة هروقي وتهز
أعصابي ، وكان جذيراً بها أن تفعل بي فعلها الطبيعي ،
فتوجهني تلك الوجهة التي يتجهها الشبان ، وتهوى
بي ذلك الهوى الأخير بشق اللذائذ الجسمية ،
وتقذفني إلى تلك السياحة التي يحف بها شياطين
الانس والجن بوحى مضهم إلى بعض زخرف القول

غروراً . ولكني كنت محفوقاً بروحها اللائكية ،
محسوراً في فلكها الدماوي ، ملوأة بجمانها الجميلة ،
ولذا أحبها البري .

لقد كانت ملاك روحي ومسك فضيلتي وشمس
حياتي ، سواء في ذلك شهودها وفيها وجلوها
وحجابها ، إذ كنت أحياء في شعوري بها وإحساس
بحبها . ولكني لا أذكر يوماً من أيام حينا ، ضي
دون أن أجلس إليها ، وأتبع بطلتها ، وأملأ قلبي
بجمالها ونضرتها ، فكنت أرى حالة من التور محيط
بوجوهها ، وطاك من الفضل والشرف والجمال والسكال
يقوم حولها ، فكنت أنظر إليها نظرة حب وإجلال معاً
وكنت أقرأ معها أحياناً بعض كتب الأدب
فأشهد ما عرفت أستاذاً يشرح دقائق الفن كما كانت
تشرحها هي في نظرة أو لحة تحيط بالمعنى النفسية
البعيدة ، فتجلوها أمام عيني كأنها صورها معصود
صناع ملهم . والله ! لقد كانت تحبني بالفاظها ،
حديثاً فيه متعة القلب والأذن ، وفيه جلال النعمة
والمعنى ، وفيه الحبيبة بكل مظاهرها ومعانيها . أواه
أواه من ألم الدكرى وجفيرة المصاب فيها !

لقد أباحها على القدر فرماني بذلك الشاب الذي
رأيتني إلى جوارها : ساقه إلى خطبتها ، وزينه لأعين
أهلها . فاني لجالس ذات يوم وإذا بها مقبلة علي ،
وفي حينها آثار البكاء .

فجزعت وأخذتني الوعة ، وأقبلت عليها أسألها
فقصت علي القصة ، وطلبت إلي أن أقدم لطلب يدها
عساي بذلك أبعد الخطر الدائم وعرفت حين ذاك
أن ذلك الشاب موطف بوزارة الداخلية ، من أسرة
متوسطة الحال ، يتقاضى مرتباً لا يتجاوز خمسة
عشر جنيهاً . وقد رآها مرة في طريقه ، ثم ذكرت

الشهوة في مذهبها، بهد أن كانت مجبوسة من حب فتاتي في مكان صحيح .

ويلاه ! لقد كنت وجدت في حبها سبيك يصلني بالسبب وما ترخر به من الملائكة ، فلما انبت السبب هويت إلى الأرض أنمرض لزغات الشياطين والأبالسة .

لقد كنت من حبها في فلك سحري جميل ، أدور به أينما دوت في حدود جاذبيتها تمسكني أن أهوى أو أنحرف ، فلما ذهبت تلك الجاذبية عني جعلت أنطوح هنا وهناك لا بمصمى ماصم ولا بمنصى شىء .

كنت معها ملكاً فأصبحت بدونها شيطاناً
كان قلبي منها في محيط نوراني مشرق ،
فأصبح من يدها في ظلمات بعضها فوق بعض »
وهنا أخذته الذكري وبلغ به التأثير ، فلم يملك نفسه من البكاء ، وجعل ينشج نشيجاً صراً ، وأنا أحاول تهدئته والتخفيف عنه ، حتى سكنت عنه البكاء فأخذت يده ، وأخذنا طريقنا إلى المدينة ، وسرنا في صمت ظاهر ، تنكسر من تحته الطواطر ، وتقلب فيه الصور والماني ، ووجدت قصة حبه تتردد في خاطري مختلطة بقصة صداقه وهو دود . فذكرت ذلك السر الذي كان يحاول كتمان ، وقد صدق فيه حدسي : إنه سر الحب الذي أترع له كؤوسه في عالم الملائكة المقربين ، ثم تركه يهوى بين المردة والشياطين « وندمت أشد الندم على إغفالي هذا الأمر ، وإغضائي عن هذا السر ، وعدم احتيالي لمعرفته ، فربما كان في ملكي أن أحمل شيئاً أعزبه قرباناً للحب والصداقة والفضيلة ، وما أجعلها قرعة ، ولكن الله غالب على أمره » محمد طه الجاهري

له فتقدم إلى أبيها - وهو رجل سافج غفل - وحوله حاشية كبيرة من هيئة الوظيفة ، وما يشه الرم من حولها ، وما يخله السباسة عليها ، من الأنواء الساطعة والألوان الزائفة .

وتقدمت إلى الخطبة وأنا لا أكاد أشك في اللغلة والظفر ، إذ كنت أحسني متمصاً بأقوى الأسباب في مثل هذه الأمور ، من مجد الأسرة واتساع الثروة وشرف الاسم . وأما منافسي فما يملك إلا الوظيفة وأهون بها . ولكن غاب ظلي ، فان الوظيفة التي طشت على شقي نواحي الخير في مصر ، وهزمت صفات الرجولة والشتم والإباء في نفوس الناس ، قد أخلت بالوازن المتبصرة في تقدير الرجال ، فشالت كفتي ، ورجحت كفة ساحبي ، فتسلل لي أهلواها بأن فلاناً سيقى إلى خطبتها ، وما هي والله إلا الوظيفة ومصيتها وسوء أثرها في أنظار الناس . فانصرف وأنا أراى قد أصبت في قلبي بما سطعه تحطياً وتركه هشياً .

... وانتقلت صاحبي إلى بيت زوجها ، ولم يلبث أن سافر بها إلى مقر وظيفته ، فاقطع ما بيننا تماماً ، ووجدت هي في بيتها وأسرتها ما يستأثر بروحها ونشاطها النفسي ، وأما أنا فإذا لقيت ؟

لقيت شر ما يلقاه امرؤ مما يسمونه برد الفعل
لقد طرحت بي تلك الصدمة النيفة إلى الجاهة والمقابلة لما كنت فيه مما أحسبه أممي حالات الخير والفضيلة ، فارتكست فيها تراني فيه ، وتنكره علي ، من الخلعة والتبطل ، والجري وراء كل بني طموح ، وكل طائفة صرية ، وانطلقت هريزتي الجنسية في كل طريق يفسح الهوى من جوانبه ، وتريد

هل أطلق سراحه أم أقوده إلى الأسر؟
وبالتالي هل أكون نمرًا أم خمارًا

وبينا كنت أفكر في ذلك عاد يوسف
الأرمي وأخبرني أن صحة زوجته تحسنت
بعد أن استراحت في ذلك المنزل ، ولكن
الضئف الناشئ عن التزيف كان لا يزال
مانعًا لها من الانتقال إلا إذا طاردها السردار
فاضطرت إلى الفرار من وجهه، وأنها أخبرته بقصتها
منذ اختطافها للفارسان إلى أن وجدها يوسف

قالت : إن الذين اختطفوها ذهبوا بها في الحال
إلى بيت السردار فأمر بوضها في منزل الحرم بين
جواربه وأجزمها على اختطافها وإن السردار لما رأى
ضئف بنتها وهزال جسمها أمرها فجلت بين
الخدمات العاديات فخدمت الله على ذلك . وكانت
تجنب الظهور بأى مظهر لكي تبقى همة . وقد نجحت
في ذلك أول الأمر ولكن سوء الحظ سلط عليها
مجزوأ من جوارى القصر تظاهرت بودها وأفهمتها
أنها تريد مساعدتها على استرداد حريتها

فلما أصفت حرم إليها واعترفت لها برغبتها
في الفرار ظهر غدر المجوز وتقلت الحديث إلى
السردار

قالت حريم : « فلما سمع ذلك اغتاظ غيظًا
شديدًا وأمر بأحضاري وأسمنى ما أكره سماعه من
الوعيد والتأنيب وهددني بالموت إذا حاولت الفرار
وأمرني بأن أبرهن على إخلاصي بالاستعداد لمقابلته
في تلك الليلة فصممت على أن أهرب بمجرد عودتي
بالقاء نفسي من النافذة قائلًا أن أتمكن من النجاة
وإذا أن أخلص من الحياة

حاجي بابا اصفهاني

ليكن لنا لاجئ عزي جهنم نور
بقلم الأستاذ عبد العظيم النشار

الفصل الثامن والثلاثون

بين الروابيع والظمير

أتم الشاب الأرمي قصته وتركني بين أشد
عوامل الدهشة من غرابة قصته والاعجاب بحسن
صفاته . ثم أذنت له بالذهاب مع بعض جنودى لرؤية
زوجته في المنزل الذى وضعتها فيه لكي تستريح ،
وقلت في نفسى استحيل أن تكون هذه القصة
الطويلة التي قصها على « خترعة كلها لأننى قد رأيت
بنفسى المرأة التي يتكلم عنها ووجودها أقوى دليل
على صحة الرواية التي رواها . ولكن إذا تركتهما وعلم
السردار ذلك فلا شك أننى سأفقد وظيفتى وربما
فقدت أذنى أيضًا . إن الرحمة لا تلائم مصلحتى
مادمت أريد البقاء في هذه الوظيفة ، ولئى أكون
حكيمًا كما يقولون على إذا لم أتبع حكمة لقمان الذى
يقول فيها : « ما يبنى للنمر أن يظهر بمظهر الجار
كيبلا يجمع بين الشراسة وبين الخداع . فن كان
يشبه النمر فليظهر بين الناس شرًا كطبيعته لأن
ذلك أقرب إلى الفضيلة . وما يبنى للجار أن يظهر
بمظهر النمر ، فان السالم يكون أشد قسوة عليه منه
على سائر الجير . فن يشبه الجار فليظهر بين الناس
سجاءً ، فان ذلك أقرب أيضًا إلى الفضيلة »
بقيت مترددًا فيما يجب على عمله نحو يوسف

ووافق على ما عرضته عليه ، فأذنته بأن يمود مرة أخرى إلى زوجته ليودعها وليخبرها بما قلته له فشكرني مرة أخرى وسار مع واحد من جنودي

الفصل التاسع والثلاثون

يوسف الأرمي يبرهن على أنه أهل لتقاضي ما يبايها سرنا متجهين نحو الحدود القوزاقية ، وكان يوسف خير دليل عرفناه لمرقته بهذه الجهات مرفقة دقيقة أدهشنا ولم يبد منه أي ميل لزيارة قريته وقال لي إنه لن يستطيع الذهاب إلى تلك القرية حتى ولو أسرته بذلك لأنه أنذر ألا يمود إليها إلا مصحوبا زوجته

لقد اتضح أن الخبر الذي بلغ مسمع السردار من تقدم الجيش الروسي غير صحيح لأن الروس كانوا لا يزالون صراطين على شاطئ نهر بيجاري وقد احتلوا قرية «جامبل» ومحصلوا في «قرقليسه» وكنا قريتين من هذين المكانين وأردت أن أعرف عدد الجيش الروسي فيها وحالته الحربية فخطر لي خاطر يتطرق بذلك ويوسف الأرمي ، وقلت في نفسي : « إن بقاءه على الحالة التي هو عليها لا يشرفنا فاما أن نفقده وإما أن نحميه وعزمت على إرساله ليتجسس على الجيش الروسي فان أدى مهمته استحق العقوبة وإن ذهب ولم يبد عدنا إلى القرية التي تركنا فيها زوجته وأخذناها إلى السردار وثقلنا مكافأته

ولما طلبت الأرمي وفتحته في الأمر أدرك مقصدي وغابني بمثل سرعة البرق وقبل المهمة التي عرضتها عليه ، وما هو إلا أن أذنت له حتى وضع بندقيته على ظهره وسار نحو القرية

ولما فتحت النافذة كنت أريد إلقاء نفسي منها ولكنني رأيته يا يوسف خمدت الله

وكان بعض الجوارى قد جئن قبل ذلك بلحظة فأمرني بالاستعداد حول الحمام فصرقتهن عن يميني وأغلقت باب الغرفة قبل أن أفتح النافذة مصممة على اللحاق بك أو على الموت محاولة ذلك «

بعد أن أحمي يوسف تلك القصة التي روتها له زوجته أظهر اهتماما شديدا بمعرفة رأيي في أمره وتوسل إلى أن أعده يبدل مصادق له ومنحه صداقتي ، وكان جنودي قد عادوا في ذلك الوقت من الأماكن التي كانوا متفرقين فيها وأعدوا جيادهم وجوادى لاستئناف سيرنا ، وكان رأيي قد استقر بعد تردد في شأن الأرمي وزوجته فتأذنته وقلت له :

« بعد القصة التي سمعتها منك يا يوسف صار هالكا على أن أطلق سراحك لأنك قد اعترفت بأخذ سيدة من قصر السردار ، وذلك ذنب قد ماتت عليه بالووت ، وقد كان واجبا على ألا أمهلك وتلك السيدة إلى الآن بل أبست بكا إلى أوفشان ساعة اعترفت لي بحسنا الاعتراف . ولكن إذا قبلت ما سأعرضه عليك فاني لن أقبل هذا «

ثم أخبرته عن وظيفتي وعن المهمة التي أرسلت لأدائها وحرصت عليه أن يافقنا في تلك المهمة فيكون دليلا لنا في البلاد التي يبرفها أكثر منا وقلت : « إذا رأيت منك إخلاصا في خدمتنا فاني أعدك بأن أداغم عنك عند السردار وأتوسط عند رئيسي وأحصل بإذن الله على أمر بإطلاق سراحك وفي هذا الحين تبقى زوجتك بالنزل الذي هي فيه الآن حتى تعود إليها سالما «

لما سمع يوسف قولي دأمني فقبل يدي شاكرًا

قال إنه لما وصل إلى مدينة « حمامو » حرفة
بعض الجنود الروسين الذين كانوا في قريته الفارسية
فاحسبوا استقباله وأخذوه إلى قائم الذي سأل
عن الغرض من بعثته فلم يجد خيراً من الإجابة بأنه
جاء للبحث عن زوجته وقد كان له من التكتبات التي
حلت بقريته وشردت أهلها ما جعله قادراً على السكلام
دون أن يثير شبهة حول نفسه، ثم سمح له بالبقاء في
القلعة وتمكن بإبدائه ملاحظات يظهر فيها إخلاسه.
وبسؤاله مع النظارين بمدى الاهتمام — تمكن بذلك
من معرفة ما ذهب ليعرفه وليخبرني به من عدد
الجنود ومقدار السلاح وما يمكن معرفته عن خطتهم
في الحرب

أصرحت بتقديم الطعام إلى يوسف وأذنته بأن
ينام ليستريح وتأملت فيما سمعته فلم أجد فيه شبهة
الكذب. وفي الصباح أصرحت جنودى بالاستعداد
للمودة نحو أربفان وجعلنا الطريق إليها من جهة
أشتاراك، وهناك علمنا بعض الشيء عن حركات
السردار وقائد جنوده، وأذنت ليوسف أن يزور
زوجته، فذهب وعاد فرحاً مسروراً وقال إنه وجدها
على أحسن حالة وقد شفيت من جراحها وشكرنى
تكرار إحسانى إليه

وكان السردار قد انتقل من أربفان إلى مقر
البربركية الأرمينية فتقدمت إليه ومى يوسف

الفصل الأربعون

عاجى بابا برافع عن برسف

يدعو الأرمينيون هذه المدينة « إيشميازين »
ويدعوها الإربانيون والأتراك « أوتش كليسة »
أى الكنائس الثلاث. وهى قرية كبيرة واقعة في

بمد ذهابه قال أحد جنودى : « لقد ذهب
ولنى يمود »

فقلت له : « إن الرجل أرمى وقد كان يفعل
ذلك لولا وجود زوجته فالأرمينيون لن يتركوا
نساءهم مهما كانت الأسباب »

فقال جندى آخر : « هذا صحيح ولكنه
مسيحي والروس مسيحيون كذلك ويمد أن يجتمع
بعضهم ببعض ثم يمودون إلى المسلمين وأنا أراهم
على جوادى هذا إن عدتم إلى رؤيته »

قال جندى ثالث أشيب الرأس قد جمدت
وجهه السنون : « ما هذه المهارة ؟ إنك لا تعلمك
الجواد حتى تراهم عليه فالجواد جواد الشام »

فقال ذلك الجندى مائلاً : « ولكنى أراهم
عليه وما كان مملوكاً للشاه فهو مملوك لى »

أسكت الجنديين ورأيت عن كتب مكاناً به
حشائش تصلح لأطعام الخيل فأصرحت الجنود بالأتجاه
نحوه، ونزلنا من الجياد وأقنا الخيाम وأعلنت رغبتي
في الإقامة بهذا المكان حتى يمود يوسف ثم أرسلت
بعض جنودى ليحصلوا على كبش أو نمجة لنا كل
فذهبوا وعادوا بكبش سبعين ذبحناه وأوقدنا النار
فشويناه وأكلنا بشهوة قوية وأبقينا اللحم ما زاد لدينا
أظلم المساء ولم يأت يوسف ولكن لما استمددنا
لنلوم تاركين رجلين منا لحراسة الجياد سمعنا صوتاً
من جهة بعيدة. وكان القمر إذ ذاك بدرًا وكانت
قد مضت ساعة بمد منتصف الليل ثم سمعنا الصوت
مرة أخرى، وكان في هذه المرة أدنى إلينا فاستيقظنا
وتكررت الأصوات فلم يبق لدينا شك في أن القبل
هو يوسف ثم جاء وكان في حالة شديدة من التعب
ولكنه مع ذلك كان قادراً على أن يسرد علينا قصته

البحر وشكبه قريباً من شكبه
وجمل القول في وصفه أني لم أر قط شيئاً له
ولم أتصور قبل رؤيته أن إنساناً يكون بهذه الخلقه
وكانت نظراته تدل على أنه لا يحترم قانوناً من قوانين
الأرض ولا السماء . وكان يكلم غيظه إذا شاء
ولكن إذا نار غضبه فلا حد لقسوته وعنفه

على أنه مع هذه الصفات القبيحة كان ذا صفات
جميلة محبوباً عند جميع مرؤوسيه ، فهو كثير
التبسط معهم بطلق لهم الحرية في كثير من الأمور،
وهو شديد الدكاء . وكان يتبع مع الشاه خطة
سياسية جعلته محبوباً لديه موثقاً به . ومن
أخص صفاته أنه يخلص في حياة من يرغم غلصين
في خدمته . وربما لم يكن في البلاد الفارسية من
يتافسه في شرب الخمر إلا صديقه النازا كشي باشي .
وقد دخلت أمام هذين الرئيسين ومضى ثلاثة من
أكبر أتباعي

فقال لي النازا كشي باشي ساعة رأيي :
« مرحباً بك يا حبيبي يا ! أخبرنا كم روسياً قتل ؟
هل ملك بعض رؤسهم ؟ أزا ! »
قال لي السردار : « كم عدد الروسين الذين
على الحدود ومضى تبدأ المواقف ؟ »

فأجبت بعد خطبة التنجيه المتباده التي يجب أن
يلقيها كل مرؤوس أمام رئيسه وقلت : « لقد قُلت
أيها السيدان كل ما كان في وصى أن أفعله ، فقد
عرفت الجواب على كل سؤال أردتما أن تسألاه
وعندي الأدلة الكافية على أن عطفنا في صمود »

قال السردار : « إن حسن المخطئ لا بأس
به ولكننا لا نتمتع عليه بل كل اعتدائنا على سيوفنا »
ثم نظر إلى صديقه الذي قال : « نعم إن ضربة

وسط سهل خصيب ترويه جداول متددة، وبالقرب
منها جبل « أجرى داج » الذي يقدمه المسيحيون
عموماً والأرمنيون خصوصاً السبب الذي أخبرني
به يوسف وهو أن سفينة نوح رست على هذا
الجبل عند ما انتهى الطوفان

وبطريك الأرمن في هذه المدينة مطلق النفوذ
على جميع الطائفة الأرمنية ، وهي تدعوه بلقب
« الخليفة » وهو لقب يطلقه المسلمون على أكبر
رئيس يجمع بين السلطين الدينية والمدنية . ولكن
المسيحيين في آسيا لا يطلقونه إلا على البطريرك
الأرمني الذي تكاد تكون سلطته على أتباعه تمتد
سلطة الخلفاء في بغداد في الأزمنة السالفة

وجدنا جيوش السردار بالقرب من الكنيسة
ومضت أحد ضباطه يقول : « نحن سنحرق هؤلاء
الكفار ونشرب ما في كنائسهم من النبيذ »
قلت له : « هل أنت مسلم وتتكلم عن شرب
النبيذ ؟ لقد أصبحت كافراً مثلهم »

قال لي الضابط : « إن السردار يشرب الخمر
كما يشربها الكفار ولا أعرف لماذا لا أخذوا صفوه
في ذلك »

وقد ظهر لي بعد هذا الحديث أن جنود السردار
احتلت الكنيسة وأن القسس أغلروا رضام وبذلوا
مساعدهتهم مكرهين . وكان الخوف متسلطاً عليهم
من غضب الإيرانيين

وقد عرف القراء قبل الآن وصف « النازا كشي
باشي » الذي صار قائداً لجنود السردار، أما السردار
نفسه فكان وجهه أشد تجهماً منه حتى وصفه
شاعر الشاه بأن وجهه يشبه « أجرى داج » وهو
الجبل الذي كنا بالقرب منه . وكانت صفاته كصفات

ولا يسمح لجيشه بالتقهقر مهما كانت الظروف المحيطة بهذا الجيش وهم يقولون إن في جيبه مصحف السرदार .
 فقال السرदार : « إذن قلله هو القائد الذي حاربته في العام السالف فإن هذا الوصف ينطبق عليه .
 لقد أدهشني كل الدهشة بتصرفاته الثرية وخططه وقد سرق مني مصحف في العام السالف واستأخرف كيف وصل إليه . ولكن ذكرك هذه السألة يدل على أنك صادق يا حاجي بابا ، كم مدفعا تقول إنه لدى الجيش الروسي ؟ »

فقلت : « أربعة أو خمسة أو ستة »
 قال الكاتب صراجاكي : « لقد قلت الآن كما هو ثابت عندي إن عدد المدافع عشرون أو ثلاثون فأني القولين هو الصحيح ؟ »

فصاح السرदार : « أنكذب هنا ؟ »
 وظهرت علامات القوة والقسوة على عينيه وقال :
 « أقسم برأسي أنه إذا اتضح كذبك في أية كلمة قلها ظن متنتفرك هذه الجرعة . إن ذقوننا لم يخلق ليضحك الناس عليها »

قلت : « الحقيقة يا سيدي السرदार أنني لم أذهب بنفسى إلى مكان الجيش الروسى فأنا إنما أقول ما يملق بذهنى من كلام الرجل الذى أرسلته وهو موجود .
 إن عظمة مولاي السرदार قد حملت أحد الشبان الأرمنيين على المخاطرة بحياته طامعا في أن تمفوغه »
 قال السرदार : « أعفوه عنه ؟ هل في الدنيا أرمى يستحق العفو ؟ » فسردت عليه قصة الأرمنى من أولها إلى آخرها وكتبت أعتقد أن دقائى منه علينا بهذه الكيفية يجعل من المستحيل على السرदार أن يماقيه بعد أن كتلت له السبق على شرط قام بوفائه ولكن لما أعمت القصة لم أسمع من الموجودين غير

السيف أصدق من اصطلاب النصح وإن جوادا وسيفا ومسدسا لأفضل عندي من الحظ الحسن »
 قال السرदार : « وماذا تقول في التنبؤ المتق ؟
 إن حاجي بابا قد قام بمهمته خير قيام وزيد مكافأته على ذلك بزجاجة من نبيذ الأرمن »

ثم قال لى : « من الذى يقود الجيوش الروسية ؟
 وفي أى معسكراتهم الفرقة القوزاقية ؟ وهل لديهم مدافع كثيرة وأين مركز قيادتهم العليا ؟ »

ثم نادى كانيه اسماعيل خان وأصره بأن يدون جوابي فقلت : « أقسم بنفس السرदार وقدأوها نفسى وأقسم بالخبر والمثل الذى أكنه مع النازا كئشى بانى أن الروس ليسوا شيئا يعتد به وهم إذا ماوزنوا بالجيش الفارسى لا يساوون الكلاب ، وأقسم لكم بعد الذى رأيته ببني أن فارسيا واحدا معه رمح وسيف يستطيع أن يقتل بسهولة عشرة من الروس »
 أظهر رئيسى سرورأ شديدا وقال لى : « لقد صدقت فراستى فيك يا أسفها نى فقد حققت تقى بك »
 فقلت : « إن عدد الروس الذين على الحدود قليل لا يتجاوز السبعمائة أو الثمانمائة وقد يبلغ الألف أو الألفين ولكنه على كل حال لا يتجاوز ثلاثة آلاف ولديهم عشرة أو عشرون أو ثلاثون مدفعا ؛
 أما القوزاق فهم أفراد قليلون ومن الممكن إخراجهم من الجيش الروسى بدفع رشوة إليهم وهذه حادثهم التى اشتهروا بها ويكنى أحدهم ثلاثون أو أربعون أو خمسون طومانا »

قال نازا كئشى بانى : « ولماذا تذكر القوزاق ؟
 إن أحدهم على جواده لا يفضل القرد على ظهر تيس »
 قلت : « هنا هو وصفهم ؛ أما قادم فانهم يلبسونه باليجور المجنون » وذلك لأنه لا يبر مطلقا

نفكر في ارتكاب اللّهم التي تنسبها إلينا . إننا من رعايا الشاه وأنت حاميها ونحن في أمن ودعة مستظلين بذلك فمن هو الرجل الذي تنسب إليه هذه اللّهم ؟ »
قال السردار : « هذا هو » وأشار إلى يوسف ونظر إليه وقال : « قل لي هل اختطفت جاري بقى أم لا ؟ »

قال يوسف : « إذا كنت قد أخذت غير زوجتي فاقبلوني ، إن التي تقول إنها جاريك هي مريم زوجتي وقد ألفت بنفسها من نافذة دارك حين رأيته ، وكلانا من رعايا الشاه وأنت تعرف هل لك حق استرقاقتنا أم ليس لك هذا الحق ؟ نعم نحن أرميون ولكننا آثمون ونحن من رعايا الحكومة الإيرانية وما حدث قط أن الشاه أكره أو أمر بإكره امرأة متزوجة على أن تكون رقيقة لأنها مسيحية . والدي لا أشك فيه أنك حسبت لما أمرت بإدخالها إلى منزلك — أنها قوزاقية أسرت في الحرب . ولكن عليك متى علمت أنها من الرعايا ألا ترغم أنها من جواريك »

ازداد خوف الخليفة لما سمع اللّجة التي يشكلم بها الشاب الأرمي فأسكتته بإشارة دالة على الغضب والحدة . ولكن السردار الذي اعتاد سماع هذه اللّجة سرحها بدلا من أن يغضب ونظر إلى يوسف نظرة تدل على أنه نسي السبب الذي استدعاه من أجله . وكان يوسف لا يزال يشكلم فأسكتته السردار بقوله : يكنى ! يكنى ! اذهب وخذ زوجتك . وبما أنك قت لنا بخدمة فمستقبقي في خدمتي وأجملك من حرس الخاص . اذهب الآن إلى رئيس الحرس ليملك واجباتك . وبإيسك الثوب الرسمي ثم عد إلينا . وإذا حسن مسلكتك في المستقبل فمأعفو عن غلطتك الماضية »

النطق بالشهادتين وسعد السردار في نظره وصوبه ولوى شفته السفلى على أشكال متمددة . وأخيرا قال : « لقد قام هذا الأرمي بأعمال عجبية »

ثم نادى الخادم فأمره بأن يحضر غليونيه ، ولما صد نفسين أو ثلاثة أنفاس أمر بإحضار الأرمي ورئيس الكنيسة « الخليفة » فجي « يوسف الأرمي » فالتفتت إليه كل العميون وبدا الإعجاب برؤيته بعد أن سمعوا قصته ورأوا منه شيئا قويا تبدو عليه كل علامم الرجولة . وحدد السردار فيه نظرة وأبدى النازا كشى بأش علامات متمارقا عليها عند جميع الإيرانيين تدل على شدة الإعجاب

ويجي بالخليفة وهو رجل طامع في السن ولكن لا تزال يادة عليه علامم القوة .

وكان لا يسأ ثيابا سوداء لأن هذا اللون هو الذي اختص به الأرمي . وكان معه ثلاثة من القسس

بعد أن وقف الخليفة دقيقتين أو ثلاثا أمام السردار دعى إلى المجلس فجلس دون أن يحيى باليدين كما هي العادة للتمتة في مثل هذه الحالة . ثم التفتت إليه السردار وقال : « لقد أصبحنا نحن المسلمين أذل من الكلاب في إيران ، فالأرمن يمتدون على منازلنا ويحتطفون نساءنا وجوارينا . قل لنا ياخليفة ما هذا ؟ هل هذا من عمل الله أم من عملك ؟ »
ارتجع الخليفة من هذه المفاجأة التي لم يكن ينتظرها فبدا عليه الدهر . وتندي جبينه عرقا وقد علمته التجارب أن المفاجآت التي من هذا النوع تكون في المادة بداية لا هو أشد منها . وحزم على اتباع خطة المفاومة فقال : « ما هذه اللّجة التي تكلمني بها ؟ إننا لا نعلم من أذا كم فضلا عن أن

يرتدى ثوباً رسمياً ، ويعلم إلى جنبه سيفاً . وكان ثوبه أحر اللون ذهبي الأزهار والحواشي ، وعلى صدره حزام من الكشمير فيه خنجره ومسدسه ، وعلى رأسه اللقاروق الجبل الذي يلبسه جنود الحرس وقد رجل شعره الذي لم يكن حراً تحت غطاء رأسه القديم المصنوع من الجلد ، فأصبح لجماله وروعه كأنه إنسان آخر ، وقد جعلته خصل الشعر النمدية على جبينه أشبه بالنساء منه بالرجال . وساعد على تقوية هذا الشبه ظهور أجزاء جسمه في ثوبه اللين الجديد ، وكان وجهه يحمر خجلاً إذا أطال أي إنسان النظر إليه

شكرني يوسف في زيارته على المساعدات التي قدمتها إليه ، وعلى الولاء وبعدي في الدفاع عنه . وقال لي إنه اعتقد بدأ السردار بالحديث للتقدم أنه فقد زوجته ، وإنه لذلك أجاب جواب من يريد أن يقتل حتى لا يعيش بعد أن تؤخذ زوجته منه وقال إن نجاة زوجته ونجاة ما الشيطان السمايان لسروره . أما تسميته في هذه الوظيفة فليس بالشيء الذي يسره أو الذي يبطيه ، وإنه يريد العودة إلى العمل الذي اعتاده في الحقول أو الاشتغال بالتجارة أو بقاءه متبلاً في خدمة السردار دون أن يعمل عملاً ما ليس مما يتفق مع طباعه . وقال لي إنه لم يسجل بالاستقالة ولم يرفض هذا العمل خشية غضبه ، ولأنه يرى الأذن لكل شيء طالما كانت زوجته في مأمن . وقال إنه يفضل أن يعيش راعياً لتنازير في جبال جرجان ، وأن تكون زوجته معه على أن يعيش منها في القصور الفارسية وزوجته ممرضة للبي

لم يسعى عندما سمعت هذا من يوسف الأرمني

سجد يوسف عند قدميه وأعرب له عن الشكر على إحسانه وقبل طرف ثوبه ولكنه لم يعرف ماذا يقول ولم تتكون لديه فكرة بالقبول أو الرفض عن هذه الوظيفة التي عرضت عليه . وذهبي كل الحاضرين من مسلك السردار مع يوسف لأنهم كانوا ينتظرون أن يأمر بقتله في الحال ، وهز التناز كشيء بائس كفتيه ، وأحس « الخليفة » بأن شيئاً ثقيلاً رفع من عاتقه وانخفضت نقاط الدمع التي كانت حافلة بجبينه وبدت على وجهه ابتسامة وهنا لكل السردار على حلمه وكرم أخلاقه وشهوته بكسرى أنو شروان .

وسرعان ما انتقل الخبر إلى المسكر فلهج كل الجنود بملح رئيسهم الرحيم . ولست أعرف ما هو الشهور الحقيقي الذي كان يشعر به السردار في هذه اللحظة ولكن كل الدين يعرفون أخلاقه يشقون بأن الرحمة لم تكن إحدى الصفات التي تدفعه إلى أي عمل .

الفصل الحادى والأربعون

عرب الإبرانيين مع الروس

كان « التناز كشيء بائس » ، والسردار ينصت إلى ما يقوله يوسف الأرمني عن مشاهداته في الجيش الروسي . فلما أتم قوله قررا القيام بالمجموع في الحال وصدرت الأوامر للجيش بالتقدم نحو حماماوا ومشت الدفعية إلى الجبال وتبعها الفرسان والمشاة . ولا يفوتني أن أقول إن الأرمني زارني قبل أن يتحرك الجيش للقتال

ولم يسد يوسف ذلك الفلاح الذي استصحبته في الطريق ، بل صار حارساً من حراس السردار

نارياً ، ورأيتا على الشاطئ الآخر قنهر رجلين تدل
ثيابهما على أنهما من جنود الروس . فلما رأى أن
ليس موجوداً من الأعداء غير هذين عادت إلى
وجهه دمويته وصاح : « اقلوها اقلوها ! هاتوا
رأسهما ! تقدموا ! »

فالتى بعض جنودنا بأنفسهم في البحر شاهرين
سيوفهم وثبت الجنديان الروسيان في مكانهما ثباتاً
أدهشنا وقتلا اثنين من جنودنا التي كانت تعبر النهر
واضطر الباقون إلى التقهقر ولم يدم من أحد أي ميل
إلى أن يخذو حذوهم ، وبعثنا حوازل القنايد بالوعد
والوعيد ويذل المال أن يحمل أحداً على التقدم أو خيراً
تقدم بنفسه وهو يصبح : « أما سأذهب وحدي
فلا يقيمي أحد » ثم وقف وقال لي : « ألا تذهب
فتأتى برأسي هذين الرجلين ؟ إنني أعطيك في مقابل
ذلك أي شيء تطلبه »

ثم همس في أذني قائلاً : « إذهب فاني واثق
بأنك تستطيع قتلها »

وفي اللحظة التي كان يكلمني فيها أصابه سهم
من أحد الروسيين فعلا صخبه ونجته وبافت غاؤه
حد اليأس وأقسم أغلظ الإيمان أنه سيقتل كل من
يخالف أمره وقال إن الروس حقراء مهينون
لا يستحقون أن يجبن الفرس أمامهم هذا الجبن «
وعند هذا ظهرت فرقة من الجنود الروسية وظهرت
الفرقة التي يقودها السردار ، وكانت قد اسطلت
ناراً حامية من الأعداء وضعت صمقاً شديداً ، وبالرغم
من أن عمل نازا كشي باشي في ذلك اليوم كان
جديراً بأن يمنه عن المفارقة طول عمره فإنه كان
لا يزال يتبجح بأدعائه

ثم وصلت رسالة من السردار يطلب فيها إرسال

غير أن أطريه ، وإن كنت أعنى أن يقع اختياره
على رجل غيري يجعله أميناً لسره لأن وقوع اختياره
على سيجملي مستولاً عنه إذا فر
في ذلك الوقت كان الجيش يتقدم إلى اشتارك ،
واستأذن يوسف في الذهاب لرؤية زوجته . ولما
وصلنا إلى الميدان ظهر فقدان الصبر بأجل معانيه
على السردار . فأتى أن يبق مع المشاة لأن حركاتهم
أبطأ من فرقة الفرسان . وتولى قيادة الفرقة الأخيرة .
ومن عادات الفارسيين أن يحرقوا المشاة في الجيش
ولست أقول شيئاً عن رئيسي النازا كشي باشي .
قد ملأ الدنيا بأدعائه حتى خال كل من سمعه أنه
لم يبق إلا لحظات يصبح بعدها الجيش الروسي كله
في أسرنا أو يقضى عليه ، وكان يريد أن يكون في
فرقة الفرسان مع السردار ، ولكنه اضطر إلى
الذهاق بالمشاة كأمر رئيسه ، وكنت معه في هذه
الفرقة

وكان السردار يريد الوصول إلى حاملو في ساعة
الفجر لكي يفاجئ الروسيين عند أبوابها وسرنا
وراءه لكي نتجده إذا اضطروه إلى التقهقر
وكان وصولنا إلى النهر في ساعة الشروق وكنا
على وشك العبور عند ما صاح صوت طال ثلاث
صيحات بلغة لا نفهمها فوقتنا ولتفتنا إلى الرئيس
الذي صار وجهه أشد اسفراً من أوجه اللوتي
قال بصوت خافت : « ما هذا ؟ ما الذي نعله ؟
أشر على يا حبيبي بابا ! »

فقلت : « لأظن هنا أحداً من الأعداء ولكن
ربما كان في المكان غول مثل النيلان التي يقولون
إنها في اشتارك »

وبعد لحظة سمعنا أصواتاً بربرية وسمعنا طلقات

فأظهر غضبه وكانت كلأتى بثابة الهواء الذى يهب على نار موقدة فيزدها اشتداداً . وخشيت بأش السردار إن علم بعد ذلك بأمرى فيعطش في فرأيت أن أخفى من الميدان واستأذنت رئيسى أن يسمع لى بالعودة إلى طهران فسر النازاكشى بأش من منحه هذه الأجازة لى لأن ذلك يفهم السردار أنه وحده صاحب السيطرة على أتباعه . وأمرنى بقبليخ رسائل إلى رئيس الوزراء تدل على أنه قام بعمل هام فى المارك وأن غيره لم يتم بأى عمل وقال لى : « لقد حضرت الواقع بنفسك يا حاجى بيا وأنت قادر على وصفها ونحن لا نستطيع مع الأسف أن ندعى أننا انتصرنا لأنه ليس لدينا من رؤوس الأعداء ما نستطيع إرساله ولكننا مع ذلك لم نهزم ، السردار قائد حمار لأنه بدلاً من أن ينتظر وصول المشاة عرض فرقة الفرسان خطر المزعجة لهجومه بها وخدها وهو لم يفعل غير أن نبه الأعداء إلى وجودنا فأعلقوا فى وجوهنا أبواب المدينة واضطروه إلى التفرق الزرى بكرامة الجيش الفارسى . ولو أننى كنت للفائدة لأريتكم كيف يبنى أن تسير الأمور . ولا تنس أن تقول لرئيس الوزراء إننى أول من جرح فى الجيش لأنى كنت أجراً الجنود على التقدم وبعد أن سلمنى خطاباً لرئيس الوزراء وهريضة للشاه أمرنى بالذهاب . وذهبت فوجدت الشاه لا يزال فى السليمانية على الرغم من أن الخريف كان على الأبواب ، وبمجرد وصولى قدمت نفسى إلى رئيس الوزراء وأعطيته الرسائلتين فرحب بى وقال : « لقد كنت أنت أيضاً فى حاملو وقد بلغتنا الأخبار من رسائل السردار ، أن الكفار لم يجرؤوا على رفع السيف فى أوجه الفرسان الإيرانيين ومن هم الدين (٧)

حاجى بيا إليه فذهبت مع الرسول وكانت أول جملة سمعتها من السردار قوله : « أين يوسف الأرمى ؟ أين هو . وأين زوجته ؟ » فخطر لى أنه قد هرب فأقسمت أننى لأعلم ولم تدل معرفة بمركانه ، فأطال السردار من نظره إلى وحرك شفتيه بأشكال مختلفة وأقسم أن يصب فوق رأسه جام انتقامه وأن ينتقم أيضاً من أهل قريته ومن كل إنسان له علاقة به وأقسم أنه إذا انضخ أننى ساعدته على الفرار بأى حال من الأحوال فإنه سيوجه كل نفوذه ضدى ليخفى ظلى من الأرض

وسمحت بعد ذلك أنه أرسل بعض رجاله إلى جافيشوا ليقبضوا على أبوى يوسف وأقاربه وكل من بينه وبين يوسف صلة من القرابة وأمرهم بأن يمحرقوا كل ما تقع عليه العين من أمتعة ولكن الشباب الذكى كان يتوقع كل ذلك فاحتاط لوقوعه وسار هو وزوجته وأهله فى أرض روسية قبل أن يعلم السردار بأنه ترك جيشه وقد قابلهم الروس بمقاولة حسنة وعرضوا عليهم ما خسروه وأقطعوم أرضاً واسعة

الفصل الثانى والأربعون

حاجى بيا لدى الشاه

عدت إلى رئيسى نازاكشى بأش فأخبرته بالوعيد الذى توعدنى به السردار ولما كنت أعلم مقدار التعاهد بين جميع الرؤساء الإيرانيين فأنى لم أتردد فى إخباره بأنى مستاء من النجبة التى كلى بها لأنى مرؤوس لنيره وقد كان عليه أن يراى ذلك لأنى لا أنبل هذه النجبة إلا من رئيسى

تأثر نازاكشى بأش تأثراً عظيماً بهذا القول

قامت شهيد الكاتب بيت شعر للسعدى يقول فيه :
« إن الأَكْذوبة التى منشؤها حسن التوبة لا تمتد
أَكْذوبةً بئانا »

ثم قام الوزير فذهب إلى الشاه وتيمنه في جلة
من تيمنه من الخدم والأتباع ثم نظر إلى الكاتب وقال :
« أنا الآن في غنى عنك فلك أن تذهب وتستريح »

الفصل الثالث والأربعون

ما جرى بينا يرى قصة فتعلم به نكبة

بعد أيام قليلة حال الشاه وحرسه إلى طهران وكان
موكبهم في عودتهم من الهبة والحلال كما كان عند ذهابه
وعدت إلى عملى الأول مساعداً لرئيس الجلادين
وكنتم مشغولاً بتعليم الجنود الجدد الدين حلواً عمل
الدين أرسلوا إلى الحرب . وبشت رسالة إلى طهران
أبلغهم فيها أوامر الشاه بأن يجامروا الرافضات
والثنيات على استمداد لمقابلة جلالتهم . وكان القصر
الذى فيه الثنيات والرافضات مكان يمد عن الماصمة
ثمانية أميال أو تسعة

ولما أبلغنى الشاه هذا الأمر لارساله عدت
فذكرت زينب التى كنت أنساها وتجددت
مشاعرى التى كانت تحسد

كان قد انقضى على أول يوم تعرفت فيه زينب
أكثر من سبعة أشهر . وعلى الرغم من أن
القوم الذين طشروهم في خلال هذه المدة كانوا من
التوحش بحيث ينسى كل من يعيش في وسطهم
كل ما في نفسه من شعور نبيل — على الرغم من
ذلك فقد كان تأثير شديداً عندما ذكرتها وذكر
الحالة المزعجة التى لا بد أن تكون قد وصلت إليها .
وقلت في نفسى : « لقد صرحت بى أثناء معرفتها عمود

يجرؤون على ذلك ؟ لقد علمت أن رئيسك جرح
في المعركة وقد برهن على أنه من أحسن خديم الشاه
ولا بد أن تكون جنودنا الآن على الشاطئ الآخر
من النهر

لم أكن أجيب على هذه الأقوال إلا بقولى :
« نعم ، نعم » أو « لا ، لا » ثم نادى كاتبه وأمره
بأن يصدر بياناً ينشر على الأقاليم والقرى ويعلن
فيه انتصار الجنود الإيرانية في جهات متمردة
خصوصاً في منطقة خراسان على جانبي النهر فنظر
إلى الكاتب وسألنى : « كم عدد جنود الأعداء ؟ »
قلت : « كثير جداً » ثم ترددت في تقدير
العدد قليلاً وقلت : « اكتب خمسين ألفاً »

فقال : « وكَم عدد القتلى منهم ؟ »
فقال رئيس الوزراء : « اكتب عشرة آلاف
أو خمسة عشر ألفاً فانه لا يلقى بجيش الشاه أن يقتل
أقل من هذا العدد . هل تريد أن يجعل الشاه في نظر
الشعب والشعوب المجاورة أقل من رسم أو أفرسياب ؟
هل كنت ؟ »

قال الكاتب : « لقد كتبت ما أمرتم دولتك
به » ثم قرأ ما كتبه وهو : « إن الكفار من كلاب
موسكو طردوا الله من رحمة ، لم يجرؤوا على التقدم
من جيشنا مع أن عددهم يربو على خمسين ألفاً وعددهم
لا يتجاوز بضعة آلاف وقد أمكننا الله منهم فقتلنا
في المواقع الأولى عدداً يتراوح بين عشرة آلاف
 وخمسة عشر ألفاً »

قال رئيس الوزارة : « بارك الله نيك ! هذه
كتابة حسنة وإذا كان الواقع يخالف ذلك فإن حسن
حظ الشاه كغليل بأن يجعل عدد القتلى أكثر من
ذلك في أقرب وقت »

قال لي الطبيب : « وتجدني شديد الخوف من استدعائي لمعالجتها لأنني قلت إنها غير مريضة هلكت الفتاة وإن قلت إنها مريضة هلكت أنا وإني لأسف على إهدائها إليه وإني لألتمس الساعة التي شرف فيها الشاه منزلي »

ذهب الطبيب بعد أن قال لي ذلك إلى منزله وعادت إلى خيمتي وأخذت أعزى نفسي بأن زينب مريضة وأن مرضها سيطول وستمنعها من مقابلة الشاه وأخذت أدعو الله أن يطيل مرضها ليطول أمد امتناعها عليه ، ثم أخذت أفكر في تنجيه في كل اتجاه حتى حاولت في النهاية إقناع نفسي بفضل الزهد وضرورة التصوف ، وما ذلك مني إلا حيلة الساجز وسلوة اللياس

وأخيراً أعلن سفر الشاه إلى طهران فاجتمع أهلها لتحيته واستقباله وكنت في ذلك الوقت شديد الرغبة في مقابلة الطبيب مع التظاهر بأن هذه المقابلة جاءت مصادفة حتى لا يحوم بحولي ريبة ولا يسوء بظن ، ولقد تقابلت معه عند وصولنا إلى طهران ولكن كان ذلك لسوء حظي في وقت غير مناسب . وتفصيل الخبر أنه أسدري لي الأمر في ذلك اليوم بالذهاب إلى الميدان لتبليغ رسالة إلى التاجكشي باشي وفي الساعة التي تليقت فيها هذا الأمر رأيت رئيس الأطباء خارجاً من حجرة الملك ، وقد بدت على وجهه علامات الغم والحزن الشديدين ، وأخبرني ظهراً فراقته قليلاً وسألته عما به . فقال : « لقد جعلتني هذه الوباء الكروية في أشد حالات البؤس والتكد . فان للشاه غضب غصبة شديدة ، وأقسم أن يقتل كل رجل في داخل القصر أو خارجة ما دامت له علاقة به إن لم تظهر هذه الفتاة »

مختلفة متعاقب فيها الخوف والرجاء والأمل واليأس ولم يبق في عهد النزاع في حياها إلا أمد قصير ، ثم أجد نفسي أيام القضاء المقدس ، فاما أن يتحقق الأمل وإما أن ترجع كفة اليأس

ولما جاء يوم السفر سبقت الوكب إلى القصر لأرى كل الاستعدادات التي أصر بها الشاه هل تمت وفق رغبته أم لا يزال بها شيء من النقص مفتقر إلى الاسلح ؟

ولما وصلت إلى باب ذلك القصر نعمت من فيه من السيدات يتحدثن . وما كان أشد شوق في تلك الساعة إلى التحدث مع زينب أو إلى رؤيتها إن كان التحدث مستحيلاً

لكنني وجدت أن سؤالاً عنها بنوع خاص سيثير الريبة وقد يكون فيه خطر على حياتها وعلى حياتي فأكتفيت باستدعاء رئيس القصر وسؤاله عما فعله بالأوامر وأطلت حديثي معه مراجعاً في الجواب مناقشاً في التفاصيل لعل أسمع في خلال هذه المدة صوت زينب ولكن شيئاً ذهبت هذه المحاولة فاني لم أسمع صوتها ولا اسمها

وفي أثناء هذه الوقفة جاء سيدي التقديم ميرزا أحمد رئيس أطباء الشاه وفهمته أنه جاء بدعوة من أهل القصر لمعالجة بعض من فيه نخشيت أن تكون زينب هي المريضة . وقلت إنها لو كانت كذلك فهي هالكة لا محالة

لكن الطبيب استدعاني إلى ركن من الغرفه وهمس في أذني بأنه شديد الخوف من غضب الشاه لأن الفتاة المكدية التي أهداها إلى جلالته منذ سبعة أشهر لم تستمد لمعالجته عند عودته كما أصرهاا منتدرة بأنها مريضة

قلت : « لا ، فاني لم أنهم شيئاً » فقال :
« سأضحك إذن في كل حين ، إنك لا تزال شاباً قافاً
قيل لك إنك أنت الذي أحب هذه الفتاة فإن هذا
لا يضيغ من اعتبارك وليست هذه الحالة كذلك
فيا يمتلئ بي »

قلت : « يضيغ اعتباري ! إن المسألة تؤدي
إلى ضياع الروح لا إلى ضياع الاعتبار . هل أنت
مجنون ؟ لماذا تريد أن أموت وكيف تحتمل دمي ؟
إن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني أعتقد أنك
غير مذنب لأنك شديد الخوف من زوجتك ولكنني
لن أقول إنني أنا المذنب »

وفي أثناء هذا الحديث أقبل نحوي خضى من
خصيان الشاه وقال لي : « لقد أمر الشاه باستدعائك
أنت وخمسة من النازا كشية وبأن يكون معهم تابوت
ليقطعوا جثة بين يدي جلالتك »

قلت : « سأحضر في الحال » وكان مجيء
الخمسة في هذه اللحظة من حسن حظي لأن الطبيب
تركني ثم تصبب من كل جسمي عرق بارد وأحسست
أن عيني تحترقان وأني على وشك الإغماء وقلت
في نفسي : ألا يمكن أن أكون أنا السبب في موتها
حتى أطلب بأن أكون جلاوها أيضاً ؟ لماذا أدعى
إلي هذه المهمة الشنيعة ألا أستطيع أن أهرب من
هذا المنظر البشع ؟ لا أظن شيئاً من ذلك في الامكان
لأنه لا مفر مما قدر علي ولا مناص من أداء ما كلفت
به ، ما أقبحك أيها الدنيا ! ماذا يكون نصيبك في
قلوب الناس لو اطلع كل منهم على حقيقته ؟

في هذا الوقت كنت أشعر أن قلبي ينوء تحت
عبء ثقل ، وجمت الرجال الذين سيتولون من تنفيذ
القوية الوحشية ولم يكن أحد منهم يبالي لأنهم

قلت متجاهلاً : « من هي ؟ »

فقال : « هي زينب التي أهديتها إليه . وقال
إنه سيقول الوزراء أيضاً إذا لم يعرفوا كيف كان
اختفاؤها من قصره »

قلت له : « يظهر يا ميرزا أحد إن الشاه يستعد
أن الفتاة تحبك » فاضطرب الرجل أيما اضطراب
وقال : « أستغفر الله ! أرجوك ألا تنيد هذا القول
فتحوم حولي شبهة قد تصل إلى سمع الشاه فينقلني
إلى العالم الآخر . من الذي قال لك ذلك ؟ كيف
علمت أني أحب زينب ؟ »

قلت : « لقد سمعت كثيراً جداً عن حبك
ولأنا الذي دعاك وأنت جالينوس فارس ولقمان
عصرك إلى تربة فتاة زبديدة من عبدة الشيطان
في منزلك ؟ ألا تعرف أن وجود فتاة مثلهما يكفي
لخراب بلد أو مملكة فضلاً عن بيت مثل بيتك »

فقال لي رئيس الأطباء : « نعم لقد صدقت
يا حامي بلا ! ثم هز رأسه بمحة ويسرة وقال : « لقد
كنت شديد الحماسة لما افترضت بسحر عينيها وإن
عينيها لاسحران »

قلت : « ما الذي يفعل الشاه إن وجدها ؟ »
فقال : « ليفعل بها ما يشاء ! ليرسلها إلى جهنم
إلى بيت الشيطان الذي تمبده ؟ إنني لا أفكر فيها
ولكنني أفكر في نفسي » ثم نظر إلى نظرة حنو
وقال : « أنت تعرف يا حامي بلا أنني كنت دائماً
أحبك وقد آويتك في منزلي عند ما كنت بغير مأوى
وارتفعت مكانتك بفضل مساعدتي وأريد منك أن
تدل على مرفقائك الجليل وأمالك الآن فرصة سانحة »
ثم مسح لحيتي بيديه وقال : « أنت تعرف
ما أردت أن أقول »

الدماء . وكانت لا تزال تنفّس وصمت ألفاناً تقولها
ولكنني لم أفهم منها ثم خفت صوتها وصاح أحد
الخدامين الذين جاء بها : « هل ماتت ؟ »
فقال أحد الأوغاد الذين معي : « نعم »
قال ذلك الخادم : « إذن فضعوها في التابوت
واذهبوا بها إلى الجحيم »

وقت ففمست متدبلي في دم زينب وقلت إنه
أثر منها سيقني مني ما دمت نحيباً . ووضع الأوغاد
جثتها في التابوت وحملوها إلى الدفن ليدفنوها في
قبر كان قد أعد لذلك من قبل ، ومشييت معهم بحركة
آلية ورجلاي لا تقويان على حمل جسمي
وضما التابوت على الأرض وأخرجنا منه الجثة
وجلس على قبر قريب منه وأخذت ألاحظ ما يفعلون
وقد رأيتهم وهم يضمنون الجثة في القبر ثم يبتون
الأحجار في مدخله

ولما انتهوا نظروا إلى وقالوا : « لقد فرغنا » .
فقلت : « إذهبوا الآن وسأنبئكم » . وظللت جالسا
على القبر

واشدت ظلام الليل ، وكنت في ذلك الوقت
أسمع الأصدااء تتجاوب من ناحية الجبال ، وكانت
رغبتي في العودة تقل كلما طالت مدة جلوسى بهذا
المكان ، وذكرت حياتي الماضية ههنا بسمه همد
وأحس قلبي بمشغوع وربة ، وزهدت الحياة التي
أعاجل الآن مرارتها كأشد ما رأيته في أدوار الحياة
وأخيراً عجزت عزيمة صادقا أكيداً على أن أكون
درويشاً بالمعنى الصحيح لا كما يعيش الدراويش

ظللت في هذا المكان حتى انبثق الفجر وأنا
أدبر خبطة لحياتي المقبلة ، واستقر رأيي في النهاية
على أن أذهب سائراً على قدمي إلى أصفهان حيث

لا شأن لهم وليس في نفوسهم مثل ما في نفسي
من العطف

وكان الوقت إذ ذاك وقت الغروب وقد اختضبت
السماء بلون دموي وترايل نور النهار . وكانت ليلة
البدر ولكن السماء مليدة بالنيوم

ولما أذن المؤذن لصلاة الغشاء أحسست أن
صوته يبعث الموت في نفسي لأن هذا الصوت كان
نذيراً بموت الفتاة . وذهبت مسرعا إلى المكان
المهود فوجدت أصحابي قد وصلوا إليه وهم جالسون
بغير مبالاة على التابوت الذي سددفن فيه زينب
وقلت لهم : « هل انتهيت ؟ »

فقالوا : « نعم لم ينتهوا »

وبعد ذلك ساد صمت رهيب وقد كنت أغنى
أن يكونوا قتلوها قبل مجيئي حتى لا أشهد هذا
النظر الشكر . أما وهو لم ينته فلا بد لي من رؤيته .
وبعد قليل جاء رجلان من خدم القصر يقودان
بينهما فتاة تصرخ بصوت مرعب كأنه صوت عشرين
مجنوناً يضحكون في وقت واحد ، وكان الرجلان
يجرأنها بمنف وهي تقاوم وتأبى للسير

وكان صوتها يشتد كلما دفت منا فبدا التأثير
حتى على أوجه المخلدين النلاظ القلوب ، أما أنا
فذهلت ، ولو سئلت في هذه اللحظة عن شعوري
لما استطعت وصفه أو تحديده وقد كنت بالرغم من
ذهولي وشروء ذهني قادراً على رؤية ما يجري أمامي
من الأمور

وأخيراً سمعت صرخة عالية تلاها صوت جسيم
يقع على الأرض وإذا نسيت شيئاً فيستحيل أن
أنسى المראה التي شرعت بها عند سماع هذا الصوت
ثم رأيت جسيم زينب ملقى على الأرض في وسط

ولم تكن لدى رغبة في الكلام لا كنت أشعر
به من الهم ولكن مسك الرجل مني جلتي أنكم
معه وأسنى إليه

سردت عليه قصتي منذ فارقه وقد أعجبني منه
ما كان يظهره من الاحترام الشديد لي حتى إذا وصلت
إلى القول بأنني عينت مساعداً لرئيس الجلادين كاد
الرجل يسجد أمامي لأن تجاربه دته على وجوب
الاحترام لكل من يشغل مركزاً كبيراً . ولما
أخبرته أنني تركت هذا المنصب وتركت طهران ،
شعرت بأن مركزي يسقط من عينه وقال لي إنني
لا أساوي ثياب الشرف التي كنت ألبسها . وقال:
« أهكنا يضحي إنسان بماضيه ومستقبله من
أجل امرأة ؟ »

ثم أطرق مدة طويلة قال لي بعدها : « إن سير
الناس إلى السعادة غريب متفاوت ، فبعضهم يسير
إليها من أخصر طريق ، والبعض يسير إليها من الطريق
الذي لا يؤدي إلا إلى ضدها . والبعض يسير دون
أن يسأل إلى أية جهة يؤدي طريقه ، والبعض إذا
ما اقترب من غايته عاد من نفس الطريق الذي كان
يسلكه زاهداً في الغابة مستخفاً بالتاب التي ظاهها
في سبيل الوصول إليها » واستشهد بآيات للفردوسي
في هذا المعنى

ويبدأ من تحدث إذ رأيت (خانا) فقال لي الفردوسي
« تمال وانس أحزانك . تمال مني فانا ستقضي ليلة
قديمة في هذا الخلاء وسأقص عليك أخباري أثناء
وجودي في الأستانة »

كنت راغباً في تسليتي فسي لي أنسي همومي
فقبلت اقتراحه ومشيت معه إلى ذلك البناء . وقد
وجدنا فيه ناساً من جهات متمددة في فارس . وبعد

أرى أهل وأعيان معهم عيشة الزاهد المتصوف ،
وقلت إن أبي أصبح في أخريات أيامه ظلي أن أسعده
بمودة إلى وهو في سن الشيخوخة ، وأحتمل
عنه ما لا يطيق احتماله من أعباء الحياة وتكاليفها
ورأيت أن يقال في منصبه أو في هذه المدينة أصبح
مستحباً لأنه فوق طائفي . ولو بقي في نفس الشهور
التي كنت أحس به هذه اللبلة لصرت من أتق
أولياء الله وأكثرهم ورعاً

الفصل الرابع والأربعون

ماحي بابا يقابل صديقاً لرباعده بمنع هذه الخطر
أخرجت من جبتي التذليل المطبوع بدم زنب
وأخذت أفكر في مركزي الخفيف المربع ثم وقتت
أمام القبر وأتت الصلاة . وقد أراحت هذه الصلاة
صدري وجددت قواي فزمت في الحال على مفادرة
طهران وسلكت الطريق المؤدي إلى أصفهان
وصلت إلى الطريق المؤدي إليها فمأراة مسافرة
فشيت إلى الصحراء وهناك وجدت رجلاً غريب
الشكل والحالة يخاطب شيئاً أمامه على الأرض ،
فدنوت منه ووجدته يكلم عمامته . ولما دنت اقترباً
منه وجدت أنني أعرفه وهو أحد البراويش الثلاثة
الذين تعرفت بهم في مشهد وهو الذي كانت صنعته
القصص وإقناعها في الجامع

ولما وقع نظره على عرفتي وأقبل نحو لي ما تقني
وسألني عما كنت أفعله في هذه السنوات . وقال
إنه مسرور برؤيتي . ولم يزل حديثنا يتقدم خطوة
خطوة حتى تذكرنا ما كان من أمره وأمرى وقال
لي إنه ذاهب إلى الأستانة وإنه سيذهب منها إلى دهمي
بعد أن يقضي فصلاً في أصفهان

فإنه أت من الآستانة وقال إنه رأى رجلاً أخذ
يصفه بكل صفات ليوجه إليه اهتمام النازا كشيء
وبعد أن أتم الوصف حتى لم يبد ينقص إلا أن يذكر
اسمي ، قال له : إن ذلك الرجل ذهب من طريق
كذا ... وأخذ يضلل النازا كشيء على أن يهزنى
فيا بعد من سلوك هذا الطريق

وقد كنت أطيع أى شيء سوى أن يظفر بى
هذا الجلاء لأنه إنعاجه ليقبض على ؛ وعالم أن أجده
فى نفسه أو فى نفس غيره من الجلائين شيئاً من
الرحمة . وبعد أن ذهب ذلك الوجد وماه البروش
سأله عن المكان الذى يكره أن أذهب إليه
فلابدر كوفنى فقال لى : إذهب إلى مدينة « قم »
وستصل إليها فى الصباح . ومتى وصلت إليها فاذهب
إلى قبر السيدة فاطمة الزهراء فهناك ملجأ لا يصل
إليك فيه أى إنسان ، وإذا ضبعت خارج سور المدفن
فلا أمل لك فى النجاة »

قلت : « ولكن كيف أكل وأعيش فى داخل
المدفن ؟ »

قال : « أترك لى ذلك فأنى سأعولك لأنى
أهرف السكان وأهرف كثيرين فيه . وقد اضطرت
مرة إلى الالتجاء إليه لأنى قدمت سماً لأحدى نساء
الشاه لى تقتل به منافسة لها » وكان رسولى إلى
المدفن قبل خمس دقائق من وصول الجلاء الذى جاء
ليقبض على ولم أعش قط معيشة أرغد من عهدى
فى ذلك المدفن لأنى كنت لا أعمل أى عمل ، وكان
زائرو المقبرة على كثرتهم يطوفون كل شيء بحيل
نفسي إليه . والشاه الوحيد الذى تخشاه فى هذه
الحالة هو أن يصدر الشاه أمراً يمنع الناس من إعطائك
طعاماً ، وبأن من يخالف ذلك يصبح مستحقاً

أن استرحنا من مشيتنا الطويل أكلنا أكلة شهية
ثم طلبنا ترجيتين وبدأ يقص على قسته التى وعد بها
وكننت أحول الاصفاء إليه ولكنى وجدت
ذهنى شاردًا بى بعض ما يسمع ويفوته البعض
ولاحظت أن سائر سامعيه كانوا منسجمين أشد الانصات
وقد أبدوا أعظم اهتمام ؛ ودلى على ذلك أنى كلما تنبئت
فى لجنة الذكريات بنهى نحكهم وعزمت على أن أستعيد
هذه القصة فى وقت آخر لكثرة ما فاتنى منها . وكننت
أحمد أصدقائى المسرورين على سرورهم وقت
إلى حلول الوقت الذى أكون فيه مثلهم

انتهى النهار عند ما انتهت القصص التى كان
يروها وأشرق البدر وكانت السماء صافية لأشياء
فيها من النجوم التى كانت متلبدة فى سماء الأمس .
وبينا نحن جالسون إذا أبجل نحو الخان فارس يبدو
على جواده

وكان من فى الخانات يدخلون فى النلايين
ويتناقشون بهوده . وكان خدمهم يتولون تهيتة
الأمر للنوم ، وأما أنا فمزمت على أن أنام على الأرض
العادية وأضع تحت رأسى قطعة من الحجر ولكن
لا وقع نظرى على الفارس للقبل تنير رأبى فى ذلك
كان هذا الفارس أحد النازا كشية الدين
حضرُوا مئى مقتل زينب وقد فحمت للفرس من
بعيته عند ما سمعته يقول لبواب الخان : « هل جاءكم
أحد من طهران ؟ » وفهم البروش حقيقة الأمر
بسرعة مدهشة لأنه كان على البوام حاضر البدنية
ولذلك أسرع إلى الباب ليتولى الاجابة على كل سؤال
يوجه إلى البواب أو إلى غيره

وقد قال له إن كل من باغان أتوا من جهات
متعددة ولكنهم جميعاً ذاهبون إلى طهران إلا إياه

« إن هذا الجندي بين المكان المقدس الذي لجأت إليه ويريد أن يأخذني بالقوة . فقولوا له هل تسمعون بذلك أم لا »

انضم الجميع إلى جانبي وقالوا ما سمعنا قط بمثل هذا من قارس، فأنت لا تستطيع أخذه وإلا استمرت ضدك غضب الزهراء وعلماء الدين جميعاً؛ ولن ينجيك من غضبهم انتابؤك إلي للشاء أو لجوءك إلى حماية الشيطان »

فلم يعرف التناز كشى بماذا يجب وبقي هادئاً مدة ثم ألان صوته وراد أن يفادنى في المبلغ الذى أوفسه إليه إذا تركنى وحاد وحده . فلم أنكر عليه حقه في أن ينال ما يروض عليه مشقة التنب لأنى ما كنت أفضل غير ذلك لو كنت في مكانه ولكننى أفضمته أنى لا أستطيع أن أدفع غير القليل لأنه يعرف الظروف التى غادرت فيها طهران . لكنه أمر على أن أدله على المكان الذى تركت فيه مالى بطهران ليأخذه متى عاد فأبئت ذلك عليه وأمرته أن يذهب ويترك المحزوين في أحزانهم

لكن الحقيقة أن الرجل كان قد أخذ ما وصالت إليه يده من أمتنى وثيابى وفراشى وأثاث منزلى وهو الذى أبلغ للشاء عنى وتطوع لطاردنى لكي أمكنه من الحصول على ما غننى أملىكه من مال غيوبه وكان قد لاحظ حالى سامة نفذ الحكم في الفتاة

وتوقع أن يحل بي نكبة فيعمل على في منصبي ولا رأى أن الأمر الذى معه ليس إلا قصاصة من الورق لأنه لا يستطيع اعتقال ماومت في ذلك اللجأ — لم يجد بداً من العودة إلى طهران ولكنه قبل أن يذهب أوصى حاكم المدينة بأن يشدد في مراقبى وبأن يستقلنى متى خرجت من اللجأ ويرسلنى إلى طهران

« يتبع » غير اللطيف الشاء

للأعدام ، ولكن حالك لا تدعو للشاء إلى إصدار مثل هذا الأمر الذى لا يلجأون إليه إلا في حالات خاصة شديدة الأهمية

قلت له : « أنا لست أنسى جميلك ، وربما عاد نجى إلى الارتفاع فأريك أنى لست بمن يضع الجليل عندهم ، وأنت تعرف حاجى بابا من زمن قديم وهو ليس من الذين يضمنون حسناتهم على راحة اليد ويخفون سيئاتهم تحت الأبط وأنا لا أزال كما مرغتني في مشهد فبائع التبغ في تلك المدينة هو نفسه مساعد التناز كشى باشى » فماتنى الهدويش وقال : « اذهب حيث شئت فإن الله معك »

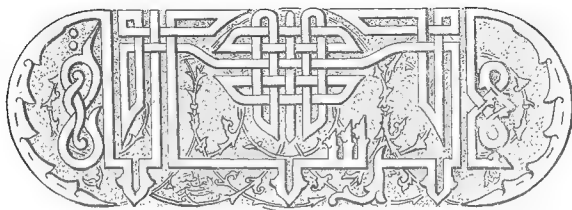
فمرت ، ولما ظلع الفجر رأيت على ضوئه قبة القبر ؛ ولما صرت على مرمى البهم من مدينة قم رأيت ذلك القارسي يدنو نحوها فلم أنظر يمينا ولا يساراً حتى وصلت إلى القبر الشريف قبلت عتبته وحمدت الله وشهدت أن لا نبي بعد رسوله وصليت على الامام على

وفي هذه اللحظة وصل التناز كشى خياني تحية قاترة وقال إن للشاء أمره بإحضارى من أى مكان يجدننى فيه . فقلت له إنى قد لجأت إلى هذا القبر ولن أفرقه باختياري . فإذا كان همه أمر من الشاء بأن يقبل ما لا يتفق مع حرمة هذا المكان فليأخذنى بالقوة .

قال لى : « وما الذى أفعله إذن يا حاجى بابا ؟ إن الأمر الذى صدر لى لا يتضمن استثناء وإذاعتد دونك فربما قطع للشاء أذن بدلا منك »

قلت : « سيفعل ذلك إن شاء الله »

قال وقد استولى عليه الغضب : « تقول إن شاء الله ؟ إننى أكون حماراً إذا لم أعد بك » ثم ارتفع صوته وصوته فأقبل الهدويش المقيمون في هذا المكان وسألونا عن السبب فقلت لهم :



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ التَّهَضُّعِ الْمِصْرِيِّ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْوِي فِي النِّشَاءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصَّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مُجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِنَايَةُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك في الأضلاع سنون قرناً ، والحاجي مايسادى جنيهاً مصرياً ، وللبلدان العربية بنحو ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن البريد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشوارع البدولي رقم ٣٤
طابرين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المراد

مجلة أسبوعية للقصص والبريد

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ - ١٥ فبراير سنة ١٩٣٩

العدد ٥٠

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
١١٤	صلاة الفجر
١١٩	بين الحفل والفرسة
١٣١	شجاعة امرأة
١٣٧	الابن
١٤٣	مجنون زاهد
١٤٩	يونس
١٥٥	حامي بابا أصفهاني
...	أفصوة عراقية
...	أفصوة مصرية
...	للكاتب ل. غارمان
...	للكاتب الفرنسي بول بورجي
...	أفصوة مصرية
...	أفصوة مصرية
...	للكاتب الانجليزي « جينز مور »
...	يقلم الأستاذ علي الطنطاوي
...	يقلم الأستاذ دروي خشبة
...	يقلم الأدب ناجي الطنطاوي
...	يقلم الأدب كمال الحريري
...	يقلم الأنة جميلة الملايبي
...	يقلم الأدب عبد الحليم المشيري
...	يقلم الأستاذ عبد الطيف النشار

صَلَاةُ الْغَيْثِ

أَقْصُوصُ عِرْقِيَّةَ
بِقَلَمِ الْأَمْتَاذِ عَلَى الطَّنْطَاوِيِّ

قد احتواه هذا الواقع القبيح ،
وذكر ما كان ينتهوين هذه البنى
التي قدمت إليه فراثها ، وأحاطته
بذراعها ، فأحس بالاشتزاز ،
وذل في عين نفسه وتضاد ..
ماذا فعلت بنفسى ؟ أهذه هى
مبادئ وأخلاق ؟ وبعد فافا
أصنع الآن ؟

وم يبقاظ لإعانه والنجوة إلى ربه ، ولكنه
لم يستطع فقد ألقت المصيبة حجاباً على قلبه ، ورائت
الخطيئة عليه ، فأحس بالألم يقطع في فؤاده ، فقام
إلى ثيابه يرتديها على عجل ليخرج من هذه الدار القذرة
التي أضاع فيها عقابه ، وخسر طمأنينة نفسه .
وفكر في الناس ، ألا يرونه ؟ ثم رأى أن لا بد له
من الخروج من هذه الدار التي يحس أنه فيها كفن
أثني في بركة قدرة لميموت فيها غرقاً ...

وأثني على المرأة نظرة أودعها كل ما في نفسه
من كراهية واحتقار ويسبق مشمئزاً وخرج هارباً .
ولكن كيف له بالمغرب من نفسه ، والغفراء
من ضميره الذي يذيقه من التقرع والازدراء ما ليس
لخلق يحمل مثله طاقة ؟ وكان شارع الرشيد خالياً
مقفرًا إلا من أعقاب السابلة ، من كل بئس أوداعهم
لأنه لا يبق بقفلا في مثل هذه الساعة إلا البؤس
والرذيلة ، وكانت ليلة مجنونة ذات رياح تموى في هذا
الليل مثل عواء الدئاب الجائعة يخاطله أصوات آلاى
من النوم تنب مماً ، فتضلاً أسواتها للفؤاد السليم
ذهراً ، فكيف يمثل فؤاد رجب أفتدى الروح
الكليم ... وكانت الأمطار تسكن لحظة ثم تمود
فتنهطل ، تنصب انصباباً كأنما هى تريد إفراغ السحاب

... أفاق في الساعة التي ألف ، فضرب يصره
إلى الجدار حيث الساعة الكبيرة ، ليرى كم بقى
من الليل ، فلم يجد على الجدار ساعة ، وإنما وجد
صورة لامرأة عارية ، تبدو له على ضوء الصباح
الكليل كابية مظلمة عليها من الوحشة والقبس ستار ،
فصاف النظر إليها ، وأجال عينيه في أرجاء الغرفة ،
فإذا هو منكسر لها ، لا يعرفها ولا عهد له بها ، وإذا
هو يري إلى جانبه على السرير امرأة عارية مفتوحة
الفم تفسط غطيلاً منكراً ، وقد سالت الأسبغة
على وجهها واختلطت ، فتمود بالله من هذا الحلم
وأثني برأسه على الراحة ، يفكر تفكيراً مبهماً
مختلطاً ، فما لبث أن عاد إلى المنام فرأى نفسه ملكاً
من ملوك الأساطير ، مضطجاً على سرير الرمع
بالذهب ، المحلى بالياقوت والرجان ، والوصائف
فاغات على رأسه ، عذرات السوق ، باديات النحور
والصدور ، يتنثرن عليه الورد ، ويضعن مفرقه
بالسك والندى ، وأمامه الفنون واللحنات ، وإلى
جانبه فتاة جمع الله فيها ما تفرق من سمات الجمال ،
فلم يتالك أن أهوى على فما بقية ...

... فأحس بها تدفقه عنها ، فظفر فإذا هو
مستيقن أن ما يراه حقيقة ثابتة ، وأن حلمه الجليل

الذنوب والله كريم غفار ، لو جاهد العبد بقراب الأرض خطايا جاء معها بالتوبة الصادقة بشرطها الثلاثة لجاء الله بقرابها مغفرة ، والله غفور رحيم ...

وكان رجب افندى في الخامسة والعشرين ، في السن التي تركب المرء فيها شياطين الشهوة ، وتزين له السبل إليها ، فلا ينقمه إذا خطا الخطوة الأولى عقل ولا تفكير ، ولا يقف إلا في آخر الطريق كالصخرة على شفر الوادي ما بقيت مكانها فهي ثابتة مستقرة ، فإذا زحزحتها وقلبتها قلبة واحدة هبطت إلى أعماق الوادي ... وكان رجب افندى قد نشأ متدينًا ، وكان شيخًا بسمه وجية يطلب العلم على المشايخ لم يدخل مدرسة نظامية ولم يختلط بشباب المصر ، فكانت اللمعة عصمة له من البلاد ، وسدًا يحول بينه وبين (الأوتيلات) والراقص والحانات ، وكانت نفسه كهذه اللمعة التي على رأسه صفاء وطهرًا وياضًا ولكنه اضطر منذ أعوام إلى العمل في ديوان من دواوين الحكومة فنزع لللمعة مكرها ، وودعها آسفًا ودخل اللجة وهو جاهل بالسباحة ، ليس له بطبيعة الماء خبرة ، ولا بمسير الوجود علم ، فحملته موجة فألقته بحيث ترى ... ولو أنه عرف طرق النثر لما سلكها ، ولو كان متزوجًا لما هوى ، ولو أحسن اختيار أصحابه لما انشاق هذا المساق ، ولكنه كان جاهلًا بما وراء البحار والمدرسة والسوق ، يستوى عنده في عالم الرذيلة جلوس في قهوة ، أو شهود رواية في سينما ، ومماقرة الحجرة في الحانة ، وعجالة البنى في الماخور . وكان عزيبًا ، ونفس العزيب مهما اتقى وصلح كمتندوق الديناميت لا يؤمن انفجاره إذا دأله الحب أو مسته نار ، ونفس العزيب

في دقيقة واحدة . والريح تضرب جباهها فتصرفها ذات الجبين وذات الشمال ، والبروق تسطح خلال ذلك تحطف الأبصار ، والرعد يدوى فتحس أن قد تقلقت بساكنها الأرض .

وضرب رجب افندى يده إلى جبينه فألفاه فارغًا وذكر أنه دفع صرته كله الذي قبضه أمس لهذه البنى ... فظم عليه الأمر ، وبلغ من سخطه على نفسه أن ود بعض يده بأسنانه ، أو قطع شعره بيده ، واستفطع ما أتى وفكر في أهله الذين لم ينس منهم من قبل ، ولم يبت ليلة إلا معهم ، فكر في أمه التي يعلم أنها لا يشمخ لها جفن ما دام نائمًا عن الدار ، وأبيه الشيخ المسكين الذي لا يفكر إلا فيه ، ولا ينسى إلا بسماحته . ماذا يقول لهم ؟ ومن أين يروض عليهم صرته الشهري الذي ينتظرونه ساعة بعد ساعة ، ليشتروا به الخبز ... يقول لهم إنه وضه كله في يد موسى ثمنًا لليلة ثم وعار ؟

لا . الموت أهون من ذلك ! وفكر في الموت فلما : ماذا على إذا ألقيت بنفسي في دجلة فسترت فيها إنني ... ولكن هذا الخطر اعني من رأسه على مجل ، لأن رجب افندى كان متدينًا يعلم أن السلم لا يمد أبدًا إلى هذا الانهزام الشائن من غمرة الحياة وباب الفضيلة مفتوح أبدًا ، والتوبة تنسل النفوس مهما تراكت عليها أوزار الآثام ... وهم بأن يستغفر الله ويدعوه ، ولكن الحياة من الله مقدساته ، أن يتوجه إليه ويسأله وهو غارق في حاة الرذيلة إلى أذنيه ونسى أن الله يكون أدنى إلى القبول كلما كان العبد أقرب إلى الإضطرار ، وأن الندم على ماضى والزم على الانقلاع عن الذنوب فيها يأتي ، مع تركه والانصراف عنه دواء يشفي أكبر المذنبين من أشد

المسكين قد قرأ دواوين الشمر النزل ، وروايات الحب المنزوى كلها ، فظن أنه قد غدا قيساً جديداً ، أو روميو آخر ...

وكان رجب أفندي يمرض في نفسه هذه القصة وهو يمشى متسللاً في ظلال الجدران ، في هذه الليلة الماصفة للماطرة ... ويذكر كيف عاد إليها بعد ذلك فسمع حديث شقائها ... وبكى بكائها ، كما كان يفعل المحبون الذين قرأ أخبارهم في الأشعار والروايات وصب بين يديها ما كان في جيبه من مال .. وكيف ندم وتنبه إيمانه في نفسه . فزمز على ألا يراها من بعد ، فأبطل رفاقه عزيمته وأفهموه أن الشاب المصري لا يليق به أن يفعل ذلك فناد صرّة ثالثة ورابعة ، وهي دائماً في أبواب المئذنة الماشقة للحريرة تهيج نفسه وتطمعه ولكنها لا تطمعه ، وتمرض عنه ولكنها لا تؤيسه ، فهو يقيمها أبداً راغباً فيها ، ولكنه لا يصل إلى شيء

واستيقظ إيمانه ككرة أخرى ، فازمزم أن يتركها أبداً ، وذهب إلى مكتبه بزيعة جديدة ، وراحة بال وأدى عمله بنشاط ظاهر ، وصرت على ذلك أيام حسب فيها أن كل شيء قد انتهى ، وأن هذه السحابة قد انقشمت من سماء حياته ، ولكن البريد حمل إليه كتاباً منها فقرأه وغضب ومرضه بانطراب عصبي ظاهر . وخرج يمشى إلى داره ، فأحس أن نفسه تنازعه الذهاب إليها ، فأعرض ومضى قدماً فاشتدت رغبته في زيارتها فزمز لنفسه أنه ضابط لتأنيبها وإعلان القطيعة بينه وبينها ... ودخل عليها مقطباً ورد على نحيبها بهزاض ، فسأته: مالك أيها الحبيب؟ فقال : لا شيء ! لست بحبيب أحد من فضلك

يلهبها كل ما في السوق من متبرجات سافرات ، وما على الشاطئ من حارين وعاريات ، وما في السبنا والقصص من أخبار المدهاشين والمدهشات ... فأبان تأمين انفجار الديناميت ؟ ثم جادت طامة الطامات فالتف حول رجب أفندي نفر من زملائه تطوعوا لأغوائه احتساباً لوجه إبليس ، فوجدوه شديداً متيقفاً وأروه قد ناز الثورة الكبرى لما أرادوه على دخول القهوة ، فملوا أنه قد صاف قوى نفسه كلها في هذه المركبة الصغيرة ، ولم يبق لما وراها شيئاً ، وأيقنوا أنهم لو غلبوه هذه المرة غداً منقاداً لهم طيماً . فزالوا به براوغونه ومحتالون عليه ، ويسألون من يثق بهم على مسمع منه : هل في دخول القهوة ما بمس الدين أو المرض ، أفنونا يا مسلون ؟ . فيقولون : لا ... وإنما هي مضيق الوقت ، مفسدة للصحة ، وإنها عادة مؤذية ، ولكنها لا تنافي الدين ، ولا تمتد في المكفريات ... وما زالوا به حتى دخل القهوة ، فجلس مستحيكاً يتصبب منه العرق ، ويظن أن كل ما في الأرض عيون تنظر إليه ... ثم لم يطق البقاء ففرج ، ولكن رجله حلفت في الفخ ... واحتاد القهوات ، وسار إلى السبنا ، وما في ذلك كله بأس ، ولكن رجب أفندي اعتقد أنه هوى وزل منذ دخل القهوة ، وأن للسد بينه وبين الرذائل كلها قد أنهار ، فلم يقف في طريقه شيء ، وعرف ذلك أصحابه من عباد إبليس المخلصين ، فأتوا ليهتهم على ذقنه ، ليستكملوا سرورهم بكال هذه الرواية ، فأخذوه إلى دار من تلك الدور التي تسمى (أوتيلات) أو (بانسيونات) ولكن جدرانها تنضم على ماخور من شر المواخير ، ومبهد من مهابد إبليس ، وأغروا به الفتنة ، وأوهموه أنها تحبه وتموت عشقاً له ؛ وكان

وذكر كيف أزمع الاتصال بها مرة واحدة ،
أو الاعراض عنها مرة واحدة واطراحها ونسيانها
وأني لذلك وحى لاندع إلى إغرائه طريقاً لإسلكته ،
إنه يراها كالأنف البرقشة ، ويتصورها أحياناً حشرة
قذرة ولكنه يود مع ذلك لو قبض عليها فحصرها إليه
وعصرها وأكلها أكلًا ...

وذكر كيف كان الندم يدمر نفسه ، فيأوي
إلى غرفته يشغل بالالملة ، ويقبل على كتب الرقائق
ويخرج إلى المقار والمستشفيات ، ينظر رؤية المرضى
والتفكير في الأموات ، حتى إذا أحس للبرد قليلاً
جاء رفاق السوء بالمرض المضال ... وذكر كيف
كان يتفق في كأس من الويسكي أو الشمبانيا ما يلقى
أسرته أسبوعاً كاملاً ، كل ذلك من أجل هذه الفتاة
التي انصل بها أخيراً ، فتكشفت له عن حشرة
حقيقية ، يصق عند رؤيتها استمزازاً ...

وكان يفكر وهو يسير مسرعاً ، يريد أن يفر
من الناس حتى لا يراه أحد ، فلم يبع على نفسه
إلا وهو في ضاحية (الأعظمية) ...

قال لي وهو يتحدث حديثه :

... فلما بلغتما سمعت المؤذن يمجّد الله ويذكره

ذكر السحر

ورأيت جارنا أبا صالح ، يمضي إلى المسجد وهو
يقول : لا إله إلا الله ، يقتلها من قرارة قلبه ،
فتواريت منه كيلاً برأى ، وجعلت أذكر أيام كنت
لا أعرف هذا السهر الذي جر على كل بلاء ، فكنت
أنام عقب المشاء ، ثم أفتق في السحر ، فأرافني
أبا صالح إلى المسجد ... فرأيت بيني وبينه أمداً بعيداً
وتعلت لي خطايبي وأناهي كلها ، لأن صوت المؤذن

وشمر بالارتياح ، وسره أنه استطاع أن يخاطبها
بمثل هذه اللجة ، وتوقع أن يجيء بجفاء فينضب
وبصارحها بالظلمة . ولكنها ظلت صامته ، وظل
هو مطرقاً ينظر جواب ما قال .. فقال عليه الأمر
فرفع بصره ليري ما تصنع ، فالتفت نظراتهما وخيل
إليه أنه رأى في عينها معنى الألم والمتب والاخلاص
يلوح له من خلال جفونها للناعسة ، وأهدابها الطويلة
فتضمضت ولان وخفق قلبه بشدة وأحس بالرغبة لللمحة
في الاقتراب منها وعناقها ، ونهض ليدنو منها ولكنه
لم يجز على ذلك فلبث قائماً . قالت : مالك أفم بحب ، فددت
إليه يدها لتجلسه ، فلما أحس بأصابعها بين أصابعه
اهتز جسمه كله ، وانتفض على نحو ما يصف الشعراء
والقصصيون ... وجلس إلى جانبها وألقى يده على
كتفها كأنها كان ذلك عفواً ، فشمر بلذة وسره
ما كان من جرأته ففكر في أن يلف يده حول عنقها
ولكنه خشى أن تنضب .. وأن ترى في ذلك تمديداً
على عفائها ، وذكر أن ماجدولين غضبت لما قبلها
سيفين لأن هذه القبلة قد أفسدت الهوى المذري ..
الذي كان بينهما ، ثم اشتدت رغبته في تطويقها
بذراعه ، فتردد حيناً ثم لف ذراعه حول عنقها ،
وأتم ما كان يفكر فيه فأسند رأسه إلى كتفها
كما شاهد المثليين في السينا يملأون ، فلم يبد عليها
شيء من النضب فأوغل في الجراة فأجذ يدها بيده
الأخرى ورفعها إلى فمه فسأماها بشغفه ...
ونظر ماذا تفعل ؟ فإذا هي قد ألتت رأسها فوق رأسه
حتى لامست خصلات شعرها وجهه ، فالتفت النار
في أعصابه وهم بها فوثبت كالقطة .. وجعلت تشكو
إليه ما عليها من الدين ، فدفع إليها كل ما في جيبيه ..
فلما احتوت المال يدها غمضت منه فلم يدرك كيف
خرج إلى الشارع ...

سر الليل ، فأطاع الله إلى ما كان سلبنيه من الأنس
وسعادة الروح بالتوجه إليه . وصرايته ...
وله الحمد على ذلك

الآن عرفت جمال الدنيا ، لا كما يقول أصحابك
الأدباء ، من أن اللذة لا يعرف جمال الدنيا إلا بالحب
وأن الحب لا يرى الدنيا جميلة إلا إذا أضاءتها عينان من
يحب - فإذا غابتا غاب جلالها - فأى كون هذا الذى
تحتويه مينا امرأة قد تكون بشيا ؟

إننا نحتاج إلى مبشرين بالفضيلة ممن عرف الرذيلة
وخبرها ، أمان دعا إلى الفضيلة لأنه لم يقدر عليها
فهو شر من الشيطان ، لأنه إن قدر عليها انقلب
داخراً خبيثاً فأفضل منه من كان اعتدى بهديه ،
والشيطان يدعو إلى الرذيلة على النور فلا يضل به
إلا من أراد الضلالة ، وليست فضيلة الحاجز إلا انتقاماً
لنفسه من القادريين ، ولقد ترددت بين الحياتين :

حياة يلذها للشباب ويأمنون بها وهى حياة الانطلاق
من كل قيد ، واللى وراء اللذة ، والاستجابة إلى
داعى الهوى ، وحياة لا تعجب أكثر الشباب لأن لها
غاية سامية ، ووزارها حياة آخرة ، وفوقها إله قادر
يعلم صاحبها أنه إن فاته حظه من لذة عاجلة فانية ،
فله من اللذة الآجلة الباقية ، فتأدت بأدب القرآن
فكنت أغض البصر ، وأتره اللسان عن الفحش ،
وأبتعد عن اللذريات فقلت والحمد لله السعادة كلها :

قلت : أتأذن لى ينشر حديثك ؟

قال : نعم ، ولهذا حدثتك به ولكن دع الأسماء
لا تصرح بها . وكذلك قلت !

على الخطاطارى

وجلال السحر قد نها فى نفسى الاخيرة الدينية ،
فأدرت قيمة الاستقامة ، ولذة المغاف ، وعلمت
أن هذه السعادة التى يحس بها المؤمن لا تمد لها لاند
الجسم ، ومتع الحب ولا توازيها ... وأدرت أن
الصلة بالمرأة سراب خادع تراه من بعيد ، وتسمع
وصف زلاله للصابق ، ومائه النسيير ، فيبهجك
الشوق إليه ، ولكنك إذا جثته لم تجد شيئا ...
جرب هذه الصلة حرة تحس بهوائها وسخفها ...
لا ... لا تجربها ، فإن من جرب المحرب حلت به
الندامة ولا تناصر يدينك وشرتك تعلم هذه الحقيقة
بل ثق بما أقول لك . ولا تثر هذه اللذة فى نفسك
فانك لا تستطيع أن تطفئها . إنه لا يطفئها إلا أن
تستمتع بكل جميل فى الكون ، وهيات . إنك إذا
استطعت لا تقوم صحتك به ، ولا تدوم لك وأنت
تتفق منها بلا وحي ولا حساب

لما أحسست بذلك أسرعت إلى الحمام فتطهرت ،
وخرجت أؤم المسجد قائماً ، وأحلف لك أنى لم
أجوز به حتى وجدت مثل ارتياح الطريق إذا خرج
إلى الهواء ، أو المحتق إذا فتح له مجرى النفس ،
وشعرت أنى أتم وأرتفع ، وأن هذه الأغلال التى
كانت تقيد روحي قد تحطمت وانكسرت ، وأن هباء
المطايا قد نزل عن كتفى ، ولما وقفت فى الصف
وقلت : الله أكبر خرجت من دنياى

وقرأ الامام : « يا عبادى الذين أسرفوا على
أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله ينفر
الذنوب جميعاً » فجاء ذلك رداً على كيدى وسلاماً ،
فصحبت للتوبة ، ورأيت أن أصل البلاء من رفاق
السوء فهجرتهم جميعاً ، وقطعت جبل ودم ، وترك

— ليس غروراً ،
لكنك رجل لا تدري من
أمر الدنيا إلا الناف
والحرث والساقية... إنك
مثل البهائم التي لا تماشى
غيرها

— البهيمة التي تفيد

بَيْنَ الْحُقُوقِ الْمَلِكَةِ

اقصصه مصطفى
يقيم الامتداد دبرني خشبة

— أحسن من الانسان الذي يضر !
— لملك متى توفيقاً بهذا الكلام ...
— هو ذاك ... أنا لا أرى أحداً سواه
— وفيك شرك توفيق ؟ هل كسر ذراعك
أم سطا على حقلك ؟
— لا هذا ولا ذاك .. لكنه أضاع من جهودنا
هذه السنوات الأربع ، وقد كلفتنا مائة جنيه على
الأقل بإرقية !
— فداؤه كل ما نملك ... إن دخوله علينا
كل أجازة ينفذته وطربوشه — صانه الله وحرسه —
أحسن من ألف جنيه !
— طبعاً ... هنا هو الذي يفريك بذهابه
إلى المدرسة ... وقد كسر الزر منذ ثلاثة أشهر
وأنا لا أستطيع أن أشتري غيره إلى الآن ، وأولادنا
يمرضون من الجوع والبرد وتفضل ألا تشتري
لهم لحماً أو ثياباً ليذهب أخوهم توفيق إلى المدرسة ،
فلت دخوله عليهم بالسترة التي نفختك هذه النخعة
كان يشفيهم أو يسد رقهم
— أى جوع وأى مرض يا شيخ ؟ الصندوق
وإنه الحمد يمتلئ بالعيش ، والقاعة ممتلئة بالحبوب ...
هل شكاك أحد منهم ؟ هل قال أحد إنه جوعان ؟
— لا ... لم يشك أحد ... لكنهم مع ذاك

— كلا ، بل لا بد من أن يذهب إلى المدرسة
— قلت لك إننا فقراء ، ولا قبل لنا بالنفقات
الطائلة التي يقتضيها التعليم
— نجوع ... نمرى ... ولكن لا بد من ذهابه !
— ألا ترين بإرقية أن نفقات التعليم تذهب
بنصف غلتنا كل عام ومع ذاك فوفيك من الخياب ... ؟
— ولدي أنا ؟ توفيق من الخياب ؟ صاه الله
وحرسه !
— بل هو أغيب الخياب بإرقية ، لقد رسب
هذا العام والعام الذى قبله ، وهو يعنى عامين في كل
فرقة ، ونفقات سنة واحدة كانت تشتري لنا جاموسة
أو بقرتين ... وللثلاميذ بنالون للشهادة في أربعة
أموام ، وما قد مضت ثمانية وتوفيق لا يزال في السنة
الرابعة ، فالأربعة الأموام التي رسب فيها كانت توفر
لنا ثمانى بقرات لو أننا ملكناها للاثلاث لنا البار
لبنا وزيداً وجيتاً ووقوداً ، وكنا نعيش في سعة ...
وكنا أصلحنا هذا الجدار المائل ... وكنا اشترينا
حصنة على أبي زيدان وأدخلناها في دارنا فاقست ... وو...
— حسبك يا شيخ ... كفى تحريفاً ... إن
سرقاً واحداً مما تملكه توفيق في المدرسة خير من
هذه المزة ومن فيها ...
— هذا غرور بإرقية

حظه ، أما ابننا فهو أخيب الخياط يارقة ... أما والله لا أريد له إلا الخير ... يساعدني ... إنى رجل مريض ، ولا أضمن أن أعيش له ... إننى إذا مت اليوم فسيفتنقطع عن المدرسة برغمه ، ولا يجدمن يعلمه عملا ينفعه ... التلامي لأولاد الأغنياء والموسرين يارقة ... يكنى الفقير أن يتعلم الكتابة والقراءة والحساب وما ينفعه فى صحته ودينه ...

— وهل كل الذين يذهبون إلى المدارس أغنياء ؟
— المجتهدون منهم يستحقون التعلم ... لكن الخياط أمثال السيد توفيق ، ينبغي أن يتعلموا فى جهات أخرى

— وأى الجهات تقصد ؟
— ينخرطون فى أعمال آبائهم
— ومن عليك هذا ؟
— الحياة يارقة .. الحياة الصارمة التى حيثها فى ظل أبي

— زمن والده قد مضى وانقضى ... نحن فى زمان جديد

— زمانك الجديد هذا ، زمان مريض حليل مملى بالفرور ... كله زخارف ... إنك لا تريد أن يذهب توفيق إلى المدرسة إلا ليدخل عليك بالبذلة والطرش ، وحتى لا يمسي حافيا ولا يلبس البشت ... وكى يكون يوما من الأيام موظفا مثل ابن أبي حوف ... يقبض الرتب أول كل شهر ، ويجوع آخر كل شهر ، وهو بالرغم من بذلته ووسامته يعيش عمره ذليلا فقيرا ، إذا طرد من عمله أصبح من التبتلين الفارغين ، فهو يتسكع هنا ويتسكع هناك ، يحسد الناس ويحقد على الناس وينقم أول ما ينقم على من يحسن إليه .. هل نسيت عبد الحنان ابن الشيخ زناى ؟ ...
— هذا حظه ...

لا يذوقون اللحم إلا مرة فى كل شهر ... وتدين القدرة قد أوهنهم وأهك قوام ، وكما رأيت الدم فى بولهم وبرازهم ذكرت الملة التى أودت بمحمود وقضت على كثيرين من أهل القرية

— أذكر الله يا شيخ ودع هذا التخريف
— لست أخرف يارقة ... لن يذهب توفيق إلى المدرسة بعد الآن ...

— وماذا يقول الناس ؟ تفضح أنفسنا بين أهل القرية ؟

— يقولون ما يشاءون ... ليس لأحد حساب عندنا !

— وماذا يصنع توفيق إن لم يذهب إلى المدرسة ؟
— ماذا يصنع ؟

— أجل ... ماذا يصنع ؟
— يساعدنى !

— يساعدك ؟ يكون فلاحا ؟
— ولماذا لا يكون فلاحا ؟

— هذا مستحيل !
— لن يكون إلا فلاحا ...

— نجوم السماء أقرب إليك مما تريد ... توفيق لن يمسي حافيا ... توفيق لن يخلع البذلة ليلبس البشت ... توفيق لن يلبس البذلة مكان الطربوش ...

توفيق لن يمكس الحراث بعد أن كان يمكس الفلم

— اطعمنى ... فلن يمسي توفيق حافيا ولن يلبس البشت ولن يخلع الطربوش ... سيكون عربوسا

كما تشتهين ، لكنه سيكون فلاحا مع ذاك !
— لن يكون فلاحا ...

— بل سيكون فلاحا كما كان أبوه وكما كان جده
— بل سيكون موظفا نظيفا يقبض الرتب

أول كل شهر مثل ابن المعلم أبي حوف !
— ابن المعلم أبي حوف كان ولدا ذكيا وهذا

يسود إلى الوظيفة ، وأخيراً استطاع أن يتزلف إلى أحد أعضاء بلدية منوف فيسببه كناساً

— كناس ؟

— إى والله كناس يارقية ! بمائة وعشرين قرشاً في الشهر

— مبلغ لا بأس به ... إنه ثروة !

— لقد كان يشرب دخاناً بأكثر منه

— ومع هذا لا أحسب أن الفلاح يكسب

مائة وعشرين قرشاً مثلاً في الشهر

— الفلاح خلوق قنوع يارقية ، وهو إذا نجح

في زراعته ويارك له الله ربح أضعاف هذا المبلغ ...

إن جاموسة واحدة ييارك الله له فيها تربحه ضعف

هذا المبلغ

— ومع ذاك فلن يكون توفيق فلاحاً

— بل سيكون توفيق فلاحاً

— إذن أترك لك المنزل

— وإلى أين ؟

— إلى أب

— وماذا تصنعين عند أبيك ؟

— ليس هذا شأنك

— إذا لم يكن شأنى فيكون شأن من إذن ؟

— إذن يذهب توفيق إلى المدرسة ولا ينقطع

من التعليم

— لن يذهب إلى المدرسة ولن ينقطع عن التعليم

— وكيف لا ينقطع عن التعليم وهو لن يذهب

إلى المدرسة !

— سيتعلم الفلاحة سنة أبيه وصنعة جده

— هذا لن يكون

اختلف الزوجان اختلافاً شديداً ، وذهبت رقية

تشكو زوجها إلى أبيها وإلى أخواتها وإخوتها وجميع

(٢)

— لا ... لم يكن هذا حظه ... بل التسلط

غلطة أبيه

— وكيف أخطأ أبوه ؟

— لقد كان الشيخ زفاني أمهر حداد في القرية ..

لقد كان يبيع كل يوم خمسة وعشرين شرشرة وعشرين

فأساً غير السكاكين والملقعات ، وقد استطاع أن

يجمع ثروة عظيمة ... سبعة أفدنة وثمانية عشر

فيراكلاً يارقية من أحسن أراضي قريننا ... خرطة

الساحل كلها وأرض أبي طافية .. أين ذهبت هذه

الجنة ؟ لقد بددها عبد الخالتي ...

— وما غلطة أبيه إذن ؟

— غلطته أنه لم يعلم ابنه صنعته

— لكنه علمه ما هو خير منها ؟

— وماذا علمه ؟

— لقد نال الشهادة والوظيفة ..

— وانسلخ من طهارة الريف وغرق في زيف

المدن .. ولا استغنى عنه وعاد إلى القرية ، لم يستطع

أن ينزل إلى أرضها لأن أجنحة الثرور كانت تذهب

به بعيداً في سماء غير ضائها ، فباع الأرض تقاريق

وأنفق كما كان يتفق في حياة الوظيفة حتى لم يبق

في يده شيء ... ولقد حاول سره أن أتممه بفتح

دكان أبيه فخر منى وقال : إنه لا يدري من صنعة

الحدادة كثيراً ولا قليلاً ... ولم أكن أقصد أن

يعمل بيديه ، بل كنت أعنى أنه يستطيع استخدام

أحد الصنائع الساكنين من أهل البندر فيصنع له

وهو يبيع ويدبر العمل ، لكنه اتخذ حديثاً هزواً

واستكثر أن يخلع سترته وينفخ في تراب الفحم

ودخان الكبير وأن يسود صممه دقات الأراذب

والسندان بعد ما تمودت أنعام المود والقانون

والسكان ... قلت له : لكن الصنعة على قدراتها

أشرف من البطالة ، فقبض وقال : إنه لم يياس أن

— أريد أن أعرف ، هل شكت لك رقية من ضيق في حياتها ؟
 — شكت أمر الشكوى ...
 — ومن أى شيء شكت ؟
 — من كل شيء
 — من كل شيء مثل ماذا ؟
 — من الهمار الخفية ومن الزبر المكسور ومن بخلك ... ومن ...
 — بخلي ؟
 — أجل يا سيد عبد الإله ... إنك تضن بشمن شرية ملح على ابنك عبد الفتاح ...
 — هذا هو الذى شكوت أما منه ... إن كل قرش يقع في أيدينا ندره لمصروفات توفيق وبذل توفيق وطرايش توفيق ... إننا نجوع يا عم الشيخ رزق لنفراح يدخلة توفيق علينا بالبدلة والطرش والحناء الأصفر الفاتح ... أولادي كلهم يتبولون دماً لأننى أعجز عن إرسالمه للطبيب وهذا لأن أخام بأكل أرزاقهم ... هم ينصبون ويكدون وكل نصيبهم وكدم خائب عليه ... وهو مع هذا أخيب الخياب — كلام فارغ ... تخريف ... هل دخلت في علم الله يا شيخ ؟
 — ليس ضرورياً أن أدخل في علم الله لأعرف إن كان ولدى ينفع أولاً ينفع ...
 — يا طافى ؟
 — أستغفر الله أن أكون طافياً ... لن ينفع توفيق في المدرسة ، ولو نجح فسوف يكون نجاحاً يشبه الخيبة
 — ولماذا ؟
 — سيكون مثل ابن أبي عوف
 — وماله ابن أبي عوف ؟

من تعرفهم ومن لا تعرفهم ، وراحت تنهمر بالجهل وضيق الفهم وانقباض الكف ... وليئت في منزل والدها يوماً طويلاً وهي ترفض المودة إلى منزل الطاعة ، كما يتقعر رجال الحاكم حين يسمون منزل الرجل الزوج .. وكما تردد الرجل على منزل أبيها يطلب أو ينها غلت في طلباتها فاشترطت أن تشتري ثلاث بذلات لتوفيق ، وطربوشين لتوفيق ، وزوجين من الأحذية لتوفيق ، أحدهما أصفر فاتح ، والآخر أسود (بأسنك) وجلس الفلاح المسكين الشيخ عبد الله يحاور صهره اللقي فيما يبنى وما لا يبنى من هذه المشكلات ... وكان الصهر كالقرص الحرون ، كلا أدلى عبد الله بحجة ركب رأسه ، وأبى أن يصنى إليه ، وشرد بالحدث شروداً يركب الصدر ويذهب بأناة الحليم ... قال لزوج ابنته وهو يكلمه بكل جارحة في وجهه ، فتارة ينفخ عينا ، وتارة يقلص شفة ، وطوراً يتفرق فاه ، وأطواراً ترتسم الأسارير مستهزئة حول عينيه وملء جبينه ، وهو في ذلك كله يصنع اللباقة والفهم ، وإن لم يكن عنده شيء من لباقة ولا فهم
 — أنا عارف يا عبد الله ... أنا عارفك ... أنا عارف ...
 — أنا اليوم كما كنت بالأمس يا سيدى
 — أبداً ... أبداً
 — وماذا تغير من طبي ؟
 — كل شيء ...
 — كل شيء مثل ماذا ؟
 — الوعود المحلوة التى كنت تعدنا بها في معاينة رقية ذهبت كلها أحراج الرياح
 — وأى هذه الوعود ذهب أحراج الرياح يا سيدى ؟
 — كثير ... كثير ...

من شأنها وشأن زوجها فقط .
 لقد كان الشيخ عبد الله رجلاً حقيقياً ينتفع
 أكثر من غيره من أهل القرية ببر الزمان ، وهو
 إن أخطأ فملاقى إجابة للشيخ ذوق بتعبيره بشفاعة
 ما أكاد من الأزهر إلا أنه كان على شيء من الحق
 فيما أراد أن يقول وإن يكن قد التوى عليه القصد
 وقامه حسن التعبير . . . وأهل الزوجة حتى
 حين يدسون أنوفهم فيما لا ينبغي أن يشار كوافيه
 أسفارهم مما ينهمج وحدهم ولا يسي أحدًا سوام ؛
 وم حين يشجعون بتهيم على معاندة زوجها يتقنون
 بأيديهم الأتمية بنیان سعادتها وسعادة الأسرة
 التي كان يجب أن تشيدها وتقيم عمادها ... وهذه
 أولى وظائف الزوجة الصالحة ... لكنها وظيفة
 لا تتم إلا للمرأة الكتوم التي لا يستخفها التزق
 ولا يستهويها الطيش ، فتذبح من أسرار زوجها
 ما كان ينبغي أن يكون سر بينهما لأنه سياسة حياتهما
 لقد عبر الشيخ رزق صهره عبد الله بأنه بجميع
 ابنته وهي تهمة مفترقة ما في ذلك ريب ، وإن لم
 تكن مفترقة فإن رقية هي التي قففت بها في سمع
 أبيها ... وقد اقترعتها في غير وهي ولنغير حكمة الهم
 إلا لشهوة للتشفيح على زوجها الذي ضاق ذرعاً
 بتفقات تلميم ولده ، أخيب الخياط ، كما يطلق هو
 دائماً عليه ، فهو يريد أن يقطعه من المدرسة ليوفر
 لأولاده أكلة من اللحم كل أسبوع على الأقل بدل
 الأكلة الشهيرة ، وليوفر لهم كذلك شيئاً من دفين
 الفصح وشيئاً من القماش يقيم زهره البرد ، ثم
 لكيلا يشن على أحد منهم بشن شربة من الملح
 أو زجاجة من القطرة ، ثم لكي يضمن لولده مستقبلاً
 عملياً فلا ترهقه الحياة ولا تنفجأ بمطالبتها بنته حين
 يرغم على حياطة اللزومة إرغاماً لم يأخذ له أهبة
 ولا أعد له عنة . والزراعة فن وصران يصبحان

— أسوأ حال وألمن مآل !
 — ولماذا ؟
 — لأنه يشتغل كناساً في بلدة متوف
 — كذاب !
 — لست كذاباً
 — هل رأيته ؟
 — لم أره ، ولكنني عرفت ؟
 — لقد رأيته ببني يجلس أمام مكتب نغم .
 — هذا صحيح ؟
 — إذن كيف تدعى أنه يشتغل كناساً ؟
 — لقد رجموه فقط ، فهو معين كناساً ولأنه
 يحسن الكتابة أخذوه ليسانس المكتبة ...
 — وهل أنت مهندس للكون يا شيخ عبد الله ؟
 — لا ... لست أنا مهندس للكون ، ولكنني
 مهندس أسرق فقط .
 — وأين تملت هذه الفلسفة وأنت رجل فاف
 ومحرث ؟
 — ليس ضرورياً أن أنملها في الأزهر الذي
 لم ينفعك بيسلة !
 — أخسر بإقليل الأدب !
 — لست قليل الأدب ، ولكنني أقول الحق ..
 — أخسر بإجهل
 — لست جاهلاً فأنا أحسن الكتابة والقراءة
 والله الجد ، وقد استفدت من الفلاحة أضاف
 ما استفدت أنت من الأزهر الذي قضيت فيه شبابك
 فافأدت مما حصلت فيه شيئاً ، ولولا ما ترك لك
 أبوك ...
 وهكذا تنقلب الحوار فصار حواراً أفلاطونياً
 عيبياً ... وهكذا تنقلب محاورات القرويين .. وقد
 أخطأت رقية حين أكرت المصاصة في منزل زوجها
 وحين جملت أهلها قضائها فيما كان ينبغي أن يكون

لقد كانت أسرة فقيرة تمشي في إحدى حجرات الطابق الثاني من ذلك المنزل ... وكانت الأسرة مكونة من رجل عامل فقير ومن زوجة بائسة ، لها طفلان يافعان ، أما أحدهما فغلام في السنة الأولى الابتدائية وأما الثانية فتفاته في السابعة عشرة ، رسم الفقير حول عينها تهاويل عجيبية من السحر ، كانت تشر ظلالاً من الفتنة فوق خديها ، وألواناً قرصية فوق شفثيها وكانت ابتسامة واحدة من فمها الدقيق الرقيق تصير بؤساً والحبساً أنما ، وتقسيم ما هم فيه من عناء وضيق وكانت هذه الابتسامة نفسها بلساً يشي فؤاد توفيق ، وطمساً يشيع بالنشوة في كيان ، فهو لهذا لم يكن يدلل بفرقة القذرة المكشوفة بالحشرات من كل صنف قصراً بأسره ، ولا مدينة من ممر مر يشيدها ملك الجن فيزخرها ويقم عمادها من فضة وذهب ، ويمرر تحتها الأنهار من خر وابن وعسل مصفى ، وفيت فيها من كل زوج بهيج وأجل الحب وأخطره ما يكون في هذه السن المبكرة ... فهو حب يضر القلب ويشك النفس ويؤرق العين ، ويجعل صاحبه طيفاً قلماً تصدده حقيقة الدنيا ، وقلماً يترف بما فيها من نضال ، لأنه لا يفكر دائماً إلا في ملاكة ، وهو يفتي فيه بقلبه وعينه وسمعه وإدراكه ، وبهيه كل وقته لأنه يعد نفسه كلماً قرباناً لحبيبه ، وهو ينتظر إليه كأنه شيء مقدس علوي ، فهو يحسد ملاسته لأنها تلتصق دائماً بحسده الجميل المتلئ بالذلة ، وهو يحسد الأرض التي يجتال فوقها لأنها تقبل قدميه دائماً دائماً ... وهو يحسد الهواء الذي يعلأ رثبه لأنه يتفد إليهما من أنفه الأفي الجليل ، ثم يخرج من فمه الحلو المطبوع بالقبل ... وهو يحسد الترفة التي يمشي فيها لأنها في نظره أعين من كنوز سليمان لأنها تضم ثروة من الجمال تعدل ثروته أسماً مضاغفة

بعض الأيام غريزة في ساعدي الفلاح فهما تضربان بالنأس وتثيران الحرت كما يفتي قلم الشاعر بأهازيج الهوى فوق القترطاس .

كانت هذه المواجهات تضطرب في نفس عبد الله وكان كما فكر في سلوك زوجته حزن وساوره الكد ، لأنها شبت آلامه ، وخلقت له من المشكلة الواحدة مشكلات ومشكلات ... وقد نسي كل شيء إلا ما افتقرت عليه من أسرار تجويعها ، فكان يذكر ذلك ويكي في أحمانه دون أن يذوق دمة واحدة وهو أحر البكاء وأوجعه

كان يقطن الشاب المراهق توفيق أفندي عبد الله الطلاب بالثانوية الكبرى ، في منزل صغير قدر من منازل عطفه السلاح محي النشبة

وكانت غرفته البسيطة الساذجة الرطبة مأوى لأسراب البموض وجيوش البراغيث والبق ... لكنها بالرغم من هذا البلاء كانت جنته التي يقضى فيها ليله وأكثر نهاره في أيام انقطاعه عن الدراسة وما كان أكثر هذه الأيام

وليس عجيباً أن تكون هذه المباءة المثلثة بأسراب البموض وجيوش البق جنة للتلميذ المراهق توفيق أفندي عبد الله ... فالحجرة على قدراتها لها نافذة تشرف من بعيد على حدائق النشبة الناعمة تحت أسوار القلعة ، وذاك منظر يجذب بفت الرشد في خيال شاب مثل توفيق ، ويجعل له أجنحة فيفرغ في عوالم الشعر ، ويجعل حياته ضرباً من الأحلام لا يفتق منها إلا على دمة بموضة أو عضة ذكر من ذكران البق أو يباشق من بواشق البراغيث وليس هذا النظر وحده الذي جعل الترفة جنة لهذا الشاب ، بل هناك شيء آخر ... شيء إذا وجد قلب كيان المرء وملاك زمانه ، وسلبه ليه وتفكيره

فيستونه حياً ، ثم يوردون له الخلدود ويقدمون
اللقود ، ويكحلون عيون الآرام السحر ، ويمهدون
له القلوب لينام فيها مطمئناً مستريحاً ناعم البال



وذهب توفيق إلى القاهرة ليصل حياته للدرسية
وأنتب إليه راقم ... ثم ليصل غرامه بالفتاة الناهدة
المنذراء الريانة

لقد كان توفيق يكره التلميز أشد الكره ...
وكان ينظر إلى الكتب كأنها تنوم مبعأة في قوادر
إذا ذاقها أذاته النايأ أشكالا وألوانا ... وكان أكثر
العلوم بشفاً إليه دروس الجبر ... لقد كان يسميها
دروس الألتاز والمصيات .. ولم يكن يدري ما فائدة
الأوخر تم مثلاً ... وكيف يستعمله في حل مشكلة
دودة القطن أو الندوة المسلية التي تصيب اللوز
أو عمل الجبن أو استخراج الزيت من اللين ...
أو ما فائدة الجذر التكسيبي في علاج صدأ القمح ...
وكان يرى جيوش التلمين تنزول القهوات
ودور اللو ، والسعيد من حصل منهم على عمل
يضمه جنهات يستمر بها حاله ولا تموض شقاه
الطويل في دور التلميز ، ولا تنهض بالأمال الكبار
التي كان يملقها بمستقبله والهاء

لقد كان يرى جيوش التلمين المتعلمين يتسكعون
هنا ويتسكعون هناك ... وكان يقرأ في الصحف
غزواتهم للوزارات وأخبار اجتبااتهم وهتافهم يزيد
وسياحهم يعمرو وإملاء إراداتهم على أولياء الأمور
حين يطالبونهم بمخاطبة الوظائف لهم وتبدير الأعمال
التي تناسبهم فكان يضيق ذرعاً بمستقبله ويراه أحلك
من ظلام القبور

وكان له صديق أسعد حالاً بالتلميز وأقل كراهية
للكتب ، وأكثر تفاؤلاً بالمستقبل فجلسا مرة
يتجادبان أطراف الحديث في حديقته المنشية ، وكان

ثم يشذ في حسده وينلو غلواً عجيباً حين يحسد
أم حبيبه وأباه وأهل الأدين لأنهم يكلمونه دأعاً
وهو يكلمهم فيملا آذانهم من سحره ، في حين
أنه ناه ما يستطيع أن يكلمه إلا بقدر ، وإلا في كل
فرصة منترعة من عفو المصادقات

هذا هو الحب الجليل الخطر المهلك ... فهو جميل
لأنه ينمو في سن جميلة ... في زهرة الصبا وعمر
الأحلام ... عمر الفراغ والخيال المشبوب . الخيال
الذي لم تنسده حقيقة الحياة المرة الشوبة بسكر
المسؤولية

وهو خطر بل مهلك لأنه يوقظ الحيوان الذي
يشور ويتدفق في أصلاب الناس منذ آدم ... وهذا
الحيوان هو أخرى الحيوانات كلها وأشرها لاسيما
إذا استيقظ في هذه السن المبكرة ، وهو في الغالب
يستيقظ فيها ، فلم يصرفه المؤدبون والآباء في كياسة
ولطف بمختلف الوسائل التي يرسمها للماء لمحاربه
أو للتساي به ... فهم يحاربونه بالكبت بالدين
والتخويف بجهنم أو التحويل بما يلحق الجسم من
تهدم من جراه ... وهذه طرائق سلبية قد تضر
أحياناً وقد لا تجدي إلا قليلاً ... ثم هم يتسامون
به فيصرفونه إلى الرياضة والفنون والدفاع عن الوطن
والمخاطرات من كل لون ... وهذه طرائق إيجابية
كثيرة الجدوى في تلطيف حده ، ولكنه مع ذلك
قد يشور بالوسيلتين فيحطم كل شيء ، كما حطم هذه
السنوات الثماني من حياة توفيق ، وكما حطم معها
أمل الشيخ عبد الله ، وكما حطم همه أبنائه بالتجويج
والمرى ، وكما ذهب بأمله في شراء حصه أبي طاقية
وضمها إلى الممار ، وكما غل يد الرجل فلم يشتر
البقرات الثماني التي كان يرجو أن تملأ له منزله
سمناً وعسلاً ...

هذا هو الحيوان الفتاك الذي ينازله الشجر

- وهل المستقبل يدرك أنت ؟
 — أنا لا أشك يا صديقي أن مستقبل كل
 إنسان بيده ويدي أيه !!
 — هذا كفر ...
 — ليس هذا كفرًا كما توحى إليك تربيتنا
 الفاسدة ... إن مستقبل الناس بأيديهم والمقادير
 بيد الله ... إسمع يا صديقي توفيق ... إن إقبال
 الآباء بأبنائهم على مدارس التنطيم النظري بهذه
 الكثرة الهائلة هو نوبة من جنون التقليد ... إنهم
 يتدفقون مع التيار دون أن يفكروا في هول اللجة
 التي تصمتهم حين يقدفون فيها بفلات أكبادهم .
 إنهم يرون ابن فلان من الناس قد حصل على وظيفة
 بعد شق النفس ، ثم ما هو إلا أن بنا بينهم غتالاً
 في بذلته مياساً تحت طروشه حتى يجن جنونهم ،
 ويتمنون لأبنائهم مثل مركزه إن لم يكن أسمى من
 وظيفته ... فيسلكون السبيل نفسها التي سلك ...
 فترى أبناء التجار والحداين والفلاحين والمتالين
 والنقاشين يذهبون إلى المدارس أفواجا ، ثم
 يخرجون فيها أفواجا ، ثم يتكسبون بعد ذلك
 في القهاوى ودور اللهو ، ولا يستحيون مع ذاك أن
 يرمقوا ذويهم بمصروفاتهم الباهظة حتى يحين الحين
 فيجد بعضهم عملاً تافهاً في ركن مصلحة من المصالح
 ويسبق الآخرون وهم الأكثرون شذاذاً في الطرق
 حيالاً على أهلهم ... ما هذا ؟ أليس هذا جنوناً يا صديقي ؟
 ... ؟ ...
 — أليس كان الأليق بأكثر هؤلاء إن لم يكن
 بهم جميعاً أن يسلكوا سبيل آليهم ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا تتكلم ؟
 — إنك هنا تريد أن تقصر التعليم على أبناء
 الأغنياء !
 للتلاميذ قد أجموا على الاضراب ذلك اليوم فلم يذهب
 توفيق وصديقه إلى المدرسة
 — وزارة ظالمة ووزراء لاهجهم إلا أن يرفلوا
 في ثياب السعادة الغضاضة ... كلما كان لهم قريب
 أو محسوب خلقوا له الوظيفة خلقاً ، فإذا طالبناهم
 أن يحلوا أزمنا لوزاً أعاناهم وقالوا شباب قُنع
 مستهترون ...
 — وماذا ترى الوزارة صانعة يا توفيق ؟
 — ماذا أراها صانعة ؟ ولماذا تقبلنا بمدارسها إذن ؟
 — تقبلنا بمدارسها لأننا نطلب ذلك
 — لكنها ولية الأمر فيجب أن تدبر لنا مستقبلاً
 — وأى مستقبل تراها مدبرة لنا ؟
 — لا تلحق بالوظائف إلا الأكفاء المتخرجين
 في مدارسها
 — هبنا فصلت ذلك فهل تكني وظائفها جاهير
 المتخرجين ؟
 — لا أعزو أنها تكني !
 — أنت تقول هذا وقد أثبتت الواقع أن
 استيعاب وظائف الحكومة لجيوش المتخرجين عبث
 بل ضرب من المستحيل
 — إذن فلماذا تقبلنا في مدارسها ؟
 — تقبلنا لشدة إلحاحنا في ذلك .. لئلا آتانا
 على مدارسها . وإذا أردت الحقيقة فأبونا هم المخطئون
 — آؤونا مخطئون ؟
 — أجل ، وم الجناة المستولون من ضياع
 مستقبلنا ...
 — ماذا تقول يا حليم ؟
 — أقول إنهم يلحقوننا بالمدارس وهم لا يدرون
 ماذا يصنع حين تتخرج فيها ... وإذا سألهم أجابوك
 هذا الجواب الضئيف التهاافت : دع الأمر لله
 فالتسبيل بيديه وهو يعلم التيب وحده سبحانه !

— الحكومة عليها واجب عظيم في ذلك ... ينبغي أن تحمي البلاد من سيل المهاجرين الأجانب الذين يذهبون بثلاثة أرباع الأعمال العامة فتجنب الشبان منافستهم الشديدة ومزاحمتهم غير المشروعة ... إن سبعمين في المائة من خدم القهواى الكبيرة والفنادق الراقية من الأجانب ... إن سبعمين في المائة إن لم يكن تسعين ، من وظائف الشركات الكبيرة الأجنبية مقصورة على الأجانب

— إن رأس المال أجنبي يا صديقى فهذا حقهم — كلا ... إنه إن يكن رأس المال أجنبياً فإن الثمرة مصرية بمئة ... ولا تنس أن رأس المال الأجنبي يبدأ صغيراً ثم لا يلبث أن يتضاعف في بلادنا ... فلك أن تصد كالبثور الأجنبية نجبتها من الخارج وزرعها فنبت محصولاً مصرياً

— وما واجب الأغنياء إذن؟ أنسى أنهم مكفون بالاتفاق على الفقراء؟

— ما عنيّت هذا ، ولا يستطيع أحد أن يكلفهم به

— وماذا عنيّت إذن؟

— عنيّت أن عليهم واجباً مقدساً إن لم يقوموا به استحقوا الزرابة ... ذلك أنهم يكسبون أموالهم فيما لا يجلب ثروة واسعة في هذا العصر ... إنهم جميعاً لا هم لهم إلا شراء الضياع واقتناء البور والقصور ... فأمواهم بذلك معطلة وإن جلبت ثلاثة أو أربعة في المائة ربحاً لها كل سنة

— وماذا يسمعون بإعراك الله؟

— لو أن الفنى منهم فكروا إنشاء مصنع لصالح الحال ... على أنى أفضل أن تتحد كل جماعة منهم فتكون شركة تفتح ناحية من نواحي النشاط البكر المعطلة في مصر ... يجب أن تتحرك أموالهم لأن المال وحده هو دم الاقتصاد الذى لا ينفد ، وإن

— كلا ... فما إلى هذا قصدت

— وماذا قصدت إذن؟

— هنا عيب الحكومة ...

— ألم أقل لك إنها وزارة مقصرة؟

— ليست هذه الوزارة هي المقصرة بالذات ، إذ هي غطلة جميع الوزارات

— وما ذاك إذن؟

— لو اقتصد الآباء في إرسال أبنائهم إلى المدارس بعد الرحلة للضرورة منه — للتعليم الابتدائى مثلاً ، أو الأولى إذا دعت الضرورة — كان واجب الحكومة أن تنتخب من أبناء الفقراء ، بصرف النظر عن مهن آبائهم ، العدد الأكبر من نابيهم فتعلمهم على نفقتها ، فمن استمر منهم على نبوغه استمرت هي على الاتفاق عليه حتى يتم منهاجه ويصبح جندياً ممن يعملون في الصف الأول من صفوف الخدمة العامة ؛ ومن أهل منهم ، أو تكشف عن غير ما كان يرجى منه ، انحرفت به الحكومة عن الطريق ، أو انحطت في وظيفة صغيرة بما يناسبه من الأعمال الصغيرة العامة ... فيمثل هذه السياسة خصوصاً إذا تولتها أيد حازمة ، كنت لا ترى هذه الجبوش من التلمذيين الماطلين ، ثم كنا وفرنا للهن الحرة فئة من الشباب الصالح يرتفع بها ، ولا يجعلها من الموان بحيث يحقرها الأبناء . ومنها بطعمهم الآباء ... إن احترار الهن الصغيرة قد أخرج بحرفها من دائرة الشرف ، وهذه هي علة الملل في أخلاقنا — وهل تظن أن هذه الهن من الزواج بحيث تكفل الخير للكثيرين؟

— إنى أثنى أن أيا من هذه الهن تضمن للإنسان حياة هادئة سعيدة خصوصاً إذا تصافرت الحكومة والأغنياء في رفع شأنها

— كيف تصافرت الحكومة والأغنياء؟

ملابس الأسرة فوق السطح ، تسال كاللص ثم اختبأ في دكن حتى تفرغ من عملها فيندفع نحوها في نادب ووكه ، ثم يقف صامتاً ومله وجهه للشاحب الرنجف عواطف مكبوتة لا يستطيع أن يعبر عنها إلا بدمعة أو دمتين ... فتفهم ليلي ... ويجزبه بابتسامة رقيقة ... ثم يهبط بسرعة كالنزاله ... فيتدحرج تحت قدميها قلبه وأنفاسه !

وصعدت سرعة تلم الملابس فصمم على أن يغير معها خطته ، وأن يكون هذه المرة أكثر إقداماً وجراً

لقد انتظروها حتى نزلت بحملها فوقف يحول بينها وبين النزول إلى غرقها .. ثم أخذنا في حديث خافت هكذا :

— ماذا يا توفيق ؟

— أحبك !

— عيب !

— وكيف يكون الحب عيباً ؟

— هذا لا يليق !

— لا بد أن أحرف !

— تمرق ماذا ؟

— إن كنت تحبيني !

— أرجوك دعني !

— لا بد أن تتكلم !

— هذا مستحيل !

— ماذا هو هذا المستحيل ؟

— أي تحت ... وهي أرجوك !

— إذن نسجل حبنا بقبلة !

— مستحيل ، مستحيل !

وقبل أن تستطيع الإفلات ، انقض على فيها للشئ الجميل فسرق منه قبلة فأنجته ، ثم صرقت كالمهم على السلم ، ودخل هو إلى غرقته

تكن اليد العالة والذهن المفكر ما يورث بلازم هذا الدم ... أقسم لك لو تم هذا لما رأيت متعلماً ماطلاً في مصر

— هذا صحيح يا حليم ...

أفاد توفيق من حديث صديقه حليم قائدة جليلة ... لقد رأى جانب الحب من حياة التلميم ... لقد قرأ في ذهنه أن أباه كان على حق حين أراد منحه من الذهاب إلى المدرسة ليتعلم الفلاحة ، وليندمج في روح الحقل ، وليرث أباه وراثه صحيحة ، وراثه الملك والفن والمهنة .

غير أن شبح الفتاة الناهدة — ليلي — تمثل له غدره وصرف عنه طائف الحقيقة ، وأغرته في بحر لحي من هواء البحر ، وخياله الشيوب .

لقد كان الحيوان الخبيث الذي استيقظ بين كتفيه بعبذه ، ويصور له الفتاة المثلثة الحسناء تتقلب بين ذراعيه ، وتلمس لحمها الوردي الساخن بلحمه المتأجج ، وفوقهما الخمرى الفتان فه المشتعل يقطف القلب ، وفي حينها الدججاون عينا الجائنتين تسبحان في دنيا من الفائن والسحر .

هذا هو حيوان اللذة للدم ... هذا هو الحيوان الذي يقضى على بركة الخير في نفس الانسان ... هذا هو الشيطان الساط على الروح الانسانية يشوه جمالها ويصرفها عن نهج الهداية ، ويزخرف لها بالذلة الأثيمة فتضل وتخزي .

كان يجلس في نافذة غرقته ينازل ليلي سامات وسامات حين لا تكون أنها في غرقها .

وكان كلما لقبها على السلم أرسل تحية مخنوقة تردا في حياء وفي خفر ، وهي تسلم ما تضمنه جوانحه لما من حب ، وما يتطوى عليه قلبه من هيام وكان إذا واثته الفرصة فصعدت ليلي تفش

حاملة حملها... فأخذ قلبه يخفق بشدة وفي عتف...
وخيل له أنها بطيئة مع أنها في زحمة أرشق من
الطبي وأسرع من الظليم... ثم هبط بمدو وانقض
على حملها فالتقطه من فوق رأسها... فنظرت إليه
وتصاحت... وصعد الاثنان

ودخل توفيق إلى غرفته بكل الملابس !!
— هلى ...

— مستحيل ... مستحيل !

— بل المستحيل أن تصمدى !

— يجب أن أسعد... إن أي ساعة،
فإذا أقول لها ؟

— لن تجلسي إلا دقائق

— ليكن بعد أن أفرغ من عملي !

— إذن أسعد فأساعدك !

— كثر الله خيرك... بل استرح أنت
حتى أزل !

— إذن أوصلك إلى السطح !

وتوالت على السلم... وتوالت من خلفه ليلى.
ثم وضع حملها، وأهوى على فيها فطبع عليه القبله
الثانية... وكانت قبله طويلة متبادلة...

وطدت ليلى بعد دقائق كانت أطول من دهر
فتلقاها توفيق في ذراعيه وأجلسها على مقعد متوسط
ثم راحا يتناجيان

وكان حديثاً طويلاً شهيماً مرصداً بالقبل،
لم يوقظهما منه إلا لفتح باب الغرفة السفلى، فهبط
ليلى مسرعة

ونسى توفيق كتيبه ؟ وفرغ لجه

وصرت الأيام

وبدا الشحوب على وجه توفيق، وكان قد
أفرط في استجلاب اللذة للمنوعة، لأن ليلى كانت
أحرص على عزمها أشد مما حرص إبليس على
(٣)

والأرض تتمد تحت قدميه، ونشوة القبله تسرى
كالحيا في فؤاده، صررفة بأجنحة اللذة، متأرجة
كالورد، علية كالنسيم، منددة كأفاس الصباح !
ما أبدع القبله الأولى من قبل الحب !!

إنها تفصل من حقيقة الحب بين حياتين...
إنها تظل تدوى في ذكرى الماشق كما يدوى الأمل
والظفر... إنها تلح كالبرق في ظلمات يأسه...
إنها كالمنارة في ظلام البحر اللجج
تطرح توفيق فوق سريره يتقلب كالسكران
لقد نسي كل ما قاله سليم !

إنما الحياة هنا... في القاهرة... الحياة الحب
والحب الحياة كما يقول شوق وكما ينشئ عبد الوهاب
ليبق توفيق في غرفته... لتكن المدرسة حيية
إلى فؤاده لأنها تبقى له إلى جانب حبيبته... ما أسراب
البومس وجيوش البق والبراغيث في قبلة واحدة
يطبعها على فم ليلى ؟

لقد نال القبله الأولى بالمنف، فإذا يحول بينه
وبين القبل الثانية ؟ لا شيء ! أليس قد شرب
السكاس الأولى ؟

وجلس يرقب صمود ليلى بقلب مضطرب،
وأعصاب تأثرة... وكان يرفض تصمد، إذا أحس
بحركة النفس في قامه حبيبته فيجلس يومه كله يرقب
الصاعدين والتازلين...

وأطل فرأى أمها تخرج وترك دنيا غرامه
بدون رقيب أو عرول... وفرح واستبشر، وتأكد أنه
سيق على منية أعلى وأقى... لا قبله ترك في القلب
لوعة وأشجاناً

وفكر في أن يخطأ وينزل إلى ليلى ليسعد
بنظرة منها مؤقته تشفيه أو تكويه... وكلاماً عنده
سواء...

لكنه ما كاد يفعل حتى رآها تعز من غرفتها.

ومضت أيام وأيام .
 ثم تسلم يوماً ما خطابين عرف أولهما لأنه من
 أيه فأمله قليلاً ؛ وفرض الثاني فلم يجد في رفقته
 غير هذا السطر :
 «وداعاً يا صديق فقد تزوجت وأنا سعيدة برجلي !»
 واضطرب قليلاً ... وحاول أن يقرأ خاتم البريد
 فلم يفلح ...
 وفرض الخطاب الأول فراه أن يقرأ من أيه أنه
 مريض وأنه في خطر ، وأن لا بد من وجوده بجانبه
 في ساعته الأخيرة
 وأفاق توفيق من حلمه اللذيذ
 وصدمته الحقيقة المرة
 فساد ليودع أيه ... وليحمل على عاتقه العبء
 الثقيل الذي تمى لو كان حله قبل اليوم ، ليكون له
 أهلاً ...
 دريش خشم

عصيان ربه حيناً أسره بالسجود لآدم . لقد رفضت
 أن تسقط إلى الحضيض الذي أغراها توفيق بالتردى
 فيه .. لكن الحيوان النعيم كان يصصف به ، وورغمه
 على إشباعه ، فكان المسكين يستسلم له بمد زول ليلي
 فيباشر المادة السرية مباشرة فتأله تستنزف ماء حياته
 فلا تكاد تبقى منه شيئاً

وحاد يوماً من المدرسة فوجد غرفة ليلي خاوية
 ماذا ؟ !

لقد ذهبت إلى حيث لا يدري !
 وبات ليلة طويلة مؤرقة ... ونزل نصف الليل
 محبوب الطرقات كالجنون . ثم عاد مع الفجر فصمد
 إلى غرفته ، وعاد إلى غرفة ليلي بمصباحه وجانب
 من فراشه ، وبث يتأوى كالحمام حتى تنفخ الصياح .
 ولبس ملابسه ، وهرول في الشوارع يبحث
 وينشم ، ولكن بلا جدوى .

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عاماره ... وعاملوا شركائه
 نكبتوا ... التصر ليهودكم

من بى جلدها ، يدخل بسرعة
ويقلب الباب وراءه بدقة وحذر
فخفت «ى» في وجهه وسألته
بصوت رن صدها في جوانب
الذرفة :

— ماذا تريد؟ ألا تعلم أن
هذه خرفى الخاصة وليست ندبا
مشاعا ؟

شجرة منيرة

للصكابت ل . غارمات
بتكلم الأدب ناجى الطنطاوى

كان الماخذل فى أيضاً جبل الطلعة برغم المبوس
المشثوم الذي شوه ملامحه، وكان ينظر بمبينة المظلتين
كالموتوه . ومارأه «ى» حتى ارتد فكرها إلى مناظر
القصص بواسطة الخيل ، وإلى الوعل المسكين في الغابات
ثم قالت لمحدث نفسها :

— إنه ممرض لفتح الشمس كما أظن
ولكن الرجل لم يدهما تتابع تفكيرها طويلا ،
بل فاجأها بقوله :

— إياك أن تبدي حراكا .
وسحب شنجره من تحت منطفه وشهره في
وجهها قائلا :

— إني يائس . لم يمد يدي أدنى تردد في قتاله
فاستولى على «ى» تهب نفسى مفاجئ اضطرب
له كل جسمها ، ولكنها جاهدت أن تكتمه وتجلت
ما أمكنها التجلد

كانت «ى» ذات جمال ساحر ، وذات ملامح
متناسقة ، ويظهر أن سنهالمت تتجاوز الخامسة والعشرين
ومهما بالتناقى ذلك فلن نستطيع أن ندعى أنها تجاوزت
الثلاثين . كانت قامتها متوسطة الطول ولكن الشجاعة
لا تقاس في نظرها بالسنيمترات . وعادت فألقت
عليه سؤالها للمرة الثانية دون أن تهم عضن من عضلات

كانت الساعة تدق الثامنة ، في ناقوس السكرتارية
التي تقع في الجبهة المقابلة للحديقة . وكانت اليلة
شديدة الحرارة والروحة الكهربائية تدور بسرعة
هائلة في الثرفة التي كانت «ى» ترتدى فيها ثيابها
استعداداً لتناول طعام المشاء

كانت مهمكة في زينتها الدقيقة، ولكنها لا تزال
على اتصال بالحياة خارج الثرفة ، إذ أنها كانت تسمع
ضجيج الشارع ، وكانت دارها محاطة بحديقة صغيرة
ملاى بالزهور المحفوظة من أشعة الشمس طيلة العام ،
وكانت هذه الزهور حمراء بلون الدم تنفلي الأرض
كلها . وكان يصلها من النافذة شذى نفحات
النباتات والورود مع النسيم الأريج ، والبيوت في
الشرق تكون عادة مفتوحة النوافذ لجميع الجهات
كانت «ى» تشاهد خيالها في صفحة المرآة
وتبسم ، ولما أتمت زينتها ، سمعت صريراً ، فالتفتت
فإذا باب غرقها بفتح

غضبت «ى» لهذه المفاجأة ، وارتدت للوراء
قليلا كي توضح القادم وتمنعه ، وقد حسبته خادماً ،
والخادم لا يسمح له أن يدخل بلا استئذان إلا مرة
واحدة للضرورة ، ولكن نددت منها صيحة دهش
وذهل عند مآرات رجلاً أبيض البشرة لأسودها ،

وجهما من الغم والكمد اللذين أصابا نفسها :
 — ماذا تريد ؟
 فأجاب الرجل بصوت منخفض مضطرب :
 — مالا بالطبع
 فأعرضت عنه بازدراء واستخفاف ، وقالت
 في نفسها :
 — ليس لي من وسيلة أحسن من رفع صوتي
 أو شغل هذا الؤر الكهربائي فيلسابق الخدم نحوي
 ويكونون طوع أمهرى
 ولكن الخبيث أدرك ما يحول بخاطرها فصاح
 بها في وحشية وفظافة :
 — ابقدى عن هذا الجرس !
 فلم تحرك « دى » بل أجاخته بهدوء :
 — سيكون باستطاعتي أن أضغط على زر الجرس
 دون أن تلم بذلك ، ولكنى لن أفعل ، لأننى موقنة
 أنك لست مالكاً لشعورك الآن ، وستعود سريعاً
 إلى حالك الطبيعية
 قالت ذلك ، وظهرت على وجهها ابتسامة صغيرة
 كلما تهكم وهزم وسخرية
 فتبدل لون وجه الرجل من التهبج والجنون
 وصاح بها :
 — أعطينى المال حالا ، أسألك بالله
 وصرت على وجهه سحابة مظلمة ، فلم تحب
 « دى » سؤله رغم الاضطرابات الجنونية التى كانت
 تتورد في قلبها للتشنج ، بل اندفعت تقول له :
 — إننى أعمل بلا انقطاع ولا توقف لكى أعيش
 وأنا وحيدة فى هذه الليلة . إننى أكتب قصصاً
 وروايات لبعض المجلات الأوربية ، أنتخب بك البلاهة
 إلى الظن بأننى سأقدم هذا المال الذى أحرزته بمسقة

ونصب لأول شخص زرى الهيئة سافل يطلبه منى ؟
 إن كنت تتصور هذا فأنت مجنون ولا ريب .
 واسمح لى أن أساركك القول بأننى أحتقر الخنوع
 لأوامر تملى ، وعلى الأخص إذا كانت تملى بمد
 السيف !
 فأجابها الرجل بصوت أكثر شراسة وقد
 أحفظه كلامها :
 — إننى أقول لك إن المال يلزمى مهما كان
 الثمن ... !
 وخطا نحوها خطوة ... ولكنها بقيت رابطة
 الجأش وقالت له :
 — أنا أهنأ بك وبطلبك ... ألا تصنع مثلى ؟
 إننى نظمت حياتى تماماً وأنا لست إلا امرأة ، والمرأة
 أدنى من الرجل كما يزعمون ! أجل ، تستطيع أن
 تضحك ، سأدعك تقترف جريمة دون أن أزل عند
 تهديداتك ...
 لقد قلت كل ما أريد أن أقوله ، والآن سأبقى
 إليك بالكلام الأخير :
 — إنهم هنا بسرعة أو أضغط زر الجرس !
 ففهم عليها بقفزة واحدة ، ودفعها بعيداً عن
 التفتدة ، وأسكك بها ملصقاً جسمها بالجدار ،
 ونحك نضحاً صامتاً ... فدخل للفزع قلب المرأة :
 — أعتقدن أنك قوية ؟ أعتقدن بالرجال ؟
 إنك أنت المجنونة لتفتك بهؤلاء الخدم الذين هم من
 كافة الأجناس ! باستطاعتي الآن أن أضحك ، وأن
 أجزع عنك أمام أعينهم ، وأؤكد لك أنهم لن يرفعوا
 أصبعاً للدفاع عنك . سيتسللون صامحين وسينسحبون
 كالأرانب حتى اللحظة التى ينتهى فيها كل شيء ...
 فارتفعت « دى » لهذه الألفاظ التى نطق بها
 الرجل بوقاحة خفيفة ، وهاجت لتتخلص منه حتى

— وأنت ! إنك تتكلم كثيراً ، فسمع هذه الحكمة التالية : « إن الكلب الذى يئوى دائماً لا يعض أبداً » قالت ذلك بلهجة هادئة رسيئة — لن أعتقد أبداً أنه من الصعب ذبح أى إنسان . فأجابته بتهكم :

لقد فهمت من كلامك المتتابع أن هذا هو مشروعه الأول فى الجريمة ! وبأسرع من الح الطرف ، ضربته بجمع يدها على خذاعه بكل ما لديها من قوة ، فأخذت المدينة من أسابنه المتشنجة وتركته يشتم من جديد ، وأسرت بخفة ورشاقة فوضعت قدمها على المدينة للقاء على الأرض وقالت له بلهجة صارمة :

— إذهب واجلس هناك قرب النافذة !
لقد تبدل الموقف ، وترى المرأة الآن بدورها تلقى الأوامر
أطاع الرجل الأرض بضميت ، راضياً بكل شيء . فأتت وجلست بجانبه وقالت :

— أين تقطن ؟
فأجاب برغبة :
— أقطن حى « لوفيس ستريت »
— حقاً إن ذلك موافق جداً لرجل أبيض البشرة !

فقال الرجل بوحشية :
— لا تنهكى من فضلك ، إننى قانع جداً بوجود سف يظلى
فأتت « حى » كلامها دون أن تنبئ إلى غبط الرجل وقالت :

— ما اسمك ؟
— ما ذا تفيدك معرفة اسمى ؟ هل لديك رغبة فى كتابه قسنى المتجيلة ؟

أفضى بها الأمر إلى أن عضت يده بقسوة ، فراح الرجل يهدد ويتوعد دون أن يتراجع ورفع المديبة يده ليهوى بها على المنق النض الرقيق ذى البشرة البيضاء الناعمة ، فلمت المدينة بنوز مشؤوم ومست رأسها الحادة عنقه مساً خفيفاً شمعت بأن قواها خارت ، وأن قلبها يتلوي من الألم ، وأن أعصابها قد تشنجت ، ولكنها رغم ذلك كله استطاعت بما لديها من شجاعة أن تحتفظ بإتسامه على شفتيها الجانبتين الراجفتين ، وراحت فى سرها تدمو الله وتطلب المونة منه وعاد الرجل فصاح بها مهدداً وأطبقت شفتاه على أسنانه البيضاء :

— أين تخبئ مالك ؟ إنها المرة الأخيرة التى أسألك فيها
فرقت إليه عينيه الواسعتين الزرقاوين وسألته قائلة :

— لماذا تتردد فى إزال الضربة القاضية ؟
رجل أبيض البشرة يذبح امرأة من بنات جلده فى هذه البلدة الموحشة ؟ إننا نسمع بأمثال هذه الوحشية عن الزوج ، ولكننا لا نسمع بمثلا أبداً من مواطنينا يعض البشرة

ولحت شماعاً من الاضطراب يلوح فى صيني الرجل المظلمتين ، فصمتت وأطرقت . فقال بلهجة فيها شيء من التضرع والتوسل :

— لا تدعبنى أصبح قاتلاً من أجل شيء حقير نأفه . أعطيني ما يمكنك إعطاؤه . ماثراً روية تكفيى فضحك « حى » وقالت :

— ورغبتك فى أن لا تصبح قاتلاً جعلتك مضحكاً فأغمض الرجل عينيه وقال :
— أرى الشئام سهلة عندك

تقمهقت ملء شدقها ، وألقت بجسمها
على كرمى قريب وصاحت قائلة :

إن فكرة البطولة تنود إلى بساطتها . منذ لحظة
كنت تريد أن تقتلى بلا رحمة ولا شفقة للسرقي ،
والآن لا تستطيع أن تقبل شيئاً هو بنظرك أشبه
بالصدقة ! حقاً إن الرجال لديهم أدب مسل . ونحكت
وفي هذه الأثناء سمع طرق خفيف على الباب ،
فدلت « سى » الرجل على مكان يستطيع أن يجتئى .
فيه ، ثم فتحت الباب .

— ماذا حدث يا أنكا لاتشلام ؟

فأجاب الخادم :

— القديس أبونا أنى ليراك

— حسن ، قل له ينتظرني في اللهو ، أنا
قادمة الآن .

ولما اختفى الخادم ، أخرجت فرنسيز من مخبئه
وقالت له :

— تعال مى ، لقد دعوت الأب « دوران »
هنا المساء لتناول طعام المشاء وتستطيع أن تأكل معنا
فصاح الرجل وهو يشير إلى ثيابه الرثة ويديه
الوسخنتين :

— كيف يكون هذا ؟

— سأدلك على غرفة الاستحمام ، ومن السهل
عليك أن تستحم وتصبح نظيفاً بالمغالة ، ثم أخصت
والثقتل المديّة الطروحة على السجادة وقالت :

— سأحفظ بهذا الضيف الثقيل كذكرى
للحدث ، بعد أن أذكر أن امرأة وحيدة في الحياة
ليست أبداً في أمان على نفسها ومالها

فتملكته الدهشة ولم يجر جواباً وتبعها ، فتركته
عند منضدة الزينة ، وكانت طالة أنها لم تنج من الخطر
تماماً ، ولكنها كانت تدرك أنه يجب من أجل إنقاذ

— لا تخف وأجب على سؤال

فقال بلهجة شرسة :

— فرانسيز

فكرت الفتاة قليلاً ثم سأله برقى واضحة يدما
على منكبيه :

— فرانسيز ، هل أنت محتاج حقاً للمال إلى
هذه الدرجة ؟

فضحك بمرارة وقال جلياً :

— محتاج للمال ؟ يا له من تهكم مرير ! أنظنين

أننى نهيأت لفتك رغبة في القيام بحركات رياضية
أمرن بها جسدى ؟ إننى لاحظت لى إذ أن شجاعتك
صدتنى . ولنى تكون لدى القوة الكافية لأجبل
هذه اللدية الرهيبة تنوص فى عتقك الجليل الذى
تنتظر بهدوء

فضحكك لتولوه . وإنها تستطيع أن تضحك
ملء شدقها دون وجل ولا خوف ، إذ علمت أنها
قد ربحت المركة

— ألم تكن جاداً فى هذه المحظلات القاسية
اللى أمضيتها بسريرات نفسية لا تحتمل ؟

— لا تضحكى ! لقد كنت مجنوناً ، وسأغلق
عبنى فى المحظلة التى تنوص فيها للدية فى عتق .
— هذا فظيخ .

واضطربت « سى » لذكرى الاضطراب السابق
وقالت بعد صمت حزين :

— فرانسيز ، سأعطيك مالاً ، كم يلزمك ؟
فقفز فرنسيز ووقف أمامها ناظراً إليها
بيلامة وقال :

— لنى أستطيع أبداً أن أقبل الآن . وأصبح
شاحب اللون جداً .

فنهض فرانز وقد احمر خدها من الخجل ،
وتناول المال من يدها وقبض عليه بيده اليمنى بحركة
عصية ، ولاحظ القس اضطرابه ، فقال له ليقطع
حبل الصمت الثقيل الذى أعقب ذلك :

— يظهر لي أن الكتب التى يمتلئ بها لآلئى «سى»
قيمة وثيمة ، بل من الواجب أن تكون كذلك ،
إذ أنه من الصعب الرضى بقراءة كتب من نوعها
ثم أضاف قائلاً :

— أقبل زيارتي لك فى أحد الأيام التالية ؟

فتضيق فرانز واضطرب وأجاب قائلاً :

— أأأ... أخفى كثيراً ألا تستطيع أن
تروني حيث أعيش... إنه حى سى منمور الذكر
فى راجون الحى الوضع... إننى أخجل

فقال له القس برقى ولين :

— لا تخجل أبداً الشاب ، لا يضيرنا المكان

الذى تقطنه ما دمنا نعيش بمحبة وفننية ، على أننى
أعترف أن رفقة السوء تفسد المرء ، فلماذا لا تترك
هذا الحى ؟

فأجاب الشاب متجنباً نظرة «سى» النافذة :

— إن تروني لا تساعدنى على ذلك

وكان القس واغترافاً ، وفا إلام واسع بطابع
البشر ، وسريع الفهم ، ففكر فى نفسه وهو ينظر
إلى الشاب نظرة ذات معنى ثم قال له :

— لقد أجبتي يا بنى ، وبما أن الآنسة «سى»

تمرّك فلا حاجة لى بتوسية أخرى لتكون مقبولا
لدى . عندى مشروع أود أن أعرضه عليك ...

إننى قد كبرت ، ولا أزال محتاجاً لرأس مفكر شاب
يدير لى أعمالى ويسلم حساباتى ، وفى دارى غرفة
فارغة ، وأظنك ستقبل الحياة قربى لى إلى أن نجد عملاً
أكثر كسباً ومغنياً ، ما رأيك فى ذلك ؟

أن تظهر له أنها ثابتة الجأش ، وبكل بساطة وسذاجة
ذهبت لتقابل ضيفها ومدعوها فى اليوم

كان الأب «دوران» ينتظر «سى» بهدوء
وصبر ، فأقبلت ترحب به وتكلمه فى كل شئ دون
أن تشير فى حديثها إلى الحادث الضحك المبكى

وسمعت الفتاة بعد قليل صوت خطوات الرجل
الترددة خارج الباب فهضت لاستقباله ، ولكى تبعد
عنه الضيق والخجل قدمته بلباقة إلى القس الكهل قائلة :

— السيد فرانز

وسار الثلاثة إلى غرفة الطعام حيث كان الخدم
البرمانيون والمنود حفاة الأقدام يملأون بصمت ،
وتزلق أقدامهم على البلاط الرخاى كالأشباح

وقد أزعج القس وجود هذا الشخص الثالث
التريب ، ولكنه لم يبد ذلك من نفسه ولم يشر إليه
فى كلامه ، وقد بدأ الحديث بين الثلاثة فى موضوعات
تافهة ثم تطور حتى أصبح ودياً وأغزر مادة حتى
أنه شمل الفن والعلم والأدب والموسيقى ، واستأنس
الرجل تماماً وراح يتكلم بحمى ، ومحاول أن يظهر
بمظهر المثقف الربى تربية سامية ...

ولاحظت «سى» أن الرجل يبذل جهداً عظيماً
ليقم شهوة الجوع التى قوبت فى نفسه ، فانطرد قلبها
رحمة له وشفقة عليه وبدأ الطعام

ويهد أنهاءهم منه ، طودوا اليوم كي يشربوا
القهوة ، فامتدردت «سى» واستأذنتها فى الخروج
برهة قصيرة ، وعادت إليها سريعاً حاملة يدها
غلاًفاً قدسته إلى المتدى بمحفق قائلة :

— هاك ياسيدى المال الذى لك عندى ، وأرجو
أن تجد هذا المبلغ كاملاً غير ناقص ، وأنا موقنة
أن حكى سيكون سائماً على الكتب النفسية
التي يمتلئها !

— لسانا ؟ هل ذلك ضروري يا بني ؟ أليس من الأوفق والأحسن أن تصمت وتحفظ شرك في صدرك لنتي احترامنا لك على الأقل

فأحس الشاب بالدموع تبلل أجفانه وقال : أقسم لك بأنك لن تجد الوقت الذي تأسف فيه وتندم على حملك التيبيل هذا . إنني مدين للآنسة « ي » بأشياء كثيرة . إن من الواجب على أن أعترف إليها لأحتلي بفوقها ، إذ أنني أرغب في أن أعال هذا المعوق ولو كان الثمن إهانات عظمى . إنك لن تستطيع أن تشك في وداعها وصفاء قلبها فنظرت إليه « ي » وكانت ترى أمامها مستقبلا باهرا . فضحكت كي تشجبه وقالت :

— إن الأب « دوران » صالح وقي ، وأرجو أن تعمل له بين غيات قلبك الاحترام والمحبة الذين يستحقهما . ويجب عليك قبل كل شيء أن تضرب صفحا عن الماضي وأن تحاول نسيانه وتلقبه وراكم بعيدا .

— أعدك خلصا يا سيدتي أن أفضل كل ما أستطيع لأنا تقدير مواطني ، ولن أنسى قط أنك خلصتي من نفسي وأقذتني منها

وبعد دقائق ممدودة ، ودعت « ي » الرجلين وودعت إلى البهو وهي مطرقة تفكر . ورفعت رأسها فرأت على منضدة صغيرة نحاسية ، غلافًا أبيض ، ولا رفته يدها وفتحته وجدت فيه المائتي الروبية التي قدمتها للشباب

فسارت إلى غرفتها وأدهشها أنها اكتشفت نفسها حاسية في هذا الرجل الذي كاد يصبح قاتلا وسقط جسمها فجأة على السرير وهي تلهث ، وشمرت إذ ذاك أنها أضف وأوهن من طفل صغير « دمشق »

كانت « ي » تنظر إلى النفس بفزع ، وقد داخل نفسها فجأة خوف عليه ، أنفست وتترك هذا الفصل من القضية ونبل النفس يجري إلى النهاية ؟ ... وقبل أن تفتح فيها تكلم الرجل ، فأصفت إليه وهي دهشة مأخوذة :

— لقد غمرت نفسي بلطفك وحناك يا أبي ، ولكن ليس لدى مال أدفعه للفرقة ، ليس عندي إلا نحن الثناء !

— لا تفكر في هذا يا بني ، فستعمل لي وسأبقى مدينا لك ، إنه لبعض التفكير في أنك مريض لحياة سيئة فاسدة . أليس لديك كلام آخر ؟

شمر الشاب أنه مشرف على ساحل من المعروف لاحد له ، لقد صادف في يومه هذا كثيرا من أمثلة نبل النفس وصلاحها ، وبقيت آثارها تفرغ نفسه ، وتراى له أن العالم كله يريد أن يجعله ما لا يطبق من الفضائل يحجو بها السمات التي ارتكبها ... وعم جسمه اضطراب شديد ، وصمد في صدره شهيق بلغ عنقه ، وبدافع نفس قوي صاح بالنفس المرم قاتلا :

— إنني لست جديرا بهذا الكرم العظيم ... إنص إلى يا أبت . إن شرف نفسك ونبلها قد أورتاني عذابا ، وأرى أن أحسن طريقة هي إطلاءك على حال وحقيقي . إن الآنسة « ي » لم تقل لك شيئا كما يبدو لي ، وأنت لم تعرف الحادث ، فمن واجبي أن أسرد على مسامحك كل تاريخي الرهيب فأقبلت عليه « ي » بوجهها وكانت راضية كل الرضى عن هذا القتل الذي صدر من الشاب ، وأيقنت أنه جدير بلال الذي وهبته إياه وقالت :

— إنه عمن في ذلك يا أبت

فقال النفس :

الأب

للكاتب الفرنسي بول بورجيه
بقلم الأديب كمال المحمري

قطعت كل صلة تربطني بأهنة
أخرى في هذه الحياة ، وأنت
كأهنة في ريق شبابها واكتال
أثوتها ، لك الحق بل يجب
عليك أن تستأنف حياة الزوجية
السعيدة من جديد . وإذن فهل
أستطيع أن أمل يا سيدتي أن
تتميزيني الزوج الخلس الذي

سيكون من أشهى أحلامه أن يضئ راحته وحياة
لأجلك ... إلى أحبك ... يا سيدتي ، ولعلها المرة
الأولى التي أسمع فيها لنفسى بنطق هذه الكلمة
الجريئة على سمع منك ... أما أنت يا سيدتي فليس
عندك إلا كلمة واحدة تقوليني لي في هذه اللحظة
ستكون هي الأولى والأخيرة . ولكن بمحك
لا تلفظها إلا بعد تأمل في عاقبتها ، فإن ما أجن
لك من هوى دفن لأمر من الأهبة والخطورة
بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استمجال
واقضاب . قالت مدام « ليجيه » وصوتها راجف
وطرفها خاشع :

— أنتظ من استئنافا لحاتي الزوجية معك ؟
ثم جد لسانها عند هذه الكلمة فلم تأت « بلا »
أو « نعم » ؟ وأخيراً جسرت فقالت :

ولكن حياتي لا يمكن ترميمها ولا استئنافها .
إنك تتكلم عن الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقا
واحدا : هو السهر على أولادي ، ولأنهم إلا واجبا
فردا : هو واجبي نحو أبنائي الثلاثة .. قال الصديق
المخاطب :

— أو لا تشرين أني أحبهم م أيضا وأعزهم
وأحنو عليهم كأبيهم صديقي الراحل ... ؟ ومن
(١)

استيقظت مدام « ليجيه » في صبيحة هذا
اليوم فلقه بأدية الموم والتفكير . فقد كان عليها أن
تضع حداً لحياتها كأرملة في مقبل العمر ، ولحياتها
كأم ذات بنين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها
وهي إذ ذاك في الثالثة والثلاثين عامان كاملان .
وكانت وفاته بيلة ذات الجنب التي غاثه وشيكا من
دائرة عمله كحمار له شهرة مستفيضة ومحل من قلوب
الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هذا الصباح
الذي تستيقظ فيه مدام « ليجيه » حائرة مفكرة ،
اجترأ « جورج فوكولت » صديق بلها للرحوم
وعام مثله أمضى معه سنى الجامعة ثم ثم زوجها
في دائرته زوم للشريك وفي بيته زوم المصاحب ،
اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ
سنة أسابيع :

— إلى لأجل لك أيتها السيدة منذ طويل
حاطفة لم أستطع استكناها ولا فهم طبيعتها إلا منذ
اليوم الذي غادرنا فيه صديقي العزيز زوجها ، فأصبحت
برفاته حرة التصرف مالمكة ثمأم أمرك . وأظنك
كنت تستشعرين من هذا الصمت اللانطق وتحسرين
احترائي للراحل الفقيده وتقدرين رعايتي لك . فبيديك
يا سيدتي « ومنذرة من اعترافي بهذه الحقيقة »

— إنه إحسان منك على أى حال أن تحمدى
لقلبي الشهيد موعداً للجواب كي أغادرك وأنا أقول
لنفسى من يوم لآخر ستوافينى نعمة جوابها فى
يوم كذا.. «كأرب»، أيتها المزمزة، اختارى بنفسك
اليوم الموعد وعينى تأريخه، وليكن القرب والبعد
على ما يوافق رغبتك وهواك... أما أنا فساءعاهدك
الآن عهداً لا آتحت فيه ولا أعرف ألا أخوض
فى ذكر هذا الموضوع الذى سيكون رغم هذا هو
شئى الشاغل وهى الناصب.. غمدى بيشك موعد
جوابك. وهنا تحتمت مدام «ليجيه» بصوت
محبتى ولهجة ضارعة: سيكون ذلك حين ينتهى
أجل حدادى على زوجى الراحل، وبما أنك تدعى
حبى فأرجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أتمسك
بوعدى أنا. والآن أرجو ألا تلح على فى هذا
للشان فقد كفى ما كفى...

ثم يقول لها، وهو يود أن يوضح بالوقت المعين
كل شك وغموض يمكن أن يتورع موعده المرحى:
وإذن فسيكون جوابك بعد أسابيع فى الرابع عشر
من نيسان! فأجابت على هذا بإعادة من رأسها ثم
انمقد بينهما جو من الصمت...

لقد خالت يد الموت زوجها الحبيب فى الرابع
عشر من إبريل أى منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت
قبل هذا اليوم الذى تجالس فيه مدام «ليجيه»
خطيبها السيو جورج. كل ذلك جال بذهن
«مدام ليجيه» وذهن الخاطب الضديق الذى شعر
بثقل كلفه على نفس الزوجة بعد أن عين لها الموعد
المضروب...

أن يستأنف الزم حياته دون أن يزوج بذكرى
أحبته الراحلين عن الدنيا فى ذلك وبالاحسرة إساءة

لمرى سيجعل على الأب الراحل إن لم يحله صديق
أيهم وسقيه؟ وهل غيرى يرف ميل صديقه
وذوقه ومشربه فى الترية والسلك؟ وإذن فهل
تسمحين يا سيدتى أن أشغل مكان الأب الراحل؟
أرضين أن تكونى امرأتى أمام الله والناس
قالت الأرملة فى حسرة وتلد:

— خلى الآن لشأى... هلا جنبتى الكلام
فى هذا الموضوع...! إنه ليؤلمنى البحث فيه ويسبب
لى كثيراً من الشجن والشجو
لا أعرف شيئاً، لا أفهم شيئاً، لست بمستطيلة
أن ألح فى قرارة نفسى المظلمة عاطفة أستطيع منها
إجابتك على سؤالك لأنى أجهل نفسى... ولكنى
أعدك أن جوابى سيكون بعد قليل من الزمن...
أما الآن فلا أستطيع، أجل لا أستطيع... فأجاب
جورج فوكولت:

— سأنتظر كلمتك كما تشائين وأنى تشائين.
إنك إلا تقولى «لا» هذه اللحظة فبحسبى، لأن
ذلك معناه أنك قد تبصرين خلال سجون المستقبل
الكلمة الحبيبة إلى قلبي وهى «نعم». إن التردد
والتعير مؤلمان للقلب حزنان للروح إذا لم يكن القلب
المنتظر فى شرح شباب. قال ذلك وأبان لها عن
طرف لته وقد طرزنها سنوه الأربون بأسلاك
الشيب البيضاء. فأحست المرأة الأرملة وهى تتأمل
وخطات الشيب فى رأسه، وتنتظر إلى أثر التآنيب
الصامت من عينيه السوداوين: أن موسيو جورج
إنما يقبى سعادته فى هذه الدنيا بمقياس ما يقبى
من سنين فيها، وكأن نظره كانت تقول لها: إن
ما يطويه الشباب اللاهى من منع ومباهج لن ينشرها
كفن الشيب مهما يمد ويصف ثوبه. ثم يستأنف
حديثه ويقول:

ما الذى طرأ عليها ياترى فبدل عزمها ١٢ ... وأقبلت الخادم فى هذه اللحظة فصرمت أستاذ الثروة من النوافذ والشبابيك فطفت على جوها موجة من نور لألأ. ضاحك غير المكان كله؛ وكان فى شارع «فانو» تشرف نوافذه وشرقاته على بستان القنصلية المنسوبة للظليل اليا نغ . ولست زرقة السماء من خلال النوافذ ونفذ تمرير المصافير إلى السامع شجياً موسيقياً شمرت منه مدام «ليجييه» أن توب الجدة التى تضفيه الطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذى تقفه هى من حياتها الجديدة هذا اليوم ... حتى أن الثوب الزر كس الذى حملته الخادم منذ لحظة كان يبرسها بأخيلة وخطرات جد حافلة بالغة والسادة ... ومع ذلك فلم يتقطب جبينها ويرد وجهها كلا نظرت إلى عقرب الساعة ينتقل من مكانه ؟ ! ما لها تقف حالة ساهرة يدل أن تنشط وتفرح ... ؟ أترأها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟ ! ...

حين تكلمت مدام ليجييه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شئ للصديق الخاطب ، لم تعرف له أن ولدها البكر «شارل» ما قىء منذ شهر مدمة غفوفها . أبداً لم يتبادل الابن مع أمه كلمة عن «جورج فوكولت» خاطبها الرقيب ، وكان هذا الأخير لا يميز هذا الغلام البائع فى الخاطبة والحوار عن أخيه الصغير «رنيه» وأخته الصغيرة «هيلين» اللذين كان يكلمهما بصيغة الأفراد دون كلفة . ولكن إذا شغقت سنو الطفل «رنيه» الجنس وأعوام الطفلة «هيلين» الشرقة لهذه الصينة الافرادية يبدى فيها صديق أبيهما حبه وتدليه لها ،

إلى ذكراهم النابرة ومهودم الماشية ، وإذن فن ينسب عن الوجود تحت ممة ذكراه وتنسب ثم تبتمله هوة الدم إلى غير رجعة ، والمفتاه .

وصرت على هذا اليوم ستة الأسابيع المضروبة دون أن يلم خلالها طيف الزوج الراحل ودون أن تتردد ذكراه على رأس الخاطب و مدام «ليجييه» فتفسد عليهما خلوتهما اللذبة وجلساتهما اليومية المتتالية ...

ومجد السيو جورج من اللطف والأدب ألا يمرض بذكر الموعد المرتقب خلال هذا الأسابيع الستة . ثم يرى من اللطف والكياسة أن يشادر (باريس) حين اقتراب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام «ليجييه» فقد أخذت تنبأ لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحييت هذه الذكرى فى ذلك اليوم فى شئ من البرود وعدم المبالاة لم تخرجهما أثاره من حنان ولا بقية من غفمة وحسرة . وفى اليوم الثالث عشر من نيسان تسلمت من جورج خاطبها خطاباً ينبئها فيه بزيارة من الدم عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها حرة ومرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها هى نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى فها وقبلت سطورها وفى ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسادة والذة خلال هذه السطور .. وأخذت تردد: نعم ... نعم ... سيكون جوابى .. نعم . وإذن فقيم استيقاظها سبيحة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أسلفنا ؟ .. ما الذى حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نضوى وبين الساعة التى ترفق فيها ومادة سر بها الوثيرة يبدو عليها سهوم وتشكير ؟

ويا للأسف كان يزيد ألماً ويضعف شجوها ...
أجل إن جورج عفى في قوله . فواجه على
معاودة حياتي الزوجية ، وأنا بهذا لأناك شيئاً من
زوجي الميت ولا أسوءه في كرامته . كذلك لأفادت
على أولادى الأحبة الذين تركي لهم ، لأن جورج
سيحبهم وسيحتو عليهم . والمستيران يحسان بهذا
ويقدرانه في سناجة وطهارة . أما شارل ولدى
الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر .
آه لشد ما يحب أه هذا الصغير ! إنه لينو
ويفتح الحياة يوماً بعد يوم كأنما تتمهد أمامه ممجزة
من السماء

هو الأول في صفه في مدرسة «سانت لويس»
وإنه يترق بين رفاقه وزملائه بصورة غريبة مريمة
كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذي تركه
أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام في نفسه أكثر
من هذا : أن يكون خليفة أبيه في البيت ورب
الأسرة التي كان يحلم أن يكون حليماً وراعياً .
فيا للقسوة والنعكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلّم
أمر البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟

ومضى الوقت وكانت الساعة تبلغ العاشرة
وأفكار المرأة ما زالت تضطرب في ساحة ذهنها
جيشة وذهوياً . وفيها منصرفه إلى زينتها وترجيل
شعرها وتليق حليها وأقراطها ، إذا طرقت على
باب الغرفة تنفذ إلى أذنها فيجب لها قلبها وترتمش
نفسها لأن هذه خطوات ابنها الذي كانت تعتبر
نفسها أمامه كحجر أمام قاضيه . وفي الحى لقد كان
الماخل « شارل » الذي توقف على الباب لحظة
كالأخوذ بدل أن يدخل عليها لنوه . قالت له الأم
مضطربة قلقة وقد شاهدت تأثراً غنياً بطبع وجهه

فان الستة عشر عاماً التي يجتازها الغلام المراهق
« شارل » كانت تقسم بينه وبين « جورج » الخاطب
جواً مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل اللفة والمطف
وعدم السكفة الانقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان
الخاطب الراحل ينضى من هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ
في الآونة الأخيرة يضعف عطفه على الغلام ويتنقذ
الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه العابس الصامت
وتلاحظ مدام « ليجيه » ذلك السلوك الحبيب
الجناب الذي يامل به الخاطب ولها البكر فتشتبط به
وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تقرب من ابنها
رفضاً وثورة أخفت تحسب حسابها وتنبأ لها
منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها في هذه الصبيحة
الباسمة من نيسان التي كان عليها فيها أن تقول كلمها
الأخيرة في رفض يد « جورج » أو قبولها . ولهذا
وحده هي تدير في ذهنها الصورة المستحبة لللائمة
التي يمكنها بها أن تقبلاً ولها دون أن تؤذي
أو تسوء في عزة نفسه ، فكانت تردد :

— كان على أن أنبئه بذلك وأسير غور رضا
أو رفضه منذ ستة أسابيع ... غير أنني لم أستطع
ذلك لأنني أجدني أمامه مرتبكة مشلولة الإرادة كاني
بمحيرة أبيه الراحل . فبالله كم يشبهه حتى كأنه مسورة
الثانية ؟ ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن في
تحيته إليه وترثيه ... وذكرك اسم جورج هكذا
مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوي له على حب
وميل ...

نم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من المواقف
والبول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك

أخذت تحتل مكانها يوماً بعد يوم من قلبها
وفي صباح هذا اليوم في وثبة طافرة من وثبات
الارادة للترزية أصرت مدام ليجيه الخادم فقالت :
— لويس ، لا تنضى في هذا الغداء مقعد المرحوم
زوجي على المائدة ، بل عليك أن تنضى مكانه مقعداً
لجورج فوكولت ...

وحان وقت الغداء واتخذت المائدة أمكنتها
حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كان يرى
المائدة والكرسي الجديد بدل كرسي أبيه التوفي
حتى جلس في وجه أمه وقد امتنع وجهه واشتد
لونه أولاً ثم اجمر واشتمل بالدم الملتهب . ونظرت إليه
الأم برعب وهية ، ثم صغ وجهها الاحمرار هي
أيضاً . ولكن في تلك اللحظة الرهيبية المخرجة
جري أسر زاد في اضطراب مدام ليجيه وارتبا كما
ثم حيرها ، ولكنه في الوقت نفسه أجرى السألة
في مجرى حسن لم تكن تتوقه مدام « ليجيه » .
فيينا كانت تتناول بيدها مستند مقعد كي تجلس إلى

المائدة إذا « بشارل » ولدها يلقى عليها نظرة قبيض
بالحنان والشكر ثم تخضل عيناه بالدمع الذي لم يكن
منه الحزن عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان
منها والشكر لها ... ولكن عن أي شيء صدر هذا
الامتنان ؟ ! نجم عما صوره له وجهه دون أن يتفان
بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة
والدهشة التي بدت على وجه أمه ، ولا نظرات
الارتباك المتبادلة بينها وبين الخادم ، فقرر في ذهنه أن
أمه إنما تبرعت له بمكان أبيه مراعاة له وتبديداً
لظنونه السابقة في قائلها لأبيه ، لهذا احتل مقعد
أبيه أو الكرسي الذي وُضع للخطاب « جورج
فوكولت » محل كرسي أبيه ، وقلبه يخفق من الفرح

بطابع الألم : ما لك يا بني ؟ فأجابها التلام : لا شيء
لا شيء ، إني مشدود متمجب فقط ... لقد
أفنت أن أراك دائماً في ثياب الحداد . ولكن
ولكن ... صحيح أن حدادنا على أبي قد انتهى ؟
فألتفت « مدام ليجيه » على المرأة الكبيرة أمامها نظرة
غير طمئة فإذا بها تبصر ملامح وجهها الزائق
تنسجم أبعد انسجام مع خصلات شعرها الذهبي ،
ولكن يناقض ذلك كل المناقضة زى ولدها المدرسي
الأسود التاروق كله في حلة من حداد ، ويرتجف
صوت الأم حين تهم بأجابه ولدها ثم تنجدها لباقتها
فتشير بجري الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لي ... لملك مسرور من
أستاذك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك
في الانشاء ، أظنها أعجبتك ؟ ! ثم ناجت نفسها :
— سأبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة
خصوصاً وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت
منسج للغداء وللانضاء إليه بالأمر ...

على رغم أن الحلمي التوفي موسيو « ليجيه » قد
خلف لأمائته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير
ثروة لا بأس بها ، فإن مدام « ليجيه » لم تحالف
شيئاً مما ألفته سابقاً من تدبير واقتصاد في الانفاق
على المنزل . ولما كانت مدام ليجيه لا تستقبل في
مفتتح عهدها بالترمل إلا الأقرباء يمتحن إلى الزوج
بصلات القرين والودة ، فإن الاحداد له كرى للبت
لم يكن ليحملهم جداً أو مشقة . ولكن أنى لها
بملء كرسي زوجها بشخص خاطبها جورج في
حفلة النداء أي غدر ستعذر به ولدها ؟ كيف تفل
بهذه العادة التي يقدها ابنها ويعجدها ، والتي باتت
تهبط روحها وتنقل على قلبها لأن صورة الخطاب

طاغين : تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية
حسنة ، وآخر هادي عميق من عطف أم رؤوم ،
إذا برنين الجرس ينزعها من ذراعي ابنها الذي
كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بمبراة وشوق ..
لم تكن غدوة فقد جاءها الخادم بمد ثوان
يطلب الأذن لموسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدى
ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب
من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه
الحركة فقالت في كبرياء ممزوجة بالأم :
— إبقى مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى
الخادم وهي تقول :

— قل لموسيو « جورج فوكوت » إنه من
الستحيل عليّ مواجهته هذه الساعة وسأكتب له
جوابي كتابة ...

وحين انفردت بابنها راحت تماقعه في لفعة
وابتهاج ثم قالت : أبدأ أن أزوج يا شارل المرزبن .
أبدأ أن أنقل عليك باب يؤلم نفسك ويبحر قلبك .
لن أرضى أن تتألم أنت كي أسعد أنا . إنك حسي
من دنياي يا بني وأظن أنني حسبك أيضاً
كالمحررى

والشكر وحلقه غاص من الكرى والحنين ...
وانتهى اللقاء وخلا المكان « بشارل » وبأمة فضع
« شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح
يقول لها وقد أرحى لمبراته اللتان حتى بلات وجه
الأم السكينة الحائرة :

— آه ، شكرًا لك ألف مرة يا أماء . فقالت أمه
في حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بني ؟ ! فقاطعتها
دون أن يترك لها الفرصة لتابعة حديثها :

— أشكرك لأنك أحللتني محل أبي على مائدة
الطعام في اليوم الذي تخلمين عنك فيه ثوب الحداد .

إنك لا تدرك أي جميل أسديته إليّ وملأت به قلبي
الحزين .. آه .. ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة .

لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من تصرفاتك
فاغفري لي الآن هذه الشكوك والظنون . نعم
كنت أخشى أن تسع لك في يوم ما فكرة الزواج
لأنك ما تزالين صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات
من أمهات رفقائي في المدرسة يتزوجن ويسلمن
أبناءهن لأب ثمان خريب عنهم . ولكنك أجلسني
تجاهك منذ لحظة على مقعد أبي المرحوم فأدركت
أنك تريد أن تقول لي : املا عمل أليك يا بني

فقد آن لك أن تغفله وتواجه أخذك وأخاك
المرزبن وأمك التي تحبك ، ولكن إن أشغل مكان
أبي ذلك الأب الذي الطيب ، فذلك ما ليس في وسعي
ولكن أطمعك أنت أبذل له جهدي . وهنا
تمتل لمدام « ليجيه » أنها كانت ستعلم قلب ابنها
النبيل لو أنها اتقادت لهواها الذي بدأت تشمر به
بحو « شارل »

وفي هذه اللحظة وبينما كانت « مدام ليجيه »
تضطرب بين الماضي والحاضر ، وتترجح بين تيارين

الأم فترت

للساهر الفيلسوف جوناثان

مترجمة بلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً

أختها وهي تتجمل للقاء صديقاتها
وصوب محباتها ألى ذكرى مريرة
يحملها ذاك اليوم الحزين ؟

— يا أختاه ! لا بد أن
أجمل رأسك بشاح من الفل
الطبيبي أوصيت بمعه ، سأخرج
لأحضره وأعود به توأ ...

هكذا قالت لأختها وهي صادقة كل الصدق ..
خرجت على أمل أن تعود ...

واليوم الأحد وعمل الورود متلف . لقد نسيت
ذلك ولم تذكره إلا عند ما بلغت مكانه ...
وداعمتها خواطره الحزنة وصعب عليها أن تعود
إلى أختها بغير الفل ...

ودون عهد كابت الخطى حائرة لا تدري ماذا
هي قاعة ... وسارت في الطريق لا تلوى على شيء
حتى أحست بنسيم مطر يمتزج جنبات نفسها
فيجيوها بالطمأنينة ، وتنهت فاذا بها في طريق خال
من السكان والمارة على جانبيه زرع الشتاء الأخضر
في غير زى الربيع الناضر

وطاب لها السير فلم ترده ، وظلت تمشى حتى
استرعى نظرها شجرة كثيفة يتدلى من أغصانها ثمر
الحناء ، فأسرعت الخطى لتجمع منه ما تستميش به
عن الفل ...

وما كادت تقترب من الشجرة حتى لحت رجلاً
لم تشك في أنه غابر طريق ؟ اقترب الأرض وأخذ
جذع الشجرة خدنًا اعتمد عليه برأسه في شبه
استسلام الوساكن ؟ تصور ثيابه الزنة ما يمانيه من
بؤس وشقاء ، ويحكي وجهه للشاحب أقصوة

مَجْنُونٌ زَاهِدٌ

يَقْلَمُ الْآنَسَةَ جَمِيلَةَ الْعَلَايَةِ إِلَى
« مهذا إلى صاحب القلب الحساس »

ليس أحب إلى النفس من الخلوة عند ما يفيض
بالإنسان حزنه أو أساه ...

لما لم يكن في وسع « هلا » أن تشارك أختها
فرحة عيد ميلادها لتجهم نفسها وتلبد غيوم ذهنها ..
إنها تحب أختها وتغفل إلى الطرب أيضاً وتفرح
لسرة القريب والغريب ، ولكن ذاك اليوم يذكرها
بأساة عاطفية رسمت حروفها للنارية في سويداء قلبها
البكر ...

ميلاد أختها ، وموت قلبها ، يجتمعان في يوم
واحد . فاذا عساه أن تفعل ؟ ...

أنتكف البشر وليس في مقدورها أن تحبس
دموعها في ذاك اليوم على الأخص ...

حاولت جهداً أن تبدد الكآبة بتكافؤ البشر
فلم تستطع ، وضافت بهواجسها حتى خيل إليها
أن مجرد النظر إليها يدر السموع من العينين ...
إذن لماذا تكون آفة ميلاد أختها السعيد وهي
تريد أن تكون بهجته وباعت مسرته ؟ ..

كل شيء دسولها يحمل طابع الأمل في ذلك اليوم ،
حتى الموسيقى تبلغ مسميها كترتيلة الجنائز
أوه ... لشد ما يفرعها صراى ظواهر الرح
والانشراح والطرب في البيت ، ولشد ما تفرعها رؤى

وظلت هي في موقفها تتأمل وهو يجرى كالبحر
بتلفت خلفه كالذئور ، حائرة بين ما تريد أن تفعله
من أجله ، وبين ما تخافه منه :
— أى شيطان يسمى يا ترى ؟ ... أترأها فتاة
حياته ... ؟

ثم هرولت خلفه تناديه : يا سيدى ، يا سيدى
لم تكن هيئته تفعل على ذلك النداء المحترم ،
ولكن هيئة الرجل ووقاره أ كسباء سمعة أجل من
جمال الزى وروعة الهندام

ووقف فظنته هداً ، ولما بلغت اقترب منها باسمًا
بسمه عريضة ، ثم رفع يده على غير ارتقاب
ولطمها على خدها ، وبأيد الأخرى جذبها من شعرها
في قسوة جنونية وطوح بها بسيداً فارتجت على
الأرض كالطائر الذبوح تنن بصوت منهج ثم
انقضت أنفاسها . إنها لم يطل بها الاغماء حيث مال
عليها بنهبها ، أولملا شاء أن يتأكد إن كانت حية
أو ميتة ...

ولما انتهت نظرت إليه بينين دامتين وغمنمت :
— ماذا جنيت ... ؟
وكان صوتها سهم صوب إلى صدره فقبض
عليها بكتنا يديه في قسوة وهو يتمم : أما زلت حية ؟
وأزعجها الشرر العنابر من عينيه الغاضبتين
فقال بصوت رقيق :

— ولماذا تريد موئى ؟ ما ذنبى ؟
— فقال بصوت مرتمش فأثر بفيض بلهب
قلبه : شيطانة ...
فتكلفت بسمه وهى تقول : هدى روعك
وساعك الله ...

كانت لهجتها لطيفة مليئة بالحنان ونظراتها كافيّة
لبست اللامنيّة في نفسه ، لكنه أطرّق برأسه في صمت
الماهل

الآلام والحمران ويشيع من عينيه بريق الدهول ..
أى منظر مروّع ! منظر الرجل القوي الذى
يميز عن التمتع بالحياة كما يتمتع بها كل رجل ،
لا عن مرض أو عاهة ، بل عن بأس وقنوط
مرض الجسم يداوى ... أما مرض النفس
فلا دواء له ، يظل بصاحبه حتى يميته ...

ولا شك أن هذا الرجل مصاب بمرض نفسه
إذ لا تبدو عليه ظواهر علل البدن
تقدمت منه الفتاة حتى واجهته بدافع الشفقة ...

مدت إليه يدها بوضعة دربهات ظناً منها أن من يقنع
بالجلوس في هذا الخلاء المقفر لا شك أنه يمان
التوسل إلى الناس ويستنكر الاستجداء
ولم يكذب بلح حركة يدها وللتقود حتى ضحك
بصوت جنونى هازأ رأسه في إياء ناظر إليها في غيظ
كأن بينها وبينه حقدًا قديماً أو كأنها هتكت كرامته
وجرحت رجولة

وكانت نظره كافيّة لرد الفتاة إلى الصمت
والخجل على أنها وقفت قبالة حائرة مذهولة لا تدري
ماذا تقول وماذا تفعل ، وقد تنبه شعورها الرحيم
فاجترأت وتقدمت منه قائلة : سيدى ، ما ضرك
لو سمحت لى بمساعدتك ؟ أراك في حاجة إلى المساعدة
فرفع الرجل رأسه في كبرياء ونظر إليها محملاً
ثم قال بلهجة جافة : حتى هنا الشيطان يتبمى ... ؟
ومضى ... ثم أن كالوجيع وشد شعر رأسه التمش
بيد مرتمشة عجمية ، ويده الأخرى أشار إليها قائلاً :
— إذهى أبها للشيطانة !
فريمت الفتاة ، ولكنها غابت الخوف قائلة :
— هون عليك يا سيدى

ولكنه لم يكذب يستمع إليها حتى انتصب وراح
يمدو كالمتموه مروداً : ظننت هذا الخلاء لا يأويه
شياطين الانس !

في هذه اللحظة أحست الفتاة أنها خلقت من أجل ذلك الرجل فنسيت الوجود وولدت تقول في شبه حمس :

قلبي يحدني أنك بليت بفدر امرأة أو حل' الموت اختطفها منك

فالتفت إليها في هدوء واستمع إليها لهفة، ولما صمتت قال : أما لا أقيم على المرأة غدوها ... لأن الرجل هو الذي يبت في صدرها بذور الشك بسوء تصرفاته أحياناً ...

إنما أقيم على الحياة لأنها تقضي على الحب بالموت في قلب بيتنا يحيه في القلب الآخر ... كأنه يخرج من هنا ليدخل هناك ...

ثم ضحك بنير صوت مرهوقاً : أتقضي نفسك وعجلي بالذهاب ... فاني أتم راحة أنفاسها منك، ولو ظال مكثك بجاني فلا بد من قتلك ... دون عهد ... أما الآن هادي' يافتة وأعتذر إليك بما بدر مني ، فساعيني واركني

كان يقول ذلك وهو يجاهد في نفسه مصابين : مصاب للماضي الآليم ومصاب الحاضر الذي يفره على التعلق به وليس في مقدوره أن يجاوبه بالمرء

وكان كلماته خلاصة ما تشبهه المرأة من حب صبا بمهاجرة قلبها فأكسبته حرارة ولهفة، فقالت : لن أحدث إليك بلساني يا سيدي ، إنما أرجوك أن تنظر إلى عيني ... أنظر طويلاً وافرأ دخيلة صدرى ولا شك أنك ستفهم ما أعنيه

فأمر وجهه وارتشت شفاته وحوّل وجهه بعيداً ثم عاد ونظر إلى وجهها متممداً ألا ينظر في عينيها وهو يقول : آه من العيتين ... بهما سمعت ومنهما شقيت ...

فقاطعته : ولم لا تكون شقيت بهما ومنهما تمعد ؟ فبرز رأسه مرتاباً وتهدي ثم أطرق ، فقهمت أن (٥)

تقدمت إليه في عناء لأن الصدمة آلتها وصح عزها على أن تسيره وتلاطفه حتى يطمئن إليها ويقص عليها حكايته ...

قالت :

— يا سيدي ، إن كنت في حاجة إلى ابنة فها أنا ذى ، وإن كنت في حاجة إلى أخت فلك منى هذه الأخت ... خدمنى ما ينقصك من حنان ورواية وحسبك .

قالت ذلك بهجة موزونة حارة ناسكت من معين صاف ... كل كلمة فيها من قوة الصدق ما يزيى بكل حيار عتيد

ونظرت إليه وشماخ نظراتها بصوراً أجمل ما يمتناه الرجل من حب وحنين !

ولكنه غص الطرف ملياً وهو يعض شفثيه كأنه يمانى ألماً مضاً في نفسه، ثم وقف وانقض عليها كما يفعل الأسد المصور بفريسته وشده شعرها وهو يلفه على يده ناظر آ إليها في ثودة وجنون، ثم جذبها في عنق وسدم رأسها بمجذع الشجرة فسال الدم منه . ولم يكده بلح الدم يسيل حتى ضحك مقهقها في جنون، ثم أقبل على الدم بفمه يسب منه كأنه أنشئ غفاه يرتجيه وهي من هول الصدمة ساكنة سكنة الأموات وقد ارتسم على شفثيه اصفرار الموت وأسبلت جفونها في استسلام الفتاة

ثم تركها وارتدى على الأرض يبيكي للأطفال، فاشتبهت ومالت عليه حانية متناسبة ألماً وما ألم بها فائلة بصوت خفيض متقطع : إن كان قتلى يرحمك ويبيد إليك سقاء نفسك وهدوء إليك فأقدم عليه غير هباب ، فليست حياتي ذات قيمة في ناظرى

وسحبت يده في لطف وساعدته حتى اعتدل في جلسته ...

وتشقينا به؟ ثم أشاح بوجهه مدمعاً : لا، لا يمكن أبداً ... أنا حالم لا محالة ... ثم عاوده الضحك الجنوني ووضع رأسه بين ركبتيه ليخفي مدامه ويغرس تهادته

فرفعت رأسه يديها محاولة أن تجنب نظره ببسبها قائلة : لبتى أحرف أين فتانك لأسى إليها. فصرخ في وجهها : كفى من الهذيان، لقد ماتت .. فتشبهت قائلة : رحما الله .. ولماذا تقتل نفسك مادامت ذهبت عنك على الرغم منها، إذن أنا أشد منك قوة وأكثر إرادة ... في اليوم الذي قيدت نفسى بالرجل الذي ظننت أنه مثل الأمل تبين لي أنه يلهو بشي، ولقد نبذته بذل النواة واستطعت أن أنقاسه. ثم تكلفت نيحة وأعقت : خل عنك الحياة بين يأس ورجاء... فأجمل ضوء الرجاء قبلة فأظريك دائماً. فصمت مفكراً فيما قاله يحلل مرماه ومنزاه ولقد استطاعت الفتاة بمجاذبتها ولباقها أن تحوله من الركود المطلق إلى الأمل الحلو الرقيق ، وأيقن أن الله أراد به خيراً فأرسل إليه ملاك الرحمة في كيان هذه الفتاة ...

ومال برأسه على كتفها في غيبه إغفاء ، وغاب بخياله عن الوجود ...

وهذه الفتاة راجية أن يماوده البشر والأمل ، وراحت تتأمل وجهه الشاحب المرحن . ثم انتقلت يصرها إلى صغره ، وهويلو وينخفض كأنه ضاق بأنفاسه

ولحت طرف ورقة تبدو من وراء ثيابه فلسكها الشيطان ، ومدت يدها في حذر تسحب الورقة ... أوراق صفراء تثبت عدد السنين المحاول . قد تبلغ أربع سنوات ، ولقد اكتسح الزمن

فناه ذات تأثير ساحر ببسبها، فترقت به وقالت .. يجيل إلى أنك لجأت إلى هذا المكان الثاني تحت تأثير أمر جليل. ألا تفتح لي صدرك على ذلك بره عنك؟ فقال : وما الفائدة .. انتهى كل شيء . انتهى كل شيء ...

فقاطعت : ولكنك رجل

قال : وهل تحارب المرأة إلا الرجولة ؟

قالت : تصعب بالضعيف وتسلم للقوي

قال : وهي جاهلة لا تفرق بين الضعف والقوة

قالت : لأن الرياء والكذب يشوهان حقائق

الوجود ...

وهنا لازمه الوجود ولم يتكلم ولحت جسمه بهز كأن قشعريرة الحى ملكته فسطفت عليه وسمت في لطف : أظنك تشمر ببرد شديد ... وطلعت مغلطها ثم ألقته على كتفيه فلم يمانع ، ونظر إليها في هدوء وتمم : من أنت يا فتاة ؟ قالت وهي تمر على شعره الشمت ييدها للناعمة في حنان : بسبى الله إليك لأسدك . فلم يتكلم ، وتساقطت مدامه كالندى الصافي فأكسبت خده الشاحب حمرة الشفق المتوهج فابسبت قائلة : ألا تشمر بالحياة تسرى في شرايبك؟ ألا تحس بخفة القلب الحنى بمحرك كيانك ؟

فلب يده في بطء كأنه يهيب لسها، لكنه يريد أن يتحقق من أنه يخاطب إنساناً ثم قال منمنماً : أيمكن أن تكون امرأة حقاً ؟

أيمكن أن يكون بين شياطين النساء امرأة واحدة تحمل قلب ملاك ؟

أيمكن أن يكون ذاك الصوت الموسيقى لحن قلب صادق ؟

ثم صرخ متاعاً : ربه ... لم تصدداً بالحب

أن روعي انسرحت من الكثافة الحاجية في عالم الحسن واستشفت الحقيقة في عالم التيب الجهول غير للدرك أو اللوس. ألا ترى متى أن الحياة أقرب إلى الخلود منها إلى الفناء إذا لازم الحب عمرها الحافل بالأمان الحسن .

ألا يحتمل أن يكون الخلود هو هذه الساعات الحبيبة المليئة بنشوة الحب الطهور ؟

لقد كانت الطبيعة الانسان نعمة للحب، فهو إذن بالمادة والروح من عناصر الحب... خلق به ومنه وله . فالروح التي يلهب وحده بكهرباء الحب يدرك بالفرزة عناصر وجوده ثم مستازمات الوجود وفهم الحب، والشعور بالحاجة إليه كنتم للحياة هوالباعث على تنبه الماطفة إلى حد الاحتراق . إذن بلنت الآن إدراك الحقيقة وبدأت أفهم نظرية صحيحة لها أساسها العلمي .

الحب من عناصر الحياة إذا لم نجزم قطعاً بأنه ذات الحياة .

ولكل حياة مظهر للدلالة على وجودها، كذلك الحب يدل على وجوده بنبته الماطفة وفورته، يملأ الفؤاد كائناً كالكهرباء الجو... يكون بشير حصر حتى يحصر، وبدون نتيجة عملية إيجابية حتى يركز فيتوجه للعمل الإيجابي والانتاج .

فأنا قبلا كان حي موزماً لأنني لم أصادف نقطة الارتكاز... فلما وجدت أنها عند لا أملك هبة قلبي ولم أقدمه طوعاً .. بل انزع مني انزعاً .

وهأنذا أشعر أن الماطفة تنابر عقلي جنباً إلى جنب من ذلك ترمف أن العقل لا يخالق القلب إلا إذا كان الحب وليد الهوس والجنون والكذب والتناقض ؟

أما إذا كان الحب وليد الايمان الأكيد والميل الصحيح والشعور الصادق فلا سبيل للعقل غير مشاركة القلب في وجدانه بتفكيره .

الراحل لون الجذ الزاهي ، ولم يبق من الحروف غير ظلها . ولما تأكدت من غفوة : راحت تحاول قراءة الرسالة فاذا بها :
يا طائر

بودى لو أكتب بشير مداد
أستعين بيد الأزل المجهولة على تسجيل عواطفى
لتنورانية ... ولكن أين العين التي تبين هذه
الحروف الخفية ، وتدرك ما وراء نفسى النامضة
حتى أنت ؟ أيمكن أن تفهم مرماي ؟
إني أشك . رغم ما بيننا من تضام وطيد ...
صوت من الأعماق يصرخ في أعماق مجلجلا
كازد : أريدك تفهمنى كما أنا
وحسبى ...

قد تقول : كيف لا أفهمك وأنا أحبك ؟
وأنا أقول : قد تكون فهمتى كما يفهم كل
رجل امرأة .

وأنا أريد أن تفهم روحك روعي ، ويدرك
قلبك معنى قلبي .

فاذا نظرت إليك دون كلام فهمت حكاية نفسى
ونشيد روعي وأغاني قلبي فتفهم حقيقة حي ، ذلك
الحب الذى يشبه البخار الذى رفسته الحرارة من
البحر الأجاج فانهزماء حوا على قمم الجبال، وجرى
أسهارا في الرويان ثم عاد إلى البحر حيث كان ...

ثم أستودع الله ما انفصل عني لنثير عودة —
أستودع قلبي الطيق لأستقبل قلبى اللقيد، وأستودع
أحلام المنرد لأستقبل مسئولية المرأة ، وأستودع
كل القلوب المائتة حوالى لأستقبل قلباً واحداً
أعز من الحياة على .

تسألنى : هل أحبك ؟
وجوابي : أنا أعرف إلى عمة الله ، وأن ذاك
الحب الجليل يتجسم فيك وحدك، حتى أحسنت

هي التي حركت الناحيتين للعمل وللإنجاء المتأهل ،
كما تحرك الكهرباء قطارات الترام على شتى الخطوط.
إذن ليس في مقدوري مطلقاً أن أحاول مقاومة
الطبيعة لأنني لا أملك القوة على مخالفة للناموس ،
وأرى الماطفة تسيروها وحدة الوجود في السبيل
الرسوم لها من الأزل بقوة المحرك العام مصدر
الحركة والسكون

لطالما حاولت أن أخفي هواي

وها هي ذي الطبيعة تغلبني أخيراً وتقهمني . كنت
أحمسن دائماً بكبريائي ، وقاتني أن الطبيعة أقوى من
الكبرياء ، إذ للكبرياء تفنيسها للمادة وتهديها
أما العاطفة فتفنيسها للفرزة أو ناموس الكون
ثم تطلقها في غير هدى

وأنا عند ما أسأرك بهواي أكون صادقة ،
إذ ليست عاطفتي وثبة عن طيش ولا قفزة عن روعة
ولا وسيلة لتحقيق أمل

إنما هي يسميها الفكر المحدود مصادفة ، ويقرر
العالم أنها لازمة الاستقرار فلها قيمتها المنوية في
حياتي وحياتك « هلا »

لا تدرى الفتاة كيف قرأت الرسالة حتى النهاية .
فقدت حواسها ولم تنبئه إلا على صوت صرختها
للدوية عند ما قرأت اسم « هلا »

يا لله ... خطها وأسلوبها واسمها ... وذاك
البائس حبيبها النادر . صرخت ..

فتنبه التألم ونظر إليها مشدوهاً فإذا بها ترتطم
وبين أصابعها الأوراق الدابة ...

قال الرجل في اضطراب : ماذا بك ؟ فتمنمت :
هو أنت ؟ ثم غابت عن الوجود

(المتصورة)

جميل العمري

فنحن نحب الله بقلوبنا ، ونشكر فيه بقولنا ،
وكذلك الحال إذا حدث التفاهم بين شخصين
والآن ليس في مقدوري بعد الآن مخالفة قانون
الجابية .

وجميع قوانين الطبيعة صحيحة خالدة مهما اختلفت
الظواهر وتنوع الظروف والأجواء
إذن لا تتجمل الظروف فكل شيء حينه ،
فالجنين يوضع عندنا كماله ، والثمرة تسقط عن الشجرة
بعد تمام النضج

وحسبي لن وإحسبك إلا بعد أن تثبت أركانك .
الآن آمنت . الحب كالقدر أعمي

وطلب للتل الأمل في الحب أمنية من الأمانى
والقدر يلعب دوره حتى في المواطن ، فقد يتركز
الحب في غير ما يمتناه الإنسان برغبته وبمقله ومصالحته
فيخضع لسلطانة المستبد

أنا لا أرجو ولا أؤمل ، وليس لي هدف حسي ؛
إنما أعيش بالروح في عالم الروح ، نشدني روحية
ومسراني وآلامي باطنية منفصلة عن الحواس جميعها
والتخيل هو ارتقاء الفكر عن العالم المحسوس
وعالم الخيال ، هو عالم الحقيقة لن يرتقى عقله عن طباق
العقل المحسوس ، فإذا تخيلت فلسفي ، وإذا تخيلت
فكائي أناني رومى لأن طيف ألبني صورة مماثلة
لي ... أراها في وأرائي فيها ولا يمنع التخيل مانع
مادي ، وليس لعالم الخيال حد ... كذلك لا يتجول
دون الروحانية الحوائث الوصفية . ولعل من أعجب
المعجب أن تتحاب قبل أن تتعارف كما يحدث دائماً
بين الناس ، ولماذا ؟ لأن الكبرياء التي تضيء
مصباحك الروحي هي التي تضيء مصباحي ؛
ولأن القوة المجهولة التي تحرك الخيال للتخيل

ماضي ابنها ، الماضي الذي أورشها
السهاد والآلام والمهانة ، وتفقن
لجأة لتسال ربها :

— لم يا رب جعلت ابني
كذلك ؟

وتهز رأسها في أمي وحسرة
وتجيش الدموع في عينها . ثم
تمود للمرة الثالثة لترقب الطريق

في أمل وشوق وخوف منتظرة عودة ابنها ...

كان ابنها (يونس) هذا في سن الشباب جبل
على للشر منذ نومة أظافره ، فهو لا يكف عن
السلو على منازل من يعرفهم ومن لا يعرفهم ليسرق
أثمن ما فيها . وهو لا يصادق غير الصوص
والأشرار . وهو يامل أمه دائماً بتفلة الجرم الذي
لا قلب له . وأمه لا يمها إلا أن تنهل إلى الله في
صلواتها أن يقوم أخلاقه ويهديه سواء السبيل ...
ولكن هيهات ...

ومنذ ستة أشهر سطا على دار أحد أعيان القرية
التي يمش فيها يريد سرقة ما بها فقبض عليه وسبق
إلى الممدة ، ومن الممدة إلى المحكة ، ومن المحكة
إلى السجن ليقتضى فيه ستة أشهر جزاء له على
ما اقترف !

وهامى ذي الستة الأشهر قدمته وسعود اليلة
من السجن . وهامى ذي أمه تنتظر عودته في أمل
وشوق وخوف ...

واتصف الليل ، والأم لما تزل واقفة تطل من
الثانفة على الطريق . وكان الصمت سائداً فلا حركة
ولا نامة . ونجاة دوى في سكون الليل اللدلم صوت
أقدام آتية نحو المار ، أقدام ثقيلة كأقدام يونس

يونس

أَقْصُوصُ مُصْرِيَّة
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعَشِيرِيِّ

فرغت الأم المعجوز من صلاة المشاء وطوت
« السجادة » في لأمي ، ثم سارت صوب نافذة
صغيرة بالزفة ففتحها ووقفت ترقب منها في أمل
وشوق وخوف ، الطريق الطويل للشعب بالسواد الذي
بدا أمام عينها ، وهب على وجهها هواء الليل البارد
فسرت في جسدها الضاوي قشيرة شديدة ؛ ورغم
استمرار ذلك الهواء البارد في المبوب على وجهها
فأنها لم تتحول عن الثانفة ، بل ظلت واقفة كما هي
ترقب الطريق في أمل وشوق وخوف ، وكلما تنأى
إلى أذنها صوت أقدام تقترب من المار التي تسكنها
تزايدت دقات قلبها وفتفت في صوت خافت ملؤه
الفرح والأمل والتساؤل :

— ترى هل قدم ابني يونس ؟ ...

وترى وجه صاحب الأقدام التي سمعتها فلا تجد
ابنها فيمثل قلبها كآبة ويؤسا وترفع رأسها إلى السماء
تسال بنجومها في شراة :

— هل يعود ابني اليلة ؟ ؟

ولكن النجوم لا تجيب . فتعود ثانية لترقب
الطريق في أمل وشوق وخوف ...
ويشرد بصرها قليلا وهي تستعيد في ذهنها
وجه ابنها يونس . ويدو الوجه ومن ورائه يدو

— إني جئت هنا لأكل يا امرأة ، لا لأسمع
هذا الكلام الذي هو كالسم . فإنا لم نصمق قاني
سأذهب من هنا . وأدع لك طعامك ...

ووضعت الأم خدما على يدها وصمتت . وراح
يونس يلثم ما بقى من طعامه بنهم . فلما أتى على
ما أمامه من الطعام شرب كوباً كبيراً من الماء ثم
تجشأ ومسح فمه في كفه . ونهض فبارح للذرفة ...
وهزت الأم رأسها في حزن ، وضربت كففاً
بكف ، وقالت بعد أن تهتت :

— يا لسوء حظي مع هذا الابن ...

وقامت فجعلت بقايا طعام ابنها وأثنا لقطة نجيلة
كانت ناعمة في ركن بالذرفة . ثم ذهبت في أثر ابنها ...
ووجدته مضطجماً على فراش نومه وقد غطى
وجهه يديه فوقفت تنظر إليه وهي تبهل إلى الله في
سرهما أن يرشده إلى طريق الصواب . ثم ذهبت
بعد هتية إلى فراش آخر كان بالقرب من فراش
ابنها فألقت بجسدها عليه في إعياء ، وحاولت أن تنام

وفي اليوم التالي طرد جونس إلى أسدقائه اللصوص ،
فتلقوه في ترحاب واشتياق . وراح من جديد يدبر
جرائم السطو على المنازل لسرقة ما بها ...
كانت هذه طبيعة فيه ، وما تقصت دعوات أمه

ولا تفع السجن في تخليصه من طبيعته هذه ...
وفي ذلك اليوم أيضاً حدث أمه إلى الابتهاال
إلى الله في صلاتها أن يذهب بابنها عن الطريق الذي
يسير فيه إلى الطريق السوي . ولكن هيات ...

وفي اليوم الذي أصعب ذلك اليوم ، دخل يونس
على أمه وهو ينثى بمض (الواويل) الرقيقة والسرور
يشيع في وجهه . وعلى غير طوته راح يحادثها بلطف

ابنها . وخفق قلبها وحلفت في الطريق يصير كله
انقباه وإهتام . وبدأ أمامها جسد رجل ، وأفلتت من
فيها صرخة كلها فرح وطرب ، فقد كان ابنها
صاحب ذلك الجسد

وتركت التافذة وذهبت مسرعة لتفتح لابنها
باب الدار . ودخل يونس من الباب فصاحت
في سعادة وهي تفتح له ذراعها :

— يونس . ابني . حبيبي !

ولكنه سار في طريقه دون أن يلتفت إليها
فلعلقت به وهي تضع حانقة :

— ما هكذا يقابل الابن أمه بعد غيبة ستة
أشهر أيها الابن التاكر للجليل ..
فالتفت إليها قائلاً في خشونة :

— ما هذا وقت عتاب . إني متعب وجائع .
وأشفقت عليه فلم تستمر في عتابها له مع قوة
رغبته في ذلك . وأخذت يده بعد أن قبلت خده
نحو غرفة صغيره مضادة بالدار وهي تقول :

— هنا دجاجة « محمرة » (وملوخية) أعدتهما
لك . أدخل وسوف أذهب لأحضرك الحبز ..

ودخل للذرفة . وذهبت لتحضّر له الحبز ،
وسرنا ما حدث به إليه . وجلس يلثم طعامه
وجلس بالقرب منه تساءل :

— وكيف وجدت الحياة في السجن ؟

فرد عليها في خشوته التي لا تقارقه :

— جعيم . ولكنه أفضل من الحياة هنا
على كل حال .

— وهل الحياة هنا لا تنجيك أيها الابن الذئب
أنتكر نمرة ريك ؟ .

فصرخ في غضب وفه ينص بالطعام ...

ورقة ، فنجبت لذلك وسأله :

— لم أرك على هذا السرور قبل الآن ،
فما السبب يا ترى ؟

فقال بضمه على أذنها بهمس فيها :

— لقد سرقت ليلة أمس مالا كثيرا ...
ولم يدرك بما فعلت أحد ...

فصاحت فيه غاضبة :

— سرقت ... سرقت أيها الابن اللذنب الخطيء ..

فقال لها وهو يهده من غضبها :

— لا ترفى صوتك هكذا . يقولون إن للجدران
أذانا مثلكا ...

فلم تسمع كلامه واستمرت في صياحها :

— إنى لا أطيق أعمالك هذه ... فنى تفكر
فى .. فى أمك المجوز يا يونس .. يجب أن تعرف

أنى فى حاجة إلى الراحة ... أجل إلى الراحة يا ...
فلم يلف يسمع من كلام أمه أكثر مما سمع ،

إذ تسال من أمامها مسرعا وهو يقول :

— إنى ذاهب . فما أحب أن يتسم الجوالجيل
الذى أعيش الساعة فيه ...

وسمعت الأم بعد قليل صوت باب البار وهو
يفتح ثم وهو يفتق فصرقت أن ابنها قد بارح المنزل ..
وارتمت على أحد المقاعد وهى تحبس دموعها
التي أوشكت أن تتعدى ...

وتصمرت خمسة أشهر لم تنفخ فيها حياة يونس
وأمه ، فهو لا يكف عن السطو على المنازل وعن
مصاحبة العصوص والأشرار ، وهى لا تكف عن
وعظه وإرشاده إلى طريق الخير وعن التضرع إلى
الله فى صلواتها أن يساعدها على ذلك . ثم أتى اليوم

الذى عرف فيه يونس الحب ، فابتدأت حياته تنفخ
وتنبدل ، وبحكم صلة حياة أمه بحياته فقد تنفخت هى
أيضا وتبدلت

كان محببا أن يعرف يونس الحب . وهو الرجل
الشرير الذى لا قلب له . ولكن من الذى استطاع
أن ينظر فى عينى « عالية » دون أن يصاب بداء
الحب ! أو من استطاع أن يرى بساتنها دون أن
يهمس بروحه قد امتزجت بروحها ؟

وعالية هذه فتاة قروية ، فى جسدها استقامة
قائمة ، وفى عينها دمع منور ، وفى بسمتها سحر
فناك ، وفى ضحكتها اللامعة وكلامها الرقيق حلوة
الشهد . وأما يونس ذات يوم فى السوق الصغيرة
التي تقام بالقرية كل أسبوع ، فلم يدرك وقف كالشده
يحملق فى وجهها وهو الذى ما كان يستوقفه جمال
فتاة من قبل مهما كان هذا الجمال ؟

وقطنت عالية إليه فرمته بنظرة أحس وهو
بتلقاها بماطفة جديدة تنشأ فى قلبه ، وأفاق ليجد
نفسه قد أحب ، قد أحب عالية

وبرغم ضخامة جسده وعظم قوته ، فإنه عند
ما رجع إلى منزله فى ذلك اليوم كان يشمر بضنف
كبير أمام تلك الماطفة الجديدة التي طرقت قلبه
وتلقته أمه المجوز على الباب ، فأدغمها أن
تجده سامحا مطرق الرأس

فقال له فى حنان : ما خطبك ؟

فهتف بلا وحى وبغير ترتيب : الحب ... الحب
يا أمى ...

وكانت هذه هى المرة الأولى منذ زمان طويل
التي يدعوها فيها بـ « يا أمى » . فقد تمودت أن
تسمه دائما يدعوها بـ « يا امرأة » . وسرت فى

ولم يتم كلامه . فصاحت به تحضه على إتمام ما يريد أن يقوله

— لأنك تحب . أليس كذلك ؟

فلم يجيب . ولكنه نهض بسرعة وعاد إلى غرفة نومه ثم أتى يمسده على فراشه وغطى وجهه بذيراعيه وفي أثره عادت الأم المسكينه ، وجلست بجوار فراشه ثم وضعت يدها على رأسه وتمتت مخاطبته : — لم تخبرني حتى ما في قلبك يا حبيبتي ؟ أأنت أمك ... ؟!

فلم تقرب ...

وفي صباح اليوم التالي اجتمع يونس بأصحابه الصوص ، وعلى غير عهدهم به وجدوه راغباً عن التفكير في جرائم السرقة ، كثير الاطراق ، خفيض الصوت عندما يتكلم . فحسبوه مريضاً ولكنهم ما دروا أنه قد أحب ...

وقبل أن ينفض اجتماعهم راح يونس يصف لهم فتاته عالية ويسأل هل يعرفها أحدهم . وكان وصفه لها دقيقاً جديداً حتى أن ثلاثة من أصحابه هؤلاء أجابوه سريعاً بأنهم يعرفون الفتاة التي يصفها ، واقترب منه أحد الثلاثة فأخبره باسمها وامم والديها والمكان الذي به منزلها . ثم رفع إليه بصره يسأله في ابتسام :

— هل وقعت ؟ ...

ولكن النظرة اللغاسية التي صوبها يونس إليه جعلته يصمت ويطرق برأسه إلى الأرض . ثم انفرط عقد اجتماعهم

وبعد هنيهة كان يونس في طريقه إلى المنزل الذي تقيم فيه عالية . ولجأ وجد نفسه أمام عالية .

أعماق نفسها لذلك . وودت لو تطلب منه أن يبدع على مسميتها مرة أخرى كلمة « يا أمي » هذه . ولكن كان هناك شيء أهم من ذلك تريد أن تستوضح أمره من ابنها ، ألا وهو ذلك « الحب » الذي تظن به . فقالت له : ماذا تقصد ؟

وكأنها هيأ له عقله أنه قد باح بشيء لم يكن من الواجب أن يبوح به ، فقد سار في طريقه وهو يفتشم : لا شيء ... لا شيء ...

ولكن أمه لم تكن من الجهل بحيث تصدقه . فذهبت تحاول اقتناص سره من صدره بمختلف الجليل والأساليب . ولكنه صمت وزاد تصادياً في صمته فتراك الكثير من أسئلة ألقها عليه ، محاولة أن تستدرجه إلى الذي تريد ، بلا جواب ..

وعندما أوى إلى فراشه كانت عينها عالية تملآن غرغرة . وحينما حاول أن يمسدها عنه ...

وانتصف الليل والكرى لم يطرُق له جفتا . فتراك فراشه وإبرح غرفة نومه إلى غرفة أخرى راح يشغل نفسه فيها يبيض الأعمال حتى لا يفكر في عالية ... ولكن بلا طائل ... ولحقت به أمه وقد أحست بأنه ليس في فراش نومه ، فوجدته على حالته هذه

سألته : ألم تنم ؟

قال : لا ..

جلست بجواره وربت يديها على ظهره قائلة :

— لم ؟

— انتابني الأرق .

فسألته وهي ترفع إليه بصرها .

— ولم انتابك الأرق ؟

— لأنني ... لأنني ...

ورفع رأسه في يأس وحيرة وقال لأمه التي
كانت تنظر إليه في إشفاق:
— غداً بعد أن أرى ما سيتم في ذلك الموضوع
أجيب على سؤالك ...

وذهب يونس في الندد ليطلب يد فنانة من
والدها ... وتمنت له أمه من أعماق قلبها التوفيق
فيها هو ذاهب إليه . فقد كانت متأكدة أنه
لو تزوج فسيتقدم به الحياة الزوجية عن حياة
الاجرام ، ويصبح يونس كما أرادته وكما ستظل تريده
ابناً صالحاً لا يزعمها بشيء ... ولكن . ولكن وقع
ما هجس بصدر الأم وابنها فلم يقبل والده حاله
أن يزوجه من ابنته ، وزاد على ذلك أن أخبره أنها
خطوة إلى أحد أقربائها ...

وخرج يونس من دار والده حيثته وقد أظلمت
الحياة في عينيه . ماذا يفعل الآن ؟

وفي طريقه أبصر سبابة ، ووقف يفكر ...
يجب أن يقابلها ... يجب أن يودعها . يجب أن
يقول لها إنه لن يمضي طويلاً وقد قددها ...

وذهب إليها ، ولكن عالية رآته قبل أن يقترب
منها ، فابتعدت عنه . كانت قد عرفت بالأسى أن
ذلك الشاب الطويل القامة ، الواسع الصدر ، الغم
قوة وثقوة ، الذي عرفته في الأيام الأخيرة ليس
إلا يونس اللص !

وصرخ يونس وهو يراها تبتعد عنه :

— عالية ...

فالتفتت إليه خائفة ، وحدهته بنظرة هائلة
كلها ازدراء واحتقار ، ثم استمرت في سيرها
مرفوعة الرأس لا تلفت إليه !

ووقف في هذه المرة أيضاً يحمق في وجهها . وابتسمت
وقد عرفته ؟ وحسبت فيها بطرف خادها في
استحياء واللبسة لا تزال عليه . ثم سارت في
طريقها ...

وود لو يقفها ليروح لها بحبه ولكنه لم يستطع
وما استطاع إلا تشييعها يمسره إلى حيث اختفت
ثم عاد إلى منزله في خطى وثيدة ...
وحدث في ذلك اليوم ما حدث بالأسى ...

وثقت الأم المجوز أن ابنها قد أحب . ولكن
من هي الفتاة التي أحبها ... ذلك ما راحت تحاول
بطريقها الخاصة ، ويث الميون وراة ابنها أن تعرفه
وقد عرفته ...

وفي أحد الأيام أظلمت الأم ابنها على ما عرفت
وسألته :

— هل تنكر شيئاً مما ذكرت ... ؟

فأجاب : لا ...

قالت : وعلام نويت ؟

قال : سأطلب يد عالية من والدها غداً ...

وغمرت الأم سعادة . عظيمة وكيف لا تسر
وابنها يمزج على الزواج . وعادت تسأله في خوف :

— ولكن هل تظن أن والدها يقبل طلبك ؟

قال : سوف أبذل كل ما في وسعي حتى
يقبله ...

قالت : وإذا لم يقبله ... ؟

فأطرق برأسه ، وقد أدرك أمراً محرجاً . أجل

إذا لم يوافق والده عليه على أن يزوجه ابنته فإذا
يفضل ؟ ... إن والدها يعرف أنه لص فربما

لا يقبل طلبه ... ؟

ليخبرها أنه عائد لتوه من عند عمدة القرية وأن ابنها مقبوض عليه هناك بتهمة قتل رجل من القرية ...
وتلقت الأم ذلك النبأ ذاهلة . ثم صرخت في صوت عال :

— أبني يونس قبض عليه بتهمة قتل رجل ..؟
أبني يونس ... حبيبي يونس ...

وذبحت إلى دار الممعدة لتتحقق الأمر .
فماذت والجنون أقرب إليها من جبل الوريد . إن
ابنها قد قتل حقاً أحد رجال القرية والممعدة يقول
لها إنه قد يحكم عليه بالإعدام شنقاً ...

وعر الأيام والشيطان بضحكك على الضحيتين
الزخيصتين : الأم وابنها .

... في صباح يوم دخلت إحدى نساء القرية
على تلك الأم المسكينة لتخبرها أن ابنها قد حكم
عليه بالإعدام شنقاً ، وأن ذلك الحكم سينفذ فيه
في التند . فوجدتها نائمة على غير عادتها في الأيام
الأخيرة . وكانت تحلم ، إذ سمعتها تقول :

— هل برئت يا ابني ؟ هل أطلقوا سراحك
يا حبيبي وغدت إلى أمك المعجوز ؟ حسن ، تعال
إلى صدري أيها الابن الشقي .. تعال إلى صدر أمك
التي أوشكت أن تجن عندما علمت بأنك لا تعود
إليها . تعال يا حبيبي . تعال ...

وضغطت الأم اللثام ببنواحيها على صدرها
وكأشها تضم إليه ابنها حقاً . وعادت المرأة التي أتت
لتخبرها أن ابنها حكم عليه بالإعدام شنقاً من حيث
أنت . وعلى خديها بضع قطرات من الدموع
حاولت أن تحبسها في عينيها فلم تستطع !
فهر الخليم محمود العشري

وأحس كأن سلاحاً حاداً أشبه ما يكون
بالسكين قد أغمد في صمم قلبه ... ! وفرت دمعة
من عينه وسقطت على خده ، فسحبا بأصبعه الخشن
وعاد ليتابع سيره وفي أحماقه شيء يئن ...

وبعد أيام أربعة سرت في مجالس رجال القرية
الذين لهم أهداء يريدون التخلص منهم إشاعة
مضمونها أن « يونس » مستعد لتخليص من له
عدو من عدوه مقابل عشرة جنيهات . أجل عشرة
جسب ... ولو كانته مهمته هذه حياته ...

واتصل أحد هؤلاء الرجال الذين لهم أهداء
يريدون التخلص منهم بيونس ، وبعد أن تأكد من
صدق الاشاعة التي وصلته اتفق معه على أن يخلصه
من عدوه وأعطاه العشرة الجنيهات التي يريد
كل هذا حدث وأم يونس لا تدري . ولو كانت
تدري إياحت حياتها لتتخذ ابنها قبل أن يبيع روحه
بتلك الجنيهات العشرة !

وذهب يونس بعد أن ملأ بطنه خمرًا ليقوم
بمهمته غير خائف ولا وجل ، فمادت حياته بذات قيمة
لهيه بعد أن فشل في حبه . ولم يفكر في أمه المسكينة
وهو مندفع في طريقه الظالم الذي لا يعرف إلى أين
يوصله ، وإن كان يعرف أنه لن يوصله إلى نهاية
حسنة ، اللهم إلا أنه أودع عند أحد أصدقائه بضعة
جنيهات من الجنيهات العشرة وأوصاه أن يسلمها
لأمه إذا قبض عليه لتميش منها ...

وفي صباح اليوم التالي كانت الأم واقفة أمام
منزلها تسأل المارة عن يونس ابنها إذ أنه لم يمد
إلى المنزل ليلة أمس ، عندما ما تقدم أحد أقرانها

يقضى أيامه ولياليه عاملاً لا خربة. وأكثرت
من فيها من الناس مصابون بالهزال من قيام
الليل والزهد في الطعام؛ وقلما وجدت فيها
رجلاً ضاحك السن أو مبتسم العين أو مورد
الخددين. ومن أجل ذلك يجب عليك أن
تظهر الحزن والاكتئاب لتبدو عليك هيئة

«الصالح الودع»

قلت: «أية فائدة لإساحي الدرويش من كل
هذا؟ إنني مسلم ويجب على أداء الفروض ولكن
إنما في هذا السكان لا تستلزم كل ما تقول لأنه
قلما رأي أحد فيه أو أهم بوجودي إنسان»

فقال: «إذا أنت لم تتبع ما قلته لك فلتستمد
الرجم بالطوب أو اللوث جوعاً، فالدرويش الدين
حولك لا يرفعون الوسط من الأمور ولا يتساعون
في أقل شيء، فإذا ارتابوا في مسلكتك أقل رغبة
فإنهم لا يتأخرون طرفة عين عن جعلك عبرة لغيرك؛
وإذا بداهم أن عصيانك ناشئ عن ضعف في الاعتقاد
فلا تنتظر منهم شيئاً غير أن يمزقوا جلدك كل ممزق.
ولملاك لا تعرف يا حامي بلا أن هذه مدينة ميرزا
أبي القاسم أكبر الأحياء من زعماء الدين، ولملك
لا تعرف أن هذا الرجل إن ثارت معه ميثات
الألوف من أتباعه الذين لا يسألونه بهاناً على ما يقول
فهو أقوى من الشاه وأكثرت نفوذاً

هذا هو الرجل ولكنه طيب القلب كريم
الأخلاق ولا أحرف فيه عيباً سوى أنه يقتل رجلاً
كل من يعتقد أنه ضيف الإيمان»

لما سمعت ذلك من الدرويش وعده أن أؤدي
فروض الدين. وكنت أعد المناظرة على هذه الفروض

حاجي بابا إصفيهاني

لكاتبنا الاصلح شيرازي جهن مؤيد
بمقام الأستاذ عبيد الطيف الشاذلي

الفصل الخامس والأربعون

نص غيبية

ماكدت أتعجب من ظلمة التناز أكثى حتى سمعت
صوت صاحبي الدرويش الذي أتيل في هذه الساعة
إلى المدينة مملئاً قدومه بأداء الشهداءين بأعلى صوته
وبعد قليل رأيته يدخل الدفن بحثاً عنى. ولما رأي
أتهيج وحمد الله على وصولي إلى هذا المكان سالماً قبل
أن يصل إليه التناز أكثى ووعده بأن يقيم معى مدة
قصيرة. ووقع اختياري وإياه على خلوة من الغرف
الكثيرة المبنية حول القبر وكان معى عشرون طوماناً
من الذهب وبعض النقود الفضية، وأرسلته ليشتري
في بعض الحاجات الضرورية كصغير لأرض هذه
الغرفة وزير يحفظ فيه الماء.

وقد فاجأتني هذا الدرويش مفاجأة لم أكن
أنتظرها إذ سألتى: «أخبرنى أولاً قبل أن أقم
معه هل تقيم الصلاة وهل تصوم، أم أنت لا تزال
كما كنت في مشهد؟»

قلت: «لماذا تسألنى هذا السؤال وماذا ينيك
إن كنت أصلي أو لا أصلي؟»

قال: «إن ذلك لا يهمنى كثيراً ولكنه يهمنى
أنت لأن هذه المدينة «مدينة قم» من أكثر المدن
تمسكاً بالدين فلا تجد فيها إلا تقياً من أبناء النبي

مصنفاً إليه وهو رويها في الخان . ولقد سررت من هذه القصة كثيراً وأحسب القارى سيسر منها كذلك، وسواء صدق طي أو لم يصدق فلا شك أن القارى بوجد أن يعرف بماذا كان ينسلي الدراويش في سجونهم الخنارة

انقصة

السلطان التركي الحاضر ملقب بين الارانيين بلقب « خون خور » أى شارب الدماء، والارانيون في المادة يطلقون هذا اللقب على كل حاكم تركى . ولما تولى هذا السلطان أمره على إلغاء كثير من العادات والتقاليد التي نشرها الكفار الذين تطرقوا إلى الوظائف في عهد سلفه، ورأى أن من واجبه إعادة الأمور إلى حالة البساطة التي كانت عليها قبل ذلك السلف، فسن للحكومة نظاماً تركياً جتاً وكان في جلة التقاليد القديمة التي أحيها سنة التنكر والتجسس على الرعايا . وكان شديد الحرص على أن يكون تنكره متقناً وعلى أن يخفى سره عن أخص أتباعه، وكانت الثورة تكاد أن تنشب في ذلك الوقت لكثرة ما كانت تبديها الجماهير من التذمر، فأراد السلطان أن يثمر بنفسه حالة الجماهير وأمر بصنع ثياب له يستعمل أن يعرف وهو مرتديها . وكان من طعانه أن يكلف بصنمها خياطين غنلقين في بلاد مختلفة وفي أوقات غتافة . وفي الوقت نفسه أرسل خصيه الأمين واسمه المنصوري ليبحث له عن خياط غير مشهور

فذهب المنصوري إلى السوق ورأى خياطاً في حانوت ضيق يضع على فيه منظاراً وليس في حانوته ثياب كثيرة، فقال للمنصوري : « هذا هو بئيق لأنه بئير شك ليس من المشهورين »

من أكبر الشقات . ولكن لما مضت أيام قليلة اعتدتها فلم أعد أرى فيها شيئاً من العسوبة فلم أحل أدهاءا في أوقاتها . وكنت أرفع صوت حتى يسمعه كل مقبل من بيد زيارة المقبرة . وما كان أكثر الزائرين لها من مختلف الطبقات ا

ولقد حذقت صناعة التكليج فصرت أجمل وجهى كأوجه الأتقياء والزهادين عبوساً وتقطيعاً . وقد شهد لى صاحبي المرويش بالحدق في ذلك على أنه هو معدوم الظنير في ذلك

ولقد أذيع سرياً أن في المدفن ولياً من أولياء الله . ولولا أنه هارب من مظلة ولاجى إلى هذا القبر لكان إماماً لقناس . وأذيع على أننى مظلوم مضطهد وأن مقامى في هذا اللجأ لا يدل إلا على ظلم الحكام الذين يمحسون الأتقياء الزهادين بضهادهم . وتعرفت في أقرب وقت على أكثر أهل المدينة وقد انتفت كلهم على أنه ليس في المدينة أكثر تبداً منى . ولما طال العهد صار بعضهم يستشيرنى في أموره فأشير عليه . ودلهم التجارب على أننى حكيم أصيل الرأى

ولم تكن ميمشقى وصاحبى انكلف أحدنا شيئاً من المال لأن الزائرين وخصوصاً النساء منهم كانوا يقدمون إلينا ما نحن في حاجة إليه من خبز وقاكهة وعسل ، وكنت أجزى على ذلك بالشكر وبأحجية أكتبها بيدي فى بعض الأحيان، وعلى الرغم من قلة التكليف التي تكبدنا إياها هذه الحياة فأنها حياة مظلة لا اضطراباً في أكثر الأحيان إلى قضاء الساعات الطوال دون أن تتحرك شفتا أحدنا بحرف ، ومن أجل ذلك كنت أشجبه على أن يقص على أخباره وروي لى قصصه . ومن بينها القصة التي لم أكن

ولما ذهب الخصى عاد الخياط إلى عمله وأخذ يفكر في هذه الصفقة ثم قام فجأة فأغلق حانوته وذهب إلى منزله ليخبر زوجته وكانت هذه الزوجة واسمها «دلفريب» محدودة الظهر مثله ، وقد دهشت عند ما رآته يعود إلى المنزل قبل موعده العادى ومعه طبق من الشواء الساخن يتصاعد منه الدخان وآخر من السكاج وقرطاس من النخب

أكلا وشربا القهوة وأخبرها بالحديث وتركها ماأخذته من المال . ولما كاد الليل ينتصف ذهب إلى حانوته ليقابل النصورى وسمح له بأن يصب عينيه ويقوده حتى وصلا إلى باب الحرم في قصر السلطان فدخلوا . ولم يزل الخصى يقود الخياط حتى وصل به إلى حجرة السلطان ولم يكن بها من النور غير مصباح شئيل على الرف ، ولكن أأنها الفاخر كان يتم عليها

أخر الخياط بالجلوس على كرسي ذهبي فوق سجادة لم ير ولم يتعبل مثلها، ثم جاء له بثوب من ثياب الدراويش وطلب إليه أن يتأمل فيه ويقول في كم من الزمن يستطيع أن يخطئ ثوبا مثله . وتركه الخصى أسرا إياه بأن يطوى الثوب كما كان يبدأ أن ينتهي من خصه ويضنه في التنديل الذى كان فيه وبعد أن قام الخياط بذلك الفحص فأنظر إلى كل جزء من الثوب طواه ووضع في التنديل . ولم يكده بفعل ذلك حتى دخل الثرفة رجل مهيب الطلة فأخذ التنديل وخرج دون أن ينطق بمفر تاركا الخياط وحده وقد ساوره الأفكار من هذه الناظر التى يراها . ثم فتح باب آخر من هذه الحجرة فدخل رجل في ثياب ثميثة ومعه ثوب مطوى

حياه النصورى فرفع بصره إليه ، ولما رآه في ثياب جميلة عاد إلى عمله في صمت دون أن يرد التحية لأنه اعتقد أنها غير موجهة إليه ، ولكن لما أعاد الخصى التحية أبقن الرجل أنه هو الذى بها فطرح أعماله جانباً وهم بأن يقف على قدميه ولكن النصورى أمره بالجلوس وسأله عن اسمه فقال : « اسمى خادمك عبد الله وشهرتى بابا دول »

قال النصورى : « وهل أنت خياط ؟ » فقال : « نعم صناعتى خياط ومؤذن في المسجد الصغير بسوق السمك » قال : « اسمع بابا دول — إن لدى صفقة كبيرة الأهمية فهل تقبلها ؟ »

فقال الخياط : « وهل أنا مجنون حتى أرفضها ؟ قل لى ماهى »

— « تكلم بهدوء وفكر فيما أقوله لك . هل تقبل أن أربط عصابة على عينيك وأخذك إلى مكان لا تعرفه لتؤدي عملا تأخذ عليه أجرا كبيرا ؟ » — هذا شيء آخر غير الذى عرضته على أولا . إن الأوقات شديدة الحرج والرؤوس تتطاير الآن عن أجسادها بفير حساب ولا يمد أن يقطع رأس خياط مثل كما تقطع رؤوس الوزراء والباشوات في هذا الزمن . ولكن ادفع لى مقدما ثمتا طاليا وأنا أخيط لك ثوبا يصلح لابلين فلا يصر فيه أحد إن تنكر »

قال النصورى : « هذه هى ببقى ، وهذا هو المال » ووضع في يده كيسا من النقود الذهبية فأخذه وقال : « لقد قبلت قتل لى ماذا تربده واعتمد على » ثم تم الاتفاق بينهما على أن يأتى الخصى فى منتصف الليل فيأخذه يمد أن يربط عينيه حيث يشاء

مارآه وأن يخبرها عما في السلة
فقال دعينا الآن من ذكر ذلك ولنذهب لكي ننام
قالت : « كلا بل أخبرني أولاً ماذا رأيت

وإلا فاني لن أستطيع النوم »
وأخذت السلة ففتحتها وهي تأمل أن تجد فيها
هدية ثمينة من بيت العظيم الذي تماقد منه على هذه
الصفقة ولكن ما كان أشد انزعاجها وعلتها هي
والزوج المسكين عند ما وجدوا في السلة رأساً مقطوعاً
قالت الزوجة : « ما هذه الهامية التي حلت
فوق رؤوسنا ؟ هل آتيت برأس قتيل لتصنع منه ثوباً ؟ »
فصاح المسكين : « لعنة الله على أمه وعلى أبيه .
لقد خدعني هذا الخصى اللعين ! لبني طاولت فلي
فقد حدثني بالشر لما كلفني الخصى عن ربط عيني
وعن المكان المجهول . ولست أعرف الطريق إلى
الزلزل الذي قادني إليه . وإلا لذهبت إليه في الحال
وأعدت رأس القاتيل . إنني لست أعرف ماذا أفعل
أو ماذا أقول وأخشى أن يكون عندي بعد لحظة مائة
من الشرطة فنكلف بدفع الدية أو تعلق لنا
المشقة أو نرمي في البحر . أشيرى على يا دلفريب .
أشيرى على يا حزينتي ! »

قالت الزوجة : « علينا أن نتخلص من هذا
الرأس قبل كل شيء ولسنا أحق بهذه الهبة من غيرنا
فلنبحث عن أي إنسان يحملها عنا »

فقال الزوج : « ولكن الفجر قد اقترب وإن
تأخرنا قليلا يفوت الوقت الذي نستطيع أن نعمل
فيه أي عمل فلننظر في أمرنا الآن »

قالت الزوجة : « لقد خطر لي خاطر في هذه
اللحظة، إن جازنا حسن الخبايا يوقدفره الآن وبعد
ساعة يتتدى في إضناج الخبز وإضناج ما لديه من

في (شال) من الكشمير وحياء هذا الرجل الخياط تحية
السيد الخاشع للسيد الهيب ثم قبل الأرض بين يديه
وترك الثوب وذهب

فقال الخياط في نفسه : « لا شك في أن صاحب
الزلزل من أكبر الباشوات ولله صدر أعظم ،
ولو كنت أقدر الرهبة التي أشعر بها الآن لما قبلت
هذه الصفقة مهما كان دمي منها . ومن الذي يدرى
نتيجة وجودي في هذا المكان بين المطاء الدين
يظهر أنهم خرس لأنهم يذهبون ويأتون ولا يتعلق
أحدهم بحرف . لقد كنت أرجو أن يقل انحناؤهم
أماي ويكثر كلامهم لي . لقد سمعت أن امرأة ألقيت
في البحر منذ أيام . ومن الذي يدرى لعلها كانت خياطة
بمثل هذا الزلل ولعل نصبي سيكون مثل نصيبها
لما وصل الخياط في متاجاته نفسه إلى هذا الحد
دخل الحجرة للنصوري فأخذ الثوب الثاني الذي
كان الخياط قد انتهى من خصه وعصب عينيه ، وعادا
من نفس الطريق الذي جاء به منه بعد أن أعطاه سلة
معلقة . وكان الخياط رجلا حكتته التجارب فلم يسأل
سؤالاً ولم يستفسر عن شيء . ولما طلب إليه الخصى
أن يحدد موعداً يفرغ فيه من خياطة الثوبين وعده
بإنجازهما بعد ثلاثة أيام ، فقبل الخصى وأعطاه عشرة
جنهات

ولما وضع الرباط من عينيه أمام حائوته وفارق
النصوري حمد الله وذهب مسرعاً إلى منزله ليشر
زوجته التي كانت منتظرة بصبر فأد بان الصفقة
تستحق أن تسمى صفقة رابحة . وكان وصوله إلى
منزله بعد ساعتين من منتصف الليل فهناك لموده
سالماً وقالت إنها استطلت مدة غيابها وتلقته بشراه
بالإتسام وب تكرار الحمد لله . وطلبت إليه أن يصف

سيثون . لقد أرسل إلينا بعض الكفار رأس إنسان
لنشويه ولكن بمحمد الله لم تقع في هذه الخطيئة
ولا زال نستطيع العمل في هذا القرن ونحن
مرتاحو الضمير . ولكن إذا عرف أنه كان عندما
رأس لنشويه فن الذي يرسل إلينا خبره بمد ذلك ؟
إنني أخشى إن يشتهر هذا الخبر فنموت جوعاً لأن
الناس سيقولون إننا نمودنا طبخ الرؤوس الآدمية ؟
وإذا اتفق أن وجد في زخيف شمرة فاهم سيولون
إنها من لحية إنسان »

وكان محمود شاباً يافع المشرين من العمر وقد
أخذ من أبيه الهدوء وسلامة الأعصاب وزاد عنه
أنه كان ذكياً ميالاً للفكاهة ؛ وبدلاً من أن يزعج
من هذا الحادث عدة فكاهة عظيمة ونضح ضحكة
عالية من الأسنان البارزة والعيين المحمقتين في الرأس
الوضوح في « الحلة » وقال : « نعال نجبا هذا
الرأس في حانوت « خير علي » الحلاق الذي أماننا
عند ما يفتح الآن . إنني أستطيع أن أفعل ذلك
دون أن يراني أي إنسان فأذن لي بذلك قبل أن
ينتشر النور »

واقفه الأب فسار بحفنة الطائر ووضع الرأس
على كرسي الخلافة كأه رأس أحد « الزبائن »
وعاد ابن الخباز إلى غبزه لينظر ماذا يفعل الحلاق
الضعيف البصر بهذا الرأس عند ما يراه
وكان « خير علي » في ذلك الوقت يكتس الطريق
فلما عاد إلى حانوته الضيق المنظر أخذ يدور فيه لمسح
المرآة والكراسي فوق نظره فجأة على هذا الرأس
وطن أن أحد زبائنه جاء ليحلق فقال : « السلام
عليكم يا أخي . لا تؤاخذني لأنني لم أرك ساعة حضرت
وقد جئت مبكراً جداً ومع ذلك فأرى رأسك

الأطعمة الكثيرة الموضوعة في الأواني التشابه .
وإذا وضعت هذا الرأس في « حلة » وأرسلناها
إليه فانه سيوشوها في الآنية كالمادة ويتركها بين
مثيلتها من الأواني حتى يأتي من يسأل عنها وليس
يعرف أحد أن كل آنية من هذه الأواني لأن صاحب
كل آنية يأتي كالمادة فيستدل عليها »

فأعجب الزوج برأى زوجته وفقد ما أشارت به
وبعد دقائق كان الرأس في « حلة » منطاة
بين سائر « الحلال » الموضوعة أمام باب اللود وأغلقت
الزوجان عليهما باب المنزل وناما

وكانت الزوجة مسرورة بامتلاكها للشال
الكشمير الذي كان رأس القنيل ملفوفاً به في
داخل السلة

وكان حسن الخباز وابنه محمود يشعلان النار
في اللود بسرعة ، وبالرغم من أنهما كانا في هذا العمل
فان محموداً وقف فجأة وبه أياه إلى عواء غريب لكعب
بالقرب من اللود وقال له إن هذا المواء يدل على
حدوث أمر غير عادي »

فقال الخباز : « لا شيء من ذلك يا محمود
فدعنا نستمر على عملنا »

لكن النباح لم ينقطع ودخل الكعب فأخذ
يشم الاناء الذي جاء به الخباز ثم يثب على الخباز
ويعود إلى شم الاناء ، فارتأب الخباز ورفع النطاء
عن هذا الاناء برفق . ولست في حاجة إلى أن أسف
مقدار الرعب الذي اعتراه عند ما رأى فيه رأس
إنسان يمحلق إليه بعينه ولكن الرجل كان قوي
الأعصاب فلم يتركه يسقط من يده كأكثر الناس
في مثل هذه الحالة بل وضه كما كان ونادى ابنه
وقال : « إن الدنيا سيئة يا محمود وفيها كثيرون

زيارة حانوته إذا ما رآه أحد ولمه خشى ألا يكون هذا السبب كافياً فناداه وأصره بأن يرسل إليه طبقاً من الشواء ليفطر به

وبعد أن أوقد بنى النار وجد وهو يكسّر الحانوت ذلك الرأس وكان بنى يونانياً أصيلاً كثير الكركوى الحذر علياً بفروب الخداع والخيانة يتملّق من هم أعل منه ويظلم من هم دونه. وكان بكراهة الممانعين كراهية الملت ولكنّه مع ذلك يتملّق أسفرهم قدراً وأضالم منزلة

ولما أمسك بذلك الرأس بين يديه عرف أنه رأس رجل مسلم فقال : « ليتنى أجد كل رؤوس المسلمين مثل هذه الرأس فأستع منها أحسن شواء في الوجود . ليته لا يبقى في الأستانة رجل على قيد الحياة . وليت القنصور تشقى بأجسامهم وليت كل يونان يصادفه من حسن الحظ مثل الذى صادفنى اليوم »

ثم أتى بالرأس وركله برجله ولكنه عاقد ذكر ورفمه في الحال وقال : « لو وجد هذا الرأس هنا لوقمت النكبة على رأسى لأن كل الناس لن يستقدوا إلا أنى قتلت تركياً » ووقف مدة طويلة عاجل فيها أشدّ غريب من الحيرة وقال في نفسه : « لقد نذرت ! إن الحى اليهودى خير مكان لهذا الرأس فإن اليهود هم الذين يرفون وخدم ما الذى يبنى عمله بهذه الرؤوس »

ثم وضع الرأس تحت ثوبه ومشى إلى الحى اليهودى فوجد على باب جسم رجل يهودى مقطوعاً رأسه وموضوعاً بين رجليه وقد جرت العادة في تركيا عند ما يقطع رأس رجل مسلم أن يضع الرأس تحت ذراعه تكريماً له . أما اليهود والنصارى فتوضع

معلقاً وأراك قد نزلت حمامتك قبل أن آتى ، ألا تخاف أن تصاب بالبرد ؟ »

ثم سكّت لحظة وعاد فقال : « يظهر أن صاحبنا أصم فانه لم يبين بحرف ومع أننى نصف أعمى فالى ساحلق له »

ثم أخذ طستة النحاس وأعد الصابون والورس ومشى نحو الرأس والطست في يد والورس في اليد الأخرى ، ولم يكذب يضع يده على ذلك الرأس البارد حتى عاد بحركة عصبية كأنما لست يده النار وقال : « ما شأنك يا أحمى ؟ إن جسمك بارد كأنه قطعة من الثلج »

ولكنه لما مسه للمرة الثانية سقط الرأس على الأرض فوثب الحلاق السكين صائحاً : « أمان ! أمان ! إذا كنت أنت الشيطان فخذ حانوتى وما فيه ودع لى حياتى وأعفنى من الحلاقة لك »

ولكن مضت لحظات لم يحدث فيها حادث فاعتقد أن الشيطان لا يده له في هذا الأمر . ودنا من الرأس فرفمه من شعره وقال : « ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟ هل تريد أن تقضىنى ؟ إني نصف أعمى ، ولكنى أجرب ما يبنى على أن أنفله . إني سأذهب بك إلى حيث لا تضرب أحداً لجارى اليونانى « بنى الكبابجى » يفرح بك ليصنع منك « كباباً » لزيائته الكفار »

ثم أخذ الرأس مشطاً بمندبل في يد والفلليون في اليد الأخرى ومشى إلى مطعم جاره اليونانى ووضه في ركن منه دون أن يراه أحد لأن الصباح كان لا يزال في أوائله وأصحاب الحوانيت لا يزالون يستمدون ولما يبدأوا أعمالهم

ثم أشعل غليونه من موقد بنى وجعل ذلك علة

مات . وشاعت بينهم إشاعات مختلفة عن سبب ذلك . ولكن كلهم جميعاً كانت متفقة على أن هذه الامانة التي لحقت بهم لا يحبوها غير الدم ، وقبل إن الوزير هو الذي قتله وأتى برأسه في هذا المكان لتقطع الشبهة على الجنود . وقيل إن أحد السفراء الأجانب هو الذي فعل ذلك . وأقسم الجنود برأس عثمان وبسيف عمر أن ينتقموا لأنفسهم من القاتل أياً كان . وقبل أن نصف النتائج توجه نظر القارئ إلى الحالة التي كان عليها اليهود في ذلك الوقت وإلى محاولتهم الاختفاء والفرار من غضب الأتراك ، ونوجه كذلك إلى منظر الجنود للتركية وهي تسير مسلحة في الطرقات مقسمة أغلظ الايمان أن تنتقم باحثة ممن تصب فوق رأسه جام الانتقام . ولكي تتصور هذا المنظر يجب أن نعرف أن المدينة كانت على ازدهارها الشديد ضيقة الطرقات وكان أهلها جميعاً لا يتكلمون في حديث غير هذا ولا يهتمون بشيء سواه وكلهم يتوقع حدوث نكبة لا تخطر لأحد ببال

في نفس الليلة التي دهم فيها الخياط إلى قصر السلطان صدر أمر سرى بقتل قائد الفرسان وقد كان ينسب إليه أنه رأس حركة التمرد التي قامت أخيراً بين الجنود

ولما كان السلطان شديد التنظيم من هذا القائد فقد أمر بأن يعرض عليه الرأس ساعة قطعه لجاء به الجلاذ إلى الترفة في الساعة التي كان فيها الخياط جالساً على الكرسي الذهبي ينتظر الثوب الذي سيخط مثله ولأن الترفة لم تكن مضادة بالنور الكافي ولأن الجلاذ وغيره من الحاشية كانوا ينجشون من النظر إلى وجه السلطان - فقد وضع الرأس ملفوفاً

رؤوسهم بعد قطعها بين أرجلهم تحقيراً لهم ولما كان الطريق خالياً فقد أسرع بنى فوضع رأس المسلم تحت ذراع اليهودي وعاد مسرعاً إلى حانوته أما قصة اليهودي المقتول فإنه اتهم باختطاف ولد مسلم وهذه تهمة توجه كثيراً إلى اليهود في تركيا وفي إيران ، وقد عوقب اليهودي بالقتل وبأن تترك جثته في الطريق ثلاثة أيام . ولم يجرؤ أحد من اليهود أو اليونان القميين بالقرب من هذا الحى على الدنو منها ، فظلوا منتظرين أن يأمر الحاكم المسلم بدفنها أو بإحراقها أو بأن يقبل بها ما يشاء . ومن أجل ذلك تمكن بنى من أداء مهمته التي تقدم ذكرها دون أن يراه أحد

ولكن لما اعتلى ضوء النهار شاع أن اليهود قتلوا رجلاً مسلماً ووضوا رأسه مع رأس اليهودي انتقاماً ، وشاعت إشاعات أخرى متناقضة ، وازدحم الناس حول الجثة . وقيل إن الله أظهر معجزة إذ ظهر لليهودي رأسان ، وقيل إنه كان مسلماً في السر ويهودياً في العلانية وإنه كان بريئاً من التهمة التي وجهت إليه ولذلك ظهرت هذه المعجزة

ولكن اليهود كانوا في أعند الحيرة والارتباك لوقوع هذا الحادث ، وكان رؤساؤهم المدينون بروحون ويشدون أمام هذه الجثة ويسجدون جلسات البحث فيما يدفع عنهم شر هذه النكبة

وبينما كان الناس يشاهدون هذا المنظر المنكر ويردد كل منهم ما سمعه من الاشاعات إذ صاح أحد الجنود : « هذا الرأس هو رأس قائدنا فلان رحمه الله . فترفع إليه سائر الجنود وهمزوه ، وهاج غضبهم ، وسرعان ما انصل الخلب بكل جنود الترفة لأنهم لم يكونوا يعلمون أن قائم الذي يحبونه قد

أنضحك على ذقن ييضأ مثل ذقني وتفهمني أننى
آت لأخيط ثوباً ثم تطيق رأس رجل مقتول ؟
إن البيت الذى قدنى إليه بيت جماعة من اللصوص
السفاهة الدماء »

فوضع الخصى يده على فم الخياط وقال : « اسكت
فانك لا تعرف عمن تتكلم »

قال الخياط : « أيا كان هذا الذى تتكلم عنه
فانه كلب كافر يستحق السنة »

فقال الخصى : « أهكذا تتكلم عن ظل الله
على الأرض يا أحمق ؟ قل لي ماذا فعلت برأس القتيل !
هاته وإلا قطعت رأسك بدلا منه »

لما علم الخياط حقيقة الأمر فتح فاه كالأبله
وقال : « أمان ، أمان ! لم أكن أعرف هذه الحقيقة
تمال منى إلى التزل فانت تسمدنى بقرينه وترفع
رأسى إلى السماء »

فقال المنصورى : « لا أستطيع التأخر فالأمر
يدعو إلى شدة الاستعجال فقل لي أين رأس قائد
الفرسان »

وكان الخياط يسمع هذا القبح ويذكر ما فعلته
زوجته فاصطكت أسنانه واضطربت ركبته وقال :
« ما أوقسى في ذلك غير القسمة وليس للانسان
أى مهرب منها »

ثم سكت . وانتظر الخصى كي ينطق بشئ فلما
لم يفعل . قال الخصى :

— « هل أحرقتة ؟ »

— « كلا »

— « هل رميته في البحر ؟ »

— « كلا »

— « إذن فأستحلفك باسم الله أن تخبرنى

تحت قدنى الخياط على اعتبار أنه السلطان . ثم
أخطأ الخصى فوضه في السلة بدلا من الهدية التى
كان يجب تقديمها وقدمت تلك الهدية إلى السلطان
بدلا من رأس القائد

لما عرف السلطان أن الهدية هى التى قدمت إليه
بدلا من الرأس كان الخصى والخياط في طريقهما
إلى الحانوت

غضب السلطان وانتظر عودة المنصورى فلما عاد
أمره بالذهاب في الحال ليأتى بالرأس الذى أخذه
الخياط وتوعد بالوت إذا لم يمد به ، فذهب وهو
يكاد يجن لأنه يعرف حانوت الخياط ولكنه لا يعرف
منزله . وأخذ يدور في الطرقات لمه يرى رجلا
فيسأله عنه ومضت ساعة قبل أن يتذكر قول الخياط
إنه مؤذن في المسجد الصغير في سوق السمك

فلما تذكر هذه الكلمة جرى مسرعا إلى ذلك
المسجد وكان قد اقترب وقت الأذان فانتظر وهو
مفقود الصبر تحت باب المسجد . ولم يمض وقت
طويل حتى رأى رجلا يقبل نحو المسجد فظن أنه
الخياط ، وبعد دقائق تبين أنه لم يكن مخطئا في ظنه
ولما وقع نظر الخياط على المنصورى ترك الواجب
الدينى الذى جاء لأدومه في المسجد وهو الأذان
وجرى كالجنون راغبا في الفرار . ولكن المنصورى
أدركه واستوقفه برقى أطعم الخياط فقال : « هل
أنت إنسان ؟ كيف تامل مسكينا مثل هذه الماملة
مالدى أسألك به حتى تطيق رأس رجل مقتول ؟ »
قال المنصورى : « تحمل أيها الصديق فاني
لم أرد بك سوءا وإنما وقت غلظة يراد الآن
إصلاحها »

فقال الخياط وهو يرتضى : غلظة ؟ تقول غلظة ؟

ماذا فعلت به ؟ هل أكلته ؟

— « كلا »

— « هل هو موجود الآن في منزلك ؟ »

— « كلا »

— « هل هو مخبوء في بيت آخر ؟ »

— « كلا »

فاغتنب غضب الخصى وأمسك بلعبة الخياط وصاح : « إذن فأخبرني ما الذي فعلت به ؟ »

فقال الخياط وهو يكاد يخنق لاحتباس الدموع في صدره : « إنه في القرن — إن القرن يشويه الآن »

دهش الخصى وقال : يشويه ! لماذا ؟ هل تريد أن تأكله ؟

فقال الخياط : « كلا ولقد أخبرتك بالحقيقة فإذا تريد ؟ إنه الآن في القرن والقرن يشويه ثم أخبره بالأمر على حقيقته »

فقال النصورى : « أرى حانوت الخباز . من الذي يظن أن رأس قائد الفرسان يرسل إلى القرن ليشوي ؟ لا إله إلا الله »

ومشى الرجلان إلى حانوت الخباز وكان إذ ذاك يخرج الخبز نانخباً من الموقد ، ولما علم غرضهما لم يتردد في إخبارهما بالحقيقة . وذهب الثلاثة (للنصورى والخياط والخباز) إلى حانوت الخلاق فسألوه عما فعل برأس القنديل فتردد مدة ثم أقسم أنه كان يظن الأمر حيلة من إبليس وأن ذلك بر ما فعله من تركها في مطعم اليوناني الكافر الذي لا بد أن يكون قدسها لأخوانه الكفار في جملة ما قدمه إليهم من الشواء فاستماد الثلاثة بالله من غضبه وضمو إليهم الخلاق ومشوا إلى مطعم بني اليوناني

اتزعج السكين عند ما رأى أربعة من المسلمين يدخلون حانوته في وقت واحد وشعر بأن حاجتهم ليست إلى الطعام بل إلى أمر آخر . ولما سأله عن رأس القنديل أنكر أنه رآه أو علم شيئاً عنه فأراه الخلاق الركن الذي تركه فيه

وأقسم بالقرآن أنه صادق وتولى النصورى مهمة المحقق في القضية

وقى هذا الحين شمع الخصى ما كان الناس يتحدثون به من وجود رأس ثمان لجثة اليهودي القنديل . وسمع من جهة أخرى أن الفرسان هائجون في المدينة وأن لهذا الهياج علاقة بوجود الرأس الثاني فذهب مع الخياط والخباز والخلاق إلى المكان الذي فيه جثة اليهودي وهناك وجدوا الجثة التي كانوا يبحثون عنها

وكان بني اليوناني مشتمراً بما سمي به فلم يضيع الوقت سدى بل جمع أمواله وهرّب من المدينة ولما رأى الخصى الرأس قال : « أين اليوناني ؟ يجب أن يكون معنا ولنذهب جميعاً إلى السلطان » فقال الخلاق : « لا بد أنه هرب لأنه هو الذي منح اليهودي رأسه الثاني »

وكان النصورى يحمل الرأس ولكنه لما رأى كثرة الجنود حوله ووجدهم يقسمون أن ينتقموا من السئول أيا كان أحجم عن ذلك وأخذ شهوده معه وذهب إلى السلطان . ولما أخبر النصورى السلطان عما حدث اضطرب السلطان لأن الحركة التي بدت من الجنود قد يتسع نطاقها فيصبح من المستحيل إخفاؤها وقد يؤدي ذلك إلى خلع أو قتله فظل مدة طويلة في حالة من الشك وأخذ يقتل شاربيه ويكرر بصوت خافت لفظة : « الله ! » ثم

الفصل السادس والأربعون

ماحي بابا يصير رلياً من أولياء الله
أخيراً سمع ميرزا أبو القاسم ما تناقله الناس
عن صلاحى وتقوى فزم على مقابلتى عند ما يزور
القبر الذى أنا لاجئ إليه .

ولقد كنت خائفاً من هذه الزيارة خوفاً شديداً
لأنه سيتضح منها جهلى الشديد . وقلت فى نفسى
إن زعيماً دينياً مثل أبى القاسم لا بد أن يكون على
جانب كبير من العلم ولا بد أن يتحنن فيه رجلاً
مثل فاحت شهرته ولم تتضح بعد حقيقته

ولم أكن أعرف من أمر دينى سوى أن كل
من لا يؤمن بالنبي محمد وإبن عمه على فهو من حطب
جهم ، وأنه لن يدخل الجنة غير المسلمين ، وأن
فريقاً كبيراً من المسلمين سيدخلون جهم أيضاً
لأنهم فضلوا أبا بكر وعمر وعثمان على الإمام على ،
وأن الأتراك جميعاً لن يدخلوا الجنة ولكنهم ليسوا
بنجسين مثل اليهود والنصارى

وكنيت أعلم أيضاً أنه لا يجوز شرب الخمر ولا
أكل الخنزير وأنه يجب أن يصل المرء خمس مرات
فى اليوم ويجب أن يتوضأ قبل كل صلاة

ومنذ اللحظة التى سمعت فيها بأن ميرزا أبى القاسم
سيرودنى ، أخذت أستميد فى ذهني ما تملئته من
أموال الدين شأن الطالب الذى قرب وقت امتحانه
وبيئنا أنا كذلك إذ أقبل على صاحبي الدرويش
وأخبرته عن سبب اشتغالى فنظر إلى وقال : « هل
عشت فى الدنيا هذا العمر ولم تعرف إلى الآن أنه
لا يمكن أداء أى عمل إلا بالواقحة ؟ هل نسيت
القصص التى كنت أرويها لك مع صاحبي الدرويش
صفر فى مشهد ؟ »

أمر باستدعاء الصدر الأعظم وشيخ الاسلام وقد
أزعمج الرجلان عند ما دعيا فى هذه الساعة المبكرة
لجاءواهما يرتجفان ولكن لما أخبرهما السلطان عن
سبب استدعائهما عاد إليهما الهدوء والاطمئنان
وبعد أن تداولوا مدة قرراً أن يحال الخطايط
والخيلاز والحلاق إلى المحكمة بتهمة التآمر على حياة
القائد وأخذ رأسه ليشوى ويحلق ويصنم منه شواء
وأن يطلب الحكم عليهم بدفع الدية . وأصدر شيخ
الاسلام أمراً بهادردم اليونانى لأنه رابع التآمرين
وقد هرب وهو مسيحى لا تقبل منه الدية عن مسلم
وبعد أن تداول السلطان والصدر الأعظم تقرر
أن يبين خلف القاتل من الدين برضى منهم الجنود
وأن يقام ماتم عظيم للقائد المقتول

وقد دفع السلطان لثلاثة التهمين الدية مرأ
نفدوها وعوضهم توبيعاً حسناً عما تسبب لهم
من المتاعب . وتمت الجنازة وتمين خلف القائد وحاد
الهدوء إلى المدينة والجنود . وبذلك نفذ كل ماتم
الاتفاق عليه إلا قتل اليونانى فأنهم لم يمتروا له
على أثره

هذه هى القصة التى قصها على الدرويش ولكنى
اختصرتها خصوصاً فى الجزء الذى أخذ فيه الحمص
يروى على السلطان ما عرفته من أسرار الجنة . ولو سردت
هذه القصة كما سمعتها من الدرويش لجاءت طويلة
جداً يحتاج تدوينها إلى سفر كامل . وفى القصص
يقضى بأن تكون القصة مختصرة بقدر الامكان وإلا
تفقد إمتاع القارئ بسبب الإيجاز

ومن أجل ذلك قال لى الدرويش إنه يستطيع
أن يقص هذه القصة فى شهر دون أن ينتهى منها
لأن مادتها تسع ذلك

وطلب رحمة فأطال نظره إلى وسادت فترة سمعت عيني ثم قال : أصبح أنك جئت إلى هذا المكان لا جئاً خشية أن يحل بك العقاب ؟ إنني وأصحابي قد ودعنا الدنيا وودعنا ثأنا نساك من ذلك فضولاً ، ولكنني أردت أن أعرض عليك خدمتي إن كنت في حاجة إليها لأن رسول الله قال حديثاً شريفاً أوصى فيه البصر بأن يعد مساعدته إلى الأمامي وأوصى النبي بأن يساعد الفقير »

فتشجعت وقلت قصتي بمد أن حورت فيها حتى حسبي السامعون شهيدياً من الشهداء وقال أبو القاسم : « متى كان الأمر كذلك فاني بأذن الله سأكون الوسيلة التي ترتفع بها مظللتك وسيزور الشاه هذا القبر قبل نهاية هذا الشهر وهو لا يرد لي كلمة فسأطلب إليه أن يرفع عنك ويرد المدل معك إلى نصابه »

قلت : « إن تراب قدميك كمن لميقي وإنني غطيت لا أستحق هذه الرعاية من مقامك المقدس . ولكن الذي تفعله من أجلي يتفق مع رفعتك لا مع اتضائي ومع طهارتك لا مع خطيئتي »

ويظهر أن أبا القاسم طرب من هذا الدخ الذي كانه جزافاً فقال : « كلناك وقصنتك ندلان على أنك واحد منا يا حبيبي . والأفتياء يعرف بعضهم بعضاً كما يتعارف طائفة من الكفار يطلقون على أنفسهم اسم « الماسونية »

هنا صاح الطلبة إيجاباً بلم الزعيم : « الله أكبر لا إله إلا الله » واستمر الزعيم يخاطبني فقال : « من هذا الدرويش الذي معك ؟ لقد سمعت أنه يقول عنك وعن نفسه إنكما جسدان لما روج واحدة » فلم أعرف بماذا أجيب وترددت بين

قلت له : « إنني لم أنس حرقاً مما فلتموه لأنني جلدت في ذلك العهد وليس في الدنيا شيء يقوى العدا كره ويشهد الدهن مثل عصا الجلاء . ولكنني الآن لست ممرضاً لما بل للرجم بالأحجار قتل لي يا درويش ما الذي أفعل ؟ »

فقال : « إذا كنت لا تستطيع أن تتبعج بالعلم وترتكن إليه الواقعة في الجدل فما عليك إلا أن نازم الصمت فلا تجيب . ومن الذي يستطيع أن يعرف مع صمتك أنك حمار ؟ إنني أأدأ أخدغ فيك أيضاً إذا أنت لم تتكلم »

قلت : « فليكن ما تشي به يا درويش ... الله كريم »

ثم أطرفت وتذكرت قصة من قصص السمدي ضمنها ذكر ما ينبغي على الراوي أن يعرفه فتشجعت وعزمت على اتباع ما أوصى به السمدي في هذه القصة .

ولم تمض إلا مدة وجيزة ثم جاء أبو القاسم ومعه تلاميذه فأقاموا الصلاة في سخن الدفن ولما أحسست بمجيئهم وقفت أصلي في خلوتي ولما انتهت الصلاة خرجت فرائته جالسا بين تلاميذه فجلست معهم ورأيتهم ينظرون إليه نظرة تقديس فآثرت نفسي أن أنظر إليه تلك النظرة . وبدأ يلقى درسه ونحن جميعاً نصتوا إليه . وفي وسط الدرس دعاني إلى الاقتراب من مجلسه والجلوس على طرف سجادة كاخلاصة من المترين إليه فجلست بمد أن قلت طرف ثوبه في خضوع وذهية فقال لي : « مرحباً بك ؟ لقد سمعنا كثيراً عنك وإن شاء الله بآرك في خطوانك . زد دنواً مني »

فأجبت على ثنائه على باستغفار الله من ذنوبي

علامة للاشتزاز أو الهشاشة ولا للسرور أيضاً لأنه لو بدأ ذلك لعل على أنه كنت أجهل ما سمعته. وأخذ الشيخ يلمن للصوفية متحمساً حتى خلت أنه لا يتردد في قتل أحدهم لو كان حاضراً في هذا المجلس

ولما انتهت خطبة الشيخ استأذنته وتركت مجلسه قائداً إلى خلوق . ولما قابلت صاحبي الدرويش بعد ذلك أهدت عليه ما سمعته خصوصاً عن المراءوش وقلت له إن الشيخ لا يبعد أن يرجعه

فقال : « إنه وتلاميذه أولى بالرجوع لأنهم سفاكو دماء وليس يهمني شيء من الخلاف بين السنية والصوفية وأهل الشيعة مادمت أقيم الصلوات الخمس؛ ومع ذلك فاني سأترك لهم مدينتهم الماصرة بالرياء المجردة من كل شيء سواء ولني أعود إليها طول الحياة »

وإني لأعترف بأنني لم أسفلاً أخبرني به الدرويش من عزمه على ترك المدينة ووددت أن أقدم فاضح عصاه في يده وجراجه فوق ظهره وأشيته إلى الباب مودعاً ولم يطل عهد هذه الأمنية فانه فعل ذلك من تلقاء نفسه في اليوم التالي فأراك في الخلوة . وقلت في نفسي ساعة ذهب : « اذهب لا أرجعك الله من وغد طروب، أنت في نؤسك أوفر حظاً من الأغنياء مادمت قائماً بالسيرة إلى حيث تحملك قدماك كالدين أرام أرقاء لألف مطلب يطمون أتابهم حرصاً على الحياة »

الفصل السابع والأربعون

الدرويش يسرر حاجي بابا

لم يكن يشغل ذهني في ذلك الوقت غير الوعد الذي وعدني به أبو القاسم بأن يستصدر أمر السفو عني من الشاه . وقلت في نفسي ما دمت أرجو أن يدافع عني فلا بد من إرسال هدية إليه حتى يذكرني

الاعتراف بصداقته وبين إنكارها لأنني لم أتبين شعورهم نحوه . ثم قلت بعد تفكير قليل : « إنه رجل فقير وقد سمحت له بالإقامة معي وهو أدى لي خدمة يسيرة فلم أنساها »

قال أحد الطلبة الجالسين بجنبي : « لا تنس نفسك فإن هؤلاء المراءوش فيهم المص والوعد وصرتك كل جريمة »

فقال أبو القاسم وقد وضع يده على خصرتيه ، وتلك علامة بصرها تلاميذه فيه إذا أراد أن يشكم : « نعم إن هؤلاء المراءوش سواء كانوا من أتباع نور على الشاهي أو من الدعيين أو من التشنبيين فانهم جميعاً من المنافقين الذين لا يستحقون غير اللوث ، وأكثرهم يصل بشير وضوء رياء للناس ويتظاهر بالصيام في رمضان وهو مفطر . وفيهم من يجاهر بأنه ما دامت العبرة بالقلوب فلا داعي للأموال الصديدة ويكفي الله إعانه ، وفيهم من يؤمن بأفركان ولكنه يكفر بالأحاديث ولا يتبع ما أمر به النبي . وفيهم من يصبح بلفظة الجلالة حتى يخرج الأبد من شديقه أو يصبح بصوت منكر ويسد ذلك من الدين . ومنهم من يزع عنه الثياب وعشى حارياً حافياً وزعم أن ذلك تعبد لله مع أن النبي والصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك . وأقبح جماعة فيهم للصوفية فانهم أبعد الناس عن رسول الله وإنما يشبه الله إنساناً ليقندي به الناس فلعنة الله عليهم » فقال تلاميذه : « آمين »

واستمر يقول : لعنة الله على الشيخ الطمار وعلى جلال الدين الروي . فقال تلاميذه : آمين ونظر إلى تلاميذه ليروا تأثير هذا القول في نفسي وقد كنت أكثر حذراً منهم فلم يروا على وجهي

نفسك لم تزل باقية فاحمد الله لأن الحياة بعد كل شيء
ليست بالنعمة الرخيصة »

قلت في نفسي : ما هذه التمزجة للباردة ؟
إنني أعلم أن الحياة ليست بالنعمة الرخيصة ولكن
هل ترد هذه المرفة مالى الذي سلبه الهرويش ؟
وطلبت إلى هذا الصاحب أن يبلغ أسمى إلى
أبي القاسم ويستدر إليه عن تأخرى في إرسال هدية
إليه ، لأن ذلك لم يكن في وسعي ففارقني واعداً
إلى بأن ينقل إليه ما سمحه منى

وفي نفس ذلك اليوم علمت أن الشاه وصل إلى
مدينة « قم » وفرش للدفن بأغفر السجاجيد بعد
أن كنس وغسلت أوتيه بالماء ، وكنت في ذلك اليوم
على أشد حالات القلق لأن الساعة التي يتقرر فيها
مستقبلي قد دنت ، ولأن أمد غيبي عن طهران قد
طال وأصبحت حياتي في هذا المكان مملوءة ؛ وكنت
أجهل مقدار ما يشعر به الشاه نحوى من البغض ؛
وكنت في ساعة أظن أن الشاه لن يكتفي بشيء أقل
من قطع رأسي . وكنت في حين آخر أندفع في
سبيل التروير فأرى أن الشاه لا يستطيع أن يأمر
بقتلي لأن لي سنداً قوياً من ميرزا أبي القاسم

ولما دخل الشاه هذا المدفن أظهرت نفسي
لحاشيته وسلبت عليهم فردوا سلامي فأطمان قلبي
لذلك كل الاطمئنان . وأخبرني أصحابي بكل ما حدث
بالقصر بعد غيابي عنه . وعلى الرغم من أني كنت
أكبت على نفسي أن أتزهد والأعيا بشيء في الحياة
فقد كنت أجهد دوافع الرغبة قوية في نفسي لسماع
هذه الأخبار

وأخبروني أن رئيس الجلادين عاد بعد اللوائح
التي دارت مع الروس وأحضر معه رأس رجل

لأن الابن لا يكاد يذكر أباه في هذه البلاد حتى يرسل
إليه هدية

وكنت حريصاً على المال القليل الذي جئت به
إلى هذا المكان فدفنته بركن قريب من الباب حتى
أصير في حاجة إليه فلما ذكرت الهدية ذكرت المال
فقلت إلى ذلك الركن لأتفقده . ولا يسأل القاري
عن مقدار دهشتي وجزمي وغضبي لما وجدت المال
مفقوداً كله . وكانت اللعنات على رأس الهرويش
الذي كان من في هذه الخطوة لأنه لا يمكن أن تصل
إلى هذا المال يد غير يده . ودعوت الله بأن تصير
حياته صرة مهارة حزني لأنني ما كنت أطمح في شيء
أحب إلى من فك أسرى . ولكن ذلك أصبح عديم
الجدوى بغير المال . وماذا يمكنني أن أفعل إن ردت
إلى حريقتي وليس مني قوت بوى سوى أن أصير
شعاعاً ؟ واشتد جزمي من الموت جوعاً فذلك من
شر ضروب الموت

ولما كان اليأس بطبيعته خير علاج للحرز فقد
أنساني يأمني من ضياع حزني على موت زينب، ثم
أنساني حزني من الاضطراب إلى لزوم هذا السجن
الاختياري ونسيت في النهاية حزني على خسارة
الحال . وبلغت في هذه اليأس في النهاية حداً
احتقرت منه الحياة حتى أنه لو وصل إلى يدي سم
في هذا الحين لما تأخرت من تناوله

وفي ذلك الوقت زارني الطالب الذي كان قد
حذرنى من الهرويش فشكوت إليه أسرى ووجدت
لنفسى فرجاً من بث هذه الشكوى إليه فقال لي :
« لا تحزن يا أخى فأنت تعلم أن الله يبتلي الصالحين
من عباده ليتبين الصابر من الجزوع فلماذا ترك
الجزع يتمكن منك ؟ إن مالك قد ذهب ولكن

ملك الملوك سيد العالم . أنا أطلب الرحمة باسم
فاطمة الزهراء .

فنظر الشاه إلى أبي القاسم وقال : « من هذا ؟
فقال أبو القاسم : « هو لاجئ إلى قبر فاطمة
وهو ينتظر أن يني عنه وفقاً للمادة التي جرت عليها
هذه البلاد مع اللاجئين إلى القبور المقدسة . وهو
ومن جميعاً فذاك بإجلالة الشاه ومهما أسررت
فأسرك نافذ »

قال لي الشاه : « من أنت وماذا فعلت حتى
لجأت إلى هذا المكان ؟ »

قلت : « جعلني الله فداك . أنا كنت مساعداً
لرئيس الجلادين واسمى حاجي بابا وقد جعلني أعدائى
مجرماً في نظر مولاى الشاه . ولكننى في الحقيقة
بريء ... »

فنظر إلى الشاه نظرة طويلة ثم أطرق لحظوقال :
« إذن فأنت حاجي بابا ! سواء كنت أنت المسئول
أو رئيس أطباء فإن النتيجة واحدة وهى أن كرامة
الشاه قد استهين بها »

ثم نظر إلى أبي القاسم وقال : « بماذا تشير في
أمر هذا ؟ إن الشاه قد جارية من جواريه ولها دية
يجب أن تؤدى عندها حتى للروس واليهود فكيف
نضيق دية جاريتي بين الطبيب وبين مساعدا الجلاد »
قال أبو القاسم : « حكر الشرع في ذلك أن تدفع
الدية إلا إذا نزل عنها ولى الدم وأنت يا مولاى ولى
الدم فلك أن تغفر . وأجدر بك وأنت في مقام الملك
أن تقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم تغفرو
والغفو أفضل »

فقال الشاه : « فليكن كما أشرت » ثم التفت
إلى وقال : « لقد عفوت عنك ولكن لا ترن وجهك
بشد الآن . اذهب من هنا »

« يتبع » عبد النظيف الشام

ورأس امرأة فقبل الشاه منه هذه الهدية ورضى
عنه واستأنبه عن شرب الخمر

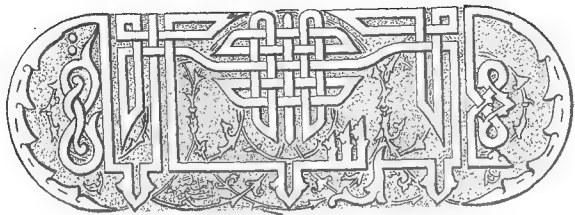
وأخبرونى أن أمراً حياً قريباً قد اشتهر وصار
حديثاً للناس ، وأن سيدى التقدم ميرزا أحمد وجد
جفوة من الشاه فاستمر يرسل إليه الهدايا لعله يجد
لديه عطفاً ، وأن غضب الشاه لفقدان الجارية الكردية
قد قل كثيراً لأن رئيس الجلادين أهدى إليه جارية
أخرى وأنه افتتن بها . ووصفها بأنها أجمل جارية
رأها من عهد « طاووس » التي كانت تضرب
بجملها الأمثال .

وكان الشاه مقبلاً في خيامه خارج المدينة . ولست
أريد وصف استقباله لأنه لم يراع فيه الأبهة التي
ترامى في غير هذا المقام . أما والفرس من هذا
السفر هو زيارة قبر فاطمة الزهراء فقد ظهر الشاه
بمظهر التي الورع الزاهد في مظاهر الحياة . وكانت
سياسته تقتضى على البوم بمسألة رجال الدين لأنه
لم يكن يجهل قوة نفوذهم على أذهان الشعب ، ولم يكن
من الضرور بحيث يتصور أن قوة جنوده تستطيع
التغلب على الشعب إن ناز

وكان أول شيء فعله عند ما وصل إلى (قم) أن
ذهب على قدميه إلى منزل ميرزا أبي القاسم فزاره
فيه ومشى كذلك في طرقات المدينة وأرسل نفوراً
كثيرة إلى قبر فاطمة الزهراء

وكان الشاه يوم وصوله إلى المدفن مرتدياً ثياباً
صوداء وحوله رجال الدين في مثل هذه الثياب .
وكان مجرداً من كل حلية اعتاد أن يتحلل بها من
قبل حتى خنجره

وكان ميرزا أبو القاسم يمشى وراءه بخطوة
أو خطوتين . وكان يتكلم والشاه يصني إليه .
ولما صر من أمضى سجدة قلت : « أنا في حياة



مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقريّة للأمة العربية
الرسالة تسجل مظاهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تبحث في النشوء الساليب البلاغة العربية
الرسالة ترصد ظواهر التطور في الحركة العلمية

مجوعة أعداد هاديو أن العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي سنون قرناً ، والحاجي مايساري هنيها مصر ، وللبود العربية بمجموع ٢٠٪

صاحب المجلة ومديرها
ودئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل انو شراك عمن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

ادارة
دار الرسالة بشوارع البدولي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للقصص والبرامج

نصدر مؤقثا في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٠ المحرم سنة ١٣٥٧ - أول مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥١

من احسن القصص



فهرس العدد



صفحة

١٧٠	السكره	أفصوة مصرية	بلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
١٧٩	كابتن شانون	لكاتب الانجليزى آرثر كونان دويل ...	بلم الأستاذ محمد لطفي جمعة ...
١٨٧	انتصار	لكاتب الفرنسى جورج مورفير ...	بلم الأديب محمد عبده التناح محمد
١٩٠	الرجل الحفى	لكاتب القصصى جابر كيت تشترتن ...	بلم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
٢٠٣	ذكرى امرأة	أفصوة مصرية	بلم الأديب عبد الحليم المشيرى
٢٠٩	حابى بابا أصفهانى	لكاتب الانجليزى « جيز مور »	بلم الأستاذ عبد القظيف النشار

السكرتيرة

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة
بِقِلمِ الأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفُوظٍ

انفراده بوالده في اليوم الثاني
وسأله بلهجة نرم على الحق
والانكار :

« لماذا أجبرتني على العودة
ولما أتم تلميذ ؟ »

فتشهد الرجل حزينا أسيفا
لأنه لم يسمع هذه النبرة الوحلة
منذ أربع سنين ، ولكنه لم

ينضب لأنه كان أعلم الناس بمن يحاط به ، ولم يد أن
يستحث الصدام ، فتشغل بالنظر إلى بعض الأوراق
الموضوعة على مكتبه ، وشاعف عدم أكثراته من حق
الشاب فاستطرد يسأله بحدة :

— لماذا أجبرتني على العودة ؟ .. ولماذا هددتني
إذا لم أسدع بأمرك يجمع النقود عني ؟

ولم يجد الرجل بدا من القول ، فقال بهدوء :
— لأنني لا أريد أن تضيع أموال في حانات

باريس !

فظهر الشاب بالهشة وتعامل :

— ومن قال لك إن أموالك تضيع في حانات

باريس ؟

فجدجده الرجل بنظرة قاحصة وقال :

— جميع الذين سافروا لزيارة ممرض باريس
هذا العام تشرّفوا بمشاهدتك وأنت تراص الفاجرات
وتترنح تملا !

فقال حمدي بنضب :

— يوسف أن أقول إن مملوكاتك كاذبة !

ولم ينضب الأب لأن الحوادث علمته أن يتعامل

في مثل ذلك اليوم بحق للفرح . كيف لا وكان
يوم عودة النجل المحروس من أوروبا بسد غياب
أربع سنين ذهبت في طلب العلم ؟ ... واحتفلت
أسرة الحلبي بالمواد الحيد احتفالا بجمع أشتاتها الميمرة
في أحياء القاهرة ، فسام فيه الأعمام والمهات
والأخوال والخالات ، وتبدلت فيه التهاني ودارت
أحاديث الأشواق والمنى ... ولكن — علم الله —
لم يكن حمدي الحلبي مسرورا ألبنة ، بل لا تنلو إذا
قلنا إنه كان غاضبا محققا مضطكا ، لا يرغب في أن يرى
وجها من الوجوه التي تحببه بالإتسام والكلام ،
ويؤذيه غاية الإيذاء أن يضطر إلى مجاملتهم بالحديث
تارة وبالضحك تارة أخرى . ولعل النجبة الوحيدة
التي صدرت من فؤاده كانت تلك التي حباها أمه ،
أما أبوه فكان يتمتع بأكبر قسط من سخطه أو كان
على الأصح العلة الحقيقية لحقنه وتبرمه ، ولذلك كان
يربقه بنظرات تنطوي على الحقد لم يخف سرها
على الرجل الرزين وإن خفيت عن أعين الحاضرين
ولذلك لم يدم بينهما الواد — وهو ما يوجب
اللقاء بسد البعاد — طويلا ، وانتهز حمدي فرصة

— أنت تسمى في الظن هذه المرة بشيروجه حق .

— كلا يسدي ، أنا أعلم كل شيء على حقيقته

وسأبين ذلك بالليل للقاطع إنك سافرت

لنتحقق بكلية الحقوق والتحقق بها فملا في باديء

الأمر ثم تحولت فجأة إلى كلية الآداب فلفسافا

فعلت هذا ؟ . . . أرجو ألا تسارع إلى تكذيب

فالذي أخبرنا بذلك سديق أخيك هام الـكتور

فهم وهو كما تعلم كان زميلك في كلية الحقوق

وقد عاد هذا العام بعد أن نال الـكتوراه قل

لماذا فعلت هذا ؟

وعلم الشاب على أمره ، وبدت على وجهه

الحيرة ، ودل مظهره حيناً على أنه يقابل الضحك ،

وقال : « رب إنسان لا يعرف حقيقة ميوله إلا بعد

التجربة ، وهذا ما حدث لي بالضبط ، فقد نظمت

قصيدة أول عهدي يباريس في وصف السين نالت

إعجاب أصدقائي جميعاً ، فحملني إعجابهم على التحول

إلى كلية الآداب . . . فما الذي يشغبك في هذا ؟ »

فهم الرجل رأسه هائلاً وقال :

— أنت لا يمكن أن تعرف نفسك ميلاً ، لأنك

متعدد الليول ، متقلب الأهواء ، هذه هي الحقيقة

التي تملأها من حيائك الغربية . ألا تذكر — وأنت

طالب ثانوي — أنك كنت صادق النية على الالتحاق

بالقسم العلمي ؟ وكانت أمرك أنك أن تصير

طبيباً فيما بعد . . . ولكن حدث أن ضمت عامياً بين

خطاباً في مجتمع عام فتغيرت آمالك دفعة واحدة

والتحققت بالتقسيم الأدبي وأبيت إلا أن تصير عامياً . . .

ابنة معاملة الأطفال أو المجانين وتقع بأن هرز كتنفيه

استهانة وقال :

— انتهى الأمر وفشلت التجربة

فصاح الشاب به غاضباً محتاجاً :

— لا تقل فشلت . . . إنك تهديم مستقبل يديك .

فلم يمسأ الرجل بنفسه وقال بصوت أسيف :

أنت يا حدي مثال الطيش والثرق ، والحق أني

في أحيان كثيرة أخالكم مجنوناً أو ممتوها . . . أذكر

حياة تلميذك الأولى للتبسة ؟ . . . كنت أتعذ طفلاً

حداً ، ولكن ما كنت ترى ليلاً إلا في الحانات ،

والواخير ، وكنت بين أصحابك جواداً كريماً تجود

عليهم بما تملك يدك ، أما أهلك الأتريون فكنت لهم

سوط عذاب فترسل من أذاك منهم أحداً لإخوتك

ولا أمك ولا أبوك ، ومهما يكن فقد نجحت

في البكالوريا بعد صر المحاولات وكانت معجزة

لا أدري كيف حدثت ، ولكنك منيت بفشل ظاهر

بعد ذلك في كلية الحقوق حتى تخرج منها أقرانك

وأنت ما تزال في السنة الأولى ، وأكتشفت على حين

فجأة أن مستقبلك في فرنسا لاق مصر . . . وألححت

على في السفر لنيسل إجازة الحقوق ، وطمع الله أني

ما وثقت برعوك قط ولكنني إزاء محاولتك الانتحار

وتضرع والديك وافقت مثلوباً على أمرى على السفر

وقلت لنفسى : فلا أجرب هذه المرة أيضاً لمل حسن

الخط ينجيب تقديري ولكن وأسفاه صدق تقديري

وخاب حظي . . .

فزاغ بصر الشاب وقال محتجاً :

وحدى هذا إنسان خريب ، وربما أدى تعريفه
خير أداء أن تقول إنه جهاز عصبي حساس تتحكم
فيه خربائر وعواطف طليقة من أى عقل أو إرادة .
أو أن تقول — إذا أردنا أن نرضى علماء النفس —
إن عاطفته تسخر عقله وإرادته ، ولكأنه عربة
ينطلق بها جواد جامع ومقعد السائق منها خال ،
فهو دائماً متفعل ومتأثر إما لحزن أو لفرح كيفما
تهب الريح ، ولئن تظفر في حياته بنظام مما يوصى به
العقل ، أو بميل أو إنتاج مما تحمده الإرادة ؛ وإنما
تزدحم المواطن والأحاسيس في وجدانه كما تزدحم
الأخيلة الشاردة في رأس الحالم دون أن تترك أدنى
أثر ، ومن هنا جاء تناقضه وتقلبه اللذان جعلانه
خلوقاً مضحكاً يستدر الزمء في كل حين ، فكان
يتوهج اقتباهه أحياناً عن ذكاء وقاد نخاله نبوغاً
وموهبة ، ثم لا يلبث أن ينطفيئ شعاعه ويظلم نوره
فتظنه عنياً وبلاهة ، وكان يندفع في أوقات كثيرة
إلى العمل بهمة تبشر بالنجاح وسرمان ما يتقلب
قريب موعد الامتحان مزروع الثقة مفرق المزجة
فيفير من صرامة الواقع إلى لذة الأحلام في الحانات
ومواطن الريب ، وربما بلغت به الحاسة حد الثورة
والنمرد ، فيقوم المظاهرات ، ويرى رجال البوليس
بالحجارة ، ويحطم المصابيح وعربات الترام فيعد
بحق من زعماء الطلبة ، ولكن إذا حدثت عن ثورته
بعد يوم أو يومين هزي بك وبنفسه وبمبادئ
الوطنية والأخلاق جميعاً ؛ ومن هنا أيضاً تعددت
مشروحاته وتوعدت مقترحاته وتوزعت الأحلام ، فتارة

ومع ذلك فهذا لا يمتنى كثيراً بقدر ما يمتنى أن
تنجح في أى فرع من فروع الحياة ... فلم تلتأثر
على دراسة الآداب ما دمت اكتشفت في باطنك
شاعرية جيدة ... ؟

فقال الشاب بحماس مصطنع :

— إنى أنار يا أبى ... ولولا أنك قطعت على
طريق ...

ولكنه قاطعه قائلاً :

— كلا ... كلا ... لقد ثبت لى أنك انقطعت
انقطاعاً كلياً عن الجامعة منذ عام أو أكثر ...
فقال بحمدة :
— هذا كذب ...

— بل هذا ما قاله لى جميع من أوسيتهم
بالاستسلام عنك من زائري معرض باريس ، وهو
ما يؤكده الدكتور فهم وإن شئت واجهتك به ...
لقد فشلت التجربة الأخيرة ...

وكانت المسألة بالنسبة إلى الأب لا تسمى سوى
فشل تجربة نهائية ، أما بالنسبة إلى وحدى فكانت
مسألة حياة أو موت ، أو هكذا صورها له خياله
المجنون . ولم يكن الذى يترع بنفسه إلى باريس أنه
ودع بها آمالاً مخوفة بالخطر ، أو مستقبلاً يرجو
أن يتمده بالجد والتأبيرة . ولكن الحق أنه ترك بها
قلبه الفتون ، وجهه المضطرب ، وجتته المفقودة ،
ودنيا أحلامه ، وصرع جنونه ؛ حتى لكأنه ترك
بها عالم طليقاً لا يخضع لقانون طبيى أو تقليد
إنسانى ...

أيعا طرب وسأل نفسه في حيرة ألا يجوز أن يكون شاعراً بالنظرة؟ ثم أجاب نفسه قائلاً: بل إنه لشاعر وإن مستقبله الحق لنى الأدب والفن لا في القانون. ونحول بلا أدنى تردد إلى كلية الآداب بالسربون وانتقل من دريجون إلى باريس وأقبل على دراسته الجديدة بمثل ما أقبل على دراسته الأولى من الحماسة والمزم واستمع إلى المحاضرات بشغف عجيب ، وما زال مثابراً مجتهداً حتى اليوم السعيد الذي التقى فيه بمرجريت ، الفتاة الراقية الحسنة ، التي جاءت باريس لزيارة أختها . فكان حب ، لأن عاقبة السبيرة أن يحب كل امرأة يلقاها في طريقه ولكنه كان على أية حال أول غرام له في باريس فكان له في قلبه لحن جميل جديد ، واستبقى الفتاة في باريس ، وعاشرها على شريطة المحوى وسنة الطبيعة ونسى بها الدنيا والدين والشعروالآمال وأخذت حياة باريس تنمكس على روحه — خلال عيني مرجريت الساجيتين — جنوناً وقتونا وهياماً وإحابة. ولا كانت الفتاة فقيرة بائسة فقد آمن بالشوعية ولم يحاول قط فهمها أودراسيتها ولكنها استقرت في قلبه ثورة على الأغنياء — ناسياً أو متناسياً أنه واحد منهم — وكفراً بالله وبرسله وازدراء للأخلاق والفضائل . واستسلم للفرام بين أحضان حبيلته وهاش حالاً كافراً مجنوناً حتى يشته أبوه برسالة حازمة خيره فيها بين المودة حالا إلى مصر أو اللوت جوعاً في باريس ، وجن جنونه وثار وغضب ولعن وهدد وتوعد ، ولكن شيئاً من هذا لم يجده نفصاً . واضطر في النهاية إلى

بعد المدة لانشاء ناد رياضي كبير ، وثارة بعمل فكره لاخراج مجلة أسبوعية ، وثالثة يدعو إلى تكوين جمعية تهذيب الأخلاق أو تشجيع التجارة الوطنية ، وربما خطأ الخطوات الأولى لتأليف كتاب أو كتابة مقالة ، ولكنه لا يتأثر على شيء ولا يثبت على حال

على أنه كان شخصاً محبوباً ، يتمناه دارفوه ويشفقون عجزه غلظة روحه وحضور نكته وغرابة أطواره ولكنه كان مع أصدقائه كما هو في حياته مثال الثقل والجنون ، فقد يلازمهم أياماً وأسابيع ثم يهجرهم هجراً طويلاً بلا أسف كأنه يعدم بعض لداة أو أهواءه أو مشروحاته ، ولكن ندر أن يجد عليه صديق لأنه في رأيهم جميعاً الطفل الطائش الذي لا تريب عليه هما قال أو فعل ، ولأنه الانسان الغريب الذي لا يلقى بقلبه مكر أو خبت أو سوء نية ، ومع هذه الطيبة البالغة والطرف النادر فقد حاول الانتصار مرة وضرب أباه بالكمرسى في مرة أخرى وبهذه النفس النرية سافر إلى باريس طلباً للعلم الذي يئس منه في القاهرة ! وكان جداً فنيا اعترم لأنه كان يود لو يختم حياته الدراسية ختاماً مشرقاً ، والتحق بكلية الحقوق بديجون وهو يتوقد حماسة ونشاطاً ، وزار باريس يوماً وشاهد السين فهاجت قريحته ونظم أبياتاً شعرية في وصفه كانت أول ما نظم في حياته من شعر ، وما كانت صادقة الوزن ولا ذات جمال أو رواء ولكن أثنى عليها — لمة — جميع من سمعها من أقرانه ، وأطربه الثناء

ولكن الرجل كان ثابتاً كالجليل ، قاسياً كالصخرة ،
وقال له بحزم :

— لا تند إلى هذا الحديث مرة أخرى !
وانفجر حمدي غاضباً وتلبسته حالة جنون غير
غريبة عنه وصاح بأبيه :

— لماذا تترضى سبيل نجاشي بقسوتك ؟ ...
لماذا تريد أن تستدلى لارادتك الممياء ؟ .. أنا أعلم
بالسبب الذي يملك تسهين بآمالى ومستقبلى ...

هو حرمك اللقيت على مالك الذى لا يمد ولا يحمى ..
أنت رجل شحيح بخيل يقتل فيك حب المال الأبوة ..
ووجع الوالد وأخذ ، وانتفض قلبه غضباً ولكن
لم يمد على وجهه أثر مما يتقد فى نفسه ، وقنع بأن
قال بهدوء ساخراً :

— يا لها من فراسة !
— أفسخرنى ؟ ... يلد لك أن تهزأ بي فى
بأسائى ... حسن ، سأعرف كيف ألتقم منك ...
سأنتهر ... نعم سأنتهر وسترى ...

فقال الرجل بهدوء غريب :
— افضل ما بدا لك
فتنظر إليه بعين محقق منيظ وقال :
— أيهون عليك موتى من أجل بضعة جنيهات ؟
فقال الرجل :

— نعم ...
هل يبنى الرجل ما يقول ؟ ... هل أشقى منه
على اليأس حقاً ؟ .. أما هو فلم يهدد بالانتحار هذه
المرّة وهو يبنى ما يقول لأن للحياة عنده قيمة جديدة
لم تكن لها من قبل ... كيف لا وفيها مرجريت

هجر عشه السعيد وهو يعنى نفسه وحييته بسود
قريب ... ووجد نفسه أخيراً فى القاهرة وفى البيت
القديم الذى رأى فيه الدنيا أول ما رأى . وعاد إلى
جو التقاليد والدين والهدوء واستقر فى الملحة
الصغيرة التى يتولاها أبوه ويحكم ... وأحس بضيق
وسلم .. كيف يرضى بالقاهرة بعد باريس .. كيف
يطمئن إلى الظلام بعد النور ؟ ... كيف يخلو إلى
برودة الوحشة بعد حرارة الحب ؟ .. كيف يروض
نفسه على النظر والدين والتقاليد بعد أن ذاق جنون
الحرية والاحاد والاباحية ... ؟

وما هوذا والده يبرف الحقيقة من أفواه الليون
التي بثها حوله فى باريس ويصر على أن التجربة
فشلت ، ويقسم ألا عودة إلى فرنسا بعد اليوم ...
فالمعمل ؟ ... هل يتناسى مرجريت ؟ ... هذا
مستحيل ، بل هذا جور لن يسكت عليه أبداً

ولاح له أن يدعوها إلى مصر ، وفضلا كتب
إليها يقترح عليها الحضور ، وواقت الفتاة ولكن
برز لها حائق من ناحية السلطات التى أبت
عليها دخول مصر وولجا فى يأسه إلى آخر وسيلة
فأراد أن يمتد عليها ولكن ذلك لم ينفعه شيئاً
ونصح له رئيس (فلم الباسا بورتات) بالمدول عن نيته
وسوأها له ...

وسقط فى شرك القنوط وتلفت بمنة ويسرة فلم
يجد سوى والده ، لماذا لا يمد عليه الكرة ؟ عسى أن
يلين له بعد شدة ورضخ بعد عناء ، وقآحه فى مسأاته
مرة أخرى وتضرع إليه وتوسل ووعدته ومناه ،

ذلك الورق الساحر الذى يسيطر على المصائر
ويتحكم فى الأقدار ، وتتعلق به آمال الانسانية ،
ما أحراه أن يطير به إلى القلب الذى يخفق له على
سيف البحر الأقصى ويلج به أبواب جنته المفقودة
ومنية أحلامه : باريس ... يا عجباً ... أيعجمه ومفتاح
سمادته بيت واحد ... ؟ أتكون سمادته قرية منه
إلى هذا الحد ولا يستطيع لها طلباً ؟ ... ولكن
كيف السبيل إليها ؟ ...

وكانت خوارطه من قبيل الهنيان ولكنه ألقى
سؤاله الأخير بشموه من يمين ما يقول ، ومن يجد
فى الأمر جديداً : نعم كيف السبيل إلى الأوراق
الساحرة ... ؟

هل يساود الرجاء والتوسل ؟ ... أم يستعين
بوالته ؟ ... وهنا له اللباس خلف هذين الرأيين
فدلل عنهما وهو يتهد حسرة وألماً ...

لماذا لا يستولى على المال بنفسه ؟ ... ينتظر فى
حجرة حتى يصمد أبوه إلى عمده ، ويهبط فى حذر
إلى حجرة الكتب ويصالح بابها ويفتح أدرجها ،
ولكن ما العمل إذا وضع الرجل ماله فى حافظته ؟
تتعد ولا شك السائلة وتتوافر الصموغات ولكن
لا يستحيل ابتناء الوسيلة إلى غايته ، إن والده يملن
ثيابه على مشجب قريب من الباب ، فإذا فتح الباب
فى سكون استطاع أن يبلغ يديه جيوب البذلة
والمطف وأنى يبحث فيها عن ضائته ...

وتحفز لتنفيذ أفكاره فوضع الطربوش على رأسه
وألفاً المصباح ، ولبت ينتظر فى الظلام سمود أبيه

الحبيبة ؟ ... ولكن ما بال أبيه يفت حجر عثرة
فى سبيل سعادته ؟ ... ياله من رجل كرهه ! ...
أيجوز أن يحيا شيخ كبير ليشق بجمانه شاب
يافع مثله ؟ ... ولم لا يذهب ويخل السبيل لنيره ؟ ...
إنه أب بكره ابنه فينبني أن بكرهه ابنه كذلك ...
هذا هو اللدل ...

ولم ينتهر ولم يشرع فى الانتحار ، وقنع
بالتسكع فى حماد الدين وبمراسلة صرجهيت ، وبانتظار
ما يأتى به اللند غير مستسلم كل الاستسلام إلى اللباس .
وفى مرة — وكان اتقى على عوده شهر
وأيام — قابل أخاه حمام فى حماد الدين وعلم منه أنه
ذاهب لصرف سك لوالده يبلغ خسارة جنيته ...

وابشم حمدي ساخرآ وتهد من قلب مكهوم ...
لو عهد إليه الرجل بصرف هذا المبلغ لكشف عنه
الكرب فى دقائق معدودات ، ولكنه لا يثق به
ولن يثق به أبداً ... خسارة جنيته ! ... ياله من
مبلغ ... ترى لماذا سحبه الرجل البخيل ؟ ... إن
عادته أن يضع فى المصرف لأن يصحب منه ، فلماذا
غير عادته على كبر ... ؟ هل خرف ... ؟ !

وعند المساء عاد إلى البيت ، وكان أبوه فى حجرة
مكتبه بالطابق الأول ، غارقاً فى بذلته ومسطقة ،
ومكباً على الأوراق البسطة أسلمه ، فألقى عليه
نظرة سريعة وصمد إلى حجرة ... وخلع طربوشه
وجلس على حافة فراشه يستريح

لا ريب أن والده تسل الخسارة الجنيته ، وأنها
الآن تسكن مكاناً فى حافظته أوفى درج مكتبته ...

عن صمادة ... فيقول له : أنا أريد مالا ولا بد من الحصول على المال فأناك أن تترض سبيلي ! وإذا تنلب في الرجل حب المال على حب الحياة فسيكون قاسيا مجرما ، لقد ضربه مرة بالكرمي في حالة غضب ولن يحجم من ضربه مرة أخرى ولو احتاج الأمر إلى صرعه ... وطال الصمت والسكون ، وجثم سلطان النوم على البيت ، فأدار الأكرة وفتح الباب بهدوء وانسل خارجا يسير على أطراف أصابعه ويألف في الحذر وهو يبتاز بحجرة والده ، وهبط السلم في تهيب ، فلما أن انتهى إلى الطابق الأول تنفس الصعداء وسار مطمئنا لأن هذا الطابق يخلو في الليل ، ولما اقترب من باب حجرة المكتب رأى لمهشته النور يشع من أعلى بابها ، فاستولى عليه الارتعاج وهم بالعودة ... والظاهر أنه أحدث حركة لأنه سمع صوتا يعرفه حق المعرفة يسأل من داخل الحجرة قائلا بقوة :

— من في الخارج ؟

فتوقف عن الحركة ونشاته حيث أنه فرد بسرعة : « أنا حمدي ... » فقال الرجل « تمال .. أدخل .. » وعرض شفته من التهر وتقدم إلى الباب يالسا وفتحه ودخل ، ورأى والده جالسا خلف مكتبه متدبرا بلباسه المصنوعة من وبر الجمل وغفيا رأسه إلى أذنيه في (الطاوية) فلم أن والده قد صمد إلى غدعه ليغير ثيابه وأنه عاد ثانية ليستأنف عمله إلى هذه الساعة المتأخرة ... ثم ذا يتب المال ذويه ! .. ونظر إليه الرجل بينيه العابئين وسأله وهو يتناب :

وشاع في أطرافه الاضطراب والقلق وأنهك رأسه هوس الجزع ، ولكن لم يداخله أدنى تردد لأنه من طبعه إذا اندفع أن يندفع بلا تردد ولا تدبر ، ومضى يبرد نيته لنفسه فيقول ما من بأس في أن يستولى على بعض مال أبيه ما دام له حق ثابت في هذا المال ، وما له لا يلجأ إلى الحيلة أو القوة إذا كان أبوه يترض سبيل صمادة بالقسوة والمدوان ؟ ! وطال انتظاره في الظلام ، وجعل يقترب كل دقيقة من الباب ويلصق أذنيه بقببه يستمع وينصت ، ثم يذرع الحجرة ذهابا وإيابا ...

ثم سمع وقع أقدام آتية من نهاية الزده الخارجية فأرشف أذنيه وكم أنفاسه ، هي أقدام والده بلا ريب ، وها هو ذا باب غدعه يفتح ثم يثقل ، ما بقي إلا الانتظار حينما يثام الرجل ، وكانت ضربات قلبه تشتد وتضطرب ، كلما تقدم به الوقت ودنا من تحقيق عزيمته الآتمة

وسمع الباب يفتح مرة ثانية ويثقل ، ووصل إلى أذنيه المرهقين وقع أقدام خفيفة لم يستطع تبيين وجهتها ، فقلب جبينه متعيرا ... ترى هل غادر أبوه الحجرة لحاجة ؟ أم هي أقدام غيره ؟ ... يبنى أن ينتظر وقتا آخر وإن كان الانتظار قاسيا صريبا ... ولكنه لن يتردد عن غايته ، سيهبط إلى المكتبة ويفتحها وإذا لم يفر منها بطائل فسيقتحم غدع أبيه ... ولكن ما عسى أن يفعل إذا تنبه التائم على حركته وهب يندفع عن أمر شيء في حياته ؟ يبنى أن يكون صارما هو الآخر في المنع

وتحول بصره دون أن يدري ناحية حجرة
أبيه ... وتساءل : « ... ما اللانع ... ؟ »
واندفع وجدانه في هذا الجرى الجديد بمنف
كأنه نهر فائض فتح الخزان لتياره الفاض ... فساد
قلبه يذوق بمنف ... وارتجفت أوساله ... وتحفز
مرة أخرى ...
الساعة تدور في الواحدة بعد منتصف الليل ...
وأبوه ملازم لمكتبه كما غلده ... فما اللانع ... ؟

الروءة ... والضمير ... والبر ... لا تساوى
شيئاً إلى جانب السعادة المنتظرة ...
وانتفض واثقاً وأطفاً الصباح ، وفتح الباب ،
واتسل خارجاً ، وسار إلى غنجد والله وفتح الباب
بجند بالغ ودخل ، وفقت يده بسرعة في جيوب
البذلة حتى عثرت على الحافظة المتفتحة ، وسلب
الأوراق الشاحرة ثم ردها إلى موضعها وخرج
وأغلق الباب ، وقطع الزدهة في خفة ، وانتظر لحظة
بصمت السمع عند مبتدأ السلم ، ثم خلع حذاءه
ونزل واجتاز الزدهة ماراً بحجرة المكتب وهو يكم
أنفاسه ويكاد يتفرق أشتاتاً من الخوف ، ثم وجد
نفسه أخيراً في الطريق الخالي ، فوضم قدميه في
الحذاء على عجل ، وتنفس تنفساً عميقاً يملأ صدره
المنظرم بالهواء الرطب البارد ...
وسار في طريقه بخطى مضطربة لا يلبى على
شيء
جيب محفوظ

موظفاً في الشركة الإيطالية ... فباله من تغير عجيب
لم يجر له على بال !
وذكر في حزن كيف أضاع على نفسه فرصة
ذهبية في فرنسا ، فلأنه استمر في دراسة الحقوق
لكان يرجى منه الآن محام مقتدر أو وكيل نيابة
« قد الدنيا » ولأمكن أن يقف مع أخوه على قدم
المساواة ... وهما يكن من أمره فالواجب أن
يشكر الله كثيراً ...

وسرجيت ! ١ ثم وسرجيت !
أبها القارئ ، وحدث لو أستطيع أن أختم
القصة عند هذه النهاية لأرضى مواطني الخير
في قلبك ولكن أرجو أن تذكر دائماً أن المؤلف
الحقيق للقصة هي أعصاب حمدي نفسه ...
لقد ارتجفت قلبه لما ذكر سرجيت ، إنه بمحبها
لم يحبه امرأة من قبل ... وهي تبادلها حباً بحب
وعطفاً بسطف ، ولولا تشدد الحكومة لكانت الآن
بين يديه ناعمة البال هائلة الثروات فوالأسفاه !
كيف يرميها بخير توظيفه وإقامته بمصر ؟ ...
وما عسى أن تفعل الحامية البائسة ؟ ..

ويحبل إليه وهو يفكر في أمرها أنه يراها رؤية
العين بقماتها النجفة وقدها الرشيق وشعرها الذهبي
وعينيها الزرقاوين . وتوهم أنه يسمع صوتها ذا اللنة
الطرية ... وذكر جلسيتها العزيزة حيث كانت تقدم
على (الديوان) ويستلقى هو على ظهره واضماً رأسه
على حجرها وبروحان في مناعة رقيقة ويدها تبيت
بشعره ... كم هي لطيفة جنابة ... فكيف يزهد
في هذه السعادة ؟!

وتهد من الأحماق حزينا واستسلم لخوابه
الفائضة ... وكان كلما أوغل في التفكير كبرت عليه
حرقة الفراق وهاله البعاد ...

انتظروا عدد الرسائل الممتاز

في صباح ١٣ مارس

بخطاب شكر ونساء وأشادت
بوطنيته وعمرته عليه وساماً
فاعتذر في رقة وظرف وهو مخاطب
شخصاً من أكبر ذوي النفوذ
في البلاد

وإن الذي يعرف طيبة هولز
وفرط حياته وركونه إلى الخجل
والانزواء لا يدعش من زوجه من

حقه في الشهرة وبعد السيت وكان يقول لي دائماً :
« ياك والوقوف بملق الأشعة التي تظهرك للناس ،
فإنهم لا يلبثون أن يكشفوك ويسرك فنبذو كما بدا
آدم في فردوس التعميم ... »

إنه لرجل عجيب حقاً . كانت الزاخرة من محض
ابتكار عدونا الأهم وعدو الوطن بروفور موريارتي
هل كان أنجليزيا ؟ هل كان إيرلنديا ؟ هل كان روسيا
ثائراً أم محض فوضوي متمسكاً بمذاهبه البنيضة عندما
إلى ذلك التأثير الثفاني باكونيت ، أو صديقه
كورتوتكين ؟ لقد كانت مذاهب هذين الرجلين
لا تزال شائعة في إنجلترا والناس عليها جد مقبلين
لجهد جدتها وطرافتها ولاسيا الفقراء منهم والمهاجرين
والموزين . لقد كانت حياتهم لا تطاق ولا سبياً في
الشتاء . غير أن الدين كانوا يفكرون في غزو إنجلترا
كانوا أقوياء وأغنياء وكانوا على أتم نظام وأحكمه
وأدقه ، حتى بدأوا بتسجيل قوائم بأسماء الدين
يميلون إليهم ويتحفزون لتعميدهم ثم بدأوا برسمون
خطة نادرة المثال ثم وقع اختيارهم على موريارتي .
فكان هولز يقول لي وهو يمتحن بارة اللوردين .
وهو متكر لم أكن أملك أن أدفعه يدي فاكثفت
بالإشارة دون التصريح :

كايث شيفانوف
والعصاة ذات الرؤوس الحمراء

للكاتب الإنجليزي سير آرثر كوانز دويل
بسم الأستاذ محمد لطفي خبطة

كتب دكتور وطني مسجل حوادث شروك
هولز وأخباره قال :

كان شروك هولز متمباً منهوك القوى بعد
أن عدنا من سياحتنا في جنوب فرنسا . إن البعض
يطلقون على هذا القسم من فرنسا اسم شاطي الذهب
أو ريشيرا تدليلاً وتجيلاً ولكنني لا أحب التبرج
في أسماء البلاد . فإن البلد التبرج يعود كالأمر للدقة
كاحدى تلك الرافعات الأندلسيات اللواتي يدقن
بأيديهن فوارخ الحمار ليعذن صخباً يصم الأذن .
وكان مستر هولز يسميه أبداً جنوب فرنسا ويطنه
في قلبه وبلسانه . أي نعم ، لأن هذا القسم من العالم
لم يحو سوى الثفاني واللاهي والمفاسد كملاب القمار
ومساهد اليسر ، وجمالي الترف ومظاهر الاستمتاع
قلت : ناد مستر هولز متمباً منهوك القوى .

وكذلك مسز وطني (زوجتي) فقد ناد بحف
لبنها فيحرم طفل الميزر رضاع لبنان أمه وهو
خير ما يطلى الأطفال في عاهم الأول ، ولكن
هولز قد استعاد نشاطه بسرعة فائقة كعادته . وكان
النصر الذي أحرزه على أعداء الوطن بالاستيلاء على
خراطم القدر ووثاق الحياة قد أنشده وجدده هته
وقواها . وقد بثت إليه وزارة الشؤون الخارجية .

مستقر هذا الجرم الخطير .

ولكن نفسى حدثتني بأن الشخص الذى لقبه
اشندن لا بد أن يكون متكرراً وأن الصورة بلا أدنى
ريب مقتملة ومصطنعة . وإلا فكيف يحدث أنها بعد
طبعها ونشرها بالملايين لا يهتدى إلى صاحبها رجل
واحد من الخاصة أو العامة أو رجال البوليس ...
بيد أننى فى أحد الأيام كنت على ظهر مركبة
تجرها الجياد فصعد إلى الطابق الأعلى الذى كنت
أحتل أحد مقاعده رجل قصير عربض الأكثاف
ممتنع الوجه كبير الدماغ كأن رأسه لضخامته
واستدارته القبة الشفاء على قبر ضئيل . فرسقى
بنظرة حادة كادت تخترقنى ، ولكننى صمدت لنظره
ولم أشعره بإهتائى بقمعه ، فأطأنا إلى اطمئنان
الدباب والتمالب وجلس بجانبى لأنه لم يكن له مقعد
خال غير الذى يجوارى . فأحسست بتيار قوى كالذى
ينبث من أهل الشر والجرمين وهو يحدث شعور
بقضاء ونفور لا يعرف مداها إلا الذى أحسها ،
وكانت السحنة المجاورة فى تشبه الصورة شهاً شديداً
فى عرض الجبين وحدة العينين وضخامة الرأس ،
ولكن الرجل كان ملتجياً والصورة مثله حليفاً وهل
من الصعب استطلاع الحى والشوازيب فى وقت
أصبحت للشعور المستمارة أبسط ما يتال ويستعمل
للتخفى واتتحال الشخصيات . إنما شئى باطن
وصوت قوى وجنادى كان ينادىنى بأنه هو الرجل
الذى تبحث عنه الشرطة وتتقن أثره سكوتلاندر يارد
بل بريطانيا بأسرها ، ولقد طالبا ندمت على أننى
لم أقبض عليه

إن العقل الوحيد الذى لم أستطع أن أهزمه
أو أنتلب عليه هو عقل ذلك الرجل للتدبير . لو كان
ينفق بعض قوته فى الخير ، إذن لأفاد العالم . ولكنه
جد خبيث ، غلوق الشر يتلقاه ويلوكه ويمجنه
ويتنفذى عليه ويميش به . قتلته : لقد أملت يوماً
إلى لقاء تم بينكما فكيف كان ذلك . فقال : إنها قصة
قديمة . كان موريارتى فى أول مدارج حياته الاجرامية
وكنت أنا كذلك لا أزال طالباً بالطلب فقرأت يوماً
فى الصحف أنباء لقاء القناصل على البانى . والاعتداء
المنكر على قصر المدلى بدليل واغتتيال لورد كونيغريف
فى بستان النقاء (فينيكس بارك) فهالنى الأمر
ولكنه لم يسترع اثباتى كثيراً لأننى كنت أرى
أنهم على حق فى طلب جريمتهم ... ولكننى ما أقررت
قط الطرق غير المشروعة ولا الوسائل المباشرة . وقد
أبغضت الروس الذين لم يجدوا عملاً أجدى عليهم
من قتل ملوكهم وأمرائهم واغتتيال الأعيان والنبلاء
بدلاً من تثقيف رجالهم ... لا عليك يا وطنى من
نظرياً فأننى لأحسب أن أكثر عليك . شاهد الحديث
أننى لحت يوماً فى الصحف اسم كاتين شانون فقرأت
وصفه ورأيت فعلاً صورته . ولا أدري كيف جعل
عليها رجال للشرطة فى سكوتلانديارد ... لقد كان
فى خدمتهم رجل شديد الكفاية بأخذ الإرادة اسمه
اشندن . كان عماد قسم المخابرات السرية فى الشدائد
والخاطر . وكان نائب السفير فى الخارج لأنه قابض
على خيوط الأسرار الثمينة . فله هو الذى نجح فى
الحصول على صورته وإن كان مثل فى اقتفاء آثاره
لتمدد أسفاره ونذرة ما يتبع فى لندن ، وحى على الأغلب

قلت هولز : ولو كان مسلحاً ؟

قال : ولو كان مسلحاً ، فأنى أنا أيضاً مسلح
بحسب من الوزن الثقيل وكنت كذلك دائماً
لأننى أشعر بأحراس يزيدون على العشرة كلما
أحسست مسدسي يميني ، لا عليك

غير أننى خشيت أن أكون غطفاً . فأصبح
سخرية للعالم ، وقرر الطير المقصود من قفصه في
الوقت المناسب لغراره ، وبينما كانت هذه الأفكار
تجول في خاطري ورأى ينزل كالرجل والمواطن
والانفعالات تتنازعني وتشدني يميناً وشمالاً ابتدرني
الوعد بصوت أجش وهو أيضاً مصطنع وقال :

— هل أنت أيها الشاب خال من العمل . إن
كنت كذلك ، فإن لدى عملايليك بك ، وظيفة مريحة
كتابة على الآلة من الرابسة إلى السابعة وتشرب
الشاي وتأكل الكعك وتقبض ستين شلناً في نهاية
الأسبوع ، ولكن عفواً ، لعلك تعمل فيذهب
سؤال هدرأ

فتصنعت البصاطة ما أمكنني وقلت :

— محمولك يا سيدي طالب طب

فابتسم من أستان صفراء كالماج وأنياب عمدة
كأنياب الضواري وفم ضخم يسع حدود فرس وقال :

— إلى السعد ! إلى السعد ! طالب طب ماشاء الله

كان . شاب عالم ينتظر مستقبل عظيم . ولكن
يمكنك أن تربح هذه الشللات الستين في سهولة
إذا لم يتترض وقت دراستك فرصة تدرييك فيها
فكر ، وإليك عنوان واسمي . وأخرج من جيبه حفظة
بها بطاقات ، وتولاني واحدة باسمه

مستر هامبشير در فالوالينس

تاجر متنقل ووسيط أعمال

هادلورث جاردنز ٨٣ بلاكبوري ستريت

ثم أتني على نظرة منكرة تنطوي على التهديد
والبنضاء والأمل في القبض على متي الخلق

وقد شمرت بحماسة شديدة لانتفاء أثره وتعب
خطواته بدلاً من أن أوافيه إلى بيته الذي قد ينصب
لي فيه غفلاً . ولم يكن لدى سوى وسيلة واحدة وهي
أن أسبق هذا الوعد إلى العنوان الذي حنّده في
هادلورث جاردنز ٨٣ بلاكبوري ستريت ، ولم أكن
بمد قد تمكنت من امتلاك وسائل التلخف والترزي .

غير أن الظروف كانت مواتية فقد وجدت نفسي
في اكسفورد ستريت . أذكره يا وطني ؟

قلت لمستر هولز : كيف لا أهرغه ؟

قال : لو لم يكن يشفع في تذكرة إياه إلا وصفه

في كتاب دي كوينسي الخالد لكفانا مذكراً

فقلت : ونذراً .

فتجهم وجه هولز ودمدم وتمم واكفهر
جبينه وانثقت من عينيه أشمة قوية كالشر الذي
يقدم من عيني الفهود والنمر التي تدافع عن أشبالها
وقال : ألم أنبهك إلى أن تقديم النصع في مثل هذه
السن غير جائر . ولعلها عادة توارث الأحمق عند
غيري ...

وقد أدرك أنني ألح إلى تماطي اللورفين الذي
صار له عادة وكنت أخشى منه على صحته البدنية
والعقلية ..

وبعد أن اعتذرت وغسرت لمستر هولز أن

أقدم رجلا وأوخر أخرى ...

لم يتم هولز حديثه حتى استأذنت علينا مديرة المنزل وقالت إن سيداً يريد لقاء مستر هولز . .
وإنه لشخص محبب حقاً فبينما شمرة أشقر كأشعة الشمس المحرقة إذا عيناه سوداوان كغمم نيو كاسيل فقال هولز : وهل هو ملتصق أم حليق ؟

فصرت مسر تبرز صدورها بيدها وقالت :
أذكرني يا مستر هولز ، إن له لحية كشجرة جاي فاوكس !

ثم خرجت وطدت وقد أشخضت رجلاً أشقر تقشر الأبدان لدى رؤية حرته ، وترتد الفرائص من أثر نظره . فأجلسه مستر هولز حياه وتشاغل عنه قليلاً . وأتم حديثه مى قائلا :

— كنت أقدم رجلا وأوخر أخرى خشية أن يكون مشروعي خيالاً ولا أصل إلى غايي التي تحريت بلوغها وتعميت النجاح قريباً لها . على الرغم من أنني أتقنت هذا التخلي الذي لم يتقنه أيضاً حضرة المفلس جيمستون الذي شرفنا بزيارته دون أن يحمل إلينا بطاقة بتوصية من رئيسه فرانكفيل

فانتفض سيفنا ورفع من رأسه تلك (الطائفة) الشريرة المصطنعة ، وابتسم ابتسامة هريضة وقال :
— لقد أحسنت يا مستر هولز . أنا جيمستون من سكوتلانديارد . وقد جئت لأستشيرك فقد ثبت

لنا أن المتأمرين الذين يلغون بالقنابل ويدسون الآلات الجهنمية^(١) في الباني يؤلفون جمية من ذوى الرؤوس الحجر . فاضطرت أن أتخذ هذه

قصدي ينصب على دى كوينسى مؤلف كتاب ذكريات « مزدرد الأفوين » الذي طالما نأح وأحول في صفحات كتابه على ماري تلك الفتاة الحبيبة التي ظهرت كالسراب في صحراء الحياة ، ثم اخفت بسرعة الأشباح لدى اختفائها .

« آه ما أفسى عليك يا كسفورد ستريت هل قلبك قد من ضجر ؟ »

وبعد هتية عاد إلى هولز هدوؤه فقال :

— في كسفورد ستريت وجدت نفسي حبال «صالون حلاقة» لدينيكوتر وشيرلان وها من أشهر محترفي صناعة الماكياج في بريطانيا العظمى وكان لهما صيت ذائع منذ أتقنا إخراج رؤوس الثورة الفرنسية في رواية الزهرة القرمزية . . وهنا ضحك هولز وقال :

جميع أن هذه الرؤوس جميعها سقطت قبل أن يسدل الستار على الفصل الأخير من تلك الرواية ولكن ليس الذنب ذنب دينيكوتر وشيرلان . . لقد كانت هذه الرؤوس حصاد الجبلوتين . فدفعت باب «الصالون» ورجوت عامل الشمود المصطنعة أن يطبق شمراً أحمر ولحية شقراء فليستهما وتقدمت العامل عن ما أخذت وأسرت إلى محطة ميتروبوليتان المؤدية إلى محطة كاركنويل جاردنز ومنها يأخذ السافر سيمته إلى هادلورث جاردنز .

وكان في نبي أن أسبق الرجل الذي انتحل اسم هامبشير دوقالوايس إلى المكان الذي عينه قبل أن يتمكن من نصب فخ .

وكنت بمد أن أتخذت هذه الصورة الجديدة

(١) في الأصل Infernal machines

— الحق يدك يا مستر هولز ولكنى لأملك.
أن أغير هذا الزى الآن لأنى مقيد فى الديوان بهذا
الوصف إلى آخر الألبوع ولم يبق بيننا وبين نهايته
سوى يوم ونصف يوم .

ثم نهض ليستأذن فى الانصراف فقال له هولز
وهو يودعه : قد يكون حشف الفقى فى ساحات
ممدودة ...

ولكن جيمستون الذى عاد وجهه كالبرقالة
الاسبانية ورأسه كشال مجوز الجنوب ، لشدة
صفرتين الضاربة إلى الحمرة ، لم يفهم هذه الاشارة
وسارع إلى الخروج

وبعد بركة قصيرة نهض مستر هولز وأشار على
بمراقبته إلى الطريق فلما بلننا آخر بيكر ستريت من
ناحية الجنوب انحدرنا إلى النفق الأرضى الذى يؤدى
إلى محطة بيكرلو ستريت ولما بلننا آخر النفق ركبنا
القطار الذى يصل بنا إلى محطة ترافلجار سكوير .

وكان القطار يصل إلى تلك المحطة فى فترة من الزمن
لا تزيد على عشرين دقيقة . فلما وصلنا إلى المحطة
وجدنا زحاما شديدا من رجال الشرطة والمستقلين
وخليط المسافرين . وسرطان ما وصل هولز إلى وسط
المحطة ثم عاد متمتع الوجه متمكلا وأخذ يبدى
ليخرجنى من المحطة فلم أجبر على سؤاله عما رأى .

وسرنا صامتين مسافة ليست بالقصيرة ثم عدنا أدراجنا
بإشارة من هولز إلى السكان الذى كنا فيه فكانت
للشرطة تمكنت من تفريق التجمهرين حول الجثة ...
نم كانت جثة . ولم تكن سوى جثة المفتش جيمستون
نفسه . نم جيمستون الذى أنذره هولز بالموت بأبدى

الصورة لأتمكن من متابعتهم والاختلاط بهم .
ولكننى علمت أنهم غيروا هذا الزى وأن زعيمهم
كابتن شانون قد أقسم أن يقضى علينا نحن رجال
سكوتلانديارد فردا فردا

فنظر هولز إلى هذا المفتش جيمستون نظرة
دهش وقال له : ومن أين لك أن زعيمهم هذا
السكابتن شانون الذى أنذركم بالفناء ؟ إعلم أن كابتن
شانون هذا ليس إلا ... ولكن قبل أن أقول لك ،
أمكنك أن تدلى على عنوان ذلك الرجل أو ما ظننه
مقرا له ؟

فاعتدل المفتش جيمس فى مجلسه وقد بدأ رجلا
عاديا بمد أن خلع غشاء الشعر المصطنع وأخرج
من جيبه كنانة صغيرة وقلب فى صفحاتها ثم قال :
— إنه يسكن بيتا فى هادلورث جاردز فى
بلا كبرى ستريت

فضحك هولز ونظر إلي وقال :
— يظهر أن كابتن شانون جار عزيز لمستر
هامبشير دفالواليس

ولكن كلام هولز كان بمثابة الفلز يلقى على
مسمع من هذا الضابط السلم النية فلم يفعطن إلى
مقصده هولز وهو يريد أن يقول إن شانون وهامبشير
ليسا سوى اسمين لشخص واحد

وأخيرا نظر إلى المفتش جيمس وقال له : من
الغير أن نمود إلى حالتك الطبيعية مادامت تلك الطئمة
قد بدلت من استخفافها وغيرت ، فبقاؤك على هذه
الصورة يشكوكهم إذا لقيك واحدا منهم ، خصوصا
بعد أن أنذروكم بالقضاء عليكم . فقال جيمس :

هذه المصيبة الخطيرة ذات الرؤوس الحراء .

هولز كان الرجل الوحيد الثابت الجأش .

فلما دنا مستر هولز من الجثة رأى أن نصف
الجمجمة الشقراء مزروع من وجه الرجل وقد دُمغت
وجتته بحرفين G. I. الجسم والآى . وكان القتل
مطبقاً يده على ورقة بيضاء فتناولها هولز . وقد أذن
له الأحراس ، وهم يعرفون قدره ويعلمون مكانه
القيمة في الفن الذى احترقوه حين أنه لا يزال
فيه هاويًا .

وقد أخذ ييدى بمدآن استولى على الورقة التى
كان القتل مطبقاً يده عليها . وقادنى إلى سرداب
يؤدى إلى مصنع صغير ملحق بملك المحطة وهناك
وجدنا المال فى هرج ومرج فقد وصل
إليهم أن الانفجار حتى أن أقذاح الشاى التى كانوا
ملاؤها وأعدوها للشراب حتى اهتزت ثم انقلبت
وأفرغت ما فيها . فلم يشعر هولز بشيء من الدهر
الذى انشتر على سطح الأرض طبقة أعلى من الطبقة
التي يعيشون فيها تحت مجرى نهر التيمز بأربعين
متراً . غير أنه رجاء أن يدلونا على أقرب طريق
للمسود فقادنا رئيسهم إلى الصمد الكهربائى وكان
الأول من نوعه فقد ارتقى بنا فى خمس دقائق إلى
ترافلجار سكوير وكان الناس يتجمعون ويفرقون
ويتهايمسون تارة وتارة يبادلون الكلام بأسوات
مرقمة .

ثم انحنى مستر هولز على وجه مفتش الشرطة
القتيل وهو يتم النظر فى الحرفين المنقوشين على
وجتته وعند ما حضرت زوجة المقتول وابنته وولده
الصغير وأخذ هذا الأخير يمول : داذى^(١) ، كنت
ألح دمة تجول مرتدة فى جفون مستر هولز ولكنها
لم تغفل من مآق هذا الرجل العجيب ، وكان أول
عمله بعد أن نهض محاولته تمزيق تلك الشابة الترملة
ومداية التيم الصغير ، ثم أخذنى جانباً وقال لى :
هل حذرت مدلول هذين الحرفين G. I. فقلت :
أبدأ ولله اسم القاتل أو الجمجمة التى تضمه بين
أعضائها . فهز هولز رأسه أسفاً . وإنتا لكنك
وإذا بصوت انفجار عظيم لم يسمع مثله من قبل
وقد تلت أسوات صغير واستأنثت ودوى وصراخ
وأجراس وقد كان هذا الانفجار قريباً منا بحيث
خيل إلينا أن عجلة الليترو پوليتان التى نحن بها
سوف تنك دكا وتزل من الوجود ونحن معها .
وقد أساب المال والجنود والمسافرين الداهيين
والراسلين من الدهر ما لا يمكن وصفه . غير أن

قلت لهولز : ما بال القوم هكذا

قال : اشتر لنا صحيفة . فعملت برأيه وعدت
بمعد من جريدة « ويلي لاير » . فقال لى هولز :
ألم تعلم تفسير حرفي G. I. إنهما رمز لجورن إرن
أى إيرلاندا الخضراء فالقاتل تابع لجمجمة القوضيين
الآيرلنديين . وهذا المنشور الذى كان القتل مطبقاً
يده عليه فيه بيان للناس . ولكن اقتنع لنا الجريدة .
فألقاها :

سلسلة من الاعتداءات

الفاجعة فى عاصمة

الأمبراطورية البريطانية

(١) تدليل لفظ والد عند الانجليز

الارلنديون يسفون الباني

ويعرضون سلامة البلاد للخطر

دخلت البلاد الانجليزية في الشهرين الأخيرين في أزمة سياسية لم تقع في مثلها منذ سنين بل منذ قرون ، فأفضنا كما أفاضت جرائد العالم المتحضر بأخبار المنازعة الهائلة التي يخشى أن تنتهي بحروب داخلية تسمى مشكلة إيرلاندا ورغبنا في الاستقلال التام في تلك اللحظة مر بنا رجل أشقر يسير مسرعا ويترك وراءه أوراقا مطبوعة كالو أنها وقت منه

عقوا دون أن يقصد إلى توزيعها بين الناس فلمت عيننا هولز وجري بسرعة النزول والناس من حوله يتفقدون كأنهم يفسحون له الطريق دون أن يملوا غايته . فتمتته بنظري أولا ثم بساقى وقدي حتى كدت أدركه قافا مركبة حامية على باب شارع كروس ستيتش أقرب محطات السكة الحديدية إلى ميدان طرف الفار ولم تكن تلك المركبة سوى زبال عتيق بين هولز والرجل الأشقر الذي كان قد أشهر مسدسا . ولكن هولز أتى بحركة صراع يائسة من نوع الجيو جيتسو التي كان يتقنها . ونزع سلاح الرجل ثم سلمه يدا بيد إلى نفر من رجال البوليس الذين همروا إلى مكان الحادث ، وناولوا أحد الشرطيين بطاقته وانقلت إلى وقادني بضع خطوات ثم قفزنا في حربة من طراز هانسوم كاب ميممين شطر هايد بارك فترجلنا عند ماربل آرش وقال لي هولز :

يجب علينا أن نبتعد من منزلنا بضع ساعات فان هذه المصيبة قد عرفتنا ، وتوجهنا نوا إلى كوين آتر ما نشتر ، قد دخلنا في جهو الشاي الذي ينتسب إلى

شركة ليونز ثم قدم هولز إلى ورقة القليل قافا بها منشور إيرلندي جاء فيه :

جبرن ادن

السواد الأعظم من الشعب الارلندي ساقى الأسر يرجع نسبه إلى أوائل من توطنوا القارة الأوروبية . ونحن وسكان مقاطعة برتانيا الفرنسية (التي ينتمى إليها إريستيد بريان ميرير ^(١)) جمهورية فرنسا (المثلون الباقون لذلك الجيش ، ونحن أصحاب خيال وعممية وعنصرية وجاهلية . وفيما ميل طبيسي للبطن والحرب .

يدك أيها القاريء الانجليزي على ذلك أن أعظم اللقود في جيوشكم إيرلنديون ومنهم ولتجتون ونلسون وكلتشر ودوبرتس وفرنش ، وليس أسهل لدينا من أن نتقا هينى خصمنا لأقل سبب وقد قلنا شهرة من هذا القبيل لا سيما في الولايات المتحدة حيث نهاجر كل عالم زراعات فرارا من الجوع والفقر ، والجوع والفقر هما البليتان اللتان جليتهما علينا أبحارة الفئنة المنتمة التي بأكل أهلها خمس مرات في اليوم الواحد في حين أننا لا نجد قوت وجبة واحدة . إننا في حالة يرثى لها من الفقر نحن سكان مونستر وليستر وكونوت ونحن في غاية البؤس ، وما تاريخ بلادنا منذ فتحها قبل سبعمائة عام سوى ثورات ومذابح متوالية . لقد كان أجدادكم يذبحون أجدادنا ويطردونهم إلى الجبال والقفار ويتملكون أراضيهم ويحولون محلمهم أناسا من بني جنسهم ودينهم . فحقن لا ننسى معركة

(١) رئيس وزارة

وبعد أن شربنا الشاي نهضنا وقصدنا إلى شارع
كنجزواى الذى يتفرع على رجحت ستريت وسرنا
كبعض الناس لانفت نظر أحد إلينا غير أننا لم نكد
نخطو بضع خطوات حتى سمعنا بأمة الصحف يتادون
بأرفع الأصوات :

« فرار المجرم فى حادث القنابل المفرقة بعد
التبضع عليه . ذهول رجال البوليس . توزيع
منشورات مثيرة للغواطر . اقرأ آخر أبناء المصابة
الجراء »

فنظرت إلى هولز مستفسراً ، فقال لى :

— لقد انتصرتنا وأنهم سكونلانديارد !

محمد الطغى محمد

يون التى فاز فيها الملك المنتصب الظالم ويليام أوف
أورانج علينا . إن يوم الست الذى يمتش ذكرى
هذه المعركة يمتعشنا نحن أيضاً ويدفعنا إلى
الانتقام . لقد عانينا من نفاقكم ما عانينا ولم يبق
لدينا إلا الانفجار الذى يقبب الضفط فاستمدوا لحرب
شمواء على عقرداركم ، أو اعترفوا بحرية إيرلاندا .
إن النزاع المائل القائم اليوم فى لندن لن ينتهى
بدون أن ننال ثمرة جهادنا الطويل »

الامضاء

G. I

فدهشت من زكاة هولز وذكائه وتواضعه ،
فانه لم يتسم ولم يتكلم ولم يفخر بوصوله إلى هذه
الحقيقة قبل أن يصل إليها أى رجل آخر فى عاصمة
بريطانيا العظمى

هدايا الرسالة

من دفع اشتراك الرسالة على حسب الشروط التى نشرناها لابد له الحق فيما يأتى :

الكتب المنخفضة :

يشترى من ادارة الرسالة الكتب الآتية بالثمن المنخفض

قرش صاغ قرش صاغ
مجموعة السنة الواحدة من الرسالة
مجلة فى جزأين ... ٦٠ بدلا من ٧٠
مجموعة السنة الواحدة من الرواية
مجلة فى جزأين ... ٢٠ بدلا من ٣٥

الكتب المجانية :

كتاب سياسة التد لمرتب بك بطرس غالى
رسالة المنبر لفلنكس فارس
هكذا أغنى لمحمد حسن اسماعيل
قصة الأميرة لجميلة الملايلى

قرش صاغ قرش صاغ
كتاب الفصول والفايات ٢٠ بدلا من ٣٠
التصوف الاسلامى ٣٠ ٤٠
تاريخ الأدب العربى ١٣ ٢٠
التفكير الصليبي ٥ ١٥
فى أصول الأدب ٥ ١٥
رفائيل ٦ ١٢
آلام فرتر ٦ ١٥
حياة الراشدى ١٠ ٢٠

أجرة البريد فى الداخل أو فى الخارج على المشترك

الانتحار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

ما أملك . وأفتت من نوى ذات
صباح كيلا أجهد من سوى
انني عشر فرنكا مع أنى مدين
لصاحب المنزل الذى أقم فيه
بخمسة عشر فرنكا ؛ ذلك
اختبرت مسدسى فالفنته زخر
بسترسايات قوائل كانت فى ظنى
كافية لتزيق رأس فارغ كراسى

وفتحت نافذتى . كان « صباحى الأخير »
رائعا جيلا فالسواء زرقاء صافية والأمواج خضراء
هادئة والنسيم يسبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج
وغادوت المنزل إلى الشاطئ لأملا صدرى
للتفعل بهذا النسيم التى الفواح ... بيد أنى كررت
فاندا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوها
شديدا ، وفى أثناء عودتى ابتعت صحيفة سان رومانو
الحلية ، وهى صحيفة مثيرة ، مجلة بالسواد كأنها
رسالة حزينة

وراحت أقلب صفحاتها إبان الطمام فاستدعى
نظرى عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بمناطرى
دون أدنى انفعال : « هنا سيملى خبر موتى
أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر
سلفا محرر هذا الباب الذى سيملى نبي فى هذه
الصحيفة .

وعلقت عيناى بنجر انفرادى بلاملة الصليب فى
صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو
جا كويسن - أمرىكى الجنبى - معلقة فى إحدى
التنخيل الذى ينمو على الشرفة - وقد وجد فى
جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك - طبعا »
جوسو جا كويسن ؟ إنى أعرفه . بل لقد

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه
يدرك الانسان المنى الذى تنطوى عليه كلات فلوير :
هنالك بقاع فى العالم يود المرء لجلالها وروعها لو يضمها
إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن
سان رومانو وأأسفاه تشبه أيضا ثمة لدة قواحة
لا يجسر امرؤ على تدوقها مخافة الموت الذى يقطر
من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة
الخلافة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس
فى جنبات المدينة تقابلك الوجوه الداملة واللامع
البائسة والعيون الحيرى الأسفة ... وفى كل مكان
منها تظالمك كلات السخط والتبرم : ألا ليقى وضعت
على رقم ١٧ ... أه هذا الأحمر اللعون ، لقد كسب
عشر صرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على
الأسود .

ولم يكن فى البلد كله من يلقى أدنى التفاتة
إلى المناظر الساحرة الأخاذة التى تنتب فيه . كانت
الأرض عديم « روليت » ضخمة ، والسما صفحة
كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠
وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛
إذ خسرت مبلغا لم يكن جد كبير غير أنه كان كل

— بروية وإيمان — خطة السير في انتحار يهود
على برج وفي

وفي مساء هذا اليوم بينته ذهبت إلى الكازينو
مرتبداً أجل أنواب وقد أبنت للأنثى جئت أجازف
بآخر ما بقي .. وأنى سأموت هماً وخملاً إن لم أرح
وطارت المائة فرنك ... فبدأ على الانزعاج في
بأى الأمر ... ثم انقلبت أتملأ فاضباً حنوقاً ...
وأخيراً بدوت كالسائل المأخوذ

ورثي لحالى شاب قامت بيني وبينه معرفة ،
وسألني ما الخبر فأبأنه بتبرأت حزينة يائسة أنى
أفلست ، فأخذ يواسيني ويخفف عني ثم قال :

— لا تياس فما زلت تملك نفقات السفر إلى
وطنك . إن الكازينو — في هذه الحال —
يطوع بـ ... فقاطعت يأس قائلاً :
— إن السفر الذي أزمه لا يحتاج إلى « تذكرة »
فقطر إلى مشدوها وقال :

— لا أحسبك جاداً في هذا القول ... أمل
ألا تكون قد جفنت

فطلعت صامتاً ، ثم أدت له ظهري ورحلت
أجبل بصرى فاهلاً في أرجاء المكان بضع دقائق ..
وقد لحت أصحاب « الكازينو » راقبوني من طرف
خفى . وانفطر عقد اللاعبين في الساعة الحادية
عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علامة
الدول والياس والتفكير

وكانت الليلة رائحة جميلة وللمر بدرأ باقى بأشمته
الفضية الناعمة على الأرض للشجراء والبحر الأزرق
الساكن . وبلغ سمى «أموات كان حنون بنوح
عاشقة يائسة . وجلت وجهي — وقد أجمت أمسى —
حرساً قريباً من الكازينو ، بقمة هادئة تمد بحني

خسراً لكل تقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمنى القريب
جنباً خسراً آخر فلس ممة رأيت بهتد في عنف
وحسرة ، ثم أمسك يدي وهزها بحمارة ونظر
إلى بحرن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد
دعرت ... دعرت تماماً ... واهاً يا صديقي ...
ومن ثم ذهب فشقق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يموتوا في جيبه على
ثلاثة آلاف فرنك ... وماذا تمى بحق الشيطان
هذه الكلمة « طبعاً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق ..
يالى من غيبي كيف لم أظن إلى ذلك من قبل ...
لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا
المال في جيبه لتضليل الناس وحلهم على الاعتقاد أن
انتحاره لا يرجع أبنته إلى خسارته بل إلى أسباب
شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف التفت إلى رحت
أفكر ! كم باترى يدسون في جيبى إذا حزمت أمسى
وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت
بقدر ما خسرت جا كورين ... وسريت إلى رأسى
فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة
ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد
يكون ثابتاً ؟ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق
وأكدت له أنى سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :
— هذا إذا بقيت حياً ...

— إننا نثق فيك كل الثقة يا سيدي
— إذن فأفرضنى مائة فرنك حتى المساء ...
إنى أنتظر وصول مال من باريس
— بكل سرور يا سيدي
وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت

— لتكبرى الأمن ؟ قول ظريف سيفديو
ولا صراء حديث المومس
قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهري واتخذت سبيل
ضاحكاً من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول
وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسدت ديونى من الآلاف
الثلاثة التى أخذتها مقابل قياى بدور الانتحار . وقد
بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال ؛
ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إطاعته ، إذا عتبرت
أن هذا المال من حقى ، وأبقت فضلاً عن ذلك أن
ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لاحتجاري
وقد عمدت إلى إغاثتهم ببقاى فى سان رومانو
بضمة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت
بمدها إلى باريس ... وقد سمعت أن المبلغ الذى دُس
فى جيبى قد رُد إلى الكازينو أضماً مضاعفة .

محمد عبد الفتاح محمد

أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمته ؛ وكان ثمة تمثال
من الرخام لثانية من غوانى البحر بدا كأنه يتسم
وأنا أوشك أن أقوم بدوري
. ودوت فجأة طلفتان ناريتان ، وسقطت على أحد
المقاعد ووضعت مهنلاً وانتظرت . واقتربت منى أصوات
وسقطت على عيني السبطين خلال القبيل
— يا إلهى ! إنه هو ...

— بالسكين ! لقد قسى على نفسه برصاصتين مكال
وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :
— هلم ... أسرع قبل أن يأتينا أحد . تبأله
من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !
ثم انحنى فوق فشرت كأنها الدس شى فى جيبى
هناك ارتدت قليلاً ... وتأوت مرتين ،
ثم فتحت عيني ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى
بستياة وحرص ناظراً فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد
حولى . وفى عدم أكثر انحنى أخذت قيمتى
والمسدس الذى كان مازال يلغظ الدخان من فوهته
وانتصبت واقفاً

وكان الحشد ينظرون إلى كأنى حيوان غريب
الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالحب والاستفهام ...
وقلت فى غضب :

— عجباً لكم يا قوم ! ألا يستطيع الرد قتل نفسه
بيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثله هذا والله
واقترب منى أحد أصحاب الكازينو بقتض من
شدة الغضب وقال فى تلمس واضطراب :

— سيدى للفضائل ... أرجو ... هل ...
إذا ... ماذا تصد بهذه الهزة ؟ سأفودك إلى البوليس
لتكبرك الأمن

رفائيل لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم
أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الرقم ١٢ قرشاً

الرجل الحففي

للكاتب القصصى جابر كيت تشستر
بقلم الأستاذ عبد الحميد حسدى

جذابة لأنظار الشباب من تجاوزوا
هذه السن الصغيرة ، فقد وقف
أمام الحانوت فى لا تقل سنة
عن الرابعة والعشرين ، يحدق
بنظره فى وراء الزجاج ، وقد
بدا الحانوت ، فى نظره هو أيضاً ،
قطعة من الجبال النارية تخطف
الأبصار ، وقد لا تكون الشكولاتة

وحدها هى التى استرعت أنظار الفتى وإن لم يكن
هو على أى حال عن يمينه من هذا النوع من الحلوى .
كان الفتى طويل القامة جسيماً ، أحمر الشعر ،
تبدو على وجهه دلائل الحزم ، ودبح الخلق وكان
يتأبط حافظة رمادية كبيرة تضم بين دفتها عدداً
من الصور الفضية ، التى كان يبيعها للناشرين
بأعنان لا يهمل أن تكون غالية أو رخيصة ، وذلك
متدأناً حرمه عمه (وكان من أصدقاء البحر) ميراثه
لخلاف بين رأييهما فى النظرية الاشتراكية ، وكان
الفتى ، واسمه جون تيربل أنجوس ، قد أتى محاضرة
فى هذا الموضوع

انتهت وقفة الفتى أمام الحانوت بدخوله واجتيازه
للقسم الخارجى المروضة فيه الحلوى ، إلى الرفقة
الخلفية التى جعلت مطعماً تقدم فيه أنواع الفطائر ،
رافساً قمته بحبة لفتاة الشنتل بتلبية مطالب رواد
الحانوت ، وكانت فتاة سمراء رشيقة متيقظة ترتدى
ثوباً أسود مزقزعق اللبافة ، سريعة الحركة سوداء
المينين ، وبعد الفترة التى تعقب دخول الزائر عادة
لحقت الفتاة بالفتى لتتلقى أوامره

وكان طلبه من اللبائبات العادية إذ قال :

— أرجو أن نجيبى بكمكة صغيرة وفنجان

من القهوة السوداء

فى ساعة النسق ، وقد رطب الجو ومال لون
الوجود إلى الزرقة الفاتحة ، بدا حانوت الحلوانى ،
القائم على ملقى شارعين متقاطعين فى بلدة « كامدن
تون » كأنه شملة سيجارة وهاجة ، أو بعبارة أدق
فى الوصف ، كأنه رأس عود من أعواد الألباب
النارية ، فقد كانت مصابيحها مختلفة الألوان مشبك
بعضها فى بعض ، تنكسر أشعتها على كثير من
المرائى ، وتناوج على كثير من الكمك والحلوى
اللوثة بألوان الذهب وغيره من الألوان البهيجة ،
وفى هذه الواجبة الزجاجية الواجبة تلتصق أنوف
كثيرين عن تبرهم الألوان الزاهية ، فقد كانت
قطع الشكولاتة ملفوفة فى ورق ملون بالأحمر والذهبي
والأخضر إلى آخره من الألوان المدنية التى تفضل ،
فى نظر الصغار ، قطع الشكولاتة نفسها . أما كمكة
الزفاف الكبيرة البيضاء فكانت منظرها كافياً
لأن يرسم للمعين صورة من القطب الشمالى وقد استحال
إلى مادة مما يأكل للناس . وكانت هذه المجموعة
من التزيات التى انتظمت ألوان قوس قزح كافية
لأن تجذب إلى واجهة الحانوت كل أطفال
الحى الجاور من سن العاشرة إلى الثانية عشرة .
على أن هذه التلعة من ملقى الشارع كانت كذلك

الترتيب الفتيق وضع الكمكة الكبيرة البيضاء التي كانت زينة الواجبة

فقال الفتاة مضطربة :

— أي شيء هذا الذي تفعل ؟

فأجاب :

— أحمل الواجب يا عزيزتي لورا

فصاحت الفتاة به :

— بالله قف لحظة ولا تخاطبيني بمثل هذه العبارة

إني أود أن أعرف معنى هذا كله ؟

— هي وليمة احتفاء يا مس هوب

فأشارت الفتاة إلى الكمكة الكبرى وقالت وقد

نقد صبرها :

— وما هذه ؟

فأجاب الفتى :

— هي كمكة الزفاف يا مسز أنجوس

فأخذت الفتاة الكمكة وأعادتها إلى مكانها في شيء

من الاتعمال ثم عادت فأستندت مرفقها الجميل إلى

المائدة ونظرت إلى الفتى نظرة إن تجردت من معاني

البغض فقد جمعت بعض معاني النفيظ وقالت :

— إنك لم تترك لي وقتاً للتفكير

فأجاب :

— أنا لست ذلك الفتى الذي يترك لك الوقت

للتفكير . وهذه هي عقيدتي المسيحية

وكانت الفتاة لا تزال عذقة في وجهه وعلى فيها

ابتهامة انطوت ورواهها معاني الجسد ، فقالت في

صراحة :

— قبل أن تمضي لحظة أخرى في مثل هذا

السخط يجب أن أخبرك في اختصار عن شيء

يتصل بشخصي

ولم تكد الفتاة تلتفت لأخذ طريقها إلى حيث تحضر له ما يطلب حتى أضاف إلى جلسته السابقة قوله :

— كذلك أريد أن تقبلني زوجاً

فجمدت الفتاة فجأة في مكانها وقالت :

— هذا مزاح لا أسسته

فرفع الفتى الأحمر الشمر عينيه الرماديتين وقد

بدا فيهما من معاني الجسد والفرح ما لم يكن متظراً

وقال :

— إني أقصد ما أقول صدقاً وحققاً ، وأنا جاد

في قولي مثل جدتي في طلب الكمكة وما أطلبه غال

غلاء الكمكة ، فاني أدفع له ثمناً ؟ ثم هو عسير المضم

مثل الكمكة أيضاً وهو إلى جانب ذلك موجه . . .

لم تحول الفتاة السمرء عينيها لحظة عن الفتى

في أثناء حديثه ولكن لاح عليها كأنها تفحصه فحصاً

دقيقاً تتجلى فيه معاني الأسمى ، وما انتهت من هذا

الفحص حتى جلست على كرسي بالقرب منه

فقال أنجوس وهو شارد الفكر :

— ألا تزين أن من الفسوة أكل هذه الكمكات

الصغيرة ؟ أليس من المحتمل أن تنمو فتصبح بعد

حين كمكات كبيرة ؟ لقد اعتزمت الامتناع من هذا

النوع من الرياضة حتى تنزوج

وقفت الفتاة وانجبت إلى الواجبة الموضوع

فيها الحلوى وقد بدا عليها أنها منهكة في تفكير

عميق ولكنه غير كرمي . فلما عادت إلى حيث الفتى

وقد ظهر عليها أنها اعتزمت أمراً ، راعها أن وجدته

ينظم فوق المائدة ، في كثير من العناية ، مواد عديدة

أخرجها من واجبة الحانوت ، بينها هرم كبير من

الحلوى اللزنة ، وكثير من أطباق السندوتش ،

وأعلى الفطائر المصنوعة بالفاكهة . وفي وسط ذلك

وحتى هؤلاء لم يكونوا كثيرى للتردد على فندقنا ولكن كان بينهم اثنتان عاقلين فى كل ناحية من نواحي الحياة .

كانا يمشيان على ما لهما من مال وكانا كسولين كسلا يضابق الذى يماشرهما ، وقد تمودا أن يرتديا من الملابس أكثر مما يدعو إليه الحاجة . هل أنى كنت أرثى لحال ذينك الرجلين ، إذ كنت أميل إلى الاعتقاد بأنهما لا يأويان إلى مشربنا الصغير الخالى إلا لأن كلا منهما مصاب بنوع من اللتشفه يضحك منه الأخلاف من الناس . على أن أستمال كلمة

« تشوه » فى وصفهما قد يكون فيه شيء من التجاوز وقد تكون كلمة « شذوذ » أقرب إلى وصف حالهما ، فقد كان أحدهما صغير الجسم صفراً مدهشاً يكاد يكون قزماً أو غلى الأقل « ركيكاً » من أصغر « ركية » الخليل أجساماً . ولو أن منظرة لا يتفق فى قليل أو كثير مع منظر « التركيب » ، كان مستدير الرأس أسود الشعر مستيقاً بقص لحيته الكتنة

السوداء ، ذا عينين تشبهان فى بريقهما عيون الطيور يحمل فى جيبه كثيراً من النقود ويطلق بصدره سلسلة ساعة كبيرة من الذهب ، ولم يحضر صرة إلا صردياً أغفر ما يستطيع أن يرتدى من ملابس ، على أنه لم يكن بالرجل الأبله وإن يكن كسولاً إلى أقصى حدود الكسل ، ولكنه كان من ناحية أخرى بارعاً فى كثير من الأمور التى لا فائدة منها ، أكثرها ألعاب بهلوانية ، كأن يحمل خمسة عشر هوداً من الكبريت يشتمل أحدهما من الآخر على التوالى على غرار الألعاب النارية ، أو يقطع ثمرة الموز أو ما يشبهها على مثال اللروس الراقصة التى يلبس بها الأطفال ، وكان اسم هذا الفتى إيزيدور نمت ، وإنى لا أزال

بأجيب آميوس فى لهجة الجذ :

— يسرنى أن أسمع ما تقولين ، فقد تقولين كذلك فى الوقت المناسب شيئاً عن شخصى أنا ... فأجابت الفتاة :

— بالله احفظ لسانك وأصغ إلى فليس فيما أقول ما يجتلى ، بل وإنه ليس بالأمر الذى آسف له على وجه أخفى ولكن ما قولك فى أمر ليس هو من عملى ولكنه السكابوس الذى يلازمى ؟ فقال الفتى جاداً :

— فى هذه الحال أقترح أن تبيدي الكلمة إلى هذه المائدة
فكانت الفتاة فى إلحاح :

— يجب أول كل شيء أن نصنى إلى قصتى . وليكن أول ما أرويه لك أن أى كان يملك الفندق المسمى « بالسمة الحمراء » فى لودبرى وقد تموت أن أبى طليات الملاء فى الشرب فقال الفتى :

— لقد كنت جاعاً أعجب لماذا أشعر بروح مسيحي يرفرف على هذا الحانوت وحده
فصت الفتاة فى حديثها تقول :

— ولودبرى قرية صغيرة هادئة خاملة فى المقاطعات الشرقية ، وكان الملاء الوحيدون الذين يقدون على فندق « السمة الحمراء » هم التجار المتجولون ، آمنين عداهم فأبغض من يمكن أن ترى من الناس ، وفى اعتقاده أنك لم ترقط أحداً من هذا الصنف من المخارقات ، فهم رجال مثالى الأجسام مرديون لهم من المدخل ما يمكنهم من أن يمشوا بين احتساء الخمر والراحة على الخليل مردين أحقر الملابس التى تمد فى الواقع أحسن ما يليق بهم .

من الغير كاللادى يعيشان منه . وبعد يومين من هذا الحديث بدأت الشاب تتوالى ، فقد كان أول ما سمعته أن الفتيتين قد غادرا القرية ليشقا طريقهما في الحياة كما لو كان الأمر قصة خرافية ومن ذلك التاريخ حتى هذه الساعة لم أر أحدهما . ولكني تلقيت خطابين من الرجل الصغير الجسم المسمى اسمت ، والحق أنهما كانا خطابين شائقين إلى مدى بعيد فسالها انجوس :

— ألم تسمى قط شيئا من الرجل الآخر ؟

فترددت الفتاة لحظة ثم قالت :

— كلا، قائم لم يكتب إلى قط ... وكان الخطاب

الأول من اسمت قاصرا على قوله إنه خرج من القرية مع « ولكن » ماشين على الأقدام في طريقهما إلى لندن ، ولكن « ولكن » كان سريع الخطى صبوراً على المشى فلم يستطع هو أن يجاريه وسقط متعباً فجلس في جانب الطريق يستريح حيث التقطته فرقة من المهرجين الذين يفرضون ألعابهم على أنظار الجمهور ، فكان مشر جسمه الذى يجعله أقرب إلى الأقدام ومهارته في الألعاب البهلوانية الخفيفة سبباً في حلوله بين الفرقة محل النباة حتى لقد أرسل بمد قليل إلى الأكوادوم لمرض يمرض الألعاب التى نسيها . وهذا هو كل ما احتوى عليه خطابها الأول . أما الخطاب الثانى فكان أشد تشويقاً وإدارة من الأول ، وقد تلقيته في الأسبوع الماضى فقط

جبرع الفتى المسمى انجوس ما بقى في فتجان القهوة ونظر إلى الفتاة بمنين يجلت فيها معنى الرواعة والعصر ، وما استأنفت حديثها حتى افتر ثغرها عن التهامة خفيفة وقد قالت :

أتمثل صورته وهو مقبل على الخزانة محمكا في يده خمس سبجات على مثال ابن آوى في قفزانة « أما الشخص الآخر فكان أكثر هدوءاً كما كان أقرب إلى الرجل العادى من صاحبه ، ولكنه قد أزعجني بطريقة ما أكثر مما أزعجني اسمت الضئيل المسكين . كان مفرطاً في طول قامته نحيف الجسم ، خفيف الشعر ، أنفى الأنف لحد يستريح النظر ، وكان من المحتمل أن يبدو حسن المنظر في عين من يراه لولا ما في عينيه من حول لم أر أو أسمع بثله في إنسان سواء ، فهو إذا نظر إليك مباشرة لم تعرف أن أنت واقف ولا عبرة بالنقطة التى يكون محمداً فيها . وأظن أن هذا السبب كان يؤلم ذلك الفتى إلى حد ما . ولما كان اسمت يمرض علينا ألبابه المختلفة لم يكن هذا الفتى ، واسمه جيمس ولكن ، يقدر على شيء غير أن يزرع غرقة الشرب حيث وذهايا أو يخرج إلى الخلاء فيقبل المشى لغير قصد معين . وفي اعتقادي أن اسمت أيضاً كان يشعر بما في ضالة جسمه من عيب ولكنه كان دائماً يحنى ذلك العيب بحفة ورشاقة ، لهذا كان من أكبر بواش اضطرابى وسيرتى أن تقدم لى الاثنان في وقت واحد طالبين يدى للزواج

والحق أنى قد أحبتهما ولا أزال منذ ذلك الحين أعد ذلك نوما من الحافة ، ولكن كان هذان الرجلان على أى حال صديقين لى ، ولقد أزعجني أن يسرب إلى ظنهما أنى أرفض الزواج منهما لشدة قبسهما . لذلك أردت التخلص منهما بطريق لا تؤذى شعورهما فقلت إننى قد اعترمت ألا أتزوج إلا من رجل يكون قد شق طريقه في الحياة بمجهوده فى اللبادة التى أدب بها ألا أعيش من مال موروث

نفسه فقد قضى عليه الآن نهائياً بعد أن تحدثت بأمره إلى شخص ثالث ، فان الانسان ليكاد يمين إذا هو عاش منزلاً عن الناس ، ولكن أئذ كربين الوقت الذى خيل إليك فيه أنك شمعت بوجود صاحبتنا الأحوال وسمعت سوتة ؟
فقال الفتاة فى غير تردد :

— لقد سمعت ضحك جيمس ولكن وانحما كما أسمع حديثك الآن ؛ ولم يكن هناك من أحد سوى فقد كنت واقفة خارج الحانوت على الناصية أستطيع أن أرى الشارعين فى وقت واحد ، ولقد نسيت كيف ضحك ولو أن ضحكته كانت غريبة مثل حوله ولم يختر ذكره على بالى حوالى عام كامل ، ولكن ما لا شك فيه أننى شمعت بوجوده بعد ثوان من تسلى الخطاب الأول الذى جادنى من مناضه فسألها أجوس وقد بدا اهتمامه بمجديتها :
— هل حملت خياله مرة على الكلام أو الصراخ أو أى شيء من هذا القبيل ؟

فارتجفت لورا فجأة ثم قالت بصوت غير مضطرب :
— نعم إننى لم أكده أتتبع من قراءة الخطاب الذى جادنى من إزبدور اسميت والذى أعلن فيه نجاحه حتى سمعت ولكن يقول « وعلى الرغم من ذلك لن ينالك » وكان كلامه وانحما كما لو كان جالساً مرفى فى الثرفة ... وهذا أمر صرّوح وإنه ليخيل إلى أننى قد جننت
فقال الفتى :

لو أنك كنت حقيقة مجنونة لفكرت فى أنك لا بد أن تكونى عاقلة . ولكن بلوح لى من غير شك أن هناك شيئاً عجيباً حول هذا السيد الخفى عن الأعين ، ورأسان خير من رأس واحد فلم سمحت لى أن أتى

— أظنك قد قرأت فى كل مكان أعد للصنع الاعلانات هذه الجملة « خدمة اسمت الصامتة » والإفانت الانسان الوحيد الذى لم يقرأها . على أننى لا أعرف نوع هذه الخدمة ، وكل ما أستطيع أن أفهمه هو أنها اختراع أشبه باختراع الساعة يؤدى جميع الخدمات البيتية بطريق آلية مثلاً « اضبط الزر بأنك الساق الذى لا يشرب أبداً » و « اليد تحضر إليك مشر خدمات لا ينازلى أبداً » هذا بعض ما نشر فى الاعلانات فلا بد من أن تكون قد قرأته . على أنه مهما يكن من أمر هذه الآلات فإنها قد جمعت ثروة طائلة لذلك التزم اسمت الذى عرفته فى لودزس وما أستطيع إلا أن أشعر بالسرور لتجاح هذا الفتى السكين ولكن الذى يزعجنى الازعاج كله هو أن يمود اسمت إلى هنا ليقول لى إنه قد شق طريقه فى الحياة وأنه قد فعل
فكرر أجوس سؤاله وقد بدا عليه نوع من الهدوء المريب :

— والرجل الآخر ؟

فهمت لورا هوب فجأة واقفة على قدميها وقالت :
— إننى لأظنك ساحراً يا سيدى . الحق أنك لى صواب ، فاني لم أرى حياتى سطرّاً واحداً من خط الرجل الآخر وليست عندى أية فكرة ولو غامضة عن كنهه ومكان وجوده ، ولكن هو وحده الذى أخافه ، فهو الذى يمترض طريقى دائماً ، هو الذى يكاد يذهب بعقلى ، بل فى الحق إننى لأظنه قد ذهب بعقلى فعلاً ، لأننى أشعر به حيث لا يمكن أن يكون ولقد سمعت سوتة حيث لا يمكن أن يكون قد تكلم
فقال الفتى وقد بدا عليه أثر الانشراح :

— حسن يا عزيزتى ، إنه لو كان هو للشيطان

طويل من الورق ملصق على ذلك زجاج ، فدهش
أنجوس لذلك فامن شك في أن هذه الورقة لم تكن
من لحظة موجودة حيث هي الآن ، وخرج إلى الشارع
وراء المليونير التمشط ولخص شريط الورق فوجد
طوله يبلغ حوالي ياردة ونصف الباردة وقد دهن
بالصمغ وألصق الزجاج ببناء تامة ، وقد كتب عليه
بخط مشوه : « إذا تزوجت من اسمت فسيموت »
فدأنجوس رأسه الأحمر الكبير داخل الحانوت
وصاح :

— لورا . . . إنك لست مجنونة

فقال اسمت في شيء من الحشونة :

— هذا خط ذلك الرجل « ولكن » ، إنى
لم أره منذ سنوات ولكنه مازال يضايقنى ، ففي الجمعة
عشر يوماً الماضية وجدت في مسكنى خمسة خطابات
تهديد منه وصلت إلى البيت بطريق خفية . ولقد
أقسم البواب أنه لم ير إنساناً ممن يمكن أن توجه
إليه أية شبهة قد دخل البيت . ثم هذا هو يلصق
على زجاج الحانوت هذا النوع من التهديد الملقى
بين القوم الذين في الداخل . . .
فقال أنجوس في تواضع :

— صدقت ! بينا القوم الذين في الداخل كانوا
يشربون الشاي . الحق ياسيدي أننى مسح بأسلوبك
في معالجة الأمور بمثل هذه الصراحة . ويمكننا أن
نتكلم في المسائل الأخرى فيما بعد . أما الآن فإن
الرجل الذى ألصق هذه الورقة لا يمكن أن يكون
قد ابتعد كثيراً عن هذه النقطة فاني أؤكد لك أن
هذه الورقة لم تكن حيث هي الآن عند ما جئت
إلى الواجحة منذ عشر أو خمس عشرة دقيقة
على الأكثر . غير أننى أرى من ناحية أخرى أنه

بكملة الزفاف مرة أخرى من الواجحة . . .

وبينا الفتى يتكلم سمع في الخارج صوت معدنى
رفيع ثم صوت عرك سيارة تجرى في سرعة شيطانية
حتى إذا وصلت إلى باب الحانوت وقفت واندفع منها
كالسهم فتى ضئيل الجسم على رأسه قبعة عالية لامة
فوقف في وسط القسم الخارجى

فقطع أنجوس حديثه وخرج إلى حيث وقف
القادم ووقف منه وجهاً لوجه . فكانت نظرة واحدة
كافية لأن تشمره بأن هذا القادم الجديد رجل ملك
للنزام هناك ، وقد عرف فيه أنجوس ذلك الشاب
إيزيدور اسمت الذى وصفته له لورا من قبل . هذا هو
اسمت الذى جمع من صناعة السائق الذى لا يشرب
والجارية التى لا تنازل ملايين الجنيهات . هذا هو
إيزيدور اسمت الذى يصنع المراسى من قشر اللوز
وأعواد الكبريت . وقف الرجلان لحظة ينظر أحدهما
إلى الآخر نظرة الكرم الباردة النارية التى نمت عن
روح المنافسة

على أن مستر اسمت لم يشرط إلى موضع المنافسة
بينه وبين الرجل الواقف أمامه ولكنه قال في شيء
من البساطة المزوجة بالحدة :

— هل رأيت مس هوب ذلك الذى الملصق
على الزجاج ؟

فكرر أنجوس قول الرجل في لهجة الاستفهام
— على الزجاج ؟

فقال المليونير الصغير الجسم
— الوقت لا يقسم لشرح أمور آخر فنهنا سخرية
حقاء تستدعى التحقيق

وأشار الرجل بصناه إلى زجاج الواجحة التى
أخرج أنجوس من لحظة أكثر محتوياتها فإنا بشرط

والحق أن هؤلاء الخدم الصامتين ليقتضون حاجاتكم بأسرع مما يقضها الخدم الأحياء لو أنك عرفت أى زر تفضط . على أنى لا أنكر أنه كالهذه الأدوات يميزاتها فإن لها أخطأها أيضاً
فسأله أنجوس :

— حقاً ؟ أهناك ما لا تستطيع أن تعمله ؟
فأجاب سميت في هدوء :

— نعم فإنها لا تستطيع أن تخبرنى من الذى ترك لى هذه الخطايات التهديدية فى بيتى
كانت سيارة الرجل صغيرة وسريعة مثله وهى كأدوات الخدمة من صناعته ، تقطعت بهما فى دقائق قليلة مسافات بعيدة فى ذلك الركن من إنجلترا الذى يشبه فى جمال مناظره الطبيعية ناحية ايدنبرج .
وأخيراً وصلا إلى هملدا مانسوتز ولا تزال فى الوجود بقية من نور النهار ، وما اجتازت السيارة للنبحى حتى رأى الرجلان فى إحدى ناحيتى الطريق رجلاً يبيع البندق وفى الناحية الأخرى جندياً من جنود البوليس ، وكان هذان كل من وجد فى هذه الساعة على مقربة من بيت سميت ، وكان شخصاهما ساعة النفس أشبه فى نظر أنجوس بشبهين من أشباح التنارخ ...

وقفت السيارة فجأة أمام البيت ، واندفع منها صاحبها يسأل صاحبةً طويل القامة يرتدى ملابس رسمية براقة ، وبواباً بلبس قصير الإكمام مما إذا كانا قد رأيا أحداً يدخل إلى البدار أو أن شيئاً غير عادى قد حدث فى أثناء غيابيه . فأكد له الرجلان أن لا أحد دخل البيت وأن لا شيئاً حدث منذ رأيا آخر مرة . فدخل هو وأنجوس إلى البيت واستقلا اللصم الذى اندفع بهما ساعداً فى سرعة البرق إلى الطابق الرابع

أبعد من أن نستطيع الحاقق به لأننا لا نعرف الاتجاه الذى سار فيه . وإذا قبلت نصيحى يامستر اسميت فأنى أنصح لك بأن تمهد بهذا الأمر إلى رجل إخصائى فى تقصى الأخبار وإنى أفضل أن يكون رجلاً خاصاً على أن يكون من أرجال الرسميين ، وإنى أعرف رجلاً ماهراً جداً فى هذه المهنة لا يبعد مسكنه عن هنا أكثر من مسافة خمس دقائق فى سيارتك واسمه « فلامبو » وعلى أرغم من أنه كان فى شبابه عموماً بكثير من الشكوك فأنه الآن رجل شريف جداً أمين وآراؤه تساوى المال الكثير ، ومقره فى لاكنو مانسوتز هامبستد .
فقال لرجل الصغير الجسم وقد تقوس حاجبه الأسود :

— هذا غريب فأنى أنا نفسى ساكن فى هبالايا مانسوتز بصد النحى . ولكم تكرم بمراقبتى ، فسأذهب إلى بيتى لأعداد هذه المستندات المعجبة التى جاءتني منه ولكن يئينا تذهب أنت لأحضار صاحبك البوليس السرى الخاص .
فقال أنجوس فى كثير من الأدب :

— أحسنت ، فكلما أسرعرت كان ذلك خيراً
وحيا الرجلان الفتاة ثم استقلا السيارة ، فما كادت تجتاز منعنى الشارع حتى رأى أنجوس اعلاناً كبيراً عن « خدمة اسميت الصامتة » وفيه صورة عروس كبيرة من الحديد من غير رأس تحمل فى يديها واه كبيراً وقد كتب عليها « الطامية التى لا تنضب أبداً » .

فقال الرجل اللتى ضاحكا :

— إنى أستعمل هذه الخفريات فى بيتى للإعلان من ناحية وللخدمة الحقيقية من الناحية الأخرى .

وقال اسميت لصاحبه :

— أرجو أن تفضل بالدخول والانتظار لحظة حتى أحضر لك خطابات ويلكن، وبمذلك نذهب إلى الناحية الأخرى من الطريق فتدعو صاحبك وضغط اسميت ذراعاً غتفياً في الجدار فافتتح باب مسكنه من تلقاء نفسه ، وبتفتح الباب على روعة صغيرة كل ما فيها من الأثاث صفان من الأشخاص الميكانيكية واقفين على الجانبين أشبه بنماذج الخافطين ، وهي مثلها بلا رؤوس وإن كانت بارزة الصدور مملوءة الأكتاف ، ولكل منها خطافان يملآن عمل الأيدي والسواعد في عمل الصواني ، وما كاد الباب يفتح حتى رأى اسميت في يد أحد هذه الأشخاص ورقة بيضاء مكتوبة بالحبر الأحمر لم يكن مدادها قد جف بعد . فاختطفها الرجل وتناولها لأمجوس وكان هذا هو نص ما كتب فيها : « إذا أنت رأيتها اليوم فساقتك »

وسكت الرجلان لحظة ثم قال إزبدور اسميت : — أنترب قليلا من الوسكى فاني أشعر أن في حاجة إلى القليل منه .

فأجاب أمجوس في شيء من الكآبة :

— شكراً ، ولكنني أفضل أن أرى فلامبو فهذه المسألة تزداد جسامه فلا ذهب لأحضره في الحال فقال الآخر وعليه من مظاهر الانسراح ما يدعو إلى الإعجاب :

— أحسنت فتحضره إلى هنا بأسرع ما تستطيع ولكن لم يكده أمجوس يقفل الباب الخارجي وراه حتى رأى اسميت قد ضغط أحد الأزرار فتحركت إحدى الجوارى الميكانيكية وتقدمت حاملة سبينة فوقها ممدات للشراب ، فشرع أمجوس يشرب .

من الخوف على الرجل الصغير أن يترك وحيداً بين هذه الميكانيكية التي دبت فيها الحياة على أثر إغلاق الباب

ولم يهبط أمجوس ست درجات من درجات السلم حتى وجد البواب منهكما في بعض العمل فأوصاه وهو يناوله قطعة من النقود بأن يبق في مكانه إلى أن يعود وأن يرقب أي أجنبي يصعد السلم ، حتى إذا خرج من باب المبرة أوصى الساعي الواقف أمام الباب بمثل هذه الوصية ، ومنه علم أن ليس للبناء باب خافي ، ولم يكنف بذلك بل دعا رجل البوليس الذي يمر في الشارع وطلب منه أن يرقب مدخل البيت إلى أن يعود ، وترك رجل البوليس إلى بائع البندق فسأله كم من الوقت يترتب البقاء حيث هو ، وكان الرجل قد رفع يافته مستعداً للذهاب لأنه يتوقع أن يتساقط الثلج . ولكن أمجوس رجاء أن يبقى في مكانه وأن يأكل كل مامسه من البندق وقال إنه سيطلبه جنبها متى عاد على أن يرقب المدخل ويخبره إن كان قد دخل البناء أي رجل أو امرأة أو طفل . فلما انتهى من إعداد هذه التحفظات سار معجياً بعمله فأنظر نظرة أخيرة إلى الحصن الذي أحاطه بهذا الجصار الحكم وقال يتحدث نفسه :

— لقد أحطت البناء بمقمة قوية ولا يمكن أن يكون هؤلاء الأربعة جميعاً من شركاء مستر ويلكن

كان مسكن مستر فلامبو في الطابق الأول من بناء لا كنو مانسوتز ، وكان بسيط الرياش ، فلاموسل إليه أمجوس تلقاء صاحب النار في غرفة فيها بضعة مقاعد وكل زيتنا أنواع من السيوف والقطع الأثرية للشرقية ، وكان يجالس فيها في هذه الساعة

فيس كاثوليكي كان وجوده في هذا المكان في نظر
أنجوس في غير موضعه
فقال فلامبو :

— هذا صديق الأب برون ولكن وددت أن
تقابله . الجو جميل البيلة ولكنه بارد قليلا بالنسبة
لرجل مثل من أهل الجنوب
فجلس أنجوس على أحد الكراسي الشرقية
وهو يقول :

— نعم الجو جميل وأظن أنه سيستمر ممحواً
ولكن القسيس أجاب في هدوء :

— لا ، فقد بدأ الثلج بتساقط
وفما كان قطع الثلج الذي تنبأ بائع البندق
ب سقوطها قد بدأت تصدم زجاج الشباك وتلتصق به
فقال أنجوس :

— الحق أني أتيت في مهمة خطيرة تدعو إلى
الامراع . والأسر ، يا فلامبو ، أنه على مسافة مرمى
الحجر من بيتك رجل أشد ما يكون حاجة إلى
مساعدنك ، فهو ملاحق ومهدد بعدو غير ظاهر
وشق لم يستطع أحد أن يراه

ولما بدأ يروي قصة اسميث وويلكن وعلاقة
لورا بهما والضحة الزمجة ، وفي الجملة تفصيل
ما سمعه ، بدأ الاهتمام الشديد على فلامبو في حين
جلس القس كقطعة من الأثاث لعلاقة لها بالحديث .
فلما وصل أنجوس إلى التحدث من قطعة الورق التي
وجدت ملصقة على واجهة الحانوت ثم فلامبو واقفاً
وكأنه قد ملأ الترفة بكتفيه المريضين وقال :

إننا كان لا يضايقك أن تروى لي بقية القصة
في أقصر طريق يوصل إلى بيت هذا الرجل كان
ذلك خيراً ، فانه يحيل إلى أن ليس لدينا منسع من

الوقت نضيفه في الحديث هنا
نوقف أنجوس وهو يقول :

— يسرنى ذلك وإن كنت الآن مطمئناً على
صاحبي فقد أوقفت أربعة رجال لمراقبة الدخل
الوحيد المؤدي إلى مسكنه

تفرج الرجلان إلى الطريق يتبعها القسيس
الضئيل الجسم كالكلب الأمين يتبع صاحبه ، وكان
كل ما قاله أثناء الطريق وقاله في أسلوب صريح هو :

— ما أسرع ما يتراكم الثلج على الأرض !
وقبل أن يصل الرجل الثلاثة إلى الشارع

الواقعة فيه البناية كان أنجوس قد انتهى من سرد
قصته ، فلما وصل إلى قريب من البيت تطلع يبحث
عن الرجال الأربعة الذين عهد إليهم بالرقابة ، حتى

إذا وجدهم حيث تركهم بدأ بسؤال بائع البندق الذي
أقسم مؤكداً قبل أن يسلم الجنيبه وبعد أن تسلمه
أنه لم ير أي زائر قد دخل البيت ، وكان رجل

البوليس أشد من البائع توكيداً ، وقد قال إنه تمود
معرفة اللصوص من كل نوع لا يخدعه تخفيهم
وراء الملابس الثنالية والقيمات العالية ، فهو لا يقتصر

في تعرف الشبهوعين بما يبدو من أحوالهم التي توجه
الشبهة إليهم ، وهكذا وكذا أنه لم يدخل البيت أي
إنسان ... أما السامعي ذو الملابس للراقة فقد كان

لا يزال واقفاً عند مدخل الباب يتسمم ابتسامته
المریضة ، وكان توكيده أشد من صاحبيه فقد قال :

— إن لي الحق في أن أسأل أي إنسان دوقاً
كان أو كتاباً ، ماذا يريد من دخوله هذه البناية ،
وإني لأقسم أنه لم يحضر منذ خروج هذا السيد

أي إنسان يستدعي الأمر سؤاله
وكان الأب برون واقفاً لا يكثر أحد لوجوده

وهناك وسط المدى حيث وجدت قطعة الورقة رأيي
أجوس على الأرض بقعة حمراء كأنها بقعة مداد
انسكبت من دواة ولكنها لم تكن من المداد
فصاح فلأمبو في لهجة جمت بين الضنب وبين
الألفاظ الفرنسية قائلا :

— جنابة قتل !

ثم انطرح على الأرض فاحصاً وبعد فترة كان
الرجلان يفتشان كل قطعة في البيت ليسترا على إزبدور
اسميت حياً أو ميتاً فلما لم يجداه أترأ ، ثم تقابلا وجهاً
لوجه بعد البحث الدقيق ، فقال فلأمبو مشكلاً بالفرنسية
من شدة تأثره :

— يا صاحبي ... إن القاتل لم يخفف وحده
ولكنه أخفى التتيل أيضاً

فنظر أجوس حوله في الترفة المظلمة وأحس
برعشة خفيفة داخل نفسه ، فقد كانت إحدى المدى
واقفة بحيث يسقط ظلها على نقطة الدم وكانت
ساعدها مرفوعة قليلاً ، فخطر له أن تكون هذه
الساعده هي التي أسابت اسميت فقتلته وهكذا تكون
المادة قد ثارت وقد قتلت هذه المخلوقات الآلية خالقها
ولكن حتى في هذه الحالة يستمرنا هذا السؤال
الطبيعي : « ماذا فعلت هذه المدى بقتيلها ؟ »
فألقى الوم الخفيف في أذنه هذه الجملة في لهجة
الاستفهام :

— أكانه ؟

فساخت نفسه لمجرد التفكير في أن جسماً بشرياً
يتلاشى ويهضم في جوف هذه الآلات الميكانيكية
واسترد أجوس ثباته بشيء من المجهود النفسي
وقال مخاطباً فلأمبو :

— نحن الآن أمام أمر واقع ، لقد تبخر الرجل

فلما سمع هذه الكلمات تدخل في الموضوع ، فقال
في لهجة فيها شيء من التهكم :

— إذن لم يصمد أحد الدرج ولم يهبط منذ
بدأ الثلج في السقوط ؟ ولقد بدأ على ما أذكر ونحن
في بيت فلأمبو

فقال الرجل الرسمي وهو يضحك ضحكة ذى النفوذ :
— لا يا سيدي ، لم يأت أحد قط إلى هنا ،
وكن واثقاً من قولي هذا
فقال القسيس وقد نظر إلى الأرض بينين
تشبهان عيون السمك :

— إذن إني لأعجب ، ما هذا ؟

فنظر الجميع إلى حيث ينظر القسيس فلفظ
فلأمبو بلفظة شديدة مشيراً إشارة فرنسية ، فقد
كان هناك بالنظر على الأرض وسط المدخل وبين
ساقى هذا السامعي الكبير الجسم آثار أقدام غبراء
فوق الثلج الأبيض
فصاح أجوس من غير قصد :

— إلهي ... الرجل الخفي !

ودون أن ينطق بكلمة أخرى اندفع ساعداً
الدرج بتيمة فلأمبو ، أما الأب برون فقد بقي واقفاً
حيث هو ينظر إلى الشارع المنعطي بالثلج وكأنه قد
أهل شأن الطريقة

وكاد فلأمبو يكسر الباب بكتفه القوي ولكن
الفتى الاسكتلندي تمسك بيده إطار الباب حتى
عثر على الزر الخفي فضغطه فبدأ الباب ينفتح على مهل
وكان للمدخل والردهة على حالهما لولا أن اثنتين
من المدى الجديدة قد تحركتا من مكانهما لقضاء
بعض الأعمال على ما يظهر ، وكانت التهمة قد بدأت
تضم داخل المدار لولا بقية من شعاع الشمس النارية ،

سرق اسميث كما لو تكون المفاريت قد اختطفته ،
فأنا لم يكن هذا أمراً خارقاً للطبيعة فاني ...

وقطع الحديث وصول رجل البوليس في ملبسه
الزرقاء جازياً بلمت حتى وقف أمام الأب برون وقال:

— صدقت يا سيدي أنهم وجدوا جثة المسكين
مستر اسميث ملقاة هناك في القننة

فلطم انجوس رأسه بيده لكمة شديدة وسأل:
— هل جرى إلى القننة واتحضر غرقاً ؟

فقال رجل البوليس:
— إني أقسم أنه لم يزل من البيت ثم هولم يفرق

نفسه أيضاً ولكنه مات مقتولا بطمئة بالغة فوق القلب
فقال فلامبو في صوت خشن:

— ومع ذلك لم تر إنساناً يدخل البيت ؟
فقال الراهب:

— فلنمش قليلاً في الطريق .
فلما وصلوا إلى الجانب الآخر من الطريق قال

القس:
— ما أشد غباوتي، لقد نسيت أن أسأل رجل

البوليس إذا كانوا قد وجدوا كيساً رمادي اللون
فسأل انجوس متبهشاً:

— ولماذا يجدون الكيس الرمادي اللون ؟
فقال الأب بروك:

لأنه إذا كان الكيس من لون آخر فيجب أن
تبدأ القضية من جديد . أما إذا كان الكيس رمادياً

فقد انتهت القضية
فقال انجوس وفي لهجته تهكم صادر عن اعتقاد

— يسرني أن أسمع هذا الكلام ، فان القضية
فيما يتصل بملى لم تبدأ بعد

فقال فلامبو في سذاجة متناهية كسذاجة الطفل:
فقال اسميث كما يتخير المحجب ولم يترك وراءه غير بقعة

حمراء على الأرض . وهذا أمر لا يتصل بمانسا
الدينوي .

فقال فلامبو:
— هناك شيء واحد يجب عمله فسواء أكان

الأمر متعلقاً بهذه الدنيا أم بالآخرة، لا بد لي من أن
أزول فأنكم مع صديقي .

ونزل الرجلان فرا بالبواب الذي كان لا يزال
منهكاً في عمله وقد أكد لهما مرة أخرى أنه لم يدع

أي متطفل يدخل إلى الممار ، ثم وصلا إلى الساحة
في الملابس اللامعة فوجداه حيث تركاه وقد كرر

توكيده أن إنساناً لم يدخل البيت ، وكذلك وجدوا
بائع البندق الذي كرر هو أيضاً مثل هذا التوكيد

ولكن عندما بحثا عن الحارس الرابع رجل البوليس
لم يجدها فصاح انجوس في حال عصية:

— أين رجل البوليس ؟
فقال الأب برون:

— حقوا فقد أرسلته للبحث في أمر وجدته
يسئعن البحث والاستقصاء .

فقال انجوس في لهجة قاطمة:
— حسن ولكننا أشد ما نكون حاجة

إلى عودته فان صاحبنا المسكين لم يقتل فقط ولكنه
قد اختفى وزال كل أثره .

فسأل القس:
— وكيف كان ذلك ؟

فقال فلامبو بمد قليل من التردد:
— إني لأعتقد بأنني أن الأمر أدخل في باب

اختصاصك منه في باب اختصاصي . فان البيت لم
يدخله صديقي ولا عدو وعلى الرغم من ذلك قد

أن يشتبهوا في أنه « الإنسان » الذي تبحثان عنه
فما من شك في أن إنساناً قد دخل البناية وقد
خرج منها ولكنهم لم يلاحظوه
فسأل انجوس رافاً حاجبيه الجراوين :
— رجل خفي ؟
فأجاب الأب برون :
— خفي ممنوياً

وبعد دقيقة أو دقيقتين استأنف القس كلامه
في نفس اللمحة المتواضعة فقال :

— إن الإنسان بحكم الطبيعة لا يستطيع أن
يفكر في مثل هذا الرجل إلا إذا فكر فيه فلا .
وهذا هو مبث مهارة . ولكنني استطعت أن أفكر
فيه من خلال أسرين أو ثلاثة أمور صغيرة في القصة
التي رواها لنا مستر انجوس : الأول ما قاله من أن
ذلك الرجل ولكن تمود أن يسير مسافات طويلة ،
والثاني الورقة التي ألصقت على واجهة الخانات ،
ويأتي بعد ذلك المسألان اللتان ذكرتهما السيدة
الصغيرة واقتان لا يمكن أن تكونا حقيقتين
وهنا بدت من مستر انجوس حركة غنائية فقال
القسيس وهو مستمر في حديثه :

— أرجو ألا يضايقك كلامي ، فقد اعتقدت
هي أنهما حقيقتان ولكنهما لا يمكن أن تكونا
حقيقتين ، فمن المستحيل أن يكون الإنسان وحيداً
في الطريق قبل أن يصد خطاب ما يضع ثوان ،
ولا يمكن أن تكون وحيدة في الشارع في اللحظة
التي بدأت تقرأ فيها الخطاب ، فلا بد أن يكون على
مقربة منها إنسان ما ، وهذا الإنسان لا بد أن يكون
خفياً ممنوياً

فسأله انجوس :

— يجب أن نخبرنا بكل شيء

كان الرجال الثلاثة يسيرون بخطى تزداد سرعتها
عن غير قصد حتى قطعوا مسافة غير قليلة على الجانب
الأخر من الطريق . وكان الأب برون يتقدمهم
صامتاً وقد بدا عليه شيء من الوجوم . وأخيراً قال
في غموض يسترعي النظر :

— الحق أني أخشى أن تظنوا الأمر جد محمل
فنحن دائماً نبدأ من الطرف الضامض في الموضوع ،
وإنك لن تستطيعي بدء هذه القصة من ناحية أخرى
« ألم تلاحظي قط هذا الأمر — إن الناس
لا يجهلون أبداً عما يسألهم الإنسان عنه ؟ إنهم دائماً
يجيبون بما تقصد أنت أو بما يتوهمون أنك تقصده .
ولنفرض أن سيدة سألت سيدة أخرى تسكن بيتاً
من بيوت الريف : « هل يقيم أحد مذك ؟ » كان
السيدة لن تجيب : « نعم ، إن مي في البيت الساقى
وثلاثة من الرجال وخدام من النساء » إلى غير ذلك
على ارغم من أن الخادمة قد تكون في هذه اللحظة
واقفة في الفرفة والداق قد يكون واقفاً وراء
كرسيها . ولكنها تقول : « لا يوجد مي أحد في
البيت » وقصدها « أحد » فمن تمى أيها السائل .

ولكن افرض أنت طبيباً موكلاً بالتحاذ بعض
الاجراءات الصحية سالها : « من يقيم في هذا البيت ؟ »
عندئذ تذكر السيدة الساقى والخدم جميعاً لا تنسى
منهم أحداً . واللمة كأنها تسير على هذا النمط ، فأنك
إن تحظى على سؤال توجهه لأي إنسان بجواب يتفق
مع حرفة هذا السؤال حتى وإن كان الجواب صادقاً ،
فهؤلاء الرجال الأربعة الأمناء عند ما قالوا إنه
لم يدخل البناية إنسان ما لم يقصدوا في الواقع مطلق
إنسان ، ولكنهم قصدوا « الإنسان » الذي يمكن

واستمر الزاهب يقول وهو منهمك في التفكير
— إن الانسان لا يتنبه عادة إلى سماء البريد ،
على الرغم من أن لهم عواطف كثير من الناس
ومن أن في مقدورهم أن يحملوا أكياسا كبيرة
لا يصعب أن يحتقن داخلها جسم إنسان صغير الحجم
وبدل أن تلتفت ساعى البريد تلتفتا طبيعيا مال
ووقع على الأرض صرطلا بسور الحديقة . وكان
رجلا نحيل خفيف شعر اللحية عادى النظر ، ولكنه
حين أدار وجهه غمره الجزع أخذ الرجل ، الثلاثة
بما في عينيه من حول شيطانى صروع

عاد فلامبو إلى مسكنه حيث ينهمك بين سيوفه
وأبسطته القرمزية وقطه العجمى منجرا ما يديه من
أعمال ، وعاد جون ترينبول أنجوس إلى قنات الخناوت
التي بذل أقصى جهده في التلطف لها . أما الأب
برون فقد مضى عدة ساعات صاعدا تلك التلال
المنطاة بالثلج تحت نجوم الليل في صحبة قاتل ، ولن
يعرف أحد ما جرى بينهما من حديث ...
عبر الحيد معدى

— ولماذا لا بد أن يكون هناك إنسان على
مقربة منها ؟
فقال الأب برون :
— لأنه في هذا الحمام الزاجل لا بد أن يكون
إنسان قد أحضر لها الخطاب
فسأل فلامبو وقد بدا عليه النشاط :
— أتريد حقا أن تقول إن ويلكن هو الذي
حمل خطاب منافسه إلى خطيبته ؟
فأجاب الزاهب :
— نعم لقد حمل ويلكن خطاب منافسه إلى
خطيبته وكأ ترى لا بد أن يكون قد فعل
فصاح فلامبو :

— إننى لا أستطيع أن أحمل أكتر من
هذا ، فمن هو هذا الانسان ؟ وما هو منظره ؟
وكيف يكون تكوين الرجل اخفى منونيا ؟
فأجاب القسيس على الفور وفي لهجة التوكيد :
— إنه يرتدى ملابس أنيقة تجمع ألوانها بين
الأحمر والأزرق والذهبي ، وفي هذا اللباس الجذاب
بل والخادع دخل الرجل هيللا مانسوز أمام ثمانية
أعين ترقبه ، وقتل اسميت وهو ثابت مطمئن ثم عاد
إلى الشارع يحمل الفتيل بين ساعديه ...

فوقف أنجوس جامدا وقال :

— أيها السيد المحترم ، هل جئنت أم أنا الذى جئ ؟
فقال الأب برون :

— إنك لست بمجنون ، ولكنك لست شديد
الملاحظة ، لأنك مثلا لم تر إنسانا مثل هذا ...
وخطا القسيس ثلاث خطوات واسعة للإمام
فوضع يده على كتف رجل من سماء البريد المادي
صرالى جانبهم تحت ظلال الأشجار دون أن ينتبهوا إليه

أعجب من زلات
الاستعداد للشياطين
الاستعداد للصيحات
عنه انظره شاع الفلك لا يلزم
وهو الكثرة الصيرة الصفة

وشرت وهذه. لا كريات

تدري على غيلاني بشمور مبهم
مختلط . . شعور من يعود لجأه
وبلا إنذار إلي ماضيه ، ليحيا في
بعض أيامه مرة ثانية ، ويذبل
تراب النسيان عما سلف من
حوادثه .

كانت تلك المرأة يوم هرقها

في الأربعين من عمرها ، وإن كانت تبدو في الخمسين ،
ذات جسد متهدم ، ووجه ذابل تظهر في أضاعفه
آثار جمال تولى ، وكان أعجب ما فيها بسمة وهبتها
لها الطيبة ، بسمة ذاهلة حائرة لم تكن تختفي عن
شفقتها إلا قليلاً ، وعيون ضيقة زاوية تفصح أعماقها
عن الهاء الزهيب التي ورثته هذه المرأة عن أسرتها ،
وداء الجنون والمته .

ولم يكن لها زوج ، كلاً بل كان لها هذا الزوج
ونوفي بعد أعوام قليلة من مباشرته لها ، ولكن
كانت لها ابنة ، ابنة في سن العشرين أو تزيد حلت
ضيقة على المارستان منذ بلغت سن الثانية عشرة .

وكان أكبر ما أدهشني مما هرقته عن هذه
المرأة ، أنها تشرب الخمر ، وتضع منزلها كل مدة ما
تحت تصرف رجل يجتذبها إليها بما لها ليأمرها فيه
مباشرة الزوج لزوجته دون أن تربطهما رابطة زواج
شرعي . حتى إذا شبع من معاشرته نبذته ليأني
دور رجل غيره ...

وكأنما خلقي الله هذه المرأة مجموعة من التناقضات
والمعجائب ، وكأنما وضع فيها أشنع صفات خلوقاته ،
وأقذر غرائز المرأة وأخلاقها ، وأخذ طابعها .
وكنيت في تلك الأثناء التي هرقها فيها أسمع

ذِكْرُ امْرَأَةٍ
أَقْصَوْصَةٍ مُصْصِرَةٍ
بِقَلَمِ الْاُدِيبِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْعَشِيرِيِّ

ما أحسبني كنت أذكرها بعد ذلك للنسيان
الطويل ، لو لم أسمع في تلك القرية النائية من قري
مصر ، وفي تلك الأمسية الساحية من أمنيات
الريف التنازع أبداً في الهدوء ، هذا الرجل الريفي
وهو يثنى في صوت حزين (الوال) للثهور المنتشر
بين جل أهل الريف الذي مطلعته :

« يا عمر بالي بلا خال تمال اصمك خالي »

« واحط قلبي اللان على قلبك الخالي »

لقد كان ذلك (الوال) وهذا الرجل يشفيه
يسيد إلى ذهني ضروبا من الذكريات متباينة مختلطة ،
إذ كان يرتبط بشيء نسيته منذ زمن بعيد ، بقصة
امراة عجيبه ماتت كنت أسمها تقنيه حينها كانت
تميش ...

لم يكن الصوت القديم ، صوت تلك المرأة
وهي تثنى ذلك (الوال) ، قد بقي منه في أذني
سوى أثره العافي ، ورغم ذلك فقد جده صوت
الرجل الريفي وهو يردد ويرجع (مواله) . فعدت
أسمه من جديد بكل ما كان فيه ، ببراءة الباكية
الكثيفة ، وأنشامه المضطربة الناعمة ، وكان كذا تجد
في أذني جدد معه ذكريات تلك الحفبة من حياني
التي عشتها وهذه المرأة تميش وأراها وأسمع عنها .

من طيشها وتصرفاتها وأعمالها قصصاً غريبة .
وأرى من هذا الطيش وهذه التصرفات والأعمال
أيضاً الشيء الكثير الغريب ...

قيل لي ذات يوم إنها شربت زجاجة خمر من
زجاجات الخمر الرخيصة التي يبيدها « ديمتري »
في مكانه الصغير بالقرب التي كنت أعيش بها وتمش
بها ، فلما ذهبت الخمر بوعها انطلقت في دروب
القرية وطرقاتها سكرى تفوح من فها رائحة الخمر ،
وراحت تمسح بصوت غل وهي تضحك ضحكات
قارعة عالية مدوية :

— هكذا يجب أن تكون الحياة: خمر وطرب...
ثم ذهبت تسب من كانوا في طريقها من الناس ،
فاجتمع حولها الصبية وطفقوا يقدفونها بالطوب ،
ويضربونها بالتراب ، حتى لم تسد تحتل عنهم
فستقط على الأرض تمسح بكلام غير مفهوم ،
ولم رحما الصبية منذ هذا الحد بل ازداد تنكيلهم
بها ، حتى خدعت حركتها واستكانت في رقبتها
على الأرض تنظر إليهم بعين ابتداءت تم وتفهم
وتتألم ...

ولم تستطع العودة إلى بيتها في ذلك اليوم
إلا بمساعدة بعض الناس ...

ورأيت أنا بسببي مناظر كثيرة لهذه المرأة وهي
تهان على هذه الصورة عقب شربها للخمر وتسلط
شيطان الخمر على عقلها .

وكأنما لم يكفها ما أصابها من جنون ورائي ،
فأصابت أيضاً بجنون الخمر وهو شر جنون .
ولأحرف لم تم تنقل هذه السكنية إلى اللارستان
ولل سبب في ذلك هو بيدها عن عيون من في
استطاعتهم نقلها إليه ، وعدم وصول أخبارها إلى

أولى الشأن في هذا الشأن .
وقابلت هذه المرأة يوماً ، فرحت أنصحبها بترك
الخمر وهجر الطيش ، فنظرت إلى بيتين فغذت
نظرتها إلى أحماق وقالت ساخرة :

— عشنا لنرى أولادنا ينصحوننا ، يا صغيري
العزيز احتفظ لنفسك بهذه النصائح اللذالية . وظلت
على طيشها وجنونها بل تبادت فيهما .
وفي ذات مساء شهدتها وهي تتخلص من رجل
كان يباشرها وتماشيه فقلته ، كانت تقول له وهو
جالس للفرشاء في ركن من أركان إحدى غرف
منزلها الصغير ، وعلى وجهه دلائل الخوف ، وفي
عينيه وميض الشقاء القليل الذي سيمود إليه بحد
أن استمتع بحلاوة الحياة ونسيمها وراحتها بجوار
هذه المرأة .

— في صباح التند يجب أن تجمع ثيابك باطنفل
الثر ، وتذهب إلى حيائك التي انتزعتك منها مدة ما
فلن أستطيع أن أؤيك أكثر من ذلك ...

فتلقى كلماتها ساكناً وهو ينظر إليها نظرة
المحروم ، أو الطرود من دارحولة ليس له حق المارضة
في طرده منها

وعادت المرأة تقول وقد شاعت في وجهها فرحة:
— وسوف آتي في الغريب برجل آخر من
نوع آخر أبوه مكانك ...

وظهر على الرجل أنه يكاد يبكى ، ولكنه تماسك
واستطاع أن يبدد ما ظهر عليه ..

وهكذا تخلصت من رجل ممن تتخذه أزواجاً
أو بالمعنى الصحيح أشباه أزواج ..

وبعد أيام قيل لي إنها اتخذت زوجاً جديداً ،
وقد رأته ... وكان فتي ما يزال أخضر للشارب ،

قلت : أوافق أنها تحبك ؟

قال : هذا ما يبدو لي ...

قلت : وماذا ترى في ذلك ؟

قال : لا شيء . لقد قلت لك إنها امرأة مجنونة .

ثم سمعت لحظة وأروى ضاحكا :

— دعني أحدثك عن حادث عريب ، أو قل

مضحك جرى لي معها منذ أيام ...

قلت على الفور : هات ما عندك . أسرع

فراح يحدثني :

— كنت مضطجعا على أريكة في إحدى غرف

منزلي لأستريح بعد أن قضيت يوما كله عمل وكد

وجأة انفتح باب الغرفة ، ودخلت على تلك المرأة

تترنخ غللة ورائحة الخمر تفيض من فمها ، وحينما رأيته

اندفعت تجري إلي ، ومالت على ندي من فم جبينها

المنض الكريه وهي تنتمرن في صوت لاهت غل مثلها :

« هيا قبلي أيها الحبيب ، على جيني هنا ، فاني

أخاف أن تألف من تقبيلي في في الذي لوئته الخمر

هيا فقد تشاجرت بسبب هذه القبلة مع الشرطي

الذي يقوم على خدمتك ، حينما أراد مني من التقدم

إليك ، واضطرت في آخر الأمر إلى حبسه في

« المطبخ » وإغلاق باب عليه بالفتاح ، هيا ولا تدعي

أنتظر فإن قواي تتلاشى من التيب الذي سببه لي هذا

الشرطي العنيد »

وكانت رائحة الخمر اللبنة من فمها تضيق أنفاسي

وكان جبينها بنضونه وقذارة شكله يثير في نفسي

الاشمئزاز ؛ فاستجمعت قواي ودفعتها بيدي بعيدا

عني ، ودفعتها دفعة قوية أسقطتها على الأرض كما

تسقط القطعة الكبيرة من الخشب ، وارتمل رأسها

بالبلات غليل إلى أنه تحلم ، وسمعت ضرخة خفيفة

مديد القامة في امتلاء ، على كثير من الوسامة وإن

كانت تقاطع وجهه تنبي بنفس شريرة أئيمة

وتلبت أخبار حياتها مع هذا الفتى مدة ما ،

ثم شغلني شواغل الحياة من ذلك بضعة أشهر قبل لي

بعدها إنها تركته وإنها تبحث لها عن رجل آخر

جديد ، ويشاء الله أن وقعا في الحب فتدسى البحث

عن هذا الرجل ...

ولم أصدق في أول الأمر أنها وقعت في شرك

الحب ، ولكن الدلائل على ذلك كانت كثيرة

فصدقت . ولقد يكون غريبا أن تحب امرأة كذلك ،

والواقع أني لا أزال أعجب من هذا إلى الآن ...

ومن أحببت ؟... أحببت ضابط (نقطة) للقرية

الذي طالما ألقى بها في سجن « المركز » والذي طالما

أمر عسكره بجلاها لانتلافها في الطرقات سكرى .

لكننا لم ندع هذه المرأة شيئا غريبا شاذا دون

أن تأخذ منه بقسط

وبدأت أهم بالراة وأخبار حبا ، وكثيرا

ما كان يرسم في خيالي قلب امرأة في الأربعين من

عمرها وقد طالت تجري فيه دماء الحياة والشباب

والحب بعد أن شاخ وهمهم ، فأقول لنفسى إن الله

قادر على كل شيء يحبي العظام وهي رميم

واقضت على هذا الحب تسعة أسابيع ، وزدت

ضابط « نقطة » القرية ، وكانت لي به معرفة ازدادت

أخيرا ، ورأيت أن أحدث معه في أمر تلك المرأة

المحببة التي تحبه ، فقلت له :

— هل أتاك نأ تلك المرأة التي تحبك ؟

ففهم على الفور أى امرأة أعني ، وتبسم وهو يقول :

— طبعا . ولكنى أعجب كيف أحببت هذه

المرأة المجنونة ...

— ابنتي ماتت .. أوه! لقد كدت أنسى هذه
البنت المسكينة ...

وسقطت قطرة من دموعها بين شفتيها فسحبتها
بأسبمها في سهوم وشروء ، ثم تكلفت بالإبسام
وهي تقول :

— ولكن لا داعي للحزن ... فلنكنا سنموت .
وكنت مع بضعة نفر من أهل القرية التفتوا
حولها قد عمنا الوجوم والاصمات ، فنظرت إلينا
وهي تضحك في اضطراب وأردفت قائلة :

— لماذا صمتكم ووجومكم هذا ؟! هيا هودوا
إلى حالتكم التي كنتم عليها قبل الآن « فرنشو » .
ابتسموا ، أيولكم منظر أم ماتت ابنتها ؟!

وظفقت تضحك ضحكات كأنها السويل والنواح
فلما وجدتنا لم ننير من حالنا انقطعت عن الضحك
بجأة ونظرت إلينا في دهش ، ثم في ابتئاس ، ثم
في ... ثم نظرت إلينا نظرة لم أفهم لها معنى ،
وتركتنا في خطوة متمرة دافئة وجهها بين راحتها
تفنعب ... !

عمال أن تزيل يد النسيان من ذهني هذه اللحظات
ومحال أن تسلبني منظر تلك المرأة فيها^(١) محال
ومن ذلك اليوم ابتدأت أسمع تلك المرأة وهي
تنفي ذلك الموال الذي يقول مطلعه :

« يا عم يا لي بلا خال تمال احملك خالي »

« واحط قلبي الملان على قلبك الخالي »

وكانت تشرب الخمر حتى تتأبل سكرآ ، وتنطلق
في طرقات القرية تنفيه بصوت مضطرب ينص
بالحزن والبكاء ، وكان الصبية ينطلقون خلفها في
كثير من الأحيان يرمونها بالطوب ، ويحتمنون

(١) أعني منظرها في تلك اللحظات

انسابت من بين شفتيها كأنها غويل خنوق ، ثم ...
ثم نهضت وتركزت الأريكة والفتضب يأخذ مني كل
ماأخذ ، فأربها تنظر إلى في عتاب رحيم وتقول :
« في سييلك أيها الحبيب » ولم تلفظ بغير هذه
الكلمات ، وخرجت فأطلقت الشرطى المسجون
في « اللبليخ » وطلبت منه أن يذهب فيعملها ويأتي
بها خارج المنزل . وقد كان

وصمت الضابط وهو يخرج من عتبة دكانته
دخينة وضما بين شفتيه وتتم :

— لقد قلت لك إن هذه المرأة مجنونة ...
وأشمل الضخينة وراح يدخلها في صمت ،
واستأذنته في مبارحته ، ثم انطلقت إلى الطريق
وأنا أشمر بقلي قد امتلأ حجبنا

ولم تفارق تخيلتي في ذلك اليوم وليله ، صورة
امرأة في الأربعين سكرى ملقاة على أرض إحدى
غرف منزل تنظر في عتاب رحيم للرجل الذي أهانها
بالقائه لها هكذا على أرض التفرقة ... الرجل الذي
تجبه ولا يجبهها ، وتهتف قائلة « في سييل جيك
أيها الحبيب ! »

وكانت الأيام تعفى وأنا أقرب من كسب تلك
المرأة العجيبة واهتمت بأسرها بتضاضف وتضاضف
في كل يوم وفي كل ساعة ، وكنت معها ذات يوم
عندما أأماها نبأ موت ابنتها تزيلا البيارستان ، أبدأ
لن أنسى ما بدا على وجهها وما لاح في عينيها وقتذاك ،
لقد لاحت في عينيها نظرة حائرة تائهة ، وبدت على
وجهها حجمة واقضاة وتفكير ، وظلت على ذلك
بضع دقائق ، ثم تندت عيناها بالدموع وهتفت
في خفوت :

— لقد خيل إلي في نومي أنه آت لي موذي ...
 ألا ما أقسام من حبيب ...
 وتلاذت في عينها صمة ...
 وبعد لحظة التفتت إلى تسالي :
 — هل قابلت ضابط « النقطة » منذ قريب ؟
 قلت : أجل ...
 فسألني في إسراع وهي تكاد تذوب شوقاً ولهفة :
 — وكيف حاله ؟
 قلت : كما هو ...

فاخضعت حينها وظهر عليها أنها تستعيد شيئاً
 حلواً ، ثم دالت ففتحتهما والتفتت إلى قائلة :

— هل رأيت في هذه الدنيا امرأة أشق مني ؟
 فنظرت إليها طويلاً ... ولكنني لم أجيبها ...
 وتصمرت أيام . وفوجئت بحجر يقول إن ضابط
 « نقطة » قريباً سينقل بعد يوم إلى « نقطة » أخرى
 في بلد بعيد ، وكانت صحة صريضي قد ساءت وتدهورت
 فحاولت بكل ما وسمي أن أمنع هذا الخبر من الوصول
 إلى أذنّها حتى لا يصيبها بشر جديد ، ولكن رجالاً
 ممن عادوها تذهبهم للشفقة أوجب الاستطلاع أوصله
 إليها دون أن أعلم ، فلما اختلت في بعد ذلك وكنا
 في الصباح قالت لي وضوتها برمش :

— سوف أذهب في المساء لأودع ضابط
 « النقطة » فقد علمت أنه سينقل إلى بلد آخر غير
 هذا البلد . فهل تستطيع مرافقتي إلى منزله ...

قلت وأنا أعجب لها في نفسي وأخني عجي
 — إنك الآن في أسوأ حالات المرض ، فلا
 ينبغي أن تكلني نفسك مشقة ...

— وهل تحسبني أستطيع تركه يذهب دون
 أن أودعه !؟

التراب يلتقونه عليها ، وكثيراً ما أنقذها الناس ولموم
 يكاد يقضى عليها ...

مستكنة ... لقد كانت تميش بقلب جريح ،
 وعقل مجنون ... كانت فريسة لحب يائس وجنون
 أليم ، وحزن تملكها بعد موت ابنتها . وحيناً حاولت
 أن تجد ذلك الرجل الذي لا « خال » له لتضع على
 قلبه « الخالي » قلبها المملوء بالآلام والأشجان !

واتابت البائسة في يوم من الأيام حتى شديدة
 نفرت على فراشها تمانى آلام هذه الحى فوق
 ما تمانيه من آلام قلبها وعقلها ، والتفتت حولها
 تبحث عن يقوم على خدمتها في عمتها الأخيرة هذه
 فلم تجد أحداً سواي ، كان كل الناس قد هربوا منها
 إلا إياي ، فلقد كنت أعطف عليها وأرعى لها فلم أشأ
 أن أتركها تقاسي ألم المرض وحدها ، ونظرت إلى
 وهي تقول :

— ولكني أسأت إليك من قبل يا سيدي
 فقلت : ما فات مات ...

وكانت لي صلة بطبيب يقيم في « المركز » الذي
 تبنيه قريبنا فاستقدمته ليشرف على علاجها ، وأثر
 في المرأة هذا المطف والاهتمام ، فراحت تدعو لي
 بالسعادة وراحة البال وطول العمر

وقد خف جنونها في أيام هذا المرض ، ولكنها
 في أحيان كثيرة كانت تمن إلى الخمر فلا أستطيع
 منها من شربها ، وفي ذات مرة أخذتها سنة من
 النوم وأنا بجوارها ، فسمعتها تهتف باسم ضابط
 « نقطة » القربة ، وأثر في ذلك فاستعبرت وأنا أرنو
 إلى وجهها للشاحب وأمر رأسي في أسي وإشفاق
 ولما استيقظت نظرت حولها في دهشة وتبسمت
 في كآبة وهي تهمس :

طلبها منه ، وأمسكت المرأة بيده تضغط على أنفها
في عصبية وهي تصيح

— أنت ... أنت ...

وبعد حديث ووداع دام بضعة دقائق غادرها
الضابط ، وقد بدت على شفتيها وهي تشبه إلى الباب
يصرها السكيل بسمة فيها حزن ووداع وبكاء
والتفتت إلى تقول بعد أن ذهب :

— إنني لأصدق. يحيل إلى أنني كنت في حلم ...
وفي اليوم التالي سافر ضابط «النقطة» إلى البلد
البعيد الذي قتل إليه ، وبعد أيام من سفره ماتت
المرأة للريضة للسكيرة المجنونة التي أحبته فلم تسعد
بحبها إلا مرة واحدة ، فودعت بجوتها امرأة عجيبه ،
صرت بجياتي كما يمر بخيال النائم حلم عجيب !
عبد العظيم محمود العشري

— سوف آتي به إلى هنا فتودعيته وأنت على
فراشك ...

فتم وجهها الفرح وصاحت وهي لا تصدق
ما أقوله :

— أو يقبل الحياء إلى هنا ؟

فطلأنها ... وأكدت لها أنني سأحمله على الحضور
إليها ، وذهبت فرجوت الضابط أن يأتي مع إليها ،
وقد رق لها قلبه بعد أن وصفت له حالها ، فأجاب
رجائي وراققى إليها

وحيثما دخل عليها كانت المسكينة تموت من
الفرح ، واخر وقت عيناها بالهموم وهي تنظر إليه
غير مصدقة أنه هو حقاً ...

ورق لها قلب الضابط أكثر ، فأنحى عليها بضغ
على جبينها قبله ... القبله التي أهاها من قبل حيناً

بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عاملوه ... وعاملوا شرفاء ... تكبروا ... النصر لمبوركم

حاجي بابا اصفهاني

لکانيه الانجلیتي "جهن مؤبر"
بقلم الأستاذ عبد اللطيف الشار

الفصل الثامن والأربعون

ما هي بابا يعبر الى بيت أبي في أصفهان

لم أنتظر سماع كلمة أخرى وخرجت في الحال من مدينة قم، وكان في جيبى درهمات قليلة تكفي لشراء القوت في أثناء الطريق . ولقد كان يودى أن أبقى في مدينة قم حيا وأن أنضم إلى تلاميذ ميرزا أبي القاسم ؟ ولكن دفني إلى السودة نحو وطني طول شوق إلى أبي واعتقادي أن ما واثقه من الكروب والمصائب إنما يرجع إلى عقوبته وقلت في نفسي : «أنا لو كنت أبنا وإلا لما أملت أبي في أصفهان وتركته في ضعف الشيخوخة مضطرا إلى مضادة حرفة الخلافة لكي يكسب القوت »

ولم أزل أسير حتى بدت لي أصفهان عن بعد، تخفق قلبي وتشغل فكري ب تصور الحالة التي سأجد عليها أسرى ، وتساءلت : هل أجد مملى لا يزال على قيد الحياة ؟ وهل جازا البديل الذي كنت اشتري منه الحلوى لا يزال مقبا في حانوته ؟ وهل صاحبي بواب الخان لا يزال جالسا أمام الباب الذي اعتاد الجلوس عنده طول ليله وطول نهاره ؟ وهل إذا رأيته سيذكر زيارتي مع التركانيين لهذا الخان وسرقتنا منه ما وصلت إليه أيدينا ؟

ولما صرت قريبا من باب أصفهان وقفت خاشعا

وألفت صلاة الشكر، وقلت في نفسي : إن أبي سيراني بعد قليل وسيعرف أن ابنه لا يزال على قيد الحياة ، وتذرت لسيدنا على نذرا بأنني إن وصلت ، فوجدت أهل بخير فسأدع ذبيحة وأدعو إليها الفقراء

وكان شقوقي قلبي لا يزال يملو ويزداد

كلما اقتربت من حانوت أبي . وسرت في الطريق التي كانت لا تزال كمهدما وكانت مرفقي بها لا تزال حاضرة في الذهن حتى وجدت نفسي بين حانوت أبي وبين الخان

وكان باب الحانوت مغلقا، وجعلني الخوف من سماع جواب سئ أحجم عن السؤال عن أبي، ولكن لما ملكت دوعي تذكرت أن اليوم يوم جمعة وأنه لا يمد أن يكون أبي قد جعل الصلاح دينه في أخريات أيامه فتترك العمل في أيام الجمعة . وبعد قليل فتح باب الخان ورأيت صاحبي البواب يسير عازيا للحائط وقد احذوب ظهره وصار يياض لحيته ورأسه ناصعا، ولكنني عرفته من أنفه الأدنى الذي أستطيع تمييزه بسهولة من بين ألف من الأنوف غيخته التحية المتعادية، فرد على دون أن ينظر إلى وجهي

فنادته باسمه وقلت : «ألا ترفعي يا حلي ؟ » فنظر إلى وقال : «إن الخان أيها الصديق معرض للدينا، ففي كل يوم أرى عشرات من الوجوه ولا تستطيع فأكررت أن تنهيا كلها »

قلت : «لا بد أن تكون متذكرا حاجي بابا الذي كان يحمل لك في الزمان للقديم»، فقال البواب «لا إله إلا الله! أنت حاجي بابا! لقد خلا مكانك منك مدة طويلة فهل رجعت في النهاية ؟ الحمد لله

على وجه البمض ولكن الدمشة كانت بادية على
أوجه الجميع

وقفع أبي عينية الثنتين كاتناممضتين وقد ومض
فيهما بريق السرور وظهرت عليه الرغبة الشديدة
في رؤيته وأمسك يدي والثفت إلى وقال : « الحمد
لله ! » ثم قال : هل كان حسناً منك أن تتركني كل
هذا الأمد ؟ أما كان يحسن أن تأتي قبل الآن ؟
وكان يود أن يستمر في متابعه ، ولكن الانفصال
الذي أحدثته هذه المفاجأة كان أكبر من أن يحتمله
صحته الضعيفة غفارت قواه وارتدى رأسه على الوسادة
وقال لي معلني : « اسكت يا حامي يا ! لا تقل شيئاً
حتى يفتن لأنه يريد أن يكتب الوصية »

وقال شاب كانت عيناه تنظران إلى نظرة شديدة
العداوة : « نعم . علينا أن نتحقق هل هذا هو
حامي يا أم لا »

وقد تبينت أن هذا الشاب هو أخو زوجة أبي
وكان بطعم أن يوصي أبي له بجزء كبير من تركته
كما كان معلني يطعم في مثل ذلك وقد تحققت أيضاً
فيما بعد أن أكثر الوجودين كانوا بطعمون في أن
يوصي لهم أبي بأجزاء من تركته ، وأن مجيئي كان
نكبة عليهم لأنهم حرموا جميعاً عما كانوا يطعمون
فيه . ولولا أن الملم شهد بأنني حامي يا لاجتمعت
كلمة الباقيين على طردي من هذا المجلس ولقد زال كل
شك في حقيقتي عند مفتح الباب بعد قليل ودخلت
منه أي لأنها لما سمعت خبر مجيئي لم تستطع البقاء
في حجابها وراء الستور ودخلت للفرقة مبسوطة
الذراعين لمتافقي وقد نسيت أن تضع على وجهيها
تقايًا وصاحت : « أين ابني ؟ أين أنت يا حامي يا ؟ »
فلما أظهرت نفسها لها أرغت على وبكت بصوت

لقد أذن لكربلائي حسن بأن يرى ابنه قبل أن يموت
قلت : « ماذا تقول ؟ أين أبي الآن ؟ لماذا تذكر
الموت ؟ »

فقال : « لقد شاخ أبوك وهو الآن على فراش
الموت فلا تضيع وقتك سدى واذهب في الحال
لماك تذكره قبل أن تفارقه الحياة ... »
واستمر البواب يتكلم ولكنني لم أقف حتى
أسمع بقية كلامه بل ذهبت نوا إلى المنزل فوجدت
بالقرب من باب شيخين يتسكمان فلم أسترح لرؤيتهما
لأنني عرفت أنهما من رسل الشؤم

ودخلت المنزل فوجدت فيه رجلاً كثيرين
قد أحاطوا برجل نائم فنظرت إليه وقد عرفت أنه أبي
ولم يعرفني أحد من الوجودين ولكن أحدهم
لم يمتزني لأن المادة جرت في هذه البلاد على أن
يدخل غرفة المحتضر من يشاء من موارفه دون
استئذان ، ووجدت في طرف الغرفة رجلين أحدهما
الطبيب والآخر معلني السابق ، وكان الملم يمزى أبي
بهذه الكلمات : « لا تياس فقد وعد الله في أجلك
حتى ترى ابنك حامي يا ولكن الحزم يقضى بأن
تكتب وصيتك وتعين اسم وارثك »

فنهذه أبي وقال بصوت خافت : « لقد عفتني
ابني ولم يفكر في أمرى فهو غير جدير بأن أحمله
وارثي »

فكان أثر هذه الكلمة شديداً علي ولم أستطع
مع سماعها إلا أن أعلن وجودي فقلت : « إن حامي يا
هنا وقد جئت يا أبي لتدعوني فلا ترفض » ثم ركعت
بجانب الفراش وأخذت يده قبلتها وبكيت ، وكان
لما بدا مني تأثير قوي على جميع الوجودين وبدأ التعلق

صرت بي في الحياة ، وكنت جالساً منفرداً في ركن من التفرقة أبكي بكاء صامتاً لا كالبكاء المتكاثف الذي يبكيه الباقون . وجاءني أحد الجيران فقال إن التقاليد تقضى بأن أمزق ثيابي لأدل بذلك على أني ابن بار فقلت له : « ألا يمكن أن أؤدي واجب البر وأحتفظ بالثوب الذي لا أملك غيره ؟ »

وقال لي أيضاً إنه يجب علي أن أترك رأسي عارياً وقدى حافيتين حتى يتم الدفن فوافقت على ذلك . وعلمت فيما بعد أن هذه الواقعة أكسبتني سيرة حسنة في موطني ، وكان حزن أُمي عنيماً فقد قطعت شعرها ومزقت ثيابها وكانت صرخاتها عالية تنشق عنان السماء

وأخذ مملي يبدى وقال لي ليمزني : « لقد مات أبوك ولكن أليس اللوث غاية كل شيء ؟ لقد مات ولكن هل خلد إنسان قبله حتى كنت قطع في أن يخلد ؟ إنك قد حطت في الدنيا عليه . فأد ما كان يؤديه من الأعمال الصالحة . وأيقن أنه الآن بين حوريتين من حور الجنة يشرب اللبن واللسل الالهيين فهل هذا هو ييكيك ؟ أنظر إلى النجم التي من الله عليه بها واحده فقد كان من المحتمل أن يموت كافراً ولكنه بحمد الله مات مؤمناً . وقد كان من المحتمل أن يولد تركياً ولكن الله من عليه بأن جعله إرانياً . وقد كان من المحتمل أن ينشأ سنياً ولكن رحمة الله قضت أن يمشي شيعياً . »

واستمر يمزني على هذا النوال حتى سئمت فتركتي ليحدث غيرة ، وبمجي رجال لم أر في الحياة أقدر منهم ليسلوا بي قبل دفتي . واستشاروني هل يستأجرون عدداً من حملة الأعلام وللشارات ليسيرو أمام الجنائز كمادة الوجهاء أم يحملونها ببساطة

عال ونظقت بكل كلمة رقيقة أملتأ عليها الدائرة في الحين . ونظرت إلى من الفرع إلى القدم نظرة محب مشتاق — لا ، بل نظرة أم ، لأن المواطف التي أبدتها لا تظهر إلا من الأمهات

وفي هذا الحين كان الطبيب يحاول أن يذهب أبي من الإغماء وأبدى أبي علامة سيئة لم يحسن الطبيب معها على إعطائه الدواء قبل أن تمر ساعتان وبعد ساعتين أعطى الدواء وبدلاً من أن يقوم فيعمل وصية كما كان الشكل ينتظر ، فإنه فقد النطق والحركة . ولما غصوه وجدوه قد مات ، فقال للمملي : « أرسل إليك باسم الله أن تفيق فانتا تريد أن تكتب الوصية »

وكان سوته وهو يقول ذلك أشبه الأصوات بالبكاء . وقام فمز رأسه ولكن بثر جدوى لأن الحياة قد فارقت . وبلاوا قطعة من القطن قصيروها في فمه وأداروه نحو القبلة . ثم أخذ مملي يرتل آيات من القرآن ، ووضع منديلاً تحت رأس أبي وربط فوق رأسه ، ثم ربط إبهام يديه معاً ونطق جميع الموجودين بالشهادتين . وبعد ذلك اجتمع النساء حول الجثة وأخذن في البكاء والنحيب ، وفي الوقت نفسه أخذت اثنتان من حفظة القرآن يرتلان سورة من القرآن

ولما سمع البكاء في المنازل المجاورة هرع كل نساها إلى منزلنا لأن أبي كان محبوباً من أهل جيرته وقد حضر المآتم والجنائز من الرجال ومن النساء أكثر من العدد الذي يحضر عادة في مآتم أي خان أو ميرزا

وعلى الرغم من كثرة المزين فقد كنت أنا الحزين الوحيد لأن موته ذكرني بكل الحوادث المؤلمة التي

وكانت قراءتهم في وقت واحد وبذلك تمت قراءة
المصحف كله في وقت قصير

وعلى أثر ذلك ذهبت أمي وكثيرون من النساء
إلى القبر وأخذن سمعن مقادير من الفاكهة وأنواعاً
الطعام وفرنق ذلك على الفقراء ثم عدن إلى المنزل
فأطاحت بأعلى أصواتهن

وبعد أيام أخرى خلعت أمي حزنها وارتدت
ثياباً بيضاء وصيغت شعرها ولبسها بالحذاء وبذلك
انتهت كل إجراءات الموت وتركزت وشأني لأدبر
ترة أبي ولأفكر في مستقبل

الفصل التاسع والأربعون

ماحي بابا يصبح وراثتنا تركت غير مرجودة

مات أبي ولم يترك وصية فكنت واثرة بشرف منازع
وكان من الطبيعي أن يسرف في ذى الدين كانوا
يطعمون في أن تنقل إليهم التركة بالوصية وأن يتهموني
بالاسراف وبأنني عاق وبأنني غير متدين وبأنني
جواب آفاق

ولما كان في عزى ألا أقوم في أصغاف فقد
نظرت إليهم نظرة احتقار ولم أهتم بأى قول يقولونه
ولما قابلت أمي على انفراد دار هذا الحديث :

قلت : « أخبريني يا أمي — قاله لا ينبغي أن
يكون بيننا سر — عما تركه أبي فقد كان يحبك
ولا يمكن أن يكون أخفى شيئاً منك »

قالت باضطراب واشتداز : « وماذا تريد من
تركته ؟ » فاستأنفت قولي متظاهراً بأنني لم أسمع
جوابها وقلت : « تعرفين أن الوارث ملزم في الشرع
والقانون بأن يسدد ديون مورثه وتعرفين أن نفقات
الجنائز لم تدفع بعد . وأنا الآن مجرد من المال كالיום

كالفقراء ؟ فأحلهم إلى مملى ليحجب بالنيابة عني . وكان
جوابه أن أبى كان من المروفين في المدينة الدين
استمت شهرتهم ، وأنه لذلك يجب أن يدفع كما يدفع
سائر الوجاه . فجئ بمدد كثير من هؤلاء وساروا
بأعلامهم أمام التمث الذي تطوع كثيرون لحله على
أعتاقهم فدلو بذلك هل أن أبى كان محبوباً . وكانت
الجنائز كلها تقدمت مسافة في الطريق انضم إليها
فريق من الناس حتى إذا ما وصلنا إلى المدفن كان
عدد الشيعين لا يستهان به

وبعد أن أقيمت الصلاة جرت عملية الدفن
وجلس حول القبر اثنا عشر قارئاً للقرآن فتلوا
آيات مسينة ثم قرئت الفاتحة ثم ودعوا المشيعون
على أن يقابلوني فيما بعد بالمنزل

ولما صرت وحدي سألت قضى : « هل التذر
الذي نذرته عند باب المدينة أصبح واجب الأداء
أم صرت في حل منه ؟ »

ولما أعتد إلى جواب عزمتم على أن أستشير
ولما عدت إلى المنزل وجدت كثيرين في انتظاري .
وكان وقت المشاء قد حان ورأيت أن واجب البتوة
في نظر أهل المدينة يقضى بأن أفق من سخاء ، فلم
أجد بداً من الوفاء بالنذر فأصرت بأن تدفع ذبيحة
وبأن يقدم الطعام إلى كل من في المنزل من المزين
واستأجرت ثلاثة من حفظة القرآن ليقروا واحد
منهم ما تيسر منه في الغرفة التي مات أبى فيها وليقرأ
الأخرون عند القبر

وبعد أيام لا أعرف عددها جاء أناس كثيرون
فجلسوا في أكبر غرفة بالمنزل على شكل دائرة وكان
في يد كل منهم جزء من القرآن وأخذ كل منهم
يقرا بصوت عال سورة غير التي يقرؤها الآخر

السجد بين حلقة من تلاميذه. ولأرأى طرد تلاميذه.
وقال : إن خطواتي إليه خطوات سيئة وإنه يسر
بأن يقدم لي كل خدمة أريدها
قلت : « لا تتضحك على بهذه الكلمات . لقد
كنت أنتظر من القدر الذي حرمنى من أب أن
يمنحنى ما أستحقه من ميراثه »

فرض العلم عينيه إلى السماء وقال : « الله كريم
هكذا يا بنى حال الدنيا وعلى العاقل الحكيم أن يسد
عينيه عن كل الطامع النبوية فلا يتطلع إلى شيء
من ترائبها الغاني »

فقلت : « من أى عهد أصبحت صوفيا حتى
تتكلم بهذه الصبغة ؟ إننى أستطيع أيضا أن أقول
مثل هذا القول ، ولكن أمانتا أموراً جديده »

وطلبت إليه أن يخبرني عما تركه أبى
فتتحنن وتظاهر بالجد والوقار وأقسم أغلظ
الأيمان أنه لا يعرف إلا ما سمعه من أبى ، وأن أبى
قال له إن أبى مات ولم يترك شيئا من المال

وجئت مدة طويلة ثم أبدت دهشى مما سمعته
لأن أبى كان رجلا متدينا وكان يملك بنير شك
مقداراً وافراً من المال . ويبدو أن يكون قد أقرضه
بالربا . وتذكرت قصة تدل على استحالة ذلك ، وهذه
القصة هى أن عبان أفا أراد أن يقترض منه بالربا
فذهب أبى إلى أحد العلماء وسأله هل يبيع الدين
ذلك ، فتلا عليه اللام آية من القرآن تحرم التمايل
بالربا قطعا وقال لي أبى بعد ذلك إنه لن يقرض ولن
يقترض ما دام حيا ، وأوصاني بأن أكون مثله
في ذلك

تركت المسجد بإسما من الحصول على المعلومات
التي كنت أريدها وذهبت إلى خانوت أبى فجلست

الذى ولدتني فيه ولا بد لي من الحصول على المال.
والأفاني أفضح وبهان اسم أبى ويمكن من أعدائي
وقد اشتهر أبى بأنه غنى ويجب محافظة على سمته
ألا يظهر عكس ذلك على أثر وفاته فأخبرني يا أبى
كم ترك من المال وكم عليه من الديون ومن هم دائنوه
وهل له مدينون »

قلت أبى : « الله ! الله ! ما هذا الكلام الذى
تقوله يا حامي بابا ؟ لقد مات أبوك فقيراً ولم يترك
مالاً ولا عقاراً وقد كنا لا نأكل غير الخبز الجاف
إلا في الأيام التي يكثر فيها زائرو هذه المدينة من
التجار فانه كان يأتي بطبق من الأرز وآخر من
الكباب . أما فيما عدا ذلك فان ميسشتنا لم تختلف
شيئاً عن ميسشة الشعاعين فاهو المال الذى تسألني
عنه ؟ هذا هو المنزل أمامك فابحث فيه ما شئت وهذا
هو خانوت أهلك فانظر ما الذى فيه ! لقد كان
وصولك في وقت مناسب فاتح خانوت أهلك واستمر
في صناعته وإن شاء الله جمع لك من الثروة ما ترجوه »
فقلت : « هذا الذى أسمعه يا أبى شديد الفرية
فان أبى ظل يكتسب أكثر من خمسين عاماً ويستحيل
ألا يكون قد وفر شيئاً في خلال هذه المدة . وأريد
الآن أن تقسم ذلك الربح »

قلت في شيء من الاحتياج : « تقسم ؟ هل
تهم أمك يا حامي بابا بأنها سرقت منك أو من أهلك
شيئاً . إذهب وسل أصدقاء أهلك . إسأل مملك
فهو يعرف إن كان أبوك ترك شيئاً أم لا »

فقلت : « إن العلم لو كان يعرف لما ألح قبل
موت أبى في كتابة الوصية . ومع ذلك فاني سأأباه
وأسأله »

وذهبت فوجدته جالساً في ركن من أركان

رأيت كثيرين من التجار استدلوا على أموالهم المفقودة بهذه الطريقة ولست أعرف حادثة لم يستطع النجوم الوصول فيها إلى مال مفقود إلا حادثة اعتداء اللصوص على الخان ، ولقد جلبت على هذه الحادثة ويلات عظيمة لأن بعض الناس اتهموني بأنني كنت شريكاً لهم لأنني أنا الذي فتحت الباب للصوم وقلت إن فيهم صديقاً لي اسمه مثل اسمك يا حاجي بابا »

ولقد كان من حسن حظي أن هذا البواب ضيف البصر فحلت شبهة في نفسه محل اليقين في أمر هذه الحادثة ووعدني بأن يرسل إليّ أعظم منجم في أسفهان وقال لي في وصفه إنه يخرج قطعة الذهب من تحت أطباق الأرض

الفصل الخمسون

حاجي بابا والزمزم

في صباح اليوم التالي جاء رجل إلى غرفتي فسير القامة هزيل الجسم أحذب الظهر كبير الرأس لم أر عينين أعبد سطوعاً من عينيه ففرت أنه للنجم . وكان عليه ثوب من ثياب الدراويش . وقد بدأ يسألني عن كل شيء حدث لي خصوصاً بعد عودتي إلى أسفهان وكان يذوق في البيت عن التفاصيل ويسأل عن كل رجل له معرفة بأبي .

ولما كانت أبي في ذلك الوقت متفية في الحمام فلم أخبرها بمددك عن مجيء النجم ولكن رجوتها أن تدعو في اليوم التالي كل أهل ليتشدوا عندنا ... ولما اجتمعوا في المنزل سلمت عليهم وقلت لهم إنني أريد الاستعداد بهم على ما تركه أبي فنظر بعضهم إلى بعض وبدلاً من أن يشتركوا مع أبي

به وفكرت في الوسيلة التي أحصل بها على رزقي في المستقبل وعزمت قبل كل شيء على ألا أقيم في أسفهان وفكرت في الذهاب إلى طهران لأنها خير بلد يعيش فيه رجل مثل . وقام بنفسه اعتقاد أنه من المستحيل أن تكون أي ومعلمي صادقين فيأزحماء من موت أبي مفلساً . فبدأ لي أن أحتكم معهما إلى القاضي

وبينا أنا أفكر في هذه الأمور إذ رأيت صاحبي بواب الخان ، ولما وقع نظره على أقبال نحوي وعزاني ولما رأى شدة اتقاني وشهود ذهني قال لي : « لما تأمحل كل هذا ألم ؟ إن أباك قد مات ولكنه تركك في سن تستطيع معها العمل وأنت ورثته ولم يكن رحمه الله فقيراً »

قلت : « نعم إنني ورثته ولكنني لم أجد شيئاً أرثه فيه إلا هذه الطسوت النحاسية واللواشي وإلا البيت البني بالطوب النبي »

فقال : « ولكن أين ماله يا حاجي بابا ؟ لقد اشتهر أبوك بأن لديه مالا كثيراً . وكل إنسان في المدينة يعلم أنه ما كان يمر يوم واحد على أيك دون أن يزيد على المدخر عنده من المال مقداراً آخر »

قلت : « هذا صحيح . لكن أية قاعدة لي من هذا القول ما دامت أي تنكره ومعلمي يشهد لها ؟ إنه لم يعد أمامي غير أن أذهب للقاضي »

فقال البواب : « تذهب للقاضي ؟ لماذا الله أن تذهب للقاضي ؟ لا تذهب إليه فأنك لن تستفيد منه شيئاً وهو لا يهب البدل ولكنه يبيعه بالثقال »

قلت : « وما الذي أفعل ؟ » فقال : « اذهب إلى النجمين فانهم يرشدون عن كل مال ضائع وقد

قال النجم : « لا تمجّل بعمرته ولا تثب هذه الوثبة فإن الله سيظهر الحقيقة على يدي » ثم جاز بنظره فينا مرة أخرى وقال : « هل تريدون أن أن تعرفوا الحقيقة ؟ » قلنا : « نعم »

وعند ذلك نادي تلميذه وأخذ منه كيساً كان معه فأخرج منه ملء اليد من الأرز وقال : « سأعطى كلامكم بعض هذا الأرز فامضوه . أما السارق فلن يستطيع مضته »

وفار على كل واحد فوضع في فمه مقداراً منه فمضوه ولم يضحكون لأن أكرم كان يسد الأمر فكافة . ولم يسطي بطبيعة الحال مثل ما أعطى غيري لأنه لم تقع على شبة وأنا الذي أشكو

وحاولت أي أن أخرج من هذه التجربة بانضمامها إلى جاني وتظاهرها بالسرور لظهور حتى ولكن النجم أبى عليها ذلك ووضع في فمها مقداراً من الأرز وفي لحظة كانت الأنواء مختلفة بالضعف وكان النجم يقرأ في هذه الأثناء . وبعد لحظة أخرى كان لكل قد فرغوا من الضغ إلا النمل وأي فاهما لم يستطعاه وقال النمل : « لماذا تعطيني هذا الحصى وأنا رجل هرم ضعيف الأسنان ؟ إنه يستحيل علي أن أجمع في هذه التجربة »

وقالت أي مثل هذا القول وزادت عليه : « ما هذه الألاعيب الصيبانية ؟ هل رأيتم قبل الآن ولداً يامل أمه ومعلمه مثل هذه المعلمة ؟ إنه يهتما بالسرقة ولعله هو اللص »

فقال النجم : « لم يقل أحد عنك إنك لسان ولكنك تقولان ذلك وليس الفرض فضيحة أحد وإن كان في وسي أن أقيم كل برهان على السارق . وفي وسي أن أجعل لسانه يترن عليه يركة خادم

في التكلم أظهروا اعتمادهم لمساعدتي في الوصول إلى الحقيقة . وفي هذا الوقت جاء النجم بناء على اتفاق سابق معه وجاء معه أحد تلاميذه .

أطال النجم نظره في وجه كل واحد من الموجودين ثم أجلس تلميذه أمامه وأمل عليه آيات من القرآن وهذه الآيات تتضمن الوعيد لمن يأكل أموال اليتامى بالباطل ثم جاء بفنجان فيه قليل من الزيت ووضعه في كف التلميذ وظل يتلو آيات ويقول كلاماً بمضمون مفهوم والبطع غير مفهوم . ونظر إلى سائر الموجودين وقال : « ستظفر في هذا الفنجان سورة المكان الذي فيه أموال كربلاء حسن وصورة الشخص الذي لا يريد إظهار هذه الأموال » .

فنظر بعضهم إلى بعض ، وبعد قليل نظر إلى الفنجان وقال : « ما شاء الله ! ما شاء الله ! لقد ظهرت الحقيقة قائموني »

ثم مشى فخبثناه فدخل غرفة أخرى وحلوت سيدة أن نتمه فزجرها ونظرت إلى هذه السيدة فافأ هي أي .

قال : « من ذا الذي يستطيع أن يمنع خادم الآلة ؟ إنني لا أسير بقوة ولكن بقوة هذا الخادم »

ومشى على الزعم منها ونحن وراءه حتى وصل إلى ركن من الزرفة فأزاح عنه الحصر . وظهر لنا جميعاً أن الأرض تحته قد جفرت حديثاً فرفع التراب عنها وأخرج منها قدراً مملوءاً بالذهب وقال :

« هذا بعض ما تركه كربلاءي حسن من النال . أما باقيه فقد سرق » وتفرس في وجوهنا جميعاً فقال أحدها : « لقد وجدت السروق فأين هو السارق ؟ »

لم يكن إلا جزءاً يسيراً من تركه أبي وأن التركة لم تزل مسروقة وقلت ذلك لصاحبى البواب وأخبرته بأنى لا أزال عازماً على رفع أمرى إلى القاضى . فقال لى البواب : « اسمع أيها الصديق نصيحة رجل حكته الأيام والتجارب . اقنع بالمال الذى وصلت إليه يدك واحمد الله على ذلك واعتقد أنك إذا رفعت أمرك إلى القضاء فانك ستخسر الأربعمائة والخمسين ريالاً وسيخسر خصومك مثل هذا القدر ثم لا يحل الخلاف بينكم . ألم تسمع المثل السائر : « إن كل إنسان قد خلقت أسنانه من الملح إلا القاضى فان أسنانه مخلوقة من السكر »

وبعد مناقشة مع البواب عزمت على أن أتبع نصيحته لأن رفع قضية ضد أى ومولى سيزيد من شناعة أعدائى ويقلل من المظف على ربحاآل الأمور إلى أن يرجى الناس بالأجبار وليس من المنتظر بعد ذلك أن أكسب القضية وعزمت على أن أعاد أسفهان فلا أعود إلا إذا عدت إليها ذا سلطة ونفوذ فوافقنى البواب على فكرة الرحيل وشجعنى على تنفيذه . ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت أن الرجل كان ذا غرض من نصيحته لأننا كنا حلاقاً اشتغل بعد سفرى من المدينة مساعداً لأبى فى مكاني . وكان هذا البواب يريد أن أخرج ليشتغل بدلاً منى فى حاوت أبى . واقترح على أن أبيعهم الحانوت بكل ما فيه فوافقته على ذلك وبعت الحانوت . أما منزل أبى فلم أرد بيعه . وبالرغم من شدة تأثرى من المسك الذى سلكته أى مى فقد عزمت على تركه لها بكل ما فيه من الأثاث

وكان الثمن الذى قبضته من البواب هو خمسمائة قرش فارسى فبلغت جملة ما مى مائة طومان وعشرة طومانات

الآية وسافراً الآن تسماً وأذهب، وفى الصباح سأتى ونأتون جميعاً فان وجدنا فى هذا الركن فى مكان المال الذى وجدناه اليوم بقية الأموال التى تركها كربلائى حسن فان ورثته سيقتسمونها بالعدل كما أمر الله فى كتابه وإلا فان خادم الآية سيساعدنى على إظهار السارق وعلى إقامة الأدلة القاطمة ضده « وفى هذا الحين ذهب النجم وتفرق المدعوون ليودوا فى الصباح

الفصل الحادى والخمسون

نتائج أعمال الدرويش

كان من نتائج الأعمال التى قام بها الدرويش أن حلت فى نفسى شبهة مؤلمة ضد أى وضد مولى ولكنى كنت أشك فى القول الذى أبداه النجم . وفى الصباح التالى جاء النجم ومعه تلميذه وعدد من الذين حضروا حفلة الأسس . ولم يأت مولى وخرجت أى من المنزل مدعية أنها مضطرة إلى ذلك لتزور بعض المرضى .

وقال النجم : « سترى إن كانت الجن قد جاءت بالمال أم لا ؟ » وأخذ يحفر فى الأرض فأخرج منها كيساً مملوءاً بالذهب فسلمه إلى وقال : « احمد الله على وجود مالك ولا تنس إعطائى ما أستحقه »

واجتمع الناس حولى ليروا ما بداخل الكيس الذى وجدته غنوماً بالجمع الأحمر بخاتم أبى وعدداً ما فيه فاذا هو خمسمائة ريال فدفعت إلى النجم منها خمسين وأقسمت أننى لو كنت غنياً لأعطيتها أكثر من هذا

شكرنى النجم وأبدى رضى واقتناعاً ولكنى لم أكن مسروراً باعتقادى أن الذى حصلت عليه

رأيت أن أشتري له هدية تدل على أنني شاكر لفضله،
وفكرت في نوع الهدية فوجدت أليق ما يهدي إليه
سجادة صغيرة فارسية يقيم عليها الصلاة حين يأتي
به الصائون ويجلس عليها في وسط تلايمذه

واشترت هذه السجادة واستعددت للسفر،
ولكنني ذكرت أن نفقات الجنازة لم تدفع، وحدثني
نفسى بأن أهراب من المدينة دون أن أوقفها لئلا
يمسني وأنى هذا الشرف، ولكن شمورى الجميل
تنقلب على هذه الفكرة فدفعت هذه النفقات قبل
أن أسافر وقلت إن هذا أليق بي ولكيلا أهرض
اسم أبي بعد الموت للجنة اللاعنين

الفصل الثاني والخمسون

ماحي بابا يصير قابلاً لرمل من رمال القانوره
ودعت أوى وأنا غير آسف على السفر ولم تظهر
مى نحوى أى شيء يدل على الشعور بالأسف فقد
كانت تدبر خطة لاستقبالها كما دبرت خطة مستقبل
وكان كلاً ما يرى أن اليمد خير وسيلة

ركبت بنقلى عند انبلاج الصباح وكنت أسير
مبطناً وأنام في القرى التى أمر بها، وفي اليوم التاسع
رأيت قبة للشهد الفاطمى وبعد أن تركت بنقلى
بمربط الخليل في خان المدينة وذهبت إلى بيت أبى القاسم
وكان باباه مفتوحاً لكل طائر فخلت نمل وتركته
عند باب الثرفة الأولى، وتركته بجانبه السجادة التى
اشتريتها ودخلت تلك الثرفة فوجدت فى صدرها
أبا القاسم خفيه وجلست قرب الباب

وقد عرفنى ساعة قرأتى ورحب بي وأدنى مجلسي
وسألني عن قصتي بعد ذهابي من مدينة قم وقال لي
إنه مهم بأمرى فشكرته وسردت عليه القصة
(٧)

خبأت بعضها في ثيابي والبعض في سرج بنسلة
جديدة اشتريتها

وعزمت على أن أطلع عن حياة «صاحب شمشير»
(صاحب سيف) التى كنت أعيشها قبل أن أنكب
وأسافر إلى «قم» واخترت أن أقضى بقية حياتي
(صاحب قم)

و كنت إلى هذا العهد أعلق إلى جانبي سيفاً وأضع
في خزامى مسدساً وخنجرآ وألبس على رأسي فطاه
شيقاً وأترك شمري منسدلاً حول رأسي إلى ما تحت
الأذنين فزمت على تشيير ذلك كله، وعلى أن أضع
في خزامى ملفاً من الأوراق وقلياً ودواة بدلامن
الخنجر والسدس، وعلى أن ألبس رأسي بشال من
الكشمير، وعلى أن أمشي مطرق الرأس بخطوات
غير قوية ولا سريعة. وعزمت على أن أتكلم على
مهل وأن أظهر بمظهر الوقار والحكمة وقلت في نفسي
إنني على قلة معرفتي أحسن الصمت في موضعه فاذا
ما لقيت رجلاً من العلماء سكنت واستفدت من
حديثه، وإذا لقيت جاهلاً كنت المتكلم النطليق.
وقلت في نفسي إنني أعرف القراءة والكتابة وخطي
جميل فاذا كتبت نسخة من المصحف الشريف كان
ذلك شهادة لي بالعلم والمعرفة لا يمكن أن يدحضها
أى اتهام

وفكرت في الطريق الذي أسلكه عند خروجي
من المدينة فلم أجد خيراً من مدينة «قم» لأن
بها ميرزا أبا القاسم وهو أحسن من أعتمد على
مساعده في هذا العهد الجديد، وكان مقصدي أن
يوصي على أحد أصحابه من الكبراء فيتخذني كاتباً
أو تلميذاً له

ولما وصل في التفكير إلى ذكر أبى القاسم

ولما رأيت أن تنكرى قام وأن أهل المدينة لن يعرفوني مشيت في أسواقها مطمئناً فلم أجد أحداً يعرفني وسألت عن بيت الملا فسهل علي الاستدلال عليه لأنه رجل مشهور . وما كنت أن أصل إلى هذا المنزل حتى عدت فتذكرت أننا في آخر النهار وأن الأليق أن أأم هذه البلية في خان وأذهب إليه في الصباح . وقد كنت حريصاً على اتباع ما تقضى به البلياقة في معاملة هذا الرجل لأمال عنده الحظوة في حياتي المقبلة

وذهبت إلى الخان فاسترحت من وعناء السفر . وفي الصباح دخلت الحمام ومسحت ثيابي وصبغت لحيتي ويدي وقدمي جرباً على عوائد الفارسيين ، وذهبت إلى الملا وأنا أقول إنني من كان مظهره كطهرى في هذا اليوم فهو جدير بأن تقضى حوائجه . وكان بيت الملا واقعاً بين المسجد وبين سوق الجمال في طريق قريب من القصر للسكي . وكان شكل المنزل من الخارج دالاً على الحفارة ولكن حديثه الصغيرة كانت منسقة نسيقاً حسناً . ولما دخلت المنزل وجدته نظيفاً ورأيت خرفة الانتظار مفروشة بأثاث لا يدل على الثروة ولكنه لا يدل على الفقر وفيه رجل حسبه الملا ولكنني عرفت بعد قليل أنه واحد من أتباعه

حيثه وجلست ولم أكن قد عرفته ولكنني عرفت على أن أشترك معه في الحديث ليمر أنى أكبر من خادم وحاول هذا التابع أن يعرف أمرى فألقى علي أسئلة كثيرة غريبة ، قال :

— « يظهر أنك وصلت قريباً إلى طهران »

— « نعم »

— « يظهر أنك تريد الإقامة هنا »

وشرحت له ما أجد في نفسي من الميل إلى الدين ورجاله وأنى أتمنى أن أكون في المستقبل واحداً منهم ففكر لحظة ثم قال : « لقد تسلمت في صباح اليوم خطاباً من « ملا » (حالم) في طهران يطلب إلى فيه أن أبحث له عن كاتب يكون لديه استعداد ليصير حاكماً « ملا » في المستقبل وأخبرني أن هذا الرجل هو « الملا نادان » خفف قلبي عند ما سمعت ذلك وقلت له إننى أحب أن يرسل ملى خطاباً إليه ورجوته في ذلك فكتب خطاباً وطواه وسله إلى ، وقال : « اذهب بنثر توان وسلم هذا الخطاب إلى الملا نادان وستجد عنده ما تريده »

خفف قلبي وقلت يد البرزا وطلبت إليه أن يفضل علي قبول هديتي وهي سجادة للصلاة وقلت إن سبب إهدائها إليه هو رغبتي في أن يذكرني بدعوة سالحة بعد الصلاة ، فدعاني وشكرني وقال : إنه لولا هذا السبب لتأثر من قبول الهدية لأنه لا ينتظر هدايا للناس . وأوصاني بأن أعمك بالدين ظاهره وباطنه وأن أكره الصوفيين ، وقدمت له الهدية فأخذها مبيداً للشكر والثناء وبلغ من تعجلى أمر السفر أنى لم أنتظر حتى أتمكن من زيارة أصدقائى في « قم » أو من زيارة القبرة التى كنت لاجئاً إليها في أيام محنتي

ولما ذهبت إلى طهران تجنبت الباب الذى يستلزم دخولى منه المرور على قبر زينب . وصعدت من باب آخر . وحدث الله إذ لم يعرفني الحرس الذين كانوا تحت رياستى عند ما كنت مساعداً لرئيس الجلاذين وقلت في نفسي إنهم مذكورون إذ لم يعرفوني لأن الهيئة العسكرية التى كنت عليها وأنا في ذلك المنصب غير الهيئة المتواضعة التى أظهر بها الآن

شرب الخمر وإن التدخين ليس من السكرات ولكنه قد ينفذ في بعض الأحيان فهو عنده في حكم الخمر الحمرية . ثم أخذ يتحدث عن نفسه ويعدد فضائله حتى حسب أن حياته في هذا المنزل ستكون قاصرة على استماع المباهاة والفاخرة وأنى لن أنعم ما كنت أريد تعلمه من الدين .

الفصل الثالث والخمسون

المعلم ناوله ببرير فلفظ للعصوف على الاموال

ولسواء الناس

لما انصرف للشيخ الذي كان جالساً معنا في هذه الغرفة أخرج الملا كتاب أبي القاسم من جيبه وأعاد قراءته وقال : إنه يحترم هذه التوصية وسأني عن مؤهلاتي فأجبت بما أقمته وأرضاه وقال لي : « لقد كنت أبحث عن رجل تتوافر فيه صفاتك فلم أتمكن من العثور عليه إلا الآن . وقد كان هذا الرجل الذي انصرف منذ لحظة يؤدي لي بعض الخدمات ولكنني أبحث ممن يرى مصالحها كأنها مصالحه وأريد من يأكل من الخبز سامتاً ولا يطمع أن ينال أكثر مما يستحق »

فقلت : للملا إنني بلوت الحياة ورأيت كثير ممن الحوادث وإنه لم تمر بي حادثة لم أستخدم منها وإنه سيجد مني خادماً مطيعاً وإنني أريد أن أكون مسلماً كما ينبغي أن يكون المسلم

قال الملا : « مادام الأمر كذلك فساكون نصيرك لأنه لا صفة أحب عندي من صفة الاسلام . وليس في الناس من يصلي أكثر مني مواظباً على صلاته وليس في ثيابي شيء من الحرير أو الذهب ولست أألم إلا وأنا متوضئ ولست

— « لم يستقر رأيي إلي الآن »

فأطرق لحظة ثم قال : « إن إقامة المراء وحده متعبة حتى ولو كانت إلى أجل قصير فإذا كانت لك حاجة فاني أؤديها »

فقلت : « زاد الله فضلك فإن حاجتي عند الملا » قال : « أخبرني بها فلا فرق بيننا وإذا شئت فاني أسهل عليك أمرها عنده . وعندنا كل ما تريد بكل ثمن »

فقلت : « إنني لست تاجرآ »

قال : « أنا لم أعن أنك تاجر ولكنك تخریب عن هذه المدينة وقد تمكنت فيها عاماً أو شهرآ أو أسبوعاً فليدنا كل ما تريد في هذه اللدة »

فزادت دهشتي من اللغة التي يتكلم بها هذا الرجل ولم أفهم ما يمتنيه . وفي هذه اللحظة دخل « الملا نادان » . وكان هذا الملا في سن الأربعين وهو مستدل اللقمة وسبح الطلعة حسن اللبس وعلى الرغم من أن قامته كانت أخعب بقامة رجال السيف منها بقامة رجال القلم فقد كان يعوزها الملامم الفدالة على الشجاعة . وكانت أجلى صفة تظهر على وجهه هي المكر

دونوت منه وحييته وقد تمت إليه خطاب أبي القاسم فأخذه وقرأه . ولكنه لم يقل حرفاً عما فيه ثم أخذ يسألني عن صحة مرسل الخطاب وعن أحواله فصرت أجبته متظاهراً بأنني كنت وإياه على اتصال وثيق ثم أمرني بأن أجلس ورحب بي وقال : إنه يأسف لأنه لم يكرمني على العادة الاربابية بتقديم غليونه لي وقال إنه لا يدخن وإنه يستنكر عادة التدخين ويرى لرجال الدين أن يتغفوا عن هذا النوع من الترف . وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن

ولم يقاسم مع أنى صاحب الرأى فى ذلك، ومن أجل ذلك رأيت أن أفضل مثله وأنا أحق منه بالانفراد لأنى صاحب الاقتراح ولكننى أرى أيضاً أن يكون ما أفضله سراً وإلا استعان على بنفوذى لدى الشاه وغنائى من المدينة»

كنت أصنى إلى ما يقوله الملا وأصعد فيه نظرى وأسويه وأنا متمجب من فكرته . وقام بنفسى الشك فى أن يكون عمله هذا منطقياً على الشرع الذى يزعم أنه يحميه . وتمجبت أيضاً من قول أبى القاسم عن هذا الرجل إنه طيب . وبدا لى أن الوصف الصادق الوحيد الذى يستحق أن يوصف به هو الخبث الشديد . على أنى ظلت أطرى أفكاره .

واستمر يقول : « وعندى الآن ثلاث من النساء بمنزل صغير مجاور لمنازلنا وأريد استخدامك فى البحث عن أزواج لمن ، فاذهب إلى كل خان بالمدينة ولا حظ للتجار والذرياء وتلطف فى محادثتهم عن الزواج وقل لهم إن شروطنا أخف من شروط الملا باشى ، وسأعطيك أجراً على ذلك بنسبة المبلغ الذى تحصل عليه . وسيأتى يوم تكون فيه ملا مثلى وتنفرد أنت بهذا العمل وبكل ما فى منزلى من مال وأثاث لأنه لا وارث لى ، ومتى كان عندى ضيوف فأد فى منزلى وأجيب الخادم وإذا ما انصرف الضيوف فاجلس معى كما يجلس الصديق إلى صديقه وسأعبد إليك يمين أحمال كتابية »

لما فرغ الملا من كلامه ثم الصمت يعرف بماذا أجب ولا رأتى واجها أدرك مبلغ ترددى فترك لى مهلة دقائق للتفكير . ولقد كنت أنتظر أن أكون فى حياى الجديدة زاهداً فى حطام الدنيا ما كفاه

أدخن ولا أشرب التبغ ولا ألبس الورق ولا لبسة الشرطج وأنا أكثر من الصيام ولم أقطع قط عن صلاة الجمعة »

وقد امتدحت كل هذه الصفات وتخلقت بها أمامه فى الأيام التالية فسر منى حتى كاد سروره فى يمدل سروره بنفسه وقال لى إنه لم يتزوج وإن ذلك لا يمد مكربة لأن النبى عليه السلام قد تزوج وإنه إنما امتنع عن الزواج ليتوافر لديه الوقت للعبادة واستأنس من سنة الزواج بمساعدة الآخرين على أن يتزوجوا

قلت له : « أرجو ألا تترك أسراً من أمور الدين إلا علبته لأنى فى جمل الدين كالغفار والأترار » فقال : « سأعلك كل شئ تريد أن تملعه .

وأسر إليك أن الشاه وهو أتى الأتقياء شكاً إلى رئيس العلماء « ملا باشى » من فساد الأخلاق وسريان روح الفسوق والفسيان وكلفه أن يستأصل هذه الصفات ولكن (الملا باشى) رجل حمار لا يعرف شيئاً فطلب إلى أن أجيب الشاه عن أسباب الفساد السارى فى هذا الزمن وعن وسائل علاجه . وقد دلى النظر إلى أمور الناس على أن من المصيوب السائدة فى هذا العصر كثرة الطلاق فابكاد الرجل يقيم مع زوجته حاماً أو عامين حتى يطلقها ورأيت من جهة أخرى كثرة الزنا والفسق فראيت خير وسيلة هى أن أحصى المطلقات وأزوجهن للزنا والفساق وبذلك يستقيم الناس »

ولما أخبرت الملا باشى بهذا الرأى سر كل السرور وأسر باستقجار منازل صغيرة يسكن بها عدد عظيم من المطلقات، وصار يمدد زواجن على كل خاطب ويأخذ على ذلك أجراً، فكثرت أمواله

ولا رأييني ضمن على أوجهي البراقع، فسلت عليهن وأخبرتهن من همتي وطلبت إليهن أن يرفن البراقع حتى أراهن لأن همتي تستلزم ذلك. فحينئذ أحسن بحية وقلن إليهن بأملن الخير على قدومي وأسرعن اثنتان منهن إلى رفع النقاب فرأيت خدوداً قدودت البياض والحمرة من مهد قديم ورأيت عظام الوجنت بارزة ورأيت عدداً من الفضون والتجاعيد. أما الثالثة فاتها لم ترفع نقابها. قلت للسيدتين: « ما شاء الله ! هذا الجمال جدير بأن يجعلكما من زوجات «فرهد» نفسه. لا تطيلا النظر إلى حتى لا أفتقن. ما أحمل هذه الميون ! ما أحمل هذه للشفاء ! لكن اذا لم ترفع هذه السيدة نقابها؟—وأشرت إلى السيدة الثالثة— لعلها تراني غير جدير بأن أتمتع بشمس هذا الحسن » فقالت صاحبتها لها: « ما هذا الحياء ! افلي كما فعلنا وإلا أصبحنا مضنة في أفواه الناس »

فرفست للمرأة نقابها. وما كان أشد التزامي ودهشتي عند ما رأيت أنها زوجة ميرزا أحمد رئيس الأطباء

صحت قائلاً: « لا إله إلا الله ! ما هذا ! هل أنت بك الجن إلى هذا المكان ؟ »

فقالت لي بلهجة التصرع البائس: « نعم يا حامي بابا، إن القدر عجيب ولكنك أنت يا قاتل زوجي كيف أصبحت طاماً من العلماء ؟ »

قلت: « هل قتل زوجك إذن ؟ ولكن لماذا تكلميني بهذه المهجة ولماذا ترعمين أنني قتلتك ؟ لقد كان زوجك سيدي في وقت من الأوقات وأنا شديد الحزن على فقده

خبريني ماذا حدث له فاني أدور في عالم من الجهاة »

الصلاة والصوم عاملاً عبداً للدار الآخرة فوجدت الأمر على عكس ما كنت أنتظر فان كل طريقة خبرتها للارتفاق أعف عندي وأشرف من التي يدعوني إلى مزاولتها واحترقت نفسي لاضطراري إلى قبول ما يرضه علي. لكنني مع ذلك قبلت العمل معه وفقاً لشروطه وقال لي إنه سيهود إلى الكلام متى عن هذا الأمر في فرصة أخرى وإنه سيذهب الآن ليقابل شيخ العلماء ثم عاد إلى أسلوبه اللازم في الفاخرة فقال إنه يحقر مظاهر الدنيا وإنه لذلك لا يستبقى بمزله من الخدم إلا ما تقضى به الضرورة وليس عنده بالتزل من الخدم غير طباطخ وسائس ووصيف وبنواب. وليس عنده من الركائب غير حمار أبيض وقال لي إنه سيشتري بنلا في المستقبل القريب لأن ركوب البنال أدل على الوجاهة من ركوب الحمار. وقد انهرزت هذه الفرصة فأخبرته أن عندي بنلا لطيفاً ويعد أن تفاوضنا في ثمنه بته إليه وقال إنه سيستبقى الحمار لركوبه فكان ذلك أول ربح ويحتمه من اللا

الفصل الرابع والخمسون

ماحي بابا وسيط في الزواج

أسرني اللابان أقدم نفسي إلى الطاعات الواثية ينفق عليهن وأوساني بدراسة صفاتهن حتى أستطيع للتكلم عنهن مع الرجال وأن أعمرى منهن من أعمارهن والبلدان التي ولدن فيها وعن مؤهلاتهن ويعد أن فعلت ذلك ذهبت إلى السوق فاشترت ثوباً من ثياب العلماء « ملا »

وكان هؤلاء النساء جالسات على حمير عمزق وعن في ثياب رثة ولكنهن كن مولمات بالتدخين .

ثم أخذت تبكي وأخذت أعزبها عن سوء حظها وأؤكد لها الوعد بأنني سأبحث لها عن زوج ملائم ...

فقلت : أنت ترى أنني لا أزال جميلة وأن عهد شبابي لم يتقضب . أنظر إلى عيني هل انطفاً وبض الحسن فيما ؟ أنظر إلى جبیني الناصع وإلى خصري النحيل . فأخذت أحلق فيها كما أرادت ولكن بدلا من أن أرى شاباً وجمالا رأيت قبحاً وتشوهاً وعددت موقفي هذا منها بمثابة انتقام إلهي لسوء معاملتها فريظ

ثم حدثني السيدتان الأخريان عن تاريخ حياتهما فقالت إحداهما إنها زوجة سائح مات. وقالت الثانية إن زوجها كان جندياً فهرب خوفاً من غضب الشاه وانضم إلى الروسين وإن القاضى طلقها منه لهذا السبب. وقد حاولتا أيضاً إقناعي بأنهما صديقتان جميلتان فتظاهرت أنني مقتنع بذلك وقالت لي إحداهما : « تذكر أنني لم أجتاوز الثامنة عشرة وتذكر حاجتي للقرويين الذين يظهران كأنهما حاجب واحد » فوعدهتا بأن أذكر. ثم خرجت من عندهن. فلما ابتعدت عزيت نفسي عن رؤية أوجههن القبيحة بأن ضحكك ضحكة عالية .

الفصل الخامس والخمسون

عاجي بابا بنارول محمد الجريد

بعد أن أدويت هذا الجزء من واجباتي ذهبت إلى خان من أكثر خانات المدينة أزواحاً لعلى أرى فيه رجلاً من الذين أبحث عنهم وفي أثناء الطريق وجدت زحاماً عظيماً مقبلاً من جهة باب من أبواب المدينة . وسألت فقلت

فقلت : « لماذا تدعى الجبل بإحاجي بابا ؟ ألا تعلم أنك السبب في فرار زينب وأن فراها كان سيكاً في غضب الشاه عليه وتنف لحيته وأن ذلك كان سيكاً في إلحاق الخزي به وأن خزيه أدى إلى موته حسرة » قلت : « ما هذه الهممة التي تهمنى بها ؟ لو كان زوجك مات بتخمة فهل كنت تهمن بالفلاح الذي زرع الأرض بأنه قتل ؟ » ثم طالت بيننا المناقشة وعادت المرأة فذكرت أن طول مناقشتها لي ليست في صلاحيتها وأنها في حاجة إلى مرضائي . وقد تبين لي بالرغم مما تبديه الآن من الحب زوجها الأول وحزنها عليه أنها كانت تكرمه أشد من الكراهية المعادية وأنها حدثت الله على موته

ولكي أتمم الهزلة التي جئت من أجلها بدأت بأرملة الطليب فسألها عن مؤهلاتها الزوجية حتى إذا وجدت لها زوجاً استطلعت أن أحدث معه عنها فقالت لي : « تعلم أنني كنت في وقت من الأوقات من جوارى الشاه ، وكان جلالته يفضلني على زوجته وعلى سائر الجوارى اللواتي كن يخفن مني وترجف قلوبهن لدى ذكر اسمي . ولكن من الذي يأمن سولة الأقدار ؟ لقد كنت معززة مكرمة في القصر حتى شاء جلالته إكرام رئيس أطبائه فأهداني إليه . ولا تسلم عما قاسيته من الآلام عند ما انتقلت إلى منزله وتغيرت أحوال اللبشة أمانى تغيراً ما كنت أقدره . ولست أريد أن أزيد عليك قصة زينب فأنت تعرفها . ولكنني حاولت أن أسترد عطف الشاه بعد ما مات زوجي فوجدت أذنيه مسدودتين واضطرتت بعد البر والرافية وإطمئنان البال إلي البحث عن زوج آخر »

على هذه الحال فوطئ النفس على أن يقضى بقية العمر كأنه جل من الجبال التي يراها . ثم ظهر سني من التركانيين آمن به كل هؤلاء السذج لاهوائه أموراً عجيبية بهرت عقولهم البسيطة فسلط عليهم وقوى نفوذه . وكان هذا الشموذ كثير الصلاح أو متظاهراً بكثرة الصلاح فمرض عليه عثمان أنا نفسه وأقنمه بأنه سني وأنه من نسل الأشراف فأمر بإطلاق سراحه

وذهب عثمان إلى بخارى ، ولمعرفته السابقة بالتجارة استطاع أن يجمع ثروة في مدة غير طويلة ، واشترى بضائع من بخارى وجاء بها إلى إيران فباعها وهو الآن في طريقه إلى الآستانة ليبيع بها بضائع من بخارى وسمرقند وقاز ، وفي عزمه أن يذهب إلى الآستانة فيبذلها وهي بلدته الأصلية

وأخبرني أن مدة إقامته في طهران قد تمتد إلى الربيع لكي يسافر منها مع القافلة ولكي يرفه عن نفسه في هذه العاصمة بعد أن عالج حياة الخشونة في أسر التركان ، ولما وجدت ميله إلى الترفيه من نفسه كما يقول وكنت أعلم من معاشرته السابقة شدة ميله إلى النساء اقترحت عليه أن يتزوج إحدى المطلقات اللواتي أبحث لمن من الزواج . ولقد كان موثقاً بديكاً وأنا أفسى في أن أزوج أرملة سيدي التنوفي من سيدي آدمي لا يزال على قيد الحياة ، وإنما اخترت تلك الزوجة لئلا أنا لأنها أضخم المطلقات الثلاث جسماً ولقد وصفتها فأعجبه الوصف وقبل الصفقة اعتماداً على قولي

ذهبت بعد ذلك لأبشر الملا نادان بتجاعي وقصصت عليه قصتي مع هذا الصديق في الأمر فأفسى إليها بإهتمام . وقال لي إنني سأكون وكيل

أن قافلة جاءت اليوم من مدينة مشهد حيث كان يقام مولد الامام علي الرضا ، فأخذت أنظر إلى وجه كل رجل من القادمين وأتفرس فيه لعله يكون من يثيق أو لملي أجد بعض الأسداء الذين عرفتهم في تلك المدينة ، ولئن كان عهدي بها طويلاً فإن ذاكرتي القوية ترى كل وجه رأيته فيها . ولما كدت أياأس من رؤية صديق رأيت رجلاً ذا أنف خلق خلقة خاصة وظهر متعني يشبه الحديبة فتعلقت نظرائي به وقلت في نفسي هذا رجل أعرهه . وكان يشبه عثمان أنا الذي أخذ مني في أسر التركان ، ولكن عثمان يجب أن يكون قد مات فمن عسى أن يكون هذا ؟ أما أن يكون غير ذي علاقة بثمان فذلك غير محتمل فإن لم يكن هو فأخوه أو شيطانه . ودنوت منه فראيت على وجهه اقتباساً وزاد ذلك من شكي لأن الاقتباس أظهر خلقة في صاحبي عثمان . ثم تكلم فسمعت ذلك الصوت الذي ألفتته أذني ، وقد كانت الجملة التي نطق بها هي التي سمعتها ألف مرة وهي : « أرجو أن تخبرني عن سمر الجلود في الآستانة »

وكان هذا السؤال موجهاً إلى تاجر معه ، فلم أنتظر جواباً بل قلت : « سيدي ، أأنت عثمان أنا ؟ » ثم هزته بنفسه فلم يكده يصدق أنني حاجي بالآدمي كان معه في الأسر

وبعد أن تذكرنا حوادث الماضي مدة ما أخذ كلانا ينسى الآخر ، ثم روي لي ما حدث له بعد أن تركته وقال لي إنه لم يكن له محل في أسر التركان غير رمي الجبال ، وإنه تباه هناك فلم يعد يتألم من الأسر ولا يفكر في النجاة ، وإنه لم يكن يتألم إلا من أمر واحد هو عدم حصوله على التبغ ومضت عليه سنوات

فلم أجده جواباً على سؤاله أليق من القول بأن
زوجته كانت في وقت من الأوقات نورة القصر
الملكي وأن الزواج قسمة ورزق

قال : « نعم قسمة ورزق ولكن هذا القول
يحتاج إلى يصلح جواباً على كل نكبة . ولست
ألومك على أنني تزوجت فهذه قسمة كما تقول وإنما
ألومك على أنك وصفها بأنها صبية وهي عجوز .
ولقد خشيت بعد أن سمعت هذا القول أن
يطلقها ويطلقنا بما دفعه ولكن يظهر أن عقله غلب
عليه فذكر أن مثله - في مثل سنه - لا يستطيع أن
يتزوج من صغيرة جميلة .

وقتل زوجته معه إلى الخان وظهر لي من قرائن
متعمدة أنه لم يكن مسروراً منها ومن بين هذه
القرائن أنه دخل قبلها غرفته في ذلك الخان وقال
لها إنها تستطيع أن تنبئه إذا شئت .

« يتبع » عبر اللطيف الزنار

آلام فرتر

للساخر الفيلسوف فرتر الألماني

ترجمة حلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة طالية تدقيق من آثار الفن الخالد
تطلب من إدارة مجلة الرسالة
وعنها ١٥ قرشاً

الزوجة، وعلى الزوج أن يستحضر ويكلمه في عقد
الزواج . وأولى على شروط الزواج . وطلب مبتلاً
كبيراً من المال في مقابل وساطتنا هذه
ثم ذهبت إلى السيدة لأسمع منها كلمة التبول
بتوكلي ولأبشرها بمبادرة هذا الزوج للفنى . وقد
كان سرورها شديداً عند ما أخبرتها بهذا الحسد
على وجه صاحبها . كما تبينت على وجهها كل علامة
الزهر لأنها علمت هذا النجاح السريع راجعاً
إلى جمالها

وذهبت إلى ميثان أفا ولشد ما كانت دهشى
عند ما وجدته يتطيب بالسك وقد اغتسل وصيغ
لحيته بلون أسود ويديه بالحناء الذهبية . وظلت
إليه أن يراققني إلى بيت اللامان فنى وهو يتكلم
مشية جديدة . ولا شك في أن منظره في ذلك اليوم
كان كنظره قبل عشرة أعوام

وكان الخطار الذي يحول بفكرى ساعة انقصد
مجلس الزواج هو ما سألقاه من الويل إذا لم تنجبه
الزوجة . وتذكرت الخمين « ووكات » التي كنت
أخذتها من ماله في مدة الأسر
وتذكرت كذلك سابق إحسانه إلى قاستكبرت
أن يعتقد أنني أسأت إليه

وأخيراً تزوجا . وذهبت لهتهته فقال لي : « لقد
أفهمتي يا حاجي بلا أن المروس صبية، فقل لي كيف
وجدت في جسمها مع حداثة سنّها هذه النضون
والتجاعيد التي قلنا وجد أكثر منها في جسم أي
جمل من الجمال ؟ »



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشوق
أحمد حسن الزيات

برل امستراك هي مجلة
ص ٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الطبعة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرسلات

مجلة أسبوعية للقصص والكتب

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٤ المحرم سنة ١٣٥٧ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٩

العدد ٥٢

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة

٢٢٦	وحداية الحب	أصوبة مصر	علم الأستاذ درى خشبة
٢٣٩	صداقة الحب	للكاتب الفرنسي هنري بورديو	علم الأستاذ تايى الططاوي
٢٤٩	أ كان ييب أت أخرها	عن الانجليزية	علم الأستاذ عبدالحيد حدى
٢٦٦	حايى بابا أمفهانى	للكاتب الانجليزى « جيز مور »	علم الأستاذ عبد اللطيف النشار

— أنت تقالى في تقدير هذا
الساكن يا فؤاد
— لست أعالي ... ألا تعترف
مى بأنه حاك بأمره ؟
— هو ذاك ... لكنه في
الوقت نفسه يحمل الانسان ...
أو يحمل القلب ... كالفراس ،
فهو يطير به على كل زهرة ، ويرف

وَحَلَّ النَّيْسُ فِي الْحَبِّ
أَقْصُوهُ مَوْصِرِيَّةً
يَقَامُ الْإِسْتِزَادُ فِي خَشْبِهِ

به في كل بستان
— إن الفرّاش يفعل ذلك من أجل صالحه ،
ولسنا ماديين في الحب يا صديقي !
— هذا هو غرور الانسان ...
— ليس غروراً ... فقد كرّمنا الله خلقنا حبنا
من نور ... من كبرياء !
— وهذه فلسفة أيضاً !
— ليست فلسفة ، بل هذا هو الواقع !
— كل هذا قوله عاطفة للشبوبة ، ولو حكت
فيه عقلك لتبخر كله وحزفت حقيقة الحب وما هيته !
— يجب ألا تكون علاقة بين الحب والعقل ...
إن العقل شيء يبيع جداً ... إنه يتلف كل شيء !
إنه يشوه الجمال ويمسحه ...
— يجب أن نفهم أولاً هذه المسئلة : هل نحن
في الحب نشبه الفرّاش أولاً فنشبهه !
— قلت لك إن الفرّاش يتنقل من زهرة
إلى زهرة ليمتص الرحيق الحلو .
— والقلب ! ألا يتنقل من حبيب إلى حبيب
إلى حبيب ليرشف الثنور الحلوة ، ويقطف القلب
من ورد الخدود ! ؟
— هذا هو الفسق ، ليس هذا حباً ؟

— والله يا صديقي أنا لأدري كيف يفهم الحياة
هذا الشاب ، إنه أكثر ما يكون سام فائر السنين ،
له نظرات عميقة ممثلة نافذة لست أعرف كيف
أفسرها ولا أدري كمها
— هذه حال المحبين يا عزيزي ... ألا يجب
صبري ؟
— لا أظن أنه يجب كما نفهم نحن الحب
— ماذا تعني ؟
— أعتني أنه لم يهب قلبه فتاة بينينا .
— هذا لا يهم
— وكيف ؟
— قد يجب الانسان فتاتين وقد يجب ثلاثاً
وقد يجب أكثر من ذلك
— وماذا يكون هذا النوع من الحب ؟
— يكون مثل كل أنواع الحب !
— أكبر ظني أنه يكون حباً حيوانياً
— ولماذا يكون الحب التمدد حيوانياً ؟
— لأن الحب كائن أرسقراطي مستقيد ، لا يرى
أن يشركه شيء في سولته ، ولا أن يحكمه أحد
في دولته ... إنه حاكم بأمره يا عزيزي ... إنه
دكتاتور ! إنه فيصّر مسلط على جميع الفرّاش يا عزيزي !

وأنتن جميعاً قد غزبون فؤادك ... هذا بشرط أن تكون أنتن فتيان للشباب ذاقن الدم فوار الماطفة وأن تكون فتياتك بعيداً أماليد ذوات سحر وخفة — إذن أنت تخلق ظروفًا خاصة تبرر خوفها التمدد في الحب ...

— يا صديقي، الحب استجابات للظروف التي تحيط بالقلب في فترة ما من الزمن .

— أراك قد أطلت في تحليل فلسفتك الجديدة، ولست أدري ما علاقة ذلك كله بصبري وما يبروه من وجوم وشروذ ذهني !

— علاقة ذلك بصبري أنني أؤكد لك أنه يجب !

— وكيف وهو متزوج ؟ !

— أؤكد لك أنه يجب ولو أنه متزوج !

— إنه متزوج من الفتاة نفسها التي كان يهاها بل يبيدها !

— ليس يمنع هذا من أنه صبا إلى غير زوجته !

— وكيف يصبو إلى غيرها وقد وهبا حياته وتفكيره وجهاده !

— في سؤالك عود إلى حديثنا السالف ...

وصديقك صبري يؤدي وظيفة الغفراش في رشف الزحيق من الأزهار ، وهو قد انتقل من روضة إلى روضة ، وأؤكد لك أنه سيتنقل إلى أخرى ، وسيظل هذا حاله حتى يمتد جسمه ، وتنطق "جنوة" شبابه ، ويفيق إلى الحقيقة ...

— وأية حقيقة يا غالب !

— حقيقة الحياة !

— وما حقيقة الحياة بعد هذه الجولات التي يصورها لك خيالك في عوالم الحب ؟

— لا أستطيع أن أذكر لك ... ستعرف كل

— وما الحب إذن !

— الحب أن يضيء الحب في الحبيب ، أن يؤثر بكل شيء ... ألا يشرك منه أحداً في قلبه !

— بل الحب الأثرة !

— وكيف يكون الحب أثرة ؟

— الأثرة : الأنانية !

— ما سألتك عن معنى الأثرة لتقول إنها الأنانية ... كيف يكون الحب أثرة ؟ !

— يكون الحب أثرة لأنه يجعلنا أنانيين ...

فهو يجعلنا نتوهم أن الحبيب حولنا فقط وليس لأحد سوانا ، فإذا رأيته ينظر إلى شيء أو يعنى مع شخص آخر ولو كان هذا الشخص من عارمه ، ثرنا وتولانا الغضب ، فإذا حدث أنه غاب عنا بعد ذلك تسلمنا للشكوك وافترسنا للنيرة وترادفت في رؤوسنا حينذاك كلمات كثيرة حفظناها من أنانيتنا للريضة ... فمن ذلك كلمات الرقيب والمناول والمهجر والخصام ... وقد نذكر البكاء فنيكي ، والدموع فتفسح السمع للفرز ، وقد لا تقوى على البكاء فنيكي سامحين مفكرين مشردى الحب صميقى النظرات كما رأيت صديقك صبري ...

— وكيف يجب من تكون هذه حاله غير حبيبه ؟

— يجب غيره لأنه لا اختيار لأحد في توجيه قلبه ... حينان تقمان على منظر حسن فيتأثر القلب ويرقص ويضطرب ويشقى إذا كان هذا المنظر فتاة حلوة رائة ... هذا كل شيء !

— حبيبا !

— أي يجب ؟ ! أنت أول من يفكر بالوحداية

في الحب إذا وانتك الفرصة للخلوة بأكثر من فتاة جميلة في يوم واحد فتراك قد ملت إليهن جميعاً ،

الأحلام ، أو روضة من جنت رضوان
أما من ناحية الجنوب فكان المنزل مشرقاً على
الحقول الممتلئة بالحياة المنبسطة تحت رحمة الله ،
تؤتي أكلامها في لين ويسر ، فتملأ الأهرام كما تملأ
الجيوب ، وتفيض على الناس خيرات وبركات
أما من ناحية الشمال ، فكانت تتدفق مياه
الترعة القديمة الخالدة تحت أشجار الجوز والبنج ،
وفي ظلال النخيل الباسق ، وكانت تحدث خرويراً
ما كان أحلاه وما كان أشجاءه ، لأنه غناء الطبيعة
ونشيد الخلود

هنا كان يقم صبرى ... بنى وينظم ويقرأ ،
ويتحد بالكون الرائع الهادئ ، ويسرى في القباب
المقمرة نفحة جميلة ذات جرس في أجواز الفضاء ،
ويستقط مع الشمس ملاكاً قبا ، يف فوق هروش
الشفق ، ويتطرح في ظلال الدوح فيتأمل في قدرة
الله العلي ، وعلاً قلبه من جمال ما صنعت بده ثم يقضى
أصائله مع منرب للشمس متجنباً فوق هود يستوده
أسراره ويروح له يمكنون قلبه ...

ما أجل الرفيق المصري وما أحسن انسجامه !
هنا كل شيء فطري ، فلا مجازفات ولا مخاطرات...
قناعة ونفس مرسل على سجيته... فلماذا أتر صبرى
الساذج القانع أن يذهب إلى القاهرة ؟! ما ذا في
القاهرة أجل مما هو هنا في تلك الضاحية المقطرة
الرائحة ؟! إن القاهرة كالنول الذي لا يفتأ يكشر
عن أنيابه يفتسر السجاي ويطنح الجبال... إنها
مأوى الأبالسة ومرتع الشياطين وملب الجنة ، وإن
تكث أكثر بلدان الله مساجد وكنائس وبيعا ...
كل ما في القاهرة مصنوع .. ليس فيها شيء لم تنفق
على تطويره الأول والألوف .. إنها هي من أحياء

شيء ، ولكن من سجل الحوادث ، فهل بنا تتجسس
أخبار البطل ...

— أى بطل ؟

— البطل الذي تعاريفي فيه .

— صبرى ؟

— أجل ... صبرى ... صبرى

كان غالب أفندي عبد الرؤوف صادق الفراسة
فيا ذهب إليه من تلميل وجوه هذا الشاب المجيب ،
صبرى أفندي نجيب . فلقد أحب صبرى زوجته
حبا جما قبل أن يصل أسبابها بأسبابه . ولقد كان
يهواها ويميدها كما زعم فؤاد في حديثه الطويل
الجميل مع الأستاذ غالب . وكانت قصة غرامهما
درامة رائعة فياضة بالمواعج جارية المبررات ، فيها ألم
وفيهما عذاب ، وفيها من تباريح الحب ما غمر قلبيهما
وصهرهما وطهرهما ، وفيها أقسام غليظة وعهود وثيقة
أن يكون أحدهما للآخر وألا يشرك أحد منهما
بصاحبه مادامت الأرض والسماء

وكان صبرى فتى جميل الحيا وافر الثروة أتيق
الهندام يحب للفناء ، مشغوقاً بالموسيقى ... وكانت
له ضيعة في ضواحي الزقازيق تأتي له بقلة عظيمة ،
وكان يحب منزله الرني المشرف من ناحية للشرق
على حديقة متوسطة أقام فيها كرماً وارث للظلال
يقسمها أربعة أقسام تلتقي عند عريش جميل كان
صبرى ممتجياً به ، فكان يجلس تحت يني أو يناهب
هوده ، أو ينظم أغانيه المصرية الصافية ثم يلحنها ،
أو يقرأ في ديوان ، أو يتلو قصة ، وشذا الورد
وعبق الأزهار ، والحديقة كلها ، بل الدنيا جميعاً
تتأرجح من حوله ، فتكون بين يديه لحنا من أمذب

تلك القلوب الرطبة بما حباها الله من رشاقة وخفة
وجال

لم تكن سنية من هؤلاء الراقصات اللاتي يجرن
بأجسامهن فيجعلن أثماناً للنظرة والابسامة والكلمة
والجلسة والريثة بأطراف الأصابع ثم الشهرة بما
يكون فيها من نصيب أوفى الشيطان ، فتكون القبلة
بشمن قدره كذا ، والضممة بسرورته كيت ، والرقصة
المارة المبردة بكذا من القروش المدودات ...

لا... لم تخارس سنية هذه التجارة القذرة وإن
تكن بحكم الصنعة ترفها ، وكانت على استمداد
لمارسها لو لم يدخل صبرى اقتدى نجيب في حياتها
بقا ، فكان دخوله فيها كالنور الذي يفسح الظلام
ويصده ، ويحل البشر والابتناس محل التجمع الذي
هو مصدر جميع الشرور

لقد كانت سنية تسبح في حفلة الزقاقين الساحرة
في فيض من ضوء البريقال في خفة ورشاقة وثقل ،
وكان جسمها الناضج الخصب المتلي بالشهوات
يروح فوق السرح ويجي في حركات مضبوطة
متزنة ، وكانت تغذها المارية اللسان الناعمة تنقبض
وتسترسل وتلف كالكوب فوق قدم صغيرة حافية
لها أصابع دقيقة أنيقة وعقب جميل مستدير ، كان
حامل للنور الخليليت يسلط عليها ذوقاً من الضوء
الأيض الناصع فيجعلها كزهرة الزين الفضة
للنضوحة بخمرة اللؤلؤ

وكان ذوا سنية تستدقان عند الكفين ،
وتلفان عند الساعدين ، وتبرزان قليلا عند الكوعين ،
ثم تمتثلان عند العنق ، فكانتا بذلك أجمل ذراعين
تقع عليهما عين شاعر وموسيق مثل صبرى ...

وكانت الفتاة تعمل إحداها في رفق وهودة
فوق صدرها الناعم ، فتعطي ندياً وتكشف آخر

جهم انتقل من سواء الجميع ليكون فتنة هذه الدنيا
والناس يتهاونون عليه لكثرة ما فيه من التريات ..
اللاهب ... المراقص ... الساهر ... الخانات ...
دور الله ... نفاخ الشباب ... مصائد الفئات ...
الواخير ... أوه لهذه الواخير !

أحسن صبرى ظم شديداً إلى القاهرة ! لقد
انتشرت الأبالسة نبعت عنه حتى وجدته يصل بريناً
ساذجاً في صومعة الريف ، فنفثت في قلبه الرغبة ..
ووسوست إليه بضرورة التنوير ... لقد صمكت عليه
وصرخت في صدره بأن الحياة التي يحياها حياة خاملة
متشابهة تمت النفس وترهق المواطف ، وتكبث
الروح ... والشباب الذي له مثل شباب صبرى
وقربحه ومزاجه لا يخلو به أن يحيا سجيناً هكذا
لا بد أن يؤدي رسالته في محيط عاشق واسع يختلط
بتغير كل ساعة ولا يبق على سنة واحدة أكثر
من يوم ...

ما هذا الريف الساكن الساكن الهادي الصامت
الذي لا نحس له ركزاً ولا تكاد نسمع له همساً ؟
ما أشنع أصوات البقر والجاموس والحجر والأوز
والبط والكلاب الزبينة وقطاط القرية !

ما أشنع أسراب البلب تحط على كل شيء .
وتنمر كل شيء ، وما أقسى لدغات البعوض !

هكذا ألحت الأبالسة على قلب صبرى ، وهكذا
بشفت إليه هذا الريف البار الذي لا يؤدي أحداً
ولا يلحق الضرر بأحد ، ثم حسنت إليه القاهرة
الساهرة الريددة التي لا تكاد تنام ...

وهكذا اتوى صبرى أن يبيع الفتاة القاهرية
الرائمة التي رآها في الزقاقين ترقص في ليل ساهرة
مع إحدى الفرق الجواله ، والتي استطاعت أن تسحر

لقد كانت سنية تقف في مفرق الطريق عند
ما ساق إليها للقضاء صبرى ، وكانت موشكة أن
تتردى في الهاوية التي ابتلت الألوف من أشباهها ،
لولا أن أشرق في ليها هذا الكوكب الدرى فجذبها
إليه ليصنع منها قديسة !!

— بل الحياة في الريف أجمل وأكثربهجة ...
إنك واحدة يا أختاه ... إن حديقتي ستسحرك
بأزهار البرتقال والندنج وانخوخ والشمش ...
وستطيرين إلى دوى النحل ... لا تخافى ، فنحن
هادى ودبع لا يؤذى أحبابه ، لقد تقف النحلة على
يدى فتقبلها كأنها تعرف من أنا !!

— كل هذا جميل وساحر ، وأنا أحب الريف
كما لا يحبه أهله

— كما لا يحبه أهله ؟

— أجل ...

— وكيف يا سنية ؟

— إنهم من طول ما امتزجوا به يودون لو
تخلصوا منه

— وإلى أين يذهبون ؟

— إلى المدن الساحرة ... المدن الكذابة !

— إلى هذا الحد لا يحين المدن !

— أنا لا أحب المدن لأنها ترمق --

— وكيف ترمقك وكل من فيها صرعى هوالكا !

— هنا هو الذى يشجرنى ... إن الناس

يهاجونى بشهواتهم وكل منهم يريدنى لنفسه وإلى
الآن لا أدري إن أكون

— لأحسبهم طبعا !

— ليس فيهم أحسن وأرأى ... كلهم أبناء

وهنا كان موضع قنعتها وسحرها ... وليس يدري
الخيال أى اللذنين أوفرقتة وأكبر نصيباً من المجاذبة:
الكشوفة ، أم المحتبئة تحت الكف اللثمة للنساء ؟
أما ابتسامات سنية ونظرات سنية فكانت خير
رأس مالها في دولة الخيال . فلقد كانت تقتر عن فم
خلو خلاب لم تملح إلا بقليل جداً من أحر الورد
فاذا تبسم بدت ثنائياها العذاب الرطاب ، وتضاحك
خداها فتأزلا الأنواء النطامة بالتبيل

أما ميناءها فكانتا نفاذتين أخاذتين ، لها شك
جيب في سويداءات القلوب ... فاذا لم يسلم الرأى
بنفسه ، غرق منهما في لجنتين من السحر ، فلم يدرك
نفسه قراراً ولم يفز بنجاة

هذه سنية ... هذه هي الفتاة التي شقت فؤاد
صبرى شقاً عنيقاً فاستقرت فيه غير راحة ... هذه
هي العادة التي غيرت مجرى حياة الشاعر الهادى
الساكن فجعلتها عريضة ساخنة مضطربة كالثورة .
تطلب كل شيء ، وتشتتى كل شيء ، ولا تقنع بشيء ،
ولا تسكن إلى شيء

لقد كان صبرى ينكر الجمال المصرى حتى رأى
سنية قائم به ، وعرف أن الخير موجود يوفرة في
كنانة الله ، وأن الجمال المصنوع في شركات السيما
هو زيف ويهرج لا يبدل الجمال الطبوع في هذا
الوادي للقديم المقدس

ولقد كانت سنية تحفة من آيات النيل طبعت
على غرارها تحف كثيرة نادرة ، لكنها وأسفاه تحنى
في مبادات الفقر وتهمل في الأزقة والطرقات ،
ويندر أن يكشفها قلب عاشق أو خيال فنان إلا
في مرقص أو ملهى أو مأخور ، بعد أن تشوها
يد السبت ، أو تمزق عفافها يد الهندس ، أو تبطلها
الأغراض والشهوات ...

- آدم ، والطليعة تجري في أصلاهم بالوراء
 — إنك تظنين بالناس الظنون يا سنية !
 — ليس هذا مجرد ظن يا عزيزي ... لقد
 درستهم وخبرت مكنونهم ... أبدا لن أنسى
 ما تمرغ الشباب تحت قدي لأتلبهم إحدى ثمراتي ،
 فلما كنت أستدرجهم وأقترح عليهم سبيل الرحمن ،
 كانوا يهزفون ويهزون مني كأن طاعون !
 — وي ! !
 — هذا حق ... لقد كانوا يهزون حتى
 لا يصيبهم طاعوني ... لقد كانت شهوتهم تنطق
 فجأة عند ما أذكر لهم الزواج ...
 — ولماذا كانوا يرفضون ؟
 — كانوا يرفضون لأني راقصة ... ومن حق
 الناس على الراقصة أن يتالوها بأيسر ممن ... ليس
 للراقصة أن ترتفع إلى الأفق العلوي الذي يحيا فيه
 جميع الناس ... إنها مخلوق وضع ، فكيف تحسب
 نفسها من معلميها !
 — هذه مبالغة يا سنية !
 — ليست مبالغة .. إن الناس يزدروننا ويهزمون
 أننا مجردة من فضائلنا حين اضطرنا اللوز إلى هذه
 الحرفة ... وليت شعري ماذا كنا نصنع ؟
 — لهذا قلت لك إن الريف جميل !
 — ماذا تمى ؟
 — أنت تفهمين كل ما أمتي !
 — أمتي أن أزل عليك ضيقة ؟
 — حاشا لله يا سنية !
 — إذن لماذا تمى ؟
 — ألا تحسبن يا سنية أن كلامنا كان يفتقد
 الآخر من عهد بعيد ؟
 — أخشى أن تكون جديدا :
 — ليكن ما تظنين !
 — لكني لا أحب لك أن تكون في قائمة
 الآخرين !
 — لن أكون في قائمتهم إن شاء الله !
 — هذه إذن تكون تضحية محببة !
 — ولماذا تكون تضحية ؟
 — قبل أن أفسر لك ما أريد أو أن تصارحنى !
 — وماذا أسأرك ؟
 — لماذا تريد عندك في الريف !
 — لتكوني أجل زهرة في بستان !
 — خيال شاعر لا يستطيع أن يفهمي !
 — ليس ما أقول من خيال الشعراء يا سنية ،
 ماذا تريد أن أقول لك ؟
 — أنت تعرف ماذا ينبغي أن أقول ، ولكن ...
 لا تكن شاعرا أرجوك !
 — أنكرين الشعر ؟
 — أكره الشعر الذي يكذب به قائلوه على سامعيه !
 — وأي شعر تحبين إذن ؟
 — وأي شعر ترى أن يجب الغدادي ؟
 — الشعر الذي تغسله السموم !
 — قد يكون هذا كذب الشعر !
 — الشعر الذي يحس الإنسان حرارته !
 — قد تكون الحرارة طبيعية في قلب الإنسان
 فيتأثر بأي أنواع الشعر ويحسبه حارا !
 — الشعر الصادق الحى إذن !
 — قد يكون الشعر صادقا حيا في حين يكون
 صاحبه لا صادقا ولا حيا
 — وكيف ؟ أليس الشعر هو الشاعر ؟

- ليس في كل الأحيان ، فقد يكون الشمر
صناعة ومع ذلك تكون فيه حرارة وصدق وحياة
— فإذا كان شمرى حقاً ؟
— أى ؟
— أى أنه ليس صناعة يزجها الناس
ويزخرفها القلم ؟
— إذن فلماذا تريد أن أكون عندك
في الريف ؟
— لتكوني لي وحدي فقد أصبحت لا غناء
لي عنك ولا حياة بدونك !
— أهذا هو الشمر غير المصنوع ؟
— إى وحقك يا سنية !
— لشد ما أنتم أنانيون يا عشاق !
— لست أنانياً ... ولكن ...
— ولكن ماذا ؟
— لا أريد أن تقع عين عليك فتسقط بجمالك
بعد اليوم !
— إغراق في الشمر مرة أخرى !
— لست مغرقة في شمر كما تظنين !
— أنت تراوغني ، وأوشك أن أضيق بك كما
ضقت بالآخرين !
— ماذا الله أن أراوغك يا سنية ، أرفضين
أن تكوني لي ؟
— لست أرفض ولكن بأى سبيل ؟
— بأى سبيل كيف ؟
— هل تسألني ؟
— لا أنهم !
— لأنك تراوغني كما كان يفعل الآخرون !
— وماذا كانوا يفعلون ؟
- لقد ذكرت لك كل شيء
— آه ... فهمت !
— فهمت ماذا ؟
— لقد كانوا يريدون بعض غمرك بأيسر عنى !
— هو ذاك !
— وتحسبن أنني أصنع كما كانوا يصنعون !
— وماذا تصنع غير ذاك !
— كلا يا عزيز ... يا حبيب ... كلا يا سنية !
— لماذا ترتبك هكذا ؟ !
— أرتبك لأنك ترفضين أن يكون كل
ما أملك لك !
— إذن فاسمها منى ... أنا أرفض أن يكون
كل ما تملك لي .
— ولماذا ؟ أليس العيش مع شخص واحد
خيراً منه مع كثيرين ؟
— إذن أنت لم تفهمي ، ومن الخطر أن
تركني إلى ...
— من الخطر أن أركن إليك ؟ ولماذا ؟
— لأنى راقصة .
— وما في ذاك من الخطر على ؟
— سأحطم حياتك ... سأجبل سمادتك
أهائاً ... لن تنظم بيتاً واحداً من الشمر بعد أن
أدخل منزلك الرقيق ... لن تقبلى ... لن تشكرو
إلى عودك ... هل سمعت ؟ !
— أنت واهمة يا سنية !
— لست واهمة ، ولكنك الآن في قبض من
مواطنك فلا تستطيع أن تفهم ... ثم أنك سوف
تكون أشقى الأشقياء إذا أويتني في عشك الرقيق
الجميل ... فأنا أنصحك ...

- تنصحيني بماذا ؟
 — بأن تعتمد على ما استطعت ، فأنا خطر عليك
 — أرانا قد اجتمعنا كثيراً يا سنية ... لقد
 أسأت فهمي
 — كلا ، لقد فهمتك جيداً ... ألسنت تريدني
 لك وحدك ؟
 — بلى ، أريدك لي وحدي ، فما في ذلك بما
 آالك ؟
 — لم يقل شيء ، بل إنه قد سرني أن أفهمك
 كما فهمت الآخرين ، فلقد كان كل منهم يريدني له
 وحده ... مثلك تماماً !
 — لكنك ذكرت أنهم كانوا يهربون منك !
 — كانوا يهربون مني كما يحاول أن تهرب أنت
 الآن !
 — وكيف أهرب منك وأنا أحاول أن أدو
 منك أكثر من كل لحظة دنوت فيها منك ؟
 — إذن أجب عما أسألك دون أن تلتوي هكذا :
 كيف تريدني أن يضمني منزلك الزيفي إذا رحلت
 منك إليه ؟ أم أكون فيه حبيبة ؟
 — تكونين فيه أعين من حبيبة ؟
 — أم أكون بماذا إذن ؟
 — تكونين مالكة متصرفة !
 — أي أنك تنزل لي من بيتك ؟
 — ولم لا أفضل ؟
 — بمقد مسجل ؟
 — بأية طريقة تحبين !
 — وماذا أم لك لأتفق على هذا البيت ؟
 — ضيقة وواسمة !
 — تكون لي ؟
 — تكون لك تتصرفين فيها كما تشائين !
 — ثم يكون بيتنا بعد ذاك ما أمر الله أن يكون
 بين كل امرأة يتصل بها رجل ؟
 — ... ؟ ...
 — لماذا لا نجيب إذن ؟
 — ... ؟ ...
 — ألم أقل لك إنك لا تفضل أحداً من أبناء
 آدم ؟
 — إنك تربكيني يا سنية !
 — ولماذا أربكك ؟ ألا أني طلبت منك ما يطلب
 الله من الرجال للنساء ؟
 — أنا لا أمانع فيما تطلين ...
 — إذن لقد اتفقنا
 — ولكن لي شرط
 — وما ذاك إذن ؟
 — أن تكفني بمضطاب أكتبه إليك !
 — وشاهدين !
 — لك هذا ...
 — وما يحفيك من الطريق الذي يسلكه جميع
 الناس !
 — ليس يحفي شيء !
 — عجيب أمرك والله ! إذن نسلكه نحن أيضاً
 ما دام لاضير عليك فيه !
 — لكن ...
 — لكن ماذا ؟
 — لا شيء !
 — بل أنت تخشى أشياء كثيرة ؟
 — أشياء كثيرة مثل ماذا ؟
 — حتى ما تخشى منه تريدني أن أقوله لك !
 (٢)

أرأيت إلى هذا الحوار الطويل؟! أرأيت كيف كان اللقى صبرى مثل كل الناس فى منافزة هذه الراقصة البريئة؟ لقد أرادها كما أرادها غيره، ولما استمعت عليه بهذه الوسيعة عرض وسيعة أخرى... لقد أراد أن يقنصها بالمال، لكنها أبته وصارحته أنها ترفضه، فلم يجد بداً من أن يتقاد لها كما تريد؟ وهو بذلك قد مسح جبهه وشرق جماله وشوه الماطفة الكريمة التى سرت بين قلبه وقلب سنية، ولو أنه كان قد أجلب صبيحة حبيته ولبي نداءها دون هذه المراقيل التى أقامها بينهما لكان أسعد حالاً مما انتهى إليه أمره.

على كل حال لقد تزوجها وذهب بها إلى منزله الرقيق الجليل، ولقد سعد بها سمادة كانت متعنى أحلامه...

وكانت سنية تنشده هذه الحياة الزوجية المادية البعيدة من المراقص والملاعب والحانات ودور اللهو؛ ولم تكن مثل كل الراقصات تطرب للكلمات للثناء للكاذب التى يمتزها المشاق حول أذنها كي يخدموها... لقد كانت تعرف اللبائث على هذه الكلمات، فكانت ترددها فى صميمها، وتحقق أصحابها، وإن لم تبد لهم مكون نفسها، فكانت تجزيهم بإتسامة قاترة لا تنال فيها، ثم تغشى فى سييلها تاركه فى كل قلب لوعة وفى كل نفس حسرات؛ وكانت لذلك تصلى لله أن يرزقها هذه الحياة الطيبة الوادعة، وأن يتقدها من الميؤن المأجمة، والنفوس المائمة، والتهوهات الرضية التى تنطق بالبرام فى البؤر والمواخير.. فلما قازت بها هدأت وأطاعت ونسيت لصبرى هذا اللواء الذى كان يضمه بينه وبينها أول الأمر، ثم طأطأت نفسها لتجعلن بيته جنة، ولتملاؤه غناء وألحاناً

— لا وحكك، ولكن قولى لي...
— هذا أمر يسير جداً... أنت تخشى أن يعرف الناس أنك قد تزوجت راقصة؟ أليس كذلك؟
— ما هذا الذى تقولين يا سنية؟
— بل هذا هو الذى يخيفك... وأنا لذلك أرفضك!

— هذه قسوة شديدة لا أحتملها!
— قلبك ليس شجاعاً، فهو لا يحتمل كثيراً
— سأرهن لك أنك فهمتى خطأ
— وكيف تبرهن على ذلك؟
— سأطلب يدك إلى أباك!
— أبى!
— أجل!

— وهل تعرف أبى؟
— أسأل عنه!
— تسأل منى؟
— أسألك أنت!
— خير لك أن تسأل غيرى فقد أ كذبك!

— لا تستطيعين!
— ولماذا لا أستطيع!
— لأن من كان له مثل لسانك لا يكتب!

— إذن...
— إذن ماذا؟
— لقد مات أبى!
— فأنت يتيمة إذن؟
— أجل، ولذلك نشأت راقصة
— إذن هلى...

— إلى أين؟
— إلى القافى...

ومضت شهود والآن مطمئن إلى الله ، صيد به سعادة لا تشوبها شائبة ، ولا يكدرها مكدر .
ثم جلس صبرى مرة في ظل شجرة عارضة فوق دواره فسمع شابين يتناجيان خلف الجدار فيقول أحدهما للآخر بمجيئه :
— كلا يا سيدي ... لقد جاء بها من مصر ..
وكل الناس يقولون إنها راقصة !
— يا شيخ اتق الله صبرى بك يتزوج راقصة ؟
— والله لقد سمعت هذا من لم لا يكذب
— وعن سمته يا صادق ؟
— من أمز أصدقاء صبرى بك ... من غالب أفندي عبد الرؤوف
— وما دخل غالب أفندي عبد الرؤوف في أن يتزوج صبرى بك راقصة أو غير راقصة ... الرجل حر ، وهو الذي اختار لنفسه ، ورب راقصة خير من نساء قريتنا جميعا !
— مهما يكن الأمر فغالب أفندي يقول إن صبرى بك سعيد جداً بزوجه وهي خير له من أى زوجة أخرى .
— ولماذا ؟ لما يقول غالب أفندي هذا الكلام !
— قلت لك إن غالب أفندي لم يخطيء في حق صديقه ...
— مجرد ذكر الزوجة التي لا شأن لأحد بها خطأ بصديقي ، هكذا علمنا هذا الريف الذي نعيش فيه !
— هذه مقالة إراغب .. الحمد لله غالب أفندي رجل يحب صبرى بك ويخلص له ، وقد مدح زوجته مدحاً طيباً وأثنى عليها ثناء صادقاً .

إذن فقد كان الناس يتحدثون عن صبرى أفندي

وهي زوجته ، وقد علم الناس أنها كانت راقصة ، وقد تحدثوا بذلك طويلاً ، وتحدث به أصدقاء صبرى وفي مقدمتهم غالب أفندي عبد الرؤوف صديقه الآخر ، ولا شك في أن صديقه الآخر هو الذي أذاع هذا الخبر . وإن يكن قد أذاعه مثنياً مادام لا ظاماً ولا فادماً .. لكن النية مرفوعة على كل حال ..
لقد أراد غالب أفندي أن يقول للناس إن صبرى أفندي نجيب صاحب هذا المنزل الجليل المنزل متزوج راقصة ، وسيفهم الناس أن كلمة متزوج هذه كلمة (تجوزة) فهم يقولونها ويريدون أن يقولوا إنه يؤوى في بيته راقصة ... والناس في الريف وفي المدن الصغيرة لا م لهم إلا التحدث في شئون غيرهم الخاصة ، يساعد على ذلك فراغهم الكثير وعدم اتصال أشغالهم ... والإنسان متكلم شغشاق بطبعه ، لا يستطيع أن يحزن لسأله إلا على قلق ، وهو إذا اتق إنساناً آخر جعل يفكر في ألف حديث يقوم بينه وبينه ، فإذا ضاقت به الأحاديث أرسل أى حديث والسلام ... فما يبالي أن يكون هذا الحديث غيبة وهو عادة لا يقصد الغيبة ، إنما هو يقع فيها وهو لا يدري ؟ ومن الناس من يقع في الغيبة وهو متمدد لأن كثرة وقوعه فيها غير عائد قد مهد لوقوعه فيها عادماً ، فهو يلقى الحادث الصغير فما يلبث أن يحوكم له الأطراف ، ويمز له بالعين والأنف وسائر أجزاء الوجه حتى تستقر في روح السامع منه أشياء ليست من الحق ، وليس فيها من الحق شيء ...
هكذا يعيش الناس في الريف وفي كثير من المدن الصغيرة ... وقد نزع صبرى حديث الشائين فأحس لساعته أن سحابة تمتد في سماء سمائه ،

- وأن كاسامة اللذائق ترتفع إلى شفتيه ، وينسكب منها شيء في فمه
- وانقلب صبرى إلى منزله مفكراً مقطب الجبين ساهماً ، فلما لقيته سنية لم تبال بهوسه وتغلبه ، بل راحت تلف ذراعها حول عنقه ، وتسלט عينيها الرائمتين في عينييه السادرتين ، ثم تغمز به للرجف بالقبل ...
- بيد أن قبلها لم تسحره هذه المرة ، وظل صبرى قاراً كالذى سرى في كيانه م ، أو فاجأته نازلة ... فقالت له وقال لها :
- ماذا ؟ هل ضاع كيس تقودك ؟
- لا ... أبداً ...
- هل خطف طفل طربوشك ؟
- ها هو ذا طربوشى
- هل حذفك فلاحه بقشاة ؟
- ... ؟ ...
- مالك مقطباً هكذا ؟ ماذا حدث إذن ؟
- لا شيء ...
- أصرى أنت ؟ أحس نبأ في رأسك ؟
- قليلاً
- إذن خذ هذا القرص المسكن
- ثم أذابت له القرص في قليل من الماء ومدت إليه الكوب بيدها اللطيفة الرائحة فتناولته وشرب ، ثم تطرح على السرير أمام سنية
- أين كنت يا صبرى ؟
- كنت في الحوار
- هل لقيت أحداً ثمة ؟
- ما لقيت أحداً اليوم
- هل سمعت كلاماً ؟
- ما دمت لم ألق أحداً فكيف أسمع كلاماً ؟
- أوه ! صحيح ... أنا غبية
- حقواً ...
- هل أغنى لك ؟
- أكون سيداً لو فلت
- وعليك أن تأخذ للمود يا عزيزى
- لا أقدر
- إذن أقوم بالثناء والموسيقى ما ... هل تقترح شمرأ فأغنيه ؟
- ليس في رأسى كلمة واحدة فأقولها
- وأختار أنا مقطوعة من كلامك
- ثم تناولت سنية عود زوجها فرجعت بصوتها عليه ، فلما راعها إلا أن ترى دمة تتألب عين صبرى ثم تنطلق على خده حارة ساخنة ، فألقت بالمود ناحية وقالت له :
- ماذا ؟ أنت تبكى ؟
- لا ... أبداً
- وما هذه السموع إذن ؟
- إنها نتيجة ما برأسى من ألم الصداع
- لا ... لقد سمعتها تقول شيئاً !
- السموع تتكلم ؟ هذا هو الشمر الذى كنت تسميني به
- وهذا هو الشمر الصادق الذى لم تستطع أن تضرب لى عليه مثلاً !
- غنى غنى
- لن أغنى حتى تذكر لى ما ييكيك
- عجيب والله ! أغنى أنا !
- ثم تناول المود فأمرأ أنامله على أوتاره فذهبت تملأ الغرفة رنيناً وأبينا ... وغنى غناء موجعاً باكياً فقالت له سنية :

— لقد ضحكك عليه بنت من بنات مصر وربما
ذهب ليتزوجها !

— ومن قال لك هذا ؟

— البلاد كلها تقول ذلك !

— كل البلد ؟

— كل البلد ... بلدا لا تخفى عليها خافية ولا
يتنام فيها بيت قبل أن يملأ أخبار جميع البيوت !

— هذا عجيب ... لكن صبرى لم يخبرني بشيء

من ذلك !

— وهل قال لأحد إنه سيتزوجك قبل أن

يفعل ؟

— وماذا يقول الناس عنى يا ترى ؟

— كل خير ... كل خير يا أختاه

وجاءت القهوه فرشفت سنية رشقة ونهضت
مودعة شاكرة ، ثم انطلقت إلى منزلها وبها من

المم والقلق أضمار ما كان يقيم صبرى ويقدمه منها
ترى ابن ذهب صبرى ؟! أحيقة ذهب ليتزوج ؟

ولم لا يكون هنا وقد لبث هذا الشهر واجما ساهما
حتى لحظ الكل ذلك ، وحتى لحظه غالب نفسه

ودليل هذا ذلك الحديث الطويل عن الحب والمحبين
بينه وبين فؤاد !

لقد راحن غالب صديقه فؤاد على هذا ... لقد
راهنه على أن يخيه لهذه الزوجة اراقصة لن يطول

أمد ، لأنه حب طاريء دخل قلبه من فوق المسرح
وتحت فيض من الأنواء ، وبين تنفى الأذرع وتلوى

الأنفاذ ، وهز الريف وتكوير الأنداء ... ثم إرسال
الابتسامات المصنوعة التي تزيد في جاذبية الرقص

وإغلاء البضاعة ...

هكذا زهر غالب ، وهكذا حكم على وحدانية

— هذا الفتاة ترحان دموعك ... ألا تذكر

لى يا صبرى لماذا كفت نيكى ؟

— لم أكن أبكى ، وما كذبك يا سنية !

وقد ترقى بهجة المنزل بعد ذلك ، ثم مضى شهر
وصبرى لا يروح لزوجته بشيء مما يؤله ... ثم

أصبحت فلم تجده معها ... فبحثت عنه فلم تستر عليه
بالقربة ...

هنا ... قام طائف من الشك في قلب الفتاة ...

فقد غربت الشمس وصبرى لما يمد إلى منزله ...

أين ذهب يا ترى ؟

وخطر لها أن تقصد إلى منزل غالب أفندى
عبد الزؤوف لتسأل عن بلها ... لكنها لم تجد الرجل

نعة ، ولقيتها زوجة غالب أفندى فأكرمت لقاءها ،
وكان الأستاذ غالب يتحدث إلى زوجته بدافع

الفضول الرقيق عن صبرى أفندى وعن زوجة
صبرى أفندى ، فلما عرفت ربة الممار فم أقبلت سنية

وكان الوجد والقلق بإدبين على وجهها حزرت أنها
ناقة على صبرى وعلى الزمان الذى ربط جالها بجباله

فقال :

— لا أدري يا أختاه لماذا سرك من أمر هذا

الرجل حتى رشيته زوجا لك ؟

وهنا عرفت سنية كيف تستغل سذاجة هذه
الرقيقة فتت لها في الحديث قاتلة :

— هذا نصيبى يا سيدتى !

— مسكينة ، إن صبرى رجل غنى وهو لهذا

لا عمل له لا ضرب البود والفتاء والمفر بين مصر
والقازيق ... ألم تسمى الخبز الجديد ؟

— أى خبر ؟

عظيمة كاسفة ، فلما رأت الفتاة الجميلة الرائحة إلى جانبه ، ذهلت ، وسكنت برهة ثم قالت له : « أهذه هي ؟ » فقال صبرى : « هذه من ؟ » فسالت دمة ساخنة على خد زوجته وقالت : « زوجتك الجديدة » فأسرع صبرى إلى زوجته فأخذها في ذراعيه مداعباً وقال : « أجل ياسنية ! هذه ابنة أخى يا أعز الناس على هلى هلى .. أعدى الحفائى فلن نميش هنا بعد ! » وكأخراً أفاقت سنية من حلم ، فظنرت إلى زوجها وقالت له :

- لن نميش هنا ؟
- أجل ... ولا يوماً واحداً
- هذا عال !
- بل هذا واجب ... لقد استأجرت منزلاً جميلاً فى الزمالة ...
- ولماذا يا ...
- لأنى لا أريد أن أحرم من الجنة التى ما دخلها إلا ملك !
- ما ذا تقول يا صبرى ؟
- ألا تهمين ؟ إنك كنز عظيم ياسنية ولن يضيع كنزى من يدي .
- ولماذا تهجر الريف ... إلى أحبه ...
- أما أنا فلقد ضقت به

وماشا فى الزمالة الساحرة طبعين كاملين ... لكن سنية علمت زوجها كيف لا يكثر الناس ... وما زالت تلح عليه فى المود إلى الريف حتى رضى كارهاً ... ووقف ابنيها كامل الجليل فى حديقة العنب مأخوذاً بسحر الريف وهو يهتف بوالده ويقول :

« بابا .. بابا ... حلو يا بابا !! »

درسى مشيرة

الحب بالفساد ، فيأتى : أين ذهب صبرى ! لقد ظل شهراً بتمامه غائبا متجهماً لا يتبسّط ولا يفرج عن نفسه وعن أهل منزله ... وكان يصنى إلى غناء سنية فى فتور وتكلف ، ولم يكن يبادلها هذا الانشراح الذى كان طبيعة فيه ... فأين مضى ياترى ؟

ومكثت سنية أياماً ثلاثة وحى لا تدرى أين مضى ولا أين يبعث ، ولا أين تلقاه فتنهض من فورها لتضى إليه .

وكانت كالذى ينتظر الحكم عليه من قاضيه ، فلم تكن تذوق الكرى طوال هذه الأيام الثلاثة ... بل كانت تفكر أفكاراً سوداً كقطع الليل ... ومحت بالانتصار صرات ، لكنها لم تؤثر أن تموت قبل أن تعرف

إنها لم تخفى قط فى هذا المنزل ... بل بالعكس لقد صيرته جنة ورافة الظلال ، وحاطته بالطهر ، لأنها عاشت حياتها تقيّة ظاهرة ... لقد ملأه غناء وموسيقى وبهجة ... لقد مثلت دور الأنثى كما تمثله حور الجنان ... ماذا كان يطلب منها صبرى غير هذا ؟

ووقف قطار الصباح فى محطة القرية ونزل منه صبرى ومعه فتاة ناهد هيفاء ممشوقة اللد ، بيض بردها شياهاً ويهتر جسمها الزيان خصباً ... ولقبه غالب خياف ثم سلم عليه مصافحاً ، وهتف به بالفرنسية قائلاً : « عسى أن تكون قد وقفت هذه المرة يا صبرى ! » فقبس صبرى ابتسامة صبرية وقال لصاحبه : « إن شاء الله ... لقد وقفت يا صاحبي ! » وكانت هذه آخر كلمة وجهها صبرى إلى غالب مدى الحياة !

وذهب الفتى إلى منزله فلقبته سنية موهونة

صدايقنا الحبيب

للكاتب هزري نورددو عضو الجمع العلمي الفرنسي
يقيم في الأسبانيا دناجي الطنطاوي

وخلاصة ما ذكرته أن رجلا يدعى

بيير فالري، وكان مستخدماً لدى

شركة البترول، نزل من القطار

الذي يخرج من محطة سان لازار

في الساعة ٢٠ والدقيقة ٢ قاصداً

بوا كولومب التي يصلها في الساعة

٢٠ والدقيقة ١١، وقصد في الحال

مدير المحطة وأخبره أن في حربة القطار التي كان

فيها، رجلا قتل نفسه أمامه برصاصة وجهها إلى قلبه،

وكان الرجلان وحيداً لأنثى لهما، ولم يسمع من

في الحريات المجاورة شيئاً.

وبدا مدير المحطة أن إيضاحات هذا الشاهد

الوحيد غتلفة، وواقفه في اجتياحه هذا الشرطي

الذي دعاه في الحال، قرر إبقائه وحجزه، وبد

أخذ اسمه وعنوانه.

كانت صمة بيير فالري حسنة في بوا كولومب،

وكان محترماً بين مواطنيه، وعلى الأخص في هذا

الطريق، إذ كان يركب القطار كل صباح من باريز،

ويعود إليها مساء به، ولكن الانهزامات القوية وجهت

إليه منذ يوم اللقبض عليه، واكتشفت مأساة حقيقية

كاملة أفضت مضجعه: هجرة أسرته في العام السابق

لتعيش - في شارع مجاور لشاربه - مع فيرناند

بورري هذا الذي مات تلك الولة الهزلة الفاجعة،

والذي كان صديقاً حميلاً للمائلة. وفي بيير فالري قاطناً

في مسكنه مع انة له صنيعة لم تبلغ ثمانية أعوام من

عمرها، وكانت أسوأ ثاني كل صباح لتراها وتعود

ثانية بانتظام ودقة، فارتبطت البنت بأبها وعشيق

أبها برابط منوي وثيق. ولا ريب أن الأب مل هذه

الحياة غير الطبيعية، ووجد نفسه في القطار وجهها

غاطب مسيو هير، قاضي تحقيق الجنائيات

كاتبه مسيو موتون قائلاً:

- ماذا تقول؟ أجرة طافية أخرى؟

ألا فليسلوا أن زمن الصفح والشفو قد انقضى.

وها إن القضاء - وخاصة في برتانية الكبرى -

بدأوا يحكمون على المجرمين القاتلين بالوت شقاً،

لن يبق لدينا شيء اسمه جرم طافية. هل أنت

مستمد؟ إنني سأمر بأدخال التهم، ولكن قل لي

هل وكل حمياً؟

- نعم ياسيدي القاضي.

- لا ضير، إننا نستطيع استجوابه بهدوء،

لأن هؤلاء السادة الذين يحامون ويدافعون يمتدنون

الاستجوابات بصورة ذهنية.

- إن التهم ياسيدي، يدعي أنه ليس جانياً.

- شيء طبيعي، وماذا تنتظر منه غير ذلك؟

- ويؤكد أيضاً أن القضية هي انتحار

وليست بجرمة.

- انتحار؟ فكر قليلاً، إن العمل الطبيعى

والشاهد دائماً هو أن الزوج يقتل الماشق، فكيف

نصدق أن الماشق هو الذي قتل نفسه وبمحضور

الزوج أيضاً؟ لقد شغل هذا الخبر للترتيب الصحافة،

وأنت على وسفه وتسجيله تحت عناوين ضخمة،

— آه يا سيدى القاضى ، ما جدوى ذلك ؟
إنك لن تصدقنى ، وأنا لا يسوؤنى أن أدان
— إن كنت ربياً كما تدعى ، فإن إدانتك تسوؤك
كثيراً ، وإن كنت جانبياً أتمكن أن يكون فى جانبك
ظروف مخففة

ولا صمت ولم يجب أردف القاضى قائلاً :
— وإن لك مع ذلك ابنة ، فإن كنت ربياً
لا ترضى أبداً أن تترك لها اسماً ملوثاً ملاحظاً
فصمّ التهم قائلاً :
— آه لم أفكر فى هذا

وكان هذا الجواب وحده حافزاً للقاضى لأن
يلاحظ أمارات الوجه البائس الخنول ، واعتقد أنه
ليس بمحضرة مجرم . وأبدى القاضى الذى قضى حياته
فى هذا العمل حتى أصبح عنكافى تحقيق الجرائم
مهارة فى ملاحظة اللامع ، وقراءة الدلائل الوجهية
والجسمية ، وعاود الكرة بلفظ ورقة :

— تكلم بلا خوف ولا غضب ، وما نحن ذان
مصفيان لك

— سأتكلم يا سيدى إذا كنت تصدق أن ...
وبدت من القاضى حركة اعتراض . إنه لا يستطيع
أن يتكفل بشئ . ولا أن يرتبط بوعده مع منهم
— ... ألا تدع شيئاً مما أحدثك به ،
وألانكتب منه شيئاً ، وإن لم تقبل ذلك فلن أنكلم
— إنك تعلم جيداً أن حادثك يجب أن تسجل
وأن من واجبي أن أحرف تفاصيلها إن كان فى الأمر
جرعة ، أما إذا كانت القضية انتحاراً كما تدعى
فسيكون اعترافك مقبولاً ولن يصدر أى حكم عليك
وكل ما فى الأمر أننا يجب أن نطمئن وجداننا
اطمئناناً مطلقاً

لوجه أمام حاشق امرأته بطريق الصدفة ، فنادى
ذلك المساء إلى باريز ولم يركب القطار الذى كان من
عادته أن يركبه . لقد كان مصمماً على الانتقام حتى
اللحظة الأخيرة . ولقد ثبت أن السدس الذى وجد
عند قدمى الضحية كان ملكاً له ، وسلم نفسه دون
أن يبدى مقاومة

ورجاء أن تؤخذ ابنته إلى أمها أثناء غيابه بقلة
اكثرات ظاهرة ، وكان يردد فى هذه الأثناء بصوت
هادئ : إن هذه القضية انتحار وليست بجرعة ،
ولكن لم يد عليه أنه مقتنع بهذا الادعاء الخيالي ...

ودعى للشول أمام قاضى تحقيق الجنايات
رأى القاضى أمامه رجلاً صغيراً متواضعاً ،
ذابل التضارة ، لا يتجاوز الأربعين من سنى حياته
ذاتة وهيئة تدعوان إلى الانهزام ، ولم يك فى وجهه
غضون مميزة ، بل كانت تبدو عليه أمارات الكآبة
والحزن ، وكانت مينا غارتين ذابقتين ، تشبهان عيني
الجدى الذى ينتظر طلقة البندقية مودبة بحياته

قد يكون من الممكن أن يقال إن أمارات الحزن
هذه قد ولها فزع من القضاء وأله النفسى الذى
كان يكاديه ، لو لم تكن متلعة مع طبيعة وجهه ،
ولكن ظهر للقاضى أن هذه الأمارات طبيعية فى
وجهه لا يمكن أن تزول منه ، وأيد اعتقاده هذا أن
التهم كان يجب على الأسئلة الأولى بكلمتى نعم أو لا
بانفعال وتيسر ، ولقد أقر القاضى بكل الأمور التى
سأله عنها : الخيانة وهجر امرأته ، واقتسام الطفلة ،
وامتلاك السدس ... ولكنه بد هذا كله أنكر
الجرعة !

فلم يتالك القاضى نفسه أن صاح به :
— إذن هل لك أن تهمى علينا كيف كان الأمر

القاضي والكتاب الذين كانا يبادلان من حين لآخر نظرات مقرونة باله كاه، وكان الاصفاء إليه يشجعه. كان يتكلم كأنه جالس وحده يناهى نفسه أو كأنه يرفع ستور الماضي أمام ناظره، وكان يقاطعه أحياناً قاضى التحقيق عند ما يمن كثيراً في التفاصيل

— أجل يا سيدي القاضي، لقد كنا مسرورين

نعم الثلاثة جداً

— أنتم الثلاثة؟

— نعم إسرائي وأنا وهذا المذمو فرناند بوبري .

كانت إسرائي بائسة ورود، وكنت أسراً أمام دكانها كل يوم في طريق إلى المحطة . وفي كل سبت كنت أشتري لها وردة أو قرنفلة أو باقة صغيرة من البنفسج أو غيره حسب الفصول، ولكني لن أطيل في هذا تركت دكانها وبيت في المار تقوم بالأعمال المنزلية، وكنت أعمل دائماً لأستطيع أن أقوم

بأودها وأود ابنتها الصغيرة . وكان فرناند رفيق وصديقي يعمل في شركة الكهراء بينما كنت أعمل أنا في شركة البترول . كان أكثر ثقافة مني

وقد جاب بعض البلاد وزارها، وكان ذا منطق عذب، وكثيراً ما كان يتناول طعام الغداء عندي، وكان بلاطف وبداءب جنشيف الصغيرة . لم تكن إسرائي في بدى الأمر تنظر إليه بارتياح، وكانت ترى أن صداقتي أوثق مما يجب أن تكون، ثم أصبحت بعد حين تمتدل في حكمها عليه وتلين، وكنا متفاهمين تماماً . وفي بعض أيام الأحاد كان يخرج بنا إلى الريف للزومة . وفي بعضها الآخر كنا نبقى في المار نغسل يلب الورق شتاء وإلكره صيفاً ولم نكن نذهب إلى القرى

لم يكن بداخلني الشك في أحر زوجتي إذ كنت

وإذا كانت القضية خلاف ما تدعى، وتضافرت الأدلة على ذلك، تصبح حادثتك مرافعات وترسل إلى محكمة الجنائيات الفاصلة، وهناك ستمأل بحضور السادة المحلفين من قبل رئيس المحكمة، وحق آخر لحظة يسمح لك بإيضاحاتك، والابضاحات التي تفوه بها يوم الجلسة الكبرى هي وحدها التي تتمتعها المحكمة . هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك وأنت تدرك ولا شك الفائدة الكبرى التي تسديها لنا بتحليلنا من إتمام العمل بدقة ونصب

كان التهم بمعنى بصوبة وارتيك إلى هذه المحاضرة التي ألقيت عليه بصوت عذب تبدو فيه الرأفة والشفقة . وكان الشيء الوحيد الذي كدر صفو نفسه ومس شغاف قلبه هو التفكير في مستقبل ابنته، وقاض هذا التفكير على لسانه إذ قال في نفسه :

— من أجلها، نعم من أجلها !

— من أجلها؟ من هي؟

— من أجل جنشيف

— جنشيف؟

— ابنتي . إنها ضيفة لا تحتمل الضرب ولا تستعفه . أما أنا فقد ريت على الجلد . وهذه الأشياء التي يسمونها الحياة والموت لا تهمني كثيراً . ينبغي أن أكر في مستقبل ابنتي، وأرى من الواجب أن تتمكن من الزواج برجل شريف لا يظلم شرف أبيها ولا سيرته .

وقال بعد فترة صمت قصيرة: ولا سيرة أمها أيضاً

— هل إذن وتكلم من أجلها

وبدا التهم يسرد قصته مضطرباً متلعناً، ثم ما لبث أن تشجع وأصبح إلقاءه سهلاً هادئاً . كان يبدو عليه أنه لا يبر أدنى التفات إلى مستمعيه :

ليه دائماً كلام يقوله أكثر منى . كان يضع رطباً
عنق جميلة زاهية ، وكان في وجهه عيون تنكبان ،
أما أما طبعاً فم أن كنى إلا إياى . إن الذى كنت
أفضله به كان معنى لا يرى ، كنت أفضله بالشعور
والاحساس ، وليس لدى اهتمام أوجهه إليه

— ليس لديك اهتمام ؟ لقد فضحتنا أننا الاثنان
— بالرغم منا يا سيدى ودون أن يزيد . لم أعرف
سديكاً ورفيقاً أخلص من فرناند ، إنه كان على
استعداد لالقاء نفسه بالنار في سبيل ، وكلاً وقت
في ضيق كان يتغذى ويخلصنى منه . ولما كنت مصاباً
بالخناق ، قبل زواجى ، مصاباً لدرجة الموت ، كان
يسهر على ولا يخاف من العدوى . أوه ! لقد كنت
واثقاً أنه لم يكن يريد أن يتبنى ويؤلى ، والدليل
على ذلك أنه مات .

وسكت للمرة الثانية ... ثم تابع حديثه دون
أن ينية لوجوب متابته :

— ولكن ، لقد لحقنى منه قليل من التعب .
لقد بدأت أشك في بعض الأشياء . لم تكن اصرأتى
المسكينة متادة على الكذب ، ولما كانت تبسيع
ورودها ، كان الناس يروون لها قصصاً واقعية مسلية
فكانت تضحك دون أن تبدي لها اهتماماً . لقد
عرفت سرياً أنني لست كسائر الرجال ، فلم تكن
تضحك لى أبدأ ، كانت تبدو غشمة عندما كنت
أفف أمام دكانها . لقد كانت فتاة عاقلة ومفكرة ،
وبعد زواجنا كانت مؤنسة لى ، تضحك منى وتنفى
أثناء قياسها بالأعمال الزلية ، وكنت أسمع غناءها
عندما أعود من حمل ، فكانت تؤثر في قلبى نار
الحب ، ولكنها بعد حين لم تعد تنفى قط ، فبأنها
عن سبب ذلك فأجابتنى قائلة : « لا أدرى » .

واثقاً من حسن سلوكها ، وهى نفسها لم تكن تشك
في ذلك . إننى لا أهتمها يا سيدى للقاضى ولا أهتمه
أيضاً . كانت هنالك أشياء تحدث بالرغم منا لم تكن
نرضاها ولا نريدها ، كانت هذه الأشياء تمر وتلو
بعضها بعضاً ، وكان صرورها يحدث في حياتنا بدلاً
أشبه ما يكون بالاهتزاز الأرضى البطيء

— ولكن ما هى هذه الأشياء التى حدثت ؟
— لم يكن بينى وبين اصرأتى خلاف ولا عجار .
كانت تماضى مودة كل صباح عندما أم بالدهاب ،
وكل مساء عندما أعود إلى الدار ، أسفة صباحاً ،
مبهجة مساء ، ولم يكن ذلك مزلة مقصودة . لم
نكن نشعر بحاجة لأن نبادل كلمات المودة ، إذ
كانت المودة متأسلة في أعماق قسبنا ، وكنا نشعر
بها دون أن نظهرها ، ثم كانت هنالك اللبنة الصغيرة
التي تربطنا وتجمع بيننا .

لم يكن للبنت إلا الأب والأم ، وكان يجب أن
نفكر فيها دائماً ، ولكننا كنا نطوى قسبنا على
أفكار وآمال أخرى ، والنساء على ما يبدو لى يضمن
آناً وأحلاماً أكثر من الرجال .. أنا خاصة لم أكن
أحلم أبداً ، ولم أكن أعنى شيئاً ، ولم أكن أنفكر
في شيء ، إذ كان تفكيرى منصرفاً إلى زوجتى وابنتى
وهو تفكيرى في نفسى ، إذ كانا جزءاً منى . وأنها
تدركان ذلك بالطبع
ثم سكت كأن جلته الأخيرة أخرقته في خضم
الذكرات

فسأله القاضى قائلاً :

— ثم ماذا ؟

— قلت لك إنه كان ذا منطق حلو عذب ،
وكان يقنع التعبير عن مشاعره أكثر منى ، وكان

فأبدي الكاتب حركة اعتراض وشك في صحة القصة ، ولكن التهم لم يمر اعتراضه أذنًا صافية وأنتم حديثه :

— لقد حاول أن يختلها ، ولم يكن هذا بالصعب كثيرًا ، إذ أننى كنت أذهب إلى عمل كل يوم ، ولم يكن فرناند مقيداً بالعمل مثل فلقد كان يصلح هنا وهناك بمض الآلات الكهربائية ، كان يذهب إلى باريس ويض نواحها ويمود منها . إنه لمن الخفيف أن يصبح المرء فيورا . طلالا حاولت أن أعلم شيئاً من أسرهما ولكنى لم أستطع ذلك ولما للأسف واكتفيت بالتصور والتخيل . كنت أستيقظ في جوف الليل أحياناً ، وأصغى لفرير إسرائى . ويلاه . أكانت تسمع ما أفكر فيه وهى فى نومها ؟ لقد كانت تستيقظ فجأة وتأخذ يدي وتسالى قائلة : « ماذا بك يا صاحبي ؟ » فكنت أجيبها كما كانت تجيبني من قبل قائلة : « أنا ؟ لا شيء » أو أقول مثلها : « لا أدري » وعدت للدار في إحدى الأيام ، فوجدت زوجتى حزينة ، ولما اقتربت منها رأيتها غارقة في التفكير لدرجة أنها لم تسمع بوجودي فوضعت يدي على منكبها وقلت لها : « فيم تفكرين ؟ » فأجابت : « أنا ؟ لا شيء » وعاجلتها بقولى : « إنك تفكرين فيه أليس كذلك ؟ » لما كان منها إلا أن صعدت زفرة حارة ولم تجب ، وقلت لها وأنا أم أن أحتويها بين ذراعى : « إني سأحبك يا عزيزتى ، إنه لن يمود قط ، وسيعرف كل شيء » فقالت ببساطة : « لقد تأخرت كثيراً » ولم أكد أسمع هذا الجواب حتى عرفت كل شيء ، وترك ذراعى تهبطان بترخ ولم أضربها ولم أطردها . لما راعى إلا أن رأيتها ترتدى ثيابها وتهم بفتح الباب فسانها : « إلى أين

وظننت إذ ذاك أن ما أسكنها هو عدم ولادة طفل آخر لنا ، ولكنى كنت غخطاً في هذا الظن إذ ظهر لى أنها كانت تحقنم عندها كان يزورنا فرناند ، وكانت تبدو عليها أمامه كل أمارات الانبطة والسرور فذكرت حالها وهيئتها عند ابتداء معرفتى لها ، وأفرغنى الشبه بين الحالين ، وبدأت أتعجب وأنا لم هل كانت تحب سواي ؟ أكانت تحب صديق الذى يوشك أن يكون أختى ؟ لقد سمعت على طرد هذه الفكرة من رأسى ، إذ وجدتها خفيفة وفظيمة . إن انتهى لها مته شتمهما وإهانتهما . كلاهما كان عزيزاً على أثيرأ لى ، أماهى فن أجل وأجل طفلتنا وفارنا وحياتنا خارج المار ، من أجل التناون وتبادل الثقة ... ولكن لا ، لم يكن هذا فظيماً كما تصورت ، وما أرى هل نحن دائماً مصادر أعمالنا وأصحابها الحقيقيون ؟

— أما فى الأفكار فاستطيع أن أجيئك بالنق إذ لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأن بعض الناس نغماتون حتى القضاة أنفسهم ، أما فى الأفعال فليس الأمر كذلك ، إذ نحن دائماً أصحاب أنفسنا والمستولون عنها

— دائماً ؟ هل نحن نراقب أنفسنا فى كل حين يا سيدى اللغاضى ؟ إننا لا نرى غيرنا إلا عند ما نريد أن نراه ، إذن نحن نفسى أحياناً . إننا لا نرى إلا ما نحب ، ونحس ما وراه ذلك عن أبصارنا ، نحسنى عنها كل ما يضائقنا ويؤلنا ، ولما فقد خفيت عن أمينهما كأفنى لم أكن موجوداً . إنهما لم يفكرا فى وجودى ولم ينتهبا إلا بعد لائى ، ولقد أخطأ فى تفهمهما إذ جبلا لنفسيهما الضيق والألم ، لأن عذاب الذى ولما لى كان فى الحقيقة عذاباً لها

بعد . كنت لا أزال أركب القطار في الذهاب والاياب ، ولكن لم تدل عزيمة ورغبة في العمل . كنت أعمل كآلة السماء . وفي مساء كنت أرى جنيف الصغيرة وكنت أستطيع أن أدلها وأفرحها بفضل أجرتي التي كنت أألفها من عمل . لقد كانت لبقة في أحاديثها من وتضابق أحياناً لحديثي . أظن أن الأطفال هؤلاء أكثر مما تمتد يا سيدي القاضى . إنها لم تكن تجرؤ على أن تتحدث عما فعلته في يومها سوى دروسها وواجباتها . لقد كانت تمتد أنها لا يجدر بها أن تذكر أمها ولا الرجل الآخر أبداً . ولكنكم مع ذلك سألني قائلة : أمن الممكن أن يكون للمرء والدتان ؟ ثم أجابت من تلقاء نفسها : أما أنا ، فأظن ذلك غير ممكن

لقد كان لها أيضاً أب هنا وأب هناك ، أب في النهار وأب في الليل ، ولكن لم يكن لها ، ولن يمكن أن يكون ، إلا أم واحدة . ومنذ تلك اللحظة أصبحت لا أفكر إلا في الانتحار لأترك المكان فارغاً للرجل الآخر . لم أستطع إرجاع البنث لأبها ، أما كان يجب على أن أرد لها إليها ؟

— كان باستطاعتك أن تطلب ابتلاك البنث وإبقائها عندك ، مع بضعة زيارات تقوم بها الأم في أيام محددة معينة

— صدقت يا سيدي القاضى . هذا هو العمل الذى لم أكن أستطيع القيام به . لم أكن أريد ذلك زوجتى ولا لصديق ، لقد كنت المجرم الأول . لا ينبغي أن نسي إلى أحد ، وخاصة إلى المرأة الفاضلة . لم أكن أعلم يومئذ أن كلا منهما يلوم الآخر ويخطئه . إن الرجال يستقدون دائماً أن نسامهم بأجمعهم لهم . أما النساء — وما إخالكم تعرفن جيداً — فانهن

تذهبن ؟ فأجبتى : « إلى أين تريد أن أذهب ؟ » قلت : « إليه » فهزت رأسها وقالت : « نعم إليه » فقلت : « حسن ، إذهبي »

ولما بلغت حتبة الباب التفتت وقالت بهدوء : « وجنيف ؟ » قلت : « كان يجب أن تفكرى فيها من قبل » قالت : « هل تريد أن تحتفظ بها ؟ » قلت : « إنها لي » قالت : « ولكنها لا تزال صغيرة » قلت : « ستعاند الحياة بجاني » قالت : « هل تدعى أراها ؟ » قلت : « كلا » فرفت يديها كالباثة ، ثم خرجت باكية ولم أرها بعد ذلك الحين

— وابنتك ؟ هل كانت تراها ؟

— كانت جنيف تذكرها ، فكنت أقول لها إن أمها سافرت في رحلة طويلة ، وكنت مضطراً لأن أقول لها إنها ستعود . ولما كنت أذهب إلى الصنع طول النهار ، عهدت بها إلى امرأة كانت تدير مدرسة داخلية في بوا كوكلوب ، ولكن الصغيرة كانت تماند وترفض أن تبقى هناك ، وعلت بعدئذ أن أمها كانت تأخذها كل صباح بعد ذهابي وتسيدها كل مساء قبل عودتي . لقد عرفت ذلك ولكني لم أقل شيئاً . ماذا تريدني أن أفعل يا سيدي القاضى ؟ ماذا تريد ؟

فصدورت من القاضى وكاتبه حركة ظاهرها الاستحسان والتعصب ، وللهما كانا يقصدان بها موافقة التهم مؤقتاً ليستطيع أن يتم حديثه ويتكلم عن الجريمة التي هي بيت القصيد . وصمت مير فالرى كأنه تنب . فسأله القاضى :

— منذ كم هجرتك إسرائيل ؟

— منذ عام على ما أذكر ، ولكن هذه المدة كانت تبدو لي كأنها عشرة أعوام . لم يقبل شيء

في الحرب كسائر الناس. إن المرء يكون أكثر شجاعة عند ما يرى نفسه محاطاً بأصدقائه ، وأنا وحدي في داري لم أكن أستطيع العزم على الانتحار ، ولقد كنت مثلاً جيداً لعدم إرادتي الحياة . لقد كان كل شيء يسير في نظري على ما يرام ، جرمين ...
— جرمين ؟

— أجل ، جرمين امرأتى تزوجت فرناند ، واستطاع أن يعيش في وضع النهار مع جنيفيف ، وعندئذ أصبح للصغيرة أب وأم ، أما الأب الآخر فقد اختفى ، وأعطانا نسبه ولم تعد تفكر فيه . لقد كان أباً حزيناً لا يصلح لشيء . كنت أحدث نفسي بهذا كله ومع ذلك فلم أعزم على شيء .
— إذن ما دمت لم تستطع أن توجه سلاحك نحو جسمك ، فقد وجهته نحو خصمك .

— مهلا ياسيدي القاضى . نعم كان يجب على أن أقتل نفسي ، وهكذا تخلفت من المذاب الأليم .
— قد بلغنا إذن اليوم الفاصل .

— أجل بلغناه ياسيدي القاضى . كان يعرف فرناند عادتي وواجبات عملى وقطارى الصباح والنساء الذين كنت أركبهم . ولقد نظم حياته على خلاف هذا الشكل فكان يتجنب مقابلتى ما وسعته التجنب ، ولم أصادفه في الطريق أبداً ، لا في بوا كولومب ولا في باريز . لقد كنت واثقاً من أنه لم يكن بالناقل أبداً عن الأسر الذى حرمت عليه . وفي مساء اليوم الذى وقع فيه الحادث ، أجبرت على البقاء في المصنع بعد انتهاء وقت عملى لثياب أحبد رفاقى ووجوب بقائى في المصنع عوداً عنه ، وهكذا امتد عملى ساعتين أخريين ، واضطرت لركوب قطار الساعة ٨ والدقيقة ٢ الذى

يمكن من المطف والحنان ما لا مزيد عليه ويظهرن ذلك لك كل يوم ، ولكنهن بنسبته عند ما يتزوجن . لقد تأملت لها كثيراً وتأملت له أيضاً . لقد كنت أعجب به طويلاً . لقد كان في نظري غلوفاً سامياً سلبني أعز ما أملك وسحق بذلك الممل قلبي
— لقد كنت تحفته ، هذا واضح

— آه ، كلا ياسيدي للقاضى
— ألم تكن تبغضه ؟ ألم تكن تريد أن تنقم لنفسك ؟

— آه ، كلا . أنتقم ؟ هل كان يجب الانتقام ؟ لم يرد هو ، ولم ترد هى ، أن يحصل ما حصل . لقد تحببنا ، هذا كل ما في الأمر . وكنت وأنا وثقاً من أنهما يرثيان لى ويتلمان من أجلى . فلم يبق لى إذذاك إلا دواء واحد ممكن ، ألا وهو الموت

— ولذلك صممت على اقتراف الجريمة
— الجريمة ؟ أية جريمة ؟ الموت ؟ لقد كنت مجزماً ولا ريب بتفضيل الموت ، ولهذا الترضض اشتريت السدس

فتبادل القاضى كاتبه النظرات ، وقال له الكاتب بصوت خافت : ألا يجب التسجيل الآن ؟ فأجابه القاضى قائلاً : دعه يتم كلامه . إذا رأنا مضطرب ، توقف ولم يتكلم . وسأستجوبه عند ما ينتهي من سرد قصته . ثم قال بصوت مرتفع :

— إذن اشتريت السدس الذى يفيدك في اقتراف الجريمة

— اشتريته ياسيدي القاضى . لم يكن من السهل على تصور الموت . إن توجيه المرء الرصاص نحو صدره يتطلب كثيراً من الشجاعة ، ولم أكن مع الأسف وافر الشجاعة إلى هذا الحد ، رغم أنى اشتريت

إذ ذاك كالطفل . آه ، لو كنت أوفر شجاعة ، أنا الذى كان يجب أن يموت لاهو ، كان يجب أن يمينا ويسعد في حياته ، دون أن آخذ منه أو أعطيه شيئاً فتبادل القاضى كاتبه النظرات . لقد طمان الحادث نفسيهما . لم يكونا يستطيعان أن يشعرا بأقل ريب في صحة الرواية . إن ظروف انتحار فرناند وأسبابه كانت واضحة لا تدع مكاناً لافتراض وقوع جرعة ، ولقد نجما بير فالرى بلا ريب وأصبح حراً قال له القاضى بصوت متزن واضح .:

— لقد عدل صديقك ، كان يجب عليه أن يحترم صداقتك . والآن لم يبق على إلا أن أطلقك . ثم قال مرودفا :

— انظر ، لن يطول الأمد . لدينا بعض الاجراءات القانونية التى لا بد من القيام بها وأمر بأن يقاد التهم الذى أصبح شاهداً بديلاً ولا يبق القاضى وحده مع كاتبه ، طلب منه قائمة أسماء الشاهدين الأخر الذين دعوا : رئيس القطار ، مستخدمو القطار ، محافظ بوا كولومب ، وقد أني بهذا الأخير ليصف سيرة التهم الشخصية ، ثم مدام بير فالرى . فأمر بأن يسرح كل هؤلاء إذ ظهر له أنه لا يمكن معرفة شيء منهم ، وبأن يؤتى بدمام فالرى . فأجاب الكاتب :

— إنها لا تلم شيئاً عن الحادث

فقال له القاضى :

— أرغب في رؤيتها .

فدعيت المرأة ، إننا لا نستطيع في غالب الأحيان أن نفهم حب غيرنا على حقيقته ، إن أية امرأة محبوبة حتى الجنون أو حتى الجريمة ، تبدو لنا خالية من الجمال أو من اللطف . هذه هي حال أكثر

لم يكن من عادتي ركوبه . وفي اللحظة الأخيرة التى سبقت سير القطار ، دخل رجل المربة التى كنت فيها وحدى . لقد كان هو بيته . وقف واجماً مبهوئاً لما وقع بصره على ، ولم يجرؤ على الجلوس ولا على الحركة .

سار القطار ووجدت الفرصة سانحة للتخلص من حياتى ، فنهضت من مكانى متجهاً نحو النافذة واقتربت منه وأخرجت السدس من جيبى ورأى مقبلاً نحوه فالتزم الباب ولم يبد حراكاً ، ولم يخفه سلاحى . ترى هل كان يعلم أنني لم أرد قتله ؟ قلت له غاطباً :

— لقد جلبت لى كثيراً من الألم والشقاء ، أنوسل إليك أن ترجى . إن السكلاب التى توى كثيراً تراح من حياتها

ومددت إليه يدي بالسدس ، فأخذه وتأمله هنيهة ، ثم ... فجأة ... وجه الفوهة نحو قلبه وأطلق النار ...

يا إلهى ، ماذا فعل ؟ لقد أدان نفسه وحكم عليها بإسدى القاضى . ولكن أنا ، أقسم لك ، لم أفكر في أن أحكم عليه . لم أكن أعصر يفض له كاذكرت لقد كنت بالأس شاكياً ، إننى لم أنهما بإسدى القاضى ، ولم تكن تلك غلطتهما بل غلطة مشاعرهما التى قادتهما برغمهما

كنت جائعاً أمامه ، وتناولت بذراعى جسمه الحار ، وكان الدم يسيل منه ببطء ، ومع ذلك كان عروقه لم تكن تنبض قط . لقد مات . كانت عيناه مفتوحتين وكان ينظر إلى بهما بالأم وحزن . لقد كنا متعابين كثيراً . كنا صديقين وزميلين وآخرين لم أكن أذكر نفسى إلا من خلال حبنا . لقد بكيت

— لماذا خدمته ؟
 قامت بحركة غاضبة منهاها : هل أعلم ؟
 — كيف أخراك هذا الدموع فرناند ؟
 — آه سيدى ، إنه لم يترنى
 — أأنت أنت التى قدمت نفسك إليه ؟
 — ولكننى يا سيدى لست امرأة فاسدة ، لقد
 كنت دائماً حبيبة السيرة ، ولم أنهم قبل زواجى
 بشئ .
 — هل كنت تحبين زوجك ؟
 — بلا ريب ، كنت أحبه
 ثم أردف القاضى قائلا بصوت خافت :
 — والرجل الآخر ، هل كنت تحبينه أيضاً ؟
 قنهنه إذ ذاك وقالت :
 — كنت أحبه حتى العبادة
 — فانت ترين جيداً أنه أخراك
 — كلا يا سيدى القاضى ، كنا نعيش معاً .
 أضمت لك أنه لم يكن لدى فكرة سيئة . لقد نظر كل
 منا إلى الآخر فى أحد الأيام . آه لا أدري كيف
 أقول . لقد نظر كل منا للآخر ، كأننا لم نر أحداً
 الآخر قبل ذلك اليوم . وتم منذ ذلك اليوم كل شئ .
 لقد عرفنا جيداً أننا لن نستطيع المقاومة ، إنه عمل
 سئ ، نحن نعرف ذلك ولكن الحب كان أقوى منا
 — وما قد رأيت إلا ما قاداك ذلك
 — لقد قادنا إلى الموت . إننى واثقة من أنه
 يتألم من أجل ... من أجل زوجى ، كان يتألم أكثر
 منى ، وكنت أأمل أن يزول ألمه على مر الزمن ،
 والآن قد انتهى كل شئ .
 — كلا يا سيدتى ، لم ينته كل شئ ، باستطاعتك

زائرات الحامى كم اللواتى يمتن القهقهة فى النفوس .
 والجواهر المتشدة فى الحامى لا تستطيع أن تقف
 على سر فنتهن وسحرهن ، ربما استطاع هؤلاء أن
 يقفوا على هذا السر إذا تأملوهن جيداً ، ولكن
 ليس بينهم من يجد الوقت الكافى لذلك . لم تكن
 جرمين جميلة ، كانت صغيرة ، دقيقة الأعضاء ، ذابلة
 الوجه ، بلوح أنها لم تتجاوز الثلاثين من عمرها .
 كانت منطوية للامام ، ذات شعر أشقر كمد ، يبدو
 عليه شئ من الجمال ، ووجنتين ناحمتين ، وقم صغير
 لطيف ، وعينين زرقاوين ساحرتين ، مبتكرتين
 قليلاً لأنهما مفروقتان بماء شفاف ، ولقد كانت
 تحاول حيناً كنم الفزع الذى أصابها وإخضاه .
 ماذا يراد منها ؟ أبة أسئلة ستلقى عليها ؟ إن هذا الرجل
 الجالس وراء المنضدة ، يبدو عليه المبوسة والصرامة
 والحزم
 قال القاضى موضعاً بعد فترة سمعت استطاع أن
 يسمع فيها ضربات قلب المرأة السكينة المرتشة :
 سيدتى : هل تعلمين أن زوجك متهتم بقتل
 حبيبك ؟
 فاعتزنت المرأة مستميدة شجاعته وقالت :
 — ليس هذا صحيحاً ؟
 — ماذا تقولين إذن ؟
 — لو أراد قتلتنا لفل ذلك حينما خرجت
 من داره . إنه لا يفكر فى الإساءة إلينا ، إنه طيب
 القلب جداً
 — ولكن طيبة القلب لها حدود تحف عندها
 — هذا فى غير ، أما هو فلا . إنه لم يضربنى
 لما رأى سلوكى . لقد تألم مثلنا ، وتركى أعود رؤية
 المشيرة

- الآن تدارك خطئك والتكفير من ذنبك
فرغت رأسها المنخفض منتظرة ما يحدث
- نعم ، إنك أم
— جنيف
- بمجرد بك أن تفكرى فى ابنتك وزوجك
أيضاً ، لماذا لا تسلكين الطريق المؤدية إلى دارك ؟
- وتأمل الكاتب فى هذه اللحظة ، وجه القاضى
بدهشة منتظراً غائمة هذه الرواية . وكانت المرأة
صامئة ذاهلة تنظر بيمينها إلى الأفق البعيد ، وتفكر
فى هذا الاقتراح الجديد الذى ضمنه ثم تمتمت قائلة :
- سيطررنى زوجى
— هل أنت واقفة من ذلك ؟ لقد قلت منذ
لحظة إنه طيب القلب جداً
- آه يا سيدى القاضى ، يفصل بيننا الميت
— إن زوجك لم يقف متفرجاً ، لقد ذرف
عليه الدمع منذ دقيقة لا أكثر
- كان يبكي عليه ؟
— هل تودين معرفة ذلك والتحقق منه ؟
- آه يا سيدى ، إننى لم أره منذ اليوم ...
— منذ هجرك إياه ... إننى سأدعوه الآن
- كلا ، كلا ، لا أريد ، يفصل بيننا الميت
— إن الميت يقرب بينك وبين زوجك ، أوكد
لك . لقد نزل نفسه من أجله ، ومن أجل الألم الذى
سببه له
- ودعا القاضى التهم أو بالأحرى الشاهد . فوجد
بيير فالرى نفسه فجأة وجهاً لوجه أمام زوجته ، ولم
يجرؤ أحد الزوجين على الكلام إذ كانا يقبضان
- النظرات بخوف وخجل .
فانبرى القاضى قائلاً :
- بيير فالرى ، إن امرأتك قد ندمت . وإذا
طلبت منك العودة للحياة الزوجية السالفة ، بعد هذا
الحادث المصعب ، فهل تقبل ؟ وهل ترضى بأن
تسامحها وتمفو عنها ؟
- فأجاب السكين :
- أسامحها ؟ إننى دائماً مسامح لها
— هل تأخذها معك ؟
— نعم ، إذا أرادت
- وأردف قائلاً مثلها :
- ولكن يترك بيننا الميت
فقال القاضى موضحاً :
- أجل ، إنه مات ليصلح بينكما ، ولم يمض
دون مقابل . لقد قلت لها قبل لحظة : فكرى فى الطفلة
التي ليس لها إلا الأب والأم
- فتقدم بيير فالرى خطوة للأمام واقترب من
امرأته وقال لها :
- هلى مى
ثم التفت نحو القاضى قائلاً :
- أأستمتها ؟
— كلا يا صاحبي ، أنت حر
- ولما خرج الرجل والمرأة ، بحسك كل منهما
يبدأ الآخر ، التفت مسيو هير نحو كاتبه قائلاً :
- لقد اشتغلنا جيداً فى هذا الصباح ، هات
العمل التالى ...
- « دمشق »
تأليف الطنطاوى

مستقبل في الصورة التي تلاعن
ولقد تودت أن أفضي أيام
علة الصيف في ضربة خالي وهي
ضربة وضع فوق بابها الخارجي
رض بذلك على أنها ليست من
الزراع العادية ولكنها منحلة
كيلي التي تنتج ألطف أنواع
المسل في العالم

وفي هذه المزرعة كان يرى الإنسان في أية ساعة
من ساعات اليوم خالي « بات » منهمكا في العمل
وسط صفوف عديدة من خلايا النحل وعلى عجاء ممالك
الحاسة والذرة التي ترى عادة على وجوه هؤلاء الذين
يجبون أعمالهم . فهو يعيش بين عمله ويطرس طبائمه
وحركاته ويطرس أشد الأمور جاذبة له . فكان من
الطبيعي أن يسر خالي ويفرح كلما رأى مني اهتماما
بممله ورغبة فيه ، ولقد كان يقول لي حينئذ :

— ليس هناك أولدى من عمل ألطف ولا أصح
من العمل في مملكة النحل ، فأنا أردت أن تتقن
خطواتي فاني أخصك في وصيتي بهذه المزرعة فانه
ليسمدني أن أعلم أن نحلي سيصبح من بدوي ودوية
بين يدي من يقدره ويحبه كما أحبه أنا

ولقد كان خالي يقبب هذا الحديث بتلميحي كل
ما يصره من أسر هذه الخلوقات الصغيرة كثيرة
الحركة شديدة العنيت ، وكان يصبرني بالوسائل التي
أصرف بها العمل في الأسواق بأكثر ربح مستطاع ،
ولقد قدم لي من المؤلفات كل ما كتب في موضوع
النحل ، وكان أنفس ما أهداني في أحد أعياد الميلاد
كتاب « حياة النحل » مؤلفه « مارتيناك »

أما « بارني » فكان شديد الاستغناء بمطامير

اكان مجان خبيرا

(قصة تحت جائزة ماني جيه) عن الانجليزية
بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد أحبها حب اليأس ، وكان
في مقدوره أن يفوز بها لو أنه قال
الحقيقة : حقيقة أمر الرجل الذي اختارته
زوجا لها »

كنت و « سالي » و « بارني » رفاق طفولة
وسبا ، نمش في بلدة صغيرة من بلدان التمدين في شمال
انجلترا ، يحتوى بيوتنا شارع واحد ، ونسب جماعة
في الخلاء انطرب وراء بيت « بارني » ونذهب معا
إلى المدرسة . فلما بلغنا سن المراهقة لم يكن أحدا
يفترق عن صاحبيه

وكان « بارني » المخاطر بطبيعته ينتظر اليوم
الذي يستطيع فيه أن يتقن خطوات أبيه فيعمل مثله
في المناجم ، وكأنا بين طبيعته وبين عناصر الخطر
جاذبة لا تنقطع . أما أنا فكان أصرى على خلاف
ذلك ، أشعر دائما بجيل شديد إلى ضوء الشمس
قذلي للنضاء الفسيح ، بكفى مجرد التفكير في المال
دأخل للكهوف المظلمة النائرة في جوف الأرض
لأن يمت الرحفة إلى أعماق نفسي

فكان من المقطوع به أن حياة العمل في مناجم
النجم ليست هي الحياة التي أملكها ، وكان على
خالي « بارني » أنى أرى الأعزب أن يشكل

الهم ساخناً ، فلا عجب إذا نشأت أنا وإبرني على حب رفيقة طفولتنا الصغيرة متنافسين ، في مودة ، على مصاحبتها المسارة

ولم يكن في نيتي قط أن أنقضي أي وقت ظالم أم قصر ، في تجربة العمل بالنجاح ، فلما مات والدي على أثر بلوغى سن الرشد طلب إلى خالي « بات » أن أحبه إلى مزركته ، ولكنني اعتذرت من عدم إجابة طلبه بأنني أود أن أنقضي فترة قصيرة في تجربة العمل في النجاح قبل أن أغادر موطني ، فلمحت في عين خالي التفادة نظيرة الذي فهم ما وراء هذا الاعتذار ، وقد قال :

— إنك لا تريد تجربة العمل في النجاح يا بني ولكنك تريد تجربة الوسيلة التي بها تفوز بقلب « سالي »

ثم استأخف حديثه في بشاشة ولطف فقال : — حسن يا بني ، إنها فتاة جميلة تستحق للتعجب ولكن لك فيها منافساً وإبرني فتى لطيف وله طريق ناجحة في كسب قلوب الفتيات

وعلى أثر ذلك انقضت مع والدة « سالي » على السكن في بيتها وذهبت للعمل في النجاح المظلمة ، ولكن الأحلام البراقة التي تتمر قلبي أنستني ظلمة تلك الناور فلم أبال بها . فلما رآني « إبرني » هناك لأول مرة نظر إلى نظرة غريبة وقال :

— لقد ظننت أنك قد عدت عزمك على أن تركز مستقبلك حول خلايا النحل ؟

فرددت عليه :

— وهل يخالف القانون أن يثير الإنسان رأيه ؟

فقال وعلى فمه ابتسامة خائبة :

وكان يقول لي في كثير من الازدراء والتحقير :

— ويلك يا « ويل » ليس هذا من عمل الرجال ، فعلا احتذيت حذوي لتصبح رجلاً قوى البنية متين العضل ، فقد اعترمت أن أشتغل متى كبرت في النجاح فلا تلبث عضلاتي أن تصبح مثل عضلات دينيس شتون ، على أنني أستطيع الآن أن أصرع أي ولد في هذا الشارع ! فتمال أرك قوة ضرباتي وكان إبرني يقبض هذه الكلمات بالتقدم نحوى قابضاً يده مهدداً ، فأترجع إلى الوراء لأنني أكره القتال والشغب ، وكانت « سالي » هي حاميقي التحصنة ، فلي الرغم من إيجابها كالطفلة الصغيرة بتعشر « إبرني » كانت تقف بيني وبينه يجسمها الصغير وشعرها الأسود التموج وعينها الزرقاوين فتحول دون اعتدائه وتصبح به وهي تضرب الأرض بقدمها :

— دج . « ويل » لا تعرض له ، واعلم أنني لا أريد أن تكون مثل « دينيس شتون » فكل إنسان يعرف أنه ليس إلا عريداً مشاغباً فكان « إبرني » ينجل من كائناتها ويستند بآه لم يقصد إلى أكثر من المازحة على صورة ما

على هذا نشأنا منذ عهد الطفولة حتى إذا بلغ بنا الزمن نهاية الحلقة الثانية أصبح « إبرني » فتى طويل القامة . عريض الأكتاف أسود الشعر أسمر الجلد خيبت النظرات مستهتراً بالفتيات . أما أنا فكنت ترابي الشعر نحيف الجسم خجولاً متحفظاً شديد الميل إلى حياة الريف الهادئة مبغضاً حياة المدن الصاخبة

ونمت « سالي » شابة ناعداً وكانت أجمل فتاة يبيض بمحبا قلب الرجل ويمتد دوحها في رأسه

في التجم أحدنا إلى جانب الآخر ، فاذا انتهينا من عمل اليوم الشاق عدنا إلى دارنا مترافقين ، ولكننا لم نكن نشير قط بكلمة إلى الفتاة التي أحبتنا كالنا حبا مبرحا . ولقد كنت أطمح من أمر « بارني » أنه لن يتردد في مقابلة أي إنسان يسمى بأهون كلمات الاساءة ، وأنا من ناحيتي كنت أضح « بارني » من نفسي موضع الأخ الشقيق ، ولكننا في طبيعتنا كنا غنطين اختلاف النهار والليل

كان « بارني » مفرما بلحية المرحمة ولم يكن ليمتنع أن يشرب خمرأ من حين إلى حين ، وكانت كثيرة تلك الليالي التي قضاها في حانة « الأسد الأحمر » أبهج حانات المقاطعة

تمود « بارني » الاكثار من زيارة حانة « الأسد الأحمر » ولم تكن هذه الزيارات لجرد إطفاء شهوة من الخمر ولكنه كان يتمتع نفسه بقضاء بعض الوقت في محبة « تس » فتاة الحانة ذهبية الشعر ، ولكنه بعد أن بدأ يتوود إلى « سالي » هجر « تس » وحانة الأسد الأحمر ، وقد أكرت منه هذا التصرف الحكيم . فلقد عرفت أن جميع الرجال على التقريب قد سلكوا الطريق اللوح وقتاماً ، ولكن كان جيلا منه أنه الآن سار في الطريق المستقيمة الضيقة

على أنني لم أثبت أن تلفيت الصدمة التي بددت كل أحلامي وضمضت جميع آمالي . ففي صباح أحد أيام الأحاد لم أكد أعود مع « سالي » إلى دارها بعد أداء الصلاة الأولى وأفت معها برعة على عتبة الباب نستنشق النسيم اللذي حتى مر بنا « بارني » في طريقه إلى الكنيسة لأداء الصلاة الثانية ، فلوح لنا بكفه في الهواء واستمر في سيره ، فلما تلفت إلى

— إنك لم تغير رأيك يا « ويل » فالحقيقة أنك وجدت قليلا من السبل هنا فسأنت متحديا :

— وإذا كنت قد وجدت فاذنا في هذا ؟

— لقدق بارني في عيني وابسهم ثم قال :

— اسمع يا « ويل » لقد كنا أنت وأنا دائما صديقين غلصين ، وأنا أود أن تستمر هذه الصداقة بيننا ، ولكن يجب أن تنافم فاني أعرف أنك تحب « سالي » ، فليكن ، ولكنني أنا أيضا أحبها ، وسأبدل كل مايسمه جهدي وقوتي في سبيل الفوز بها ، ولن أنتهي عنها إشاراً لك أو لأي رجل آخر على نفسي

فقلت وقد مدت يدي فتناولها بارني مصاحفاً :

— وهذا هو شأني أنا أيضا

فقال بارني :

— أرجو أن يفوز بها خير الرجلين كما أرجو ألا يقسو شعور أحدنا على صاحبه !

كانت حياتنا بعد ذلك معركة بين « بارني » وبينى إن تكن قاسية في مظهرها فقد كانت سليمة العلوية في جوهرها . على أن موقف السكينة « سالي » بيننا قد أصبح موقفاً غاية في الدقة ، فقد كان ما في نفسها من الود لسكيتنا متعادلا ، وكانت تبض أن ترد لأحدنا طلباً إذا هو دماها للخروج معه

ووقف رافنا في الدجم على طبيعة ما بيننا من تنافس ، وسمعت أن بعضهم قد تزامن على أينا يفوز بالفتاة

وعلى الرغم مما كان بين « بارني » وبينى من تنافس في الترام بقيت روابط الصداقة بيننا قوية لا يؤثر فيها مؤثر من حقد أو ضئينة . كنا نعمل

وأخرى يسلك حلقه ليقول شيئاً ولكنه كان يمد التفكير بفضل السكوت فلا تخرج الكلمات من بين شفتيه . ولقد كنت أنا أول من فض هذا السكوت فقلت متصفاً بالانصراف :

— أظني يا « بارني » سأغادر هذا النجم بعد قليل فلن يبق لي هنا ما أحرص عليه

فقال صاحبي في صوت أجش :

— إنني لأسف لذلك يا « ويل » والذي أرجوه ألا يقسو شعورك نحوى

فضحكت ضحكة مقتضبة وقلت :

— لك أن تتق أن شعوري نحوك لن يتغير ، فان « سالي » تحبك وهذا هو كل ما في الأمر ، غير الرجلين هو الذي فاز يا « بارني » ولاكن أنا أول من بهتلك

— أشكر لك من أعماق قلبي هذا الشعور الكريم فانت خير صديق عرفته وإنه ليؤلمني أن ينتهي الأمر إلى هذه النتيجة

— اتنس ذلك فقل الخبر فيما حدث

اتفق الخطيبان على أن يقدما الزواج في الشهر المقبل ، ووعدت بعد شيء من التردد أن أبقى بالهبة إلى أن تنتهي حفلة الزفاف . على أنني بعد أن ضاعت جميع آمالي قد أصبحت رافياً في أن أترك النجم في أسرع ما أستطيع من الوقت . وكان خالي « بات » قد كتب إلى يقول إن صحته تسير في طريق الانحدار وإنه أشد ما يكون حاجة إلى المساعدة العاجلة . ولكن « سالي » ألحت عليّ في أن أبقى إلى يوم زواجها ، فلم يسمني إلا بقول رجائها . ولكن اغتبطت في السنوات التي أعقبت تلك الأيام بقبول ذلك الرجاء

سألي رأيت حينها تلبان قوامه الطويل وهما تشمان يبريق لطيف وعلى فيها إقبامة ودبة . فأحسست كأن نفسي قد احتبس في حلقى وكأن قلبي قد تحول صخرأ يشغل صدري

وقلت في كثير من اللطف :

— إذن هذه هي الحقيقة يا « سالي » ؟

فنظرت إلى جافلة وقد ارتسمت الشفقة في أعماق عينها الزرقاوين وهي تهز رأسها وتقول :

— يؤلني يا « ويل » أن أقول أن ليس في العالم إنسان آخر أوده وأحترمه كما أودك وأحترمك ، ولكن ...

فأعنت عبارتها بقولي :

— ولكنك تحبين بارني

فهزت رأسها مرة أخرى وقالت في صوت لا يكاد يسمع :

— أظن أنني كنت دائماً أحب « بارني »

فتناوت يدها وضغطها بين يدي وقلت :

— لقد فهمت يا « سالي » فهو رجل لطيف وسيكون لك زوجاً صالحاً ، وإنني لأعني لكاً جميعاً كل ما في الدنيا من سعادة

فقلت :

— شكرآ لك يا « ويل » وإنني ...

ولكنها لم تستطع أن تم جعلها فضضت يدي وجرت داخلة إلى البيت ؛ ولم ألبث أنب أسرعت أنا الآخر في المدخول ولكني شعرت بأن ساق قد أصابها من الثقل ما أصاب قلبي

وفي اليوم التالي بدأ التوتر بين (بارني) وبينى في أثناء العمل ، ولم يكن لدى أحدنا الكثير مما يقضى به إلى صاحبه ، ولو أن « بارني » كان مابين فترة

وألقنها متدهورة على الأرض، ويدون أن أفوه بكلمة أخرى التفت إلى «بارني» الذي كان ينظر إلينا نظرة بلاء فتأملت ساعده في شدة

وتخيرات الطرقات المظلمة وقده مسرعاً إلى البيت، وهناك أرقده في فراشه فهمم بضع كلمات جمعت بين الشكر والتبرم، ولم يلبث أن استغرق في النوم قبل أن أخلع نعليه ووقفت لحظة أنظر إليه وقد اضطرب رأسي بالانفصالات المخلطة

إذن هذا هو الرجل الذي سيترج من الفتاة التي أحبتها! أيمكن بعد كل هذا أن يسدها؟ وماذا تكون الحال إذا تكررت مثل هذا الحادث بعد زواجهما؟ ومن الجائز جداً أن يتكرر! أجب أن تقف «سالي» على ما حدث؟ وإذا عرفت، ألا تنسخ الخطبة لشعورها بما في عمل خطيبها من إهانة لها وتحقير؟

دار رأسي بهذه الأسئلة وبكثير غيرها، فأغضمت عيني وتخلت «سالي» فيما تنتهي إليه حالها في السنوات المقبلة، وهي تماشر «بارني» وترقبه إذ يمود كل ليلة إلى البيت سكران، تتألم لعلها أن هناك نساء غيرها يشغلن مكاناً من قلبه؛ ومن المحتمل أن تكون حياتهما إذ ذاك حياة فقر مدقع

لم تكن الصورة التي تخيلها صورة مبهجة ففتحت عيني ونظرت إلى الرجل النائم، وسادت نفسي: أجب أن أخبر «سالي» بما رأيت؟ ألا يكون في ذلك منجتها من آلام المستقبل؟

وسمت «بارني» يهيم في نومه: «يا لك من صديق طيب القلب يا ويل». خلعت هذه الكلمات عقدة لساني وقضت على موقف التردد. فقلت وأنا أصرم بالتخاذل مكرراً عبارة:

تركت عملي في النجم قبل يوم الزفاف بأسبوع واحد. وذهبت «سالي» إلى أريشية أوكلاند لزور صحتها ولتبتاع جهاز العرس، ومضى يومان لم أر فيهما «بارني»

وبعد يوم قضيت في إعداداتني للسفر اعترمت أن أريض باشياً ففادني قدساي عن غير قصد إلى الطريق التي تمر مباشرة وراء حانة الأسد الأحمر. وحمل الجو إلى أذني ضجة تزلأ الحانة وضحكاتهم، ثم فتح الباب الخلفي وخرجت منه امرأة تسند رجلاً يسير إلى جانبها مترنحاً غلاماً. فوقفت فجأة وقد تولاني الدهول والغضب لأن الرجل لم يكن غير «بارني» وكانت رفيقته «تس» فتاة الحانة الطروب. ووقع نظري عليهما تجذب وجهه إلى وجهها ثم التفت شفاههما في قبلة طويلة ملتهبة

ثارت نفسي لهذا المشهد تفلوت نحوهما وأنا لا أكاد أدرك ما أفضل ودفعت المرأة جانباً في كثير من الخشونة

قبض «بارني» كفه كما لو كان ممترماً أن يضربني وقال في لفظ متناقل:

— ماذا تمنى بملك هذا؟

فأجبت في لهجة الأسمر:

— سه وهيا إلى البيت قبل أن يراك أحد ويخبر «سالي»

فلوت «تس» أصابها في شكل وقع وهزنت يدها في وجهي وهي تقول:

— هذا «لسالي» أما أنت أيها الشاب فاهم بشؤونك الخاصة. وأنا «بارني» فسيقي مي

وهاجنتي حركة الفتاة قدسيت قانون اللياقة في معاملة النساء ولكنها لكنا أصابت فيها الدهون

النجم أوشك ما فيه من الفهم أن يستفد ، فكان من جراء ذلك أن دفن بعض عمال ذلك القسم أحياء ، وأن حبل بين البض الآخر وبين طريق الخلاص .

وكانت النسوة يكنين متوسلات إلى الرجال أن ينفذوا أقرارهن ، وكان الرجال قد شرعوا بالفعل : وافون من أنفسهم جماعات إتقاد بإرشاد « بيل هانج » أحد رؤساء العمال ، وكان الرجل يرفى أنا ويأرنى منذ كنا طفلين ، ومنه علمت أن صديق بين التكوين وقال الرجل أن ليس هناك من يعرف ما أساب العمال فقد يكونون أحياء وقد لا يكونون ، وعلى كل حال يفرض أنهم أحياء هناك خطر اختناقهم بالناس فيجب أن نعمل مسرعين لانتقام .

ودون أن أنيس بنت شقة انضمت إلى إحدى الجماعات المتطوعة للإتقاد وعملت معهم بأقصى مافي مقدورى من جهد ، وكنا جميعاً متجهين نعمل صامتين نسأل الله ألا يذهب مجهودنا عبثاً .

قضينا في العمل ثلاثة أيام وثلاث ليال لم يكن يتقطع فيها العمل إلا لحظات تنامها خراباً ، وكنا كلما توغلنا في النجم أفتنا عمداً ومصاد خشيّة حدوث انهيار جديد وكنا نعمل صامتين ، فلم يكن لأحد منا ما يقوله وقد حرف كل همته . وما أنسى هذه الساعات الأخيرة التى قضيتها في النجم مع هؤلاء الأبطال الصامتين الذين أنفقت أفواههم ونظمت جباههم بما أترسم عليها من أمارات العزم والمجد الجبار .

وكان الانسان يسمع ما بين فترة وأخرى أحد الرجال يصيح « هيلو » « هيلو » عسى أن تصل أسواتنا إلى هؤلاء الساكنين الذين انطبق عليهم

« نعم ، إليك من صديق طيب القلب يا ويل ... إنك لرفيق الشموذ يا ويل » فقد كنت أعلم أن ما بينى وبين يارنى من ولاء وصداقة سيق سره بأمن في صدرى . وانصرفت بعد أن أحكمت عليه النطاء .

وجدت « سالى » في البيت عند عودتى فلم أفت معها إلا ربنا رددت نحيبها وأخبرتها أن يارنى يغير إلا من تب العمل الذى أزمه الرقاد مبكراً ، ثم صمدت إلى مسكنى حيث قضيت ليلة مشردة للنوم لم أخاطب يارنى بعد تلك الليلة ، فى اليوم التالى بينما كانت « سالى » ترفى ما اشترت من أبرشية أوكلاندا استمداً للرأس اخترقت سكون الصباح ولولة جدت لها قلوب كل أم وكل زوجة وكل حية في البلدة ، فقد كانت رتبها مبنية عن وقوع كارثة في النجم ، قبضت « سالى » على ساعدى وقد هرب كل أثر للدم من وجهها فأصبح يشبه وجوه الأموات . وقالت في جزع : « يارنى ... إني لأشعر بأن فاجحة قد أصابت يارنى » . وكاننا قد سمع قدامى فى الأرض فوقفت علقاً فيها بينى حتى شمعت يديها تدان صدري وقد أصابتها نوبة مصيبة فصرخت بى :

— لا تقف هكذا ناظراً إلى يا ويل ... إني لأشعر بأن مكروها قد نزل بي يارنى ... فهلا تفضلت فصلت شيئاً ...

فاندفعت من البيت واندجعت في الجموع التى كانت مسرعة في طريق النجم .

وكان كل إنسان يتساءل : ماذا حدث ؟ ولكن لم يكن أحد يدرى شيئاً ، حتى إذا وصلنا إلى النجم علمت أن انفجاراً حدث فقد الدخول إلى قسم من

حتى إذا انتهينا من توديعهم الوداع الأخير، شرعت
أعد عدتي لمصادرة البلد قاصداً إلى مزرعة عمى .
فقد أصبحت بعد ذلك الحادث أشد رغبة في الإبتعاد
عن المنجم، وقد يبدو غريباً أننى لم أشعر بشيء من
الأمل في الحصول على « سالى » بعد أن نزل الفضاء
بخطيئها « بارنى » ولكن لا غرابة في ذلك فقد
عرفت من أخلاق « سالى » ما أفضى بأنّها من
النوع الذى لا يجب غيرضة واحدة، فالوقت وحده
هو الذى يخفف من آلام قلبها، فما كان ليخطرلى
على بال أن تصير الأمور إلى ما صارت إليه عندما
ذهبت إليها لأودعها .

وجدتها جالسة بجوار التنافذة تنظر إلى الفضاء
الذى كانت هى وبارنى وأنا تقضى فيه ساعات لهُو
ومرح تحمدونا السعادة وعذب الأمانى، فلما رأيته
نظرت عند دخولى وقد ارتسمت على شفتيها
ابتسامة قاترة .

فلما أدنيت أحد الكرسي إلى جانبها وجلست
عليه قالت متبهة :

— أظنك جئت لتلقى إلى بكلمة الوداع ؟

أجبت :

— نعم قاتلى لأشعر أن ليس هناك من شيء

أستطيع أن أعمله الآن

فقلت في كثير من الرقة :

— إننى لأحسدك، وما أشد رغبتي في أن
أبتعد أنا أيضاً عن هذا المكان . نعم أود لو أستطيع

الذهاب فلا أعود أبداً . إنك ذاهب لتميش حيث
النور والهواء وحرارة الشمس . أما أنا فسأبقى هنا

حيث لا يوجد غير الذكريات السوداء

وهنا غص صوته فلم تستطع الضنى في عديتها

المنجم فيقوى ذلك في نفوسهم الأمل في الحياة .
ولكن أسوأنا كانت تذهب بهاء في جوف هذه
القبرة الخفية .

وكان أشق شيء على نفسى أن أرى وجه
« سالى » الحزين وهى تسألنى كلما خرجت من
المنجم عن نتيجة بحثنا، فكانت كلمات التشجيع
واللزاء التى أرددها عليها لا تصادف منها غير أذنين
صاويين، وهى جالسة تشخص في الفضاء كالأخوذ
تتحرك شفتاها في صمت مبتهلة إلى الله .

وأشرق صباح اليوم الرابع صافياً وضاه .
وكان اليوم الذى حددنا قد زواج بارنى وسالى، ولكنى
كنت أطمح أن هذا الزواج لن يكون، فقد اقتربنا
من البقعة التى كان يشتغل فيها هؤلاء النساء حين
انفجار المنجم، ولم يكن هناك أى أثر للحياة في تلك
البقعة المشحومة، فما شككتنا، وإن لم يصرح أحدنا
بما شعرنا به، في أن الموت قد حصد جميعاً .

وصلنا آخر الأمر إلى الرجال وكانوا سبعة عشر
وجدهم قد سحقوا سحقاً فقد أصابهم الضربة
القاضية قاسية عتيفة . فبالها من ساعات هول تلك
التي أخذنا ننقلهم فيها الواحد بعد الآخر إلى خارج
المنجم، فكانت قلوبنا وأفئدنا نتناقل كلما اقتربنا
من مدخله . وبالطول اللحظة التى وقع نظرى فيها
على بارنى فتمثلته في رقدته التى تركته عليها في آخر
ليلة رأيته فيها، وكأني أسمع كانه الأخيرة : « ياك
من صديق طيب القلب ياويل » . ما أفسى القدر
وما أتمس هذين الحبيبين اللذين أصابهما بهذه الضربة
القاتلة ! لقد كدت أشتتني حزننا في ذلك الموقف
الرهيب ...

دفنا موتانا وأثنا عليهم صلاة جامعة في الكنيسة

كله منحصر آ في الشفقة للشديدة والرغبة في المساعدة .
وإذا كانت سالي من الطراز الذي لا يجب إلا مرة
واحدة فأنا أيضاً من ذلك الطراز ، وعلى الرغم من
كل ما حدث كنت أعبدها . وهذا هو السبب في
أنني عند ما كنت أزرع أرض الثرفة ذهباً وجبنة
في صمت كانت فكرة واحدة مستولية على رأسي .
لقد أبدت « سالي » رغبتها في أن تترك البلدة ،
وإنه ليسرني أن أخذها معي بأى ثمن كان . إذن
لقد وضع كل شيء وضوح ضوء النهار ، فركمت
إلى جانبها وأفضيت بكل ما خطر لي ، قائلاً في لهجة
الجد والتمحس :

— اصغ إلى يا « سالي » ! إنك لن تستطعي
البقاء هنا لمواجهة مخزسات الناس فلتقبلي مساعدتي
— وكيف ؟
— تروحي مني

فتشقت « سالي » وابتمدت عني وقد بدت
عليها اللذة ولكنني اندفعت أقول في غير رو :
— إنني لأعلم ما لا بد أن تشعري به حيال هذا
المرض . ولكن ألا ترين يا عزيزتي أن هذه هي
الوسيلة الوحيدة ، فأنت زوجة لي تستطيعين أن
تصحبيني إلى الزرعة دون أن يكون هنا ما يدعو
إلى علم أحد بأمر الطفل . ألا ترين أن هذا هو الشيء
الوحيد المقبول الذي يمكن عمله ؟ وما أشك في أنه
لو تيسر أن يطمئني بدارني بهذا الأمر لاستطاع أن
يدرك مناه

— أتقدم على هذه التضحية من أجلي ، حالاً يا بني
لن أستطيع أن أقدم لك شيئاً مقابلها ، حالاً
كذلك أن لا أمل في شيء على الإطلاق ؟ ثم أنت
ترغب فوق ذلك في أن تطلق اسمك على ابن رجل
غيرك ؟

وانهزمت الدموع مطلقة من عينيها ، فطوقت
كفنها بإصبعي مواسياً وقالت :

— تشجعي يا « سالي » وإنني لأعلم مبلغ ألمك
من خسارتك الفادحة ولكن اجتهدي في أن تتمزي
فقطرت إلى يمينين ممتورتين بالدموع وقالت
في تأن :

— أأطلبك يا « ويل » على سر لا تملنه ؟
إنني لأعلم أنك صديق وفي غلص وأن حكاك على
لن يكون قاسياً . وإنني لشديدة الحيرة والاضطراب
فقطرت إليها في دهشة ، أسائل نفسي : ترى
إلى أية غاية ترى ؟

ومضت في حديثها تقول :

— إن حزني على « بارني » ليس إلا نصف
السبب فيما أشعر به من حيرة واضطراب ، فيمد
سبعة أشهر سأصبح أما . وهذا هو السبب الذي
جعلني وأنا وبارني على أن نستعمل يوم زفافنا فتحده
بمسد أيام قلائل من إعلان خطبتنا . أما الآن ...
فأني لا أجد حتى الاسم الذي أسمي به طفلي . أواه
يا « ويل » ... ماذا عساني أفعل ؟

إذا قلت إنني شمعت عند سماع كلمات « سالي »
كأنني قد صممت ، كنت متلففاً في التعبير .
فما كنت لأعلم بأن أسمع ذلك الذي سمعت ، ولم يكن
في مقدوري أن أسدقه لأول وهلة !

على أنني أجهدت نفسي في امتلاك مواطني ،
فقد كانت الفكرة التي طقت على غيرها في رأسي
هي أن « سالي » واقعة في حرج شديد وأنها أشد
ما تكون حاجة إلى أن أعينها في شدتها . ومن
التريب أنني في تلك اللحظة لم أشعر في قلبي بشيء من
المنشينة أو الحقد على « بارني » ، فقد كان شعوري

كثيراً على « سالي » ، بعد أن تقدمت حالها ،
استأجرنا فتاة من أهل القرية لتساعد في الطبخ
وفي الأعمال البيتية الأخرى ، وقد برهنت هذه
الفتاة واسمها مارجري جليسون أنها تساوى ثقلاًها
ذهبا ، وكانت فتاة وضاعة الجبين جذابة ، محبة
للمعمل أنيسة بيت وجودها في البيت روح البهجة
والانفتاح وقد توطدت روابط الصداقة بينها
وبين سالي

وفي ذات صباح وجدت مارجري في المطبخ
يبدو عليها أثر الحيرة والاضطراب ، فلما سألتها عن
سبب ما بها أجابت :

إن الذي يشغلني هو أمر امرأتك ، فانه يبدو
عليها أنها في حال غير طبيعية . إنها لا تتكلم أبداً
عني الطفل المنتظر . فعي مجلس شاخصة إلى الفضاء
كأنها تحلم ، وقد قالت لي أس : « مارجري ، أتقنين
هنا بعد ذهاني لتني بأمر ويل ؟ إنني لأرجو منك
أن تفعل ذلك »

فقلت في خشونة :

— كلام فارغ ، إنها غير مألوفة نفسها ، فهذا
أول طفل لها ، وكل ما هناك أنها خائفة
وعلى الرغم من كلامي هذا شعرت بشيء من
القلق والاضطراب

ولد الطفل في ليلة قارسة البرد من ليالي الشتاء
وإذ أحسنت « سالي » بالآلام الأولى ساعدتها
مارجري في الإبراء إلى فراشها ومضيت أدمع الطيب
وكانت ليلة هول وجزع . فبذل اللحظة التي وصل
فيها الطيب أحسست بتوتر غير طبيعي يملأ جو
البيت ، فقد كانت مارجري تروح ويحيى صفراء
مققة الشفتين ، بينما كان الطيب يؤدي مهمته وقد
ارتسم القلق على جبينه وانحأ

وبعد فترة كأنها الأبد نزل الطيب إلى غرفة

(٥)

فأجبت :

— ليس فيها أفضل تضعية على الإطلاق ، فانا
سنشترك في إنشاء بيت بأوى كلامنا ، وما أطلب
شيئاً غير ذلك ، فإذا شعرت يوماً ما بأن في قلبك
شيئاً من اللطف على فاشعر عندئذ بأنني قد كوفت
بماؤه ضئف لما فعلت

فلم تستطع « سالي » أن تتكلم وأدارت وجهها
عني ولكنني أدركت أنني قد نجحت فيما ربيت إليه
وشعرت أنني في هذه اللحظة المرحجة كنت أسعد
مني في أي وقت مضى من حياتي

وبعد أسابيع قليلة وصلت و « سالي » إلى
مزرعة خالي بات الذي امتلأ قلبه فرحاً باستطاعتي
محموس معي ، وقد بذل منذ اللحظة الأولى كل
ما في جعبه ليشرها بأنني في بيتها ، وأخيراً عندما
أصبحت حالة الحمل أكثر وضوحاً عني في أسلوب
رقيق بأن يخفف عنها عبء العمل في البيت . وكان
إذا لاحظ صرّة أن العلاقات بيني وبين زوجي غير
طبيعية تنجب في حكمة أن يقول شيئاً بهم مما لاحظته
وإني لوأنت أن « سالي » لم تندم قط على قبولها
الزواج مني ، فقد أحبت الزرعة ، وكان يبدو عليها
بعض الأحيان أنها تشمر بكثير من السعادة ، ولو أنها
أصبحت نادرة الانبسام . ولقد كان شائعاً على نفسي
أن أكون قريباً منها محباً لها ومع ذلك لا أجرؤ
أبداً على أن أسبها . ولكنني صبرت مؤملاً
ألا يمد جداً اليوم الذي تقبل على فيه عن رغبة
ورضا

وقلت في نفسي : إن الحال لا بد أن تتغير بعد
أن تضع جنينها ، وستعود حياتها سيرتها الطبيعية
يوم يصبح لها ولد محبة وتسهر على العناية به ،
فستعود عندئذ تدريجاً أن تقبل على « أنا أيضاً
ولما شعرنا أنا وخالي بأن حمل البيت قد أصبح

واسم « بارنى » على شفتها

وقفت كالخالم تمنحى الرأس عند ما غيبتوا نمش
« سالى » فى القبر غير مستطيع أن أصدق أنها
قد ذهبت حقاً . هل أن الحقيقة لم تلبث أن صدمتني
بقوتها المربعة عندما وصلت البيت حائداً من جنازتها ،
فقد كنت جالساً وحدى فى الغرفة الأمامية غارقاً
فى الأفكار الحزينة إذ أيقظنى من غيوبة بى بكاء
ضيف... الطفل... وكان الحزن قد أنشأ وجوده
فى هذا العالم ، فشئت متشداً ونظرت إلى ذلك المخلوق
الأحمر الوجه الذى تركته أمه فى رعايتى . إنه ابن
بارنى كيف أستطيع أن أشرح أو أأسف الانفعال
الذى تملك نفسى حين نظرت إلى الوليد الذى يبكى ؟
لقد تجملت البضياء كلها والحزن الكمين فى نفسى
تتجمعت كرهاً مطلق العنان نحو ذلك الطفل . لقد
حطى أبوه بالفتاة التى أحببتها وغابها ، ثم هى قد
دفعت حياتها ثمناً لآخرهاج ابنه إلى عالم الوجود

وبكى الطفل مرة أخرى ، فأعجبت عليه وقلت
فى خشوة : « أنت ، إنها من أجلك ماتت ، وما ينتظر
منى مقابل ذلك إلا أن أهلك ! ها ! ها ! ها ! لها من
مهزلة ! حقاً إلى أبنتك ، أياها الطفل اللبكي
الحقير ! » ولم تلبث ثورة الغضب والحزن التى أقعدتني
كل حامل من عوامل العقل أن أأثنت رجلاً مجنوناً
تغلا قلبه شهوة الجبرعة . سأنتقم من القدر بقتل
المخلوق البرئ الذى كان السبب فى كل هذا المصائب
وأعجبت يداى فى بطء إلى رأس الطفل وأطبقت
أصابعى على عنقه ، وبدأت أضغط ذلك العنق الصغير
متأنياً وأنا أضحك ضحكا وحشياً كلما ازدادت هينا
الضحية إجحافاً .. ابن بارنى ! أظن أنه يستطيع أن
يتفانى ؟ سأريه ! أن « ويل للصديق الطيب القلب »
لن يكون الأنموذج مرة أخرى

الطعام حيث كنت جالساً أنا وخالى بات منتظرين
فلما رأته سأله فى حال عصبية :

— أهنأك شئ غير سارى دكتور ؟

فمز رأسه كثيراً وقال :

— أخشى أن يكون ذلك يا « ويل » إننا
نعمل كل شئ ممكن ، ولكن أصرأئك تسلك سلوكاً
غربياً ، فلا هي مكترثة بأن تمشى أو تموت ولا هي
تساعدنا فى أداء مهمتنا بأية صورة من صور المساعدة
وهى أحياناً تهذى وتكرر الهتاف باسم بارنى

ثم جاءت مارجرى فدفعت الطبيب الذى خرج
وتركنى وخالى ينظر أهدنا إلى الآخر فى صمت
مشبع بروح الجزع . ولم تلبث أن صمنا بكاء رقيقاً
ينبئ عن قدوم مخلوق جديد إلى عالم الكفاح الذى
نمش فيه

وفى مطلع النهار كنت ناعساً فوق كرسي
إذ أيقظتنى نقرة خفيفة على كتفى فأرأيت مارجرى
واقفة أمامى تقول هامسة :

— يريد الطبيب أن تسرع فى الذهاب إليه
فاندفت ساعداً السلم فى سكوت وهناك لقبتى
الطبيب على باب غرفة سالى ، وقال بحزن :
— اجتهد فى أن تكون هادئاً متجهداً

غسبت أول الأمر أن سالى ناعمة ، ولكننى
رأيت جنبها بهتان ثم يتفحان ، ثم التفتت
... وحلى لها ابتسامة رقيقة — إلى المخلوق الصغير
الذى ضمته فى ساعدها ملفوفاً ، وبدأت تتكلم
فأعجبت لأصغ صوتهما الخافت قالت :

... ويل ... عزيزى ويل ... إننى نازكة طفلى
فى رعايتك ، وسيجي اليوم الذى يكبر فيه ويمشى
ليرد إليك جزاء شفقتك العظيمة ، فليبارك الله
عليكاً وليحفظكاً جيداً

وانطبنى جفناها فى بطء ، وبددتائى قليلة ماتت

قائه لم يكن سهلاً . فقد كانت مرحبى تبذره ، وقسم خالي وقته بين فقير النعل وبين الطفل الذى سمي باسمه . وإذا لاحظنا أن سلوكي حيال « ابني » كان غريباً قائمها لم يكونا يحدداننى بما لاحظناه . وبعضى الوقت بدأت أأف وجود الطفل فى البيت كما أأف وجود عصفور غرير من عصفائر الكنازيا ، مخلوق يطمئه الانسان ويأويه ويمنى به ، ولكنى لم أشعر فى قلبي نحوه بأى أثر لماطفة الحب

ولما أتم الطفل « بات » السنة الأولى من عمره أصيب خالي بصدمة أثمرتته الغراش ستة أشهر ، كنت خلالها شديد الإعجاب بما جرى لما أبدت من صبر وحفظ فى أداء واجباتها . إذ كانت تعرض الرجل المريض وتمنى بالطفل الذى كثرت حركته حريصة كل الحرص على نظافة كل شيء فى البيت ، مؤدية فى الوقت نفسه حمل الطاهى والخائض أيضاً . وكنت من جانبي أعمل كل ما أستطيع لمساعدتها ، وقد علمتني أن أزداد كل يوم احتراماً لها وإعجاباً بها . لقد كانت الأم والطاهية ومديرة البيت والمرضة ، فلو شاءت لتفاضت أضعاف الأجر الضئيل الذى كنا نقدمه لها ، ومع ذلك لم تكن لتشكو من شيء وطراً على فى الوقت نفسه شيء من التفتير ، فإذا كنت أمضى فى أداء عملي فى هدوء متناير لما كنت عليه من قبل ، فلم يكن السبب فى ذلك الحزن الذى كن فى نفسى ، ولكن انحصار تفكيرى كله فى عملي . فقد شفى الزمن جرح نفسى ، ولم تمد « سالى » غير ذكري محبوبة تسكن أحماق قلبي . على أننى كنت أشعر دائماً أن شبيب « بارنى » يلازمى دائماً فى شخص ابنه الذى سار كما تقدمت به الأيام يقترب شبهه من شبه أبيه ، فكانت له تقاسيمه وعيناه السوداوان الرافقتان وشعره الجمد ولم أحرف قط إذا كان خالي قد أدرك الحقيقة

أيقظنى من هذه الثورة الجنونية وقع خطوة على عتبة الباب وخلعت أصابعى من عنق الطفل محفلاً إقبال المجرمين عندما دخلت مارجرى الحجره ، وإذا لم تلاحظ شيئاً غير عادى ذهبت إلى فراش الطفل وحلته على ساعدها . وقالت :

— إنه جائع ... مسكين هذا الطفل اليتيم من أمه ، أخشى أن نكون قد أهملناه !

فلم أجب على قولها بشيء ، وقد أخذت أسترد قواى العقلية ، وبدأت أشعر بالرق البارد يتدفق من جميع مسام جسمى . واستولى علىّ إذ ذاك الشعور بالشكر وعرفان الجليل لما جرى فقد أنقذتنى من أن أصبح قاتلاً لمخلوق ضيف برى . يجب أن أستجمع قواى ! فترنحت خارجاً من الحجره أشعر بالهواء البارد يصدم جبتي

فلما خلوت إلى نفسى فى حجرتى ذلك المساء لعنت ما بدا من جماعتى ، فما كان الطفل باللوم على موت « سالى » ولكننى أنا اللوم

لقد قال الطبيب إنها ماتت لأنها لم تكن راغبة فى الحياة ، وأنا وحيدى الذى أعرف السبب فى ذلك . كنت أعلم أن قلبها قد دفن مع بارنى . لقد كانت تعتقد أنه معها المصادق الأمين ، ولم يكن هناك من يعلم غير ذلك سوى . وكان فى مقدورى أن أقضى على حبه لم يضع كلات . فلماذا كنت ما علمته من أسر بارنى والفتاة « تيس » ؟ لم يكن لهذا التكنم من سبب غير خوف من أن أجرحها وأن أصور نفسى فى عينها إنساناً دينياً . لقد أطبقت شفتى وتركت الفتاة التى أحببتها تصعب عباً خائفاً إلى العالم الآخر . كانت هذه هى الأفكار التى مررت حياى بضمة أشهر بعد موت « سالى »

وراجية لطلب جالى بات سمينا الطفل « باتريك » وعلى الرغم من أننى لم أهتم بأمر ذلك المخلوق الصغير

عدت بهذا كرتي إلى الثمانية عشر شهراً الماضية التي
 حثيت فيها مارجري بترية الطفل وبمريض خالي .
 فساءلت نفسي : ترأها كانت تفعل كل ذلك مقابل
 الأجر الضئيل الذي كانت تتقاضاه منا ؟ أم كانت
 تشمر هي أيضاً بأنها قد أصبحت أحد العناصر
 الأصلية في ذلك البيت ؟

أيمكن أن تكون قد شعرت بشيء من العطف
 على رب البيت الفاتر الشعور الصامت الذي كان يروح
 ويحيى مشغولاً عن كل شيء غير مكتوث لأحد ؟
 تذكرت بعض حركات صغيرة يمكن أن تدل على هذا
 الذي افترضت ، وهنا شعرت كأن شرارة ملتهبة قد
 سرت في مجموع كياني ، فكان من الأمور الشارة
 أن أصر بأنني موضع اهتمام إنسان ما وما جرى على
 وجه أخص ، فقد تموت أن أنظر إليها نظرة
 الصداقة الحارة . ولم يكن هناك من يستطيع أن يغلأ
 الفراغ الذي تملأه في يتي . إذن يجب ألا تناديه
 وقلت إلى جانب مارجري وهي ترقد الطفل
 ساء في سريره ونظرت إليه وهو يرشع . وعلى
 حين فجأة طوقت مارجري بساعدي وضممتها
 إلى صدرى وقلت :

— إنك يا مارجري لن تتركي غلوتين مارجرن
 تحت رحمة الأقدار ؟ ألا ترين أننا أشد ما نكون
 حاجة إليك ؟

فكانت وقد دهشت لحركة التودد التي بدت مني
 على غير انتظار :

— ولكن ماذا عصاني أفضل ؟

قلت :

— اصغ إلى مارجري ! إنني لا أنظر إلى امرأة
 أخرى في العالم نظري إليك . وإنني لأعلم أن هذا
 الأمر مفاجئ ، ولكن أنظنين أنك تمنين بأمرى

أم لم يدركها فيما يتصل بنسبة هذا اللتام ، فقد كان
 رجلاً ما كراً لا يتكلم كثيراً ولا يوح بما يعلم .
 وقد مات بعد ستة أشهر من مرضه . وعلت يوماً
 إلى البيت بعد موته بأسبوعين فوجدت مارجري
 تبكي . فسألها في لهفة :

— ما الذي يبكيك يا مارجري وأى سوء حدث ؟
 فقالت متألة :

— إن هناك داعماً أناساً متطفلين يتهزون
 النقص للخرق في أمراض غيرهم ، ولا كان خالك
 على قيد الحياة يعيش معنا لم يكن هناك ما يثير تطفل
 أمثال هؤلاء الناس . أما اليوم وقد مات ، فقد
 شرعوا يتحدثون في أسرارنا ويقولون إنه من غير
 لائق أن أميش مملك وأنا فتاة شابة تحت سقف واحد
 وليس معنا ثالث ، لهذا أرى من الحكمة أن أغادر
 هذا البيت حتى أطلع السبيل على التطفلين
 فقلت سرانما :

— ولكن الطفل ! إن به حاجة لن يني
 بأمره ، وأنت الأم الوحيدة التي تفتح عيناه على
 وجهها . إنك لا تستطيعين أن تتركينا يا مارجري
 وما نحن بقادرين على أن نميش ببدين عنك
 فزفرت الفئاة وقالت وهي تسرع بالمدخول إلى
 غرفتها :

— إنه ليكسر قلبي أن أفضل ذلك ، فقد كنت
 عنقوداً على ، وأنا أحب « بات » الصغير كالو أحببت
 ابني الذي من لي ودى

شعرت عند سماع هذه الكلمات بشيء من
 الإعياء يستولى على نفسي ، فلم يخطري من قبل قط
 أن مارجري يمكن أن تتركنا ، فقد كنت أنظر
 إليها منذ الساعة التي دخلت فيها بيتنا ، على
 أنها تنصر من العناصر الأصلية فيه ، وكأن ذلك
 كان أسراً مسلماً به ، فلما سمعت كلماتها الأخيرة

نفسى به قد حملنى على أن أقسم فى الحال وأنا أحمل
ابنى على ساعدى أنى مهما بلغ حبي لهذا الطفل ما بلغ
فلن أميزه بمجمل أحرم منه « بات »

ولقد وفيت بهذا القسم فى أدق حدود الوفاء ،
وخصصت قسما من دخلى لتربيتهما وتعليمهما ، وكان
على كل منهما أن يؤدى واجباته المدرسية ، وإذا
لاحظت أن « فرانك » كان ميالا إلى الكسل ،
أسرت « بات » فى شدة الأيساعده فى أداء واجباته
عنه ، وكان الطفل ميالا بطبيعته الخيرة إلى إسداء
هذه المساعدة لأخيه ...

ولما شب الطفلان أحزننى أن ألاحظ الفارق
الكبير بين أخلاق أحدهما وبين أخلاق الآخر . فقد
كانت « بات » دائما يابسا سميذا ، وكان كريما
طموحا غير أنه كان على استعداد المراك لأقل سبب ،
وكان يسلك حيال فرانك ، مسلك المحاي الذى
يدافع عنه غير ساهج لئلا يظن أن يحبه بسوء .

وكان ابنى على العكس من ذلك نحولا ميالا
إلى الأنانية ، فكان يستغل طيبة « بات » لمصلحته
كلما أراد ذلك . وإذا كانت الأمور تميز سيرها
الطبيعى كانت شخصيته تتميز بمجازية شديدة ، وكان
فوق ذلك متميزا بذكاء عقله وقوة إدراكه وهما
أمران كانا يشيران بمستقبل عظيم .

وكان مما ضايقى بعض الشيء أن فرانك
لم يكن يكثر قط بفقير النحل ، وكان « بات » هو
الذى يعنى بها ويحفظ كل ما كتبت أمليه من شئوننا
و كنت كذلك أنضابق حين أذكر أن « فرانك »
قد يرتفع شأنه فى الوجود ، وأن « بات » قد ينقح
بالحياة فى اللزعة على مثال ما فلت . على أن هذا
هو ما كنت أرجوه على كل حال ، فإن السنين وإن
كانت قد خففت ما كتبت أشعر به من البعض نحو

لحد أن تقبلينى زوجا لك ؟ أما أنا فسأبذل جهدى
فى سبيل إسعادك

فلم تنطق الفتاة بكلمة ولكنها هزت رأسها مرة
الرضا وقد ضاقت منهاها بالموع ، فاحشيت وطبعت
على شفتيها القبلت لئلا لم أطبعها على شفتى امرأة
غير أبى

لقد مررت الزواج على مارجرى فى ساعة انفعال
ولكننى لم أندم على ذلك قط ، فقد كانت صديقة
مخلصه ، ورفيقا فرحا مؤنسا ، وقد تمودت على الزمن
أن أحبا حبا قويا

وكان « بات » كلما كبر أصبح من المستحيل
أن أنجاهه ، لقد كان طفلا نشيطا يحتاج إلى الملاحظة
المستمرة ، إذ كان ميالا للعب بكل ما يصادفه ، فلم
ألبث أن لاحظت أنه لا بد من مراقبته خشية أن
يؤذى نفسه ، ولم يكن من طبي أن أحمل طمعا أداء
واجبى ، وما دامت الأقدار قد ألقت إلى أمر العناية
بهذا المخلوق فقد وجب على أن أحبه من كل خطر
يتمرض له

وبدا على الطفل أنه يحبنى حبا شديدا ، فكان
يقبضى أبى تنقلت فى البيت وكان يتعلق بى ويقبلى ،
وكان حسنه ولطفه جنائين لا يملك الإنسان نفسه
من التأثير بهما ، وكان يدهونى بلطفة « أبى » وما كان
ليستطيع أن يدهونى بنثر ذلك

وما بلغ « بات » السنة الثالثة من عمره حتى
رزقت مارجرى بطفل هو ابنى من لى ومن دى ،
وما أستطيع أن أسف للشعور الذى استولى على نفسى
حين حملت المخلوق الصغير الجديد على ساعدى ، فقد
تجمع الحب والطف الذان حرمتهما « بات » وقاضا
دفعة واحدة على التادم الجديد

على أن روح العدل الذى كنت أتشدد فى أخذ

الأسم، وزادني الرخ طمعا فاستخدمت فيها جميع أموالي وكان ذلك سببا في أن تعرفت بمسترد بالدوين مدير البنك المحلي، وكان الرجل ممن يهتمون بقرية النعل فكان يزورني ويرقب ما يجري في الفقير. فتوطدت بيني وبينه روابط الصداقة، حتى إذا ترك «فرانك» المدرسة عهد إليه بوظيفة كاتب في البنك فشاء ابني بذلك حبيبا. وكان يقول لي عن عقيدة: إن بعض كبار رجالنا كانوا في أول نشأتهم كتابا في المصارف

وكان بات إذ ذاك يعمل خبزا في الجريدة المحلية وكان الأجر الذي يتقاضاه ضئيلا، ولكنه كان قنوعا به؛ وكان يكنى لميشته، وكان يمضي أوقات فراغه في كتابة قصص لم يوفق قط في بيعها، فكان كل ما يرسله منها يرد إليه ثانية، وكنت أنا و«فرانك» نهزأ منه لاضاعته وقت في ذلك اللبث. وقال له فرانك في سخرية:

— ألا تهبط أيها القروي الكبير الجسم إلى الأرض؟ ألا تنرف الوقت الذي أصابك فيه الهزيمة؟ وكان «بات» يتسم من هذا الكلام غير مكترث ويقول إن روما لم تبني في يوم واحد، ثم يمضي في الكتابة

ولم يمض إلا قليل حتى دهشت أنا وفرانك أكبر دهشة في حياتنا، فإن إحدى قصص «بات» لم ترد إليه بل جاءه بدلها «شيك». فبلغ من السؤال مصحوبا بكلمة تشجيع من محرر إحدى المجلات الواسعة الانتشار. ولقد كانت هذه هي الفرصة التي يستطيع أن يقول فيها: «لقد قلت لكم ذلك» ولكن لم يقل شيئا وأظن أن سكرة القرح أنسته أن يشكره، ففنى وهي فيه ابتسامة عريضة راضيا بمظه في الحياة، وتوالت الشيكات بعد ذلك

الطفل الغريب الذي حملني مسؤولية أناغير مرحب بها، فأنها لم تقض على هذا البض القضاء التام، فكنت أعني أن يتم كل شيء طيب لاني.

وكان «بات» أدق إدراكا من أن يقوت عليه ما في مسلكي من تميز ولكن لم يكن ذلك ليعترك في قلبه الصغير أي أثر غير طيب. ومن الغريب أن تكون مارجرى هي التي لم يبد من ناحيتها أي نوع من أنواع التفرق بين الغالمين، فقد كانت تحب الولد الكبير الجليل الطيب القلب الذي تستعد أنه ابني حبها أنها على حد سواء.

وكانت «بات» متقدما على «فرانك» في المدرسة عندما ماتت مارجرى، وقد شعرنا جميعا بالخسارة التي أصابتنا بفقدان عطفها وعنايتها وكان «بات» أشدنا حزنا وتأثرا. فكانت هي الشخص الوحيد الذي كان يقضي إليه بما في نفسه ويركن إلى عطفه. وكان «بات» يدرس الصحافة ويقول إنه سيؤلف يوما كتابا يحملنا جميعا على أن نتفخر به، وكانت مارجرى هي وحدها التي تشجعه، أما أنا فكنت أهرأ بفكرته فاكنت لأنصو أن ذلك الطفل الرقيق الكبير الجسم يصلح لأن يجلس يوما فيضمن أفكاره وآراءه كتابا يقرأه الناس، ولما ماتت مارجرى انقطع حديث «بات» بآماله ومظاممه

أما فرانك فكان يطعم في التنفوذ وفي الثروة. كان مشرما بالمسائل المالية، فكان كل مساء يدرس الصحيفة الاقتصادية التي تنشرها الجريدة، غير ملتفت إلى شيء إلا أن هذا النوع من الأسم قد ارتفع وذلك النوع قد تدهور، وكان يدرس الأسباب التي تؤثر في السوق مفاخرأ بأنه يستطيع أن يتنبأ بما سيقع من ارتفاع أو هبوط، وكان كلامه مغريا حملني على أن أستخدم بعض أموال في سوق

خطابتي عن مكان وجودي ، ولكن أرجو أن تجد في قلبك مكاناً للمغو غنى . وما أخشى على صحتك وحياتك لأنني واثق من أن « بات » العزيز سيهبر عليك ويمني بأمرك . وقد أستطيع أن أعود يوماً ما ، وإلى أن أعلم من ذلك سابق ... ولعلك المحب (فرك))

صفتي هذا الخطاب جلست أنظر إلى الفضاء . إن هذا لا يمكن أن يكون صدقاً : أبنى فرانك أص لي يمضي زمن طويل حتى يقبض عليه كالوحش الضاري : لا بد أن يكون هناك خطأ ما . ولكن لا . هذا كتابه وهذا خطه . أصبح لصاً ؟ أبنى الذي أملت منه الكثير وهو الآن هارب يبحث عن مكان يأوي إليه حتى لا تقع عليه عين القانون

فكرت في الأيام التي كان فيها طفلاً وساءت نفسي : أقصرت في تربيته ؟ ألم أعلمه تعليماً حسناً ؟ ألم ألقنه مبادئ الأمانة ؟ سألت نفسي هذه الأسئلة ورددت عليها إيجاباً

إذن أين موضع الخطأ ؟ إنه في أعماق نفسي ، لقد أخطأت حين اعتمدت على نصائحه وعملت برأيه .

لقد رأيت أروع الكثير بأيداع التليل ، ففضل الشره إلى نفسه ، وأراد أن يكون إنساناً ذا شأن . والمال يزود الإنسان بالقوة . لقد رأى كفى قبض على مبالغ كبيرة من المال فأراد أن يحزنو حذوي ويجمع المال لنفسه .

وإذا وصلت إلى هذا التليل أحسبت رأسي حزناً وطاراً واعتملت رأسي يدي وبكيت في صوت صرّفع ..

ولم أشعر بأن « بات » قد دخل الغرفة حتى أحسست بساعده يطوق كفتي ، ونظرت فرأيت به رمقي في عطف وحنان . وقد قال في كثير من التلطف :

وأصبح بات تغوراً بمكاته وبثروة التي تنمو على الاستمرار .

وبدأ الناس يتحدثون بأسر الفتي المؤلف ، ويهتفون بابن الثابتة ، وأخيراً أدركت أن ليس هناك من يعرف حقيقة نسبه ، فلم أر ما يحول بيني وبين الاشتراك معهم في الحديث

ولم يرض صابن على اشتغال فرانك حتى حلت بالبنك كارته مفاجئة ضاعت فيها أموال أربابها وأسلأ كما ضاعت أموال غيري ، على أن هذه الكارثة على شدتها كانت أخف هولاً من الكارثة التي لحقتها بعد ثلاثة أسابيع والتي فاجأتني في خطاب مكتوب على مجل بخط فرانك وفيه يقول :

والدى العزيز

عند ما تقرأ هذا الخطاب أكون قد بددت أميلاً عديدة عن الوطن . ولقد لاحظت أنت عند ما كنت في البيت في نهاية الأسبوع أنني كنت كئيباً ، وقد نفيت ما أبدت لي من ملاحظة إذ لم تكن أعصابي لتتحمل مواجعتك بالحقيقة ، فأخبرك بأن ابنك مريض وليس

وانك لتعلم أنني كنت أشتغل بدفاتر للبنك فترة من الزمن ، فلما وقعت الكارثة استولى على إلياس فكنت أرى أحلامي تتلاشى وما اقتصدت من المال يضيع هباء ، فلم أر أمامي غير سبيل واحد للخروج من ذلك المأزق ، فأخذت من أموال البنك مبلغ أربعمائة جنيه ممتزماً بطبيعة الحال أن أردّها . ولكن هذا المبلغ ضاع هو أيضاً ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يطلع فيه مدبرو البنك على ما حدث ، لذلك أنا أغادر البلاد قبل أن يكشف أمرى . وسأبدأ حياتي من جديد في أي مكان أستطيع العمل فيه ، وآمل أن أعلم يوماً من رد المبلغ الذي سرقت . ولا أكتب إليك بعد الآن خوفاً من أن تبتم

— إنه لأمر قاس يا أبى ، ولكن هون عليك ولا تبتس

فسأته فى صوت عال :

— أعرأت ما حدث ؟

— نعم فقد بنت إلى فرنك بخطاب

فسأته وقد شمعت بشئ من الارتياح لوجود من يشاطرنى الأسى :

— وماذا حسنا نعمل ؟

فأجاب :

— لقد حملت كل ما يمكن أن يعمل لما قرأت خطاب فرنك حتى أسرعرت إلى البنك وتحدثت مع مستر بالدوين ، وحولت حسابى إلى البنك. ولما كان مالى يزيد كثيرا على القدر المطلوب ، وافق مستر بالدوين رغبة لك أن يترك الأمر يمر فى هدوء ويترك سرا مكتوما

فقلت :

— أنت دفت مالك الذى جنيته بملك لتتخذ

اسم فرنك ؟

فأجاب الفتى :

— إنه اسمنا جيما

فقلت نظرى عنه صامتا ، فقد ازدحت الكلمات فى فمى ، وغص بها حلقى فلم يخرج من بين شفتى . لقد أردت أن أقول له إن الاسم الذى دفس ليس اسمه ثم إذا بى كائى أسمع صوتا من الماضى يهمس فى أذنى ، وكان صوت « سالى » تكرر الكلمات التى قالتها من قبل ، عند ما فطرت بينتين قفيضان بالجمع إلى طفلها الوليد وقالت : « سيأتى اليوم الذى يكبر فيه ويمشى ليرد إليك جزاء شفتك العظيمة »

لقد استولى على شعور لا أستطيع وصفه ، ففرب أن تصح نبوءتها بعد هذه السنوات الطويلة ،

وأن يدب رنينها فى أذنى ، وأقرب من ذلك أنه خيل إلى أن الواقع إلى جانبي هم سالى نفسها ، تعمل لا تقاذ اسمي كما أقذت اسمها فبها شئ ، فكان عرضا منها لا أستطيع رفضه . ولكن « بات » لن يعرف ماذا قصدت حين قلت : « شكرا لك يا سالى »

مضت ست سنوات على هرب فرانك ، وعلى الرغم من أننى لم يصلى كلمة منه فأنى أشعر أنه بخير وإنى لأرجو أن يعود يوما ، ولكننى لست وحيدا لأن حياتى أمتع وأكثر اهتماما مما كانت فى أى وقت مضى من جراء التفاهم واللودة اللذين توطدا بين « بات » وبينى

زوج « بات » بعد ذهب فرانك بوقت قليل عحضراً زوجه الجميلة إلى المزرعة كما أحضرت أنا أمه من قبل ، ولا يزال دائما على الكتابة مقسما وقته بين الآلة الكاتبة وبين قفير النحل

وقد رأيت منذ أيام — وأنا جالس فى الشرفة — وهو يجمع الزهر الأزرق الذى يحبه النحل . وكانت ابنته الصغيرة مارجرى سالى جالسة على ركبتى . وقد غمرنى شعور بالرضا والفتنة عند ما ضمتها إلى صدرى ففطرت إلى ورأتى أنبسم وقد سألتنى : — لماذا تبسم يا جدى ؟

فأجبته بكلام غامض ، إذ كيف أستطيع أن أقول للطفلة إننى عند ما رأيت « بات » تصورت أن الأيام قد دارت إلى الوداء وإننى أرى سالى وبارنى يتسلمان لى

أكان الأمر كله خرافة شيخ مضطرب ، أم ترانى قد سمعت حقاً « بارنى » وهو يقول :

« يالك من سديق طيب القلب ياويل فليجزك الله خيراً »
فهد الحبر مصرى

حَاجِي نَابَا أَصْفَهَانِي

لِكُنَّا فِي الْأَنْجِلِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ "جَمِين مَوْر"
بِقَرْيَةِ الْأَرْمَنِ تَحْتَ عَيْنِ الطَّيْفِ وَالْمَشَارِقِ

في طهران سواء منهم السلون والنصاري
واليهود وأقيمت الصلاة ولم ينزل الطر .
ولكن الملا نادان لم يأس بل وقف بين
الناس خطيباً فقال : « أليس أمأنا شيء
نقله يا أهل إيران لكشف البلاء من
الأرض المصابة بالجذب ؟ لقد ظهر مثل

ظهور الشمس أن الله غاضب علينا لأن فينا من
استنزلت خطايه نعمة الله علينا ، وهؤلاء هم الكفرة
الذين يستبيحون شرب الخمر جرة ويرتكبون
المنكرات في كل مكان ، فلنذهب إلى حالهم ولنعلم
كؤوسهم وقنابهم لعلنا نعال بذلك رضى الله »

عند ذلك ثارت في الناس حمية الدين ووضع
الملا نادان نفسه على رأس الجوع ومشوا إلى الحى
الأرمنى في المدينة . فلما رأى أهله هذه الجوع الناضية
لم يعرفوا ماذا يفعلون فبعضهم أوصد الباب دونه
والبيض هرب والبيض تجعد في مكانه . ولكن
الجميع أدر كروا نية المقبلين . وبعد قليل تحول النظر
إلى مذبحه عامة

ودخل الملا نادان بيته الأشداء من رجاله بيوت
الزعماء من الأرمن فأخذ يبحث مجدداً عن الخمر
ولما كان الأرمن كالمسلمين يحجبون نساءهم فأنه
أترك خليل القاري تصور الحاله التي نشأت من دخول
هذه الجوع الهائجة للنازل وتكسيرها أبواب النساء
وتفتيشهن خوفاً من أن تكون بعض زجاجات الخمر
مخبوءة في ثيابهن

ووجدت هذه الجوع ما لم تكن تتنظره ،
وما هو عندهم شر من الخمر ، وهو الكتب
القدسة والصليبان وصور المسيح والمفراد معلقة
(٩)

الفصل السادس والخمسون

مطامع مونا دامه

عرفت لما زادت صلتي بملا نادان أنه شديد الجشع
كبير المطامع وأن غرضه الأول هو أن يصبح شيخ
الملاء في العاصمة الفارسية وأنه لم يترك وسيلة لتحقيق
هذه الناية إلا اتبناها . وكان من وظائفه المتعددة
التدريس في المدرسة الملكية . وكان يكثر من النساء
والإقاع بين خاصة للشاه سراً ويتولى في الجهر حل
ما بينهم من الخلاف ليشتهر بالكياسة والحزم . وكان
في الأعياد والمواسم التي يجتمع فيها الملاء عند الشاه
يقدم نفسه على سائر إخوانه بالظهور في الصف الأول
ويرفع صوته المنكر في الدعاء لجلالته ويتكلم بالنبأ عنهم
اتقضى فصل الشتاء وبدأت باكورة الربيع وجاءت
الأخبار بأن الأمطار كانت قليلة في جنوب إيران
وأنها مهددة بالجاعة ، فأمر الشاه بأقامة الصلاة العامة
وتولى شيخ الملاء تنفيذ هذا الأمر فلم تفت الملا نادان
هذه الفرصة لينتفع منها . وكان لا يجمل النفوذ
الذي استفاده بين الشعب فأرسل دعوة إلى العامة من
أهل المدينة ليتبعوه إلى مكان خال في الضواحي حيث
يقيم صلاة عامة . ووصل خبر هذه الدعوة إلى الشاه
فأمر كل أهل المدينة باتباعه فكان ذلك نصراً مبيناً
له . وفي اليوم الذي تمجد لهذه الصلاة خرج كل من

أخذت على عاتقك أن تقتل رعيتي ؟ من الذى
منحك هذه السلطة ؟ هل صرت نبياً ؟ هل تريد
أن تكون ملكاً ؟ قل لى ما الذى فعلته ؟ »

وجهم هذا الثرثار الذى لم تكن تنوزه الألفاظ
كلما أراد أن يتكلم ، ثم تتم بكلمات نافعة عن الكفار
وعن شرب الخمر وعن نزول الأمطار . وكان فى
خلال هذه اللدة مفقود الحركة كأنه تمثال

فقال الشاه للملا باشى : « أهملت شيئاً مما
يقول ؟ خبرنى ما الذى يمينه إن كنت قد فهمت ؟ »
فقال الملا باشى : « جعلنى الله فداك يا جلالة
الشاه ، إنه يقول إنه أراد الخمر لرعيته التى منع عنها
الله الطر بسبب الخمر التى يشرها الكفار فى طهران »
فقال الشاه : « إذن فأنت تقتل جزءاً من
الرعية لتصلح جزءاً منها يا ملا نادان . وهل أنت
قد حلت محل فى هذه العاصمة التى تريد إصلاحها ؟
أى حل هذا الذى كنت تحب به ؟ »

ثم رفع رأسه متديكاً جنونه : « تماالوا هنا
فرزقوا عمامة هذا الملا وجيته وانتفوا لحيته واربطوا
يديه خلف ظهره وأركبوه حماراً جاعلين ظهره إلى
رأس الحمار ، وصرخوا به فى أسواق المدينة ثم اطردهوه
منها . وليكن معه تليفه هذا » وأشار إلى خنصرته
الله لأن الشاه لم يعرف أننى صاحب زينب ، وكان
حسبى أحسن من حظ أستاذى لأن لحيتى بقيت لى
وبقى لى احتراى

أما لحية الملا قائما فتفت كما ينتف الطباخ رأس
المساجبة ثم صفوه وأركبوه أفدر حمار رأوه فى
للطريق ومشوا به الموبى ، وكنت أمتى وراده ،
ولما وصلنا إلى باب من أبواب المدينة أنزلوا الملا الكبير
المطامع عن ظهر حماره وطردهوه وطرودنى معه وكأن

على الحوائط فأخذوا يحطمون ما نصل أيديهم إليه ،
وقويت فى نفوسهم شهوة التحطيم فلم يتركوا شيئاً
من الأثاث والريش . ولو استمروا على ذلك مدة
لحطموا المنازل كلها أو أحرقوها ولما تركوا أرميتاً
على قيد الحياة

ولكن رسولاً من قبل الشاه حضر فى هذه
الأناء مع رئيس من رؤساء الأرمن فأبلغ الجمهور
أن جلالته غاضب وأنه يأمر الجوع بأن تمود إلى
رشدما فتراجست الجوع ولا تمل عن شعور
اللا نادان فى هذه الساعة فقد نظر إلى الجمهور ثم
إلى نظرات لعله لم ينظر مثلهما رجل ذو لحية فى العالم
كله لأنها كانت حالة على الطفولة والبلاهة ، ثم أمره
رسول الملك بأن يذهب معه إلى جلالته . وصاح
بصوت يشبه البكاء : « وما الذى فعلته بحق
رسول الله ؟ أليس أعداء الدين جديرين بأن تطهر
منهم المدينة ؟ »

ذهبنا إلى قصر الشاه فوجدنا رئيس الوزراء
والملا باشى ينتظراننا فى غرفة رئيس الجلادين
وقال رئيس الوزراء للملا نادان : « ماذا فعلت
يا ملا ؟ هل جنت ؟ هل نسيت أن فى طهران ملكاً
له ولاية الأمر ؟ »

ثم أشار إلى رئيس الجلادين وقال : « خذما
إلى الشاه فانه ينتظرهما » . فقادنا ونحن إلى اللوت
أقرب منا إلى الحياة فثقتنا بين يدى جلالته وكان
يقتل شاربيه كعادته عند ما يشتد غضبه

وطامناً رئيس الجلادين حتى كادت رأسه تصل
إلى الأرض وقال مشيراً إلى الملا ثم إلى : « هذا
هو الملا نادان وهذا خادمه »

فنظر الشاه إلى الملا وقال : « من أى عهد

دون أن يراني أحد لأن المكان كان مظلماً ورأيت
أن الحظ قد ودعني في هذه المرة الدواع الأخير ،
واستملت في ذاكرتي حياتي الماضية قلت : اني
ما كدت أفوق لذة الحب حتى سار الملك منافساً لي ،
وما كدت أسأل الحب حتى قتل الملك حبيبي وطردني
من وظيفتي . وما كدت أرث حتى انضج أن موذي
لم يترك ثروة . وما كدت ألجأ إلى رجل كبير من
العلماء لأحتسب عنده حتى طردت وإياه من المدينة
وكنيت أعتقد أن الحمام خال في هذا الوقت ،
ولكن لسوء حظي وجدت رجلاً يسير فيه على
مقربة مني وكان لا يزال في الحمام ببصيص من النور
يتخلل الزجاج الملون ، فمردت أن هذا الرجل هو
اللا باشي نفسه

مر ولم يلتفت إلى غمدت الله ودخل أمامي
المنطس الساخن ، وبعد دقائق سمعت وقوع جسم في
الماء ، فشيت على أطراف الأمل حتى دخلت إلى
المنطس فوجدت اللا باشي غريقاً فيه . وأيقنت
بالملاك لأنني سأتهم ولإعالة بأنني قاتله فالتاس كلمهم
يمرفون أنني تلميذ اللا نادان ويمرفون أنه أشد
خصوصاً بحد نكبتة

وكنيت في هذه اللحظة طارياً لأنني لما رأيت
اللا باشي يدخل المنطس خلعت ثيابي ودخلت منطساً
آخر ، وقبل أن أعود لأتم الاستحمام أو لألبس
ثيابي جاء تابع من أتباع اللا باشي وحسبني سيده
فأخذ يدلك جسدي ، ولما كانت قائمتي كقائمة اللا باشي
وكان يابه ضيف البصر فانه لم يميزني . ولما انتهى
الاستحمام لبست ثياب شيخ العلماء وتصنعت مشيته
ومشيت مع التابع إلى منزله . وكان من أصعب
الأشياء أن أستمرو في التمثيل إلى نهايته لأنه من

المطلوب يكن ممنوعاً إلا ربنا يحمل هذا الغياب بوغدين
من شر أوفاد المدينة فما كدنا نخرج من بابها حتى
هطل وسق البردة من أهلها كما سقى الأرمنيين

الفصل السابع والخمسون

ماحي يا يا نهر بأهميرة

قلت لصاحبي لما لم يبق معنا أحد غيرنا : « اني
مدين لك بهذه السعادة يا ملا نادان ، ولو كنت أعلم
أن هذه هي نتيجة التوصية التي أخذتها من ميرزا
أبي القاسم لما كنت أسى إلى التشرّف برؤية وجهك
ما الذي كان يضرك لو لم تنزل الأمطار ، وما الذي
كان يبتيك إن شرب الأرمنيون الخمر أولم يشربوها »
ثم رأيت حالة الملا محزنة لا تسمح بأن أزيد في
تعنيفه فسكت . ومشيئاً وكلانا صامت إلى أقرب
قرية هرجنا عليها فاسترحنا في خان هناك . ولما
تحدثنا عرف كلانا أننا لن نستريح حتى نعرف ماذا
كان من أمر ممتلكاتنا في المدينة فقد كان له عقار
ومنفق ونساء ، وكانت لي ثياب وبذلة ومال .
واتفق رأينا على أن أعود إلى طهران . فدخلتها في
الساء وذهبت توأ إلى بيت الملا فلدتني أول نظرة
إليه على أنه لم تمد به بقية تصلح أن تفتني

وكان أول إنسان رأيته في المنزل هو رسول
الشاه الذي استدعانا إلى القصر . وكان هذا الرسول
في هذا الوقت يخرج من المنزل ويركب بغلي ويسير
بها وعليها ثيابي ومالي

ملأ هذا النظر قلبي حزناً وكنيت شديد الخوف
من أن يستكشف أمرى إنسان فأسرعت بالدهاب
وأنا لا أعرف إلى أين تقودني رجلاي ولم أزل أسير
على غير هدى حتى وجدت نفسي أمام حمام فدخلت

على من يطل من زجاج النافذة الملون أن يدرك أنى
لست باللبا بئسى

ولما انتهيت من ذلك خطرتلى أنه قد يمكن الوصول
إلى أمور أخرى غير ما كنت أظن أولاً وعزمت على
أن أبحث في جيوب الرجل وأخضع الأوراق التي
في حزامه فربما وجدت ما أستفيد به في حياتى المقبلة.
وقد وجدت في الجيب الأيمن خطاين ومسبحة
وأختاماً ، وفي الجيب الأيسر دواة وصرآة صغيرة
ومشط . وأما ساعته فكانت محفوظة مع كيس نقود
في جيب صغير تحت الايط الأيمن وبدأت أبحث في
كيس النقود فوجدت به خمس قطع ذهبية وقطعتين
فضيتين ، وكانت الساعة من الذهب ، وأما الدواة فكانت
منقوشة نقشاً بديعاً ووجدت بها مبراة وأقلاماً
ومقعداً

نظرت إلى هذه الأشياء وغيرها نظرة المالك
لأننى عزمت على أن أسير في طريقى إلى النهاية وبذلك
وضعت كل شئ منها في مكانه ثم بدأت أخضع الخطاين
فوجدت أحدهما من غير توقيع وفيه ما يلى :

أخى العزيز

(وهنا قلت لنفسى هذا الخطاب من أحد
الأصدقاء) ، ثم قرأت « إنك تعلمون شدة احتراي
للكوكب اللئالى فى جيبى الدهر وظل نبيتنا الكريم ،
وكل الذى أرى إليه أن يزاد حبي ويقوى على ض
الأيام . لقد أرسلت إليكم ست بطيخات انتقيتها
من بطيخ أسفهان مما لا يوجد نظيره كل يوم . وأرجوكم
أن تأذنوا لى بشرب النبيذ لأن الأطباء أكدوا لى
أننى إن لم أشربه فلن أقوى على مقاتلة أعداء الدين
واستئصال شائهم »

قلت فى نفسى : « هذا ولا ريب من رئيس

الحق أن يعرف السيدات أنى لست لاه ، وكنت
قد عرفت أنه قليل الكلام وأن بينه وبين زوجته
شجاراً مستمراً لأنه شديد الغيرة

وكنت قد أثرت نفسي الصمت منذ وجدت
نفسى مضطراً إلى الظهور بظهوره . ودخلت المنزل
بجازفاً مستمداً للقاء أسوأ النتائج ، وكان أول شئ
حدث عند دخولى الباب أن تقدمنى البواب فصاح
بالأرقاء فى داخل المنزل أن يحضروا النور فأحضره
عبدان ومشيت فسمعت أصوات النساء ، ثم أضيت
غرفة استطعت أن أرى من خلفها سيدتين وخشيت
أن يقودنى العبدان إليها . ولكن حسن حظى
واعتياد الخدم معرفة الحالة التى كان عليها شيخ
المساء عند ما يخاضم زوجته قد حل العبدان
عند ما رأيتنى منصرفاً عن دخول هذه الغرفة — إلى
الدول عنها إلى الخلو حدث الله وانتظرت أن
يقودنى حسن الحظ إلى التخلص من العبدان دون
أن أعرف . وكأنا إلى هذه اللحظة يسيران أمامى ،
فأخذت الشمعة من أحدهما وأشرت إلى الآخر
بيدى أن يذهب ، فذهب بشمعتهم بلى الآخر فى الظلام
وذهب العبدان مزيجين

وكنت إذ ذاك كالملق بين السماء والأرض
أفكر فى حظى الذى ساعدنى على ارتكاب أوقع
حالة من حالات التشكر فأمر كل السرور وأفكر
لحظة أخرى فى مصيرى بعد أن خلوت هذه
الخطوة فأحزن كل الحزن

الفصل الثامن والخمسون

تيمية الحادثة السابقة

ولما انفردت فى الخلو أسرعرت إلى بابها فأوصده
ووضعت المصباح فى ركن بعيد فأصبح من السجبل

خدمات وهي أن تمرني جواداً لأمر يدهو إلى السجدة
وسأرده كما أخذته حين تنتهي حاجتي إليه »
« وقت هذا الخطاب بخاتم «الرحوم» وعزمت
على أن أذهب به بنفسى في الصباح التالى . ورددت
على الخطاب الأول بما يلى :

عزيزى عبد الكريم

تسلمنا خطابك واطمئنا على ما تضمنه، وبحمل
إليك ردنا هذا من تلق به وهو حاجى بلا قاعطه
ما عندك من تقود . أما الأمور الأخرى فنسكت
إليك عنها قريباً . وفي أثناء ذلك استمر على ما أنت
فيه من أعمال السوط في ظهور العظيمة أمانك الله »
وبعد أن انتهت من كتابة ما تقدم انتظرت
إلى وقت مناسب لأهرب من المكان الذى كنت
في شدة الخوف من أن يبرهن أحد فيه فينتهى
أمرى إلى نهاية مزعجة . وبعد منتصف الليل كنت
أستعد للخروج من الخلوّة في سكون تام فشرت
بأن يداً تهز الباب ؛ ولست أستطيع وصف ما فانى
من رعب قال ذلك فوق مقدورى .

توقفت أن أرى على الأقل « الهاروجا » كبير
الشرطة مع ضباطه يدخلون ويستقلونى وانتظرت
النتيجة في وجل غير أنى صمت صوتاً نائياً بهمس
بالفاظ حال ارتباك دون فهمها .

ومهما يكن الفرض من تلك الزيارة فما كان
عندى غير جواب واحد وهو زارة شديدة تدل
على أن القيم في الخلوّة لا يقبل مجال من الأحوال
أن تلقى راحة ؛ ولبثت زمناً حتى كان الصمت
والسكون قد تحلا الهار فسلقت في هدأة إلى الباب
الخارجى وفتحته بسهولة وجربت في الخلاء وتحيّنت
الفرص المناسبة للسير في الطريق متجنباً رؤية الشرطة

الجلادين إذ من غيره في إيران يستطيع أن يبر في
هذه الكليات القليلة عن تلقه وعن عشقه للخمير
وعن خياله ؟ سأستفيد من هذا الخطاب فلا أنظر
في الكتاب الآخر »

ثم قمت الخطاب الثانى وقرأت فيه ما يلى : —
سيدى وأستاذى

إن البعد الخاضع الذى يعمل لنصرة الحق
يتشرف بأن يخبركم أنه بعد جهاد طويل استطاع
أن يجمع من فلاسى القضية مائة طومان غير الخمسين
حاملين للثقال، وأن الرجل المسى حين لم يستطع
أولم يرض أن يدفع شيئاً زغم جلوده مرتين . وعلى
ذلك أخذت بقرته حتى يجهد نفسه ما استطاع
فلو أرسلنا أحد الأتباع إلى خادمكم سلمت إليه مائة
الطومان »

ثم انتهى الخطاب بالألفاظ المتأدّة من وضيع
إلى سيد رفيع ، وكان موقفاً بخاتم سنير منقوش
عليه « عبد الكريم » وهو اسم كاتب الخطاب
قلت لنفسى : « هل يسمدنى الحظ فأجد
عبد الكريم وأعرف مكان الضيعة التى كتب منها
هذا الخطاب ؟ »

تركت هذا الأمر قليلاً لأفكر فيما يمكن أن أسنع
بخطاب النازا كنى بائى . وبعد تفكير قليل كتبت
هذا الخطاب :

« أخى :

تلقينا كتابك وضمنا ما به ولا يشك أحد فيما
يجب عمله منّا بصحتك وأنت حاجى الاسلام وسيف
الله فاشرب ما أردت من التبيذ وقاتل أعداء الدين
نصرك الله عليهم وليجزل الله لك الثواب
واسمح بتقديم خدمة أخرى غير ما قدمت من

الذى طرأ علىّ حتى لقد شمرت بما يشعر به اللط من حافة الهاوية يدفعه دافع مبهم إلى إلقاء نفسه فيها . وبصموبة شديدة استطعت أن أمنع نفسي من الرجوع وتقديم نفسي إلى القضاء وقلت في نفسي : « لست إلا لصاً لا أكثر ولا أقل ، ولو قبض علىّ لزق جسمي على آلة للتصذيب ولكن من الذى سبب هذا ؟ »

الحق أننى لست للموم إذا كان القدر أراد بي هذه الحالة . لأننى لم أسع إلى قتل الملا باشى ولكنه إذا كان قد قدر عليه أن يتلفظ النفس الأخير أمامى وإذا كنت أنا — أردت أم لم أرد — سأحصل عاقبة موته فإن من الواضح الجلى أن القدر أراد أن أمثله وأقوم مقامه . وما دمت محمّلاً في كل ما أعمل في دورى هذا فإن ملابس الملا باشى تمد ملابسى ودرامحه ودرامعى . وكل ما كتبت باسمه حتى وعدل « وقد أنشئتني هذه النتائج فركبت جوادى وتقدمت إلى أقرب قرية لأستمل عن ضيعة شيخ العلماء وعما إذا كان يقطن في تلك الأنحاء رجل اسمه عبد الكريم

وكأنما كانت العناية تلحظني والحظ يلازمى ، فأننى وجدت أن القرية التالية ، والتي لا تبعد إلا مسافة قصيرة هي مقصدي ، وأن عبد الكريم هو شيخ فيها يقوم لسيدته القليل بعبادة المال وجمع الحصول .

قلت في نفسي : « إنه شيخ ، إذن يجب أن أغير أسلوب الخطاب وأن أخاطبه بما يستحق من الألقاب »

وسرعان ما جلست على الأرض وأخرجت العوامة من جيبى وأخذت قطعة من الورق الذى في

وأخذ نور الفجر يظهر وبدأت الحوائط تفتح أبوابها ، فاجتهدت وأنا أسير بملابس الملا باشى ألا تبدو منى بإدرة نهم عن حقيقى أو تدعو إلى الشك في أمرى . وتم لي ما أردت بتفقة قليلة في حانوت ملابس قديمة . وقد حاذرت أن أخرج بشيء من الأشياء الثمينة التى وقتت في يدى

وقصدت بعد ذلك إلى دار النازا كشى باشى وقدمت خطاى إلى خادم أجهله قائلاً له : إن الملا باشى يطلب جواداً سرياً لأنه يريد مفادرة المدينة في حمل هام . ومن حسن حظي أخبرته أن صاحب المنار في مسكن الحرم وأنه سيرسل رده كتابة . ولكنه أسرف في نفس الوقت بإحضار جواد من جياده إلى ولقد سررت من رؤية الجواد الطهم وم يخرجونه من مرابطه وعليه سرج موثى بالذهب وفي عنقه سلسلة ذهبية . وكانت تمرقني رعشة من الفرح كلما تصورت أن كل ما أراه سيصير ملكاً لي . ولكن كان يربى أن سعادة كهذه يستحيل أن تستمر طويلاً

وتعلمنى الخوف من استكشاف أمرى إذا تأخرت فأسرعت إلى خارج المدينة على ظهر الجواد . وفي زمن يسير تجاوزت أبوابها وابتعدت في الخوات ولم أزل أسير إلى الأمام دون أن أقف أو أنظر إلى الخلف حتى وجدت نفسي بين الوهاد التى خلفها مجرى نهر الكرج . وهناك ترجلت لأستريح

تذكرت أنى سمعت أن ضيعة الملا باشى تقع على طريق همدان فوليت وجهي إلى تلك الناحية . ولكن الحق أقول إننى حين وقتت لأستريح شمرت بالرجبة تدب في نفسي من ذلك الانقلاب المريب

فأجيبته وقد كنت أن أشتق من سؤاله :
 « كلا فاني لست من أتباعه ولكنني تابع لرئيس
 الجلائين . ويظهر على ما أعتقد أن بينه وبين اللاباشي
 بعض الأعمال المالية » وبذلك أخذت كل شعبة
 في ضمير مضيق ، وقضيت على كل ظن جال عيقلته .
 وكان لكل من الجواد والسرحد والذهب واللجام
 النقوش اللامع أثره في توكيد قولي . وبعد أن تلمست
 مائة الطومان ووضعتها في صدري امتلأت الجواد
 وتظاهرت بالرجوع إلى المدينة وأنا أكاد أظير
 سروراً ؛ غير أنني بعد أن غبت عن النظر أدبرت رأس
 الجواد إلى الخلاء وجعلت أنحس جنبه راكناً دون
 أن أقف حتى تصيب الزبد الأبيض على جسم الجواد
 وتساقط المرق عن جبينه

سمعت على الذهاب إلى كرمانشاه وهناك أيسع
 الجواد والسرحد واللجام وأواصل سيرى إلى بغداد
 فأكون هادئاً مطمئناً .

وبعد أن سرت نحو خمسة فراسخ من طريق
 رأيت شخصاً غريباً يسير أمامي بخطى سريعة رافقاً
 سوتة بالنساء . وكان يلبس ثوباً خفيفاً وعلى رأسه
 عمامة وقد لثف ذقنه بمنديل ، وفي قدميه خف ،
 ولم يكن يبدو عليه أنه من قطاع الطريق . ولما اقتربت
 منه ظننت أنني رأيته من قبل . وكان الرجل طويل
 مستدل للقامة عريض الكتفين نحيفاً . ولقد حسبته
 لولا غناؤه اللامع ، إذ لم يحظر بيالي قط أن رجلاه
 ما للما من الوزار يمكن أن يحط من قدر نفسه
 بذلك اللثاء . ودنوت منه رويداً رويداً حتى رأيته
 عن كثب ولم يكن قد رأى . بعد فمرفت أنه هوبير
 شك . ووقفت جوادى لأتدبر فيها إذا كان حسناً
 أن أريه نفسي . وكان من القسوة أن أعطاه ولكنني

حزاي وكتبت الخطاب كما أريد من جديد . ثم
 تقدمت في سهمي مصماً على اختيار أقرب الطرق
 إلى الاستيلاء على مائة الطومان

الفصل التاسع والخمسون

فيأية حاجي بابا ، مائة المود تارانه وأهمار
 أخذت أظهر بمظهر يليق بشكل الجواد الذي
 امتطيته حين وصلت إلى « سيراباد » وهذا هو اسم
 القرية التي ذكرتها . ودخلتها وعلى مظاهر السلطة
 والجاه حتى كان الفلاحون يحنون رؤوسهم في خشية
 وخضوع إذا رأوني
 وحين ترجلت أعطيت زمام الجواد لأحد
 الوقوف وقتل : « ابن عبد الكريم »

وفي لحظة أخذ كل واحد من اللوجودين يجرى
 للبحث عنه إلى أن جاء ، قتل بعد السلام المتأد :
 « لقد حضرت من قبل الملا باشي لأمر لا ينبغي
 عن فهمك »

ثم سلمته الخطاب . وكان لبيد الكريم عين
 شذراء لم يسجنى شكلها خصوصاً وقد ظل طوال
 الوقت يرمقني بلحظ منها
 وتنفست الضمائم حين قرأ الخطاب وقال لي :
 « إن المال موجود ولكن يجب أن تأخذ راحتك .
 تفضل بالدخول »

تظاهرت بشدة الاستعجال ولم أرد أن أبقى
 ممرضاً لعينيه الثارتين ، غير أنني قبلت أن أتناول
 بعض الفاكة والابن خافه أن أمير شعبة
 قال لي وكنت قد صنعت في لأتناول قطعة من
 البطيخ : « إنني لا أذكر أنني رأيته في دار الأستاذ
 مع أنني أعرف كل فرد من أتباعه معرفة تامة »

وهنا لاحظت أنني إن لم أقل له ما يهدي من روعه
قد يهني بالاستيلاء على ممتلكاته ويتبذرها حتى
ظهرت بهذا المظهر الأنيق الذي آثار دهشته فوعده
بأن أقص عليه كل شيء ، ولكن رغبته ألا يدع
في نفسه سبيلاً إلى الشك لأن ما سأفوه له قد يبلغ
من الغرابة ما يجعله يظن أنني اختلقته لأرويه فقط .
ووصلنا إلى القرية وأخذنا مضاجعتنا في الخان ولما
كان كل من له مثل مال من المظهر الوجيه لا يلبث
أن يستلفت شكاً الأنظار فقد وقف في خدمتي
صاحب الخان ، وأعد لنا عشاء طيباً . وفي هذه الأثناء
قصصت حوادثي على رفيقي ولم أخف عنه شيئاً من
دقائقها ، وقد كاد يذهب السرور والانشرح بمقله
حين علم أنني ابتعت أسبتي ووجاهتي على نفقة عدوه
القديم الملا باشي

جلسنا تتعاذب أطراف الحديث بملة الثقة
والانشرح ، والباثسون بسرهم ويخفف عنهم تبادل
الأحداث ، وقد لاحظت لأول مرة أنني لم أكن قد
عرفت من كنه صاحبي ما كنت أخال أنني أعرفه .
وقلت : « لاشك أنه كان في مظهره ما خدعني مدة
وجودي معك ، إذ كيف يمكن لرزين متكبر أن يكون
لطيفاً أنيساً كما أنت اليوم ؟ » فأجابني : إيه يا حامي
بابا ! الدهر قلب والأيام لا تدوم وإن حياتي ليست
على وتيرة واحدة بل هي في انخفاضها وارتفاعها
تشبه تلك الأكرالتي يلبس بها المشوذن في أسواقنا
في عيد النبروز والتي تظل ساعدة هابطة بين السماء
وبين الأرض . وإنني لسوء حظي لست واحداً من
أولئك الذين يسبرون على قاعدة : « لا تفرش بساطك
على أرض مبتلة »

قلت له : « قص علي إذن حوادث حياتك ،

من جهة أخرى رأيت أنني إذا أرتبه نفسي اضطررت
إلى مرافقة من لأدعية لي في مرافقته . ولو عرفني
ورآني أعجبني فمن المحتمل أن يهمني بسرقة أمواله
في طهران . ولئن نجوت منه الآن فاني سأظل أخافه
كالو كان بيننا عدواة .

وكنا نقترب من قرية يجب أن نبيت فيها فلم
أجد بداً من التسلم لأن جوادى كان في حاجة
إلى العناية والراحة إذ لا يزال أمامه مسافات طويلة
يقطعها ، فلم يكن في الاستطاعة أن أحله فوق طاقتي
واخترت أسراً وسطاً فقلت إن عرفني الملا نادان
كفنه وإن لم يعرفني تجاهلته . وأسرع فلما قاربته
التفت ونظر إلى من الفرع إلى القدم فلم يظهر عليه
أنه عرفني ، بل لعله خاف أن أكون قاطع طريق
فتوسل إلى أن أرحمه ولم أستطع أن أقوم بشورى
إزاء هذا الاسترحام فانظرت فترة له يقول كلمة
أخرى ولكنه ظل صامتا ، واشتدت علام خوفه
فاخذت أضحك ضحكا خالياً لم يكن له مبرر إذ لا يصلح
الضحك جواباً على الضياء

دهش الملا نادان وتغير في أحمره غير أنه حين
بدأت أنحك زال كل شك عنده وأسرع إلى فرحا
مسروراً وقال : « أهذا أنت يا حامي بابا ؟ من
أى مماء هبطت ؟ ما هذا الزى البديع وما هذا الجواد
الكريم وما هذا الذهب وهذه الخلي ؟ هل صاحبت
الجن أو هام بك الحظ أم اختارك السم ؟ »

ظلت أضحك مسروراً بهذه التحوط وظل يقول :
« كيف استطعت بهذه السرعة أن تستبدل بينك
هذا الجواد ؟ ألا تعرف ماذا فعلوا بممتلكاتي ؟
ألم تسبق لي حمارى على الأقل ؟ لقد أنهكنى السير
على الأقدام . حدثني ! قل كل شيء بحق النسي »

الناقضين من يهود ونصارى ووثنيين يبدوون لنا
والأستام - كل هؤلاء شغلهم كرهنا وأصبحت
تلك الماطفة التي كانت يدعيها في سبيل شهرته
وأطاعه شعوراً قوياً ثابتاً لا يقوى عليه أى شعور
أو إحساس . وقد شئت مائلته وأنا بينها على عقيدته
وتشرعت مبدأه حتى تغفلت في نفسها وسرى في
عروقها .

وقد تفتانينا في هذا المبدأ حتى صرنا حرباً على
الكافرين وأصبحتنا من دعاة الشيعة ورافى لواها .
وإذا علمت ذلك لم يدعشك الدور الذى لعبته في
تحطيم ذلك التمييز الأرمنية في طهران . وليست
هذه الورطة هى الوحيدة فيما جرنى إليه دعاى عن
الشيعة وغيرتى عليها . فقد أذكر أننى كنت طالباً
سفيراً في همدان من مدة طويلة وأحدثت هياجاً
شديداً ، وذلك لأن مبغوثاً من قبل والى بنداد
وكان يسير مع أتباعه في طرقات مدينتنا بعد أن قام
بها نحو ثلاثة أيام وكان يقصد مجلس الشاه . وكنت
متمصباً لمبادئ والدى وتعاليمه توافاً إلى تطبيقها
عملياً ، فجمعت عصابة من الشباب التحمس وجمعت
أخطبهم حتى أوقعت كامن شعورهم وحركت
حاسنهم . وسممتنا على إقامة احتفال يليق بمبادئنا
وعزمتنا على مهاجمة ضيوف الأتراك وعلى مصارحتهم
بمقدنا على عمر ولستنا له ، ثم ندعوم إلى مشاركتنا
في عقيدتنا العلوية

ولم تكن ترى ذلك البعوث سليمان افندى
إلا عدواً للشيعة وشخصاً سيئاً دون أن أفكر فيما
يجب للبعوثين من احترام

فنى يوم من الأيام كان سليمان افندى خارجاً
(٧)

فليس أحسن من التخصص في إمضاء الوقت وأرجو
أن تكون قد عرفت حقيقى الآن فلا تبخل على
بثقتك »

فأجابني : « لن نسمع من تاريخ حياتى إلا ما هو
عادى ما لوف في حياة كثير من الأماجم الذين يصبحون
وهم أسراء ويعمون وهم صوابك ، ولكن مادمت رافياً
في معرفة ذلك التاريخ فسأقصه عليك »

ثم بدأ يروى ما يأتى :

« أنا من أمالى همدان وقد كان والدى شيخاً
عظيماً ذا سمعة وفضل حتى لقد أمثل أن يكون مجتهد
لإيران ، ولكن مناقبى وعملانيه في بعض المعتقدات
خبيوا لسوء الحظ أطاعه وفوتوا عليه غرضه فألفوا
حزباً ضده سلبه ما كان يسى إليه من رقة ورقى .
وكان أظهر ما في طباع أبى كرهه للمبائين والسنين
على وجه العموم . ولقد قيل إن أحد أجدادى أوجد
الكراهية والحقد على السنين بشكل لم يكن معروفاً
قبله بيدة بسيطة أحدثها في تلقين أطفال الشيعة ،
فشب هؤلاء العصابة وأول ما يشمرون به كره
الميرين »

وهنا قال لى الملا نادان مفسراً تلك البسمة :
« أنت تذكر بلا شك أن الطفل في حال تعلمه إذا
أراد من أستاذه قضاء أمر شغل رجاءه بلغة عمر .
وتذكر أنك لم تنس طول أيامك كما لم أنس أن تقرر
اسم عمر بكل خبيت من الأشياء وأنت قد كررت
هذه اللعة التي تلقينها أيام صغر كره على الأقل
في كل يوم »

وقد صادقت على قوله فأخذ يقول :

« وقد امتد كره أبى لأتباع عمر حتى عم جميع

على كرهنا بكرم وسخاء ولم يدعوا الفرسة تمردون
أن يظهرنا لنا هذه الماطقة . لكن ذلك لم يمنع أنى
جلدت وأصحابى حتى ورمت قدمى ، وكان عزائونا
الوحيد أن عاطفة الكره كانت تزداد وتتقد في صدورنا
وبذلك رضى الرجل التركى وأطلق سراحنا . وقد أخذت
هذه الحادثة حيتى بضمة أعوام بالرغم من أن تعاليم
أبى كانت لا تزال تنمو بنفسى

فلما بلغت الخامسة والعشرين وظهرت لى لحية
جميلة ذهبت إلى أسفهان راغباً فى تهذيب نفسى
ورضايتها بمصاحبة العلماء ، ولكن أزيد على بالمجادلة
والناظرة . وقد تحقق معظم رغائى فى أسفهان وتلت
شهرة وصيتا لا بأس بهما ولم يكن ينقصنى غير فرصة
واحدة توجهنى وجهة خاصة . ولم تلبث الفرسة
أن حانت كما يظهر مما يلى :

« أقام الفرنجية فى أسفهان من زمن غير بعيد
دوراً للتجارة ؛ وقد كان الشاه يحميمهم ويقدم لهم
المساعدات فأباح لهم العبادة ، وإقامة الكنائس
وإحضار القسس لها . وأشد من ذلك وأذى لهم
الدين أنه سمح لهم بدق الأجراس دعوة للصلاة .
وكان لهؤلاء الفرنجية رئيس عظيم كاخليفة عندنا
يقبونه بالبابا . ومن وظيفة هذا البابا نشر الدعوة
الدينية فى أنحاء السكونة . ولذلك أقام بعض
«دراويشه» وقسسه فى أسفهان نفسهاوقى «جولنا»
بين الأرمنيين ، وبى أديرة . وقد هجرت معظم
الأديرة وأعلنت بفضل ما أيدئناه من الكراهية لها ،
غير أن واحداً منها وظيفته بثت التعاليم المسيحية
ظل قائماً . فأجئنت على طائفى مع بعض المشايخ

من داره لزيارة حاكم هذان نجفنا أنفسنا وحيثنا
بضيحائنا المالية : « لمة الله على عمر » فأغضبت
هذه النداءات أتباعه وقابلوها بالضرب فأنهال قنف
الأحجار من أنبأى وانقلب الأمر إلى معركة هائلة .
وقد أقيمت عمامة مبعوث الباشا عن رأسه وبسقى
على لحيتته وضربت ملابسه من الخلف . وإن هياجاً
كهنذا لا يمكن أن يمر بسلام ، فقد كان المبعوث
يتحرق من الغضب وأخذ يهدد بإرسال الرسل إلى
الشاه . وكان على وشك الرجوع إلى سيده لولأن
حاكم البلدة خاف عاطفة غضبه وأراد تسكين ثأرته
فوعده بالترضية التامة وبأن يقدم مئيرى ذلك الهياج
إليه فى أقرب وقت »

ولقد هزأت فى أول الأمر من وعيد الأتراك
وتهديدهم ممتعداً على ما لوالدى من السكاة فى المدينة
وجعلت أشتخ بأبقى كبراً ، ولكن لما لم كان يتوقع
الطرد من وظيفته إذا بلغ الخبر إلى طهران . ولم يكن
يهمه أن يكون على عليه السلام خليفة لرسول الله
سلى الله عليه وسلم أو يكون الخليفة أبى بكر أو عمر
أو عثمان فأمر بالقبض على وعلى اثنين من رفاقى
وحى بنا أمام الأتراك الحاقطين

وإن نسيت فلن أنسى ما كان يجوز بنفسى من
الخطاير والمؤثرات حيناً أسبغت وجهها لوجه أمام
هؤلاء الذين بلى صدرى بالحقد والوجدة عليهم ، ولم
يلدن على كل حال وقع الشياطين أخذوا يذبوننى
بها ولكننى تأوحت وتألّت وكاد صدرى يتفجر من
الغضب والاحتقار .

كان هؤلاء المنيانيون على أتم الاستعداد لاجئنا

وبلغ ما أستحقه من الرضا وعلم الشأن
وقد قبل الدعوة ذلك الدرويش حال وصولها إليه
وكنا قد اعترنا فيها بين أنفسنا أنه يجب اقتلاع
الشوك من جانب الاسلام والأندلس هذا البلاد في
إيران وأن ديننا يجب أن يظل سائداً ومعتقداتنا
ضيعة وألا تترك للألفاظ الجوفاء والأصوات المنكرة
سبيلاً للحط من إيماننا . ولا يكون ذلك إلا بالتكاتف
والتضامن

وعلى الأثر أرسلنا دعوة سرية إلى كل معلم وكل
معلم للحضور في اليوم المعلن فكان اجتماعهم لا نظير
له يشمر بالقوة التي لا تقاوم والعزم الذي لا يناضل
وامتلات المدرسة بالحضور من المشايخ وغيرهم
ممن حضر من الأهل إلى رؤية المنتصر من الفريقين
فقصت رحلتهم بهم، فكنت ترى عمامة تلوها عمامة
في صفوف متكيفة ورؤوساً تلو رؤوس في جموع
متراصة . وقد جاء الدرويش الفرنجي بمفرده لمساعدة
له ولا رفيق منه وأخذ ينظر إلى هذه الجموع بوجل
وظهر عليه التأثير منها

وقد انتخب شيخان أو ثلاثة للمناظرة التي
ستحدث وكنت أنا على رأسهم وأجاستنا في صدر
المكان وكنا قد أعددتنا أسئلة لجيب عليها الدرويش .
وعلى مقتضى إجابته يكون تصرفنا

أما هو فقد ظهر أنه لم يسلح بشئ لسانه وجلس
أمامنا وعليه مظاهر الخوف الشديد مبرأ على وجوه
الحاضرين من عُلَامِ المداواة والكره الشديدين .
وقبل أن تترك له سبيلاً إلى التأمل بدأنا في أسئلتنا

المتحسين أنت قوم بتخريبه غير مباليين بأراء
الحكومة التي كانت ترحب بالمسيحيين لمسلمهم
على زيادة ثروة البلاد بتجارهم . وقد خدم ذلك
الدير درويشان كان أحدهما ذا خبرة واسعة بالمال
داهية لا يقاس به إبليس في مكره وخبثه .

وكان طويل القامة نحيفاً قوى البنية حسن
الهندام له عينان تبرقان برقاً عجيباً وصوت يشبه
صوت الرعد لا تقو قوة مناقشة أعظم علمائنا
وأغزروهم معرفة في مسائل الدين . وكان لا يبين عن
التصرح بأن نبينا العظيم محمد المصطفى صلى الله عليه
وسلم كان رئيساً لطائفة من البشر غصب . بل كان
يقول بقلب لا يهاب الموت إنه كان ساحراً
وبالاختصار كان ذلك الدرويش الخبيث يسبح في
بحر من الضلالات ولم يكف بالكلام بل أنت
كتاباً جعل يقيم فيه الحجج على دعواه الباطلة
وأرائه الجنونية ، وعهد لسوء الحظ بالرد على ما جاء
بذلك الكتاب إلى عالم من علمائنا لم يكن لديه مقدرة
كافية على ذلك فأخرج كتاباً لا يقتنع ولا يظن غلة
ولا يروي ظلاً . بل أساء إلى الاسلام بدل أن يعمل
على إظهار فضله وعلى تبيان حكمته وعظمته

وكانت أسفهان تموج بهذه الأخبار حين
وصلت إليها فرضت على القوم أن يرسلوا دعوة
إلى الدرويش الفرنجي لمقابلة مشايخ البلدة وجهاً
لوجه في يوم معين في المدرسة الجديدة للمناقشة
في الدين فأما أن يسلم هو بالحجة والبرهان ، وإما أن
ينتصر المشايخ إذا انتصر هو عليهم — عرضت ذلك
الأمر لأنني كنت أتميز شوقاً إلى إظهار مواهب

فسرنا في جنتنا إلى منزل الحاكم بلبينا عدد لا يحصى
من الأهالي . وقد أجدنا هياجاً عظيماً

وكان الحاكم رجلاً مسلماً متديناً فأملنا أن
ينضم إلينا من غير تردد . وقد آتاهما الدرويش
بإبداع عقيدة قاسدة ونشرها ومحاولة إفساد عقائدنا
وقلتا للحاكم : « إن الرجل يسب نبينا ويرميه
بالكذب والكذب فتطلب تسليمه إلينا »

وقد ارتبك الحاكم فيما يجب عمله لأنه يعلم الخطر
الذي ينجم عن تدخله في شئون الأوربيين ، ومن
جهة أخرى فإنه لم يكن يقدر أن يرد عنا أو يثبينا
عن غرضنا بالقوة فقال لنا : « لماذا دعوتما الدرويش
إلى مجادلتكم إن كنتم لا تودون الاستماع إلى أقواله ؟
إن لم يكن عندكم ما يجادلونه به فإن القوة لا تنفعكم ،
بل الأمر على التفتيش إذ أنها تضر الدين ، ولكن إذا
كان لديكم من الحجج والأدلة فوق ما لديه ولم يستطع
الاجابة على أسئلتكم فإنه يكون كافراً زنديقاً ويجب
قتله في شرعة

فلما وجدنا أننا فشلنا ثانية رجعنا والرغبة في
الانتقام تغل في صدورنا . وإنني أعتقد اعتقاداً
لا ريب فيه أنه لو صادفنا الدرويش في تلك اللحظة
لمزقنا جسمه إرباً ولقطعنا يده تقطيعاً . ولكنه كان
يحذرنا . وسمعيًا يمدد أنه ترك المدينة سراً . وبذلك
تم لنا ما حاولنا إذ مضى زمن طويل قبل أن نرى
وجهه في المدينة ، ولقد نبهتني في هذه المسألة وظهرت
حمي وحاسني في الدين في ظروف أخرى حتى لقد
صرت ممن يشار إليهم بالبنان . ولكنني لم أربح من
كل ذلك شيئاً فشعرت أن خير ما أفعل هو أن أبحث

قال واحد منا : « هل تستقد أن الله جل شأنه
تشكل بشكل آدمي ؟ »

وقال آخر : « وهل تستقد أن الله ثلاثة في فرد ؟ »
وقال ثالث : « هل أنت مقتنع بأن ما سمعتموه
بالروح القدس نزل على الأرض في صورة عمامة ؟ »
وقد ألقيت عليه هذه الأسئلة متوالية وبسرعة
فلم يعرف على أيها يرد حتى استجمع كل قواه ورباطة
جأشه وأجاب :

إذا كان غرضكم قتل فافعلوا ما تشاءون ولكن
لن يفيدكم قتل شيئاً . وأما إذا كان غرضكم
المنظرة فإن سهاجتي بهذه الجوع للتأثير في نفسي
ليدل على وضعكم الماطقة في موضع الدليل والبرهان ،
وسيعلم العالم أني قهرتكم جميعاً »

ولما رأيت أن قوله ذو أثر على سامعيه وأنا
قد نفشل في غرضنا صرخت في الحاضرين قائلاً :
« أيها المسلمون ! أيها المسلمون ! إن ديننا أهين !
إن الكافر يريد تشيير عقائدنا ! الانتقام ! الانتقام »
وكان لكتلتي أثرها السريع ، فارتفع ألف
صوت . قال بعضها : « اقبضوا عليه ! » وصرخ
الآخرون : « اقتلوه » وتلاطمت الجموع كالبحر
الزاهر فحاول الدرويش أن يجد له مهرباً حين رأى
الخطر عديداً به . وقد ساعده شيخ أخذته به رافة
إذ خلع عباءته وألقاها على كتفي الدرويش »

وفي الوقت الذي كادت تصل فيه أيدي الثوار
إليه تسرب من وسط الجماهير وتمكن من الخروج
والوصول إلى منزل أحد الأرميين في أمان
وقد تهيئنا نحن المشايخ من إفلات القرية

شأنى وخاصة في عين الشعب . وعددت رضاء الشعب أول ما يطلبه الزجل الطموح . ولكنك عرفت ما ملى مساعدة الشعب إذا تعاضدت مع إرادة ملك مسبد فاني أضعت نفسي لأنى اعتمدت على نفوذى في ذلك الشعب وأنا اليوم كما ترى بالنس أريد العودة إلى بلد الأولى كما خرجت منها لا أملك شروى تغير .

الفصل الستون

ترابير حاجى بابا والمرد تارامه

عندما فرغ الملاذنان من سرد قصته اجتهدت في إقناعه بأن الإرادة التي خدمته في الجزء الأول من حياته والتي قضت بحياته وفشل بهد ذلك ستخدمه بلا شك قضيتته حتى يسترجع مكاتته وقلت له : « لقد رأينا كلاً الأمر في إيران كثيرة الاغلاب لا تظل على حالة واحدة ، وما دامت الحوادث تتوقف على إرادة رجل واحد فقد بأسر باحضارك كما أسر بإسادك ، وإن للصائب رد فعل يندلمسرة وتجاهاً . ألم تر الحداد كيف يخمد لهيب تنوره التوقد ويحل المدخان على اللب إذا هو ألقى عليه شيئاً من الماء فيظهر كأنه خبا . ولكن أقل حركة في التفاخ تبيد النار إلى الظهور أعظم حرارة مما كانت وأكثر انقاداً »

فأجاب رفيقى : « هنا ما كنت أفكر فيه وأهزى نفسي به حين صادقنى في الطريق أغنى ، فإن الشاه قد يكون - مرشاة للتجار المسيحيين واسمالة لهم - قد تظاهر بأقامة العدل وأداء الواجب فمابقى ولكنه في سريرة نفسه يقدرنى ويستزم إنصافى وإنصاف رافى لواء الدين وعندئذ تنجه فكرته إلى عجة الشعب

عن مكان آخر فيه على مركز يسد أطامى . وفلا غيرت وجهى إلى هذا السبيل فذهبت إلى « قسم » وفى نيتى أن أستقبل المجتهد ميرزا أبى القاسم وهو رجل تنفيذى شهرته فوق ما تنفيذى صلاة عشرة أهوام وصومها ، وقد نجحت كل النجاح فإن الشجرة التي كتبها من كراهة المناقذين واللى فى أخام جبلت المجتهد يستقبلنى بالشر والابناس ويميلنى من أحب تلاينه إليه ، وقد أخذت عنه مبادئه ضد الصوفية وحملت بها بحمية لم يكن يقدرها فلم يمض زمن طويل حتى التفت منه أن يوصى بى لدى مجلس العلماء في طهران ولدى رجال الدولة الرسميين ، فأظهر أسفه لفرأق ولكنه قبل طلبى وبعد ذلك بقليل عيقت عضواً في مجلس العلماء . وأعترف أنى لم أكن سعيداً لحظ في المجلس كما كنت أنتظر على الرغم من أنى لست أقل من الباقيين قيمة .

وكان منافسى في التقدم كثيرين وقد تدرجوا في شئون الحياة أكثر مما تدرجت . وحاً كتبهم في معظم رجال الحكومة وتوقيعهم . وأبيع لى الجلوس في مجلس الحكم العالي وبذلك صرت ممن يحظون برعاية رئيس الوزراء وكبير الأمناء ورئيس الجلادين وغيرهم فكنت أظهر في مجالسهم وعجنتهم، ولكننى لم أكن مع ذلك إلا شيخاً فقيراً . وقد انتظرت فرصة سانحة أدخل بها إلى بيت المال وشملى رئيس الوزراء بنظره في يادى الأسر لأنى كنت أبكيته في حفلة لذكرى مقتل الحسين رضى الله عنه وكان قد أقام تلك الحفلة في قصره وجعلت أنشد فيها وأذكر بحالة أثرت فيه وفى جميع الموجودين ، ومن تلك اللحظة بدأ يرتفع

يا عزيزي لست أرغب في البقاء ولن أشعر بالأمن إلا إذ وصلت إلى الحدود التركية . وأرجو أن أصل إليها بعد بضعة أيام »

وعرضت عليه بعد ذلك جزءاً مما سلبته لأمنع من نفسى غائلة لسانه وليكنم سرى وقد قبل منى عشرة طومانات وترك لي خسة وتسعين ، وقال : إن ما أخذه يكفي . ووعد برده عند الميسرة

ولكنه بعد أن أخذ عشرة الطومانات رجائياً أن أحصيه إلى همدان وأخذ يبين لي الخطر الذي ينتجم عن القبض على قبل أن أغارق بلاد الشام .

وقال : « في اللحظة التي يشيع فيها قتل الملا ياشي والتي يعلم فيها الحاكم بضياح جواده سيرسل الخبر خلفك للبحث عنك والقبض عليك ولك من شخصيتك ما يسهل عليهم هذه المهمة ، فالأفضل أن تختبئ عندى ربنا ينقضى أمر هذه الحادثة وبعد ذلك تستطيع أن تواصل سيرك في أمان وستجهد في تضليل من يسأل عنك . وإن لوالهdy ضيمة سنقيم بها بلا خوف ونجمل جوادك ومتاعك في مكان لا يثير الشبهة . وحمدان ليست بعيدة فانا لن يدأنا السير في منتصف الليل وصلنا إليها في الصباح ، وفي استطاعتنا أن نفعل ذلك بأن نركب جوادك سوياً . وتذكر يا صديق أن الحدود التركية بعيدة ولو هجز جوادك عن إبصاك كان هذا أدى إلى القبض عليك »

وقد أثرت كلماته هذه في أفكاري إذ كان ينطق من سواب . وكنت أجهل تمام الجهل هذه اللاحية من إيران وأدركت أنه لا يمكن أن أتم بالطرق الجبلية بل يجب أن أحرف طرقاً غير مطروقة وقد أدركت

وتقديره إلي . ثم إن لدى فكرة أخرى وهي أنني أرغب في خلع بردة المشايخ والعلماء وأن أكون تاجراً ولكنني سأتابع خطي السابقة وأعتمد على الحظ

ولدى فرصة للظهور بمظهر الشهيد وذلك أجدى على من كل ما أملك حتى جوادى ومنقولاتي وحمارى الأبيض وكل شيء حتى الطلقات

فقلت له : « إذن ماذا اعترمت صنمه ؟ هل في نيتك أن تصاحبني إلى بنداد أو تبقى في إيران قريباً للحوادث وانتظاراً للفرس ؟ »

فقال : « من رأي أن أوصل سيرى إلى همدان بلدى الأصلية حيث أجد والدى الذى لا يزال حياً محترماً موقراً فأحاول بوساطته دخول العاصمة ثانية واسترجاع مركزى الذى سلب منى . وأما أنت فأبى طريق تسلك ؟ إننى سأحتاج إن شاء الله حين أسترجع ما قدت إلى خبرتك وذاتك لكن نستأنف مشروع الطلقات . فالأولى لك أن تبقى في همدان منى وأن تتبعني فيما أرسعه من سبل العيش »

فأجبته : « إننى يا صاحبي بكل ما يبدو على من مظاهر الثراء والنعمة أشد منك تنافساً وأكثراً شغافاً ، فان الحوادث تولت على غير ما أحب وأنت ترانى اليوم قد صرت لصاً . ويعلم الله أن ذلك على غير رغبتى وسأتم السير في الطريق الذى رسمه لي القدر الذى ألبسى لباس شيخ العلماء وأغتنى بماله وأركبني جواداً لهماكم ، هنا القدر يا صاحبي يدعونى إلى مناصرة الوطن إذ لا أستطيع البقاء به فأنكون عرضة لمرقرة أخرى وقتلى والتنكيل بى على أبواب المدينة . كلا

مناسب وأدفع الثمن إليك »

أزعجني هذا الاقتراح الذي أبداه الملا لأنني أيقنت أن وراء ما يطلبه من الثقة به لأودع عنده حاجاتي غرضاً آخر غير ما عبرت عنه ألفاظه، ولكنني أحسست في نفس الوقت صدق ما قال إذ من المستحيل أن أظل في القرية عشرة أيام أو أسبوعين بملاهي الفاخرة وجوادي الكريم دون أن أثير ظنون القوم فأدركت أنني أصبحت حقاً في قبضة الملا غير أن في السير على ما رحبه الملا اشتراكاً له في الجريمة إذ يصبح من المستحيل عليه أن يخونني دون أن يوقع نفسه مي . ولكن تصور أن نزا كشياً استدل على الجواد فأى مصير يكون مصيرنا ؟ إنهم يقبضون علينا سوياً

فأجابني الملا : « دع أمورك لله فهو قادر ، وفوق ذلك فالتنا سراً بسرعة عظيمة ، وقبل أن يصل أى ضابط إلى هذان سأكون قد وصلت إلى دار أبي وأحدثت ما أردت من تأخير . وسيكون من السهل على إذن أن أخفي الجواد بما عليه وأنا المسئول عما يحدث »

لم أجد ما أقوله بعد ذلك فغلطتاً ملا بسنا وتبادلتناها فأخذ هو قفطان الملا بلشى وجيته وحزامه الكشمير وعباءة الصنوعة من الجوخ الأزرق وأخذت أنا ملابسه القديعة التي تمزقت على يده يوم طرده من طهران . وكذلك أعطيته حمامي وقد لففت عليها شال الملا بلشى الذي لا أزال محنطاً به ، وأخذت منه حمامته ولم أستبق مي غير كيس النقود

أن رجلاً عاجلاً إلى الحدود ليس من السهولة بالدرجة التي كنت أتصورها . ولئن كان في عزم الملا خياني فإن ذلك ميسور له هربت أم بقيت فأنيمت مشورة ؛ وقد ظهر لي أن أسلم الرأيين هو أن أتى بالملا ولا أسي به الظن فقبلت أن أذهب معه . وفي منتصف الليل رحلنا وقد استرجع اللغناء والراحة ما ضاع من قوانا فصرنا على مقربة من هذان قبل بزوغ الشمس ، ثم علونا ربوة تشرف على المدينة لتندبر موقفنا ونفكر فيما يجب عمله فأشار نادان بأسيبه إلى قرية على مسافة فرسخ وقال : « هذه هي القرية التي يجب أن نقيم فيها حتى ينسى الناس مقتل شيخ العلماء . ولكنك لا تستطيع دخول القرية بهذه الجبة الأنيقة وعلى مثل هذا الجواد الكريم من غير أن تثير الشبهة وتوقع الظنون . والرأى عندي أن تبادل ملابسنا وأن تعطيني جوادك وهذه الوسيلة تظهر في القرية كأنك من أتباع والدي وأحفظ أنا بشخصيتي إذ أرجع إلى دار أبي في زي أنيق وثياب فاخرة . وبهذا للترتيب نضمن غرضنا ونخدم مصلحتنا المشتركة فننجز أنت من شر إشارة الشبهات وأنجو أنا من شر زني الزرى . وفوق ذلك فإن قصتي المنجبة لا تثبت أن يسمع بها أفراد عائلتي فتكون مدعاة إلى خجلهم والخلط من قدمي ؛ غير أنني أعرف من هذه البلاد أنها لا تابه إلا للظاهر الخارجية ، فني رأني أهلها أرجع إليهم راكباً جواداً كريماً وفي يدي لحام مذهب وتحمي مرج موثي وفي حزامي شال من كشمير فإن منزلة عائلتي ومنزلي تبقيان كما هما . وبعد أن أستعمل هذه الأشياء بضعة أيام فلن أعدم الوسيلة لبيها بشمن

من السماء إذ كيف يستقبل زجل حسن الطلعة من
غير حزام ولا عباءة تستر ظهره وفي قدمه خف
وعلى رأسه عمامة مبرقة ؟

وبعد تردد طويل عنيت على أن أدعى أنى تاجر
وأن أزم أن جماعة الكركر هجموا على ونهبوا
ما كان منى ثم أنظروا بمرض يدهو إلى إقامتي بالقرية
حتى يمت الملا إلى بخبر يجملى قادراً على تجديد
مدة الإقامة في بخي . ولقد نجحت في كل ذلك نجاحاً
تاماً فإن الله كان قد وهب أهل القرية - لحسن
حتلى - نصيباً وافراً من الثناء وسقم الفهم ، فصدقوا
روايي وقبلوني بينهم ، ولم أجدمنصفاً غير اضطرارى
إلى تجرير ما كانت تصفه لى من البؤساء امرأة مجوز
أحضرها القوم لماليتى وهى طيبة القرية
(يتبع) عبر اللطيف النشار

الذى وجدته في ثياب الملا يثى وساعته وخاعه
وما بقى من المال . وصححت للملا نادان باستعمال البهواة
والمرآة والشط ، ووضع الملا نادان بيد ذلك لفائف
الورق في حزامه واعتدل وامتنع صهوة الجواد
فظهر في شكل الملا يثى نفسه حتى لقد دهشت من
شدة الشبه بينهما

وافترقا على أحسن حال من الود ووعدتى بأن
يوافينى بأخباره في القريب وأعلمنى بكل ما يتلقى
بقرية والبه تاركا لفظتى وذكاى أن اخترع قصة
تناسبى والواسوس تساورنى من وحدتى في هذا
العالم وعدم وثوقى بما يأتى به الفد وشكوكى في حالى
الحاضرة

سرت إلى القرية مرتبكاً أتساءل كيف أقدم
نفسى إلى سكانها وقد كنت في الحقيقة كمن هبط

شركة مصر

لصناعة وتجارة الزيوت

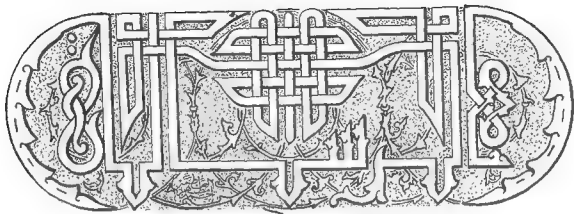
إحدى مؤسسات بنك مصر

نتج أجود زيوت الطعام

الملك - الممتاز - المصرى

أطلبوها من :

مكتب بيع الزيت شارع الأزهر ، تليفون ٥٤٠٢٠ ومن جميع البقالين



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبْقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ اسَالِيِبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الدُّسْتُرَانِ الرَّافِعِيَّ سَتَرْنَ قَرْنًا ، وَالْمُنَاجِيَّ مَابَسَادَى جَنِينًا مِصْرِيًا ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بِخَضَمَةِ ١٠٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن البدل الواحد

إدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

تصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١١ صفر سنة ١٣٥٧ - أول إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٣

من إحصائيات القصص



فهرس العدد



٢٨٢	بطلة المومياة	...	أفصوة مصرية	...	بلم الأستاذ نجيب محفوظ
٢٩١	لماذا أبغضت زوجي	...	عن الانجليزية	...	بلم الأستاذ عبد الحيد حمدي
٣٠٩	المال	...	لقصص التشيكي كارل كايك	...	بلم الأستاذ ابراهيم حسين السناد
٣٢٠	يوم الوداع	...	أفصوة مصرية	...	بلم الأديب عبد الحليم المشيري
٣٢٦	حاجي، بابا أصغفاني	...	للكاتب الانجليزي « جينز مور »	...	بلم الأستاذ عبد العظيم النشار

يَقْظَنُ الْمَوْصِيَاءُ

أَقْصَى وَصَّةٍ مُضْهِرَةٍ
بِقَسَمِ الْأَسْتَاذِ نَجِيبٍ مَحْفُوظِ

الذى خفق فيه قلب مصر خفقة
الحزن والألم ذهبت إلى زيارة المنفور
له محمود باشا الأرنؤولى فى قصره
العظيم بصعيد مصر ، وأذكر أنى
وجدت عنده جماعة من الأصدقاء
الذين كانوا يترددون عليه كلما
أسعدتهم الظروف، منهم السيوسارو

ناظر مدرسة الفنون الجميلة العليا، والهندكتور بيير طيب
الأمراض العقلية، واحتوانا جميعاً (صالونه) الأنيق
للبديع الحافظ بآيات الفن الجميل من لوحات وتماثيل
كانها احتشدت في تلك البقعة المتيقة لثؤدى تجمية
المبقرة الحديثة إلى ذكرى عبقرية الفراعين الخالدة
الشأوية تحت أطلال الودادى ، يتوهج نورها خلل
ظلمات السنين مثل سنا النجوم المتألقة فى السماء
للأسارى فى تضاعيف الليل البهيم ...

وكانت المنفور له من أغنى أغنياء المصريين
وأوسمهم ثقافة وأسمم خلقا ، وقد قال عنه مرة
صديقنا الأستاذ لاميير إنه ثلاث شخصيات تقمصت
زجلا، فهو تركى الجنس مصرى الوطن فرنى القلب
والقل ، فأدى تربيته أنم أداء . والحق أنه كان
أكبر صديق لفرنسا فى الشرق ، وكان يدها وطنه
الثانى ، وكانت أسعد أيامه تلك التى يعيشها تحت
شماها ، واتخذ أصدقاءه جميعاً من أبنائها سواء منهم
من يعيش على ضفاف النيل أو فى جنات السين .
وكنت أخال نفسى وأنا فى (صالونه) أنى انتقلت فجأة
إلى قلب باريس ، فالأثاث فرنى والجالدسون فرنسيون
ولغة الكلام فرنسية والطعام فرنى ، وإن كثيراً
من الفرنشيين الثقفين لا يعرفونه إلا كهوا فذ من

أجد حرجاً كبيراً فى رواية هذه القصة ، لأن
بعض حوادثها يخرق قوانين العقل والطبيعة جميعاً ؛
ولو كان مردها إلى الخيال ما نخرجت ولكنها وقعت
فى عالم الحقيقة ، وكانت نخبها رجل من رجال
مصر الأنفاذ المروفين فى الأوساط السياسية
والارستقراطية ، وروايتها التى أنقل عنه أستاذ
كبير بالجامة ، لا يجوز أن يرتقى للشك إلى عقله
أو خلقه ، ولم يعرف عنه قط ميل إلى الأوهام
والخرافات ، ولكنى — والحق يقال — لا أدرى
كيف أسدتها فضلا من أن أحل الآخرين على تصديقها ؛
وليس ذلك لندرة المجزأت فى عصرنا ، فما لاجدال
فيه أن عصرنا عصر المجزأت والخوارق ، ولكن
المغلاء فى أيامنا هذه لا يقبلون أمراً بغير تمليل ،
كما أنه لا يستغنى شئ على إيمانهم مع التتميل
المقول . وإنى حيال قصة مجيبة لما من دواى
التصديق رواية حكيم وشواهد ملموسة ، ولكن
التتميل الملى ما يزال يتأبى عليها ، فهلا أعتذر على
شمورى بالحرج فى تقديمها ؟

ومهما يكن من أمر فإليك ما رواه جناب
البروفسير دريان « أستاذ الآثار المصرية القديمة »
بجامعة فؤاد الأول ، قال : فى ذلك اليوم الأسيف

فنظرنا إليه جميعاً نظرة استفهام ودهشة وكأننا لا نصدق آفاتنا ، فالواقع أن مجموعة الباشا الفنية كانت تقدر بمئات الألوف من الجنيهات وقد تسربت جميعها إلى جيوب الفرنسيين ، فكان غريباً أن يفكر في إعادتها إلى فرنسا ؟ وكان يحق لنا أن نفرح ونبتهج ولكن لم أعالك من أن أسأله متسجعا :
— أحقا ما تقول يا أكلانس ؟

فقال الباشا يهدوء :

— نعم يا صديق دريان ... ولم لا ... ؟

فقال السيو سارو :

— يا له من حظ سعيد حقيق ياغبناطنا هو الفرنسيين ، ولكني أقول لسعادتك خلصنا إلى أخشى أن يسبب لك متاعب كثيرة ...

وقلت الباشا مؤمنا على رأى السيو سارو :

— نعم يا باشا هذا ما أعتقد أنا أيضا

فردد الرجل عيني الزرقاوين بينما وقد لاحظت فيهما نظرة ساخرة وسأنا متجاهلا :

— وله ... ؟

فقلت بلا تردد :

— ستجد الصحافة في ذلك موضوعاً أي

موضوع ؟

وقال الدكتور بير :

— وما من شك في أن الصحافة الوطنية عدو

لك قديم ... وهل نسيت يا صاحب المال حلالها المفترضة عليك وآثاماتها إليك بأنك تبهر أموال

الفلاح في فرنسا بلا حساب ؟

فصاح الباشا بانكار :

— أموال الفلاح ؟

فبادر الدكتور يقول منتدرا :

هواة الفنون الجميلة أو كساحر يقرض الشعر الوجداني الجبل الفرنسية ، أما أنا فقد عرفتة — إلى هذا — عبا لفرنسا متمسكا بثقافتها وداعية لسياستها ... أخذت مجلسي في ذلك اليوم إلى جانب الباشا وكان السيو سارو يقول وهو يتأمل بعيني الواسعتين الجاحظتين تحالا نصفيا برزقا لا نشتين :

— إن قصرك هذا يا صاحب السعادة يحتاج إلى تشيير ظنيف لكي يصير متصفا كاملا

وقال الدكتور بير مؤمنا على كلامه وهو يتخلل لحيته بأفامله :

— صدقت فهو معرض دائم لجميع البعيريات والمدارس على السواء مع ميل ظاهر للفنانين الفرنسيين فقال الباشا :

— الفضل في ذلك يرجع إلى ذوق المتذلل الذي يساوى بين الزعرات المختلفة ويعدل بين أهواء المدارس ، ويهوى تذوق الجمال سواء أكان بديمه براكتيس أو رافائيل أو سيزان . مع استثناء البديع الحديثة المتطرفة ...

فقلت ، ناظرا بطرف خفي إلى السيو سارو وكان يحاول دائما أن أداهيه :

— لو استطاعت وزارة المعارف أن تنقل هذا الصالون إلى مدرسة الفنون الجميلة العليا لاستنفت عن إرسال بشرات إلى فرنسا وإيطاليا ...

فضحك السيو سارو وقال موجعا الخطاب إلى :
— بل لملها تستثنى عن ناظر المدرسة الفرنسي أيضا ...

ولكن الباشا قال جادا :

— إطمئن يا عزيزي سارو ، فانه إذا قدر على هذا المتحف أن يترك المصيد فسيتخذ طريقه رأسا إلى باريس

منذ آلاف السنين ، ومثل هؤلاء لا يحق لهم أن
يأسفوا على إهداء هذا التلحف إلى باريس ...
فقال المسيو سارو :

— نحن لا نتكلم عما يحق أو لا يحق ، ولكن
عن الواقع والواقع أنهم سياسفون (ثم قال بهجة
ذات مغزى) وسنأسف معهم صحافهم ... »
ولكن لم يبد هل الباشا أدنى اكتراث ، وكان
بطيحه يتملى على ضجيج الجماهير وصرخات الصحف
المتفلة ، وربما كان لأسسه التركي دخل كبير
في تشبته بأرائه وعناده واحتقاره للمصريين . ولم يرد
أن سترسل في ذاك الحديث فأغلغى بلباقته النادرة
باه ، وانشغلنا ساعة باحتساء القهوة الفرنسية اللذيذة
التي لم أذق مثلها في مصر ، ثم نظر الباشا إلى باهتمام
وقال :

— ألا تعلم يا مسيو دريان أنى بدأت أنافسك
في اكتشاف الكنوز ؟
فقطرت إليه مستفهماً وسأته :
— ماذا تنمى يا أكيلنس ؟
فضحك الباشا وقال وهو يشير إلى حديقة
القصر من نافذة الصالون
— على بعد أذرع منا تجري عملية حفر جليلة
للشأن في حديقة قصرى !
فيذا علينا الاهتمام جميعاً ، وتوقعت سماع خبر
مثير ، وكان لكلمة حفر تأثير خاص في نفسى ،
لأنى قضيت شطراً كبيراً من عمرى — قبل أن
أشتغل في الجامعة — أحفر وأقرب فى أرض مصر
للغنية الساحرة

وقال الباشا وهو ما يزال يتنسم :
— أرجو ألا تسخروا منى يا سادة ، فقد فلت

— مسدرة يا باشا ... هذا قولهم !
فهز سواده منكبته استهانة وزم شفثيه احتقاراً
وقال وهو يثبت نظارته الذهبية على عينيه :
— أنا لا آبه لهذه الأصوات المنكرة الوضيمة ،
وما دام ضميرى الفنى لا يرتاح لابقاء هذه الآيات
وسط هذا الشعب الحيوانى فلن تقبر هنا أبداً
وكنت أعرف رأى صدق الباشا من المصريين
واحتقاره لهم . وما يحكى في هذا الصدد أنه تقدم له
منذ عام طبيب مصرى نأبته حاسل على رتبة البكوية
طالباً يد ابنته فطرده شر طرد لأنه فلاح ابن فلاح .
على أن — مع موافقى على كثير من التهم التى
يكيلها الباشا لبني وطنه — لم أكن أكنيه فى رأيه
إلى النهاية ، ولذا قلت له : سدادتك شديد النقد
فقهقه الباشا ضاحكاً وقال :

— أنت يا عزيزى دريان زجل وهبت حياتك
النبيلة للماضى البعيد ، وربما لاحت لك في غياهبه
لح عبقرية خلقها القدماء لا تقفأ توقظ غطفك
وحثيتك على أحفادهم ولكن شتان ما بين الفراعين
والفلاحين ، لا يجوز أن تنسى أن لى صدق أن المصريين
شعب قول ...
فضحكت وقلت له :

— عفواً يا صاحب السعادة ، ألا تعلم أن السير
ماكزى أستاذ آداب اللغة الانجليزية بكلية الآداب
صرح أخيراً بأنه أصبح يفضل القول على البودنج ؟
فضحك الباشا ، وضحك الحاضرون جميعاً
وقال سواده :

— أنت تفهم ما أعنى ولكنك تحب اللزاح ،
المصريون حيوانات أليفة طبعها اللد ، وخلقها
التذلل ، وقد عاشوا عبيداً على ثقات موائد الحاكمين

— أحقا ما تقول يا سيدي الأستاذ ؟

قلت :

— نعم يا باشا ، لقد دلى يوما شيخ مثل الشيخ جاد الله على بقعة من الأرض في وادي اللوك وقال لي : إنه استدل بكتبه وعلمه على وجود كنز فيها ، فحضرنا فيها بمالونا ولم نلبث أياما حتى اكتشفنا مقبرة قتنا ... وهذا ولا شك من عبقريات المصادقات

فضحك الدكتور بير وقال متها :

— ولماذا تمل ذلك بالمصادقات فتجعد فضل العلم القديم ؟ ... ألا يجوز أن الفرائض يورثون أحفادهم أسرارهم الخفية كما يورثونهم سحتهم وكثيرا من تقاليدهم ؟

ومضينا نتفكك بأمثال هذا الحديث وطرقنا غيره أحاديث كثيرة ، ومضى الوقت ليلينا ممتعا ، وعند الأسيل استأذن الضيوف في الانصراف ، وأما أنا فأعلنت عن رغبي في مشاهدة عملية الحفر التي يجريها الشيخ جاد الله ، وغادرا جميعا الصالون إلى الحديقة وسرنا إلى الباب الخارجي لتوديع الأصدقاء ، ولم نكد نقطع خطوات حتى وصلت إلى مسامنا نخبة عظيمة واعتزمت طريقنا جماعة من الخدم رأيناهم يسكرون بتلايب سيدي ويوسونه ضربا ولصا ، ثم سافوه بشدة إلى سعادة الباشا وقال له أحدم :

— يا صاحب السعادة ضبطنا هذا اللص وهو يسرق طعام ييمش

و كنت أهرق ييمش حق المعرفة ، فهو كلب الباشا العزيز وآثر مخلوقات الله بقلبه بمد زوجه وأولاده ، وهو ييمش في قصر الباشا منما مكرما ، يقوم على خدمته خدم وحشم ، ويكشف عليه طبيب

ما كان يفعله اللوك الأفنديون مع السحرة والشعوذين ولا أدري كيف رضخت وأذعنت ، ولكن لا ماضي للأسف قليل من الخرافة يريح العقل الكلف بالحقائق والعلوم . وبجل الحكاية أنه جاء قصرى منذ يومين رجل معروف في هذا البلد يدعى الشيخ جاد الله ، يحترمه العامة ويقدرونه ، وكما ذا يحضر من القديسين ، وألح في طلبى وأذنت له وأنا أعجب لشأنه ، وحياني الرجل على طريقته وبشرنى بأنه استدل بملء الروحاني وبكتبه القديمة على وجود كنز مخفى في باطن حديقتى ، وطلب إلى بتوسل أن آذن له في الكشف منه تحت إشرافى ، ومنانى بالذهب واللاقي في مقابل أن أعده بالحلوان ، وضمت به وحممت بطرده ولكنه ضرع إلى وتوسل حتى استعبر وقال لي : لا تهزأ بيلم الله ولا تسمن ببياده المقرين . فضحكت طويلا ، ثم خطرت لي خاطر سريع فقلت لنفسي لاسا لا أجارى الرجل في وعه وأساره على اعتقاده ؟ ! لن أخسر شيئا وسأفوز حتما بنوع من التسلية ، وقد فلت يا أصدقائى ، وأذنت للرجل ، وأنا أنظاهم بالجد ، وما هو ذا يحفر في حديقتى ويساونه في عمله الشاق اثنتان من خدي المؤمنين ، فما رأيكم ؟

قال ذلك الباشا ونحك طابا ، فضحك الجميع ، أما أنا ففكرت بى الباكرا إلى السانخى إلى حادثة مشابهة فقلت : « طيبى أنك لا تؤمنون بيلم الشيخ جاد الله ، ولا أنا أستطيع أن أومن به وأأساه ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أنسى أنه اكتشف قبر السكاهن قتنا بفضل خرافة كهده »

فبغت الدهشة على وجوه الحاضرين وسألنى الباشا :

الأثرية في المقاطف ويلقونها جانباً ، وكان الشيخ جادا ، تلمع عيناه بيريق حاد يدل على العزم والأمل ، وتنبعث في ساعديه التحليلين قوة غير طبيعية ، كأنه يذوق حقا من هدفه الذي هداه إلى سبيله عمله الإلهي ، تمثل لي في شخصه العجيب الإنسان بنشاطه ، وإيمانه وأوهامه ، والحق أننا نخلق لأنفسنا آلهة وأوهاما ولكننا نؤمن بها إيماناً حقيقياً ، فيخلق لنا إيماننا عوالم غاية في البداهة والجلال ، ألم يخلق أجداد الشيخ جاد الله — الذي يذكرني وجهه بمثال الكاتب المروف — الحضارة الأولى للإنسان ؟ .. ألم يبدعوا الجمال على سطح الأرض وفي بطنها على السواء ؟ .. أو لم يستوحوا في عملهم وتفكيرهم أوزوريس وآمون ؟ ... وما أوزوريس وآمون ؟ . لا شيء في الغالب ... أما حضارتهم فكانت شيئاً وأى شيء ... بل هي أم حضارتنا الراهنة ...

وقفنا نشاهد الشيخ المؤمن ، أما الباشا فيتسم ابتسامة ساخرة ، وأما أنا فاستغرق في أحلامي ، وكلانا لا يدري بما يجتبه له القدر تحت آكام ذلك التراب ، وكان العمل يبدو عقياً قتيلاً للباشا واقترح على أن يجلس في الفراشا قائمتهم صامتاً ، ولكننا لم نكد نصعد السلالم الأولى حتى لحق بنا الشيخ جاد الله عدواً وصاح بفمه الأترم :

« مولاي ... مولاي ... تمال انظر ... »

فالتفتنا إليه بمركة أنوماتيكية ، وكان قلبي يخفق خفقاً غريباً على أثر نداء الشيخ وذكرني بشبيهه له قديم كان يفصل في حياتي بين الفشل والنجاح واليأس والأمل ، وحبطنا السلم دون إبطاء لأن الرجل كان قد عاد أدرأجه ، وتيمناه وكلانا يتألم برغبة في المدو ...

ييطرى مرة كل شهر ، ويقدم له كل يوم لحم وعظام ولبن وثريد ، ولم تكن هذه أول مرة يسطو فيها الصمائدة على غذاء يميئش ... وكان السارق صميداً قسماً ، يتميز بالسحنة المصرية المثيقة ، ويسدو على هيئته الزمة البؤس والفقر ، وقد حدهج الباشا بنظرة قاسية وقال له بنفث :

— كيف سولت لك نفسك انتهاك حرمة بيتي ؟ فقال الرجل بتوسل وهو يلمت من أثر الجهد الذي بذله في مقاومة الخدم :

كنت جانياً يا صاحب السمادة ورأيت اللحم السلوق مبعثراً على الحشائش غفائتي قوتي ولم أكن ذقت اللحم منذ عيد الأضحى ! فالتفت للباشا إلى وقال هازناً :

— أ رأيت الفرق بين بئسنا وبئسكم ؟ ... إن بئسكم دفعه الجوع إلى سرقة رغيف ، أما بئسنا فالرغيف ليس عسيراً عليه ، ولكنه لا يرضى إلا بالحم السلوق

— ثم التفت مرة أخرى إلى السارق ورفع عصاه وضربه على كتفه بشدة وصاح بالخدم :

— خذوه إلى الخفير ...

ونضح الدكتور بير وهو يسلم وقال للباشا :

— ملنا نفضل غداً إننا شم الصمائدة رائحة الذهب المكس في كثر الشيخ جاد الله ؟ فقال الباشا فوراً :

— سأحيطه بسياج من الخفراء كحط مايجينو . وعدنا — أنا والباشا — وتيمته صامتاً إلى حيث يستل الشيخ جاد الله الذي وشك أن يصير أثراً عالياً ، وكان الرجل منهمكاً في عمله هو ومعاوناه ، بضربون الأرض بقؤوسهم ويرضون

فناد للشيخ يقول :

— فتح الكنز عمل عسير ، فهذا الباب لا يطيع
وبرنخ لإبقراءة طويلة أبدأها الآن وأسترق فيها
حتى مطلع الفجر ... هل أنتم مطهرون ؟
وتأثر بأقواله الخادمان ونظروا إلى مولاهما بارتباك
لأنهما اعتقدا أنهما على وشك الموت في حضرة اللقوة
الخفية ، ولم يكن في الوقت متسع للتطهر والقراءة
فقلت للشيخ بحزم :

— إنا لم نبلغ هذا الباب بقراءة فيذهب أن
تقتحمه بمثل ما اقتحمنا الذي قبله ...

وم انتهره الباشا فصمت وهو يرمقني شرراً واستأفوا
المعمل من جديد ، وتيقظ غريزي فعملت معهم ،
حتى أزعجت اللقبة الكؤود ، ووجدنا أمامنا منفذاً
إلى مئوى حوز الأبدى ...

وكنت خبيراً بذك الأعمال ، فأمرتهم أن
يتريشوا في أماكنهم وقتاً قصيراً ربّما يتجدد الهواء ،
وكانت ساعة انتظار شديدة الوقع علينا جميعاً ، وكان
الباشا صامتاً ذاهلاً كمن هو في حلم عجيب ، وكان الخادمان
ينظرون بينين ساهمين إلى الرجل الذي يؤمنان به ،
وكان الشيخ يحملني تيمه ما قد يحدث لاستهائقي
برأيه ، أما أنا فكنت أحلم بما عسى أن يقع عليه
بصري ، وساءلت نفسي ترى هل من المستطاع أن
أفوز بحقبة أرية أزين بها عقد متحفنا الخالد في
باريس ... ؟

ثم دخلت ، ودخل خلفي الأرناؤوطي باشا ثم
للشيخ جاد الله ، وتأثر الخادمان أن يلبثا في الدهليز
الخارجي فلما اختفى عنهما نور المصباح وأظلم المكان
اندفعا إلى الداخل وانكشفا في ركن ، وكانت جيرة
تابوت كما يدل مظهرها ، وقد شاهدت أمثالها صرحت

ووجدنا الرجل الثلاثة زحزحون صخرة
كبيرة ، ساحتها متر مربع على وجه التقريب ،
فدانوا منهم فرأينا الصخرة تكشف من فوهة من مثل
انساعها ، فنظرت إلى الباشا ، ونظرت إلى بينين
تنطقان بالهشمة والدهول ، ثم نظرنا إلى داخل
الفوهة فرأينا سلماً قصيراً ينتهي إلى دهليز يتجه
إلى الداخل موازياً لسطح الأرض ، وكانت الشمس
تؤذن بالغيب فقلت لباشا « إلبنا بمصباح » فأرسل
الباشا أحد الخادمين لاحضار مصباح ، وعاد الرجل
بالمصباح فأمرته أن تقدمنا ، ولكنه تردد وانكش
فهممت بأخذه منه ، ولكن كان الشيخ جاد الله
أسرع مني إليه فأمسك به بيده ومضى يتلو من
القرآن وتماويز غريبة ثم نزل بقدمين ثابتتين فتبعته
وبيني الخادمان المضطربان ...

ووجدنا أنفسنا في دهليز مستطيل لا يتجاوز
طوله عشرة أمتار ، ويسلو سقفه من هامتنا بصد
أشبار ، وكانت أرضه متربة أما جدرانها فن الجرانيت
وتقدمنا جميعاً في خطوات بطيئة حتى اعترض
سبيلنا باب حجري يأخذ على المتحممين طريقهم ،
ولم يكن منظره غريباً على ولا الرموز المحفورة
في وسطه ، فجري بصري عليها ثم التفت إلى الباشا
وقلت بصوت متهدج :

— لقد اكتشفت يا صاحب السعادة مقبرة
أرية ... فيها هنا رقد القائد حور من عظام الأسرة
الثامنة عشرة

ولكن الشيخ جاد الله قال بمنف وغضب :

— بل وراء هذا الباب كنز ... هكذا يقول

الكتاب الذي لا يكذب

فهرزت كفتي قائلاً : « سمه كيف شئت ،

لهم أن ننتجيه ... »

— رأيت مصفورا آرف بجانبه فوق التابوت
فالتفتنا إلى التابوت ولكننا لم نر شيئا وكان من
البعث أن نسأل الخادمين قلت للشبح :
— دعنا من أو هامك يا شيخ جاد الله
ثم ضحكتم وقلت للباشا بالفرنسية :
— عسى أن يكون المصفور روح الميت (كا)
جاء لزيارته معنا ...

ثم عدت إلى مطالعة الصناديق والجدران التي
تحدث قلبي بلغة صامتة لا يسميها سوى ، ولكني لم
أستطع التأمل بشأنا لأناسمتنا الخادمين يصيحان بذكر:
— يا سادة الباشا !

فالتفتنا إليهما بسرعة وقد امتلأت غيظا وحنقا
ولكنني شاهدتهما في حالة خيرية من الرعب ، وقد
التصق كل منهما بصاحبه ، وانست حينها وجعلتنا
وأرسلتنا نظرة صلبة جامدة ميتة إلى ناحية التابوت ،
وتصلب الشيخ جاد الله في وقتته ويده قابضة على
المصباح وعيناه لا تتحولان عن نفس الهدف ...
فنظرت إلى التابوت وقد نسيت غضبي ... فرأيت
غطاءه صرغوعا واللومياء ممددة أمامنا في لثافتها ... !
ما هذا ... كيف فتح التابوت ؟ ... هل أثمر
في إقامة الطويلة في الشرق فندبت عيني تتأثر إلى
هذا الحد المضحك بأوهامه وسعره ؟ ! ...

ولكن أي سحر هناك ... ! (إني أرى اللومياء
أمامي ، ولست الوحيد الذي يراها ، فيها هو ذا الباشا
قد تحول إلى عتال ، وهما الرجل الثلاثة يكادون
يموتون من فرط الملح والدمر ... فأنى وم هذا !
والحق أني أحس بالحجل كلما اضطررتي الظروف
إلى سرد ما حدث بعد ذلك ، لأنني أحدث في السادة
ألمسا عقلاء مثقفين درسوا تيودور وليني بول ودر كيم
ولكن ما حيلتي ؟ ... إن ديكارت نفسه لو كان

عديدا ، وكان التابوت موضوعا في مكانه وعلى غطاءه
صورة ذهبية لصاحبه وإلى جانبه تقوم ثلاثة تماثيل
بالجسم الطبي أحدها لرجل - من المرجح أنه حور
نفسه - والآخر لاسرأة يستدل من وضعا إلى جانبه
أنها زوجته ، وأمامها عتال صغير للنام ، وفي الناحية
المقابلة وضعت صناديق منقطة وآنية ملونة ومقاعد
ومناضد وعدد حربية ، وكانت الجدران ملأى
بالرسوم والنقوش والرموز ...

ألقيت نظرة سريعة لمقعدة الزرعة على ذلك العالم
المبوث ولكن الباشا لم يدعني لتأملاتي فقال لي ولم
أكن أعلم أنها آخر أقواله في هذه الدنيا :
— الأوفى يا أستاذ درين أن نباح الأمر إلى
الحكومة في الحال ...

فأحسست بخيبة أمل وقلت :

— انتظر قليلا يا باشا ريثما أتى نظرة محلي ...
ودنوت من الصناديق والآثاث والباشا يسر
إلى يميني ومضت ألحفا بين خبيرة مشوقة ،
ونفسي محدثي بفتحها ومشاهدة ما بداخلها ، وكنت
أومن بأنها تحوى طعاما وثيابا وحلياً ولكن أنى
لمثل أن يملك إرادته حيال تلك الخلفات الجليلة التي
تستحوذ على منبض التأثير من قلبي ووجداني ...
ثم لا تنس التابوت والتماثيل واللومياء ... يلها من
مفاتيح ... !

وقطع على تأملاتي أن سمعت صوت للشيخ
جاد الله اللبيح وهو يهتف « هش » فالتفت إليه
منزجحا منضبا لأن أقل حصة أتكذ كانت تثير أعصابي
ولكن الشيخ قال لي بسلامة « مصفور ! »
فأنبهته قائلا :

— أى مصفور يا شيخ ... أهنا وقت هزل ؟
فقال الرجل :

بالفضل الصميدى الذى ساقه الخدم إلى الباشا وأهموه
بسرقة غذاء الكلب ييميش ، كان شها غريباً
ولكنه اقتصر على الطول واللون والقبسات دون
الروح والحياة ، ولولا ما كان يبدى المائل أمامى من
التبل والتعالي لربما خالجتى شكوك ...
وكان يمدح الباشا بنظرة قاسية لا يحولها عنه
كأنه لا يرى سواء ...

ماذا أقول يا سادة ؟ ... لقد سمعته يتكلم ...
أى والله لقد تكلم حور بعد أن صفت ثلاثة آلاف
من اللتين ، وتكلم بتلك اللغة القديمة التى طواها
الوت منذ آلاف السنين .. وسوف أنسى كل شيء
في دنيائى قبل أن أنسى كلمة واحدة مما نطق به
لسانه ...

قال لصديقى الباشا السى' الحظ بصوت لم أسمع
مثله جلالاً لأنى لم أنشرف بعد بمخاطبة الملوك

— ألا تعرفين أيها اللبىد ... ؟ لماذا لا تجنو
ساجداً بين يدى ... ؟

ولم أسمع للباشا صوتاً ولا استطاع بصرى أن
يتحول إليه ، ولكنى سمعت المظلم ذا الصوت العظيم
يقول مرة أخرى :

— لم أشعر بقهر أسر اللوت إلا حين شاهدت
روحى هذه المجانب التى تحدث في الدنيا وأنا مقيد
بأصفاد الأبدية لا أستطيع حراكاً ، ولم أقدر أن
أذهب إليك لأن حياتى انتهت كما قضى أوزوريس ...
ولكنك سميت إلى بتديك ... وإنى لأعجب كيف
سولت لك نفسك هذا الفعل الأحمق ... أبلغ بك
البطر الجنون ... ؟ ألا تحسد الآلهة أن حالت بينى
وبينك بالوت ... ؟ ماذا جئت تفعل أيها اللبىد ... ؟
ألم يفتنك أن تنهب أبنائى فأنتيت تنهب قبرى ... ؟
تكلم أيها اللبىد ...

ولكن أبى المسكين أن يتكلم ... إنه لا يفقه

في مكانى تلك الساعة ما أتمته للشجاعة على الهزء
بمحاسنه ...
ماذا رأيت ؟

رأيت اللومياء تتحرك وتقدم في التايوت في
حركة خفيفة لا يقدر عليها الخمور أو الثقل بالنوم
فضلا عن البسوت من عالم الأموات ، ثم قفزت قفزة
غاية في الرشاقة واتصبت قبالتنا أمام التايوت ...
وكنت مولىاً ظهري الخادمين والشيخ جاد الله
فلم أر ما حل بهم ولكن ارتماش النور الذى يضئ
الحجرة دل على كهرة اليد التى تمسك به ، وكنت
في حالة بتمتدز وصفها ، وأعترف بأن مفاسلى تفككت
من الرعب الذى لا يوصف ، وذمعت ذمراً لم أحس
بمثله في حياتى على الإطلاق ، ولا تكاد تذكر إلى
جانبه أحوال الأيام الشديدة التى قضيتها في الجبهة
الشرقية وممركة اللارن ...

يا المعجب ! ... ألم تكن حبال مومياء ... ؟
أو حبال جثة ردت إليها الحياة بطريقة خفية ... ؟
أو أمام قائد مصرى كان يرمح هولاً وخشوعاً
إذا اجتاز عقبة القصر الفرعونى ... ؟ ولكن هل
كان من الممكن أن يتخالج نفسى في تلك الساعة فكر
من هذه الأفكار ... ؟ بل هب أنه خالجه فهل كان
يستطيع أن يهدى من رعبها شيئاً ... ؟ فزعت
فزعاً قاتلاً ... على أنب عيني استطاعت أن تريا
كما استطاعت ذا كرتى أن تحفظ ما رأت ميناى ..
ولم أجد أمامى مومياء بل رجلاً حياً كامل
الرجولة والحياة ، وكانت هيئته تذكر بتلك الصور
التي ترى بكثرة على جدران المابد ، فكان يرتدى
ثوباً أبيض ووزرة قصيرة ويشطى رأسه الكبير
بقنسنوة أنيقة ، ويحل صدره المريض بنياشين
كثيرة زاهية وكان مسيماً رهيباً متمالياً ، ولكنى
بالرغم من جلاله خيل إلى أنى رأيته من قبل وذكرت

بنته كأنى أتت ضربة قاتلة لأدرى من أن تقع على رأسى ، وحملت في الظلام وأنا أنتفض فرقا وذعرا ، ثم غارت قواى ، وشاء حظي الحسن أن أفقد شعورى وأغيب عن العالمين ...

سادنى ... إنه تأنى على أوقات يصيبني فيها ذهول وتخاصرنى شكوك فأسأل نفسى مرابا : هل كان حقا ما رأيت أم كان وما ؟ ... وربما ملت أحيانا إلى تكذيب نفسى ، ولكنى كلما أميل إلى الشك تصدمنى حقائق لا قبل لى بها ... فما قولكم مثلاً في شهادة الشيخ جاد الله وهو حي برزق ويستطيع أن يبذل لكم ما حكيت ؟ ... وما قولكم في جنون الخادمين التمسعين ... ومقبرة حور ... والقصر المهجور ؟ ... بل ما قولكم في حادثة موت المنفورة محمود باشا الأرنؤوطى التى ما يزال يذكرها جميع قراء الصحف وينجبون لها أشد العجب ... ؟

يجب محفوظ

شيئا ... ولا يبدى حراكا ... لقد دبت الحياة في المومياء ... وفارقت قلب الباشا الحي

أما المومياء فصادت تقول :

مالك لا تتكلم ؟ ... أأنت حور ؟ ... أأنت عبيدى شتى ؟ ... ألا تذكر أنى جئت بك من الشمال في إحدى الفزوات للظاهرة ؟ ... أتتجاهلنى أيها العبد ؟ ... إن جلدك الأبيض الذى يرمز إلى العبودية يفضحك بهما تشكرت .. ما هذه الملابس المضحكة التى ترتديها ؟ ... وما هذه الأبهة الكاذبة التى تختفى وراءها ؟

وظن حور أن الباشا لا يريد أن يشكم فانتفضت أوداجه وتقطعت جيبينه وصاح غاضبا :

— ما الذى دهاك ؟ ما الذى دعى الأرض لجعل أعزتها أذلة وأذلها أعزتها ، وخفض السادة عبيداً ورفع العبيد سادة ؟ كيف تلك أيها العبد هذا القصر ويسمى أبنائى فيه خدما ؟ أين التقاليد المتوارثة والقوانين المقدسة ؟ ما هذا العيب ؟

واشدت الغضب بجور فاستعالت عيناه جرتين يتطاير منهما الشرر وصاح بصوت كالرعد :

« كيف تتجاسر على ابني أيها العبد ؟ لقد سمته القتل بقساوة دلت على العبودية التى تنضج بها نفسك ضربته بمصاك لأنه جالس ودفعت إخوانه إلى ضربه أبيعوه في مصر أبنائوها ؟ الويل لك أيها العبد ... ولم يكذبك بتم كلامه حتى تقدم نحو الباشا مزجرا كأسد مصور بهم بفريسته

ولكن الباشا التمس لم ينتظره ، لأنه كان قد فقد قوة الاحتمال ، فسقط على الأرض لا حراك به وكان تهديد حور قد أشاع في الحجرة رعبا جديداً أتى على البقية الباقية من التماسك في النفوس ، فلأبث الشيخ جاد الله أن سقط على وجهه وسقط معه الصباح فانظما نوره وساد الظلام ، وانكشفت

صدر كتاب

قافله الأيام
(جيب)
محمود من البصرى الحبيب

تأليف

عبد اللطيف كركنة

ياع بخسة قروش جميع المكتبات بالعالم العربى
ومكتبة النهضة المصرية

مَاذَا ابْغَضْتَ زَوْجِي

عن الانجيلية
بقلم الاميرة اذيرة الحيد حيدر

وكانت سوزان ابنتنا
الكبرى على المكس من أخوها
بليدة ساذجة كأماها ، فكانت
هي وأماها على خير ما يكون
الصديقان تبادلًا للمواظف
وتسلطت امرأتى على ماريانا
وطئت أن من واجبه أن تسهر
على مراقبتها مراقبة دقيقة .

وما بلغت الفتاة الثامنة عشرة من سنها حتى أصبحت
جذابة الملامح فتاة ، وكانت دأمة التحدث من
الذهاب إلى المدينة والسعي للحصول على عمل
في المسرح ، وكان طبيعياً أن ترفض أمها
كل فكرة من هذا القبيل ، فقد كانت تعتقد اعتقاداً
راسخاً أن الفتاة إذا دعت وجهها وشفتيها بالأصباغ
فقد انحدرت في طريق الفساد ، ولم يكن في مقدور
أية قوة أن تنزع من رأس امرأتى هذه الآراء
المتينة التي تدل على ضيق العنق

كان من أثر هذه الحالة أن نشأت بيني وبين
ماريانا رابطة غريبة ، فقد ذكرني على وجه ما
بأخت لي أصغر مني سناً ، هزيت منذ سنوات
للتلصق بفرقة من الرافعات . فقد كان لماريانا مثل
طبيعة أختي اللقطة ومثل لطفها على العمل وراء
أنوار المسرح

على أن ابنتي كانت فتاة مستقيمة الخلق وكانت
مراقبة أمها لها أصراً مضايقة لا تدعو إليه حاجة ، وكان
في البلدة الصغيرة التي نعيش فيها من بلاد الولايات
المتحدة مصانع كبيرة للصفيح ، فكانت امرأتى
تلج على ماريانا في أن تسي إلى عمل في أحد هذه
المصانع ، ولكن ماريانا لم تخلق لتمش عيشة العزلة
في المصانع ، وإنما كانت لها في الحياة وجهات أخرى.

« كان مستمداً لأن يضى بجاته ليحول دون
زواج هذا الرجل من ابنته الحبيبة ، ولكن هنا
الزواج قد وقع فإذا يستطيع الآن أن يسل ؟ »

كنت طوال حياتي الزوجية على ما أذكر زوجياً
لين الجانب مطيعاً لأمراته ، وكانت زوجي امرأة
طيبة القلب ولكن من النوع المتصلب التحكم ،
فكانت دائماً تستسلم لموامل الغضب والثورة ،
وكنت أتركها في استسلامها إلى أن تهدأ نفسها
وإذا أحسست بأن غريزة الغضب والثورة ستتحرك
في نفسي ريثم لحال امرأتى وكبت جماع هذه
الفريرة . كنت أذكر أنها لم تألف غير العمل الشاق
منذ طفولتها ، إذ كانت نشأتها في مهرة لا تؤلف
فيها الحياة الناعمة . ولم يكن أي اعتراض من جانبي
على الخط الذي تجرى عليه شؤوننا البينة ليؤدي

إلا إلى زيادة متاعب كل فرد من أفراد البيت
على أنى - مع ذلك - كنت أستفكر أسلوبها
في معاملة ابنتنا الصغرى ماريانا ، وماريانا فتاة صغيرة
جميلة قوية الحبيوة ، وقد خيل إلى على صورة ما أن
أما تنأذى من ملاحها الجميلة ، لأننى لم أجد تمليلاً
آخر للأسلوب السيء الذي كانت تعامل الأم به
ابنتها ...

وكانت ماريانا ترجوني دائماً أن أحضر لها عدد عودتي إلى البيت بعض المجلات السينمائية ، فكنت أبتاع لها ما أجد عند بائع الصحف الذي أمر به في طريق وأدس لها ما أحضرت تحت صحيفة المساء ، وكانت هي بدورها تحمل هذه المجلات سرّاً إلى غرفتها حيث تقرأها بعيداً عن أعين الرقباء ، ولو أن امرأتى عرفت مرة أنني أنا الذي أحضر هذه المجلات بنفسى لجلت حياتي عذاباً لا يطاق ، فقد كانت تصر دائماً على القول بأن المجلات السيئة التي تمر عليها أحياناً في غرفة الفتاة هي التي قلبت رأسها . على أنني كنت أحمل كل ما أستطيع لأرفه حياة ماريانا ولكن مهمتي لم تكن سهلة في هذا الجو المزدحم الذي كانت تحلقه أمها وأختها

وفي ذات مساء تلقى ماريانا عند عودتي مبهجة طروباً وأخبرتني أنها تسلمت رداً على أحد خطابات التي أجابت فيها على بعض الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وفي هذا الرد يمرض عليها معهد للتصوير الفوتوغرافي في المدينة عملاً تقاضى عليه أجر ثلاثة جنهات ونصف الجنيه في الأسبوع ، على أن تتقدم قبل ذلك إلى إدارة المعهد لإثبات كفايتها للهنوس بهذا العمل . وقد هيّأت لي عند ما شمت أقوال ماريانا وشهدت ابتهاجها أن روح الفتاة حلقة في السماء العليا ، وعلى الرغم من أنني كنت متعباً في تلك الليلة ، اعترفت أن أقف وقفة شديدة مدافساً عن ماريانا إذا عارضت أمها في قبولها هذا المركز ، لقد كنت أتطلع إلى مستقبل لماريانا خير من هنا ، وكان في مقدوري أن أنهم لماذا كانت ترغب في مناصرة البيت والذهاب إلى المدينة .

وكنتم كلما أحضرت جريدة المساء إلى البيت استمرت ابنتي مفي قلم الحبر وكتبت في أثناء الليل عدة خطابات نجيب فيها ما لا تقرأه من الاعلانات عن الوظائف الخالية ، وكانت تدس هذه الخطابات في جيبى دون أن تشرأبها بشيء ، لأضعها بنفسى في صندوق البريد في الصباح .

وكان انتصار سوزان لأمها وعطفي على ماريانا منشأ نزاع صامت مشؤوم بين أفراد العائلة . ولم يكن يسمح لأحد من الشبان بدخول البيت لزيارة الفتاة . وقد عارضت في ذلك وبخاصة منذ أصبحت ماريانا تلك الفتاة اللطيفة الراضية في حياة المجتمع . ولكن ماريانا لم تلت ذات مساء أن أراحت إلى من هذه الناحية . فقد طرقتني بساعدها ضاحكة وقالت : إن أمها تعجب نفسها في منع شبان البلدة من غشيان دارنا ، ولكن ماريانا كانت تتطلع إلى شاب من طراز كلارك جابل أو وليام بول ، ومن الصعب جداً أن وجد هذا الطراز بين شبان البلدة ، فليس في الجهد الذي تبذره الأم من هذه الناحية ما تكثرث له الفتاة في كثير أو قليل . فشارت ماريانا الضحك ، ولم نستطع إلا أن نتفكك بأمر ذلك للنشاط الذي تبذره الأم عتياً لطرد الفتيان من طريق ابنتنا .

ومن حسن الحظ أنني كنت أفتيب أكثر النهار من البيت فقد كنت أملك « جراباً » ومحطة بترين صغيرة على الطريق الرئيسي ، فكنتم إذا عدت مساء إلى البيت متعباً قرأت جريدة المساء ، وقطعت فترة من الوقت في لعب (الباما) مع ماريانا أو أصغيت إلى الراديو .

وباء من القرن غرقت ساعدها ، فكانت حالتها النفسية في هذه اللحظة أسوأ ما تكون

فأسمعت الخبر حتى حاجت وصاحت في غضب قائلة : إنه لا يجوز لماريانا أن تخالط شبان المدينة ، وأنها لا تسمح لها بأن تحضر أحداً منهم إلى البيت . وكنت أود أن أتمصر لماريانا لولا أن لاحظت أن أمها كانت في حكم الريبة ، فاعتزمت أن أرحم انتصاري لها إلى فرصة أنسب من الفرصة الحاضرة . والشئ الذي لا يستطيع الانسان فهمه حقاً هو

أن تمارض امرأة في مقابلة الشبان الذين تعجبهم ماريانا . فلقد كنت أنا راعياً أشد الرغبة في مقابلتهم والتحدث معهم ، فن الطيبى أن فتاة لها جمال ماريانا

لا بد أن تكون موضع إعجاب كثيرين من شبان المدينة . ولما كانت الفتاة قوية الإرادة متصلة فان أسلوب وانتمائها في معاملتها قد يضطرها إلى سلوك الطريق الخطأ في التمتع بمباهج الحياة ، وهذا هو الذي كنت أخشاه ، وكنت قائم الفلق من ناحيته على أنني لزممت الصمت في تلك الليلة عند ما أصرت امرأة ماريانا بالآ نصاحب هؤلاء الناصرين من شبان المدينة ، وقد خيل إلى أن مثل هذا الأمر يكفي لمنع ماريانا من حمل ما تريد ا

وبعد بضع ليال من ذلك الحديث أصبت بمحاوئ أزجني ، فقد بقيت في عمل بمحطة البنزين إلى ما بعد الوقت الذي كنت أتعي فيه من العمل عادة ، وما أطفأت الأنوار وشرعت أوسد للباب حتى وصلت إحدى السيارات في طلب البنزين ، وبينما أنا أفرغ البنزين في خزان العربة أقبلت سيارة صغيرة خضراء من النوع المكشوف ووقفت بجانب السيارة الأولى ،

وبالفعل عارضت امرأة في يقول ماريانا المركز المروض عليها ، ونشبت بيننا مشادة عنيفة بعد المساء ، ولكنني ذكرت المرأة الطيبة بأنها كانت تلح على ماريانا في أن تسي إلى عمل في أحد مصانع الصفيح حيث لا يزيد أعلى أجر للعامل غير المدرب على جنبيين في الأسبوع ، إذن لماذا تمارض في أن تتولى الفتاة عملاً محترماً تتقاضى عليه ثلاثة جنبيات ونصف الجنبي في الأسبوع ؟ فأصابني هذه الملاحظة الهدف الذي رمت إليه ، وبعد كثير من المناقشة رجعت ماريانا المركبة ، ولقد ارتحت لذلك ارتباطاً شديداً لأنني لم أكن أنوق أى مستقبل حسن للفتاة إذا هي بقيت حبيسة في بلدنا الموراء

وكانت لي ابنة هم أرملة عجوز تسكن المدينة فانفتحت معها على أن تقيم ماريانا عندها فلا تحضر إلى البلدة إلا في نهايات الأسابيع

لم تحب ابنة عمي « نيل » امرأة قط ، وكانت تقول عنها إنها ضيقة العقل بليدة . لذلك ساء امرأتى ألا تكون العلاقة بينها وبين « نيل » حسنة ، وألا تستطيع أن تعرف ما تمهله ماريانا في أثناء الليل في المدينة الواسعة الأرجاء . ولكنني كنت مراقباً كل شئ امرأة إلى التقارب التي تحيئني من ابنة عمي وكأما تدل على أن ماريانا سعيدة بمحبتها الجديدة وأن لا شائبة على الاخلاق في سلوكها

وحضرت ماريانا ذات مساء على عاتقها في نهاية كل أسبوع ، وأخبرت أنها ستصحب معها يوم الأحد المقبل ، سديق اسمه روي تردواي للثناء معنا . ومن سوء الحظ أن الفتاة أعلنت هذا الخبر في لحظة غير ملائمة . فقد حدث بعد الظهور أن أمها كانت تخرج

وبعد هذه المحادثة القصيرة انصرف الممبل ولم يكن يد من أن أدمو أحد الأطباء ليضمده في مكان الإصابة ، ولكي لا أزعج امرأتى وسوزان عند عودتي إلى المنزل معصوب الرأس ، أخبرتني أنني أصبت نفسي بالهائز الحديدي لحدى السجلات في أثناء زعي له ، وقد قبلنا في هذا الكلام ، على أنني تأملت ألكا شديدة من أوالضربة وعمرت بالسوار. ولما كان اليوم نهاية الأسبوع فقد فضلت عدم الذهاب إلى العمل وللإلتزام الراحة ، وكان من المنتظر أن تصل إلينا ماريانا في المساء ، وكنت أشوق إلى رؤيتها فقد عمرت بوحشة لثيابها ، وكان كل شيء قبيحاً مملأ في غير وجودها

ولكنني عند ما قابلت ماريانا في محطة سكة الحديد لاحظت تنفراً في خلقها ، فلم تكن على عادتها ، فقد ألقت منها أن تجيني في حاسة وألا ينقطع حديثها في الطريق بما كانت تملأه طوال الأسبوع في المدينة أما في هذا اليوم فقد وجدتني صامتة صمتاً يبعث عن مأساة خفية فاضطربت لذلك نفسي ، على أنها لم تلبث آخر الأمر أن أنفست إلى بأن لديها أمراً تريد أن تحدثني به ، وأعقبت ذلك بقولها إنها تحت تأثير حال عصبية قد تزوجت من روي تريدواي أمس ذلك اليوم فقط

وعني عن البيان أن هذا الخبر قد أزعجني فقد وقع ما خفيت أن يقع نتيجة لتصلب أمها ، فقد أدى هذا للتصلب بما رأينا أن أن تتولى أمرها بنفسها فبعد أسبوع واحد كانت ماريانا ترجو أن يسمح لها باسطحاب روي تريدواي إلى البيت ، فمارشت أمها في ذلك ، فهل أخطأت التصرف بصفتي والداً ؟

وخرج منها شاب من الأشقياء فاندفع نحو عميلي مهدداً وأصره بأن يطبعه حافظة قنوده ، فأطاع الممبل الأمر ظناً منه أن الشقي يحمل مسدساً ، ولكنني حين تلفت أستطلع الأمر تبين أن الشيء الذي يحمله الشقي في يده لم يكن مسدساً كما أراد أن يوم ولكنه مفتاح أنجليزي ، واستطعت كذلك أن أتبين وجهه على ضوء مصباح الطريق ، فأسرعت بالمجموع عليه ولكن كان المجموع متأخراً ، فقد ضربني على صدغي خربة شديدة أفقدتني توازني فسقطت مترنحاً ، واندفع الجاني واثماً إلى سيارته الخضراء ؛ ولما نهضت من سقطتي وجدت عميلي قد سلم الشقي علفظته وفيها مائة من الجنيهات

وكان طبيعياً أن أغضب وأتضايق مما حدث لأنه وقع أمام متجري ، ولكن الممبل الذي ظهر أنه رجل ظريف هادئ من غضبي وقال إنه لا ذنب لي فيها حدث ، وكان الرجل تاجراً يمر بهذه الطريق مرة واحدة كل ثلاثة أشهر ولكنني لم أراه قط قبل ذلك المساء ، وتكلمنا كلاماً بالتلفون من الجراج فأبلغتنا البوليس خبر السرقة

وقال عميلي إنه رأى جيداً وجه الشقي وإنه يستطيع أن يعرف ذلك الأنف البدين اللدب في أية ناحية من نواحي العالم

ولقد ضحكنا عندما سمعت ذلك لأنني قد اشتغلنا أيام شبابي بأعمال البوليس السري لحساب إحدى الوكالات في شيكاغو ، وكان أعظم ميزان عندها قدرتي على تذكار الوجوه وتعرفها ، فقلت لعميلي إنني أنا أيضاً موهوب من هذه الناحية ، وإنني رأيت وجه الشقي وسأخبره إذا ساعدني الحظ بمقابته مرة أخرى ،

على أنني كنت متاعباً لخوض هذه المركة . وقد قالت
امراتي إن اللطلة هي غلطى أنا لأننى أنا الذى سمحت
لماريانا بالذهاب إلى المدينة، وما هي ذى قد تزوجت من
رجل لم تره الأسرة قط قبل هذا الزواج . ولكننى
لأول مرة طرحت ما كنت ألبأ إليه من جمالة امرأتى

حرساً على عدم جرح شعورها ، ولها في لمجة مائة
عينة مقبلاً عليها مسؤولية هذا الزواج المفاجئ

ذكرت امراتى برفضها عجمي روي تريداوى
إلى بيتنا عند ما اقترحت ماريانا ذلك ، وذكرتها
بالرقابة البلهاء التى كانت تفرضها باستمرار على الفتاة
وقلت لها إن رد الفعل الفجائى الذى ظهر به ماريانا
لم يكن إلا أمراً طبيعياً تحت تأثير هذه الظروف

كانت مفاجأتى امرأتى بهذا الكلام سبباً في
أن تعود إلى نفسها ، فاعترفت بالفضل بأنها ربما كانت
قد أخطأت ، وقد رجونا كلانا في حرارة أن
تكون ماريانا قد وقفت في اختيارها وأن يكون
زواجها سعيداً ، فإن الغاية التى كان يرى إليها كل
مناهى سعادة ابنته

ولأول مرة تنهت زوجتى إلى أن ماريانا قد
أصبحت شابة نامية لا طفلة صغيرة فبدأت تعاملها
بشيء من التقدير والاحترام ، وحتى سوزان مالت
إلى تغيير أسلوب معاملتها لأختها . وهكذا لم تنته
إذاعة خبر زواج ماريانا إلى النتيجة السيئة التى
خشيت أنا وهى أن تنتهى إليها . وتم الاتفاق بيننا
جسماً على أن نحزم اللروس حقائبها المدة لرحلة
هاقانا وتنتظر في البيت ، وأن يحضر زوجها روي
تريداوى ليأخذ الحقائق بنفسه ، وبذلك يتمكن أفراد
الأسرة من مقابله . وكتبنت ماريانا إلى روي موكدة

أكان يجب على الرغم من مرض امراتى أن أناصر
ماريانا وأصر على وجوب استصحابها الفتى الذى
اختارته معها إلى البيت؟ الحق أننى اضطربت وشعرت
بالتماسة وتحيرت فيها أقوله لابنتى رداً على هذا التبا
الذى فاجأتنى به

وسألت ماريانا كيف عرفت روي تريداوى
فقلت : إنه من أهل انديانا وأنها قابله في حفلة
كوكيتيل وأنها ما كادت تراه حتى عقدت بينهما
أواصر الصداقة في الحال ، وهى واثقة من أنها تحبه
حباً شديداً ، على أنها إذا كانت مخطئة في تقدير
عواطفها فإن هناك شيئاً واحداً لا يتطرق إليه الشك
ذلك أنه هو مجنون في حبها وقد طلب منها في رجاء
شديد أن تقبل الزواج منه

وقالت في وصف حبيبها إنه فتى رشيق عصري
الأداء جميل الملامح جداً ، وإنه يمسار أوراق مالية
ناجح في عمله ، ووكدت لى أننى سأحبه وسأزاد
حباً له كلما ازدادت معرفة به ، وقد وعدتها روي بأن
يقضيا شهر العسل في سياحة إلى هاوانا . ولولا خوفها
لشديد من إبلاغ خبر الزواج إلى أمها لما شابت
سماعتها العظيمة شائبة ما . ولقد كانت تتطلع إلى
هذه السياحة البحرية تطلع الأطفال إلى الشئ
الحبيب لأنها لم تركب البحر مرة في حياتها

لم يكن أمامى حين سمعت هذا الكلام إلا أن
أبذل أقصى ما أستطيع من جهد لأوجه الأمور خير
وجهة مستطاعة . وبعد المشاء أخذت على عاتق أن
أستعين بكل ما في مقدورى من لباقة وكياسة على
نقل خبر زواج صريانا إلى أمها . وكان من المستحيل
ألا تشب بينى وبينها مركة حامية من جراء ذلك ،

مولياً ظهره نحوى فاستطعت أن أرى رجلا طويلا القامة عريض الأكتاف، بليس رداً رمادياً، ضاحكا مكثراً من الحديث مع ماريانا . وما رأيته ماريانا مقبلا حتى حينئذ وقالت منشرحة تقدمنى إلى روى الذي التفت ناحيتى :

« هذا أبى ! »

— وخيل إلى عند ما وقع نظر الفتى على رأسى المصوب أنى قد رأيت في عينيه نظرة خاصة ، فقد ضاقت فتحتاهما وبدا فيها معنى الازدواج ، وصاغى الفتى هازا في شيء من التفتق يدى التى بقيت ممدودة له لحظة قبل أن يراها .

واعتقدت ماريانا أن سلوك زوجها الغريب ليس له من سبب إلا أن رأسى كان لا يزال مصوباً فأمسكت بذراعه في عطف شديد وقالت :

« لقد جرح أبى رأسه إذ صدمه بإطار حجلة »

إحدى السيارات في الجراج في أثناء زجه »

فلمدم روى بضع كلمات فيها بعض التألم لهذا الحادث ، وفي طريقة عين بدا لي أن في هيئة الفتى شيئاً غير غريب عني . فرد الفتى المصوب الذى بدا عليه حين رأى والجركة التى هز بها رأسه لينظر من النافذة كمن يفكر في الحرب ، كل ذلك أحدث شيئاً من التوتر في الغرفة ، ثم تلك اللقطة في صوته التى ذكرتني بفتنة الصبيحة التى سمعتها منذ بضع ليال عند ما اقتربت من شاب شق يعمل في يده مفتاحاً إنجليزياً ؛ أيمكن أن تكون هذه هي الحقيقة ؟ لقد كانت الفكرة حوشية غير قابلة للتصديق ؛ ولكن عند ما أدار روى تروى ووجهه إلى الشاب ورأيت صفحة خده ورأيت تلك

له أنه سيقابل مقابلة حارة ، وأخبرته بما تم الاتفاق عليه من قضاء الليل معنا قبل السفر في رحلة شهر المسل ...

وتكلمت في الوقت نفسه مع ابنة حمى تليفونيا فسألها عما تعلمه من أسر روى ولكنها أجابتني بأنها لم تره قط . وقالت إنه تكلم كثيراً مع ماريانا تليفونيا ، وإنها تعرف أن ماريانا كانت تخرج مع رجل اسمه روى ولكنها لم تفكر قط في أن الأمر بينهما جد ، لذلك كانت دهشتها شديدة عند ما أخبرتها بزواج ماريانا ، ولكنها لم تدهش حين أخبرتها كيف كان هذا الزواج مفاجئاً لأنها تذكرت أنها قضت أغلب أيام الأسبوع على شاطئ البحر

وانهمكت ماريانا في تجهيز ممدات السفر منتظرة قدوم روى

ومن الطبيب أننا جميعاً كنا متطلعين إلى رؤية سمسار الأوراق المالية الشاب ، وقد أعدت له أسرائلي غداء حسناً ، وكانت ماريانا مبتهجة تهلل بشراً . ولأول مرة لم تمارض الأم في مظاهر ابتهاج ابنتها وإن يكن قد بدا عليها أثر الصدمة التى أصابتهما من عدم إقضاء ابنتها إليها بأمر زواجهما قبل وقوعه

لم يخطر لاسرائلي قط هل يال أن ماريانا كانت تعلم أن أمها ستمارض في زواجهما من أى إنسان حتى لو جاءت معلنة أنها ستزوج من رئيس الجمهورية ولو أن هذه الأم كانت من النوع اللامدل الذى يحسن التفاهم لأخبرتها الفتاة بما اعترفت

تركت ماريانا وأما في محلها وقصلت إلى مكتب البريد فلما عدت إلى البيت وجدت أن روى تروى قد حضر في أثناء غيابي

لما دخلت غرفة الجلوس كان زوى تروى

غطاء جديدًا لأمائدة الطعام ، وكانت سوزان قد ذهبت إلى غرفة الجلوس لتتحدث مع تريديواي ، ودخلت أنا مصادفة إلى الغرفة التي كانت فيها مارينا ورأيتهما مشغولة في عد الفوط

وما رأيي ابنتي حتى سألتني وفي حينها وميض الحب ؟

— كيف وجدته يا أبي ؟

وكانت وهي تلقى هذا السؤال سورة مجسمة من صور السعادة ، وكان من المستحيل أن تعلم بالأفكار التنظيمية التي كانت تملأ رأسي في تلك اللحظة ، ولا بالخوف المزيج الذي استولى على نفسي وكان صوت أجوف كأنه أت من أميال بعيدة عند ما أجبتها :

— أظنه شابًا طريفًا

فاسمت مني هذه الكلمات حتى طوّقتني بإساعديها وقبّلتني ، وكنت لا أزال أدمع الله أن أكون قد أخطأت في تصوراتي ، وقلت وقد نظرت من النافذة — إن حربة زوجك هذه المصنوعة جميلة فقالت مارينا :

— أليست غاية في الجمال حقًا يا أبي ؟ لقد ابتاعها روى أمس ليحصل منها مفاجأة سارة لي فقد تحطمت سيارته الخضراء المكشوفة !

لقد كانت هذه الكلمات الثلاث : « سيارته الخضراء المكشوفة » كافية ! لقد قاومت في عنف صدمة الليل الذي كان خليفًا أن يصيبني عند سماع هذه الكلمات ، وقد اقتنصت الآن اقتناعًا لا سبيل إلى التشكك فيه ، بأن تريديواي واللس الشقي ليسا إلا شخصًا واحدًا

فإذا أنا قائل ؟ أحطم حلم سعادة ابنتي بأن

الدفن وذلك الأنف الدقيق اللذين رأيتهما لحظة طائرة على الضوء الأحمر ارجفت ركبتي . لقد كان الشبه بين صورتَي الشخصين أخذًا ، فهل يمكن أن نكون مارينا بمجلة غريبة من حيل الحظ قد تزوجت من ذلك اللس الشقي الذي سرق الشاجر على باب جراحي ، والذي ضربني تلك الضربة الشريرة بالفتاح الانجليزي ؟ لقد وقفت في حيرة شديدة !

لم يلاحظ تريديواي أنني شككت في أمره ، فقد كان الوقت الذي وقع فيه الحادث غلامًا وكان ضوء الطريق الذي رأيت عليه وجهه لحظة سريعة ضوءًا ضبابيًا ، ثم هو لا يعرف شيئًا عن قدرتي على تذكر الوجوه . ولكن كان ظاهراً أن هذه المقابلة المفاجئة في بيتي قد هزّت أعصابه ، حتى أنه عند ما نظر من الشباك إلى الخارج وقد دس يديه في جيوبه لم يسمع صوت مارينا إذ كثره إلا بعد أن كررت ما قالته مرتين ، الأمر الذي دل على أنه كان شديد الانهماك في التفكير . ولم ألبث أن نظرت من النافذة لأرى إذا كان قد حضر في نفس الحربة الخضراء المكشوفة التي رأيتهما من قبل ، ولكنني وجدت بدلها حربة سوداء مقلقة لا تزال جديدة . فمن الجائز أن أكون قد أخطأت في غنوني . ومن المحتمل أن يكون الشبه بين الشخصين شديدًا جداً ولكنهما ليسا برجل واحد

ولكن لماذا سلك الرجل ذلك السلوك الغريب منذ رأيته ؟ من المحتمل أن يكون ذلك أيضاً من نيات خيالي ، ولقد دعوت الله فلما أن أكون قد أخطأت فيما توهمت . على أنه إذا كانت ابنتي قد تزوجت من لس شقي فاني أود أن أعرف ذلك ، وكانت مارينا قد ذهبت إلى غرفة أخرى لتحضر

وسال منه الدم ، ولكن الصداق لم يكن من الجرح
إنما كان من التفكير ، وما كان لي أن أنام في غرفتي
متألمًا

وكما سمعت صوت أسرفي وهم يتحدثون على
المائدة ازداد اضطرابي وساءت نفسي : أم يعلمون
الآن مع لص شقي ؟ وقد سمعت أكثر من مرة
نخلة تريدواى المصيبة وهي تحترق الجو واصله إلى
أذني تذكرني بتلك الصبيحة المزجة وتلك الضحكة
التحكية اللتين سمعتهما ليلة ضربني بالفتاح الانجليزي
على صدفي قبل أن يهرب بسرقة ، ولم ألبث أن
ركزت في رأسى ما حدث ليلة السرقة ، وهنا ظهر
لي واضحًا شخص تريدواى وبخاصة أنه كان يملك
عربة خضراء . صحيح أن هناك سيارات خضراء
كثيرة ولكن كل هذه الاتفاقات بين الشخصين
لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة

وبعد النداء حضرت ماروانا إلى غرفتي
مستفسرة عن حالتي وأخبرتني أنها ساعدتني إلى غرفتها
حيث تلحق بها سوزان لمساعدتها في إعداد حقائبها
فعرفت أن روى سيكون وحده في غرفة الجلوس
إذ لا بد أن تشتغل أصرأى بنسل أدوات الطعام في
المطبخ ، إذن جاءت الفرصة . فقلت لماروانا : إنني
أشعر بشخص في حالتي وإنني لذلك سألحق بزوجها
فأتحدث معه بعض الوقت . فطلبت مني وهي ضاحكة
أن أسرع لألحق به قبل أن ينصرف لأنه كان يقول
إنه سيخرج لابتياح كية من السجائر

كان هذا كافيًا لتوكيد شكوكي ، فقد كان الفتى
يرسم خطة الحرب ، ولسل تنبيه من النداء معهم
قد أطلق نفسه . إذن لن أتركه يذهب ، وبدل أن
أقصد إلى غرفة الجلوس اندفعت إلى خارج الباب

أبث في رأسها الشك من ناحية ذلك الرجل ؟ لقد
أصبح الرجل زوجها وانتهى الأمر ! وإذا ظهر
فيها بعد أنني غطيت في غنوني فهل يمكن أن تنفرد لي
يوما ما أقوله لها الآن ؟ اضطرب تفكيري وأنا أحاول
حل هذا الاشكال ولكنني فضلت أن ألتجأ كمادني
إلى الصبر وأن أتحكم في وقتي فلا أتسرع

وكان من المستحيل عليّ وقد اضطرب شعوري
هذا الاضطراب أن أجلس معهم على مائدة النداء ،
فأخبرت ماروانا أنني أشعر بشيء من الصداق لكثرة
حركتي منذ وقع لي حادث الإصابة ، وأني سأوى
إلى غرفتي طلبًا للراحة ، وأقمتها بأنني لن أصلح
لجالسهم وأنا أشعر بذلك الألم . وأني على كل حال
لن أستطيع أن أطمع بنير فتجان من عصر الظالم
ووعدها بأنني إذا سمحتت حالي بعد الطعام فسألحق
بهم وأؤكد معرفتي بزوجها . فقبلت ماروانا عذري
كما قبله الآخرون ، وانصرفت إلى غرفتي لأفكر
فيما أفعل

إذا لم أكن غخطًا في أمر هذا الرجل فيجب
أن أسرع في العمل ، وليس يحتاج الأمر لأكثر
من أن أبلغ البوليس خبره فيقبض عليه وفي الوقت
نفسه يفسخ زواج ماروانا

ولكن الفضيحة التي تنشأ من ذلك التصرف !
ثم لنفرض أنني كنت غخطًا في ظني ! ألا يجوز أن
يقبض عليّ بتهمة البلاغ للكاذب ، وبأنني تسببت
في القبض على رجل بريّ وبشير ذلك من التهم ؟
إذن يجب الاحتراس والحذر . ولو أنني استطعت
أن أخلو بالرجل بضعة لحظات لأستكني أن أستقر
على خير الطريق التي يجب أن أتبعها في أمره ،
لقد كان رأسي مصدعًا حقًا كما لو كان الجرح قد فتح

ينظر إلى ولكنه جلس طامعا كأنه يطمح إلى أن
أستمر في حديبي ، ولم يكن ممثلا بارعا فأى
إنسان غربي كان يستطيع أن فضح أمره من
موقفه ، وقد شجى ما رأته منه على أن أواجهه
بهذه الكلمات :

— ولقد كنت أنت أيها الشاب حاضرا
السرقه ، وتعرف كل ما يتصل بأمرها

فوثب الفتى واقفا صارخا صرخة شريرة مزججة
شبيهة بالصرخة التي شهدها ليلة الحادث ، وللتوت
شفته العليا الثواء الشر فكانت أشبه بشفة حيوان
يموى . ولقد أدرك أنه فضح نفسه بتصرفه فلم يبق
هناك قائدة في الانكار

وشعرت عندما أتى على نظرة خاطفة أنني
قد أصبت بجنون فطليح وخيل إلى أنني سأب عليه
فأخفقه حتى أقضي عليه انتقاما أولا من الجرح الذي
أصابني به ، وفوق ذلك لهوره في الزواج من ابنتي
الصغيرة . ولكنني بمجهود فوق القدرة البشرية
ملكيت عواطفى ، فلما لاحظ الفتى هدوئى وتبين أنني
لن ألبأ لشيء من العنف زال عنه هو أيضا المظهر
الشرير الذي بدا عليه عندما سألني في صوت مضطرب :
ماذا اعترفت أن أفعل

قلت له : إن أسهل الطرق أمامي هي أن أبلغ
البوليس خبره . وهنا شهدت في غرفة الجلوس منظرأ
غريبا ، فتريدواى اللص الوحشى انقلب حلا ودوبا
يتوسل إلى كما يشعل الطفل الصغير ، قد ل إنه هو
أيضا يجب ماريانا وإنه يجب أن نفكر في أمرها ،
فلقد أراد أن يسدها ، فقد أحبا حبا لم يشمر مثله
من قبل لأى خلق ، وإنه كان خاليا من العمل الثابت
وكان مصدر رزقه المراهنة على الخيل ، وكانت ماريانا

أعلا أن يكون قد ترك مفاتيح السيارة فيها ، ولقد
كان من حسن الحظ أن تحقق رجائى ، فلم أتردد
في أخذ المفاتيح ودسها في جيبى ثم دخلت إلى غرفة
الجلوس . وكان تريدواى عند دخولى على أعبه أخذ
قيمه الملقاة على السجى . فسألته كأنى لا أعلم شيئا
من عزمه :

— أأخرج أنت ؟

فلم يرفع قط نظره إلى وهو يجيب على سؤالى
مدسدا بضغ كلات تفيد أنه ذاهب ليطاع عبة
سجابر . فقلت له :

— إنك تستطيع أن تخاطب غزن السجابر
تليفونيا فيرسل لك ما تريد

وأظن أنني تبيت رعدة عصبية في صوته عند
ما أجباني بأن ذهابه شخصيا قد يكون أسرع من
الكلام بالتليفون . فقلت متلوفا :

— إذن سأذهب معك

وكانت اللجة اللقطة التي نطقت بها هذه
الكلمات كانت صاعقة قد اهتضت عليه ، فبدل أن
يخبرنى بأنه يسره أن أحبه تردد واضطرب ، وعقد
لسانه فلم يتكلم . وعندئذ توكدت أنه هو نفسه
اللس الذي ضربني ، فقلت أمرا :

— إجلس ولا تسرع

جلس واضحا فجمته على ركبته بينا أواجهه تبيت
بها في حال عصبية ، فقلت له في غير مواربة :

— إنك تعلم أن هذه الإصابة التي في رأسى
ليست من إطار مجلج ، ولكننى لم أرد أن أزعج أسرتى
فاخترت هذا السبب ، والواقع أنني أصبت بضربة
من مفتاح أجليزى

وهنا بدأ الفتى يتحرك حركات عصبية ، ولم

تلك اللحظة حامل الاغراء الجنوني . ولكنه حين استأنف السير في الطريق الرئيسي غير قاصد إلى مكان معين رأي من جديد السيارة التي كان يلاحقها وقد وقفت أمام جرابي

هنا استولى عليه حامل الاغراء مرة أخرى ، ورأى أن الفرصة قد هيأت له نفسها ، وكان الطريق غالياً ، وقد اعتقد أن سبب وقوف السيارة خلل أصاب إحدى محلاتها ، ولم يحظر له أنه كان يتزود بحاجة من البنزين ، ولما كنت على وشك إغلاق المحل عند وصول عملي فقد أطفأت جميع الأنوار ، ولما كنت أعرف موضع خزان البنزين في السيارة ، فقد كنت أفرغ فيه البنزين في الظلام . ولذلك لم يرني تريدواي عند ما هاجر العميل والإفالة لوعده أنه هناك شخصاً آخر لا أقدم على مجازفته الخطرة . وهذا هو الذي يفسر الرعب الذي فاجأه عند ما رأيته مقبلاً عليه على غير انتظار ، وهذا هو السر أيضاً في أنه عاجلي بتلك الضربة القاسية عن غير عمد لأنه كان يفكر في الهرب أسرع ما يستطيع . هذه هي قصة الفتى في تقاسيلها رواها لي في بساطة وإخلاص

وطيبي أنني قد تبينت أن الرجل الذي أماني ليس باللس اللئيم ولكنه شاب أحق أفرته الظروف بالأم ، وقد استطاع أن يقنني في أثناء سرد قصته بأن مركز اللئيم الذي وجد فيه نفسه لم يكن له من سبب إلا أنه لم يرد أن يحزن مارينا التي كان قد وعدها بأن يقابلها في اليوم التالي بدار البلدية لمقد زواجهما . استعرضت كل ما حدثني به الفتى ورأيت أن الأمر يتصل بابنتي ومارينو إليه من سعادة المستقبل فلت إلى التسامح والطف على أنني وجدتني قد وقت في الحيرة وقد

تعتقد أنه سحار أوراق مالية . وبعد أيام من خطبته ابنتي اعتزم في أن يجتهد في ربح مبلغ كبير من المال فوضع كل ما عنده من النقود على جواد كان من المؤكد أنه سيربح ولكن الجواد خسر وبذلك أغلقت الفتى واستولى عليه اللئيم وكره أن يحجز مارينا بأنه خالي الوفاض وتغير فيها بفعل ، وكان جالساً في أحد المقامى بطعم بعض الزباد إذ دخل رجل لا يعرفه وجلس على المائدة المجاورة له

ويقول تريدواي إنه رأي الرجل وهو يدفع الحساب للتحام قد أخرج رزمة كبيرة من الأوراق المالية ثم عاد فدمها في حافظة نقوده ، فقرر الفتى أن يتبعه دون أن يرسم في رأسه خطة معينة

وكان تريدواي ، على ما وري ، قد استولى عليه اللئيم لحاجته الشديدة إلى المال بعد الخسارة التي حلت به ، فتبعته سيارته الخضراء سيارة الرجل الآخر لسافة عدة أميال ، ولم يدفعه إلى هذه الملاحقة الجنونية السخيفة غير عامل اللئيم وحده ، ولم يكن يدري كيف يستطيع أن يتنزع حافظة النقود من صاحبه ولم يكن كذلك مسلحاً . وكان عقله يعود إليه ما بين لحظة وأخرى فقرر أن يرجع عن هذه المطاردة . ولكنه حين رأى السيارة الأخرى تقيب عن عينيته وفتته الحاجة الملحة من جديد إلى استئنان اندفاعه الأحق ، على أنه لم يلبث أن انتهى آخر الأمر إلى الانتحاب بأنه مقدم على مضاهرة شديدة الخطر ، فندل عن مواصلة المطاردة ووقف ليتناع عليه من السحار ويشرب شيئاً خفيفاً

ولما رأى أن السيارة التي كان يلاحقها قد غابت في الأفق نهت نهت الدارتيح ، وزال من نفسه في

وأن هذه الناحية الخيرية لا تلبث أن تظهر إذا حرف الإنسان طريق الرسول إليها ، وأن فتاة طيبة مثل ماريانا تستطيع أن تحصل زوجها على أن يسلك سبيل الاستقامة فلا يبعد عنها .

وتحت تأثير هذه المواقف تقدمت لغتي باقتراح ملخصه أنني ، وكل يوم يمر تتقدم بـ السن خطوة إلى الشيخوخة ، يحسن أن أستعين بمساعد لي في الجراح ، فليكن هو مساعدى ، وإذا برهن على كفايته للعمل اتخذته شريكا ، وفي يوم ما يصبح الجراح ملكا له ، وهرست أن أقرضه مائة جنيه لقضاء رحلة شهر السل إلى هافانا إذا وعدنا الاستقامة وبقبول للعمل معي في الجراح ، فاستمع الفتى هذا الاقتراح حتى غمر السرور نفسه . وإني بهذه هذه الفرصة له إنما أبرهن على أنني أميز بين الرجال ، واتفقنا على نسيان أمر السرقة فلا يذكرها أحدهما بعد الآن وتصلحنا على هذا الهد .

أحسنت كأننى ساحرى طبيب القلب وشمعت بعد أن أتممت هذا الاتفاق بالهزة التي يشر بها المصلح الذي ينقذ الأرواح من الام . وبدأ لي أن ما فعلته هو أحكم ما يمكن أن يعمل . فأنى عند ما فكرت لأول مرة أن هذا الفتى لص يجب أن أرسل به إلى السجن أرشدنى التفكير التزن إلى أنني لن أجنى شيئا من وراء ذلك ، ولكن ستكون نتيجة سلوك هذه السبيل جلب الحزن والشقاء لائتى . كذلك فكرت في حالة امرأتى الشاذة وفي طبيعة سوزان وفيما أحرفه من كبرياء ماريانا فأدركت أن الفتاة لن تمشي إذا تسحت لأمرها وأختها فرصة تذكريها بالزيجة الفاسدة التي عقدتها من وراء ظهرهما ،

واجهتى مشكلة صعبة الحل ، فقد أتى الفتى بأمره بين يدي ، وأصبحت سعادة الفتاة التي نجحنا نحن الاثنين منقلة على الخطوة التي سخطوها بعد ذلك لقد كانت عقيدتي في الطبيعة البشرية ثابتة دائما لذلك اعتزمت أن أحالج الأمر كله بنفسى ، فقلت لتريدواى إنه يجب عليه أول كل شيء أن يسلمني المحافظة التي اغتصبها من التاجر حتى إذا عاد الرجل إلى أعضائها قلت إن اللص قد شر بتأنيب ضميره فأرسلها إلى في البريد دون أن يذكر اسمه

فلم يتردد ترديدواى في تسليمي المحافظة قائلا : إنه أتفق مما فيها أربعة جنيهات ، فوعده بأن أعوضها من مالى ، ثم قال الفتى في لهجة الحزين المتألم إنه الآن لا يملك المال الذي يمينه على اصطحاب ماريانا إلى هافانا في رحلة شهر السل وهي الرحلة التي تتطلب إليها الفتاة في لهفة وشوق .

فسألته : ولكن ماذا بعد هافانا ؟ وكيف اعتزم أن يمشي إذا ما انتهت رحلة شهر السل ؟ فأجاب في استخفاف بأنه يستطيع دائما أن يحصل على رزقه من طريق المراهنة على الخيل ، وليس من شك في أنه حين يصل إلى هافانا سيلعب على السباق في حذر واحتياط وسيجنى بذلك بعض المال .

ولكن لم أحسب ذلك فليست هذه هي الحياة التي تناسب ابنتي الصغيرة ، ورأيت أنه لا بد من عمل شيء ما . لقد ظهر على الفتى أنه جاد في قوله وأنه قد تاب من ذنبه الذي دفعه اليأس إلى ارتكابه ، وكان ذلك وانحما في حديثه وسلوكه للتواضع . وظننت أنني إذا هيات له فرصة حقيقية للعمل المفيد ، فقد يصبح رجلا صالحا في الحياة ، وإني أعتقد اعتقادا ثابتا أن هناك بعض الخير حتى في نفوس شر الرجال

جداً إذ قالت إنه في صحة جيدة وإنه يرسل تحيةا واحترامه للأُسرَة

وماد العروسان إلى البيت مساء أحد أيام السبت، وإذا كانت ماريانا قد نعمت بألم طيبة كما قالت في خطابها فإن نظراتها تكذبان هذا القول، فقد ظهرت تحت العينين دائرتان سوداوان ، وبدا عليها كأنها كانت تعاني آلاما نفسية شديدة . وقد تصمت السرور والانصراف تخدعت مظاهرها أما وأختها ولكنها لم تخدعني مطلقا وقد أدركت أنها تخفي في نفسها أمرا لا يوح به على أنني لم أحاول أن أسألها شيئا .

وتأخر روي في النوم صباح الأحد وانفردت بماريانا على مائدة العطور إذ كانت سوزان وأما قد ذهبتا إلى الكنيسة ، ولم تتكلم ماريانا كثيرا في أثناء الطعام، ثم تناولت جريدة يوم الأحد وبدأت أنظر إلى محتوياتها

وعلى حين فجأة سألتني ماريانا هذا السؤال :
— أتعلم يا أبي أن الرجل الذي ينش في لبس الورق يد لسا ؟

أدهشتني هذا السؤال ولكنني أجبت عليه في لهجة قاطمة :

— الرجل الذي ينش في أية لمبة من الألعاب لس ما في ذلك ريب

فلم ترد ابنتي شيئا على ما قلته ، ولكنها اكتفت بأن تنظر إلى الفضاء نظرا كأنها ، هل أنني أحسست بأنها سامع أمرا غير سار ، فسألت ماريانا عرضا :

— ومن هو الشخص الذي ترفيق أنه ينش في لبس الورق ؟

لذلك لم أتردد في حل الاشكال الذي واجهني على الصورة التي حالتها بها

وبعد لحظات من هذا الاتفاق كنت أنا وروي نشرب معا كأسين من الحبة وقد ساد نفسيتا روح الصداقة المتبادلة ، فلما دخلت ماريانا علينا للترفة خبرتها بأن روي سيمعل معنا في الجراج بعد عودتهما من رحلة شهر الليل ، فأمن روي على كلاي متبسطا ، ولم تمارض ابنتي في هذا الاتفاق ومن حسن الحظ أن روي كان قد أخبر ماريانا قبل يومين أنه اختلف مع أصحاب بيت الأوراق المالية الذي يعمل فيه وأنه فقد مركزه في ذلك البيت ، أخبرها بذلك ليمدها بقبول اشتغاله بعد عودتهما من الرحلة بالراهنه على الخيل ، ولم تخبرنا ماريانا بهذا الخبر لأنها خشيت أن تمرض أما على إنفاقهما المال في رحلة بحرية في الوقت الذي أصبح فيه زوجها عاطلا من العمل

على أن ماريانا — على كل حال — لم تهتم بفقدان زوجها عمله في ذلك البيت المال ولم تغم ذلك الحادث كبير وزن ، لأنها كانت شديدة الثقة بروي وبقدرة على أن يجد لنفسه عملا جديداً على أثر عودتهما من الرحلة . فلما عرضت عليها الاتفاق الذي تم بيني وبينه قبلت ذلك بإرتياح ولكنها اشترطت شرطا واحداً هو أن تقيم هي وزوجها في بيت خاص بهما

صرت بعد ذلك بضمة أسايح مرأ سريعا ، لم أتمسك في أثناءها من ماريانا غير تذكرة بريد واحدة وخطاب مكتوب على مجل ، علمت منهما أنها كانت مسرورة من رحلتها إلى هاواي وأنها تقضى فيها على ما يظهر أياما طيبة ، ولم تقل عن زوجها إلا القليل

ولكن ابنتي كانت واثقة من أن زوجها قدغش.
بالفعل في الورق، وكذلك كنت أنا واثقة من ذلك،
وقد اضطربت ماريانا اضطراباً شديداً لذلك الحادث
الذي عكر عليها سقاء شهر العسل، ومن الطبيعي
أنني تأذيت من سماع ذلك الخبر لأنه كان مقرراً أن
يبدأ روي عمله في الجراج يوم الاثنين المقبل، فإذا
كان الرجل لصاً حقاً فإن الأمر سيكون مشكلاً
لم يمض على عمل روي في الجراج غير أسبوعين
حتى أدركت أنني قد أخطأت في عدم إرساله به
إلى السجن عند ما كشفت أنه لص. فلقد وجدته
الفتى لصاً يجري دم الجريمة في عرقه، فقد وجدته
يشرب الزيت فيعطى عملائي زيتاً رخيصاً ضمن مرتفع،
كذلك كان ينش في بيع البنزين إذ يتقاضي من
المعيل ثمن عشرة جالونات ولا يعطيه غير ثمانية
ولكن الضربة الأخيرة كانت عند ما غير مجلة
إحدى السيارات ثم أخفى بعض الأدوات الرئيسية
الخاصة بالسيارة، حتى إذا سار المعيل بسيارته قليلاً
وكانت قد كشفت لسرقة جريت وراءه وصحت به
أن يعود لأنه قد نسي بعض أدواته

فنظر الرجل إلى روي نظرة قاسية وقال:
— أظن أنك أخبرتني أبها الشاب أنك قد
وضعت جميع أدواتي في مكانها من مؤخر السيارة
فدعهم روي بكلمات تفيد أنه قد نسي، وسار
الرجل متبرماً بعد أن شكر لي
أما أنا فكانت واثقة من أن روي كان يقصد
حامداً أن يسرق هذه الأدوات. ورأيت أن الأمر
قد وصل إلى حد يتطلب أن أتحدث معه، فأخبرته
بأنني قد لاحظت ما كان يفعله، وقلت له: إنني
عشت طوال عمري رجالاً أميناً وإنني معترم أن أسلك

فلم تجب لأول وهلة. ثم أقبلت نحوى فجلست
على ساعد الكرسي الذي كنت جالسا عليه وخبرته
بتجربة محزنة مرت بها. فقد كان روي يلعب الورق
مع بعض الرفاق في الباخرة كل مساء
وفي ذات ليلة كان واقفاً على ظهر الباخرة
مائلاً على الحاجز ينظر إلى الماء وكانت ماريانا جالسة
على أحد الكرسي غوقت إلى جانبها سيدتان
لا تمران أن روي زوجها وجري بينهما الحديث،
فقال إحداهما وهي تشير إلى روي:

— أترين هذا الرجل الواقف هناك الرتدي
ملابس الثيل الأبيض؟ لقد قال زوجي إنهم طردوه
الليلة الفائتة من على منصة اللب لأنهم ضبطوه
وهو ينش

فلمت حمرة الخجل وجه ماريانا عند ما سمعت
ذلك الحديث وشمعت بأنها قد أهينت وحقرت،
وكان شرّاً من ذلك أنها وقتت من صدق ما تحدثت
به السيدتان، لأن روي ناد في الليلة التي ذكرتها
إلى غرفتهما مبكراً على غير عادته، وبدأ يحرق عدداً
كبيراً من أوراق اللب على شمة مشعل، فلما سأله
عن السبب فيها يفعل أجاب بأنه لم تعد به من حاجة
إلى هذه الأوراق بعد الآن. ولم يقل شيئاً عن طرده
من غرفة اللب

ثم قالت ماريانا:

— فلما سمعت حديث السيدتين أدركت أن روي
كان يحرق بعض (الأكسات) الزائدة التي كان يدهسها
في حزم الورق التي غش فيها
وأخبرت ماريانا زوجها بما سمعت فلم يزد على
أن ضحك وقال لها: أن لا تنهم بما سمعت فإن رفاقه
في اللب قد هاجمهم أن حظه كان موافقاً

نفس ابنتي عن الرجل الذي ساقته الأقدار إلى طريقها...
وإذ علمت ذلك كله ازدهرت غداً مسرعة وعدت
إلى الجراج حيث تركت روي في هياج شديد ولست
أدري ماذا يمكن أن يفعل

ولما عدت إلى الجراج وجدت أمامه سيارة
عليها لوحة من لوحات ولاية بنسلفانيا ، وتبينت
أنها سيارة التاجر الذي سرق حافظة نقوده أمام
عيني ، فسرت لذلك لأنني أستطيع الآن أن أرد
الحافظة . ولكنني عند ما خطوت إلى المداخل رأيت
مشهداً غير عادي في انتظارى ، فقد كان التاجر
شاهراً مسدداً على روي متحدثاً في الوقت نفسه
تليفونياً مع مركز البوليس . فأن توسطت الجراج
حتى أمرني الرجل أن أرفع ساعدي وأن أنف إلى
جانب روي . وكانت لهجة قوية ثابتة ، وكان طبعاً
أن أشمر بأبني قد سقطت ، فقلت له إن حافظة نقوده
مى وإنني أريد أن أردّها إليه
فقال التاجر في تهجم :

— ليس ثمة ما يدعوك إلى التسرع ، فاني
سأخذها من يد البوليس .

فاعترضت على هذا الكلام وقلت له : (إنه غلط)
فيا تصوروا وإنني مستعد للإيضاح . ولكنه ضحك وقال :
— لقد ضمت من الايضاحات ما يكفي
لهذا الساء .

فالتفت إلى روي تريدواي ، فرأيت على وجهه
أمارة ارتياح غريبة ورأيت شفتيه ملتويتين اللواء
إجرامياً في ابتسامة صفراء . ولم يقل الشئ كلمة
واحدة في صالحى على الرغم من علمه ببراءتى ، بل

مسالك الأمانة إلى نهاية أيام حياتى ، واتهمته بأنه
كان يريد سرقة هذه الأدوات

فهاج الغنى هياجاً شديداً وصاح هازئاً بأمانتى
قائلًا إنها هى السبب في أن أحملى لم تتقدم تقدماً
كبيراً . وقال أيضاً إنه كره حياته في الجراج وإنه
قد اعترم العودة إلى المدينة متى توافر له شئ من
المال يستعين به على ذلك . فذكرته بوعده الذي تماقدا
عليه ، وقلت له إنه يستطيع أن يذهب إلى المدينة
إذا أراد ولكنه لا يستطيع أن يأخذ ماريانا معه .
وهنا تجدد هياجه في سورة وحشية شريرة وتحدثني
أن أمنع ذهاب ابنتي منه إذا استطعت قائلًا إنها امرأة
وأنه يتصحنى بأن أهم بشؤونى الخاصة ، وترك
المكان في وسط الحركة قاصداً إلى البيت للشناء

ومن حسن الحظ أنني كنت أعلم مما سمعته من
ماريانا عن سوء خلق زوجها في الأسابيع الأخيرة
أننى مستطيع أن أقتصمها في سهولة بالأنا تذهب معه
إلى المدينة . ولقد علمت منها أنها في الواقع لم تحبه
قط حباً حقيقياً فسردت لذلك سروراً شديداً .
وظهرت لى أنها كانت قد أخذت بمظاهره الجنابة ،
ولما كان الساء لا يخرج بالزيت فقد أدركت ماريانا
حتى قبل أن تكشف ما كشفت من عدم أمانته ،
أن هناك حوة واسعة تفصل بينهما ، وأنهما ليسا من
نفسيلة واحدة . فلقد نشأت ماريانا في بيئة متشددة
ضيقة التفكير ولكنها كانت أمينة شريفة بطبيعتها .
أما روي فكان شاباً عديم الخلق ظهرت ثقافته
حتى في الأمور التوافه كالشئ في ورق اللعب . وقد
كان من أثر هذا التفاوت بين الزوجين أن انصرفت

من مشاة قبل ذهاب إلى البيت للعداء . ولكن ما حيلتي وقد وقت في هذا المأزق المخرج !

وحضر البوليس واعتقلنا نحن الاثنين !

وكان اعتراف روى في مركز البوليس كافياً لانهائى اتهامهما شاملاً بالاشتراك معه في الجريمة اشتراكاً تاماً ، فقد روى قصة شيطانية وصف فيها طريق تدبيرنا خطة الجريمة قائلاً : إنه أعطاني الحافطة على أثر ابتعاد التاجر بسيارته عن نظرنا

ومن حسن الحظ أن رئيس البوليس كان رفيقاً ماسونياً في الحفل الذي أتمى إليه ، وقد اشم رائحة السكيد في اعتراف روى تريدواي . وكان الرجل يبرقني منذ سنوات عديدة ويعلم أنني رجل شريف مستقيم ، وقد اعتقد أن تريدواي يكذب في اعترافه ولكن كيف السبيل إلى إثبات ذلك ؟ فهو حيال شكوى التاجر واعتراف تريدواي الذي يهمنى فيه مضطرب لأن يقيني في الاعتقال إلى أن تثبت الوقائع التي تبرر الافراج عني . وبدأ البوليس في الحصال التحريات عن حياة تريدواي فظهر أنه قبض عليه عدة مرات في مدن مختلفة بتهمة تزوير أوامر صرف من بعض البنوك ، وأنه كذلك أهم في كثير من السرقات ، وهو فوق ذلك متزوج بامرأة تقيم في نبراسكا وقد هجرها منذ سنوات. إن ذنوبه من ابغى باطل بطبيعته ثم هو جريمة يماقب عليها

أما ملف سوابقي فكان نظيفاً ، وعلى الرغم من ذلك لم يكن بد من أن أبقي سجيناً حتى يتم التحقيق وتقديم للقضاء . وقد رويت لرئيس البوليس كل ما حدث علي حقيقته وأظن أنه قد تبين خطر

(٤)

لقد كان على العكس من ذلك متبطلاً بانراكي في تهمة .

ولم يحول التاجر مسدسه عنا لحظة واحدة ، بل بقي مصوبه نحونا حتى انتهى من حديثه التليفوني مع البوليس ثم تلفت إلى وقال :

— لقد كانت لعبة محكمة جميلة ، ولم يخطر لي قط على بال أنكم أعدتكمها معاً ، على الرغم من أنني لم أكن رجلاً غيبياً ؛ ولكن من حسن الحظ أن الجريمة التي وقتت على مكنتني من الحصول على رخصة بحمل المسدس ، ولقد أخبرتك من قبل أنني لا أنسى أبداً الوجوه التي أراها مرة ، فلم يقع نظري على هذا الرجل حتى تذكرت كل ما حدث

فقلت في شيء من الضعف :

— إنك غطيتي "باسيدي" فانا لم تكن لي يد فيها حدث

فقال الرجل في هدوء :

— الآن سأقول : واحد

وهنا تلفت إلى تريدواي وقلت :

— قل له الحقيقة فانك تعلم أن لا يد لي في السرقة فخدجني روى بنظرة خبيثة وقال في لهجة العداء والتحدى :

— لا قائدة في أن تنكر أننا كنا متفقين يا أبي فليس الرجل أباه ولا غيباً

وهنا شمعت بدوار شديد يستولى على حواسي فبهكذا كان أسلوب ذلك اللص الشقي في مكافأتي على إحساني إليه وشفقتي عليه ؛ لقد أشركني في تهمة . إذن كان هذا هو انتقامه مني لما كان بيننا

القول الحق ولكنها ابتسمت ابتسامة أشبه بالفرح
وقالت :

— إنه لا يعرف مقدار بنفي له ، فقد ثرمت
الهدوء في حياتي معه ولم أشبكه معه قط في نزاع ،
فأنا أعرف كيف أنزع الحقيقة منه ، وهما أنا ذى ذهابه
لأفضل ذلك

وبهذه الكلمات تركتني ماريانا أسائل نفسي
كيف تستطيع حل ذلك الشرير على الاعتراف بالحق
وأنا أقل هنا ما حدث بعد ذلك من لسان
رئيس البوليس واثنين من المفتشين فيظهر أن ماريانا
قد ذهبت مباشرة إلى الرئيس وادرن فأخبرته أنها
تريد مقابلة روى تريداى لتحصل منه على اعتراف
بميل الحقيقة في موقف أبيها . فأجابها الرئيس بأنها
تعرض لهمة شاقة لأن تريداى مثبت بأقواله
وليس في مقدور أحد أن يزحزحه عنها .

ووكذ الرئيس لماريانا أنه عارف بأنها مظلوم
في هذا الاهتمام وأن حمايماً ماهرأ يستطيع أن يظهر
الحقيقة أمام القضاء . ولكنها رجته في أن يسمح لها
بالمقابلة وأن يسمح لاثنتين من رجال البوليس
بالوقوف في سجن مجاور لسجن روى ليسمعا مايجرى
بينها وبينه من حديث . فوافق الرئيس على طلبها
وهو قليل الرجاء في نجاح مهمتها ، لأنه بالطبع
لم يدرك أحد مبلغ مهارة ابنتي وحديثها ، فإن قراءتها
لجميع صحف الدنيا التي كتبت أحضرها لها لم تذهب
عينا ، ثم هي كانت دائماً راغبة في أن تلتحق بالسرور
ولما دخلت ماريانا على زوى في سجنه وجدته
جامداً مشموماً ، ولكنها لم تلبث أن أنشسته في مهارة

مركزي في الاهتمام على أنه عجب من وضئ كل
ما وضعت من قفة في لص ، ومن رأيه أنني أستحق
الوقوف في هذا المآزق لأنني لم أسلم تريداى لبوليس
في الحال عند ما عرفت أنه لص
ومن الطبيعي أن تجزع سوزان وإسائتي
عند ما اتصل بهما خبر سجنني ولم يفكرا إلا في المار
الذى يلحق بهما من جراء ذلك وأن تكونا متحقتين
من بطلان التهمة الموجهة إلى ، وبدأنا نعملان ماريانا
مسؤولية كل ما حدث ، ثرواجها من تريداى ،
ولكنني تدخلت في الأمر بحزم وطلبت منهما ألا تريدا
في متاهب ماريانا بمثل هذا القوم

وجاءت ماريانا لزيارتي في سجن المقاطعة وكان
قلها يتقطع حزناً على ما أصابني ، وقد رويت لها
كل ما حدث ، فأقبل ثورها نحو تريداى إلى
بغضاء شديدة حين عرفت كيف جعد جميل وتكرر
لاحساني وشفتي عليه ، وقالت إنها مسرورة لمها
أن لذلك اللص الشقي امرأة على قيد الحياة فإن ذلك
يجعل زواجه منها باطلاً بطبيعته دون حاجة للاتجاء
إلى قضايا الطلاق النتبة

وطلبت من ماريانا أن تتصل بمحام كبير للدفاع
عني لخطر الاهتمام الوجه إلى ولظروف الخاصة
المحطة بالقضية من جراء اعتراف تريداى ولكنها
رفضت رأسها عالي وقالت في لهجة حازمة :

— ليست بك يا أبي من حاجة إلى محام
وسيتطلقون متراحم قبل المحاكمة فسأحل أنا ذلك
اللص على الاعتراف بالحقيقة

فمررت لها أن لأمل هناك في عمل روى على

الفرصة التي تطلعت إليها في رحلة هافانا ، فأية مخلوقة
أكون أنا إذا لم أتف إلى جانبك بعد أن علمت بذلك ؟
على أنه إن كان هناك ما يحزنني قليلا فهو أن أبي
قد اشترك ملك في هذه الفانصة ، لقد كنت أود
أن تكون أنت وحدك الذي عرضت نفسك للخطر
في سبيل إرضائي وإسعادى

ومسمع تريدواى هذه الكلمات حتى اندفع في
غير وعى إلى الشرك ، فقد قال على مسمع من رجل
البوليس الواقفين في السجن الجاور لسجنه يسجلان
أقواله :

— أسئ إلى يا ماريانا . إننى قد تشاجرت مع
أيك حين أراد أن يفرق بيننا ، هناك أشركته في
التهمة مى ، ولكن الواقع أنه لم يشترك مى في السرقة
قد غارت هذه النامرة وحدى ، ولكننى أريد
الانتقام منه . هناك سأركه يشاركنى العقاب
ودفعه للنزور إلى المباحة بمنامرته في سبيل
إرضائها ثم قال :

— وموضع الفكاهة في هذه القصة أننى لم
أكن أحمل مسلحاً عند ما هاجمت الرجل ، ولم يكن
في يدي غير مفتاح انجلىزى ، وقد اضطررت أن
أضرب به أباك على صدغه ، على أنه بقى في يدي غند
ما هربت ولا يزال عندي إلى الآن
كان ذلك كافياً ، فلم ينته تريدواى من هذه
الكلمات حتى دخل رجلا البوليس إلى سجنه
فطوقاه . ثم التفتا إلى ماريانا وقالا :

— لقد أحسنت كل الاحسان أبنتا السيدة
الضئيرة

ومفهوم بالطبع أن تريدواى لم يكذب بيقين الدور

تامة إذ طوقته بإساعديها وأخبرته أنها آسفة لعدم
استطاعتها زيارته قبل هذا الوقت ، فقد حبسها أمها
في غرفتها منذ اليوم الذى قبض فيه عليه وعلى أبيها .
والحق أن روى كان شديد الحاجة إلى من يحوطه
بشيء من العطف وقد سقته ماريانا جرعة وافية
من عطفها وحنانها .

ثم بدأت الفتاة تلعب دورها ، ومن حسن الحظ
أن روى لم يكن قد عرف بأن البوليس قد تحررى
من سوابقه ، وأن ماريانا قد علمت بأن له زوجة
شرعية على قيد الحياة . وكان الفصل الأول الذى
مثلته إظهارها الغضب على ، فقالت إنها عاركتنى
عرا كما شديداً لأننى رفضت أن أتبع لها بمرافقتها إلى
المدينة بعد تركه عمله في الجراج . ثم أردفت
ذلك بهذه الكلمات :

— كأنه يستطيع أن يفصلنا أحدهما عن الآخر ،
ويودى أن أرى ذلك المخلوق الذى يستطيع أن يفرق
بيننا . لقد قلت لأبى إننى مستعدة أن أذهب مع زوجى
إلى أى مكان يريد الذهاب إليه ، قلت إن روى هو
زوجى الذى أحبه ويحبى وإنى واثقة أن ليس في
الوجود من أحد يمكنه للتفريق بيننا

وابتلع غرور تريدواى كل هذا الملقى ، ثم مضت
ماريانا تنفذ بقية خطتها ، وكان روى قد تأثر تأثراً
شديداً بأخلاصها وولائها له فقال إنها ملاك في وقوفها
إلى جانبه

فقالت ماريانا قالبة أوراها الأخيرة :

— ولم لا أتف إلى جانبك ؟ ألم تعرض نفسك
للخطر بإرتكاب جريمة السرقة حتى لا تقطع على

الذي مثله ماريانا ويرى نفسه قد اندفع في بلاهة إلى الشرك الذي نصبته له ، حتى هاج وتناز داخل السجن راميا ماريانا بكل ما في القاموس من ألفاظ السباب مكرواً : غائنة غائنة ..

لقد كان ما حدث لماريانا حنة ونجربة من تجارب القدر ولكنها خرجت منها ظافرة . وقد أفرج عني في الحال بعد هذا الاعتراف الجديد الذي سجله أحد رجل البوليس وشهد عليه زميله

وروى تريبواي يقضى الآن مدة الحكم الذي صدر عليه في سجن الولاية . على أنى بعد الذي حدث لم أنقذت قتي في الطبيعة البشرية ، ولا أزال مستمداً لأن أهي فرصة الإصلاح لأي إنسان ،

ولكني قد أدركت شيئاً آخر هو أن من المستحيل إصلاح مجرم متعود الاجرام مثل روى تريبواي أما فيما يتصل بماريانا فاني واثق من أن بعض المخرجين لا بد أن يكون في حاجة إلى مثلها ، فقد برهنت على كفايتها للتأددة في تمثيل المأساة ، وقد وفرت على نفقات المحامي الكبير ووقفتي طار الوقوف أمام المحكمة . وإنى لأتساءل غالباً : أليست ابنتي أرق طبيعة من أن تحتمل التجربة التي مرت بها في الحياة وإذا لم أكن أنا بعد كل الذي حدث قد أصبحت في عدم إخباري ماريانا بما عرفته من أسر زوجها قبل سفرهما في رحلة شهر السمل !

عبد الحميد حمدي

بنك مصر

انقذت الجمعية العمومية العادية لمساهمي بنك مصر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٣٩ بدار البنك بالقاهرة . وبعد التصديق على تقرير مجلس الإدارة لسنة ١٩٣٨ اعتمدت الحسابات عن السنة المذكورة . ووافقت على صرف مبلغ اثنين وثلاثين قرشاً أرباحاً لكل سهم مقابل تقديم الكوبون رقم ١٨ ابتداء من يوم الاثنين ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ إلى مركز البنك الرئيسي بالقاهرة أو فروعه بالأقاليم . وبما أن الكوبون المشار إليه هو آخر كوبون ملصق بالأسهم فترجو حضرات من يحفظون لديهم أية كمية من أسهم البنك أن يقدموها لمركز البنك الرئيسي بالقاهرة ابتداء من يوم ٣ مايو سنة ١٩٣٩ لالصاق كموب جديدة بكوبونات أخرى .

وستحجز من قيمة الكوبون ضريبة الحكومة بواقع ٠.٧٪ مضافاً إليها خمسة مليات عن السهم الواحد نظير إلصاق الكموب الجديدة .

عضو مجلس الإدارة المنتدب

محمد طلعت حرب

الملاك

للقصصى التشيكي كارل كابل
بقلم الأستاذ إبراهيم حنين العقاد

وراح يذرع حجرته جيئةً
وذهو بأولقاني يسود نفسه لفساد
برامج أعمده لفضاء ليلته... لقد
أراد أن يقضها مضجعا على المقعد
الطويل والكتاب في يده وضوء
الصباح المزيل يداخل نفسه
بروح من الهدوء والاستقرار..
يا للنجيب ! لطالما برم بهذه

الضجعة وكرهما في نفسه ولكن... لأى سبب
تراه قد أحبها الآن ؟ أى سر غامض جعل هذا
الاحساس يسوده فيحب وحدته ويفضلها على كل
شئ. وبخاصة في هذه الليلة التي وصلته فيها البرقية
التي أمسك بها في يده وهو تحت سلطان الفكرة
الجديدة الطارئة فقلبت رعدة من طفولته القديمة
وسرعان ما كان يمزقها إربا ؟

ما أسرع ما يغيرنا الزمن . وما أقصرها فترات
تلك التي يحلمنا فيها تتحول من حال إلى أحوال !
لقد تغير إحساس الشاب عند ما كان ينتظر في ذلك
الجو الرطب مقدم الفاتورة التي تأخرت عن موعد
وصولها... سادته إحساس من الأسمى والرأى إذ كان
كل ما حواليه يوحى بالفاقة والفقر والبؤس... تلك
أشياء لمسا بحسمة في وجوه أولئك المنتظرين هباء
أو القادمين وقد مستهم الضراء وعبث السكالك
بأجسادهم المزهلة المرهقة

ووسط زحام جوع القادمين استطاع أن يتعرف
كيان شقيقته الضامر وأن يلمح وجوها للشاحب
وعينها الشاردتين وهي تميز متهاكة نجر وراها
حقية كبيرة، جعله مرآها يستند أن شيئا ما قد دم
شقيقته الممزقة

غلبه الهاء ثائية وهو يتناول غداءه وأحس
برأسه يكاد يتفجر فأستند إلى راحة يده في الوقت
الذي انصحت فيه مدبرة البيت رائية له وقد آتوت
ركه مضجعا على المقعد الطويل ناعما — كما خيل
لها — راحة كانت في الواقع عذابا كابد السكين
قسوته . فقلبه غير منتظم الضربات ومعدته قد
استعالت في ثقلها حجرا ، وشمز وقد خارت منه
القوى رغبة في النوم ولكن... آه ! لو أن الكري
وأنه وكل السهاد عينيه !

وصرت ساعة حادت بمدرة البيت تدق
بإبه لتعطيه برقية فضا مسرعا وقرأ :

٤٠ - ٧ × ١٠ - ١٩ أصل الليلة

« روزا »

أية ليلة تراها هذه الليلة ؟ تلك كانت الفكرة
التي شغلته والتي وقف حيالها في حيرة والبرقية
في يده محاولا أن يفسر طلاسم أرقامها ؛ وبعد جهد
استطاع أن يفهم أن شقيقته المتزوجة روزا اتصلت
في قطار الليل وعليه أن ينتظرها فرميا حضرت
لشراء بعض حاجاتها ولكن... لمن الله تقيصة
التسرع في خلق النساء ! إذ حرمته دون مبرر بعض
راحة كان ينشدها

أدغم على سماعها خاصة بطريقة الزوج الميشية وكيف
يتناول الطعام ويقابل بالشر ماتسديه زوجته إليه من
الخبر، وإذ لهما الهامم وتحقرها والشاجرات التي تنشب
بينهما في وحشية، وأحسن السكين بموجات من
الاشفاق تطفي عليه غفيل إليه معها أنه من النخب أن
يتحمل كل هذا دون أن يحتاج أو يحرك ساكنا

ونظر من خلال أساء إلى تلك الشابة السكينية
المهذبة التي غلبها الضنى وأدوى عودها الغم وهي التي
ما عرفت الخنوع ولا رزيت الهانة وعاشت مدلة
محبوبة ثورية ذات كبرياء وأفنة ... هذه الفتاة التي
كانت تناقش ولا تخضع لأرى، والتي كانت ميناها
توهجان يبريق لامع يمر عن الداء ... المسكين !
يجلس الآن وقد جرحها سيول الحزن وفاضت مدامها
وتهدج صوتها الطروب حتى كانت تتكلم بصعوبة
لم تحتلها أعصاب جورج الذي صاح يريد إسكانها
وهو يتألب أحاسيسه الزائفة :

— كفى ... إنني أعرف كل شيء

وغارت قوى السكين ولم يستطع إتمام حديثه
في الوقت الذي زاد فيه تشيج روزا وهي تقول :
— لا تقل هذا ... إنني ضالة في هذه الحياة،
وليس لي في هذه الدنيا سواك

واتسع المجال للبكاء فلما صوتها وهي تقص
مأساتها وما حدث لها وصوتها يتلون مع رهبة
الحوادث وقصوتها ... ونجاة توقفت عن البكاء
وسألت شقيقها :

— وأنت جوزج ... كيف حالك ؟

— بالنسبة إلى أعترف لك أنني لا أستطيع

واستقل الشقيقان حربة أسرعتهما إلى البيت
دون أن ينسى خلال الطريق أن يمرض عليها البيت
في فندق يستأجر لها إحدى حجراته إيماناً في وفير
راحتها ولكنها لم تجبه إلا بسيل من الدموع هلكت
بعض قطراته بأهدابها فأسك يدها الضامرة بيده
وراح في حنان يربت عليها . ولكن كانت سعادته
عظيمة عندما اكتسى وجه المسكينية بإسماة مشرقة
وهي تنظر إليه نظرة الممتنة الشاكرة ولكن سرعان
ما تغير كل هذا عند ما وسلا المنزل وجلست روزا
على المقعد الطويل تحوطها الوسائد ... كانت بادية
الرجفة شاردة للنظرات ناريها مرشحة للشفقين مما
روع شقيقها فأقبل عليها مستفسراً طالباً منها أن
تكون في حديثها أكثر هدوءاً خشية أن تمزق
سكينية الليل وهي تكلمه في عصبية نائلة :

— أقول لك إنني فررت ... هربت من زوجي ...
آه ! لو أنه كان في وسلك أن تصور مدى آلام
تقال كنت أنوء تحتها ولكن لا ... إنك لن تستطيع
أن تصدق كم كان يكرهني ... أخى ... لقد فررت ...
هربت من بيت الزوجية وأبتلاك طالبة نصيحتك
وإرشادك ...

وانفجرت السكينية تبكي بدموع غزيرة بينا
تجهم وجه شقيقها جورج، وراح يحضو داخل الحجره
في عصبية ثائرة تصور خلالها حياة أخته مع زوج
لا خلاق له يتمدد ترقبها وإهانها أمام الخدم ...
لا يعرف غير ملاهيه وملاذه يبول فيها ويصول ثم
يقتر ويثقل يده إلى عنقه إذا ما طالبت زوجته السكينية
ببعض ضروريات الحياة ... أية قصة تراها تلك التي

الشكوى ولكن .. بالنسبة لك .. هل تنوين المودة
إليه ثانية ؟

— أنا .. عال ... هذا مستحيل لن يحدث
بل إن أوثر الموت على ذلك ... آه ! لو أنه كان في
وسمك أن تصور أى حياة كنت أحيها !

— حسن ... ولكن انتظري ... في هذه
الحالة ما الذى تنوين عمله ؟

لقد فكرت في هذا قبلا ... سأقوم بمهمة
التدريس أو ألتحق بأى عمل ما ... لا تجب فإن
الزمن كفىل باقتناعك أنى مستطية النجاح في عمل
وبأنى سأكون سعيدة إذ أربح قوتي بنفسى ...
لست أطلب إلا نصيحتك وتشجيعك .. أما مسكنى
فما أجده سرياً في أى مكان ولكن فكرى قليلا ..
ونهضت من مكانها في عصبية وراحت تلزع
الحجرة إلى جانب جورج وحى محمدته قائلة :

— إن للفقولات القديمة التى تركها أبوانا
ستكون من نصيبى ... لا تنتظر إلى هكذا حتى أتم
حديتى ... لست أريد شيئاً ولكنى أريد أن أعيش
في هدوء وسلام غير هابطة بكونى فقيرة ، لأن أقل
فىء سأجد فيه كفايى ما دمت بعيدة عن ذلك
الجو ... إن العمل هو غايى وإليه أصبو ... سأفنى
لقد مرزمن طويل لم ترد فيه شفتاى أى لحن ..
سبورجى ... آه لو تعلم !

— تطرقين أبواب العمل ! ! إنى في شك من
تحقيق ذلك بل إنى أؤكد لك أنك لست مستطية
هذا لأنه فىء لم تمتد نفسك ... ستجدين العمل
صعباً ... صعباً جداً يا روزى

— كلا ... أنت لا تعرف كيف كنت أعيش ...
أى آلام كابدت حزانتها وأى تقريع كان يوتر
أذنى ويضى جسدى من أجل القصة التى كنت أتبلغ
بها أو لكساء الذى كان يسترنى ... لا أستطيع
أن أعمل ! ! كلاً أنا واثقة من قدرتى على العمل
وسترى بنفسك كيف سأخطو بنجاح وكيف
سأكون سعيدة في حياة أغنيها مظلة بالهدوء
والأمن ... سأجدراحة النفس في كسرة جافة أمسك
بها رمق وهدوء الضمير في مكان خشن أوى إليه ...
شجعتى بكلمة ... قل إنه باستطاعتى أن أصبح إحدى
النساء اللاتى يعملن ويجاهدن من أجل العيش ...
وحق لو ما كنتى الظروف سألتحق بأحد المصانع ..
ها أنت ذا ترى أنى عدت للأمر عدته تماماً ...
أيها السموات الرحمة ! ! أى أمل براق هذا
الذى جميله يداخل نفوساً عظيمة ! ! لقد أحس
جورج بالحجل يمحله إذ كان ينظر إلى العمل نظرة
غريبة حورتها هذه الفتاة المشبوبة الجاس ...
هاهى ذى تموداً هواماً إلى الوراء .. إلى أيام طفولتها ..
إنها لا يد مصيبة كل نجاح ... بل كيف يقدر لى لها
مثل هذا الروح أن تلقى الفشل ! ؟
واستطردت روزا ثانية تقول :

— سأفامر وإنك لترانى مقدمة على هذه
الفاصة ... لن أقبل مساعدة من مخلوق وسيكون
في وسمى أن أربح وأن أزن مائدة طماى يبيض
الأزاهير ... وحتى هذه الأزاهير إن عز على نيلها
سأكتفى بأن أراها وأن أجتاز للطرقات ... أية
أحسسى طاغية غمرتني بالهدوء عندما ما استقر رأيى

ولما وأن يشد أزرى لأقوم بعمل عظيم .
 كان الأب في تلك الليلة غارقاً في نوم عميق بينما
 كان الأخ يستشعر الظلمة في نفسه فضم الصغيرة إليه
 ليحميها في صدره إذ كانت ترتعد من برد الليل وهي
 أحلاسها ... وهو نعيم من السماء إلى الحديقة وعلا
 صوت الصغيرة روزا تقول « جورج ... » وأجابها
 أن نعم وهو يفكر في نفسه في ذلك العمل العظيم
 الذي تمنى القيام به ... أيها المخلوقة المسكينة
 النيسة ... أي عمل جليل هذا الذي تحلمين به ؟
 إنك إذ تحلمين بالبرد تبذرين الراحة وتحملين كنفك
 الرقيقين من الانتقال والمهوم ما لا قبل لهما بحمله ..
 نعم إنك لست بالقادرة على شيء وحتى لو أردت
 أنت عمدي بذلك لصرخي البرؤس لجرتك أيديهم
 إلى الهاوية .. وسمع وهو في وقفته تلك همس الصغيرة
 وهي تناديه ثانية : « جورج » قالت في إليها قائلة :
 « أنصت إلي .. لقد فكرت في الأمر فلم أجد من
 الأعمال ما يليق بك ... إن هناك أعمالاً كثيرة ،
 ولكنك لست مصيبة منها الريح الذي تبتئ .

وأجابته وهي في هدوء :

— سأرضى بالقليل

— كلا ... انتظري لحظة لأنك لا تعرفين
 معنى قولك .. ها أنت ذي ترين أنني سعيد بعمل قانع
 بمرتبي ، بل وقى وسى أيضاً أن أحصل على عمل
 آخر « بعد الظهر » ولكني لا أريد لأني لا أعرف
 أي عمل سأمارس ولما أعرض عليك بعض المال
 — أي مال تمنى ؟

— سأتنازل لك من نصبي في أرباح ترعة

على الحرب ... للفرار من ذلك الجحيم الذي كنت
 أعيش فيه ، وما أبعد الفرق بينه وبين حياة بدأت الآن
 أراها طالما احتلت خيالي وتفكيرى ... كم أنا مسيدة !
 — أيها المجنونة الصغيرة ، إنه ليس بالأمر السهل
 ما تفكرين فيه ... ستفكر سوياً ولكن ... عليك
 أن تريحي الآن جسدك المرهق على ألا تتحدثي
 في هذا الأمر واتركيني إلى وحدتي فإني بمض
 أفكار . وحتى إذا ما طالنا الصباح الجديد بأشوائه
 صارتك رأيي في الأمر الذي تنتوين ... اذهبي
 الآن لتتناي .

كان من اللعب إقناع روزا باحتلال فراش أخيها
 إذ سمعت على قضاء ليبتها نائمة على القمد الطويل وهي
 في كامل ملايسها ، الأمر الذي لم يجد جورج معه
 إلا موافقتها ، قدرها بكل ما لديه من عطاء دقة ثم
 أطفأ الصباح ، فساد الهدوء السكن إلا من تهديدات
 صدها التي كانت كمن تستصرخ السماء مطالبة بالرحمة .
 وفي دعة فتح جورج للنافذة لتنمر الحجره
 نسبات هذه الآلة الهادئة من ليالي أكتوبر وقد
 صفت السماء وراحت النجوم تلعب على صفحاتها ...
 وجرت به الله كريات إلى الماضي أشواطاً بعيدة ...
 تذكر ليلة ما وما صغيران : هو وروزا ، وقد وقفا
 مثلثتين إلى جانب النافذة في إحدى الليالي الباردة
 يرقبان الشهب وهي تنتقل من بروجها وقد جعل
 جسد روزا يهتز أرجحت رياح الليل به ... إن صوتها
 الساذج المهنون ما زال يتردد في سمعه وهي
 تهمس قائلة :

« عند ما يهوى نعيم سأعني على الله أن يمجلى

بقدمك ... أنظري إلى السماء الصافية رصبتها لآل
النجوم الدرية ... ألا يبعد صراخها إلى خيالك ذكرى
ليلة وقفنا فيها صديرين إلى جانب نافذة بيتنا نرقب
النجوم وهي تهوى !؟

وحول وجهها عنه وقد حرته صفرة رهيبة ،
ونظر إليها فروعه ذلك البريق الخفيف الذي انقادت
به حينها وسحبها تقول :

— كلا ... لست أذكر شيئاً مما تقول ، بل
لا أعرف للآن أى شيء يجعل هذه الذكرى حبيبة
إلى نفسك !

وغلبته الفرحة وهو يقترب منها سميحاً وقد
جمل عن راحة يده على شمرها الأملس وهو يقول:
— دعي الآن حديث المال ... ما كان أترك

عند ما فكرت في الحضور إلى هنا ... أيتها السموات
كم أأأسيد لأن النافذة انشقت من بين المراتب
المديدة ... هل تصورين هذا ؟! لم أكن أهم بغير
نفسي حتى لقد برمت بها ... أتذكرين ؟! أترك
تذكرين ليلة تساقطت النجوم فيها ... ما عساها
كانت أسيتك التي أردت ؟! وهذه الليلة ... أية
أمنية تجول بخاطرك لو هوى نجم .. أى شيء
تطلبين ؟

— شيء ... لا ... وأطلب شيئاً لك ...
حدث تمناء ، أطلب من السماء أن تحققه لك

— ليست لي مطالب ولا رغبات ، وإنى
أشكر الله على ذلك يا روزا .. والآن .. هل فكرت
في شيء ؟ انتظري حتى الغد فاستأجر لك مسكناً
يشرف على مناظر بهجة ... (إنك لن ترى من هنا
(٥))

والذي ... إنه مبلغ تحصلين منه على إيراد سنوى
بما يعطى خمسة آلاف جنيه
وهبت الفتاة صارخة :

— هذا مستحيل
— أوه ! لا تصرخي ... إنها الأرباح فقط
فأذا لم تريد بها قبوسك عدم صرفها

— وأى شيء سيتبقى لك أنت بعد ذلك ؟
— لا تهتمي بهذا ... كثيراً ما غلبني الخجل
على أصري من العمل « بعد الظهر » ... والآن ...
هذا المال يضابقى وجوده فهل تريدته أم لا ؟!

واقتربت الشابة من شقيقها ثم طوقت عنقه
بذراعيها وقربت من وجهه وجهها المندى بالدموع
وقالت والفرح غالباً :

— جورج ... لقد قبلت ما عرضته على وهو
شيء ما فكرت فيه ... أقسم لك أنى لم أكن أنتظر
منك أى مساعدة ولكن ما دمت أنت تريد ...

— دعي هذا الآن فليست له الأهمية التي
تظنين ... إن هذا المال يا روزا ليس بذى الأهمية
بالنسبة إلى ... يجب على الرجل أن يعمل ... إلا أنى
أعود لأسألك : وماذا عسى أن يصنع رجل واحد؟
إن الطوائف والانتجوال مهما طال به أسرها فانه
لا بد حادثة أخرى إلى نفسه ... إنه لأشبه
ما يكون بإنسان تحوطه المراتب من كل جهة بحيث
لن يرى إلا صورته التي تنطق بالوحدة ... أه أيتها
العزيزة لو أنك تعرفين المني الخفيف من كل هذا ؟
لا . لا يا روزا ، لن أجعلك تصورين كل هذا المول
بل أرى أنه من واجبي أن أعترف لك بأنى سميح

عينها على ثقب في البساط ونظرت إلى جورج فجري
دم الخجل في عرقه وهي تسأله :

— وإذا روزا هنا ؟ لقد تركت بيت زوجها
لأنه كما تقول يعتمد إهانتها ... قد يصح وقوع هذا
ولكن ... لا بد لكل شيء من سبب ... لقد كان
زوجها ملء الحق في كل شيء فله ... إن روزا ...
لست أدري بم اسمها ... إنها ليست بالصالحة لكي
تكون زوجة ... لا أولاد لها ولا عمل ولذا لا تراها
تتهم إلا ... بنفسها ... إنها مبذرة جملة السكين
زوجها يفرق في الدين ثم تركته ... ألم تلاحظ
ثوبها ؟

— لا ...

— إنك لا تعرف كم يساوي ... إنها تشتري
الفراء بالآلاف الجنيهات لتبسه بعض الثابت كي تشتري
بها أحذية ثم تخفي قوائم المطالبة بالدفع فتصلهم
الإنذارات ... ألم يصلك نأ هذا ؟

— كلا . فإني تعلمين أنه لاصلة تربطني بزوجها
— إنه غلو ق عجيب ... يشور عند ما ترك
نوبه دون إصلاح وتتفنن هي في زينتها حتى تبدو
كأحدى الموقات ... تنشى المجتمعات وتصابح
الرجال و ...

— كفى ...

— ربما تكون قد أفتنتك بأنها ستقوم بتدبير
شئون منزلك فجعلتك تترك مسكنك إلى آخر آخر أكثر
بسة ... إنها ليست في حاجة إلى كل هذا لأنها
أحضرت معها إلى هنا ... ضابطها ... لقد صدر
أمر بنقله إلى براغ ولهذا هربت من بيت زوجها

سوى فناء البيت ، ولكم يحز في النفس ألا تنم
دواماً برؤية السماء وما على صفحاتها من نجوم لامعات
وغادر الحجر وقد غمرته أحاسيس غريبة بين
صور بسة للمستقبل وسعادة موانية ، ثم عاد إليها
ثانية فأنق روزا وقد دأب الوسن جفنها وهي تنظر
ناحيته قربة هادئة ، فراح في نشوة من غيظته
يتصنع الصنف لسله واحد فيها مسكناً جديداً
يرضها ... وهكذا ظل حتى طالع الصباح وهو
بأفكاره جد قدير ...

وبدا جورج حياة جديدة وانتقل إلى مسكن
جديد واعتاد أن يؤدي الكثير من الأعمال الإضافية
التي أرهقته يادى ذى يده ولكنه اضطر إلى احتياها
إذ كان يسمع صوتاً داخلها يقول له : « تحمل لأنك
لا تمش لنفسك فقط بل من أجل غيرك » حقاً
لقد كانت تلك حياة جديدة بالنسبة إليه ...

وحل على جورج في يوم من الأيام ضيف جديد
كان أخته الأخرى تيلدا المتزوجة من أحد أصحاب
المعامل القريبة من المدينة والذي لم يصب في عمله
نجاحاً كبيراً . وقد اعتادت كلما حضرت إلى براغ
أن تزور جورج فتقص عليه من سيرتها وسيرة
أبنائها الثلاثة الصغار للشيء الكثير حتى لكان
العالم قد أفرغ من فيه إلا أطفالها ... ولكن زيارتها
هذه كانت غريبة رؤيته ، فقد قلبه هماً ودهية ،
إلا أن الهدوء داخله سرياً عند ما علم أن الأولاد
الثلاثة بخير ، وأن للعمل يسير من سي إلى أسوأ
وأنها حضرت إلى المدينة لتبحث عن قبل أن
يشتره ... ونظرت حولها نظرة غريبة ثم استقرت

— تأم أنت يا جورجي ؟ كيف ... ما أكثر
ظلة هذا المكان ... أين أنت ؟

— كنت مشغولاً ...

— أنصت إلى ... لقد فكرت أن أتيت هنا
مباشرة ولكن فكرت في أنك ربما لم تمد إلى البيت
— لماذا ... وأين تظنني ؟ أكون ؟ أعلن

أنك أنت لم تكوني في بيتك

— أي مكان تظني كنت فيه ؟ ما أجهل مسكنك
هذا وما أعد فرسى لأني ملك ... تعال ... تعال
واجلس إلى جانبي ... انني سيدة ...

وأسند وجهه إلى فراشها الذي تندي برطوبة
الخرشف وقال يحدث نفسه « لها ذهبت إلى مكان ما
فأشأني أنا بذلك ؟ » ، ولكن ذلك لم يكن دامياً
ليدخل الهدوء نفسه إذ جعل قلبه يدق مرعاعاً
فأخاف روزا وقالت له :

— ما الذي حدث ؟

— لا شيء ... لقد زارتني اليوم تيلدا ...

— تيلدا ... وتحدثت في ؟ ما الذي نقلته
إليك ؟ تعال ... تكلم ... إنها ولا يد سبتي لك ...
ما الذي قاله ؟

— لا شيء قلت لك ... بعض أخبار صغيرة

واضجعت الشابة باكياً موهة وهي تقول :

— المحلقة للفترة التي ما أحست طوال حياتها
نحوي إلا بالغيرة. وماذا عساي فاعلة إزاء هذه الظروف
التي تناصبني المدا ... إنها ولا يد قد أنت عند
ما حرفت ما قلته من أجلي وما قدمت لي من المال،
وإنني أقسم لك أن لو كانت هي وزوجها في مبحوحة من

وحضرت إلى عنا مع عشيقها ... إنها دون شك
لم تخبرك بشيء من هذا

— تيلدا ... إنك تكذبين

— حق بنفسك هذا الأمر ... إنك طيب
القلب ولولا شيء لك ما صارحتك ... إن روزا لم
تهم بك في يوم من الأيام حتى إنها قالت منك إنك ...

— كفى ... اذهبي ... اذهبي أنوصل إليك
واتركيني أنم بهدوء أطلبه

— سأذهب ولكن ... إن المكان هنا قذر
وجدير بك أن تبحث عن آخر أكثر ملائمة لك ...
إنك لترى الظلمة تعود ... هل أرسل لك ...

— لا ... لست أريد شيئاً

— حسن ... أنا ذاهبة ... إلى اللقاء يا جورج ...

واحتوت العدة بيده المحموم وجف حلقومه
وحاول دون طائل أن يؤدي أي عمل فلم يجد سوى
أن يحلم القلم ويمزق بعض الأوراق، ثم غادر مسكنه
ذاهباً إلى البيت الذي اتخذ من أحد أقسامه مسكناً
لشقيقته روزا، ولكن مديرة أخبرت جورج أن
السيدة الصغيرة قد خرجت منذ الصباح ولم تعد وإن
كان لديه خبر يستعجله لها، ولكن الشاب التأثير
تركها دون كلمة وادبى نفسه كمن يحمل على كتفيه
أثقل الأحمال حتى وصل مسكنه فوجد باباً وجلس
إلى نضده محاولاً أن يعمل ولكن الساعات صرت
دون أن يفرغ من الصحيفة التي أمامه كما أن الليل
خيم دون أن يفكر وهو في جلسته أن يوقد المصباح.
وأخيراً دق الجرس دقائق مرحة ولم تمض لحظات
حتى كانت روزا أمامه تبتسم في حنان وهي تسأله :

الزرق ما فكرت في طرق بابك أو التحدث عنك
كأنسان تربطك بها وشيجة الرحم ... إنها تريد كل
شيء لها ... لأولادها ... هؤلاء الملاعين الصغار ...
— لا تطرق لهذا الحديث بلأ وكني من ذكر
هؤلاء جميعاً ...

— بل، إنها تريد أن تفسد كل شيء وأن
تحمّل حياتي بل إنها لم تكذب تعلم بما أصبته هنا من
هدوء بل وراحة حتى أنت تنفس على عيشي ...
صارحنى ... هل صدقت ما قالته لك ؟!

— كلا ...

— أنا لم أكن أطلب من شيء سوى أن
أستمر حربي ... أوليس من حق أن أُنشد
السعادة ؟ ما أردت شيئاً ولكن نلت بعض ما كنت
أبني وهما هي ذى قد أنت ...
— لانهتى بذلك .

وقام من مكانه ثم ذهب إلى المصباح فأوقده
وعاد يطيل النظر إليها وهي مطرقة الوجه وشفاتها
زردتان ... ما أجلها وأبدع هذا الثوب من
الشباب اللفاتن يزيدا روعة ! كانت في رداء قشيب
وقفازين سنيرين أفضحاً عن عاضن يديها وجوارب
حريرية ... كانت مضطربة الأعصاب فتركت يديها
المرقعة تبيت بخيوط القميد الكبير ... وتهد
ثم قال لها :

— هل تسمحين ... إن لدى بعض أعمال
تطلب الانجاز .

— حسن ...

وقامت من مكانها وقد تجسست في هيئة تمثال

خائف مشبك الذراعين على صدره وهي تنظر إلى شقيقها
الذى رفع إليها وجهه، ثم تمّ ألا تجزمى وعاد
ثانية ليواصل عمله . وكان العمل المستمر هو سلواته
الوحيدة في غده إذ ظل منكبا على أوراقه من مطلع
النهار إلى غروب الشمس عند ما أته ثمانية روزا وإذا
نهض ليتبينها طابت منه في خمس أن يستمر في عمله
لأنها ستجلس قبالة ... وحاول جورج أن ينفذ
طلبها دون جدوى إذ كان يحس أن عينها النافذتين
المتكنتين بشئ الأحاسيس والمواطف ما انفكتا
تنظران إليه وتدعيان للتطلع إلى وجهه ... وجاءت
حكما تقول :

— لم تات اليوم لزارتي وقد انتظرت مقدمك
دون أن أبارح البيت ؟!

ووضع جانبا القلم ثم التفت إليها ... كانت
في ملابس سوداء رشيقة وقد اكتسى وجهها صفرة
وشحوبا ... وأجاب :

— بخيل إلى أن الجو أكثر برودة هذه الليلة
— لا شك أنك تعرف ما آل إليه حال تيلدا .
إن زوجها رجل ساخن تنره الظواهر ولما لم يعرف
كيف ينظم أعماله فسادت ... كان له عميل سرقة
وغرره بالأمان فسادت العاقبة ... إنه على شفا
الافلاس، وهما م أولاد مقبول على مصير غامض وقد
كان جديراً به أن يفكر قبل تورطه في مصير أولاده
— لا أعرف عن هذا أى شيء ...

وسكنت روزا على مضض ولكنها لم تياس ثمانية
من مهاجته وآثرت أن ترى آخر سهم في جيبها
فقال متنمة :

فيشرد الأطفال وبصبح أكرم شارل الذي نجى
بالمستقبل شعاعاً منبوذاً ... وأنا واثقة أنك ستحضر
لافاذاً وأنتك سوف تحب الأطفال

لك حبي أنا ... أختك النعمة : (يلدرا)

حاشية : — « أما ما قلته لك من روزا
وأكدت أنت لي كذبه فأخبرك أن زوجي سوف

يحضر إلى براغ ومعه حجج دامغة تثبت صدق
ادعائاتي ... إن روزا لا تستحق حديقك وعطفك
لأنها لطخت بالمار هاماناء وغير لها أن تعود إلى
زوجها، وإنه لصانع عنها كي تترك لأولادى الصغار
لقمة العيش التي بها يتبلنون »

أي ضيق هذا الذي يحسه ... إنه من العيش أن
يستمر في عمله على هذه الصورة من الارتباك الذهني،
وإنه غير له أن يفادر مسكنه إلى الخارج عساه
يستطيع أن يروح عن نفسه ... واعتزم الذهاب
زيارة روزا ... وصل إلى مسكنها ولكنه لم يكده
يقدم على دق بابها حتى سمع من الضمير صوتاً نهائياً
فأدأدراجها متلصصاً، وإذ هو في الطريق أبصر شاة

تنشج بالفراء مثقلة بذراع أحد الضباط غث
الطغي خلفهما كاشق تثبت الثيرة به ، ولكنه
لم يجددها روزا ... كانت فتاة أخرى فائنة متبرجة
فيهم شعر مسكنه ولم يكده يلججه حتى أتى روزا
المسكنة مستقيمة على المقعد الطويل غارقة في بحر
من مدامها وبغفرتها منها سقطت رسالة تيلدا التي
تركها جورج عند مغادرته السكن ... وأحس
يقدم أخيه فقلات له متوسلة بصوت خفقت الدموع
نبراته :

— يا شقبي السكنين ... رأيت هذه الخالفة

— ولا ساء حال زوج شقبي تيلدا إلى هذا
الحد بل إلى زوجي ملتصقاً به ولكنه رفض إذ كيف
يقت زوجته على مال وقد كان لها منه ثلثائة ألف
أضاحاها

— وهل هناك من سر جمالك تصارحيني
بما قلت ؟

— رغبة مني في أن أجعلك تنقف على الحقيقة
لأنك طيب القلب وتحب مساعدة الآخرين ...
— هذا لطف منك

لم يحول حينه عنها وهي في مكانها وقلبه يدق
مضطرباً بين جنبيه ... لكن كان في شوق إلى سماع
كلمة حنان منها تصارحه فيها بأنها تود أن تبحث
من عمل ولا تمشي عالة على الآخرين . تقوم بمنجسته
اللزنية ... تترك مسكنها النخم إلى آخر ولكنها
لم تفعل بل راحت تطيل النظر إلى النافذة ثم بدأت
حديثاً آخر

وفي اليوم التالي تلقى جورج من شقيقته تيلدا
الرسالة التالية :

عزيزي جورج :

لكن أسفت إذ تركتك في مثل حالتك ولكنها
الظروف ... هي أيضاً ما حدا بنا إلى الكتابة ثانية
إليك لأصارحك أنه قد ساءت حالتنا ولن نستقيم
إلا بعد أن ندفع خمسين ألفاً نحن زيمان بأنها لا بد
حادة ، لأن المستقبل لصناعتنا ويوسى أنا وزوجي
أن نمطيك للضمان الكافي للتسديد في ظرف عامين
لو أنك دفعت ديننا وأقذتنا من هاوية الفقر ...

إنني أعرف فيك طيبة القلب وهي التي ستدفعك
إلى مساعدتنا ولإساعت المأقية وعضنا الدهر بناه

أسكنتها فأحنت رأسها وانصرفت
وفي اليوم التالي طرق باب زائر... كان زوج
تيلا الضخم الجثة الذي يشبه البكلب في ملامحه..
ولقيه جورج متجعجا ولم يتم احتراماً لمقدمه
كي يتركه واقفاً ثم سأله في لهجة آسرة :
— ما الذي تريده ؟

وروع الحديث المفاجئ الضيف القادم فأرجح
عليه وقال :

— أنا... أنا... إن تيليا هي التي أرسلت هذه
الأوراق التي طلبتها أنت...
— أنا ما طلبت شيئا

— لقد كتبت تيليا إليك أيها الأخ وشرحت
ظروفنا... فإن كنت تريد مشاركتنا العمل، وإنى
أؤكد لك أن المستقبل...

وفي هذه اللحظة انفرج الباب في ببطء وأطلت
روزا التي روعها أن ترى زوج تيليا... وقال
جورج لها :

— ماذا حدث ؟

— جورج...

— لنرى أحوال وزائر كاترين... هل تسمحين ؟
وفي رهبة قدم زوج تيليا الرسائل وهو يقول :
— وهذه يا سيدي هي الرسائل التي كتبها لنا
زوجها وبعض أوراق أخرى...

وتهاكت القصة وأمسكت بالباب إذ خاتنها
القوى في الوقت الذي ضمت فيه شقيقها يطلب من
القادم أن يسطيه الرسائل، فلما أخذها لم يكف نفسه
عنا تصفحها بل أعطاهما أخته وهو يقول :

— خذني هذه... واسمعي لي أن أقول لك

القصة التي تريد أن تسرفك علانية؟ لا تعطها شيئا
ولا تصدق كلمة مما قالته... إنك لا تعرف أي نوع
من النساء... ألم تر إلى تهكما كيف تصبها كذبا
هل ؟ ما الذي فعلته لها ؟ ما أروع هذه الأفكار...
إنها لا تريد شيئا سوى المال وعن طريق سلبك.
مالك تعمدت الإساءة إلى...

— إنها أم لأطفال باروزا.

— تلك هي ذريتها الأبدية... لطلالما سرتقتنا
وما كانت لهم بسوى المال.. تزوجت من أجل المال.
ألا تذكر أن أمانيا وهي طفلة كانت تنحصر في
غنيها الغني واليسار...؟ إنها مخلوقة شرسة، فهل
لك أن تدلي على ذلك الشيطان الذي قمصها ؟
إنها تريد الآن أن تسرقني فهل أنت يا جورج
معتبها هذه القصة ؟ هل ستختص مني ؟ لخبر
لي أن ألقى الموت غرقا من أن أعود ثانية

وكان جورج يسممها وهو عني الرأس...
أجل.. إن هذه الفتاة تقاقل من أجل كل شيء..
تقاقل تيليا.. بل تقاقله هو نفسه إن حاول أن يسلبها
شيئا... للسال... ودوت في أذنيه هذه الكلمة
وجعلته ينصت مرة أخرى إلى روزا وهي تقول :

— لقد كان منحك إياي المال أشبه الأشياء
بالمجرات... إنك أنت الذي وهبني هذا المال
وكان جذيرا بك لأنني مدام للتفكير في استراحته
كان يراود خيالك

— إنه مالي... ملكي الخاص وإنى سأفكر
في هذا الأمر

تلك كانت أول مرة يبين فيها روزا فلسفتها
حينها يبريق من الكراهية ولكن صرامته للبادية

الفصول والغايات

معمزة الشاعر اللطيف

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي مناهيه . وهو الذي قال فيه
تأقذو أبي العلاء إنه ماض به القرآن . ظل
طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححة وشرحه وطبعه الأستاذ

محرم حسني زباني

تحت ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

لا تذهبي إلى العزف من أجل المال لأن ذهابك
لا فائدة فيه ... والآن يا سيدي ما هي مهمتك ؟

— المسألة تتحصر في ... رأس المال ...

— اصغى إلى يا سيدي ... لست أراك كما تدهي

رجل أعمال

— سأعمل جهدي و ...

— كيف أستطيع أن أوليك تقى وتكون

أمنياً في نظري ؟

— أعدك بذلك ... إن لدينا أطفالاً ...

— كفى ... يمكنك أن تأتيني بعد عام

— بعد عام !

— وداعاً يا سيدي ...

ومادت الأرض تحت قدمي الشمس وغشت عيني

سحابة من الكدر واستدار مفادراً الحجر وهو يقول

— وداعاً و ... شكرًا لك

.....

وأحس جورج هدوء الوحدة وساده ضف

حبيب فقام رتب الأوراق المبعثرة على النضج ثم نادى

مديرة البيت التي ما إن أتت حتي كان قد نسي

ما اعترم قوله لها .. وأرادت السيدة أن تعود ولكنها

نمت صوته

— قفى ... إذا أنت اليوم ... أو في الند ...

أو في يوم من الأيام شقية في روزا فتولى لها إلى

متكف و ... إلى لا أستطيع أن أقابل أحداً ...

وخرجت السيدة وشملته الوحدة ثانية فاستقى

على المقعد الطويل وهو ينظر إلى متكبات بدأ نسيجه

في ركن الحجرة الواقع فوق رأسه

إبراهيم حسين العقاد

الفتاة - (تترد) تحاف ...
 أنكرها المرة الثانية ؟ إنى لا أنهمك ،
 لقد تغيرت كثيراً يا صاحبي
 الفتى - يؤسفنى هذا أيضاً و ...
 الفتاة - ويجب أن تصمت إذا كنت
 تريد أن تجعل كل كلامك على هذه
 الوتيرة ...



الفتى - (فى حيرة) لو عرفت ما بى لما قلت
 هذا الكلام ، ولما رت هذه الثورة ...
 الفتاة - (تتكلم المدو) وما بك يا عزيزى ؟
 الفتى - إنى خائف ...
 الفتاة - (فى صوت متعل) قلت لك تكلم كلاماً
 مفهوماً . إنك تخلع قلبى ...
 الفتى - يؤسفنى هذا أيضاً ... و ...
 الفتاة - (فى صوت متعل أيضاً) أفى منك !
 إنك تغيرت كثيراً جداً ...
 الفتى - (فى حيرة) قد أكون تغيرت حقاً ،
 ولكن يجب أن تهدي من ثأرتك بمضى الشئ ،
 إن ما بى فيه الكفاية ...
 الفتاة - وماذا بك ؟ لبتك تجيب هذه المرة ..
 الفتى - (فى مزه وهو يستمع قوته) أجل
 سأجيب ... إنى ... إنى ... إنى ...
 الفتاة - إنك .. إنك .. إنك ، إنك ماذا ؟
 لقد أصبح من الواجب عليك أن تصمت ...
 الفتى - لقد كنت أود هذا ، لولا أنه من
 الضروري أن أنكم ...
 الفتاة - بخسن . تشدد يا عزيزى هذه المرة
 أيضاً وحاول أن تتكلم ...

و فى وفاة فى سن الشباب يسيران جنباً إلى
 جنب فى شارع حفر موحش ، وفى يوم من أيام
 الشتاء التى تحمل معنى الشتاء ،

الفتاة - كم هو قبيح هذا اليوم ! جو رطب
 مشبع بالضباب ، سماء ملبدة بالغيوم تبنى بخطر
 قريب ، صمت ووحشة ، ترى لماذا استدعيتنى فى مثل
 هذا اليوم يا حبيبى ؟ !

الفتى - حينئذ أحسست ...
 الفتاة - (فى خوف وهي تنفث إليه) ماذا تقصد ؟
 الفتى - (يهيم بأن يكلم ثم يتردد ويطبق فيه ثانية)
 الفتاة - لماذا لم تجب ؟
 الفتى - إنى خائف ...
 الفتاة - م ... ؟
 الفتى - عليك ... على قلبك ...
 الفتاة - (فى حدة) إنى لا أنهم كلامك ،
 ليس هكذا كنت تكلمنى ...

الفتى - يؤسفنى هذا ... ولكن يجب أن
 تنصربنى . قانى ... قانى ...

الفتاة - قل ما ستقول ... إنى لا أرتاح لهذا
 التردد ...

الفتى - ولكنى خائف ...

الفتاة — (ساخرة ضاحكة) هل تستطيع القيلة
إخراجها ؟

الفتى — بل هي تمنعها أكثر من الخروج

الفتاة — (متصنعة الجدة) يا لها من كلمة !

الفتى — نعم ، يا لها من كلمة . إنها الحد الفاصل
بين حياتين ، بين قلبين .. بين ..

الفتاة — (هائلة) اصمتت . اصمتت . إنك تؤذي

الفتى — ألم أقل لك ...

الفتاة — بل تكلم ... قل كلمتك ...

الفتى — لا ...

الفتاة — (تنظر إليه في خوف)

الفتى — الرد ...

الفتاة — (تنظر إليه في خوف)

الفتى — الوداع . أشهد أن لا إله إلا الله ، هذه
هي الكلمة التي استدعيتك لأقولها لك ...

الفتاة — (تنظر إليه في دهش ورجب)

الفتى — (في حزن) ألم أقل لك . ألم أقل لك
الدين ذنبك ...

الفتاة — إلى . إلى لا أنهلك ...

الفتى — وهذا ما اعتقدته ، ولكن حاول ،
حاول أن تفهمي ...

الفتاة — سأحاول ... وضع حرمك ...

الفتى — إذن سأكرر كلتي أتريني أستطيع ؟
والفتاة — ...

الفتى — ولكن يجب أن أستطيع (يتسدد)

استدعيتك لأودعك ...

الفتاة — (كأنها تعلم) استدعيتني لتودعني ...
(٦)

الفتى — (في منم وهو يستجمع قوته) أجل
سأنتكلم هذه المرة ، إلى ... إلى استدعيتك لأقول
لك ... لأقول لك ... لأقول لك ...

الفتاة — (برافو) . لقد زدت على كلامك
السابق ثلاث كلمات ، حاول أيضاً حاول بقوة ...
الفتى — إلى استدعيتك لأقول لك كلمة واحدة

الفتاة — وما هي أبها الحبيب ... ؟

الفتى — هي ... هي ... إلى خائف ...

الفتاة — خائف .. خائف .. يا صاحبي يجب
أن تنزع عنك هذا الخوف ...

الفتى — يخجل إلى أني لا أستطيع ذلك

الفتاة — بل تستطيعه بقليل من اللزم . هيا ..
هيا قل كلمتك ...

الفتى — (يتلعثم رقبه ويحاول أن ينزع عنه خوفه)
الفتاة — كن قويا ...

الفتى — كلتي هي ... « يتردد »

الفتاة — كن قويا تشجع ...

الفتى — هي ... « يتردد »

الفتاة — (هائلة) إن صبري فرغ .. بودي
لو أصفك ...

الفتى — (في جد وهو يندم لما خذه) أوه هذا
قليل والله أصغى ...

الفتاة — (ضاحكة) إنك بطل ...

الفتى — تكذبين . فأنا والله أضف خلق الله
اليوم ...

الفتاة — دع هذا . ما هي كلمتك ...

الفتى — أجل كلتي . يا الله ... لو أعكن
من إخراجها من في ...

نفسك... والحقيقة أن الجو لا يزال على برودة...
الفتاة - على أي حال... يجب أن أخبرني بكل
شيء الآن وعلى أنا تحمل ثمة ما يحدث إذا طال
مسيرنا...

الفتى - ولكن يا عزيزتى...
الفتاة - «عاطلة» اسمع كلامى...
الفتى - حسن، سأخبرك بكل شيء...
«يردد»

الفتاة - قل، قل، لا تكن بطيئاً هكذا في
إخراج الكلام من فمك...
الفتى - الحق أن الأمر يؤلى، ولكن ماجيتى
سأقول، سأقول كل شيء فأسمى.

الفتاة - إني منصتة إليك بكلماتى...
الفتى - إن لي ابنة تم تحبني حباً لا غاية بعده،
كنت أحباها قبل أن أعرفك وأعدها زوجتي القبلة
وتعدني زوجها القبل. هذه ابنة العم هي السبب
في أني سأودعك اليوم. قولى لم، لأنها كادت
تقتل نفسها حينما علمت أني متصل بك. كانت
مضطربة العم لو لم تنقذها في اللحظة الأخيرة.
إنها مسكينة هذه الفتاة، وبسبب أن خلصناها من الموت
التفتت إلى قول في صوت كه إصرار «لملك عرفت
الآن كم أحبك.. فليكن أن تعرف أيضاً أني سأعود
ما كنت أريد أن أقفله بنفسى إذا لم تقطع علاقتك
بتلك الفتاة التي شغلتك عني». خفت يا عزيزتى.
خفت عليها من الموت فقد وجدتني لا أزال أحباها..
أجل وعلى الرغم من أني أحبك. وقلت في نفسي
إن قتل قلب ليس كقتل نفس، وعزمت - وكلي

استدعيتى... (تجلس كلاهما وتلفت إليه بادة) هل
تسى أننا ستفترق...؟
الفتى - هو ذاك...
(سكت)

الفتاة - (بعد قليل) يخيل إلي أني لست بمك
حقيقة. فهل تراني أحلم...
الفتى - بل أنت مى...
الفتاة - إذن فأنت تهذى، تسخر...

الفتى - ولا هذا...
الفتاة - ولكن كلامك...
الفتى - ولكن كلامى يدعو لشك. هذا
ما أوافقك عليه...
(سكت)

الفتى - (بعد بضعة دقائق) هل كنت تحبيننى
يا عزيزتى؟

الفتاة - (غضبية وم تكاد تبكي) ألم تعرف ذلك
بعد؟ أنا ناسى الماضي... يا لحظى المار؟
الفتى - لا تقضى. اعترفينى. إني غطى...
ولكن... ولكن...
(يصدت وتلمعت)

الفتاة - «بعد هنيهة» ولماذا تودعنى
يا عزيزتى...؟

الفتى - هذا أمر يحتاج إلى شرح طويل...
وأخاف عليك من برودة الجو إذا طال بنا السير وأنا
أفسحه لك...

الفتاة - لا تخف. فاني أحس الآن حرارة
في الجوف، يخيل إلي أن برودة زالت...
الفتى - «مسلوا» هذا كلام الأليم في

الفتى — ألم تصدق بمد كل هذا ... (صمت)
 الفتى — (يقطع الصمت) إن أيام الحب تمر
 دائماً كالأحلام ، وما أكثر من يشقون بالحب بمد
 أن تمر أيامه هذه إلى كالأحلام ...

الفتاة — ...

الفتى — لقد فكرت حيناً استديتك اليوم
 في حيناً الكبير الذى سيموت ، فكنت أعجب هل
 يمكن أن يموت حقاً وهو في ريمه ...

الفتاة — ...

الفتى — وفكرت أيضاً في قلبك الذى سيقفل ...
 فصجبت هل يمكن أن يقفل قلب يحيا بحياتين ...
 حياة الحب ... وحياة هو ؟

الفتاة —

الفتى — وفكرت أخيراً في أمر هذه الدنيا ،
 التى تأبى أن تبقى للسعيد سعادة بينما يكون في أشد
 الحاجة إليها . فرحت منها وألمها

الفتاة —

الفتى — وحيناً انتهيت من تفكيرى رثت على
 نفسى لأنها كانت السبب الأول في كل هذا

الفتاة —

الفتى — وطمعت في عفرانك . ولكن يظهر
 أننى لن أأكله ...

الفتاة — (تافق الصمت) ولم لا تناه ؟ إنك
 عجبر فيا تفعل . سوف أعفر لك يا صاحبي ... بل
 ليفر لك الله ...

الفتى — (يرح) الآن أنا سعيد . وسوف
 أقوم بما استديتك من أجله . ولكن دعينا أولاً

ألم وحزن وأسف — على قتل القلب الذى ستجيا
 بعونه هذه النفس البائسة .

الفتاة — ولذلك استديتكى ؟

الفتى — أجل ...

الفتاة — (تضحك في تكلف والدمع يتحد من
 عينيها على خديها) واخترت هذا للشارع المفقور
 الذى لا يكاد يرى فيه رجل من رجال الشرطة ،
 أو حتى بعض الناس ؟

الفتى — لقد يكون . ولكنى على كل حال لن
 أخاف من القبض على متلبساً بجرمى ...

الفتاة — يا لك من مجرم شجاع ...

الفتى — ليس هذا وقت هذه السخرية .
 خبرينى هل تمفين عنى ... ؟

الفتاة — لا أدري . ربما ...

الفتى — هذا مؤلم . كنت أطمح في عفوك ...

الفتاة — سأحاول أن أعفو عنك . فقط بمد
 أن تقوم بجرمىك ... « صمت »

الفتاة — (يمد قليل عائداً إلى سخريتها) ولكن
 خبرنى أى سلاح ستستعمله في قتل قالى المسكين .

الفتى — أفضل البندقة لأنها تقتل بسرعة فلا يتألم
 المقتول بها إلا مرة واحدة ...

الفتى — ما زلت على سخرىك . ترى هل
 تقدرين موقفك الآن ؟

الفتاة — (تضحك قليلاً وتبذل نظرة من أعينها)
 إننى أسفة لقد خيل إلى أنى أستطيع الترفيه عن
 نفسي بهذا الكلام .. (صمت)

الفتاة — (يمد قليل) وإذن ستفترق حقاً ؟

الفتاة — (ضاحكة) ولكن حذار أن تنهز
هذه الفرصة فتقتل قلبي

الفتى — (في استغاب) أرجوك ، دعي هذا
الآن وإلا أضدت جو هذه اللحظة (يبلها)

الفتى — (بعد أن قبلها مفر قبلات) انتهت
القبلات المشر ... (يريد أن يبعد فمه عن فمها فتشبت
برقبته وتدق فمها من فمه ثانية)

الفتاة — قبلي أيضاً . اعطني على المشر قبلة
(تبسم) أو نصف قبلة إذا كانت القبلة كثيرة (يبلها)
الفتى — (وهو يتحدق في جلسته بعد أن قبلها) ،
والآن ...

الفتاة — أ ... أقتل قلبي ...

الفتى — (يستمر في قولها كان سيفوله) والآن
دعينا نستمد شيئاً من ذكريات حبتنا

الفتاة — (تصبت في تفكير ثم تبسم وهي تعالِب
دموعها) حسن . هل تذكر يوم كنا نسير بجوار
إحدى الترع الصغيرة بقرية (النصورية) وأنت تقرأ
في شمعاً ممتوراً قلت لي إنني أنا التي أوجيت به إليك ،
فلما أخذت منك الحفاصة ماخذها وأنت تتلوهُ زلت
قدسك فسقطت في التربة ، وطارت الورقة التي
كُتبت فيها شمرِك في الهواء

الفتى — أوه ، أذكر هذا جيداً ، ولقد خاصمتك
بوي لأنني عند ما خرجت من ماء التربة ظلمت
تضحكين على طول الطريق ...

الفتاة — وهل تذكر يوم جذبتني من أنفي
لتقبلي قبلة . قلت لي يوماً إنها ستكون : « فتجاً
جديداً في عالم القبلات »

نميش لحظة في جو حبتنا ... لحظة أخيرة ...
الفتاة — كلا ...

الفتى — عجيب . ولكن لا يجب أن نفرق
هكذا . على الأقل يجب أن أقبلك ...

الفتاة — كاللن تقبلي (تستدرك) بل قبلي
عشر قبلات هل ذكرها مساعدني على الحياة عشر
سنوات

الفتى — وبعد عشر السنوات ؟
الفتاة — أوه ، سأشكر الله لو استطعت أن أعيش
عشر سنوات ...

الفتى — إنك تزعجيني . بل سيعطوك بك العمر
أكثر بأذن الله ... وهاتي الآن فك ...

الفتاة — كلا ليس بهذه السرعة . يجب أن
نجلس أولاً في مكان بعيد عن السيون إذا كانت هناك
عيون ، لا تنس أننا في شارع ...

الفتى — حسن . بعد خطوات سنصل إلى
حديقة صغيرة على جانب الشارع يمكننا أن نجلس
بين أشجارها فلا يرانا أحد ...

(يوسمان الحلي نحو المدينة والصمت يسودها)
الفتى — (بعد أن جلس بجوار الفتاة على أحد المقاعد
الخلفية من الأتظار بالمدينة التي تصدماها) : والآن هل
يمكنك أن تفضل بإعطائي فك ؟

الفتاة — (باسمة وهي تهرب منه فمها) بالطبع
ها هو ذا يا عزيزي ... فلتطبع عليه عشر قبلات
كاملة طويلة ...

الفتى — (وهو يرمي بقبيلها) ولننس كل شيء
الساعة

الفتي — أذكر هذا تماماً ...

الفتاة — وهل تذكر يوم (قرصتي) في أذني بشدة جعلتني أصرخ من الألم حيناً طلبت منك أن تمنطيني درساً في قواعد اللغة للمربية . فلم ألقه مما تقول شيئاً ...

الفتي — أجل أجل . وأعتقد الآن أنني كنت قاسياً على أذنك يومذاك . فلقد احترت من أثر (القرصة)

الفتاة — وهل تذكرت يوم مثلت معي دور الزوج ، ومثلت معك دور الزوجة (تصمت حينية وهي تتنسم في تحسر وحنين) حيناً كنت تأمرني أن أفضل كذا ، أو أترك كذا ، فافارفضت اتخذت هيئة الزوج المضبان على زوجته وهددتني بالضرب أو الطلاق

الفتي — (يسلم في تحسر ولا يجيب)
الفتاة — (تتم بأن تستمر في ذكرياتها ثم تتردد فجأة)
بحسبك هذه الذكريات ، هيا اقل قلبى الآن
الفتي — (يتألم) حسن . (يقف) . الواع .
الفتاة — (صارخة في ضراعة) كلا . كلا .
انتظر ...

الفتي — لقد طال الانتظار يا عزيزتى ...
الفتاة — لحظة أخرى ...
الفتي — كلا ... ولنلتفت ونحن على أحسن ما نكون من الصفاء ... إذا كان ما يبتئنا الآن صفاء ... وداعاً ...

الفتاة — آه ... قلبي ...
الفتي — قيل ؟ أليس كذلك ؟ حسن . الذنب ذنبك فأنت التي طلبت الإسراع في قتله (يتلمز به)

ولكن يجب أن تمرق أن قلبي هو الآخر قتل .
أو كما هو الواقع قتلت منه قطعة ، والرصاصة التي قتلت قلبك وقتلت تلك القطعة من قلبي واحدة ...
(للمرة الثالثة) (الواع) سوف تذكرينى بخير . أليس كذلك ؟ كلا ، بل أنسي ...

الفتاة — (في غير وعي وهي تضم إلى صدرها اليد التي قبلها وصبرها تائه) وداعاً ... وداعاً يا حبيبى .
(تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة سامة) . يا حبيبى .

(الفتي يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها فجأة)
(يقدم إليها ويتناول يدها ليقلها)
الفتاة — (تتمه من تقبيل يدها) بل انتظر حتى أقف لأودعك بدوري ...

الذي — لا . إنك لن تستطيعي الوقوف وما زال الثقب الذي أحدثته في قلبك الرصاصة التي أطلقتها عليه يبتثق منه الدم . ودعيني وأنت جالسة
الفتاة — (دهشة وكأنيها أفادت من غيبوبة) إذن ستفترق ؟!

الفتي — (مندهما) إلى الآن لم تصدق ؟ عجباً !
الفتاة — (سامة ذاهلة وهي تنطبه يدها) حسن قبل يدى . (يقبل يدها)
الفتي — وداعاً ...

الفتاة — (في غير وعي وهي تضم إلى صدرها اليد التي قبلها وصبرها تائه) وداعاً ... وداعاً يا حبيبى (تردد للمرة الثانية وهي ذاهلة سامة) ... يا حبيبى ... (الفتي يهم بأن يسير ثم يلتفت إليها فجأة)

الفتي — كلا (يا حبيبتي) لا تقولى يا حبيبى
الفتاة — (وهي تتنسم والدمع على خديها يتلألأ)
وأنت أيضاً يا حبيبى لا تقل يا حبيبتي !
عبد العظيم محمود العشري

حاجي بابا اصفهاني

لكتابنا الانجليزى "جيمز مور"
بقلم الأستاذ محمد الطيف النشار

الفصل الحادى والستون

عقوبة حاجى بابا تقع على نادره

أقمت في غيبى عشرة أيام طوال متعبة دون أن يصلنى خبر عن ملا نادان وقد خشيت أن يكون حظه المارقد لازمه أو أن الأمور لم تجر في المجرى الذى كان ينتظره . ولم يكن بين همدان والقرية التى أنا فيها اتصال كبير . وقد بدأت أياس من رؤية جوادى وما عليه من مرجع عيى ويئست كذلك من رؤية ملايسى ، إلى أن حدث في مساء أحد الأيام أن فلاحا كان قد ذهب أخيراً إلى همدان ليشتغل في الحقول وعاد منها عابسا ، وألفت كلامه التى رواها بصيصاً من النور على غاوى قد قد قال : إن قللاً عاليا حدث لقدوم نازكا كشي وقبضه على ابن صاحب الضيعة وأخذ الجواد وحمله أسيره إلى الماصمة منهمك إياه بقتل شيخ العلماء في طهران . وإننى أترك للقارى المجرى ما شمرت به عند سماعى هذه القصة فقد أدركت السر في صمت الملا نادان . ورغم أنى شمرت بأن لا خوف على في ذلك الوقت فأنى كنت أشك في دوام هذا الشعور وأعلنت في القرية أنى استرجعت كامل حمتى واستأذنت مضيقى وأسرعت إلى همدان لأتحقق مما رواه لي الفلاح

وكان والده نادان معروفا في المدينة فلم يصب على أن أهتدى إلى داره وقد أحجبت من دخول

الدار والاستهفام مما تم في أسنادان ، ولكننى ذهبت إلى حلاق جاور للدار لترصين الأول أننى أردت أن أقصر شعر رأسى ووجعنى ، والثانى وثوقى أنه هو الذى يمكن أن يروى لي حقيقة ما حدث بمذاقيره . وقد صدق ظنى فأنى وجدت الحلاق تركا ، ولم أكد أسأله

عن أخبار اليوم فأنكأ له إننى أجهل تلك القصة العجيبة التى حدثت أخيراً والتى يتحدث عنها القوم بملء الفم حتى تراجع خطوتين إلى الوراء متجنباً وقال : « من أين أتيت إذن حتى خفيت عليك قصة ذلك الأبله الملا نادان ؟ إنه لم يكن بقتل شيخ العلماء حتى ليس ثيابه ولم يكنه كل ذلك حتى سرق جواداً من أكرم جياد الحاكيم ياله من نذل خسيس يأكل مال الحرام ! »

فرجوت من عدى أن يقص على كل تفاصيل القصة التى تظاهرت بجهلها جهلا تاماً فسررتى ما بانى من غير انتظار لتكرار السؤال :

« منذ ثمانية أيام تقريباً جاء هذا الملا إلى بيت أبيه راكباً جواداً مطهماً ولايساً حلة تليق بمظلم من العلماء أو قائد من القواد ، وليس رجل من رجال الدين فقد كان عليه شيلان من أجود الأنواع وكان يشبه حقيقة شيخ العلماء . وأحدث ظهوره بهذه الحلة الأنيقة وهذا الشكل البديع تأثيراً عزمياً إزمن مدة وجيزة قبل حضوره لأن قد شاع عنه أنه أنى بعمل أعضب الشاه فطرد من طهران طرداً قبيحاً

وقد ترجل عن جواده في تيه ومجب ، وسحق سئل عن طرده من الماصمة لم يأبه للأسر كثيراً وقال : إنه أخبر بسفة سرية أن غضب الشاه عابه وقتى وأنه لتقليل من وقته أهدى إليه هذا الجواد

الأمر الذي رواه لي الحلاق وحزنت حزناً شديداً على تقدي الجواد والملايين الثالثة ولكنني حدثت الله على سلامتي حين فكرت في أنني لن أسأل عن حوادثي الأخيرة إذا قطع رأس الملا نادان، وشعرت أنني لا أزال في حفظ العناية وسفاه الحظ بينما قدر على الملا أن يكون شقيقاً منكوداً، وإلا فلماذا استبدلنا ملايننا ؟ ولماذا أخذ جوادى في وقت لم أجد فيه بداً من الخضوع لما طلبه مني ؟

ولكن شعوري بأن الملا سيئال عقاب ما لم يمين بدلا منى جللى أحس ولو مؤقتاً بالخطر ما دمت في إيران . ولذلك سممت على أن أبايع خطي الأول وأن أترك إيران دون إبطاء ، وعزيت نفسي عن فقدان الجواد والملايين بما بقى لي من المال وهو الخبز والسمون طوماناً . وهذا اللباغ كان لا أحتاج إليه الآن . وبعد ذلك تذكرت أن الله قادر على كل شيء فأملت في المستقبل . وقدما كانت هذه الثقة بالله تمزيقاً وسلواناً لكثير من التمساء أمثالي وشعرت أنها ستقيني ما حبيت من مصائب خفية

الفصل الثاني والسون

ماجى بابا سمع بقية نصر الخيام فيرمع عزمت على أن أزع ثوب الشايخ إذ لم ينلني منه خير وتريت بزي التجار ولحقت بقافلة كانت ذاهبة إلى كرمان شاه وافقت مع رئيسها على استئجار بئل هزيل مقابل أجر كفه . ولما لم يكن لدى من البضائع غير ما أحله على ظهري فقد اقتنعت به . ووصلنا إلى كرمان شاه في اليوم السابع من رحيلنا وهنا كان لابد لي من البحث عن قافلة أخرى . ولما سألت قبل لي إن ذلك يستدعى شهراً من الزمن

وصدق كل إنسان روايته واستقبل في منزل أبيه بالاحترام والاحترام ، ولكن لسوء حظه أنه كان في اليوم التالي يتأهب لركوب الجواد وإذا بتنازا كشي يدخل المنزل وكان قد وصل من طهران ثم أخذ ينظر إلى الجواد ويفحص العظام والسرير اللذهبيين ثم استنهم عن اسم صاحب الجواد فأخبروه أنه الملا نادان

قال منضجاً : « الملا نادان ! من هذا الكلب الذي تقولون عنه ؟ إن هذا جواد سيدي الحاكم ومن يقول بشير ذلك فقد كذب سواء كان ملا أو غير ملا »

وفي تلك اللحظة حاول الملا أن يحتجني عن أنظار النازا كشي وهو أحد الدين أجولوا عن العاصمة يوم عاره ونضيجته ، وكان في لبس ملاين شبيخ العلماء وعمامته ما أظهر أمام عينيه فطاعة جرمه . ولحمته عين الضابط فصاح بأعلى صوته : « اقتضوا عليه ! أزغوا روحه ! إنه هو نفس الرجل ! أقسم برأس على أن هذا قاتل شيخ العلماء »

وكان النازا كشي في تلك اللحظة قد ترجل وقبض على الملا بمساعدة أتباعه والحضور الذين أدر كوا أنه يعمل تنفيذاً لأوامر الحكومة وقد أخذ الملا يبرى نفسه بالقسم بذله القسم على أنه لم يقتل ولم يسرق وأنه مستعد أن يحلف على المصنف الشريف أنه برى .

وقص الحلاق ما دار بين الملا وبين النازا كشي بصدق وأمانة ، وكانت النتيجة أن أخذ الأخير الملا معه إلى طهران رغم توسلاته وتوسلات والده ورجاء أصدقائه ومساعدتهم . وقد شعرت بما لم يشمر به إنسان من الحسرة والحزن على ما ألم بصاحبي من

نقلها إلى كربلاء ، وقال لي قائد القافلة وكان رجلاً كثير الكلام زكي القلب كمادة رجال القوافل من أمثاله

« يظهر لي أنك غريب وإلا لما سألت عن أمر معروف مشهور. إننا نحمل أشياء عزيزة إلى كربلاء » فأجبت : « نعم إنني غريب قادم من جهة بعيدة ولا علم لي بشيء مما تقول فحدثني بالله ماذا تنقلون إلى كربلاء »

فقال محدثي : « ما هذا ؟ ألم يصل إلى ملك شيء من مقتل الملا يثني ؟ أما سمعت كيف فارق الحياة في الحمام وكيف ظهر شبعة بعد ذلك ممتطياً جواداً ثم ظهر في منزل الحرم وكيف أن ذلك للشيخ اختفى على جواد من جبال الحالك ؟ أين كنت تعيش أثناء وقوع هذه الحوادث ؟ »

قال ذلك وهو يشير بيديه ويهز كتفيه أرفعني ما قاله الرجل فتظاهرت بالجهل وطلبت إليه أن يشق غليلي عن تلك الأمور التي تحدث هنا ، فأجابني إلى ما طلبت بحالة لولا أنني كنت متورطاً في نفس تلك الحوادث لأثارت عجبى ودهشتي ، قال : « تق أولاً أنني أقص عليك أموراً حقيقية لا مجال للريب في سمعتها لأنني كنت في مكان وقوعها في الوقت الذي وقت فيه . ذهب شيخ العلماء في مساء أحد الأيام بعد أن أدى فريضة المغرب إلى الحمام ثم رجع إلى داره محاطاً بأتباعه ودخل إلى خلوة لينام تلك الليلة في جناح الحرم

ولست في حاجة إلى إخبارك بأن منظم حمامات إيران تفتح أبوابها للنساء أول النهار إلى ساعة معينة منه وبعد ذلك تخصص للرجال في صباح اليوم التالي لليوم الذي استعمل فيه

لأن الموصى الأكراد ينبرون على الحدود فلا تقدم قافلة على اجتيازها إلا إذا كان عدد أفرادها كبيراً ولكن قيل لي إن قافلة من الحجاج قامت قبل وصولنا ليوم واحد إلى كربلاء وأنه يمكنني بقليل من الجهد أن ألتحق بها قبل أن تصل إلى المنطقة التي يهددها الأكراد فلم أتردد في اختياري ، ولحققت بالقافلة بعد ما خيبت مالي في حزامي ولم يكن معي غير عصا غليظة ...

وفي مساء اليوم الثالث وبعد أن أنهك التعب قواي رأيت عن بعد نيراناً يتصاعد دخانها فشرحت صدرى رؤيتها وقصدت إليها وتبينت حين اقتربت منها بنالاً وماشية ترحي في السهل التبسطن فأدركت أنني لم أكن عطفاً حين حسبت القافلة قرينة

وشاهدت حين اقتربت من الواد التي تكدست فيها الأحمال خيمة صغيرة بيضاء منصوبة في ناحية غير بعيدة وقد دلتني شكلها على وجود حجاج من ذوى السكاة بين أفراد القافلة وأهمهم يصحبون نساءهم لأنني رأيت هودجا على مقربة من الخيمة فتقدمت من رئيس القافلة كأحد الحجاج ، ورأيت منه استعداداً تاماً لأعطائي بنالاً يحملني في سفري وأردت ألا ينتبه أحد لوجودي نظراً لحالتي الميئة التي كنت فيها غير أن الخسة والتسعين قطعة ذهبية التي في حزامي جعلتني لا أستطيع حبس خيالي وكظم زهوى كمادة مواطني الأيرانيين وشاهدت بين الأحمال على مقربة من مكان أكياسها عديدة خيطة على أجسام مستطيلة منتشرة على الأرض أزواجاً بشكل يدل على أنها كانت محمولة على ظهور الرجال . ولما كان منظرها لم تألفه عيناى فقد سألت عنها فقيل لي إن بالأكياس جثثاً براد

فقد رأيته بيني رأسي يهود من الحمام سالكا وأسلمحت له الفراش وأنا على يقين أنه نام بعد ذلك فيه . وليس من الممكن أن يكون نائما في فراشه في نفس الوقت الذي يكون فيه ميتا في هذا الحمام . كلا ! هذا إنسان غيره بلا ريب »

وقد زادت هذه الملاحظة من رعب النسوة وذعرهن من ذى قبل لأنهن تصورن أن من رآه الخادمة كان بلا شك عرفت اللابثي

وكانت زوج اللام قد حادت إلى رشدها فقالت مشيرة إلى وجه الجثة : « أنظروا إلى هذا الخلدش الذي أحدثته في وجهه بالأس قطع »
وقالت إحدى الخدامات : « وهذا مكان خصلة الشعر التي اتعلمتها من ذقنه »

وسيت هذه الذكرى اللذيذة أهمال الموع من عيني السيدة الأرملة فلم يوقتها إلا تأكيد الخدامات بأن اللابثي لا يزال على قيد الحياة . وقالت لها خادمة : « من إذن الذي أوسد الباب من الداخل وأمرني بالانصراف ؟ ومن الذي سمعنا غطيطة ؟ »

وقد اقتنمت الخادمة بصعقة قولها قلبت ملابسها وأسرعت إلى الخارج لترى سيدها نائما في حجرته دون شك ولا ريب

وهنا قالت إحدى الخدامات مشيرة إلى الجثة : « ولكن إذا كان سيدي نائما في منزله فلن هذه الجثة التي زارها »

فقالت أخرى : « يجب أن يكون هذا هفريت متبدي إذ لا يقل أن يكون الإنسان ذا بدنين بمعنى الواحد ويموت بالآخر »

وقالت ثالثة ذات صوت أجفى : « هذا هفريب »
(٧)

اللابثي ذهبت زوجته بين أتباعها وعبيدها إلى نفس الحمام ، وكان ذهباها عند شروق الشمس وكانت هي ومن معها أول من دخل الحمام في ذلك اليوم ولشدة احترام أتباعها لها لم تستطع إحداهن أن تتقدمها إلى منطس الماء الساخن ، وكان لا ينير قبو الحمام غير شمع القنجر ، فزلت زوج اللابثي إلى المنطس في ظلام دامس ، فتخيل رعبها وخوفها حين تقدمت خطوتين في الماء فوقمت يدها على جسم من اللحم حارم

ولم تستطع السيدة إلا أن تصرخ صرخة حادة وإلا أن تسرع إلى الخروج من الماء ثم أغشى عليها من فرط ما نالها من الرعب

وتخيل ذعر الخدامات مما حدث فقد كانت كل واحدة منهن تتقدم وفي يدها مصباح لترى السبب في رعب سيدتهن ثم لا تلبث أن تصرخ صرخة وترتد مذهورة صرتمية إلى الوراء ، ولم تتحقق واحدة منهن ذلك الجسم المائم في اللاء ، وأخيرا تشجعت رئيسة الخدامات المعجوز ونظرت متجعدة إلى المنطس . ولشد ما كانت دهشتها حين رأت أن الجسم المائم جثة رجل ثم تبع ذلك صرخات عديدة وصياح حاد أعاد رشاد زوج الملا إليها وجعلها تشارك خادماتها ، ولكنهن لم يعرفن الجثة التي اتفخت وتغير لونها ثم جمى بمصباح ونظرن إلى وجه الجثة فصرخن جميعا : « إنه اللابثي ! إنه اللابثي »
وعادت السيدة إلى إغمائها وبدأ الرقيقات في صراخهن ، واختلط جليهن بالنابل حتى ظن من رآهن أنهن في يوم للقيامه . غير أن إحدى الخدامات قالت في وسط ذلك الصراخ والويل الذي اشترك فيه جميع النسوة : لا يمكن أن يكون هذا سيدنا

بعض لا يتصوره العقل »

وكان قد دخل الحمام في ذلك الوقت نسوة أخريات للاستحمام . وبينما كان نسوة العلماء يفكرن في أمر سيدهن ويفرضن الفروض إذ بالمجارية التي كانت قد ذهبت لتتحقق من وجود الملائشي في منزله قد عادت وأخبرتهن بأنها لم تجده ولم تجد غير آثار نومها على الفراش فتصالت للصرخات وارتفع صوت الويل ، ونما الظهر إلى خارج الحمام فتجمع حوله عدد كبير وظلوا السباح بدخول السكان . وقبل أن يتمكن النساء من لبس ملابسهن وستر أجسادهن المارية امتلأ الحمام بالرجال ولم يحدث قط أن حماماً في طهران اختلط فيه الرجال بالنساء كما حدث ذلك اليوم

وكان النظر جميعاً من نسوة يندبن ويكبن ، وأخريات يصرخن ويلطمن ويجرن فرقات من رؤية الرجال لمن وهن ما رأيت . ثم جاء أقارب المرحوم وأصدقاءه ومعهم الناسون الذين أخذوا الجثة إلى مكان آخر فنسلوها وحطوها وأعدوها للسفر إلى كربلاء حيث تدفن فيها كما تقرر من ذي قبل . وأبدت زوج القتييل رغبتها في مرافقة الجثة . واستأجر القوم بثألاً لهذه الهممة . ففي هذه الحممة التي تراها هناك زوجة القتييل مع جواربها ، وأما الجثة فهي بين تلك الأكياس . وأما الجثث الأخرى التي تراها فهي جثث من ماتوا في طهران وفي البلدان التي صرنا بها أثناء السفر . وقد جرى بها لتدفن في كربلاء في كرامة شيخ العلماء إذ قد يشفع فيها يوم القيامة ليدخل أصحابها الجنة »

وهنا سكت عدني وكنت قد ألتجلم لساني الخوف الذي استولى علي أثناء سرد القصة فلم أنكم ،

وفكرت في أنني قد أردت الخلاص من خطر دام فالتيت بنفسى في ذلك الخطر ، إذ قد يعرفني خادم من خدم شيخ العلماء . ومنهم من كان يبنى وبينه معرفة وصحة فيستكشف أمرى ويظهر تنكرى وأردت أن أحرف هل لاحظ القوم ملابسى التي كنت تركتها في ركن من أركان الحمام ، فقلت لرئيس القافلة : « ماذا تم بعد إخراج الجثة من الحمام ؟ »

فأجابني : « لست أذكر ما حدث ، على أنني أعلم أن الروايات اختلفت وأن الاشاعات تمددت وأن كل رجل كان له رأى يخالف رأى الآخر ، فقال البعض : إن شيخ العلماء بعد أن قتل غرقاً رؤى في خلوة وبعد ذلك نام في فراشه . وقال البعض : إنه ظهر في الصباح التالي في منزل رئيس الجلادين وذهب مجتلياً جواً من خيرة جياده . وقد أظهر رئيس الجلادين نفسه ورقة عليها غام الملائشي فيها إذن بشرب التيس . وبالاختصار فإن اختلاف الروايات وتمدها جملاً لره لا يعرف أيها يصدق ، غير أن القوم ارتبكوا وتحيروا في تلميل خروج الملائشي حيّاً من الحمام (وبذلك شهد جميع خدمه وشهد صاحب الحمام) ثم وجدوه بعد ذلك في المنطق غرقاً ، وكما أزداد الناس في البحث وأكثروا من التلميل زادت حيرتهم وكثر ارتباكهم إلى أن استكشف أمر أنى على تلك الظلمات قسماً من الضياء إذ وجدوا بعض الملابس الممزقة في ركن مظلم من أركان الحمام ، واستدلوا في غير مساء على صاحب تلك الملابس وهو شيخ مأفون يدعى حاجى باى كان نائباً للامان عدو شيخ العلماء الدود والذى اشتهر بأكرة الشغب والمباح .

كنت أحسد كل ذى سحنة منكرة وملابى خلفة وهيئة رثة لطوى أن يكون حسن طلقى شيكاً في اتجاه الأنظار إلى . وقد خفت الاقتراب من خديم السيدة زوجة للرحوم خوفاً شديداً فكنت أدبر وجهي إذا ما نظروا إلى الجهة التي كنت فيها وذلك رغم شوقى إلى أن أعرف هل فيهم أحد من يمارق .

ومر اليوم الأول من رحيلنا دون حدوث أسرفوضعت رأسى على وسادة من الأمتة التي كنا نعملها ونغتن الليل كله نوماً هادئاً . وكذلك مر اليوم الثانى وحلنى اعتقادى بحسن حظى على أن أبحث عن رقاء فى المسير أفضل من سائقى البنال والحالين وأخذت أحدث أسقفاً أرمنى وأتوسط معه حتى جعلته يشمر بواجب الشكر والامتنان لرجل مسلم بيّره شيئاً من اهتمامه . ومر فى هذه الأثناء بجانبى أحد الخدم للملاعين فوجف قلبى خوفاً من أن يعرف حقيقى . ولو أن الملايش نفسه ظهر فى هذا الحين لما كان ازطامى من رؤيته أكثر من ازطامى عند ما رأيت هذا الخادم . وأدبرت وجهى إلى جهة أخرى غير أن الرجل مر ولم يتنبه لوجودى وأحدث هذه الحادثة إلى نفسى الحذر الذي كدت أعجنه فمزمت على أن أرجع إلى موقفى الأول بين البنالين وتركت الأسقف يفكر فى شئونه

وكنا سنمر فى اليوم التالى بالجهة غير المأمونة التي تقم فيها عصابات الأكراد وسيكون كل فرد فى شغل من خوفه على نفسه من أن يفكر فى . ومتى اجتازنا تلك الجهة أسبعنا فى أرض غير أرض إيران . ويمكننى إذا عرف أسرى أن ألتجأ إلى حماية الأتراك

وجاء ذلك اليوم الخفيف : اليوم الذى لن أنساه

ولما جعلوا ذلك ساح كل واحد من الموجودين : « حاجى بابا هو القاتل ! لا ريب فى أنه هو الذى قتل العالم الأكبر ويجب أن ينال القاتل جزاءه » . وأخذ جميع سكان المدينة يبحثون من حاجى بابا وقد قال كثيرون إن نادان هو القاتل .

وأرسلت الرسل للبحث من نادان وحاجى بابا وإحضارهما إلى طهران حيناً أو ميتين ، ولست أرجو أكثر من أن أصادف واحداً منهما فأقال مكافأة تعادل أجرة جميع هذه البنال المسافرة إلى كربلاء . أتذكر لكم جيداً أن تصوروا ما كنت أشعر به عند سماعى ذلك الحديث إذا علمت أنني لم أتعود مقابلة المخطوب والمكارة بقلب جرى . وأنى ظالماً فضلت سرعة قدى وخفى فى الفرار على أية وسيلة أخرى من وسائل الأمن والسلامة . ولكننى أدركت أن التمهقر فى موقفى الحاضر لا يجديني نفعا بل هو شر من الثبات والتقدم إذ لم يبق ليغنى وبين حدود إيران غير مسافة قليلة أصير بعدها فى أرض حكومة أخرى فمزمت على أن أخفى نفسى ما استطعت وأن أسير فى طريق مخدر من يعلم أنه عاظ بالخطر من كل ناحية

الفصل الثالث والسون

حاجى بابا يستكشف أسره ويخفى عليه
غير أنه حسى عظه بكنه من المصوص

تابت الثقافة سيرها فى الصباح التالى . ولكى أنجنب الأنظار اخترت أن أسير بين البنالين والحالين وتقدمتنا زوجة شيخ العلماء فى هودجها ومسا أتياعها ومن خلفهم الجبال التي تحمل الجثث وبعد ذلك باقى الثقافة من بنال عملة تسير فى خط مترج طويل فى طريق كربلاء

و كنت على وشك الترحم على نفسى غير أن الدليل خفف من جزمى وقال : « لقد كنت آخر رجل التحقق بالقافة وقد تستطيع إخبارنا عن المكان الذى يظن أن الص على خان موجود فيه على الحدود » فأجبتة قلقاً مضطرباً ، بيد أنى جعلت أطيل النظر إلى عبد الكريم وكذلك أخذ هو يمدق فى بسينيه التين ترسلان النظر حاداً نفاذاً فكادت تنخلع أعضاى وشب فؤادى من الرعب .

وظل عبد الكريم ينظر إلى كنى كان يشك فى أمرى بينما كنت أحاول للفرار من أمامه . غير أنه لم يلبث أن استجمع أمره وصاح : « وجدة ! وجدة ! إنه هو بسينه ! إنه الرجل الذى ضحك على ذقنى وسلب مائة الطومان » .

ثم وجه الخطاب إلى الواقفين حولنا وقال : « إن كنتم تريدون لساقها كم هو الص . اقبضوا عليه بحق النبى الكريم ! »

فبدأت أحتج احتجاجاً شديداً وأنكر التهمة التى ينسبها إلى عبد الكريم وكان من المحتمل أن ألتجح فى إقناع الواقفين حولى بأنى انتهت ظلماً وعدواناً وأنى برىء لولأن جاء لسوء حظى فى تلك اللحظة المأذون الشرعى وعرضنى لأول وهلة ونادى باسمى فانتضع أمرى وانتهت . يقتل شيخ العلماء وشملت هذه الحادثة كل من كان فى القافة وأحدثت لنتظاً شديداً وجلبه وضوءه حتى نسى الخوف من قطاع الطرق الأكراد إلى حين ، وأقبل على كل فرد فى القافة ينظر إلى سمحتى ويمدق فى وجهى . قبض على وربط يداى إلى ظمري وأوشكت أن أسحب على وجهى فأعرض أمام زوجة شيخ

طول حمري والذى سأطل أذكره ما دمت أذكر شيئاً من حوادثي . وذلك أن القافة مشت مشبة عسكرياً وشهر كل من كان معه سلاح سلاحه . وذكرنى ذلك المنظر بمنظر آخر يشبهه وقد قصصته فى جزء آخر من هذا الكتاب حينما كنت فى حصة عنان أنا ولاقينا جملة التركان . وما أشبه خوفى ودمعى فى هذه الحادثة بخوفى ودمعى فى تلك . ولانى أسدقكم القول أن الزمن لم يغير من حمريتى ولم يثو أعصابى ولم يسكن فؤادى

سارت القافة فى نظام وعلى استعداد لكل طارىء تحت قيادة جاویش وتقديمها الدليل فكون هو وأتباع زوجة الملا باشى ما يشبه طليمة الجيش وأما أنا فقد كان لحوقى على نفسى أكثر من سبب واحد . ولذلك اختلطت رجال القافة وحدث الله على أن ليس منى من المتابع غير المال الذى أحله فى حزامى

و كنا نسير فى سكوت تام فلم يكن يسمع إلا صوت أجراس القافة . وسبحت فى بحر من الخيال وجعلت أفكر فيما سأفعل بالخمسة والتسعين طوماناً عند ما أصل إلى بغداد إذ حانت القافة منى فرأيت دليل القافة قادماً إلى يصعبه أعجى حسن الهندام وقد أشار الدليل بيده نحوى وقال لرفيقه : « هذا هو الرجل نفسه »

فقلت لنفسى : « ورأس على لقد قلب الحظلى ظهر الجن وتكرلى القدر بيد أن صافانى » . نظرت إلى رفيق الدليل ولم ألبث أن تبينت فيه شخص عبد الكريم الذى استوليت منه على مائة الطومان فى قرية سيرايا بواسطة الخطاب الذى كتبته وبسنت عليه بخاتم المرحوم الملا باشى .

من ينتظرون له فدية . وعلمت أن نجم حياتي قد عاد إلى نألقه وإشراقه ، لأن من يملك متاعاً أو بلبس ثياباً ثم على نعمة وتراء قصد إليه المصوص ، أما أنا وبني الفقير فكنا في حالة لا تسترني أنظارهم ولا تستدعي أى اهتمام ، فسرت بلا مشقة ولا عناء في طريقى إلى مقصدي وليس دونى طائق إذ لم يكن لى بين الجثث المنتشرة هنا وهناك قريب أو صاحب أضع عنه فدية ، وكنت حراً كالغواء طليقاً كاللآء ، فتأملت طريقى حتى تخلفت من تلك الأخطار ونجوت من المصائب التي كانت تحيط بى بمسجزة هى أشبه بالسحر قائلاً : « بورك الله في قدرى رعانى وحظى بخدمنى وتوفيقى ليس بدمه من توفيق »

الفصل الرابع والسئون

الوصول إلى بغداد . مقابلة حاجى بابا لبيده الأورل
انتهاء نظره للنبأنة

تركت أرملة اللاباشى وعبيدها وأتباعها بين أيدي الأكراد وأسرت في طريقى لأوى على شىء محاذراً أن أحداثاً أحداً بعد الذى حدث أخيراً بل اتبعت في سبرى خطة لا تسترني الأنظار ولا تثير الاهتمام

رأيت في طريقى بعض من أفلتوا من الأكراد ولكنهم لم يبتعدوا عن مكان الحادثة كثيراً إذ كان لكل منهم بنية في القافلة تخاموا حولها رجاء التمكن من متاع أو مساعدة صديق

وكنت أنا الوحيد الذي لا ناقة له في القافلة ولا جل فيمى أن سرت فرسخين أو ثلاثة أمنت الطريق الذي لم يشاركى فيه أحد وصرت بخاطرى حوادث حياتى كلها واستمررت أمام غيلنى

العلماء وإذا لحظت يساعدى والقدر يمد لى سبيل الخلاص

صمت فجأة صرخة عظيمة دوت عن بعد ، ورأيت كوكبة من الفرسان تتحرك إلينا من جانب التل الجاور فأدركت وأنا أبهل فرحاً أن هؤلاء الفرسان هم الأكراد الذين ألقوا الرعب في القلوب وخشيتهم القوافل

سرى الخوف والدمر في القافلة كلها وحل فيها الاضطراب والارتباك فلم تستطع المقاومة ، إذ كان بموزها الاقدام والقوة فهرب راکبو الدواب وخاف البغالون على بناتهم فقطعوا حبال الأحال وتركوها منتشرة في السهل في متناول يد المصوص ونحت رحمتهم ، وكذلك أتى ما كان على ظهور الجبال من الجثث فكانت ترى مبصرة في كل مكان وقد لاحظت أن الكيس الذي فيه جثة اللاباشى سقط في نهير هناك وكانما القدر لم يكتف بإغراق شيخ العلماء حتى أعرق جثته . وبالاختصار فقد تمت الفوضى في القافلة وانتشر الهياج وبذلك انفردت بنفسى غفلت ونأتى بسهولة ولا حظت أن الأكراد وجهوا جل اهتمامهم إلى المودج ومن حوله من الأتباع لأنهم توقعوا أن يجدوا به من هو خليف بالأسر من ذوى المكاكة وسرى وأنتج صدرى أن أجد من كانوا منذ لحظة يسيرة يدبرون لى وسائل الخراب والدمار وينظرون إلى كنى قضى عليه أسبعوا هم أنفسهم في نفس الحالة التي اختاروها لى وحل بهم الخطب الذي كنت فيه والمصاب الذي نجوت منه

ولقد ذهب تهديد أتباع الأرملة ووعيدى سدى ولم تجد مقاومة ولم يمتنع مهاجمهم غلاظ الأكراد متصغري القلوب ، مانع عن السلب والنهب وأسر

الأسئلة فقد كان قوم ينتظرون القافلة من آوة لأخرى
وكان التجار ينتظرون وصول بضائعهم بفارغ الصبر
وعلى الجميع أن في إمكان الأفضاء إليهم بما يودون
أحببت إجابات تتناسب المقام غير أنني عزمت
على أن أترك قوماً فضوليين لا يفرغون من استئثارهم
ك هؤلاء القوم وأن أدخلهم إلى مكان آخر
أختفي فيه

وعلى ذلك تركت بنتي تحت رحمة الأقدار مطلاً
النفس بأن صاحبه لا يلبث أن يحضر وبأخذه ويمت
ناحية أخرى من نواحي المدينة

بدأت بإتمام تنكري فغيرت قلنسوتي المصنوعة
من جلد الغنم بما يرضه أهل المدينة على رؤوسهم
وهو كيس طويل أحمر اللون من قماش يتبدل أعلامه
إلى الظاهر . وربطته على رأسي بقطعة ملاءة من الحرير
وابتست ثوباً قديماً من الثياب التي يلبسها الأتراك
عادة . ولما لبسته فوق قفطاني ظهرت كالغائبين سواء
بسواء ثم أكلت هنداى بمخاضين لونها أحمر

وبعد ذلك فكرت في أن أقدم نفسي إلى عائلة
سيدي القديم عثمان أنا لأنني بواسطتها أستطيع
أن أنصل بمعارف في المدينة وأن أقدم في ميدان
التجارة

وانطلقت في المدينة أسير في أسواقها لأسأل
عن ضالتي وكنت أظف على كل بائع جلد إذ كنت
أذكر أن صاحبي مترم بتجارة الجلود، وذكر أيضاً
كل ما كان يقصه على أثناء رحلاتنا حتى تصورت
أنني أسأل إلى باب داره من غير سؤال

وأخيراً انتهت حيرتي هذه بأن وقفت أمام
حانوت كبير من حوانيت البخاريين وسألت أصحابه
عما إذا كانوا يعرفون شيئاً عن رجل اسمه عثمان أنا

ما شاهدت وما فاسيت وانتهيت إلى النتيجة الآتية:
قلت في نفسي : « مادمت بمسمى الخط
ويساعدني القدر فلأسمعن إلى مطامير ولا أجبرن
وراء أغراضى ورجوت أن يكون فشلي الأخير
مقدمة لتحقيق آمالي وإدراك ما أطمع فيه من نعمة
وثرء »

وقلت : « في حزامي خمسة وتسعون طوماناً
وطريق العمل مفتوح أمامي فلو أن الملا نادان تقطع
جسمه على آلة التذويب وأرسله شيخ العلماء قبض
عليها الأكراد وقتلوا فإذا عمتى من المعجب
في مشيقي والتبته في مسيري كأحسن رجل في
إيران ؟ »

وأخيراً رأيت قباب بشارد ومبانيها ثم وصلت
إليها فدخلتها خربياً جاهلاً أحياءها، وكنت أعلم أنني
أستطيع العثور على خان في كل بقعة من المدينة
ولكنني تركت البذل يقودني حيث شاء

وكان البذل على دراية تامة بطرق المدينة
وشوارعها فوصل بي إلى خان كبير لاشك أنه كان
ممتاداً أن يبيت فيه في رحلات القوافل . وعند
اجتيازه عتبة الخان نهق بضغ نهقات منتظراً سماع
الجواب من رفاقه في اصطبل الخان

وكنت أشعر بضيق وإقباض صدرى وزاد في
اقتباطي وسادني، إن سح أن يسمي ما كنت أشعر
به سعادة أنني أبصرت جماعة من مواطني في رحبة
الدار، ولم ألبث أن أدركت أن الخان مكان تلاقيهم
جنبت أخفف عن نفسي بقول إن منظري
لا يدمو إلى الالتفات ولا يجلب النظر وكما كانت
خيبي حين ظهر أن الأمر على عكس ما ظننت
إذا ما كنت أرجل حتى وجهت إلى آلاف من

هل يليق بك أن تعامل صديقاً قديماً هذه الماملة ؟
 فما كدت له أنني لم أكن أسي إلا إلى سواده ،
 ولم يكن في الأمر غاية أخرى ، وأني حسبت أن
 تلك السيدة التي كانت جارية لشاه ذات جمال ومحاسن
 تمسكها إلى آخر أيامها ، واعتقدت أنها بذلك فوق
 ما يمتنى رجل مثلك قسماً أواماً عديدة في رفقة الجلال .
 فصاغ صاحبي : « جمال ! أهول الجلال ؟ إن
 تلك الجلال لو قورنت بالشيطانة التي أتيتني بها لكانت
 مثل اللالكة . لينك زوجتي من ناقة بدلا منها ،
 فقد كان في مكنة ذلك الحيوان للنس أن يكون
 هادئاً في شترتي ساكناً في مصاحبي ، وأن يتركني
 أذهب حيث أشاء ، وأقل ما أريد . بيد أن تلك
 الحية الخبيثة لم تجدا بما يقطع وقها من غير الترم
 بأنها أسمدتني وشرقتني . لأنها كانت تقود الشاه
 من ذقنه وتضطره إلى إجابة رغائبها بخفة روحها
 ورشاقة قدمها ودلالها وغنجها . وكان لا يمسى للشاه
 أسراً إذا دأبته بلطمة خفيفة »

ثم قال محدثي وقد لطم خده يده : « أمان !
 أمان ! إنني أكاد أشعر بوقع تلك اللطات الآن »
 وأخيراً انتزع الرجل بأنه لم يكن لي دافع إلى
 تزويجها منه غير الرغبة في إسماده . ثم دعاني إلى
 ضيافته ، وأن أخذت مقامي في بيته مدة إقامة في بغداد
 فقبلت منه ذلك مسروراً بلا تردد

حدثت هذه المناقشة بيني وبين عتيان أماً في
 الحجرة الخلفية من حاوت للتاجر البخاري ، وقد
 سقاني عتيان أماً مقداراً وافرأ من القهوة التي كان
 يستعصرها من مشرب جاره ، وبعد انتهاء الحديث
 عرض على الذهاب إلى حاوت ولده في نفس السوق
 بمد بضمة حوائث

وكان اسم ابنه سليمان ، وكان سليمان هذا في

من بغداد ، فسمعت صوتاً تعرفه أذناني حتى الرفقة
 يجيبني : « من يردي ؟ أنا عتيان أماً »

وتصور أيها القارئ مقدار سروري ودهشي
 فقد كان التكلم هو نفس عتيان أماً ذلك للشيخ
 الحرم ... دهشت غاية الدهشة من مقابلتي إياه كما
 دهشت سابقاً من رؤيتي له في طهران ، وكذلك
 دهش هو من مقابلتي وقصصت عليه من حكاياتي
 مارأيت أن أقصه عليه ضرورياً وروى لي هو الآخر
 حديثه الكئي :

ترك عتيان أماً طهران وفي عزه مواسلة السير
 إلى الآستانة لجلها مركزاً لتجارته ولكنه سمع أن
 أخطاراً عظيمة تهدد السافرين بين أريقان وأرزدوم
 إذ لا يسلم المار في تلك الجهة من السرقة ففكر في
 زيارة بغداد ووصل إليها وهي موطنه الأصلي بعد
 غياب مدة أعوام ، وقد وجد أن ابنه قد كبر وبلغ
 مبلغ الرجال بعد أن أقام مآتم والده للضائع وأخذ
 في الأسرة مركزه بين والده وأخته . ولكنه بعد
 أن رجع والده لم يظهر أي امتناض بل امتثل كسالم
 صحيح الاسلام للآية القرآنية للشرقة التي تحض
 على البر بالوالدين وتوجب ألا يقول لهما أف ولا يهرما
 ويقول لهما قولاً كريماً

ثم أضاف محدثي إلى ذلك أنه وجد زوجته حية
 برزق وابنته في سن يؤهلها للزواج ، وبعد أن انتهى
 الرجل من سرد حوادثه على الفتى ونظر إلى نظرة
 شزاء لم أمهدا فيه من قبل وقال لي : « يا حامي بلأ
 قل لي بحق نبينا محمد ما الذي دفعك إلى تزويجي
 من تلك الشيطانة الخبيثة في طهران ؟ هل أردت
 أن تجعلني أنسى متاعبي وهمي أم أجدها بين
 ذراعي تلك المجوز القبيحة ؟ وحق ما بيننا من ألفة
 قديمة وصداقة متينة لقد كانت أبوي معها أنس
 وأنس من الأيام التي قضيتها في أسر التركان !

أخصص وقتي وأقصر جهدي في المستقبل على الحصول على عيش ناعم بواسطة التجارة . قلت كذلك إن كثيراً من الناس أدر كوالثني وجموا أموالاً طائلة رغم ابتدائهم بحالة أفقر من التي أريد أن أبتدى بها ووافقني عثمان أفا وولده على هذا الرأي ، وعند ما انتهينا من أسر الثروة التي ساجمها قال عثمان أفا بيت الشعر الذي وعاه أثناء رحلته وهو :

« يسقط الماء من بين الصخور نقطة فنقطة حتى يصير في النهاية بحراً » .

وحين وصلنا إلى هذه النتيجة أخذنا وجهتنا عثمان أفا ونجله وأنا إلى المنزل الذي كان يقع على مسافة غير بعيدة من السوق .

« تبج » عبد اللطيف النشار

أثناء غياب أبيه قد تزيا بزى التجار ، وعاش عيشة طيبة ، جالساً طول يومه — عند أوقات الصلاة — على مصطبة دكانه ، ومن حوله بضاعة مرسومة رسماً بديكاً على رفوف مراكزة على الحوائط وكان سميناً قصير القامة يشبه أباه أتم الشبه وحين علم أنني حامي بابا رجب بن وهش في وجهي وترع غليونه الذي كان يدخل فيه من فمه وناولني إياه

وقد رجوت أن ألتحق بعيش رغد ومقام طيب في بغداد في حجة هؤلاء القوم الأخيار ولكني لا أظهر بظهور العامة عليهم أخبرتهم بأن لدى خمسة وتسعين طوماناً واستشرتهم في أجمع وسيلة أنبعا لأربح منها في التجارة وقلت لهم إنني قد تعبت من حياة التجارب وكثرة الطواف وإنني عزمت على أن

بنك مصر

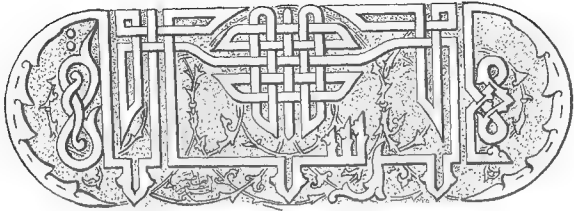
أكبر مؤسسة مالية مصرية

تنشئ الصناعات الكبرى

وتؤسس الاستقلال الاقتصادي

عاماره . وعاملوا شركائه . تكثروا .. النصر ليهودكم

(لمحت بمطبعة الرماح بشارع الميادين — عابدين)



مَجَلَّةُ الْأَدَبِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ
الرِّسَالَةُ تَحْوِي فِي النِّشَاءِ اسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْلَادِ هَادِيَوْنَ الْعَرَبِ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجْلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفَ عَامَّةِ

الاشتراك في المجلد الثاني، والخاصة بما يصادف من مصر، وللبلاط العربية بمصر ١٩٠٠



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول.
احمد حسن الزيات

جلد الاستراك عن سنة
٣٥ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٢٢٣٩٠

المروية

مجلة اسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

٢٥ صفر سنة ١٣٥٧ — ١٥ إبريل سنة ١٩٣٩

العدد ٥٤



فهرس العدد



صفحة	
٣٣٨	انظام
٣٤٩	صندوق النفور
٣٥٦	المارد الذى يحب نفسه
٣٥٩	تعب القلب
٣٧٠	عذرية
٣٧٦	حاجس بابا أصهافى
...	أفصوصة مصرية
...	أفصوصة مصرية
...	للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد
...	عن الانجليزى
...	أفصوصة مصرية
...	للكاتب الانجليزى « جينز مور »
...	يقلم الأستاذ محمود الحنيف
...	يقلم الأستاذ درينى خيبة
...	يقلم الأستاذ نغرى شهاب السعيدى
...	يقلم الأستاذ عبد الحليم حدى
...	يقلم الأستاذ عبد النى على حسين
...	يقلم الأستاذ عبده الطيفى النشار

ونظرت إليه نظرة صارمة فيها
الزجر والاستخفاف والغضب، وفيها
كذلك التهديد بأنها لم تمد تطبيق منه
هذه الحال التي جعلت عيشهما تكداً
على نكد؛ وفهم الرجل معاني نظرتها
فأطرق يخشى أن ينطق بقريده كلماتها
ضيقاً على ما به من ضيق

من صور الرصف أنفقا

أقصوه قصة قصيرة
للأستاذ محمود الخفيف

وكانت امرأته في الخامسة والأربعين من عمرها
لا تزال تحتفظ بقسط كبير من جمالها السابق، فما
يزال في وجهها بقية من ملاحظته وصباحته، وما زال
يحمل جسدها نصيباً من سالف نموته وطراوته،
وعيناها الواسعتان اللامتان ما يزال يحتلج فيهما
قبس من ذلك الإغراء، ثم من ذلك السلطان الذي
طلما تحمكت به في فتيان القرية أيام الشباب والحب،
ذلك السلطان الذي أذعن له عثمان وبرهن على إذغائه
بما أنفق في سبيله من مال حصل عليه ثمناً لفدان
من أجود أرضه باعه في غير تردد ولا إبطاء
وانتهرت زوجها قائلة :

— فيم هذا الغم كله يا رجل؟ دائماً تجلب لنا
النكد من غير سبب ... ماذا جرى؟ في هذه السن
تسمع كلام الكاذبين؟
— لا شيء ... لا شيء ... الحرش شديد ... أنا
أشكو الحر ... أنا تبان

ووصلت في تلك الساعة إلى الدار ابنتها نبوية
تسحب البقرة والجاموسة، فرفع إليها أبوها بصره
وفي عينيه مثل ما يكون في عين نمر غاضب يكاد يتميز
من غضبه، ولكنه عاد فأطرق مسرعاً خشية أن
تقع عليه عينا امرأته، وإنه ليحاول أن يخفي ما تركه
في جسده مرأى ابنته من رجشة بلغت حد الانتفاض

جلس أنام داره وقد غربت الشمس وأخذت
تتلاقى في سماء القرية لظلال المساء، وتشتيع في زرقه
الألقى حمرة الشفق، كما أخذت تنسم أنفاس الليل
فتستروحا الأنفاس الضائعة التي كاد يزفها حر
النهار ...

ودار الشيخ عثمان بوجهه يستقبل التسمات
الواوية التي كانت تساب إليه متقطعة من ذلك الفضاء
الذي يمتد أمام بصره من موضعه إلى حيث تنبسط
الحقول البعيدة، وكان ذلك القروي الشيخ يفتح
صدره لتلك التسمات وينشق منها ملء رئتيه، وكان
يبدو من تردد وجهه وقلقه وما يحتلج في عينيه
الذابلتين أنه يلتبس فيها فضلاً عن طراوتها روحاً
لنفسه من همومه التي بات يؤوده حملها

كان الشيخ عثمان يذلف للستين، ولكنه كان
يبدو مما يشغل فؤاده من هم كأنه أربى على الثمانين!
فقد اخترم ذلك المم جسده أكثر مما اخترمته
السنون، وتزايدت في وجهه التجاعيد حتى ليحجب
الناظر إلى ذلك الوجه كيف كان خلوا منها في يوم ما!
ودنت منه امرأته فسمعت به تهد نهداً عميقاً،
ويش أنيناً لا يكاد يطلقه حتى يكتمه مستسلماً تارة،
وما ضائقاً بالحياة تارة أخرى؛ ولما ألناها إلى جانبه
تظاهر أنه إنما يشكو الحر

تكنمته عني ولكنك تقول أنك تتق بذلك الرجل ،
فإن كان ما جاءك به لا يصدق فاطلب إليه أن يحفل
بمين الله »

ومضى الشيخ عثمان منصرفاً إلى داره وكانما
خفف ما أشار به عليه الإمام بمض آلامه ، فهو
في سيره خفيف الخطى ، لا يتوكأ كثيراً على عصاه
كما كان يفعل في ذهابه إلى المسجد أو كما كان يفعل
منذ نعى إليه ما كدره وأحزنه

أسفر الصبح وأفاق الناس من نومهم ولما بيد
وجه الشمس ، وعاد الشيخ عثمان من المسجد ، فأكاد
يصل إلى عتبة داره حتى كانت ابنته خلفه قد عادت
في سرب من صاحباتها يحملن من التربة جرارهن
ويسرن بها خفيفات في وجوههن بشر ونور من بشر
الصباح ونوره ، وفي وجهها ذنوبهن كدرة وشحوب
لم تقو على إخفاها

وأسند أبوها عصاه إلى جدار الدار ، ومد يده
تحت إبطه فأخرج شيئاً ملففاً بورق ؛ وفض الورق
فتبينت بنته مصحفاً صغير الحجم عرفته لأنه شبيه
بمصحف أخيه مصطفى الذي طالما شدد عليها ألا تمسه
إذا هي فتحت صندوقه ؛ ولقد دق قلب الفتاة دقاً
عنيفاً حتى لقد سمعت أمها تلك الدقات وهي تلمسها
على وضع جرتها فوق المصطبة ، ذلك أنها ظنت أن
أباها ما جاء بهذا المصحف إلا لتقسم هي به .

ولكن الرجل كان يدور بينه وبين الفتنة والفتنة
نحو مدخل حارة من الحارات القريبة ينتظر مقدم
شخص يريد ، ونظر بعد هنيهة نظرة تمشت على أثرها
صفرة في وجهه المسنون للتفتن ، فما هو ذا حسن
يسير نحوه .

ودخلت نبوية فعلقت المشاية ، وألقت بعض
الماء في أواني الطير لتجدها سائى إذا أصبح الصبح ،
ثم ذهبت تهيئ الطعام لأخوها فقد عاد من الحقل
وجلسا ينتظران الباب

غص بسجد القرية قبيل المشاء بأهلها من كل
ناحية ، وما خان موعد الصلاة حتي كان الناس
في ذلك المسجد الكبير صفوفاً خلف صفوف من النبر
إلى البابين الكبيرين ، وقد نهضوا على تكبير الإمام
يقم الصلاة في صوت رنان يسمع واضحاً في أركان
المسجد كأنما يحمله مكبر صوتي ، وركع الناس وسجدوا
ثم سلموا وخرجوا من صلاتهم يريدون دورهم
إلا الشيخ عثمان فقد سار مسرعاً نحو المحراب حتي
جاء الإمام فذاع منه وسلم ثم تناول يده فلتفها على كبره
وسأله : « يا سيدنا الشيخ كيف تبتين ؟ سمعت
في الصلاة ما أفهم منه أنه يجب علينا أن نتبين
إن جاءنا ... »

وأجاب الإمام « إن جاءكم فاسق بنياً فتبينوا
أي انظروا في هذا النبا أهو نبا صحيح أم كاذب »
— ولكن كيف أتبين ؟ أخبرني رجل بشيء
لم يره غيره فكيف تكون البينة ؟

— وهذا الرجل هل تتق به ؟

— نعم إنما هذا شيء لا يصدق وإن كان ليأكل
الحم بعده قلبي

قالها الرجل والنموع تنحدر من محجبه فتعجزى
في أحاديده وجهه ، وكان في ذلك الوجه لوعة وجزع
لم يتالك الإمام لهما دمة فتنت عيناه ولكنه ابتدر
الرجل قائلاً :

« على أي حال لست أفهم ذلك الشيء الذي

— كفى يا بني.. أهنئني في شرفي وأهنئني في عرضي... الحمد لله أنك كاذب وإلا فهو العالم ماذا كان يحدث لها أولى .

لاحظ الناس أن الشيخ عثمانًا يفتق باب داره عليه بعد الغروب، وأنه هو وابنيه يستروحون نسيم المساء على السطح بدل مدخل الدار، وعجب الجيران أن أصبحوا يرون حسنًا يدير وجهه مفضيًا كلما مر بتلك الدار، وأنه لا يلتقي التحية على الشيخ عثمان إذا صادفه في الطريق . وكذلك عجب الجيران أنهم لم يعودوا يرون أحمد يجلس لدى الباب مع مصطفى وعبد الصمد وقلما كان يتخلف ليلة في الصيف عن ذلك ...

وظل هذا شأن الشيخ عثمان وأهل داره إلى أن كانت ليلة قراء مهب فيها النسيم غير وان ولا متقطع، فكأنما جنب السكان لدى مدخل الدار الشيخ عثمان جذبا حينما وصل من المسجد فجلس وفي نفسه ألا يطيل، ولكنه لم يكده يجلس حتى مر به الشيخ مبروك فسلم وجلس، وماهى إلا برهة حتى مر الشيخ عبد المطلب، فجلس ثم مر من بعدها الشيخ عمر واثنتان غيره من الجيران فمن هم دون هؤلاء سكا وهما الليثي وعبد الفتاح فجلسوا جميعا حول الشيخ عثمان وسأله الشيخ مبروك قائلا :

ياشيخ عثمان إيه حكاية الخلاف بينك وبين حسن أبو سالم ؟

— لا ، مسألة بسيطة، لا خلاف ولا غيره وتجهم وجه الشيخ عثمان وأحست نفسه الضيق فلا بد أن الجيران قد نبي إليهم سبب القطيعة بينه وبين حسن ، ولعل فيهم من يفهم الأمر على غير

— السلام عليكم يا عم الشيخ عثمان ، ما هذا ؟ هل نويت أن تصبح قفيا ؟ — عليكم السلام . اجلس يا حسن أنا عاوزك . لا ، قم بنا إلى داخل الدار .

ودخل حسن الدار وراءه ، ونظر الرجل فلم يجد أحداً قربه وأنصت فسمع صوت امرأته في الحظيرة فأدرك أنها وابنتها مشغولتان في حلب الماشية فعول على انتهاء الفرصة ، وأخذ يد حسن قائلا :

« هات يدك ، ضمها على هذا المصحف ، قل أحلف بكتاب الله ... »

وجذب حسن يده متعجبا وقاطمه قائلا : « فيم هذا ؟ ماذا جرى يا عم عثمان ؟ »

— احلف على المصحف أن ما قلته لي بخصوص أحمد والبت صحيح ؟

— أحلف أنها تحبه وتتودد إليه وأنه يتودد إليها ويعطيها أشياء يشتريها لها من ماله .

— إذن أنت الآن يا بني تغير ما سبق أن قلته . يا بني هذا حرام لا يرضى الله . تهتم بنتا في عرضها ؟ حرام عليك ، حرام على كل من له ولاية ... أهكذا يا بني تخرمى النوم وتسخر من ذقي ؟ دا أنا أكبر منك بالله .

— ما هذا ؟ قلت لك أحلف أنه ...

— هل تحلف على ما سبق أن ذكرته ؟

— لا أحلف على شيء نسيت .

— لا لا يا حسن ، الله يجازيك بذنبك ، يا بني كفى ما جرى ، من اليوم لا تدخل داري وكل واحد منه لله .

— أنا يا عم عثمان أدخل دارك من اليوم أو من البارحة ؟ أنا أدخل دارك منذ سنتين حصل مني إيه ؟

هذا أن يهمل جانب هؤلاء أو يفرط في صحبتهم .
ولقد خشي الناس كذلك على الشيخ عثمان أن
يمسه شيء من غضب حسن ؛ ولكن الشيخ عثمان
نفسه كان لا يبعأ بذلك . وكثيراً ما كان يقول لمن
يحاوره في هذا الأمر إن كل شيء عنده يهون
في سبيل محافظته على شرفه ، وإن الأمر كله بيد الله ؛
ثم يشتم في يقين قائلاً : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب .
الله لنا »

ولقد أحسن الشيخ عثمان صنماً بأن أشار على
أحد كذلك ألا يدخل داره ؛ وإن كانت امرأته قد
خلفت في ذلك وجادلته فيه جدالاً شديداً ، لأنها
كانت تحب أن يكون هذا الشاب زوجاً لابنتها وإنها
لتعلم ما بينهما ... ولكن الرجل أصر ولم يبعأ هذه
المرّة بإرادة امرأته مهما يترتب على ذلك المعصيان
وكأنه أراد أن يثبت لها سلطانه ولو مرة ...

ما كانت نبوة لتقدر أن تسلي عن صاحبها ،
وكذلك ما كان يقدر أن يتسلى هو عنها ، وهما بت
قلبين يربط بينهما الحب أن يفرق بينهما إلا الموت ؛
لذلك كانا يتلسان السبل للبقاء وهما أشد ما يكونان
خوفاً وحذراً أن تراهما عين فيصل خبرهما إلى أيها
أو إلى حسن فتكون الكارثة

كانت نبوة في العشرين من عمرها كالزهرة
في ريمان الربيع اكتملت نماؤها وتمت روعتها
وتوفى لها من معاني السحر والفتنة ما تمنى لو كان
لها بعضه الكثيرات من فتيات القرية ؛ ترى الأعين
في وجهها الصبوح ملامح أمها وترى في عينيها ذلك
الإغراء الذي أخذ يتلاشى في عين الأم ، والذي
يأمر ويتحكم اليوم وينبث من مقلتي الفتاة كما
تنبت السهام

وجهه كما هي العادة في كل الإشاعات ، أو لعل فيهم
من يصدق ما افتراه حسن على أحمد من حديث ،
وإلا فلما بالهم يعيرون الأمر هذا الاهتمام فيسألوا ؟
وراح الشيخ عثمان يتهدد تهديداً عميقاً ويعقب
كل مرة من تهديده بقوله : « يا الله يا لطيف ... »
وما درى أنه بذلك إنما يزيد هؤلاء المتسائلين شكاً
ويستثير فضولهم . ولكنه لم يكن يستطيع كتمان همه

تذكر الفتيان أحدهما للآخر يريد أن يثار منه
لنفسه ؛ أما حسن فقد كان يضرر السوء لأحمد
منذ عرفا نبوة ، ذلك أنه كان يعتقد أنه يعرفها بالفاظه
المسولة ووعوده الخلابه ، ولكنه كان يداريه حتى
لا يصل إلى الناس أمر خلاصهما ؛ وأما أحمد فقد كان
يمتد حسناً لأنه يخشى أن يأخذ الفتاة من أوجهها
قسراً بما كان له من بطش لا يجمله أحد في القرية
لم يكن من إعلان الخصام بد بعد أن طرد حسن
من بيت الشيخ عثمان فليس في رأيه من أوعز صدر
هذا الشيخ حقاً عليه إلا أحمد . وبت من يعلم نبأها
مشفقين أن ينال أحمد من بطش خصمه ما لا قبل
له به . ومنذ الذي يستطيع أن يفلت من هذا الفتى
إذا اعترم الكيد والانتقام ؟ ليس في المتفتين في القرية
والمتنمرين من بدانيه في إشعال الحرائق وتسميم
الماشية ، وقيادة الأشرار إلى إتلاف الزرع . وليس
في المجرمين من يفوقه في سعة الحيلة وإحكام الجريمة
والقدرة على الإنلات من سطوة القانون

علي أن أحد على الرغم من ذلك كان مطمئناً
بمض الاطمئنان ؛ ذلك أن وشائج النسب قد ربطت
بينه وبين كثير من أسر القرية على نحو غريب ،
وفي عصبه حسن نفسه بعض ذوى قرابه ولا يستطيع

وتجنب كل من الفتيين مجلس الآخر وكره لقاءه حتى ما تقع عين أحدهما على الآخر إلا وفيها من معاني البض وأمارات الشر ما يندب بالويل والخطر وانطوت الأيام على هذا الحال ونم الشيخ عثمان زمناً بهود البال وحلت في وجهه عمل القطوب والعبوس بسمه الرضا والدعة والاطمئنان ، فلقد استراح من بواعث الخوف ودواي الأهم وأسباب القيل والقال

وظل احمد يتلمس السبل للقاء فتاته دون أن يعلم بذلك أجد إلا أمها واثنين من صاحباتها ، إلى أن كان ذات صباح من أصباح (هاتور) وقد بعث الريح في إقباله الحياة في كل ناحية من نواحي الحقول ، وأوحت إلى النفوس برامحه الوليدة معاني الأمل والبعث والقوة ، وحدث أزهاره قلوب الفتيان والصبايا أحاديث الهوى والسحر والجمال ، وألهمت شواذى الفصون من طيره المحيين سر المرح والخفة والانتشاء ، وذكرتهم المشاش المأهولة أن هذا هو زمان الوصل والمناجاة والألفة والبناء

في هذا الصباح خرجت نبوية تسبق الطير قاصدة إلى القرعة لتلاجرتها وسارت وحدها وإن نفسها لتفيض بمعاني الحبور والجلد والنشوة كأن هامساً يهمس في سمعها بأحاديث المني ويشرها بما طال انتظارها لإياه من نعيم وسكن ، وكانت ترى في هذه البكرة أروع ما تكون جمالا وفتنة ، وأعذب ما تبدو رشاقة وملاحة ودلالا ، وقد اتسق جمالها في جمال

الكون من حولها حتى ما يعرف على وجه التحديد أسرت إليها من الربيع الفتنة والحسن ، أم ألت هي محاسنها ومفاتها في محاسن الربيع ومفاته فأضافها إلى معانيه وزاد بها في مسراته ومباهجه ؟

ولقد نشأت نبوية مدللة يحنو عليها أبوها كأنه لم يرزق من البنات والبنين غيرها ، وتولبها أمها حنان الأم ومجبة الأم كأعظم ما يكون الحنان والحب ، ثم ترى فيها صورة منها فيحملها شعورها أن مرد هذا الجمال إلى جمالها هي على المحبب والزهو ، وتستشعر نفسها النبطة والسرور أنها بابتهاجها اليوم في ماضيها ؛ فتن كان لها أمس السلطان والدلال بما وهبت من جمال فإن لها اليوم الفخر والزهو بما أنجب ذلك الجمال وما كانت تختلف نبوية عن أمها في اعتدال قوامها ودقة خصرها وبضاعة جسمها ، ولكنها كانت تختلف عنها في لون بشرتها فكانت شديدة البياض إلى حد غير مألوف في قرى مصر ، يتجلى لك ذلك البياض على طبيعته إذا شمعت عن ساعديها أو إذا كشفت عن ساقها ، أما وجهها ونحرها فقد طبعت شمس الريف عليهما لون الورد الأحمر حتى لتحسب أن عليهما طلاء وما مسهما الطلاء يوما ... وإذا انحسر مندبيلها إلى أعلى قليلا عن جبينها المستدير السمح ، رأيت في موضعه من البياض فوق هذه الحرة ما يشبه الفرقة تسيل فوق جبين مهرة جميلة ... أما صفاتها الذهبية فما يدرك مبلغ سحرها إلا تلك القلوب التي طالما هفت إليها وأحست كأنها علقت بها ؛ قلوب الشباب في أعماق القرية ، وقلوب الشابات التي كانت تحس لديها مع الإعجاب معاني الحسد والغيرة والتمنى

نصرت الأيام واقضى الصيف ولم يعد يرى أهل القرية حسنا ولا أحمد يسعدان الشيخ عثمان في حقله كما كان يفعل كلاهما من قبل ، كذلك لم يعد يراهما الناس عند داره كما تعودوا أن يروهما ...

خالطت لفحات الصيف شيئاً فشيئاً أنفاس
الرياح الرخية ، ونضجت سنابل القمح وراحت
عبدانها الذهبية توحى بمنظرها وخشخشتها إلى
الزارعين أغنى الحصاد ورزين المناجل وسحر المشاي
والبكر وروعة القمر في تلك الليالي التي تشبع الهبة
في النفوس ونحي الزهاف في القلوب ، ونحي كثيراً
من الشبان والشواب بتحقيق الآمال المنشودة
وحلول الأيام الموعودة .

وعاد مجلس الشيخ عثمان سيرة الأولى أمام داره
عقب صلاة المشاء كل ليلة حافلاً بأهل الناحية من
الشيخ والشباب . أما الشيخ فقد أحبوا عشرته
وأولموا بحديثه ؛ وأما الشباب فقد توقفت بينهم
وبين ولديه أواصر المودة . ولكن السر الحقيقي
في اجتماعهم حول داره لا يكاد يخفى على أحد ، فلقد
كان كل من هؤلاء الشبان يعني نفسه أن تكون له
نبوة ، ولولا ما كانوا يخشونه من بطش حسن
لراحوا جميعاً يتنافسون في طلب يدها

وطال الحديث ذات ليلة وتسعب ، فن ذكريات
قديمة يستعرضها هؤلاء الشيخ عن حياتهم في القرية ،
إلى الكلام فيما وعوه عن آبائهم من أحداث
« كالمعمية » في عهد سعيد و « هوجة » عرابي
ومنها من شهداها ، إلى غير ذلك مما طوته الأيام ؛
وكان الشبان ينصتون إلى حديث الشيخ في إلهام ،
فاذا تكلم أحد الشيخ ناعياً على شباب اليوم أحوالهم
تهامس الشباب سائرين أو تنامسوا بالأحداق ،
وقد منهم احترامهم لهؤلاء الشيخ أن يردوا عليهم
بما يخالف آراءهم

وانفض السامر والشيخ عثمان يرد على المسلمين
تحية الإسلام وودخل ابنه الدار ، وبينما كان هو يهيم

وصلت إلى التربة وكانت غير بعيدة فوقفت إلى
جانب شجرة من أشجار التوت قد رد عليها الريح
رداءها جديداً رائع الخضرة فأمسكت جذع الشجرة
يسراها ووضعت رجلها اليمنى على حجر في الماء قرب
الشاطئ ثم أدلت جرتها حتى امتلأت وهي تنصت
إلى ضحكات الماء في فوهتها ثم جذبتها بكلتا يديها
فأخرجتها وأسندتها إلى الشجرة وأصلحت حوتها
فوق رأسها ودارت بعينها تبحث عن فتاة قادمة
أو غلام أو رجل يمينها على حملها . ولكن عينها
الجليلتين لم تقم إلا على حقول القبول الداكنة وحقول
القمح التي أخذت تمشي صفرة النضج في خضرتها ،
فجلست على حافة التربة تنتظر ، ثم بدا لها فكشفت
عن ساقها وأخذت تلقى عليها الماء وتسل عقبيها
كأنما تأتي أن يعلق التراب بهذا المرمر الناصع الذي
تدل به وترهى

ودفعت عينها ولكنها لم تكدر تلفت حتى التفت
تأنيك العيان بعيني أحمد وألفت نفسها بين زراعيه
القيتين فانمت وغالبت ، ولكن أنى لها أن تدفع هذا
الهام أو أن تكبح هذا الشوق ؟ وراح هو كالجنون
يلقي على ثمرها قبل مختلفه الطول ، فمشرة مقطعة
في زمن واحدة ، وواحدة متصلة في زمن عشرين .
وذهلت عن نفسها برهة ثم أفاق فتداعت تدفقه
وقد دب الخوف إلى قلبها أن تراها عين ، ونهض
على رغبه ونهضت فتناولت حوتها وأعانها على حمل
جرتها وجرى إلى حيث كان بين شجيرات القبول ،
وسارت هي نحو القرية ينتفض جسدها انتفاضاً .
وتنازع يحياها الألبع صفرة المفاجأة وحمرة النشوة ،
وتختلج على شفتيها بسمات الرضا حيناً وسمات الخوف
والقلق أحياناً

ما يحسه من مرض ، وهي تحاول أن تسرى عنه حتى نام أو تظاهر أنه نام .
وترأحت في رأسه الوساس والأوهام حتى صارغبولاً أو كالجنون ، وكان يطلب إلى الله ضارعاً أن يريعه بالموت أو أن يصيب ابنه بكارثة من غرق أو حريق أو علة تودي بحياتها ... ثم ترجمه تلك الأفكار فينتفض جسده ويتصبب عرقه ، وتكاد ترهق روحه .

وأخذته سنة فرأى فيما يراه التأم أنه صد فوق مشنقة الجلاد ويوشك أن يضع الجبل في عنقه ، وبنته على مقربة منه وهو يتوسل إليها أن تفيده فلا تحيب ؛ وظل على هذا الحال برهة ، ثم تقدم الجلاد فهم به ليشنقه ، ولكنه أفاق قبل أن يموت على تلك الصورة !

وراح يسأل نفسه أي مظلومة ؟ وإنه ليرجوا الله أن تكون كذلك ، ويسأل أن يبين له الحقيقة ... ولكن الشك لا يلبث أن يستولى على نفسه فيحس كأن نارا حامية تمشي في جسده كله حتى لهب واقفاً ثم يهذى كأن به جنة .

ونامت الدار فلا تسمع فيها حركة إلا ما تأتيه الماشية في حظيرتها من حركات وأصوات ، وكانت نبوية تنام وحدها على سطح الدار تتوسد خضيراً وتلتحف بملاءة خفيفة ، وكانت في تلك الليلة تنظ في نوم هادئ ووجهها إلى السماء يقابل ملك الليل فيكون من وجههما قران أحدهما حالم في نفاسه ، والآخر حالم في سهده

ونبهض الشيخ عثمان فشئ في فناء الدار كأنه شبح من أشباح الليل لا يسمع لوقع أقدامه أى صوت كأنه لا يطلأ بهما الأرض ، ودخل حظيرة الماشية

بالدخول استوقفه شبح يقرب منه فنظر. فإذا هو حسن ، فأرب وجه الشيخ عثمان وأخذته ربكة اهترت لها أوصاله ، وأخرج حسن مصحفاً من جيبه فناوله إياه ثم وضع يده عليه وراح يقسم على ما رآه بعينييه وهو يختبئ بين شجيرات القول قائلاً إنه إنما سكت هذه المدة لأنه كان يجتهد أن يتحرى مبلغ الصحة في إشاعة علمها ولكنه لا يستطيع أن ينطق بفحواها . ولم يجب الشيخ عثمان بكلمة ودخل داره يجز رجله جرأ وإنه ليكاد يهزم من الضعف .
ولم يقرب النوم من جفنيه طول ليلة ولم تفارقه الوساس لحظة ؛ وإنه ليوشك مما بلغ به من الضيق أن يلفظ النفس الأخير كلما صورت له هواجسه ما عسى أن تكون خوى تلك الإشاعة التي أشار حسن إليها

وعجب الناس أن رأوا الشيخ عثمان في اليوم التالي يكاد يسقط من الإعياء ، وهما لم أن يذبل وجهه وتغلنى غيانه ، وقد كان بينهم بالأمس موفور الرح بادی العافية ، وراح هو يوم السائل أنه إنما يشكو مرضاً في صدره هو سبب ما هو فيه .

وصبر حتى جنة الليل فذهب كمادته إلى المسجد . ولما صلى العشاء ذهب إلى حيث كان يجلس الإمام فذا منه وسلم ثم سأله هل يكون جزاء القاتل جهنم مهما كانت دوافع ارتكاب الجريمة ؟ وكيف يساق إلى جهنم من يقتل حفاظاً عن نفسه أو دفاعاً عن عرضه ؟ وأجابه الشيخ إجابات زادت حيرة على حيرة . فانصرف وفي نفسه شك من كل ما يقول به ذلك الإمام ...

فعاد من المسجد فشرّب بعض الماء وعافت نفسه الطعام فأوى إلى مضجعه مبكراً شاكياً إلى زوجته

يموض علينا ربنا في عقلك . خلاص بقيت زى اللعبة .
في أيدي العيال . ازل . الله ينتقم من اللي كان السبب »
وانهرت دموعها ساخنة على خديها فتمسحها
بكفيها ، وجرو زوجها فالتفت إليها قائلاً :
« الله ينتقم منك أنت ومن بنتك ... يا رب هبل
بالموت ... ما ذنبي يا ربى حتى أصاب بهذه الفضيحة
التي تملق بشيئى ... الله يصيبك بالعجز والعوى
يا نبوية يا بنتى ... أنا برىء منك إلى يوم الدين »

ولما تزلوا إلى فناء الدار أخذت الأم تنتحب
وزوجها صامت لا يجيب ؛ ثم قالت وهي تشفق من
فرط البمع : « سأخذ ابنتى وترك لك الدار لتسريح »
ووقفت هذه الكلمات في نفس ذلك الشيخ
وقفاً أليماً ، فهو لا يطيق أن تبعد زوجة عن الدار
ساعة ، ولحق هي أثر كلماتها في نفسه فاستطردت :
« حكاية عيال من أولها إلى آخرها ... وإذا كنت
تريد أن تطمئن على شرف ابنتك ففي الصباح تقسم
لك على المصحف وأمرنا لله »

— أى نم أريد أن تقسم على كتاب الله أنها
ما فرطت في عرضها

— يا رجل ، استغفر الله! هل يصح الكلام ده
على ابنتك ؟

— أقسم لى حسن على المصحف أنه ...

— أعرف هذا كله ... وما قيمة يمين واحد
فاجر زى ده ... يا رجل افهم ، واحد ما يخفى من .

ربنا يقوم بخلاف من المصحف ؟
— وهل أنت تكسرين أن ابنتك تحب أحمد

وأحمد يحبها ؟
— ولله يعنى ... داشى يحصل بين كل

شابة وشاب

فأخذ منها شيئاً ، ثم صعد على السلم إلى حيث تنام
ابنته ، وجلس إلى جانبها في رفق ، وقد ارتمش جسمه
وجدد ريقه ، ثم مد يده المروقة فوضعهما على بطنها
وراح يتحسسها في هودة ، ووسوس له الشيطان أن
في بطن ابنته علواً لا يكون في بطن الأبكار ، فارتفع
الدم إلى وجهه وهانت الدنيا في نظره ثم عقد النية
على تنفيذ ما اعترزم ، وواتته وقتئذ جرأة عجيبة حتى
ما يفكر في شيء ... وغشيت القمر في تلك اللحظة
سحابة فكانما راح يتوارى من سوء ما يرى ، وتناول
الشيخ عثم الحبل الذى أحضره معه وقد أعده على
شكل مخنقة ليشد طرفيها حول عنق ابنته ورفع
يسراه رأسها من فوق الوسادة . وبينما هو يتأهب لوضع
عنقها في الخنقة أفادت مذعورة وقد خرج القمر
من خلف السحابة بنته فوقعت عيناها على وجه أبيها
وعلى الحبل في يده فصرخت صرخة دوت في السطح
وشاعت في فناء الدار ، ولطمها أبوها لطمه قوية على
وجهها وقد سقط الحبل من يده ثم أمسك عنقها
وشد عليه بكلتا يديه وصاح بها : « يا فاجرة »

وهزعت الأم إلى السطح وقد أتق في روعها
ما حدث وأقبلت على زوجها فدفعته في عنف فألقته
على ظهره وراحت تكييل له الشتائم ، ثم أخذت بنتها
بين ذراعيها وراحت تهدهدها وهي من فرط دعرها
في غيبوبة شديدة يلاو صدرها ويهبط ، ويدق قلبها دقا
متوالي ينذر بالخطر حتى لقد كادت تصرخ الأم
لولا أن خشيت أن توقف الجيران ...

ولما ذهب عن ابنتها الروع وضعت رأسها على
الوسادة وألقت على جسدها ملامتها ، ثم جذبت بملها
من يده فطاوعها ونشت تجره حتى السلم فدفعته دفعة
كادت تلقيه على وجهه وهي تقول له : « ازل يا رجل

جميعاً جاً لم تستشعره نفسه من قبل ؛ وما كدر عليه صفوه ما تحدث به الناس عما عسى أن يفعل حسن ، فلقد ملك الفرح عليه شعوره حتى صار لا يفكر إلا فيما هو مقبل عليه ، ولكن حدث أن جرى بينه وبين سليمان أحد لداته حديث ذات يوم فاستطال ذلك عليه وآله حتى لم يطق أحمد صبراً فتهده وتوعده ؛ ولولا أن تدخل بعض الشبان فباعدوا بينهما لعظم شرهما وتفاقم أمرهما ..

أما حسن فقد تظاهر بدمع المبالاة لا يشير إلى هذا النبأ في أحاديثه ولا يلتفت إلى أحاديث رفاقه عنه ، فإذا خذه أحدهم عنه حمل عذبه في دهاء على أن يصدق أنه لا يحفل به وأنه انصرف عن تلك الفتاة ولو أن له فيها رغبة ما وقف في سبيله أحد

وفي ذات ليلة روع أهل القرية بمنظر النار على بعد تجري في حقل من حقول القمح ، وقد صعد النسوة على أسطح الدور ينظرن ويتبين الجهة وكل تحسب النار في حقلها أو حقل قريب لها ويعلمو صراخها ، وجرى الفتيان والرجال نحو الحقول ولكن أي لهم أن يدركوا شيئاً وقد كانت النار تجرى في ذلك المشيم في سرعة هائلة مريعة ؟ وعاد الناس بعد قليل يعلمون أن النار لم تترك في قحح سليمان عوداً واحداً . . . ولم تنحصر الشبهة أول الأمر في أحد فسا كان يسمع على ألسنة الناس إلا قولهم : « ربنا يموض عليه » أو قولهم : « ربنا يؤذى أولاد الحرام » . ووجد رجال الشرطة من ممانعة الحقل عذراً من الكرات القماشية المحشوة بالبارود وتترت الصودا والكبريت ، تلك الكرات التي اخترعها الفلاحون ليحاربوا بها روح الغصير في التجديد ! ولهم ليجملون لها فتيناً يفتن

— عال قوی ! شیء يحصل بین کل شابة وشاب ؟ — اسم الله علی عقلک ، هوه ما حصلتی بنفی وینتک ؟ افتکرک یا رجل الی عملتہ علشان تأخذنی . وهو أنا يومها فرطت لك في عرضي ؟ یا رجل حرام عليك دانت من الی یصلوا الفجر ، والبزت علی کل حال تطلع لأما

ولاحظت المرأة شيئاً من الاطمئنان يخالط نفس الرجل لهذه العبارة ، فأقبلت عليه وأخذت يديه وقالت : « قم يا شيخ بكرة تستريح فيتحلف لك ابنتك على كلام الله »

وذهب الرجل إلى فراشه وصعدت الأم إلى السطح فوجلت ابنتها ما تزال تبكي ، فازالت بها حتى اطمانت ثم رقدت إلى جوارها حتى أصبح الصبح

وثق الشيخ عثمان من براءة ابنته فصحت عزيمته على أثر ذلك أن تزوج نبوية من أحمد في أقرب فرصة ولتكن في موسم القمح هذا . وسرعان ماذاع هذا النبأ ففره جميع أهل القرية ... وجرع من كانوا يمتنون أنفسهم بنيل يدها من الشبان ، وأشفق كثيرون على أحمد من كيد جنس حتى لقد أخذ بعضهم يؤكد أن هذا الزواج لا يتم وفي جسد حسن عرق ينض . ونصح بعض من أشفقوا للشيخ عثمان أن يرجع عن هذا فرض في شدة ما عرفوا عنه مثلها من قبل . وعاد يتمم بتلك الآية التي كان يتمثل بها أبداً « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »

وفرحت الفتاة فرحة جاءت مضاعفة بعد ما كانت فيه من بلاء وغم ، أما أحمد فقد أصبح من فرط ما سره هذا النبأ في شبه ذهول يتقبل تهاني أقرانه فتفتح كلماتهم على قلبه برداً وسلاماً ، وكأنها هو يحبهم

يقفوا فلا يتبعوه ، وتوسل إليهم أحمد أن يفلتوا ، وكانت أمه وأختاه يبكين بكاء يفتت الأكباد كأنما كان يساق فتاهن إلى الموت ، وهذا هو آخر عهدهن به ولم ينقطع دعاؤهن أن ينتقم الله ممن ظلمه .

واقترب أحمد من دار الشيخ عثمان فذق قلبه ووحى جلده ومشى يجر رجله ، ومر بالدار فلم يلتفت إليها كأنه لا يعرفها فلقد كره أن تقع عينه على نبوية وهو هكذا مغلول الديدن يساق على رغمه إلى حيث يساق المجرمون .

وسار أحمد بيقمه الشرطي على جواده في الطريق المؤدية إلى الحقول ليسلكها إلى طريق الماصحة ، وقد اشتدت حرارة الشمس حتى كانت لنفحاتها في الوجوه كأنها ألسنة من اللهب ! وكان أحمد مطرقاً في مشيه يقامى نازين : نار الشمس في وجهه ، ونار التيقظ في صدره ... ورفع عينه وقد اقترب من شجرة عند منعطف الطريق ، ولم يكذب بمنطق حتى وجد نفسه أمام نبوية ! فاقتر ثمره عن ابتسامة ما لبثت أن انطلقت فيها شاع في وجهه من شحوب وكدره ؛ فلقد رأى فتاته تحاول حبس دموعها فلا تقوى فتعجز وتشتعل وتئن أنه مكتومة تنفذ إلى أعماق قلبه ، وحاولت الكلام فلم تنفجر شفتاها ، وحاول هو أن ينطق فاستعصى عليه الكلام كأنما انمقد لسانه . وأخذت الشرطي الشفقة فاغرورت عيناه ودار بوجهه ليدع لها حرية الكلام ولكنها ظلال جامدين . ثم إن الفتاة تقدمت فندست في جيب الفتي بعض درهماً وألصقت صدرها بصدرة فراح يغالب الحديد في يديه على غير وعى منه ، والتفت نحو الشرطي فلما زجده لا يراه قبل فتاته بين عينها ... وانطلق بعد ذلك في سبيله ، ووقفت هي إلى جانب

في الزيت ، ومتى مست النار ذلك الفتيل سرت فيه على مهل حتى تمس تلك المواد فتنبعث النار وتشتب ، وفي تلك الآونة يكون ملق الكربة في هدفها قد بعد تمام البعد عن مكان ذلك الهدف ...

وسرعان ما جرى اسم احمد على ألسنة أهل القرية وأخذ الناس يتهايمسون بالانهام ، وما لبث سليمان أن اتهمه في غير تردد ، وقام الشرطة بتفتيش داره فوجدوا فيها بعض الكرات وكان قماشها من نفس قماش تلك الكرات التي وجدت متناثرة قرب الحقل كما كان حشو هذه كحشو تلك لا تفرق عنها في شيء وتقدم بمض الشبان فشهدوا بما ثبتت الجرمية على المسكين ولم يفتن عنه إنكاره ودفاعه ...

وصدق الكثيرون من الناس أنه هو المجرم ، وإن كانوا ليعجبون لذلك أشد العجب فها عهدوا عليه شيئاً من هذا ، وما كان الشر من طبعه أبداً ...

أما القليلون فقد كانوا يتسمنون لهذا ابتسامة الألم والسخرية ، وفي عيونهم أمارات الخبث التي تنطق بأنهم يملكون كل شيء ولكنهم على عادة أهل القرى في مثل تلك المواقف لا يستطيعون أن يفصحوا عن شيء وإلا لحقهم هم أيضاً مثل ما لحق هذا البائس من كيد وغدر ، وما أيسر أن تدس الكرات أو غير الكرات في أية دار من الدور !

فرغ المحقق في مركز الشرطة من تحقيقه ، ووضع الحديد في يدي أحمد وسارمقلولا أمام شرطي على جواده يسوقه إلى عاصمة المديرية ، وكان الوقت بعد الظهيرة ببساعة ، وقد حبس التيقظ الناس في دورهم فلا يرى أحد في دروب القرية كأنما كان الوقت منتصف الليل ، وأمر الشرطي أهل المتهمة أن

إحدى الدابتين إلى المين والأخرى إلى الشمال فكان من
الحبل مخنقة دارت بعبقه ، والدابتان تمنان في الابتعاد
إحداها عن الأخرى وتجريان مما إلى الأمام في وقت
واحد فتجران هذا الذي علق بينهما ... وما هي
إلا لحظات حتى كان جثة هامدة وقد كسرت ذراعه
عند مفصل الكتف !

وهكذا كانت المخنقة من نصيب هذا الفتى ،
وقد كانت بسبب ما اقترى ودس ستدور حول عنق
آخر ضعيف هين لا يستحق إلا أن يدور حوله عقد
العرس

الغني

الشجرة تشيمه بنظراتها في جزع يتقاصر عن وصفه
أى كلام

مضت أيام كان لا حديث لأهل القرية فيها
إلا ذلك الحادث ، وبات الناس يرجون أن يقف
الأمر عند هذا فلا ينال الشيخ عثمان من بطش
ذلك الفادر الفاجر حسن ما يجعل به إلى القبر .
ودخل أحمد السجن ليقتضى فيه ستة أشهر طويلة ،
وتلفت نبوية ذلك النبا في صمت كان في الواقع صمت
اليأس ، وظلت على صمتها هذا يتمشى السقم في بدنها
ويفشى الحزن وجهها فيلبس مجالها روعة على روعة
ويترك على عيائها طابع الشكوى الدائمة والضراعة
وحصد الناس قحهم وامتلات البيادر والأهراء
وسعد من سعد من الفتيان والصبايا إلا نبوية فقد
حيل بينها وبين ما اشتيت نفسها ، وحل عمل الأمل
في قلبها الضراعة والمسكنة والمذلة . وجعل الشيخ
عثمان يصبر نفسه وأصبح لا يحتم صلاته إلا بطلب
الانتقام من الله ، على أنه ما تسرب إلى قلبه خوف
بمد ما حل بأحمد ، حتى لقد دهش الناس من بسالته
وثباته على رأيه وإصراره على أن يزوج ابنته من
صاحبها مهما حدث وهو في تلك السن

ولم يمض شهر حتى وقع في القرية حادث تلقاه
أهلها بمزيج من الدهشة والرهبة والاعتبار ، وكان
جانب العبرة فيه أقوى تلك الجوانب ، يتخالط أناس
القرويين إذا شعوروا بالراحة والنبطة والاطمئنان ، فينبأ
كان حسن في طريقه إلى حقله ذات صباح رأى
غلاماً يسحب دابتين يربط رجل إحداها بحبل الأخرى
فأسرعت الدابتان لأمرهما وجذبتا الغلام فتقدم حسن
لنجديه وأمسك بالحبل المتصل من وسطه واتجهت

الفصول والغايات

معمزة الشاعر الطالب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقده أبو العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صمحه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

وكانت الهامة الكبيرة البارزة
المنقطة بالكشمير الثمين تلقى في
القلوب ربهية، وكانت عينا عمداً أفندي
عبد النفور لا تريان منها . لكنه
كان يتسم أو يخفى ابتسامة خيثة
ضايق صديقه الشيخ على عبد الواحد
الجالس إلى جانبه يتمتم بأدعية خافتة

صندوق النذور

اقصص مصيرية
بقلم الأستاذ د. محمد بن يحيى

الرواية

وصلوات طيبات ..

وكان اليوم يوم جمعة، وكان الوقت ضحى، وكان
زائر المقام الكريم قد أخذوا يقبلون أفراداً أفراداً،
أو أزواجاً أزواجاً ، أو جماعات جماعات ، لكن
الرحام كان نادراً وخفيفاً على كل حال ، لأنه لا يكون
على أشده إلا بعد أداء صلاة الجمعة حين يقبل الناس
متراحين متدافعين لنيل البركات والتماس النفحات
وأقبلت فتاة ناهد ذات جمال وذات رواء نثب
كالحمامة فوق السجاد السميد، فجعلت تطوف بالضريح
سبعاً وكلاً أعت صرة وقفت عند صندوق النذور
فدست فيه قطعة كبيرة من النقد كان يسمع رنينها
في الداخل حين تدفع أخواتها في الصندوق لتحتل
مكانها بينها ... فلما أعت الفتاة طوافها وقفت عند
رأس الشيخ الذي تحسه قاراً تحت الهامة الكبيرة
الخضراء، ثم راحت تتمتم وتهمهم، ثم تبر وتتمتم،
ثم وقفت لحظة ساكنة صامتة ، ثم انحدرت من
عينها دمة ترفقت فوق خديها الجليلين الأسيلين ،
وشهقت شهقة عميقة حارة ثم انصرفت ذاهلة
أو كالداهلة ...

وقد دعر قلب محمد أفندي عبد النفور عند ما لح

كان مقام العارف بالله رضى الله عنه وأرضاه
هادئاً ساكناً فيه روعة وفيه جلال وفيه خشوع .
وكانت القبة الساقطة الشاهقة تمكس فوقه أخيلة
رفافة يزيد بها البلور الملون ، والقاشاني المجيب ،
وألواح الرخام والمرمر والبليسط ، وقاراً فوق وقار ،
وجلالة فوق جلالة ، ونوراً دنيوياً فوق ما يفيض
عليها من نور الآخرة، وسناء التقوى، ولآلاء الثوبة
ووضاءة الرضى ...

وكان أريج المسك يهب في أرجائها ، وريحان
التنق يملأ بشذاه أجواءها ، وكانت شبابيك الضريح
النحاسى تلمع وتزهى وتبتسم ، والثريات من فوقها
تتألق وإن لم تكن مضادة، وبيض النعام المعلق فوق
الضريح يروح صرة ويحيى صرة ، وما هزته ريح ،
ولا حركته ... وكانت السفينة المعلقة بين بيض
النعام تهتز قليلاً فتكون كأنها فوق موج رفيع بها
حطب عليها يهددها في أمن ودعة إلى بر السلام .
أما الضريح فكان مكسواً بنطاء أخضر زيتوني
نقشت عليه آيات من القرآن الكريم خيطة فيه
بخطوط من حرير وعلقت بصنمة دقيقة باهرة برزت
فيها سلوك الذهب والقصة فجعلت تتألق وتمكس
ريقاً هادئاً خفيفاً .

- الفتاة، وعند مشاهدتها تخطر رواية فيناته بارعة المحاسن
 جة الفاتن، فلما تنبه إليه صديقه على، وهو يوشك
 أن يلهم الفتاة بعينيه الجالمتين اعتدل في جلسته،
 وترك أدعيته وصلواته وقال له، ثم قال محمد له :
 - إني الله يا محمد فانت هنا في حرم حرام
 ومكان مقدس... غض من طرفك يا صديقي وانظر
 أمامك !
- أناظر أمامي لأرى ماذا ؟
 - لترى هذا الضريح يكاد ينشق فيلبهك !
 - يا حفيظ ! وكيف ينشق يا أخانا الشيخ على ؟
 - لقد رأيته يتحرك تأففاً من نفسك !
 - يتحرك تأففاً من فلي ؟ وماذا فلت ؟
 - لقد كنت تهم بصرك في إثر الفتاة !
 - وكيف لا أفضل وقدمائها جيلتان ناصمتان
 كأنهما خلقتا من صرصر يتدفق فيه دم ؟
 - ما هذا الكلام يا أخي ؟ إني الله يا شيخ...
 أنت هنا في مكان طاهر له حرمة وله قداسته !
 - لكن الجلال الذي زار هذا المكان الآن
 أفنك بالنفس وبالقالب وأشد تأميراً فيهما من قدسية
 هذا المكان !
- استعني يا شيخ ! تأدب في حديثك هنا !
 - هذه لهجة شديدة يا شيخ على فهذب
 حديثك قليلاً !
 - أقسم لك لقد شهدت الضريح يتحرك
 تبرماً بك !
 - الضريح يتحرك ؟
 - أجل... ولا شك في أنك قد رأيته !
- وكيف يتحرك الضريح، ولماذا ؟
 - ماذا أقول لك وأنت رجل رقيق العقيدة
 ضعيف الإيمان !
 - ولماذا كنت عندك رقيق العقيدة يا شيخ
 على ؟
 - لأنك تنكر ما وقع أمامك الآن من كرامة
 هذا الشيخ المبارك !
 - أية كرامة يا صديقي ؟
 - اهتزاز الضريح من السخط عليك
 والضييق بك ؟
 - أنا لم أر الضريح يهتز... إنك وام...
 لقد تركت الخيال يستولى على نفسك والوهم يقضي
 ناظريك
 - اتق الله يا شيخ... أمسكت... أمسكت
 واتق الله !
 - أنا أشد لله تقوى منك... ما هذا الذي
 تقول ؟
 - بل إبليس أشد لله تقوى منك يا عزيزي...
 إنه لو رأى الفتاة التي خلعتك لما حاول أن يأكلها
 مثلك !
- وأنت ؟ ألم تصب إليها تحرك الله ؟
 - إحصاء... إني أعرف منك بقداسة هذا
 المقام الكريم... أناظر !
 - أناظر ماذا يا شيخ على ؟
 - بيض النمام !
 - ماله ؟
 - إنه يهتز !
 - وما ذاك يا عم ؟

- هذه علامة سخط الشيخ !
 — أى شيخ ؟
 — سيدى شمس الدين ... سيد المارفين بالله !
 — سيدنا شمس الدين ساخط ؟
 — إنه ساخط لا شك !
 — وفيه يتسخط أو لا يتسخط ؟
 — ساخط عليك
 — وماذا بينه وبين بيض النمام ؟
 — بينهما سر !
 — بينهما سر ؟ ماذا تقول ؟
 — أجل ...
 — وكيف ؟
 — نعلم أنه إذا غضب غضباً هيناً اهتز البيض ،
 فإذا غضب أكثر اهتزت هذه التريات ، فإذا اشتد
 غضبه اهتز الفرج ، فإذا حق وامتلأ غيظاً رأيت
 هذه السفينة تهتز وتسلو وتهبط وتروح جيئةً وذهاباً
 كأنها فوق سطح اليم المضطرب !
 — يا حفيظ !
 — هل تسخر ؟
 — كلا ... لست أسخر
 — بل أنت رجل لاعقيدة لك ولا أدب عندك !
 — عود إلى العقيدة والأدب ...
 — أنصحك يا محمد أفندى !
 — وبم تنصحنى ؟
 — قم فوضوا وصل ركعتين لله عسى أن يفتر
 لك الشيخ ؟
 — وهل عليك الشيخ أن يفتر أولاً يفتر ؟
 — يا شيخ ! اتق الله يا مسلم !
 — من منا يجب أن يتق الله ؟ أنا ؟ أم أنت ؟
 — بل أنا ! ... عجيب والله ... بل أنا يا سيد محمد
 فلا تحزن ! ... أنا لأننى لا أستحي من النظر إلى
 ما حرم الله وأقل هذا المنكر فى مقام سيد المارفين
 بالله ... !
 — على كل حال أنا لم أكفر بالله مثلك !
 — إخصاً فأنك الله ... أنا أكفر بالله !
 لا بارك الله فيك !
 — وكيف تنكر ذلك وقد جعلت لله شركاء ؟
 — أنا ! غفرانك الهم !
 — أجل أنت ! ألم تقل إنه يجب أن أتوضأ
 وأصل عسى أن يفتر لى هذا الشيخ الذى اتخذتم
 ضريحه وثناً ؟
 — نحن اتخذنا ضريح الماروف بالله وثناً ؟
 — أجل ...
 — نحن ؟ السليين المصلين !
 — أجل ... إنكم اتخذتم منه ما هو شر من
 الوثن !
 — ماذا تقول يا محمد ؟ وهنا تقول هذا الكلام ؟
 — أقوله هنا لأنه منكر ؟
 — فأتلكم الله يا شباب ! مقام سيدى شمس
 الدين منكر ؟ أى كفر هذا ؟
 — يا لهذه الهامة ويا لهذا الكشمير ! ماذا
 يكون الوثن إن لم يكن هذا الفرج وثناً ؟ !
 — ثم ماذا أيضاً ؟ !
 — ثم هذا البيض الملن الذى يفيض على

عقولكم شديبات ، ماذا هو ؟ !

— ألا تقصر يا محمد أفندى ؟

— حدثني عن تلك السفينة ؟ أسفينه نوح هي ؟ !

— أأنت أعدل من الدولة إذن ، وأهدى ممن وضع هذه الآثار ؟ !

— الدولة لم تملق هذه الآفات ، وليس من وضعها بمن هدى الله !

— أليست الدولة هي التي شيدت هذا المقام الشاهق ؟

— بلى ، لقد شيدته الدولة التي كانت تفكر كتفكيركم !

— واليوم ؟ أليست الدولة هي التي تتولى سياسته ؟ كل هذا منكر سينده الله !

— ولماذا تبقى عليه الدولة ما دام منكر ؟ !

— تبقيه لأنها تخشى الرعاع ، ولن تكون بخير حتى يأتيها الله بدولة تهدينا السبيل ولا تخشى في محاربة الأوثان لومة لأثم !

— السلام عليك إذن ... هناك الله أيها الأخ .

إن كلامك شيء لا يطاق ... مسكين ! ... أي بلاد

سيحل بك ... اليوم أو غداً ... ومن يدري ؟ قلله

يحل بك الساعة ... قاتل الله المدنية وقاتل الله شباب

العصر !

ونفض الشيخ على وجهه حُفَيْه ، ثم

ذهب إلى ناحية أخرى قَصِيبة في المقام واستقبل

القبلة وكبر ، ثم راح يصلي لله ركعات يحو بها

الرجس الأثيم الذي علق بأذنيه من حديث محمد

أفندى عبد الغفور

وأراد محمد أفندى أن يتخذ من هذا الأمر دعابة

فنهض ويغم شطر الشيخ على ، ولما وجده يصلي

تبسم ثم قال له : « عجبت لكم كيف تتخذون من

مقابر موتاكم مساجد وقد نهاكم النبي صلى الله عليه

وسلم عن ذلك ... أليس هذا منكراً ؟ ! ... »

وسمع الشيخ هذا الكلام ولكنه كبر تكبيرة

ثم ركع ، ثم قام ، ثم أهوى إلى الأرض ، ثم ظل

ساجداً سجوداً طويلاً خاشعاً

ثم تلفت محمد أفندى فلعج الفتاة ... بعينها ...

الفتاة الجميلة الأسوأة جالسة في رهط من أترابها

في الركن الغربي من أركان المقام ، فأتت أن يجلس

حيث هو ليطالع القمر السافر الذي يحيل مقبرة

المارف بالله جنة وارفة من جنان الحب ... لكنه

ما كاد يفعل حتى رأى شيخ المسجد يقف حياله ،

ويتفرس فيه ، ثم يمد يده فيقبض على ذراعه ،

ويدعوه إلى خلوة معه ... وما كاد يستقر بهما المقام

في خلوة الشيخ حتى يدوى المؤذن بأذان الظهر ،

فتتردد في جنات المسجد الكلمتان العظيمتان اللتان

فتح الله بهما للإسلام فتحه المبين « الله أكبر ...

الله أكبر ... »

وتنتهى الصلاة ...

ولتلفت الشيخ إلى محمد أفندى ويطلب إليه ألا

ينصرف لأنه سريه من آيات المارف بالله عجبا ...

ثم يقصد وإليه إلى مقام شمس الدين ، فإيلفانه

إلا بعد جهد وبعد طول عناء ، لأن الزحام يبلغ

أشدّه عقب الصلاة حينما يتدافع الناس نحو الضريح

ليطوفوا به ، وليتمسوا من بركات الولي الكريم ،

ولتشملمهم نفعاته ...

ودخل الشيخ ... ووقف محمد أفندي عبدالغفور
إلى جانبه ... وجعل رئيس السجدة يتم بصلوات
ودعوات ، وجعل الناس يتدافعون نحو صندوق
النذور يدسون فيه قروشهم

وكانت سيدة وقور تجلس عند الصندوق ، فاراح
الناس إلا أن تقف فجأة وتأخذ مقصاً صغيراً
ثم تتناول غداًها الذهبية فتقطع كل (محمودية)
وتدسها في ثقب الصندوق وتضع هذا سبع مرات
ثم تجلس قليلاً ، ثم تعود فتقف وتعمل المقص
في غداًها ... فمكث ذلك سبع مرات ، ورئيس
السجدة واقف يتم و يسود ، ثم يسبحل ويحوقل ،
وهو بين هذا وذاك يتفحص جيئته بالمرق فيدع
حبائه تترقق فوق وجهه المشرق النير ...

ثم يتدافع الناس فجأة فيفسحون طريقاً لرجل
فقير أشعث الشعر خلق الثياب عارى القدمين نابى
الهيئة ، قد علق في ذراعيه حلقاً ثقبلاً من حديد ،
وجعل في رجليه سلاسل وأغلالاً ، وأغرب من كل
ذلك وأعجب جملة في شفتيه قُفلاً ثقبلاً من فولاذ ،
وفي يمينه سيفاً مفلولاً من خشب له غمد زرى
كثيب ...

وقف هذا الفقير حيال ضريح الولي ؛ ثم أخرج
مفتاحاً نفسه في القفل المتدلى من شفتيه ، وكواه
فافتح ، وسلك اللسان الطويل من تقنين كبيرين
في شفتيه ، وراح يصلى صلاة خافتة أول الأمر ،
ثم جعل يغمغم مرة ويهمهم أخرى ، ثم راح يمصف
بصوته ويمصف ، ويجلجل كالرعد ، ويقول :

يا سيدى يا شمس الدين ... مدد

يا سيد المارقين بالله ... مدد

مدد ، مدد ، يا نور العين ، مدد

يا أبا الكرامات يا ولي الله مدد !

يا سارى فى الليل مدد ، مدد !

يا كاشف أسرار الناس ، مدد !

خذ ييدى يا شمس الدين ، مدد !

من الملل يا زين ، مدد !

أنت المقصود يا زين ، مدد !

مدد ... مدد ... مدد ...

فى القلب شجون ، وشجونه فنون ... مدد !

حبك يضنيه ، وهواك دواه ... مدد !

عرش الرحمن ، لك فيه إيوان ، مدد !

الح ...

وكان الرجل ينشد هذه الحفافات فى صوت
متهدج ، وفى لساننا الدارج ، ثم يزنها وزناً سليماً
مستقيماً مع أنها ليست شعراً

ووجم الناس ... ووقفوا لا ينس أحد منهم
بكلمة ... ووقف السيد محمد عبد الغفور مسبوهاً
مشدوهاً ... فقد خلبه ذلك الإخلاص الخلو الذى
كان يتدفق من فم الرجل فيحل برداً فى قلوب
الناس ، ويستولى على مشاعرهم ... فلما قال الرجل :

— ألسك حرام ... مدد ... مدد !

— عبد الغفور ... اسمه محمد ... مدد ... مدد !

— يا رب اهديه ... مدد ... مدد !

— يا شمس الدين .. إشفية إشفية .. مدد ... مدد !

شعر محمد أفندي بفيض من الشهور العجيب

يسرى بارداً فى دمه ، وأحس كأنما الأرض تسوخ

من وجنتها وهي تصنع ذلك ...

وخلا المقام من الزائرين إلا قليلاً .

ثم شعر محمد أفندي بيد تقبض على ذراعه من

خلف ، وسمع صوتاً يقول :

— ألا تستغفر يا محمد أفندي !

والفت محمد أفندي فبصر بالشيخ على عبدالواحد

فدار الحديث بينهما ، واشترك فيه رئيس المسجد :

— أستغفر الله يا شيخ على !

— ألا تلتبس الصفح من سيدى شمس الدين ؟

— بلى ... ألتبس منه الصفح بعد أن شهدت

بعمى وصممت بأذني !

ثم قال رئيس المسجد :

— حقاً ! لقد ألفت الدنية قلوب شبابنا ،

وأضعفت تقههم بأولياء الله ... ألا إن أولياء الله

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...

فقال محمد أفندي وهو يستعير :

— أجل ... لكننا معذورون ... فتأله إن هذا

أول يوم أرى فيهم كرامة كولى ، وتأله لأكون خادماً

بعد اليوم لسيدى شمس الدين ... وتأله لأهملني إلى

مقامه تحمداً وآيات من الآيات ...

ودعا له الشيخ الفقير ، ثم أخذ قفله فجعله في

شفتيه ، وذهب يجلجل بسلاسله ، ويضرب في الهواء

بسيفه الخشبي .

ونظر محمد أفندي في الركن المبارك حيث جلست

الفتاة في رهط من أهلها ، وكان فيهم رجل شيخ

كبير ، فاستأذن رئيس المسجد في أن يمضي معه

إلى الرجل ، فلما لقياه سأله محمد أفندي إذا كان هو

تحت قدميه ... وخيل له أن القبة رقص مع الرجل

وتهبط وتملو وتروح ذات المئين وذات الشمال . .

ثم نظر إلى الناس فوجدهم جميعاً يرقصون على نفات

الشيخ ، وينغمسون بهتافاته

ثم هلل رئيس المسجد فجأة وكبر ... فسكت

الرجل الفقير وصمت الناس ، ووقف الهواء وأمسك

الحاضرون أنفاسهم ... ورفع أرييس يديه نحو

العمامة الكبيرة المكورة ، فأهتز بيض النعام ورجفت

الترتبات ، وتأرجحت السفينة بمنة ويسرة ، ثم مضت

لحظات على هذا الحال ... ثم اشتد الصمت وظل

الناس مأخوذين بروعة المشهد العجيب ... لكنهم

هللوا في صوت واحد وكبروا ، حيناً لمحو العمامة

الكبيرة الهائلة تهتز وتضرك ، ثم يتحرك الضريح

كله حركة هينة لينه لكنها ملحوظة لأنها حدثت

مرتين أو ثلاثاً . . ثم خرجت أصوات جميلة من

داخل الضريح تقول :

« الله ... الله ... لا إله إلا الله ! »

فناً كادوا يسمعونها حتى تدافعوا بالجَنُوب

والناكب نحو صندوق النذور . . . وكان جميعاً

أن يسبقهم الرجل الفقير فينثر فوقه كثيراً من

الزيالات المصرية الكبيرة كان الخادام يجمعها ثم يقذف

بها في الصندوق كما يقذف التروش والللايم والبرائر

وأصناف البرائر وأخامها ... وحاولت السيدة التي

كانت تقطع الذهب من غداثرها أن تدس في الصندوق

إحد (محمودياتها) ، لكن الخادام (رجاءها) أن

تستأنى حتى يفرغ الزوار . ومع ذلك فقد استطاعت

أن تدس (محموديتين) ، وكانت فرحة يطفح البشر

هذه الجمعة فلأت الصندوق وهديت الضال وزوجت فتاة ... فاذا صنعت أنت الجمعة السالفة ؟ »

فقال له صاحبه : « حقاً إنك لشيطان ! ... لكن الذى ساعدك هذه المرة هو الشيخ أبو السلاس ! » فقال الأول : « لقد لقننه الرئيس دوره فاداه على خير وجه ... لشد ما كنت أفزع أن يضيع أحد الريالات ! »

ولم يكن الخادمان ريان محمد افندى وهما يتناجيان هكذا ... فلما ربت على كنف أحدهما وأبصر به ... فزعا فزعاً هو أقرب إلى الخجل والحياء

لكن محمد افندى عبد النفور كان أشد استحياء على كل حال ... ومع ذلك فقد تروج الفتاة ، لأنها وقفت من قلبه موقفاً عظيماً ...

دربنى مشيه

والد الفتاة . فقال الرجل : « نعم يا بك ! » . فقال له محمد أفندى : « وابنتك هذه متزوجة ؟ » . فقال الشيخ : « كلا يا بك ... مهل الله لها » . فقال له محمد أفندى : « فهل تزوجنى بإها وأنا لها كفـ . وهؤلاء يهودى ؟ » . فقال الرجل : « أنظرني أياماً يا بنى ! » .

فقال محمد : « وأرجو أن أئال القبول إن شاء الله » فقال الرجل : « القبول إن شاء الله » ثم جرف نفسه إلى الشيخ وعمرقه ، وقرأ الجميع الفاتحة ...

وما كاد يخطو محمد وصيد الضريح حتى سمع خادماً خبيثاً من خدم المسجد يبعثه ويقول لصاحبه : هل رأيت ؟ أنا أم أنت ؟ ... لقد دخلت الضريح

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من القصص المصري الحديث

تأليف

عبد اللطيف يكنه

يبيع بمسرة قروش جميع المكتبات بالعالم العربى
ومكتبة النهضة المصرية

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جوتة الاولمانى

مترجمة بقلم

احمد حسن الريات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعما ١٥ قرشا

إدراك كل إنسان ؛ ولست أسمح
لأحد غيري باللعب فيه أبداً !
ثم قام فصنع له جداراً رفيعاً سور
به بستانه ، ودفن لوحة كتب عليها
هذا الإعلان :

سَيَحْزَى الْخَالِفُونَ
بُنْسِ الْجَزَاءِ

المارد الذي يحب نفسه

لِلْكَاتِبِ الْإِنْجِلِيزِيِّ أَوْسْكَارِ رُولِنْد
بِقَلَمِ الْأَمْتِازِ الْغَزِيِّ شَهَابِ السَّعِيدِ

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بلعب سواء !
ولم يبق حينذاك للأطفال السالكين ملعب
يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع
ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالآثربة
والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر
الرفيعة — حين يتبنون من دروسهم — لاجئين
بجمال ذلك البستان القوي وراء تلك الأسوار ، وبأيام
سمادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع وانقشرت بمقدمه الأزهار
والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا
البارد اللقيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار
لم يعينها أن تغرد فيه حين غاب عنه الأطفال ؛ وإن
الأشجار قد أنسيبت أن تورق أو ترهر ...
ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من
بين الأعشاب فهالها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان
تمنع الصغار من غشيان البستان ، وانبلست هاربة
لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه .
ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير
« التلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد أنسى هذا البستان ،

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد
واللعب فيه حين يمدون من المدرسة عصر كل يوم .
وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست
أرضه بالشب الأخضر الطرى ، وانتشرت في أرجائه
الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة
شجرة من أشجار الخوخ التي تمتلئ في الربيع عن
أزهار دقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلئ ، تتحول
في الخريف إلى ثمار يانعة سائقة . وكانت الأطيار
فيه تمتلئ عصون الشجر وتغرد في عنوية تصرف
الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذين ،
فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بنشر هذا القول :

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه
النيلان ، بعد أن لبث معه سبعة سنين ، أنهى
في خلالها كل ما أراد أن يعبده به — فإن محادثته
كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد المعلق إلى
قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون في البستان !
فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلاً :

— ماذا تبصنون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هارين ! ثم استأنف
المارد صراخه قائلاً :

— إنما هذا البستان ملكي ، وذلك ما يستطيع

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً .
وقفز من فراشه ، فإذا رأى !

إنه لمنظر جد جميل !
أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان
من خلال نقب صغير وجدوه في أحد الجدران واعتلوا
الأغصان وقبوا هناك جالسين . وقد أتبعهم الشجر
بمقدمهم فأورق ، ومان على رؤوسهم في حب وحنان ،
وكان الطير يشدو حيناً ويطير حيناً في جذل وإبهاج ؛
والزهر يرتو إلى ذلك بسم الثنور من بين الأعشاب
— إنه حقاً لمنظر بهيج !

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي
وقف فيها أصغر الأطفال يمول طوراً ، ويطوف
بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكنة التي بقربه
ما تزال شاتية .. إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول
إلى العنصره ؛ وكانت الريح الشمالية تعصف حوله ،
والشجرة تحنني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها العصبى الصغير ... ولكنك ما يقدر
على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إشارتي لنفسي ! لقد عرفت
الآن سبب انقطاع الربيع عن الحى إلى هنا ..
سأذهب إلى ذلك الطفل فأضمه على الشجرة ، ثم أنشئ
على الجدار فأهدمه وأجعل من بستانى هذا ملجأ
وفقاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على
ما كان بدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح بابه في هدوء وساز
في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى أوغلوا
هرباً ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ؛ ولكن
صبيك واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذى
ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه
وتسلل المارد إلى الطفل ورفع به بلطف فأجلسه

ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !
وكذلك طنى « الثلج » على الأعشاب وأسبل
عليها طرف رذاؤه السانغ ، وانتشر « الجليد » على
الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ؛ ثم
إنهما أصمرا ربح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرهما ،
وجاءت ملثفة بالفرء تصفر طوال النهار خلال
البستان والمداخل ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ
يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر
بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول
البستان يطوف بأقصى ما أوتيته من سرعة ! لقد
كان برداً عجيباً أعبر ، وكانت أنفاسه يضاء كالثلج ؛
وقد جلس المارد التيم ذات يوم في الشباك المطل
على البستان الأجرد الشاقى ، وقال يحاور نفسه :

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى
الآن ! وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .

ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف
ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج
الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذى
كان يعرفه الخريف لثماً لا يحب أحداً غير نفسه !
وإن المارد لمضطجع ذات صباح في فراشه
إذ سمع أنشاداً شجية تطرقه أذنيه خيل إليه لمذوبيها
أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت يجتاز في
الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام العجيبة غير صدح
طائر صغير كان يشدو على يده من نافذته . لأنه ما كان
سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه
أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهناته من حوله ، ورجع الشمال
قطعت هز زها ، وجاءت المارد من النافذة نفحة
من أريج عبق جميل . فقال المارد في نفسه :

الجليلة . ولكن أجل منها في نظري هؤلاء الصغار
وفي صباح يوم شات .. وقد أصبح الشتاء
الآن لا يفرغ المارد ، فما هو الآن عنده غير إغفائه
قصيرة لا يلبث الريح بعدها أن ينفض بأزهاره
وتهاذيله . في صباح ذلك اليوم ، بينما كان المارد
يرتدى ثيابه إذ بصر بشيء هال ، فكذب نظره وكذب
نفسه... إنه منظر مدهش عجيب! أفي الإمكان هذا؟
شجرة حالية بالنور الجليل في تلك الزاوية القصية
وتحتها طفله الصغير الذي أحبه واقفاً ؟

هرول المارد نازلاً يستنخفه الفرح ، وجاز أرجاء
الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ؛ وما كاد أن
يقرب منه وراه حتى طأ غضبه وارتد وجهه ،
وسأله قائلاً حين بصر بأثار مسبارين على يديه ومثلهما
على رجله :

— من ذا الذي تجرأ فجرحك؟ قل من ذا الذي
تجرأ عليك ففعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا . ما تلك ببحر حقيقية . إنها
جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع
نفر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلاً :

— من أنت إذا ؟

فأجابه الطفل باسمًا : أنا الصبي الذي سمحت لي
صرة بالحب في بستانك هذا ، جئت لأخذك مني إلى
بستانك الذي هو الفردوس

وحينما جاء الأطفال عصر ذلك اليوم كما دهمهم
وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد
نثرت على جثته الأزهار والنور الأبيض الجليل

« بنناد » فخرى شهاب الصبيدي

على الشجرة فما كان أسرها حين أوردت وازدهرت ،
وما كان أسرع الأطياف حين تساقطت عليها مفردة
حائمة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى
جنق المارد مسروراً . ثم انحنى الطفل على المارد قبله ،
فلما رأى أحماه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم
الريح ، فقال المارد بخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول
معلوك كبيراً فهدم به الجذر القائمة حول البستان .
فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق
في منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال في أجل
بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال
النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، جاءوا
إلى المارد فغيروه وانصرفوا ...

وقد سلم المارد صرة عن صديقهم الصغير الذي
كان رفقه على الشجرة ، فأجابوه بأهم لا يدرون
عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... لأنهم لم يروه
من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين
يسكن . لشدة ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير
الذي قبله !

بقى الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان
عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع
صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان
التخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه
ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لورآه .

ومضت على ذلك السنون تبعها السنون ، فشاخ
المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب . فكان يجلس
على مقعد وثير ليفترج عليهم هائناً منتبطاً . وكان
يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار

تَعَبُ الْقَلْبِ

عن الانجليزية
بقلم الأستاذ عبد الحميد محمد

الدكتور جون سيمور إحدى مرضاه؟

أجابت حنا في لهجة الجد :

— لأنه زارها صباح اليوم ،
ولست حالتك الصحية بداعية إلى
زيارة ثانية

— ولكنني مريضة بقدرى . فهل

تظنين أن الطبيب لا يحضر إلا لزيارة

مرضى يحتضر ؟ إن هذا هو السخف يا عزيزتى !

والآن هاتى علة الزينة ، وسأريك فى الحال لماذا

يهم الدكتور جون هذا الاهتمام بمرضته ؟

فأجفلت حنا وقالت منكرة :

— علة الزينة ؟ ولكن لا يجوز أن تصبنى

وجحك ولو الآن على الأقل

— ولماذا ؟

— لأن الطبيب قد يندفع بلون الصبغ عن

لونك الطبيعى .

فتمزت فيث بعينها لمرضتها وقالت :

— إن طبيبي لن يندفع ، وعلى كل حال لقد

تحسنت صحى ، وليس بى ما أشكو منه . والحق أنى

لا أدرى لماذا يقضى على بأن أزم الفراش هذا

الوقت الطويل . إنى لأرى أن السألة كلها مؤامرة !

فقال حنا متلطفة :

— يجب أن تتحملى فترة أخرى قصيرة .

— وأها لا تلجئى إلى هذا الأسلوب الذى

يخاطب به الرضى يا أخت حنا ! ولتعطلى السطح إذا

كنت لا تسمحين بأمر الشفاء . ولتعلمى أن الرجل

العزى إنما يحضر ليرانى لا ليزور المريضة رقم ٩٩

فنظرت حنا فى سكون إلى جسم مريضتها الجميلة

الرشيقة . فرأىها جذابة فى مرضها كما هى جذابة

و إذا كان الطبيب شابا شديد الجاذبية فانه خلق
بأن يجد كل مريضة يزورها مصابة بحب القلب *

صاحت المريضة الشابة الرافدة على السرير فى

لهجة ساخرة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك

ترين من الشباك ؟

فطلعت حنا مبتعدة عن الشباك وقد التهاب

خداها بمجرة الحجل ، فلقد أصبح عادة لها أن تقف

فى الشباك مرتبة كلما دنا موعد ساعى البريد

وسارت المريضة حتى دنت من مريضتها فانحنت

عليها ناظرة إلى وجهها الجميل الشاحب ، وقالت عن

غير قصد :

— لا أرى أحداً غير الدكتور سيمور ، وما

أظنه قادما إلى هنا

فضحكت فيث مبرتوتن ضحكة خفيفة مستهترة ،

وقالت :

— ولم لا ؟ لم لا يحضر إلى هنا يا أخت حنا ؟

فأجابت حنا منبهة المريضة فى شيء من الرقة :

— أنا لست أختا إن أنا إلا ممرضة عادية

— ولكنك تقطعين وقت فراغك كله فى رقب

إنسان ما أو شيء نا ، إذن يجب أن تكونى الأخت

حنا . ثم أحب أن أعرف لماذا لا يبنى أن يزور

— مريحى يا دكتور جون ! هل جئت لتوقع ورقة الوفاة ؟

فوقف الطبيب أمام السرير وانحنى ينظر إلى المريضة وقال :

— أظن أننى أستطيع أن أرجى ذلك إلى ما بعد يوم أو يومين

ثم وجه الطبيب الحديث إلى الممرضة وقال :

— سأغير الدواء للس مارتون بإحضرة الممرضة .
دلوت فيث وجهها وقالت :

— إنك تحسن لو مزجت الدواء نوعاً ما يقرب طعمه من طعم الكرز ...

— هذا الطلب يذكرنى بأن أقول لك إنه بعد شفائك يجب أن تستمرى فترة من الزمن منقطعة عن الكوكيتيل والتدخين والسهر الطويل
فقطبت فيث وجهها وقالت :

— ليس لأحد من الرجال أن يتدخل على هذه الصورة فى شؤون الخاصة فإن الحياة تفقد مباحها فى نظرى يا دكتور إذا أنا كلت نفسى كل ما تسألنى أن أكلفها من حرمان ! وإنه ليحجل بى عند ذلك أن أمرض حذائى فى الحال

فلم يجب الطبيب على هذا الكلام ولكنه أمسك بالمصم التحيل بين أصابعه ونظر إلى مريضته نظرة الجدل . وانتهزت الممرضة حنا هذه الفرصة لتنظر إلى صفحة وجهه نظرة المختبر الدقيق . وما من شك فى أن الطبيب كان جميل الوجه ، فلا عجب إذا أحبته مريضاته وأغرن به ، ولا عجب إذا أرادت فيث مارتون أن تتجمل وتتخذ من أسباب الزينة ما يزيداها فتنة وجاذبية استعداداً للقاءه

وحدثت الممرضة نفسها وهى تنظر إلى المريضة وطبيبها بأنهما إذا تزوج أحدهما من الآخر كانت

فى محبتها حين تجرى من مكان إلى مكان مع أصدقائها المرحين . فلا عجب إذا رأى الدكتور جون سيمور أن الضرورة تقضى زيارتها .

وحجست حنا فى صدرها زفرة كادت تخونها ، إذ من المألوف أن يرى الإنسان سعادة غيره من الناس وقصص غرامهم ، فى حين لا يشعر هو بالسعادة ، ولا ينم بقصة غرامه أو على الأقل فى حين تتجه سعادته وقصة غرامه اتجاهات خاطئة .

فقد مضى عليها الآن أكثر من خمسة عشر يوماً منذ تسلمت آخر رسالة جاءتها من روبن ، فليس بعيداً أن تكون صحيحة تلك الإشاعات التى اتصلت بها عن العلاقة بينه وبين الفتاة روت . فكيف السبيل إلى التأكد من الحقيقة ؟ ! فهذا الشك الفطيع هو الذى كاد يقتلها .

وابتسمت فيث لمرضتها بعد أن أصلحت شعرها وقالت :

— أنظرى الآن يا أخت حنا ! هل ترىنى أعجب من برائى ؟

فأومأت حنا برأسها لإجابة إيجابية وقالت :

— إنك لفتاة ياسيدتى .

فكالت فيث وفى عينيها معنى الخبث :

— هذه هى الفكرة ، فقد أعد المسرح ونحن

الآن فى انتظار دخول البطل
وفى هذه اللحظة سمع نقر على الباب ففتحتة حنا وتنحت مفسحة الطريق للدكتور جون سيمور وكان الطبيب شاباً طويل القامة ، أسمر اللون ، تبدو على فيه إماراة الجد وفى عينيها معنى الإنسانية ، وكانت حنا ترتاح لمنظره

فندت « فيث » الطبيب يدها البيضاء النحيلة

وقالت :



الرغم من أنه يعلم كما تعلم فيث وكما تعلم هنا أن حالة
مرضىته لا تدعو إلى القلق . بل هي على العكس من
ذلك قد وصلت إلى مرحلة النقاهة . ولكنه استمر
جالساً وأطال الجلوس
وقالت فيث على أثر انصراف الطبيب تخاطب
المرضة :

— أُنذركين ما قلته لك ؟ هل هناك من رجل
يبدى من دلائل الحب العميق أكثر ...
فقطعت الممرضة على مرضيتها الحديث بقولها .
— لقد حانت الساعة التي يجب أن تنأهي فيها
للنوم ...

فنبست فيث وقالت :
— لا تكوني هكذا كالقطب المشاكس !
ألا أستطيع أن أتحدث عن الدكتور جون إذا أنا
أردت ذلك ؟ يجب أن تمرق بأنه جميل إلى حد
مزعج .

فصاحت هنا في حدة :

— إنه لأجل جداً من أن يكون طبيبك

(١)

زيجتهما صفقة رابحة ، فإن أموال فيث تساعد طبيكاً
قروياً مثله على النهوض بعمله الضئيل وتوسيع دائرته ،
وحزم الدكتور جون كفيل بأن يكبح جماح هذه
الفتاة المرحّة الفارغة الرأس التي ظنت أن خير ما في
الحياة هو اللهو والميث . فإن الأضداد تستطيع دائماً
أن تحسن العمل إذا سارت جنباً إلى جنب
واستمر الدكتور جون جالساً وقتاً طويلاً على

قالت فيث منهمكة :

— أحسب أنني كنت أقدم في طريق الشفاء بأسرع مما تقدمت لو أنه كان ذاتية وخطها الشيب يسير متكا على الصبا حسن؛ إنني لن أفعل ذلك، وسألتك في طريق الشفاء وسأكون مريضة تسترعى اهتمام طبيبها مادام يريد هو ذلك . غيباً ، إن الرجل المسكين لا بد أن يكون ممنوراً في إطالة قبضه على يدي ! ألم تلاحظي أنه اختبر سرعة نبضى ثلاث مرات هذه الليلة ؟

بلى ، لقد لاحظت حنا ذلك

وألقيت فيث رأسها على الوسائد مسترخياً وقالت وهي تنظر إلى حنا :

لقد كنت أخشى أن يصبح هذا المرض عبئاً يثقل على حمله ، ولكننى أرى الآن أنني لا أبالي به مثقال ذرة ، ففي حضرة طبيب جميل يحمل قلبه على كفه ، ووجود الطف وأرقى عرضة في العالم ، لا أجد موضعاً للشكوى على الإطلاق .

فتأثرت حنا تأثراً جلياً وانحنى على مريضتها قبلتها ، فقد كان في تكوين فيث شيء يجنب إليها الناس ، وكانت على بينة من شعور الدكتور جون ، كما كانت تعلم أن الحب هو أحسن علاج في الوجود ، وقد أحدث المجاب في مرض فيث . وعما قريب تسبب في غير حاجة إلى عمره

وساءلت حنا نفسها بعد أن طافت هذه الأفكار برأسها :

وماذا عسى أن يحدث لي عندئذ ؟ أأبحث عن مريضة أخرى أسهر عليها أم ترائى أتزوج من روبن ؟ لقد كانت الفتاة منذ سنتين على استمداد الزواج من روبن ، وقد أنهت — في غيبها — كل غريزة في جهاز العرس ، كارتبت في عناية أثأت كل غرفة من غرف بيتها الخيال

غير أن « روبن » كان دائم الاعتذار . فهو مرة غير مطمئن إلى البقاء في العمل الذي يشغله ، ومرة لا يجد بيتاً يستأجره ، وتارة يقول إن الوقت صعب والمال شحيح ، وطوراً يقول : خير أن يتزوج الإنسان في سنة من أن يتسرع ثم يندم ساعة لا ينفع الندم !

فلم يكن أمام حنا إلا أن تستمر في التمريض بيتاً « روبن » مستمر في الاعتذار

وما تشك الفتاة أن خطيها بجها ، لقد كانت من ذلك جد واثقة وكل هذه الإشاعات التي أثيرت حول علاقتها بالفتاة « روث » لا تستند إلى أساس من الحقيقة ، فإن هي إلا تقولات بليدة سخيفة يحتلقها أناس بلهاء سخفاء . وقد اعتزمت الفتاة ألا تصدقها وألا تصنى إلى مروجها

صاحت المريضة تدعو الأخت حنا مكررة النداء وكانت حنا واقفة في مرصتها من الشباك تنظر إلى الطريق على عادتها . وكان ساعي البريد قد اعتاد في الأيام الأخيرة أن يبطيء في الحضور ، بينما اعتاد الدكتور جون أن يسكر في مواعيد زيارته . ورأت حنا عربة الطبيب العتيقة ذات المقعدين تقف أمام مدخل الباب ، فردت على نداء المريضة :

— ها هو ذا قد أقبل يا عزيزتى

فصاحت المريضة :

— أسرعى بالمرأة إلى ، فإنى لا أكاد أشبه -

التراب !

كان من المأدة أن تعفى حنا من العمل ساعتين كل يوم بعد الظهر ، وأن تغيب نصف يوم كل أسبوع ، وكانت الخادم تحمل معها لدى المريضة في أثناء راحتها أو غيابها ، فلما عادت في أحد الأيام بعد عطلة نصف اليوم ، وجدت سيارة الدكتور جون واقفة أمام الباب ، فصعدت السلم مسرعة خشية أن تكون

روين ! فهو لا زال يحبها ، أما الفتاة روث فلا تشغل أية ناحية من نواحي تفكيره

قضت حنا غلاف الخطاب في لهفة فلم تجده خطاباً طويلاً ، ولكن الإنشاء لم يكن من مواضع قوة « روين » وجملة واحدة تكني لكشف غرضه من الكتابة ... وهذا ما جاء في الخطاب :

« في نفسى شيء أريد أن أسر به إليك ، ولكننى لا أعرف كيف أصيغه كتابة . فهل لك أن تقابلنى حيث تشائين في يوم عطلتك من الأسبوع المقبل ؟ على أننى أنهز هذه الفرصة لأبذلكن أننى قد تحسن مركزى على غير انتظار ، فقد دعانى الشيخ تشارلتون يوم أمس إلى مكتبه وأخبرنى أننى قد ارتقيت إلى مركز شريك أصغر ، فما رأيك في ذلك ؟ »

لقد أدركت حنا معنى هذا الذى قرأته ، وليس معناه إلا أن أيام عملها ممرضة ولياليها المضطربة قد أوشكت على نهايتها . قروين يريد أن يتحدث معها في المستقبل وما يجب أن يعده له . ولقد حال الحجل بينه وبين أن يكتب ما يريد أن يقول ، ولكنهما حين يجتمان ... وهنا التهب وجتا حنا بحمرة الانفعال السيد ...

ولما عادت حنا إلى غرفة المريضة فاجأها هذه بقولها في لهجة الناقد الدقيق :

— إنك أيها الأخت حنا أجمل جداً من أن تكونى ممرضة

فاخر وجه حنا حياء ومضت فيقول في لهجة التأييد اللطيف :

— ويجب أن تزوجى

فلم تستطع حنا أن تجيب على هذا الكلام بأكثر من قولها :

مريضتها قد ساءت حالها على حين فجأة ، ولكنها اطأفت حين سمعت صوت الدكتور جون الحنون يصل إلى أذنها من خلال الباب نصف المفتوح ، وهو يقول :

— إننا لن نتناقش في ذلك مرة أخرى إذا كان الأمر يضايقك ، وما أريد منك في هذه اللحظة أن تقضى برأى في الموضوع ، فالوقت لا زال متسعاً أمامنا ، وما زلت أنا شاباً ؛ ولا يزال في مقدورى أن أكون مستقبلي على ما أريد ، ولكنك تستطعين أن تساعدني إذا أنت أردت ، وإنى لاحتاج إلى إنسانه مثلك .

وما سمعت حنا هذه الكلمات حتى انصرفت تسير على أطراف أصابعها ، فلم يكن مثل هذا الحديث بالذى يقصد به إلى أن تسمعه ، واستمر الطبيب بعد ذلك عشر دقائق في حضرة المريضة ، ثم انصرف ، وارتدت حنا ملابس التريض وذهبت إلى مكانها في غرفة فيث ، وكانت فيث لأول مرة مستلقية ساكنة هادئة يبدو عليها الانهماك والفكر ، فقالت للمريضة : — آسفة لأننى كنت في الخارج عند ما حضر

الطبيب

فقدمت « فيث » :

— لا بأس في ذلك ؛ فقد كان لدينا ما يحسن أن نتناقش فيه منفردين

واتجهت حنا إلى الشباك وأطلت منه فرأت سيارة الطبيب قد بدأت تتحرك في الوقت الذى وصل فيه ساعى البريد على دراجته . فطارت الفتاة إلى الدرج تهبط عليه في سرعة البرق وقد اشتد نبض قلبها ، وهى تقول في نفسها : هذه المرة ... بالتأكيد هذه المرة ...

وسلمها الساعى خطاباً وكان من روين ! فخذت فيه كأنها لا تصدق عينها فيما تروى . إذن لم ينسها

صب الشاي لروبن أشد إثارة للنفس من صب قطرات الدواء للمجائز المصابات بالروماتزم . وعما قريب ستكثر من مشاركة روبن مجلس الشاي .

ونظرت حنا إلى صديقها بعين مستحيية وقالت :
— لقد كان عظيماً بآ ترفيتك يا روبن !
فتناول روبن طبقاً فيه نوع من الفطير وقدمه إلى حنا وهو يجيب على قولها السابق بمبارة مضطربة إذ يقول :

— آه... آه... نعم... ألك في شيء من هذا الفطير ؟

فقالت الفتاة :

— أنسيت يا روبن أنى لا أستطيع أن أطعم هذا النوع من الفطير ، إنى أفضل قطعة من الخبز المادى المحمر

ومضى الفتى يتحدث في شؤون مختلفة كالأشرطة السينمائية التى شهدتها والروايات التمثيلية التى حضرها والكتب التى قرأها . فاصفّت حنا لهذا الحديث متجذبة كما لو كانت تصنى إلى حديث مريض مشاكس ولكنها لم تلبث أن تنهت إلى أن روبن ليس بمريض ممن تسهر عليهم . فسألته :

— متى تبدأ ياروبن عملك الجديد شريكاً أصغر ؟
فبدأ على الفتى شيء من الحيرة وقال :

— المتعب فى الموضوع يا حنا... هو... هو أننى لن أشتغل هنا بعد الآن ، فقد قررت الشركة إرسالى إلى نيويورك
فصفت الفتاة طرياً وصاحت :

— مرحى ! لقد كنت أصبو دائماً إلى الحياة فى أميركا . ألا ترى ياروبن أن الحياة هناك ستكون مثيرة لمواطنى ؟

ولكن روبن لم يجب على هذا الكلام ، وسادت

— قد أتزوج يوماً ما . وقد يكون هذا اليوم قريباً ...

الزواج ! هو الحلم الذى يشغل رأس حنا ! إنها لترنو إلى اليوم الذى يصبح لها فيه يد خاص بها ، إلى اليوم الذى تستطيع أن تنفق فيه المال ، وتتبع الملابس ، وتعنى بجديقتها ، لا يقلق نومها صوت الجرس الذى يدق فى منتصف الليل ، وأتات الرضى التوجع ، والواجبات التى تصدع الرؤوس . اليوم الذى تتحرر فيه من قيد مواعيد قياس الحرارة ، ومن إعداد قناني الماء الساخن ، حرة فى أن تمشى كما يجب أن تمشى ، حرة أن تمنع نفسها بما تصبو إلى التمتع به .

وترقية روبن التى أنبأها خبرها هى الوسيلة إلى تحقيق هذا الحلم السعيد ، لأنها تمكنهما من الزواج بعد هذا الانتظار الطويل .

وبعد أسبوع قابلت حنا خطيبها روبن فى مقهى الظير الأزرق فى كلثون ، فلما مدت إليه يدها مصافحة ضغط أصابعها ضغطاً مؤلماً وهو يصيح :

— مرحى ، يا حنا !

فلمت عينا الفتاة وهى تقول :

— إنه لمن السعادة أن أراك ثانية ياروبن ؟

فرد الفتى على هذه التحية بقوله :

— ألا تضرعن بحاجة إلى فنجان من الشاي ؟
فضحكت حنا وقالت :

— هل عرفت فى حياتك ممرضة لا تحتاج إلى الشاي ؟

وجلس الاثنان على مائدة فى أحد الأركان . وشمرت حنا تفرغ له الشاي فى فنجانه ، غير ناسية أنه يضع دائماً ثلاث قطع من السكر فى الفنجان الواحد ، وأنه يجب الشاي القوى ، وشمرت بأن

— هل بضايك أن أستعير هذه التسمية من
الس ميرتون؟ فقد كانت هي التي تناديك هذا النداء
أم ترينني غططاً؟

فأجابت حنا وهي تجلس إلى جانبه :

— نعم يا دكتور هي التي تناديني بهذا النداء
فحرك الطيب العربة وهو يقول :

— هذا حسن جداً ... وعلى فكرة لقد كنت
أراك دائماً تظلين من الشباك على الطريق ...

فمضت حنا شقتها، وقالت في نفسها : إنه إن
يراها في الشباك بعد الآن ، فلم تعد بها من حاجة
إلى الترقب ، ولم يعد أمر ساعي البريد لهما في كثير
أو قليل

وجرى الحديث بين حنا والطيب في أثناء الطريق
على الرخصة فقال الطيب :

— ستفاد مسس ميرتون الفراش بعد قليل ،
وقد لاحظت أن هؤلاء الفتيات الحديثات تكويناً
عجيباً . وهي في الواقع أصبحت في غير حاجة إلى
ممرضة

فقال حنا في شيء من المكر :

— ولا إلى طيب أيضاً !

فقطب الطيب جبينه وقال :

— ولكن لا بد لي من أن أزورها بضعة مرات
أخرى فالأمر كما ترين ...

ثم حبس الطيب الكلام في فمه وعاد فقال :

— آسف فقد كدت أنسى لك سرّاً ، وقد

طلبت مني فيث أن احتفظ به لنفسى إلى حين

فلم تقل حنا شيئاً ، فقد كانت على علم بما يرى
إليه ، فليس من المفروض أن يقع الأطباء في غرام
مرضاهم ، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يملك
نفسه دون الوقوع في حب فيث ؟ وفيث نفسها

الجو فترة سكون طويل عميق غامض انزعجت له
نفس حنا ، فلم تلبث أن نظرت إلى وجه روبن وقد
علته حمرة الحجل ، فأدركت الحقيقة على حين فجأة
وسألت في هدوء :

— إذن كان صدقاً ما شاع عن العلاقة بينك
وبين روث يا روبن ؟

فهمز روبن رأسه لإيجاباً وقال :

— أخشى أن يكون ما شاع صحيحاً ، ولقد
كنت أحاول منذ جلسنا هنا أن أخبرك ولكنني
كنت أجهل من ...

فقطعت حنا عليه الحديث قائلة ، وقد ملكت
عواطفها :

— ولا شك في أنك تكون أجهل من ذلك
إذا أنت تزوجت من امرأة لم تحبها . وإنني لأستطيع
أن أحتمل هذه الصدمة يا روبن ، وأعني لكما
السعادة في الحياة

إنها الهزلة أن تجلس حنا في ذلك المقهى تصب
الشاي لروبن متذكراً ما يحبه وما لا يحبه من قوة
الشاي وقطع السكر ، وعجبت إذا كانت روث تعلم
أيضاً بهذا الاجتاع وما يجري فيه

لم تدع عين حنا من أثر الصدمة التي أصابها
ولم تمتب على صاحبها ، وانصرفت على أن صاغت
مودعة ، وانصرفت تمشي الموهنا في شارع هاي
استريت ، بينما عادر روبن مسرعاً إلى محطة سكة الحديد
ووقفت سيارة الدكتور جون على حين فجأة إلى
جانب حنا فقال الطيب :

— هل أستطيع أن أوصلك أيتها الأخت حنا ؟
فوثبت حنا إلى العربة وكانت هذه هي أول مرة
يدعوها فيها الدكتور جون بسيارة « الأخت حنا »
وضحك الطيب لما بدا من إجحاف الفتاة وقال :

والأنس ، ولحرماتها الصداقة الوفية التي بدت من
جانب الدكتور جون

فكرت الفتاة فيما عسى أن يكون المستقبل مخبئاً
لها ، فقد تجد عملاً عند مريض آخر وقد يكون
شيئاً مضطرب الأعصاب ، يتهمها بظلمته فلا تقف
لها قدم عن الحركة طوال الليل والنهار... فهي غير
راغبة في مغادرة هذا البيت

شفيت فيث ، وجاءت ساعة الوداع فماعت
مرضتها وهي تقول :

— سأشعر بوحشة للأخت حنا ! ولا بد لي من
أن أتزوج سريعاً ، وسيكون لي كثير من الأطفال
وسأعيدك إلي بيتي مرة أخرى يا عزيزتي
فابتسمت حنا وقالت :

— أرجو أن تتزوجي منه قريباً ، وإني لواتقة
من أنك تستطيعين أن تحيطيه بأجل مظاهر السعادة
فخملت فيث بنظرها في حنا وقالت :

— أتزوج منه ؟ من هو الذي تقصدين ؟
فخملت حنا بدورها في فيث وقالت :

— أقصد بالطبع الدكتور جون !
فضحكت فيث ضحكا عالياً متصلاً وقالت :

— هل جئت يا عزيزتي ؟
فجلست حنا مندеше وقالت :

— ولكنك متحايان !

فهزت فيث رأسها وقالت :

— يجوز أن يكون قد أجبني ، ولكني ما زلت
طليقة القلب ، ولا شك في أنني أعترف بأنه مليح
صفحة الوجه ، وله شعر متماوج جذاب ولكنني أطلب
من الزواج شيئاً أكثر من ذلك ، وأخشى أن يكون
خوف منصرفاً إلى البحوث البخارية والسيارات
والطائرات وما إلى ذلك ، وإنه ليحزنني يا عزيزتي

كانت تداعبه في خلعة حتى في حضرة حنا نفسها !
ووقف الطبيب سيارته أمام البيت وقال :

— لن أدخل الآن ولكن أرجو يا حضرة
المرضة أن تتصلي بي إذا احتجت إليّ .

فقال حنا مبتسمة :

— سأفعل يا دكتور

فقال الطبيب :

— وطى فكرة ! أيتها الأخت حنا ...

ثم تردد لحظة عاد بعدها يقول :

— أرجو متى انتهت مهمتك في هذا البيت أن
تحضري لزيارتي فسأجد لك عملاً عند مريض آخر
فأجابت في هدوء :

— أشكرك يا دكتور .

وقالت الفتاة في نفسها وهي تصعد السلم :
« مريض آخر ! لقد تعبت من المرضى والسرير عليهم
إني لأصبو إلى النعيم والخيال والحب ، وكل شيء
مثل الذي تنعم به فيث ! »

وكانت فيث الآن في دور النقاهة ، فهي تجلس
وتنتقل من غرفة إلى أخرى وتخرج قليلاً إلى الشرفة .

وأدركت حنا أن أباه في ذلك البيت قد قارب النهاية
فلا بد لها من أن تناديه قريباً وأن تبحث عن عمل
آخر .

وبعد قليل كانت فيث في الحديقة تقود سيارتها
وتستقبل أسدقاءها ؛ وكانت حنا تحزم حقبتها
استعداداً للرحيل .

ولم تكن الفتاة راغبة في ترك ذلك البيت الذي
كانت تنعم فيه بشيء من الراحة والسعادة على الرغم
من جنابة روبن ... وستشعر بمد رحيلها بوحشة
لا تبتاعها عن فيث وما يحيط بها من مظاهر المرح

محل الجلد . ولابد أننى كنت فى ذلك المساء جد بلهاء
عند ما أجبته « بغم » ولكننى على كل حال لم أعن
ما قلت

فلم يزد الطبيب على قوله : « صحيح » وكان
صوته غاضباً وقد خرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه
فى عنف ثم اندفع إلى الدرج يهبط عليه مسرعاً .
فلحقته به حنا مسرعة فأدركته فى الزده وأمسكت
بساعدته وقالت :

— أوه... دكتور، أرجوك العفو إذا كنت
قد سمعت شيئاً من حديثكما فقد كان صوتكما عالياً ،
ولكنى أرجوك ألا تسمى الظن بغيره ، وتذكر أنها
كانت مريضة فلم تكن مالكة أعصابها ، وسيأتى
اليوم الذى تدرك فيه الحقيقة ، وأنا أيضاً أعرف
صدمة الفشل فى الحب ... فأرجوك ...

وقطع الحديث صوت فى وهى تنادى :

— الأخت حنا ! الأخت حنا !

فأسرعت حنا فى الصعود وهى تقول :

— ها أنا ذى حاضرة يا عزيزتى

ووقف الدكتور جون لحظة ينظر إلى الفتاة
الصاعدة السلم وقد بدت عليه أمارات الدهشة
ولآخر صرعه سمعت حنا صوت فى يناديها فى
لهجة التهمك ضاحكة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك

ترين من الشياك؟ هذا ساعى البريد يعود إلينا والدكتور
جون يذهب !

فتلفت حنا عجلة وهى ترى من غير الطبيعى أن
الطبيب ينادى البيت على هذه الصورة . وقد أنساها
التفكير فى الطبيب وما أسابه أمر ساعى البريد الذى

ألا أستطيع أن أمثل لك الرواية الغرامية التى تخيلتها
فنظرت إليها حنا نظرة قاسية وقالت :

— إذن كان يجب ألا تشجيه

فنظرت إليها فىث بدورها مندھشة وقالت

— أشجعه ؟

— وقالت حنا وقد شرعت بصدمة من

تصرف فىث :

— نعم ... لقد كنت تحاولين أن تظهرى

فى أحسن صورة كلما زارك

— ولكن ما أظنك يا عزيزتى كنت تريدین

أن أظهر كما حدى المجازل للقمدمات ، والحق أن المرض

ليصبح حملاً قتيلاً لا يطاق إذا لم يستطع الإنسان

أن يداعب طبيبه قليلاً

جزعت حنا لهذا الموقف وأدركت أن فىث

لم تكن إلا عاثة . ولكن ماذا يكون وقع هذا

الأمر فى نفس الطبيب ؟ إنه أكبر جداً من

أن ينظر إلى الحب هذه النظرة الطائرة . لقد حضر

فى ذلك المساء ليرى فىث فلما صاحبه حنا إلى غرفتها

قال :

— أريد أن أرى المس ميرتون على انفراد فى أمر

خاص فإن كان ذلك لا يضايقك فأرجو ...

فاكتفت حنا بهذه الإشارة ومضت ، ولكن

صوت المتحدثين كان يصل إلى أذنيها غامضاً . وأخيراً

فتح الباب وسمعت صوت الطبيب يقول فى صوت

مرتفع ولهجة غاضبة :

— ولكن لماذا شجعتنى هذا التشجيع كله

إذا كنت لا تقصدین إلى تحقيق ما وعدت به ؟

إلى غاضب منك أشد الغضب يا فىث !

فأجابت فىث فى طلاقة :

— إنك تحمل كل شيء يا دكتور جون على

— كنت أظن أن هناك مسألة شاب وخطبة
فأجابت حنا في ثبات :

— لقد كان ذلك ، ولكن لا وجود لهذا
الشاب في نظري بعد الآن ، ولقد مهد لي فرصة
جديدة للمودة إلى ما مضى ، ولكنني أفضل أن أجد
عملاً آخر

فقال الدكتور جون في هدوء :

— أريد أن أعرف منك يا حنا ماذا كنت
تظنين على وجه الدقة ، فيما يتصل بالعلاقة بيني وبين
مس ميرتون ؟

فاخبر وجه حنا وقالت له متلثمة ...

— ولكن ... أألم تكونا ... أنت ... وهي ...

فجز الطبيب رأسه وقال :

— لقد كنت جد مخطئة في ظنك . فالأمر كله
أنني كنت أحاول إغرامها بأن تنزل عن شيء من
مالها الكثير الذي تبخره في الهواء لبناء مستشفى
قروي . وقد وعدتني بذلك ثم أخلفت الوعد

فتنهت حنا وقالت في دهشة :

— أوه ...

غدى الطبيب في الفتاة وقال :

— ولكن ما الذي هلك على أن تظني غير ذلك ؟

فأجابت حنا في لهجة الجد :

— لقد كنت أنت تعلم وكنت أنا أعلم أن حالة

المریضة لم تكن تدعو إلى أن تزورها مرتين في اليوم

فاقيم الطبيب وقال :

— ولكنني لم أكن أحضر لزيارتها ، إنما

كنت أحضر لأتني لم أكن لأستطيع الانقطاع

طويلاً عن رؤية الأخت جينا الصغيرة وهي تنظر

من الشباك وديمة فتاة

وصل في ذلك الوقت ، إلى أن جاءت الخادم بخطاب
جاء به هذا الساعي

إنه خطاب من روبن ... فضت حنا غلافه
وقرأت فيه ما يأتي :

« عزيزتي حنا ...

أرجو أن تغفري لي ! فقد كنت أبه سخيفاً !
فأنا أعلم الآن أنها أنت وأنت فقط ، لقد هزنت روث
بفكرة الذهاب إلى نيويورك ، وفسخت خطبتنا ،
فهل تتفصلين بمقابلتي مرة أخرى يا حنا ، ناسية
الماضي مفتقرة لي ذنبي ؟ حبيبتك (روبن)
وما انتهت حنا من قراءة الخطاب حتى سألتها
فيث عرضاً :

— أخبار طيبة يا ممرضتي ؟

فملت المرأة الشديدة وجه حنا وقالت :

— لا أدري ... على أي أظن أن الوقت قد

حان لندهاي

وهبطت الفتاة إلى الطابق الأول وطلبت من

« كارثر » أن يحمل متاعها في السيارة إلى محطة

سكة الحديد وخرجت إلى الطريق ماشية

وكانت الساعة ساعة العمل في عيادة الدكتور

جون سيمور ، لذلك اضطرت أن تنتظر حتى ينتهي

من عمله . حتى إذا دخلت عليه الترفة نظر إليها

منما وقال :

— خير ؟ أرجو ألا تكوني مريضة ؟

فجلست الفتاة أمام الطبيب وقالت :

— لقد قلت لي منذ أيام يا دكتور جون إنك

مستعد أن تجد لي عملاً إذا أنا احتجت إلى ذلك .

والآن جئتك أطلب العمل

فنظر الطبيب إليها نظراً مستعجباً وقال :

نفضت حنا نظرها وقالت :
 — أوه ... جيكا !
 فضى الطبيب يقول :
 — وكانت ترقب على ما أظن مجيء ساعى البريد
 يحمل لها رسالة من جيبها
 فقالت حنا :
 — نعم كان ذلك أول الأمر . ولكنها لم تكن
 فى الأيام الأخيرة لتهم بأمر ساعى البريد حضر أولم
 يحضر . وعند ما انصرف الدكتور جون من البيت
 هذا المساء ... أحست هى ... هى ...
 ثم رفعت الفتاة رأسها ومضت تقول :
 — لقد نسيت ما جئت من أجله ، فأنا إنما
 جئت لأطلب منك العمل الذى وعدتني به ، فأين
 هو هذا العمل يادكتور ؟
 فتظاهر الطبيب بأنه يفحص بعض الأوراق
 على المكتب وقال :
 — آه ... نعم ... إنها حالة محزنة حقاً . حالة
 شاب فى مقتبل الحياة ، أمامه مستقبل حسن يشر
 بالنجاح ، وبكل شيء طيب ، ولكنه يشكو من
 تعب القلب ، وكان يظن أن مرضه غير قابل للشفاء .
 ولكنك إذا توليت أمره ياغريزى حنا ...
 فسألته حنا فى هدوء :
 — وما اسم هذا الشاب ؟
 أجاب الطبيب :
 — جون سيمور
 فهو الحبيب ممدى

التأمين ضمان المستقبل

أمنوا على أموالكم وأرواحكم

لدى :

(شركة مصر لعموم التأمينات)

تحافظوا على مقتنياتكم ضد :

والنقل بأنواع ...

كوارث الحريق ...

وأضرار السيارات ...

— هل السيدة موجودة ؟

الخادم — آية سيدة ؟

الآنسة — ...

الخادم — من حضرك ؟

الآنسة — ...

فتردد الرجل برهة ثم تركها وخف

إلى الداخل فذاب حيناً ثم عاد فدعاها

إلى الدخول . ومشى أمامها على طنفسة بنفسجية

في ردهة صقيلة تكاد حوائطها تضيء ولم يضئها

مصابيح ، وأدخلها حجرة رحيمة يشيع فيها ضياء

هادئ وردي اللون جميل ، وجلست الآنسة ففاصت

في نخل وحرير

وخرج الخادم موصداً الباب وراءه . وبعد حين

سمعت الآنسة وقع أقدام مسرعة ، وفتح الخادم

الباب إلى أقصى اتساعه ووقف بمسكابه في احترام .

وخطرت إلى الحجرة ربة القصر ، سيدة نصف

في العمر ، قد ضمت الحسن من أطرافه مجلوبة وغير

مجلوبة ، جمت الأنوثة الكاملة الناضجة والعقل الراجح

المتقف ، في عينيها سيال حنان ، وفي فمها كنز

عجبة ، يتقدمها أريج كأنه نفع من جنات الخلود

جلست السيدة والآنسة متقابلتين . قالت السيدة

بعد سكوت : « خيراً يا عزيزتي ؟ ! » قالت الآنسة

في تكرار وعثار « علمت أنكم ... ياسيدي ...

بحاجة إلى فتاة متملة لتربية الأطفال ... فجئت ...

أطلب الخدمة ... فنظرت إليها السيدة في دهشة

وقالت : « من أنباك هذا ؟ ! » قالت الآنسة في ارتباك

ظاهري : « ... عرفته ... »

كان للسيدة أطفال قامت على تربيتهم إلى اليوم

بنفسها دون استئمان بمربيات ، فقد أرتأت ألا تعهد

عذائية

أقصوصة مصيرية
بقلم الأستاذ عبد المغني علي حنين

في أحد الأحياء المترفة بمدينة القاهرة ، وفي

طريق أقفرت من السارة في ليلة من ليالي الشتاء ،

مشت آنسة نحيفة المود ، شاحبة اللون ، تلبس على

عينها عوينات وتحمل يمينها حقيبة ثياب ، يبدو

عليها الإعياء الشديد ، وتنتظر أمامها في شبه ذهول

ووقفت الآنسة فجأة والتفتت نحو مبنى أبيض

من طابقين ومشت إلى باب سوره بخطى وثيدة

ومدت يداً نحيلة فمالجت الباب الحديدى فطارعها

وافتح ، وأسفر عن روضة بديعة التنسيق . مشت

الآنسة إلى درج من الرخام الأملس ، على جانبيه

صفان من أصص الرياحين . وتوقفت حائرة ومحت

أن تمود ثم عدلت ، ومضت ترقى الدرج في ببطء

شديد كأنها تجر بقدميها طن حديد ، ووقفت أمام

باب نفح عريض قد من أثنى البلور وازدان بإطارات

لجينية . ومدت يداً مرعجة إلى ضاغطة عاجية

فستها فاز الجرس وتلا الأرز وقع أقدام خفيفة ،

ثم انفتح الباب وأطل منه خادم نوبى في قفطانة

الناصع ، وحزامه القاني ، وخفه المقبوب

تفرس الخادم في الطارقة المجهولة ووقف برهة

صامتاً وأرتجى على الآنسة فوقفت هى أيضاً صامتة

ثم تملككت نفسها وقالت :

بل تقول إنها تعرف ... ١١ « قال البك : » أدخلني على هذه الزائرة إذا سمحت « فأرسلت في استدعائها . وأقبلت الفتاة وجلة صفراء ، غياها البك متلفكاً ودعاها للجلوس . ثم قال بصوته الجمهوري : « من قال لك أننا بحاجة إلى مربية ؟ » قالت الأنسة : « هذا يأسيدي يحتاج إلى شرح ، وأنا متعبة جداً الآن ، وستعرفون ذلك مني بعد استخدامي » فنظر إليها البك بارتياح . قال : « أنصرفين أحداً من خدم هذا المنزل ؟ » قالت : « لا » فنظر إليها بارتياح أشد . وسكت قليلاً ثم قال : « هل سبق أن اشتغلت مربية ؟ » قلت : « لا » قال : « أنصرفين أحداً يمكن أن يعرفك إلينا ؟ » قالت : « لا » قال : « اسمي يا آنسة ! لا يمكننا أن نستخدم شخصاً لا نعرفه ، ولم يقدمه إلينا شخص معروف أو جهة معروفة .. متأسف ! » ودار بكروسيه ليواجه أوراثة

فنهضت الفتاة واقفة ، وانجهرت عيناها ، ويمتد نحو الباب . ثم توقفت وقالت : « أيمكنني يا سادتي أن أبيت هنا الليلة ؟ » فنظر البك عرجاً ثم قال : « أليس لك مسكن ؟ » قالت : « لقد طردني أخي » وأجشمت بالبكاء . قال البك : « من هو أخوك ؟ » فلم تجب . قال : « أليس معك نقود ؟ » فلم تجب . فأخرج من جيبه نقوداً ومد يده قائلاً : « خذي هذه واقضي الليلة في فندق ... و ... تعالى إلى في الغد ، وأنا أنظر في أمرك » . فأبت الفتاة أن تأخذ النقود وغادرت الحجر

عندئذ نادى سيدة الدار قائلة : « إندريس ؟ » ، فجاء الخادم النوبي . قالت : « لا تدع الزائرة تخرج ... أدخلها حجرة الاستقبال ... أغلق الباب » . ثم الفتت إلى قريتها وقالت : « ماهذه القسوة يا عزيزي !

إلى غيرها بأول واجباتها وأسمى وظائفها . ولكن حدث أن دعيت للاشتراك في جمعيات نسوية فلبت داعي الجهاد في ميدان النفع العام . ولم يكن ذلك في المبدأ ليشتغلها عن أطفالها ، أو يستنفد من وقتها إلا يسيراً . ولكن نشاطها الاجتماعي نما وتشعب ، وصار يشغل من وقتها بضعة ساعات في أكثر الأيام تضطر فيها إلى ترك بنها في رعاية خادمت جاهلات . لذلك رغبت في استخدام مربية متملة تنقيها بعباية وتشرف على عملها ما استطاعت .

أما موضع الدهشة فهو أن هذه الرغبة لم تحظر يبالها إلا يوم أمس ، ولا يعلم بها أحد سوى قريتها التي لم تلتفت فيها إلا ليلية أمس ، ولم يتفقا بعد على التنفيذ . فمن أين جاء الفتاة عليها ؟ ! كررت السيدة على الأنسة السؤال ، ولجت الأنسة في الارتباك .

قالت السيدة : « اسمحي لي ... برهة ... » ثم غادرت الحجر ، ودخلت على قريتها في حجرة مكتبه ، وهو مكب على أوراق يستمرسها ، فقد كان مديراً لشركة هندسية وزعيماً اقتصادياً كبيراً .

قالت : « عزيزي ! ... هل أعلنت عن حاجتنا إلى مربية ؟ » قال : « لا » قالت : « ألم تخاطب أحداً في هذا الشأن ؟ » قال : « لا » قالت : « شيء غريب ! ! ! » قال : « ماذا ؟ ! ! » فروت له حديث الفتاة .

فتبسم البك وقال : « لا بد أنك حادثت أحداً في هذا الأمر ولا تذكرين » فهزت رأسها بالنفي المؤكد ، وكان البك يعرف أن قريته تعني دائماً ما تقول .

قال البك : « لعل الأنسة طرقت بابنا مصادفة للسؤال عن عمل » قالت : « إنها لم تسأل ...

جثت السيدة بجوار الآنسة تقلب فيها وتجس نبضها ، ووقف البك لا يفعل شيئاً . بل لقد خطر له أن الأمر كله رواية مدبرة وهذا فصل منها . قال إدريس : هل أدعو الإسعاف يا سيدى الباشا ؟ . و (الباشا) هو القرب الذي اعتاد إدريس أن يمنحه لسيده . فلم يجبه سيده بشيء ، وأشارت إليه سيده أن احملها ، وقالوا إلى حجرة نوم ، وطفقت السيدة تستمعها بما في مقدورها دون أن تفيق

قال إدريس : « هل أدعو الإسعاف يا سيدى الهامم » . قالت سيده : « لا... بل استدع الدكتور فلان ... بالتليفون ... أسرع ... »

وحضر الطبيب ، فلما فحص المريضة هن رأسه في بأس ، ثم طفق يمالجها بالحقن والأشربة المقيمة والنهات والتدليك وقتاً طويلاً دون أن تفيق .

قال الطبيب : « لا أملاك بإساذنى أن أمكث أكثر من ذلك ، ولكن أرى المريضة بحاجة إلى عملية فنية متواصلة مما لا يتيسر إلا في مستشفى ، وحيث أنها زائرة مجعولة لكم فالأرى عندي أن تنقل إلى قصر المعنى بواسطة الإسعاف »

فتقدم إدريس ليلتقى الأمر باستدعاء الإسعاف . ولكن الطبيب مضى يقول « غير أنى أصرحك القول بأن ثقلها شديد الخطر على حياتها . والحل الآخر هو أن أذهب أنا ، وأبث إليكم بمرضة مزودة بما يلزم من التعليمات والأدوية قسهر عليها حتى الصباح » قالت السيدة : « ليسكن ذلك يادكتور » وذهب الطبيب ، وجاءت الممرضة .

وهم السيدان بالذهاب إلى الفراش فقالت الممرضة « أرجو يا سيدى الهامم أن يكون أحد الخدم على مقربة منى طول الليل ، فقد أحتاج بعض أشياء » قالت

فتاة ضعيفة ، نحيلة الجسم ، رقيقة الثياب ، مشردة في هذه الليلة الباردة ، تهيب بنا أن تؤوبها ، فندفع بها إلى الشارع ولدينا سمة لميت عشر مثلاً ؟ » قال قريئها : « مهلاً يا عزيزتى الأترين في أمر هذه الفتاة ما يدعو إلى الرية ؟ نحن لا نعرف من أمرها شيئاً ألبتة ، وهي تأتي أن تقول أى شيء عن أمرها ، وكل احتمال بشأنها جائر عندي . وحتى لو صدق ما قالت من أن أخاها طردها فأكبر الظن أنها أنت أمراً إذاً حمل أخاها على طردها في هذه الساعة من الليل »

قالت : « قد يكون شيء من ذلك . ولكن ألا يجوز أن الفتاة سليمة النية ؟ »

قال : « هذا جائر أيضاً . ولما قدمت إليها نقوداً لتأوى إلى فندق ، ودعوتها للعود في الغد لا تعرف أمرها في فسحة النهار » . قالت : « قلبي يحدثنى أن هذه الفتاة تستأهل المطف . إن لى حاسة سادسة تمكننى من الحكم على الأشخاص حكماً صحيحاً دون استدلال منطقي » . فتبسم البك وقال : « أنا يا عزيزتى لا أعرف شيئاً عن هذه الحاسة السادسة ، وليس لى إلا خمس حواس فقط بعضها في غاية البلادة وليس عاجز مثل إلا التعويل على النطق والمقول . أنا لا أرتاح مطلقاً لميت هذه الفتاة هنا الليلة »

وفي هذه اللحظة انبث من الردهة صوت رضى ثم طرقت باب الحجرة بلهفة ، وفتحه الخادم إدريس قبل أن يؤذن له ، وصاح : « النجدة يا سيدتى ... الزائرة سقطت في الردهة مفتشاً عليها »

فنهض السيدان وخفا إلى الردهة . ومضى إدريس في إثرهما يقول : « دعوتها إلى حجرة الاستقبال فأبى ، وظلت واقفة ، ثم سقطت هكذا »

ولحظة وضع الباشا قفحه في الطبق قائلاً :
 « تذكرت ... تذكرت تماماً ... أتعرف يا سيدي
 البك فلاناً الأديب الشاعر الذي توفي منذ بضعة
 سنين ؟ ... جاء إلى عيادتي ذلك الرجل الفاضل رحمة
 الله عليه ، منذ نحو عشرة أعوام ومعه ابنة له في نحو
 الخامسة عشرة ، وقال إنها مصابة بمرض عصبي ،
 ففحصتها ، فلم أجذبها مرضاً عصبياً ، بل وجدت
 ضمناً عاماً فقط ، وعالجتها حتى شفيت ، وكان اسم
 الفتاة عنزية ، وهي هذه بعينها ، فقط كانت تلبس
 على عينيها عوينات » فأشار رب الدار إلى عويناتها
 وكانت على نضد بجوار الفراش

وتعجب الجميع من هذه الصادثة

قال البك : « وما الذي حل أباها على الظن بأن
 مرضها عصبي ؟ » قال الباشا : « سألته في ذلك ،
 فقال إنها تذهل أحياناً ، ثم يبدو كأنما حجب النيب
 تكشفت أمامها ، فتقول مثلاً : إن فلاناً قريبنا في
 مكان كذا يعمل كيت وكيت ، أو ترشدنا إلى شيء
 نبحت عنه ، أو تنصحننا في بعض الأمور » قال :
 « فطلأنت الرجل وأفهمته أن مرضها قد زال ،
 أما هذه الحال فلا خوف منها وهي طبيعية »

قال البك مندهشاً : « ... طبيعية ! »

قال الباشا : « نعم . هي خاصة نفسية معروفة ،
 تتجلى واضحة في بعض حالات النوم المنطبيس ،
 وتنشأ ذاتية عند بعض الناس ، ويمكن إرهابها
 بالتصوف ، وقد عرفت في كل المصور ، وبلغت
 أوجها في الأنبياء »

قال البك : « اغفر لطفلي يا باشا ولكني بحاجة
 إلى زيادة إيضاح »

قال الباشا : « أنت تعرف يا سيدي البك أن
 ما نذكره بمحو اسما للحس وبالأجهزة العلمية التي اخترعت

الحاتم : إندريس ! إسر مع السيدة إلى الصباح ،
 وناولها ما قد يلزم » ثم انصرفت .

ومضى إندريس مهموماً ، فجاء بكرميه النشوي
 ووضعه على باب الحجر ، وهو يزجر بلهجته النوبية
 قائلاً : « ليلة طويلة بتاعتو . جاي منين البلاوي دي »
 وأصبح الصباح فبادرت ربة الدار بالسؤال عن
 المريضة . قالت المريضة : « إنها كما هي ، ولكنها
 تنبت بضعة دقائق أثناء الليل ، فأردت أن أحادثها
 فلم أجدا ما أقول إلا السؤال عن اسمها ، فقالت إن
 اسمها عنزية ، وهو اسم لم أسمع به قبل اليوم ياسيدي
 الحاتم » .

وفي مساء ذلك اليوم اجتمع بحجرة المريضة
 ربا الدار ، والطبيب . قال الطبيب : « إني متحير
 في مرض هذه الأنسة ، وأرى عرضها على فلان باشا »
 وأسمى نظاميا مشهوراً ، وأستاذاً كبيراً . فوافقت
 ربة الدار على استدعاء الباشا ، وأصرت عليه .

وجاء الباشا ، فلما فحص المريضة قال « هبوط
 عام ، ولكنها ليس خطيراً ، وسأصف لها دواء أعتمد
 أنه سيفيدها » وبينما هو يكتب الدواء رنا إلى الأنسة
 وقال : « لقد رأيت هذه السحنة مرة ، ولكني
 لا أذكر متى ولا أين » وأتم وصف الدواء ، ثم سأل
 عن اسم المريضة فقالوا : « عنزية » قال رب الدار
 « اسم غريب يساعد الباشا » قال الباشا : « نعم
 غريب ، ولكن الأغرب منه أني سمعته مرة ورأيت
 هذه السحنة مرة ، ولكني لا أذكر متى ولا أين »
 وطفق يفرك جبهته مكرراً . « متى ؟ أين ؟ »
 ثم قال « لا أذكر » ونهض مستأذناً للخروج .
 ورجاه رب الدار أن يتناول القهوة ، وكان
 الخادم قادماً بها ، ثم جلسا يحتسيانها ويتحدثان في
 شئون عامة .

أخي « ومضت تقول : « لما توفي أبواي كنت في مرحلة التعليم الثانوي ، وكان أخي قد نال شهادة عالية وألحق بوظيفة حكومية هامة ، ولم يترك والداي أي مال ، فانتقلت عن الدرس ، وعشت من مال أخي في منزله . ثم وسوس الشيطان لأخي فبدأ يستغل سلطة وظيفته في الحصول على منافع مادية ، وأحسست إحساساً خفياً بأن الرزق غير نقي ، وكان والدي منذ وفاته يتمثل لي في بعض غفواتي وأشاهده مشهدة أشد وضوحاً من مشاهدات اليقظة ، وجاءني أبي يوماً فقال : « نهي أخاك إلى سوء المصير الذي ينتحدر إليه . إنه سيفلت من بطش القانون في حياته الدنيا ، وهذا من سوء حظي ، فالويل الذي ينتظره في أخراه لا يوصف »

قلت : « قابلت ذلك لأخي حرصاً على صالحه ولكنه غضب ، وحقد عليّ حقداً شديداً ، وتغيرت معاملته لي . إلى أن كان فجر اليوم الذي جئتكم فيه فتمثل لي أبي وأخذ يبدى ، وقال : « تعالى معي » ثم أحسست أننا ننتقل ، وإذا بنا نلحق في أجواء منعشة ، وأنوار بهيجة ، ونشرف على رياض ناضرة وأنهار صافية ، ومساكن طيبة ، ومشاهد لا تصور جمالها ريشة أي فنان ، ولا تتساقى إليها أحلام أي شاعر ، وعة رجال ونساء كلهم في ميعه الصبا ، وعلى أقصى غاية الجمال . قال أبي : « هنا الفردوس ، وإلى هنا يأتي كل من قضى حياته الدنيا عاملاً لإسعاد البشر ، ساعياً بنفسه وبهم إلى التساقى . إلى أقيم هنا يا ابنتي ، وما كنت أحلم أن جهودي التواضعة تستحق عشر معشار هذا الأجر » قلت : « يا أبي هذا العالم حقيقى عسوس ، وهو موجود في سماه الوجود ، فما بنا على الأرض ننظر فلا نراه ؟ » قال : « إنه في الآثير . إن كل أشياء هذا الكون

في مدى قرنين أو ثلاثة ، لا يمد قطرة في محيط هذا الوجود ، فأعلم ياسيدي أن في الناس شواذ يستطيعون الحس ببعض ما لا ندركه بالحواس ولا بالأجهزة العلمية المعروفة حتى الآن ، كأنا وهب هؤلاء الناس حاسة سادسة أو امتداداً في حواسهم الحس »

قال البك : « إن قولاً كهذا من عالم كبير مثلك ياسيدي الباشا يفتح الباب واسماً أمام الدجالين والشموذين » قال الباشا : « إني أفرك على هذا مع الأسف الشديد ، فإداه هذه الخواص للتغرير بالجمهور أمر ميسور ، والذين يرتقون من هذا السبيل في مجموعهم محتالون أدعياء ، ولا حيلة إلا أن يبطش بهم القانون بلا استثناء » قال البك : « ألا ترى أن الأولى إنكار هذه الخواص كلية لقطع السبيل على الدجالين ؟ » قال الباشا : « قد يكون ذلك ولكن الحقائق الثابتة لا تنسك » ثم إن إنكارها لحماية الناس من الدجل قد يجر إلى ما هو شر من الدجل فهو يمهّد للهزة بكرامات الأولياء واعتبارها خزعبلات ، ثم إلى إنكار النبوة نفسها واعتبارها دجلاً ، ثم إلى الإلحاد المطلق »

قال الباشا ذلك ونهض مستأذناً ، وودعه رب الدار إلى سيارته بالتجيلة

تأملت الربيعة للشفاء بسرعة بفضل دواء الباشا وتولت مهمتها في المنزل كرمية ، وأنس أهل البيت فيها الدكا ، وسمو الخلق والتقوى ، فازدادوا اطمئناناً إليها يوماً بعد يوم

قال البك ذات يوم لقرينته : « ألم ترو لك الآنسة شيئاً من ماضي حياتها ؟ » قالت السيدة : « لم أفاتها في ذلك فقد يكون فيه ما يؤلمها » فاستدعاه البك وقال : « نحن لم نعهد عليك سوءاً فما الذي أغضب أخاك عليك ؟ » فأطرقت الفتاة قائلة : « عفا الله عن

حالاً أفضل من حاله فيما طول حسرتة وعذابه وبعد :
الشقة التي تنتظره حتى يبعد إلى أرض النعيم »

وأشار إلى ناحية وقال : « أنظري ! هنا يقبع
الذين كانوا يرتشون ، يخونون الأمانة ويفسدون
الخلق ، ويمطون الحقوق لنير أربابها ويفوتونها على
أصحابها . وأشار إلى أحدهم فرأيت به بطم خده ، وعيزق
جلده ويقطع شعره ويكي بدمع بيغين ويندب قائلاً :
« ويلى ! ويلى ! والله لو أدريت ملء الأرض ذهباً
لاقتديت نفسي به ولو ساعة واحدة بما أنا فيه »

ثم أخذ يدي وأحسست أننا نصعد ، وإذا بي في
حجرتي ، قال أبي : سأركب الآن على أن تصق لأخيك
مارأيت . إن كلامك قد لا يفيد ولكن افعل ...
ثم اخفني وعدت إلى نفسي

قالت الأنسة : فانتظرت حتى عاد أخى في المساء
وقصصت عليه ما رأيت . فبس وبسر ، ومن على
إعالي وإطماى ، وأقسم عينا غليظة ألا أمكث
في منزله بعد ذلك لحظة واحدة . فجمعت ملابسى
وخرجت حائرة لا أعرف أين أذهب . وإذا بهاتف
يقول : أنظري أمامك ، فنظرت فرأيت هالة من
النور ، قال الهاتف : تنبئ هذا النور ، فقبعت حتى
صرت أمام هذا المنزل ، وافقتدت النور فوجدته
على باب سور الحديدية ، ثم سمعت الهاتف يقول :
« ادخلي هنا فهم بحاجة إلى مربية أطفال »

وسكتت الأنسة ثم أطرقت وعيناهما تدمعان
منعت الشهور والسنوات والأنسة كأنها فرد
من أفراد الأسرة وأحبها كافة من المنزل ، حتى
أن إدرس نفسه بدأ يشعر نحوها بحب واحترام
خالصين . ولم يعد يسميها « البلاوى » بل تلم
أن يقول « السيدة عذرية »

هبر الحفى على صبي

حتى المساء التي تحسونها إنما هو موج في الأثير ،
ولكنكم لا تحسون إلا صفناً واحداً من الموج
وهو المادة

ثم أخذ يدي . وأحسست أننا نهوى في سرعة
وإذا بنا على أرض جرداء لا نبات فيها ولا شجر ،
مظلمة الأجواء ، فيها أكواخ عاطلة من كل زينة
ورجال ونساء عليهم سب الفقر والقنوط ، قال أبى :
« نحن بالقرب من سطح الأرض ، وإلى هنا يأتي
الذين لم يهتموا في حياتهم الدنيا بغير نفوسهم ،
ولم يصب العالم منهم خيراً ولا شراً . إن حواسهم
الروحية ميتة ، وكيانهم الروحي كثيف » قلت :
« وهل يظنون هكذا ؟ » قال : « نعم . إلا من بدأ
يشمر بما فوت على نفسه من فرص فيعوضه الندم
وتحرقه الحسرة ، وهذا المذاب يوقظ من حواسه
الروحية ، وينقص من كثافته ؛ فيرتفع في بقاء
وعناء إلى عالم النور »

ثم أخذ يدي ، وأحسست أننا نهبط ، ولكن
في صموبة وبطء ، فقد كان الجو كثيفاً قائماً وازداد
الجو كثافة وقاماً ، وصار حاراً كريهاً خائفاً لا يطاق
قال أبى : « أنعمي النظر » فإذا بي أرى أشباحاً
صروعة ، ليس فيها من الصورة الأدمية إلا أترأ ،
وجوه شوهاء وأطراف طويلة وعيون جاحظة وأجسام
من ظلام ، فيها المصيح حتى التكويز والأعنف
حتى الظلام . قال أبى : « هنا الذين اجترحوا
السيئات قد رسبوا إلى الحضيض ، وحشدوا مما
ينشئ بعضهم بمضاً ، ويسخر بعضهم من بعض ،
ويوسوس بعضهم إلى بعض وإلى من على شاكلتهم
من أهل الدنيا . أكثرهم لا يؤمن بالله ، ويمتد
أن ليس في الوجود إلا هذا الذى هو فيه . أما من
أخس منهم بخيئته وبواره ، وأدرك أن في الوجود

حاجي بابا اصغرها ناني

للكاتب الانجليزى "جهن مور"
بغلام الأستاد محمد اللطيف النشار

الفصل الخامس والستون

تجارة الفصوص . حب الله عثمان أغا

كان منزل عثمان أغا يقع فى حارة ضيقة تتمثل بالشارع الموصل إلى سوق من أكبر الأسواق فى المدينة، ورأيت أمام باب المنزل كثيلاً من القاذورات عليه عدد من السجج وبعد كتيب آخر عليه كلاب صغيرة تحرسها أمها، وكان عواء هذه الأجراء خليقاً بأن يجمع الطائفة المهذوءة عن النفس، وبين هذين الكتيبين باب منزل عثمان أغا الذى دخلنا منه، وكان المنزل بناء صغيراً يحتوى على حجرات قفرة لا أثر للنظافة فيها ولا يمتثل شكلها عن نمرة وراء . ولم يكن لى من المتاع غير سجادة صغيرة فانتقلت من الخان الذى نزلت فيه إلى منزل الأغا، وجعلت مقامى فى ركن من أركان حجرته الخاصة ووضع هو فراشه بجانبى ولم يجوارى

ولكى يحتفل بى عثمان أغا ذبح لى كبشاً وسواه وأضر لى صحناً من الأرز وأضاف إلى ذلك بلعاً وجبناً وبصلًا، وقد جهزت ذلك الطعام زوجته نفسها وابنتها تساعدهما جارية ليس فى المنزل سواها من الخدم؛ ولم أكن إلى تلك اللحظة قد رأيت واحدة منهم إذ وصلنا إلى المنزل فى الظلام . ولم يكن من حسن الخلق أن أسأل عثمان عمن إلا بقدر ما يسمح هو بإخبارى

وشاركنا فى المأدبة تاجر جلد دعاه عثمان أغا للحضور، وكأنت قد عرفته فى رحلاته فى بخارى . ودار الحديث فى الشئون التجارية التى كنت أجعلها ولذلك لم أشترك فيه إلا ما ندر، فرغم إرادتى الشديدة فى التحدث مع الرجل عن تلك الشئون اكتفيت بأن أنصت إلى كل ما يقال، وجلست أسمع مناقشة فى التجارة تدور بينهما وقد حذرانى من الاتجار فى الجلود وشجبانى على شراء الفلايين للتبغ لأن سوقها فى ارتفاع ولأنه لا ينتظر هبوط أسعارها

انتهت الولية وذهب الضيف وقد شغلنى ما سمعت حتى لم أعد أفكر إلا فى الفلايين وفى الاتجار بها . وجلست طول اليوم فى ركن هناك أحسب كم غلبونا بتباعنا طوماناقى وكم أربح من بيعها فى الأستانة . وحين وصلت بخيالى إلى تلك الثروة التى ستهبط على من تجارة الفلايين قلت فى نفسى : « ما أربحه منها أبتاع به تيناً من أزمير وأذهب به إلى أوزبكا، وهناك أبيعهم بأثمان باهظة أحصل منها على ربح وافر، ثم أشتري طرايش أحملها إلى القاهرة وأبيعها هناك فيجتمع لى مال كثير أسفه فى أكياس وأذهب به إلى الحبشة فأشتري منها عبداً وإماء أبيعهم بأثمان غالية فى اليمن ومنها أشتري بنا وأعود به إلى إيران فأمال ربحاً كثيراً ثم أسترخ فى موطنى الأصل إلى أن أمكن من شراء منصب من مناصب الدولة قد يشترى فى مع الزمن إلى رياسة الدولة فى حكومة ملك الملوك

وحين ثبت أنورى على هذه الكيفية شرعت فى تجارى بزعمة ونشاط، وبعد أن نجحت أحسن

ورغم ما أصبت به في وجهي من التشويه فقد رأيت أنني أصبحت فتنة في نظر « ديلرام » وفي قلبها . و « ديلرام » الجلية هذه هي ابنة عثمان أغا التي لم تترك وسيلة إلا اتبعتها لتفهمني شعورها بحوي . وكانت هي وأما على دراية تامة بعلاج هذا المرض الذي أصبت به ، فأخذتا تمنيان بي وعرضاني وكأنا كانت قرحتي وحيد ديلرام لي . كأنما كان الأمران على موعد فقد ظهرا معا وتقدما معا . وفي الوقت الذي بلغ فيه مرضي أشده بلغ حبيب ديلرام درجة لا نطق . والحق أقول إن عدوى ذلك الحب لم تصبني إذ كانت فانتقي صورة صحيحة من والدها وكنت لا أستطيع أن أميز وجه أحدهما من وجه البعير . وكنت كلا نظرت إلى وجه « فانتقي » اتقبض صدري وتذافنت إلى خيالي الأفكار السوداء . ولذلك تقلت خبر اجتماع القافلة للذهاب إلى القسطنطينية بسرور وانشرح . وجمعت غلاييني وربطتها ودفعت أثمانها واشترت ملابس السفر . وكم كان سروري حين أعلن أن القافلة ستتحرك عند أول فرصة . مسكينة تلك الفتاة ديلرام ! لقد جعلت تنظر إلى خدي المصاب نظرة يأس ، وما كاد يذهب الورم عن خدي وفك آخر الأربطة عنه حتى حسبت أنها فككت كل قيد كان يمنحها من الابتهاج والسرور

الفصل السادس والستون

في طريق القسطنطينية

بدأت القافلة سيرها في طريق القسطنطينية في صباح يوم من أيام الربيع وجلست فوق حمل من أحمالي وسأرتها حولى ، وكنت أنظر إلى القافلة نظرة ارتياح وأصنى إلى أجراس البغال كما لو كنت أصنى إلى نجات الزمراء

الطرق وأفضل الوسائل تماقتت مع خطاب على أن يذهب إلى جبال « لور » وهناك يجد غابات من شجر يصنع منه الفلايين فيختر منها أصلحها ثم يمود إلى بغداد حيث تجهز وتصنع لها الباسم وتصدر إلى تركيا وعلى هذا النظام سرت ولكن في أثناء انتظارى رجوع الخطاب أصبت بمرض لا يسلم منه المقيم في بغداد فضلاً عن الغريب الزائر ، وانتهى بي ذلك المرض إلى قرحة حين تحبف ترك وراءها أثر أخيشنا في الجلد يطلقون عليه اسم « أخت بغداد »

وكانت قرحتي في وسط الخد الأيمن فوق نهاية شعر اللحية . وهناك تركت أثرها الخليث بعد أن نحت جزءاً من الشعر وترك بقعة قبيحة الشكل زرية المنظر . وتحملت تلك البلوى بصبر وجلد رغم ما كنت أشعر به أحياناً من الضغينة على القدر والحقد على الحظ لا اختيار ذلك المكان من وجهي وكان لها أن يختاراً من جسعي أى مكان آخر . ثم نهبت وقلت لنفسي : « فليكن ما أراد الله ؟ فلو خير كل حجر لا اختار أن يكون ماساً ، ولو استشير كل رجل في مكان قرحته لما رأيت وجهاً قبيحاً في بغداد »

ثم عزيزت نفسي قليلاً بأن وجه عثمان أغا لا يمدله وجه في الدمامة والتبج رغم أن قرحته لم تصبه في وجهه . وقد سر عثمان أغا من مصيبتى بدلاً من أن يعزبني ويشاركني في الألم فقد قال لي : « إنك لم يصبك في حياتك يا حاجي بابا غير هذه القرحة في وجهك فمدتها نعمة من الله . نعم لقد شوهت نصف الوجه ولكن النصف الآخر يبقى سليماً بحمد الله »

فقلت في نفسي : « بش هذا الرجل ! إن قبيح الصورة لا يطبق رؤية الحسن كما لا يطبق خيار الناس أشرارهم »

موطنى الأصلى فإنما أبى أرى ما لا عداد له مما يضل النظر فيه . ولئن كانت أسفهان نصف الدنيا فهذه المدينة هى الدنيا بأجمعها ! وأبى من هذه المباني الفخمة مباني أسفهان ؟! هنا مباني مقامة على ساحل متعرج جميل وهى تطل على الماء الأزرق الجرجاج ، وهناك مباني أحاطت بها الجبال الجرداء

ولا تسمع المدينة زجلاها ووقعها على ضفاف البحر تظهر كأنها منعكسة على سطح مرآة فيتضاعف اتساعها ويكثر رونقها وجمالها . ولئن أردت وصف كل ما فى المدينة من جمال يسحر النظر ويغلب الالب فليست بمنته أبداً ... آلاف من القوارب المختلفة الأشكال والأحجام تسبح على سطح الماء ، وبوارج لساراتها شكل الغابة ما رأت ذلك المرفأ الجميل وجعلت للبناء شكلا رهيبا

قلت لواحد ممن كانوا حولى : « والله هذه جنة فليتنى لا أفارقها » ... غير أننى ما فكرت فيهم بأيديهم هذه الجنة ولا فى العداوة التى بين قوى وبينهم ؟ ولما فكرت فى ذلك ذكرت أنهم قوم لا تصلح لحامم مكانس لأبناء وطنى ، وشعرت بتزلى العظيم وبوضى من قدر نفسى باختلاطى وإقامتى مع هؤلاء القوم . وخرجت من تأملاتى بتزمية واحدة تعزيت بها ، وهى أن هؤلاء القوم الذين أراد الله أن يثمتوا بتلك الجنة ويعروها فى جنباتها فى هذه الدنيا لهم يوم رهيب تصطلك منه القرائص وتنضلع من هوله القلوب وهو آت لا ريب فيه

بعد أن انتهيتا من الأعمال التى لا بد منها فى الجرك ركبت أنا وأصحابى زورقا أفئنا من أسكوتارى إلى دار السعادة ونزلنا بتجارنا وأمتعتنا فى خان يؤمه تجار إيران واقع فى الجزء المتوسط من

وكان فراشى معقوداً إلى سرجى وقد حسبته نفسى تاجراً عظيم القدر منبوط الحال . ورافقتى فى رحلتى عثمان أغا وصاحبه تاجر الجلود البخارى الذى تشرفت ببقائه فى اللوية وتاجر أو تاجران من تجار بنداد . ورأيت فضلاً عن هؤلاء كثيراً من مواطنى من بلاد مختلفة يقصدون إلى الآستانة فى أعمال تجارية وفيهم من كنت أعرفه من قبل

وكانت قصتى مع الرحوم شيخ الملاء قد نسبت تماماً ؟ وقد جلتنى ملابسى التى اخترتها لهذا السفر والمرضى الذى أصاب خدى أظهر بظهور أهل بنداد حتى لم أعد أخشى كثيراً أن يه شكى على أننى ليرانى . ولا أريد أن أتب القارى بوصف مسهب لما حدث أثناء سيرنا فى تركيا وهو يتلخص فى خوفنا من اللصوص وزعنا مع البائلىن وزولنا فى الخانات . ويكنى أن أقول إننا وصلنا إلى مقصدنا فى سلام، غير أننى لا أستطيع إخفاء شعورى عند مشاهدتى للآستانة

إننى كما برانى أسفهانى كنت معتاداً أن أحسب بلدى الأصلية خير بلاد العالم وأرقاها فلم يخطر ببالى قط ولا دار بخلى أن بلدة أخرى يمكن أن توازن بها حتى لقد كنت أضحك مستهزئاً ممن يصف عاصمة أراضوم بما يفوق بلدى حسناً . ولكن أية دهشة استولت على أى ذهول شملنى حين رأيت لأول مرة تلك المدينة الضخمة

كنت أحسب أن مسجد أسفهان الشاهانى البنى فى الميدان الأكبر أضخم مباني العالم وأحسنها فإنما أبى أرى هناك مائة مسجد أعظم وأغزر مما كنت أحسب وكل مسجد يفوق الآخر حسناً وبهاء لم أكن أظن أن مكاناً أوسع وأرحب من

عن صداقة الأتراك؛ ولكن مواطني من الإيرانيين كانوا فضوليين وكالوا يشعرون بالإهانة عند أقل إعراض عنهم فلم يلبثوا حتى عرفوا من أنا ومن كنت. ثم جملوا ينظرون إلى نظرة لا تنطوي على شيء من الاحترام. وعلى أية حال فقد اجتهدت أن أعيش على وفاق معهم، وتركوني أسلم من شرم ما دمت لا أنازعهم في أي شأن من شئون التجارة وكنت أعلن عن نفسي في مجال المواعاة أنني من أغنياء بغداد وقد أكد قولي وألبسه ثوباً من الصحة أثر الملة التي انتابني والتي كنت أعدها

مصيبة عظمى قبل أن أجني بسببها الربح ولم أجد أهل من غش الأتراك وخداعهم بالظاهر الخارجية، وحاكيهم في سلوكهم ووقارهم وفي سلوكهم المادي الرصين حتى وفي مشيهم البليغة وألفاظهم المرتبة؛ وقد رجوت أن أقتن كل ذلك في وقت قصير حتى إذا ما تم لي ذلك اندمجت فيهم وكنت أكثر من ذكر الله بصوت خافت ضعيف ومن عد السبحة حتى كنت أستقبل في القهى الذي كنت أراده بكل احترام وتنظيم

وكان صاحب القهى يصنع قهوتي بيده ويصحبها بحركة فنية ولم ينس مرة أن يرحب بي ويلقيني بلفظ أنا. وقد بلغ من نفوذى على القوم وعظم قدرى في نفوسهم أنه إذا حدثت مناقشة حادة أو جدال عنيف في القهى عن الخيل أو الكلاب أو السلاح أو التبغ (وهي الأشياء التي تدور حولها مناقشاتهم) كان يشار إليّ بالبنان ويكنى أن تلفظ شفتاى كلمة «نم» أو «لا» لكي أنهى الجدل فيمود الحديث إلى ما كان عليه

المدنية وعلى مقربة من أسواقها، وقد شعرت أنني ضئيل لا قيمة لي عند ما فكرت في أنني لست إلا فرداً واحداً بين تلك الجوع الهائلة التي تنساب في طرق المدينة ليل نهار من غير انقطاع، وحين شاهدت النفائس الثالية تملأ المخازن، والملابس الفاخرة يرتديها كل ساكن، والنبلاء والأغوات على صهوات الجياد المطهمة لا ينقطع لهم مرور ولا يقف لهم تيار، ونهدت محدثاً نفسي: «أين من عظمة القسطنطينية وجلالها وأبهتها وغناها قعر إيران اللدفع وفاقها الشاملة؟»

ثم استأجرت مع عتيان أغا حجرة في الخان الذي أودعنا فيه بضائعنا وجعلت أثناء النهار أفرش غلابيني على أحد الأرفصة، ولجودة بضائعي ورخص أثمانى أخذت أبيع كيات وافرّة وأحصل منها على ربح عظيم، وجعلت لما رأيت المال يمود إلى جيبى ثانية أمتع نفسي بملاذ لم تكن تخطر لي على يال من قبل: جعلت نفسي يملأيس أكثر حسناً وهنداماً وابتعت شُبُكاً جميلاً ونحزمت بشال له ألوان زاهية

واشترت كيساً حريرياً للتبغ ولبست حذاء أصفر لامعاً وحملت خنجرأله بریق يخطف الأبصار كنت عاصطاً بكل ما يدعو إلى الإنفاق ويغري بالتبذير، وبدأت أنظر إلى ما في الحياة من نباهج وملاذ — نظرة التملق المشغوف؛ وكان بالمدينة حال كثيرة أستطيع أن أظهر فيها أمام الجماهير بشكلى الأثنيق ولم أحجم عن ارتياد المقاهى الفاصّة بالناس أجلس على دكة عالية وأتكل على وسائد ناعمة وأدخن في غليونى وأرتشف القهوة كأحد أفراد الطبقة العليا وقد علمتني الحوادث وما قاسيت في إيران أن أحذر أبناء جلدتى وأجنهم فتجنبتهم وجعلت أبحث

الفصل الخامس والستون

مارتة ماجي بابا مع أرملة الأمير

ظلت أعيش كما وصفت مدة من الزمن إلى أن لاحظت في ثلاث ليال متوالية حوالى الغروب أثناء خروجي من المقهى أن امرأة عجوزاً تقف في ركن من زقاق ضيق تجاه المقهى وتحديق وجهي وتظهر عليها الرغبة في محادثتي، وكانت بين كل آونة وأخرى تنظر إلى نوافذ المنزل الذي اتخذت بأسفله المكان الذي تقف فيه ثم تدعى بعد ذلك أماً في طريقى . لم أعرها شيئاً من الاهتمام أول مرة فإن وقوف سيده عجوز في ركن من أركان زقاق صغير ليس بالأمر الذي يدعو إلى الاهتمام أو الملاحظة، ولكنني دهشت في المرة الثانية وانتهت إلى نفسى، وأفكرت المرة الثالثة عجبى وريبتى، وصممت في رابع ليلة إن أنا وجدت بها في مكانها أن أعرف مقصدها . وعلى ذلك لبست أغر ملابسى معتقداً أن جمال طلعتى وحسن حظى كفيلاً، بقيت ثم خرجت من المقهى ومشيت متمهلاً مختلاً إلى جهة تلك السيدة الغريبة، وكنت على وشك لقائها إذ فتحت نافذة من نوافذ المنزل فجأة ورأيت وجهاً نساءياً ساحراً أمام ناظرى وكان آية في الجمال والحسن وفى يد صاحبه وردة أدنها من وجهي ووضعها على فؤادها ثم ألقتها إلىي وأغلقت النافذة بسرعة مذهشة حتى لقد ظننت أن ما حدث كان خيالاً ظهر ثم اختفى

ظلت واقفاً فاتحاً فى ناظرأ إلى النافذة حتى شعرت بيد العجوز تمجذبني من كمي وقد التفتت الوردة وناولتها لى فالتفت إليها وقلت لها : « ما هذا بالله عليك ! أهن الإنسان ذلك الوجه الصبيح أم من الجن ؟ »

فأجابتنى تلك العجوز : « ألا تزال غراً فلا تعرف معنى إلقاء هذه الوردة إليك ؟ إن لك ذقناً طويلاً ولست غلاماً ؛ ويظهر أنك سافرت كثيراً وتغربت ولكنك إن كنت لا تعرف ماذا تقصد السيدة من إلقاء ورده إليك فقد سافرت بلا نتيجة ولم يملك الاغتراب والتجارب شيئاً »

فقلت لها : « بلى، إننى أعرف أنها تريد القرب وتعنى المحبة والائتلاف وتشير إلى أن رأسيئا يجب أن ترفهما وسادة واحدة : تعلمت هذا من أسفاري وتجاريبي ولكن الأسفار والتجارب علمتني فوق ذلك أن أمثال هاتيك الحوادث لها مالها من خطر وضرر وأن رأسيئا قد تقطمان بدل رفهما على وسادة واحدة »

فقلت محدثني متأثرة منفعة : « لا تخف شيئاً . أقسم لك بحمة نبينا الكريم إنه لا خوف عليك ولا ضرر . إننا نكفكم عطاء وقد فتونك ثروة إذا لم تقبل ما أعرضه عليك . هل وصل بك الحزن والنباوة أن تخشى الأوهام وتخاف الظلال ؟ إن خوفك لا أساس له »

فقلت لها : « حدثيني من هذه السيدة التي رأيتها وماذا يجب أن أصنع ؟ » فأجابتنى : « لا تتمعل كثيراً . لا يمكن أن يتم أماً في هذه الليلة وعليك بالصبر فإن الوقت والمكان غير ملائمين . قابلني غداً وقت الظهيرة عند مقبرة أيوب وستعرف كل ماود معرفته . سأكون جالسة على قبر أول أمير على عيينك ويمكنك أن تميزني عن سائر النساء بشال أحمر تراه على كتفي الأبيض فاذهب الآن والله مذكاً ! »

واقتربنا على ذلك فرجعت إلى حجرتي في الخان أفكر فيها حدث ولم أملك في أن خيراً ينتظرنى، غير

وتزوجت سيدق واسمها « شكرليب » أى «مسولة الفم» من أمير هرم واسع الثروة ، وكان يأبى أن يكون له أكثر من زوجة واحدة لأنه عرف من تجاربه أن بيته لا تحمل فيه الراحة ، ولا تزوره السادة إن هو سمح لنفسه بالإكثار من الزوجات معتمداً على إباحة دينه جواز التعدد .

وكان منزلاً بالسكون والراحة المائتية ، وظن أنه باقتراه من فتاة صغيرة السن يستطيع أن يعودها طباعه ويعمرها على ميوله فلا تمارض له رغبة ، ولا تمصى له أسرار . ونجح فيما أراد إذ لم يخلق الله من هى أرق طبعاً ، وألين جانباً من سيدق . ولكن أسراً واحداً ظل منشأ الاختلاف ومصدر النزاع بينهما فلم يكن فى استطاعة الزوجين أن يتفقا عليه . وكان ذلك الأمر من العوامل التى أدت إلى موت الأمير فيما بعد .

وكانت سيدق تحب الفطائر المحشوة بالزبد ، وبحبها الأمير عيشة بالجين فظلاً خمس سنوات يتشاجنان على مائدة الإفطار كل يوم إلى أن حدث منذ ستة شهور أن الأمير الهرم تناول كثيراً من الفطائر المحشوة بالجين والتى يحبها فأصيب بطفخة ومات على الأثر تاركاً لزوجته حسب الشريعة المحمدية ربع أملاكه من عقار ومتنول وعبيد وغير ذلك

وقد رغب فى سيدق الكثيرون لشبابها الفص وجمالها الفتان وثروتها الطائلة ، ولكنها أوتيت ذكاء وحكمة نادرتين فبين هو فى مثل سنّها من النساء فلم تقبل أن ترتبط بمقد جديد وآلت على نفسها أن تصبر حتى تتاح لها فرصة الزواج من رجل تحبه حباً حقيقياً ولا يكون الدافع له زونها أو مركزها ولوقوع منزلها أمام مقهى من أعظم المقاهى

أننى كنت أسمع عن غيرة الأزواج الأتراك قصصاً عجيبية وخفت أن أصير ضحية غيرة شديدة وأن يقتلنى زوج على مذبح غضبه ، ثم توالى على مخيلتى ذكرى كل حب عائر ، وحادثة كل غرام ضائع ، فذكرت زينب وبرحها ، وصرير ويوسفها ، وديالرام وقرحها نغمت كل رغبة كانت عندى فى مجارة عواطفى ، وخفت أن تكون النتيجة شؤماً على .

غير أن دم الشباب كان لا يزال يجري فى عروقى فمزمت على أن أقبل كل ما تطلبه . وفى ظهر اليوم المعين ذهبت إلى مقبرة أيوب ومحتت عن أول قبر للأمير فرأته ، ولهذا القبر شاهد عليه عمامة خضراء . ووجدت هناك المعجوز بوشاحها الأحمر ، وتجنبت معها الطريق العام واتخذنا مجلسنا فى ظل شجرة عالية فى جانب المقبرة ، وهناك جلسنا وأماننا منظر الميتاء البديع وبدأنا نتحدث فى موضوعنا . بدأت السيدة بشكرى على احتفاظى بمبادئهم أخذت تؤكد لى أن ما مستعرضه على لا خوف منه . وكان للسيدة ضحكة المجازر ومكرهن . وأخذت تكلمنى بنبث ودهاء دون أن تقترب كثيراً من موضوعها وصرحت لى بيلها لى « ورغبنا فى قضاء الأوقات معى .

وكننت أخشى أن يضييع معظم كسبى من الثلاثين فلم أتركها تسترسل كثيراً وأوقفها عند ذلك الحد ، وطلبت إليها أن تخبرنى عن قصة الغادة الجميلة التى رأيتها فى النافذة خدعتنى الحديث الآتى قالت : « إن السيدة التى رأيتها والتى أخذتها هى ابنة أحد التجار فى حلب . وكان لأبيها خلافها ولدان ، ومات الوالد من زمن ليس بالبعيد تخلفه فى تجارتية وولدها وهما الآن تاجران لها ثروة طائلة ، وبقيان فى نفس هذه المدينة .

قسوة وخشونة وسبياً في إساءة زوجها إن لم يكن في ضياعه »

ولم أكن مستعداً لمثل هذا السؤال . ولكن سرعة البديهة التي أدركت بها مقدار ما ينتظرني من جأه وثروة كانت عوني في الإجابة من غير تردد، وقلت: أسرق! أتقولين عائلتي؟ من في العالم لا يعرف حاجي بابا؟ سلوا إن شئتم من أول حدود اليمن إلى آخر حدود العراق ومن بحار الهند إلى شواطئ قزوين فستجدون اسم حاجي بابا أشهر من نار على علم

فقلت: « ولكن من يكون أبوك؟ »

قلت بعد أن سكوت برهة: « أبي! أأبي نعمين؟ لقد كان أبي صاحب سطوة وجاه عظيمين وكم من رؤوس خضعت للإشارة من أصبعه وكم من رجال أحتت أمامه رؤوسها وسحبها من ذقونها وفعل بها ما لم يفعله رئيس الوهايين »

وكنيت في أثناء قولي هذا قد وجدت من الوقت ما يكفي لخلق قصة مناسبة في تخيلتي وظللت أقول للسيدة ما يدهشها فأطالت التحديق في وجهي، وقلت: « إن كانت سيدتك تريد دماً نبيلاً وأصلحاً كريماً ومتيناً فاضحك فإني يجب أن تتجه نظراتها، وإلى يجب أن يكون مصيرها . إنها وإخوتها مهما بلغ من أسرهم فلن يفوقوني حسباً ولا نسباً . كان جدي المنصوري من بطن نجد في جزيرة العرب وقد أقامه الشاه اسماعيل شاه المعجم العظيم مع قبيلة في جهة من أخصب مصاحي العراق فأقام فيها منذ ذلك الحين

وكان جدي لأبي يدعى خاطر بن خور بن أسب ابن الدين من قبيلة قريش وهو شريف من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام »

فصاحت المرأة: « ماشاء الله! كفى! كفى!

في المدينة أخذت تراقب من يرتادها من الزوار . ولست في حاجة إلى إخبارك أنها رأتك أجمل من وطئت قدماه الفقي، ورأت فيك الرجل الذي كانت تعلم به »

ثم قالت المجوز بعد ذلك: « وأخي هو صاحب الفقي فطلبت إليه أن يستعلم عنك ويعرف من أنت وما شخصيتك . وقد أطربت سيدتي إجابته واجتهداً بعد ذلك أن نلفت نظرك إلينا وأن نتعرف عليك إن أمكن، وأنت تعلم كيف كلل مسماناً بالنجاح . ولك أن تحكم الآن هل ترى قدمت لك خدمة عظمى أم لم أقدم »

وقد شمعت بأني كمن أفرج عنه بعد الحكم عليه بالولت إذ لم أكن أتصور في أول حديثي مع تلك المجوز أننا سنصل إلى هذه النتيجة . واختفى من أمام ناظري ما كنت أتخيله وأخشاه من عجائب وأسرار ومن تساق للحوادث وقفز من النوافذ ومن مؤامرات تركية وخناجر ودماء . فحل محل ذلك كله تصور الثروة والراحة من عناء وكد . ورأيت باب السعادة مفتوحاً أمامي على مصراعيه

لم أتردد ولم أحجم بل قلت لها: إنني سأكون لسيدتها عبداً متفانياً في الحب إلى الأبد واستعملت كل ما وهبني الله من كلام ممول، وقول خلاب وأقسمت لها أنني سأجزل لها العطاء مكافأة على خدمتي

فكانت المجوز: « إن أسراً واحداً طلبت مني سيدتي أن أستوثق منه قبل أن ترضى بك وتقبلتك وهو مركز أسرته وقيمة ثروتك إذ يجب أن تدرك أن أخوتها وأقرباءها متكبرون فإذا ما أقدمت على زيجة لا تلتق بمركرها كان ذلك مدعاة لعاملتها بكل

قطعتين ذهبيتين أخذتهما بنير اعتراض . ثم تركتني في تأملاتي وسارت .

الفصل الثامن والستون

نواجح حاجي بابا من شكر ليب

لم أبق في موضي تحت شجرة الصفصاف كثيراً إذ كان يجب أن أؤدي جملة أعمال قبل أن يحين موعد التلاق، وعدت لألبس لباساً يدل على النعمة وينم على الثروة والجاه، ولأجعل كيس دراهم مملوءاً، ولأظهر بمظهر يليق بمركزي الجديد . وفوق ذلك فقد سرني أن أجمل شخصي ما سطمت بأن أذهب إلى الحمام فأغتسل ثم أنظر وأتطيب، وجعلت أثناء مسيرى أحدث نفسي مسروراً : « ليه يا حاجي بابا ! لقد برهنت هذه المرة على ما بين العاقل والتبي من فروق ... لقد أحسنت وأجملت يا ابن التصوري ويا ريب قرينش ! »

وصلت إلى الخان وأنا أسبح في لجة من الأفكار وبحر من الآمال . رأيت الشيخ عثمان أفا جالساً في ركن من أركان الحجرة بعد ما ربحه من بضائمه ، ورأيت في الركن الآخر غلاييني وقد وازنت بين هذه التوافه وبين مايجول بخاطري من عظيم الآمال حتى ظهر على تأثير هذه الموازنة وشرمت بكبرياء وعظمة لم أشعر بمثلها من قبل . ولست أدري إن كان عثمان أفا قد لاحظ شيئاً من ذلك، ولكنه ذعر حين طلبت منه أن يعطيني بنير إسهال خمسين قطعة ذهبية على أن أودع بضائتي رهينة لديه ضماناً للماله

قال لي : « ما هذا الذي تطلبه يا بني ؟ ماذا تريد أن تقبل بمثل هذا البلق الكبير وبمثل هذه السرعة ؟ هل جئت أم أصبحت من ضحايا الديرس ؟ »

إن كنت أنت من وصفت فسيدني لا تطعم في الزيد؛ ولئن كانت ثروتك تتناسب مع شريف أهلك فليس لنا بعد ذلك أي قول »

فأجبتها : « أما من جهة ثروتي فأني لا أغفر بما لدى من مال عيني وثروة مجموعة فأني تاجر لديه مال أو ثروة من نقد ؟ لكن مال التاجر في بضائمه المنتشرة في كثير من بقاع العالم والتي لا تلبث حتى تعود بربح عظيم . إن حرائري وبضائتي الأخرى من قطيفة ودياج في طريقها إلى خراسان وسأستحضر بدلاً منها جلوداً من بخاري وعملائي اليوم في مشهد بما معهم من ذهب وعطر لشراء شيلان الكشمير وأحجار المهنداليمينة . وفي استراخان يستبدلون بالسمر وأنواع الزجاج بضائتي الهندية أما بضائتي في حلب فسترد إليّ بدلها طيالس وشيلان على أنني لا أحمّل ثروتي ولا أحصياها ولو أردت ذلك لكنك ممن يريد عد حبات القمح في الزرعة . وإنما قولي لسيدتك في غير مبالغة إن الرجل الذي وقع عليه اختيارك لو جمع ثروته لأذهلك وأذهل أسرته مقدارها »

فقلت المرأة : « حمداً لله وشكراً ! هذا ما كنا نتمنى ولم يبق إلّا أن أجمعكم ما فلا تنس أن تكون في ركن من الزقاق عند ما يخيم ظلام الليل حتى أقدمك بكل حيلة وحذر إليها . وإذا رقت في عينها لم يحل حائل بين زواجكما وسعادتكما . ولم يبق إلّا أن أنصح لك نصيحة وهي أن تحب الفطائر المحشوة بالزبد وأن تبدي نفورك من المحشوة بالجين وأما فيما يتعلق بأي موضوع آخر غير هذا فسيدني لا تعلق أهمية ولا تبدي اعتراضاً »

ثم سلمت عليّ متأذنة بالدهاب فوضعت في يديها

الباب . وأردت أن أظهر في شكل الرجل الوقور فلففت نفسي بأطراف عباءتي ودخلت حجرة يضيئها مصباح واحد يلقى نوره على ما بها من متاع . وكان بالحجرة إيوان عليه غطاء من أطلس ثمين لامع أزرق اللون ، ورأيت في زاوية منه بقرب النافذة من آتيت لرؤيتها .

لم أتمكن من رؤية شيء منها غير عيني سوداوين ظهرتا كأنهما نضيثان في سماء حياتي . وأشارت إلى يديها أن أجلس ، فأيتت احتراماً لها ، ولكنني حين وجئت أن الإياء لا يجدي خلعت نعلي وتربعت على البساط وأدخلت يدي في أكمام ردائي وتكلفت حياءً وخجلاً ألا أزال إلى اليوم أضحك حين أذكرها .

جلسنا متقابلين بضع دقائق لم نتحدث في غير المألوف من ترحيب وتسليم ، وبعد ذلك أسرمت السيدة خادماتها عائشة (وكان هذا هو اسم التي قادتني إلى النزل) أن تترك الغرفة وتخرج ثم تظاهرت بالميل تريد أخذ صروحها المصنوعة من ريش الطاووس وكانت على الوسادة فسقط تقاها ورأت عيناى أجل وجه خلقه الله وكانت حركتها هذه دليلاً على اندمام الكلفة فأخذت أنظر إلى مبدؤتي نظرة هائم مدله مظهراً لها شدة إخلاصى وإعجابى بمجالها وشوقى وهياى بها حتى لا أجعلها تردد لحظة واحدة في الاعتراف برقة فؤادى ونبل شجورى ودقة فهمى وسلامة ذوقى ، ولم تمالك أرملة الأمير من أن ترى في الرجل الذى تمنية فى أحلامها ، وعلت أنني أرضيتها ونلت ثقتها حين ائتمنتنى على أسرارها وأطلعتنى على دخالل نفسها وقالت : « إننى فى مركز حرج وحال مرتبكة فقد فملت عيون الحساد فعلها فى حياتى وأنت تعلم أن زوجى أسبغ الله عليه رحمة

فأجبت : « غفر الله ذنوبى ! لست مجنوناً ولا مقاصراً ولا يزال عقلى ممي وقد أقبلت على الدنيا بيد إدبارها ، فأعطينى المال أولاً وسأقص عليك خبرى بعد ذلك »

ولم يتردد الرجل طويلاً فى إجابتي إلى رغبتى إذ كان يعلم قيمة بضاعتى ويعلم أن الصفقة رابحة ، فأخرج المال وعد خمسين قطعة ناولها لى ، فأخذتها وتركته وخرجت فاشتريت ملابس فى غاية الواجهة وأمرعت إلى الحمام فاغتسلت وأتممت كل ما كنت أريد من زينة وحسن زى وخرجت كأحد الأغنياء : وكان فى أثناء ذلك قد حل ميماد المتقابلة فسرت بقلب يخفق وينبض إلى السكان الممين ، ووجدت المجوز فى الانتظار . وبعد أن نظرت حولها تترى هل من أحد يلاحظنا تقدمتى إلى باب فى مكان مخنف فى المنزل ودخلت فذخعت وراءها ، وسررت من السكون والهدوء الشاملين للنزل إذ كنت أنظر إلى نفسى كأنى صاحب المنزل ، وسيد من فيه .

ذهبتنا إلى الجناح المخصص للسيدات وكان حذرنا واحتراسنا كما لو كان الأمير لا يزال حياً يرزق . دخلنا من الباب إلى ردهة كبيرة فيها نافورة ماء . ثم صعدنا سلماً خشبياً فرأينا فى نهايته ستاراً متعدد الألوان ونحطينا الستار إلى حجرة أخرى لم أر فيها من المقولات غير أحدىة نسائية وغير مصباح ملحق تركنتى قائدتى فى هذه الحجرة ، وذهبت تخبر سيدتها بقدى ثم سمعت أصواتاً عديدة من الحجرات المجاورة فظننتها لصاحبات تلك الأحدىة . وأخيراً فتح باب فى طرف الحجرة — وكان بالحجرة أربعة أبواب غيره — وأشير على أن أقدم .

أخذ قلبى يخفق فى عنف ، وأنا أقدم إلى ذلك

سماعه . ولقد خافت التأخير فأسرعت ببدء خادمها المجوز عائشة وأمرتها أن تقودني إلى المأذون الذي حدثني عنه والذي كان ينتظر أوامرهما في مكان آخر من المنزل . ورأيت مع الرجل إنساناً آخر أحضره معه ليكون الوكيل عنى في العقد . وقال لي المأذون الشرعى إن ذلك واجب من جانب الرجل كما هو لازم من جانب المرأة ثم عرض بسجل العقود وكان قد قيد فيه ما تملكه العروس من مال وضياع ومتاع وطلب إلى أن أخبر بما يقيده ليضيفه إلى ما كتب

وهنا أخذت وذعرت ، غير أنى لم أجد خيراً من أن أحبيه بمثل الذى أحييت به عائشة من قبل قتل : « إن الساجر لا يستطيع تحديد ثروته المتفرقة في مختلف الجهات وشتى البلدان بضاعة ومتاجر إلا أننى أهب كل ما أملك لزوجتى فزواجنا أبدي لا افتراق بعده ولا طلاق »

قالت العروس : هذا حسن غير أننا نريد ذكر شيء محدد قتل لنا ما تملكه هنا في دار السعادة على سبيل المثال . إنك لم تحضر طبعاً إلى هذه المدينة إلا لأعمال هامة فاذكر لنا ثروتك التى تحت يدك وذلك يكفى مؤقتاً

فتظاهرت بعدم الاكتراث وقلت : « لكن ذلك ! فليكن ما تريدن ! اسبرى قليلاً » ثم سكنت كأننى أحسب ما مئى من بضائع . وبعد لحظة قلت في ثبات وجراءة : « إننى أعطى زوجتى عشرين كيساً من الذهب وعشر حقائق من الثياب »

ودار بعد ذلك حديث بين أرملة الأمير وبين المأذون . وبعد مفاوضة قصيرة انتهى الأمر برضاء وقبول وبصمنا جميعاً على وثيقتي الزواج والهبة بعد (٧)

وغفرانه ترك لى مالا كثيراً فأصبحت بإضافته إلى مالى الخاص على درجة من الغنى تحرك الأطماع وسببت لى ثروة الطائلة متاعب وآلاماً كادت تذهب بعقلي

ادعى كل من أقربائى حقوقاً لا أصل لها وطلب كل من عمت لى بصلة طلبات كأننى أنا جزء من بيت المال وكان ثروتي ثروة عامة . وأظهر أخوآي أفكاراً غامضة ورغبات معينة في اختيار زوج لى كأنما الزوج الذى اختاره يجب أن يوافق مزاجهما قبل مزاجى ، ويجب أن يرتاحا هما إليه دون نظري عواطفى وميولى ، وكان لزوجى ابن أخ من رجال القانون وقد ادعى أن التقاليد القديمة تحول لقرىب الميت حقاً على زوجه وأن فى استطاعة ذلك القرىب أن يظهر رغبته فى التمسك بمقعة لىباتى عبادة على أرملة قريبه المتوفى وادعى قريب آخر أن لا حق لى فى كل ما ورثت وما أملكه الآن وهددنى بأخذ ثروتي . فساورتنى المغموم والمتاعب ولم أجد فى ظروفى التى ذكرتها لك من ينقذنى ويعد لى يد المساعدة غير زوج اختاره أنا وقد أرسلك القدر لى فالحمد لله على ذلك » ثم أعلمتنى بكل ما أعلنت لعقد زواجنا الماجل

وأشارت فى حديثها لى رجل من رجال الشرع اختارته لكتابة الوثائق وقالت : إن الرجل موجود بالمنزل وعلى استعداد لإتمام العقد فشرعت باضطراب عنيف إذ لم أكن أنتظر مثل ذلك الانتقال من حالى التى كنت فيها لى سماء المز والنفى ؟ غير أنى لم أنس أن أظهر لها الحب الكامن فى صدرى وقلت لها : إن حبي سيكون أبدياً وإن عاطفتى لا تزول ما بقى فى عرق ينبض وفؤاد ينفق ، ولم أقل عن نياتى ومقاصدى إلا كل ما تطرب له ورقص فؤادها لى

في إخبار أخويها بزواجنا وقالت : إن الزواج وإن كان شرعياً إلا أن دولمه متوقف على إرادتهما إذ هما من أغنياء التجار ولهما نفوذ كبير في المدينة فيجب ألا تدخر جهداً في مرضاهما

وكانت عروسي قد رأت أن تخطو خطوة في سبيل غرضها في حذر وانتباه، فأعلنت أن في عزمها أن تتزوج من أكبر تجار بفسداد غني وجاهاً ، ولكنها لم تقل إن الزواج قد تم

وكان لإشهار زواجنا يستدعي أن نولم ولية ندعو إليها كل أفراد أسرتهما ، ونبذل عن سعة لتكوين الولاية أنغر الولائم ، ولكي يقتنع أهلها بأنهما لم تلق بنفسها بين أحضان حقير أو محال

وقد وجدت مني مليكاً لرغباتها مطمئناً لأوامرها وسرت بستوح فرصة سريعة يذيع فيها أمر تروقي وبدأت في استحضار سرب من الخدم كل منهم له عمل خاص ولقب يناسبه . واستبدلت بقصبات التدخين التي أحضرها الأمير الرخوم قصبات أخرى أحسن منها وأغلى ثمناً وأحدث طرازاً . وكذلك أحضرت طمناً جديداً للقهوة بديع الصنع غالى الثمن بعض قطعه موشى بالذهب والبرص الآخر مطعم بالماج وفيه طبق أو اثنتان طمناً بالأحجار الكريمة لاستمالي خاصة

ثم اخترت من أحذية الأمير ما راقني نظري وكان الأمير مفرماً بانتقاء فاخر الملابس وغالياً من عبادات وقفاطين وفراء تصلح للملك ، وقد أخبرني زوجتي أن تلك الملابس من آثار عائلة الأمير ومخلفاتها الثمينة فلم أحجم عن اتخاذها لنفسى ووجدت قبل أن يحين يوم الولاية من الوقت ما يكفي لإعداد ما يليق بأنا من أعظم الأعوات . وإلى أعتقد رغم كوني

أن اتعنى للأذن من خطبة الزواج . وبذلك تم المقد على حسب الشريعة وهنأني الحضور وشكرت لهم ولم أنس أن أكاى الشيخ وابنه وأن أعطى الخدم وأرسلت مبلتاً ليقسم على المقيمين بالقصر جميعاً . وبذلك من أن أرجع إلى عثمان أنا وأنام على وسادة من غلايين دخلت إلى مكان الحرم تحف بي مظاهر العظمة والجلال وأحس كآنى رجل آخر غير الذى تعرفه أيها القارى

الفصل التاسع والستون

من تأمير فعمدين إلى أغا عظيم

متابعه من شخصيته المستعارة

سرعان ما أدركت أن أمانى طريقاً وعراً وأنى مقابل عقبات كثيرة . ولقد قيل إن فيلسوفاً صينياً قال مرة : إن عملية الأكل لو اقتصر على ما يحدث بين الفم وطق الطعام لكانت أسهل العمليات وأطيبها ، ولكن هناك المدة وأجهزة الهضم بل هناك بقية أعضاء الجسم كله هى التى تحكم إن كانت عملية الأكل طيبة أم خبيثة

وكذلك الحال في الزواج فلو اقتصر الأمر فيه على ما بين الرجل والمرأة لكان الخطب ولكن هناك الروابط العائلية وعلاقات القرابة تقرر سعادة الزواج أو شقاه وراحة العروسين أو تأسهنا

أخذت عروسي الفتاة بعد زواجنا تحدثنى أياماً متوالية وليالى طوالاً بأنفه الأحاديث وأخبرها عن أفراد أسرته وتنازعهم وغيبتهم وبفضهم وعن كل ما يشعرون به نحوها من شر وما يريونه لها من أذى حتى ظننت أنى إنما دخلت وكرمايين وعش عقارب ولقد فضلت زوجتى أن تستعمل نهاية الاحتياط

أخوى زوجتى عاملان بلطف ورقة ورجائي قائلين :
 إننى زدت أسرتهما شركاً ونفاراً بقتراني من شقيتهما
 ولا اشتغالهما بالتجارة تحول مجرى الحديث إلى الشئون
 التجارية فاجتهدت أن أدخل في روعهما أنني تاجر
 عظيم ، وأن تجارتي منشرة في أنحاء المعمورة .
 فتدقت في الحديث تدفق الماء على أهما أخذاً يسألان
 عن تجارة بغداد ، وعن التاجر في جزيرة العرب ،
 والهند ، والصين ، وأخذاً يطلبان إيضاحاً دقيقاً عن
 الحاصلات ، وأحوال السوق فأسرعت إلى اقتضاب
 الحديث ، وتحويل وجهته إلى المعلومات العامة .
 وأجبت إجابات لا تفيد شيئاً . وحين انتهت شعرت
 بأنه لا يزال يتقصى شيئاً ، وهو أن يرى عثمان أنا
 ما أنا فيه من سعادة ، وأن أخبره بأمر زواجي ،
 وأدعوه إلى الوليمة .

ولكن هل أنا سعيد حقاً ؟ هل أنا صاحب
 هذه الثروة الطائلة ؟ إننى أشعر بأنى أمثل دوراً
 لا حقيقة له . وهنا خفت أن يفتضح أمرى وتظهر
 حقيقتي ولم أجرو على الثقة حتى ولا بثمان أنا لثرت به
 وللملح بحقيقة حالى

وصممت على ألا تكون لى به ولا بأى إنسان
 من مواطني "علاقة" ولو إلى أجل موقت إلى أن
 أشعر بأنى في أمان وأنى قد ثبتت أقدامى في مركزى
 الجديد فلا أخاف الانفضاح

الفصل السبعون

نزع الزومى

انقضت الوليمة على أحسن حال وأحسب أنني
 نجحت في إقناع الضيوف بأنى نفس الرجل الذى
 زعمت أنني هو وأن شخصيتى حقيقية لا ريب

ابن حلاق أن ليس لأحد من الشكلى والأخلاق
 وحسن التصرف ما يؤهله لإتقان دورى هذا الجديد
 خيراً منى ، ويجب أن أذكر أنني قبل ذلك الاحتفال
 العظيم لم أنس أن أزور أفراد عائلتى الجديدة كما يقضى
 الواجب .

كنت أحسب لتلك الزيارة ألف حساب متخوفاً
 من نتيجة مقابلى أفراد الأسرة ولكننى حين سرت
 في شوارع المدينة راكباً جواداً من جياذ الرحوم
 يحيط بى جمع غفير من الخدم والحشم ذهب عنى
 الخوف وشمرت بالطمأنينة والانشرائح . وإن من ينظر
 إلى الجموع السائرة وحى تفصح لى الطريق وتطلع
 إلى ثم تضع أيديها على صدورهم عذرى ، وإن
 من يرى جوادى وهو يضرب الأرض بمخافه
 ويتبخر في مشيته غوراً بمن يحمل على ظهره ، وإن
 من يتنعم بما كنت أنعم به من جلسة على ظهر جواد
 كريم بينما يمشى الآخرون على أقدامهم - كل من
 يرى ويشعر بما كنت فيه ولا يأخذ الدهول ويمسكه
 المعجب فليس آدمياً

ويجب أن أضيف هنا أنني حين خرجت في شكلى
 للتقدم وقت عيني على بعض مواطني وأبناء بلدنى
 «الأعزاء» ممن رافقونى في القافلة من بغداد وكانوا
 في أعمال بالية وحال زرية وكأنما كان ظهورهم أمامى
 في شوارع المدينة باعثاً على ذكر ما أنعم الله على
 وشكر ما أعطانى

ولم أعرف إن كانوا قد تبينوا حقيقتى أم جهلوا
 أمرى فأننى أدرت وجهى وسرت بجهداً أن أخفى
 ملاعى في ظل عمامتى الكبيرة ولحيتى الطويلة
 وكانت نتيجة زيارتى فوق ما كنت أتصور ،
 ولست أعرف ماذا كان شعور أمهارى غير أن

أدخن فيه تجلس وماتت عن عثمان أبا فجاء الرجل وجلس على طرف بساطي بكل خشوع واحترام دون أن يعرفني أو يحال . وأخذت أكله في غير اهتمام مدة ما . وقد لاحظت أنه كان ينظر إلى نظرة التشكك ثم صاح : « بحق النبي الكريم أأنت حاجي بابا ؟ »

قال ذلك بعد أن عجز عن ضبط نفسه وإخفاء ما كان يدور بخاله

وتحكت كثيراً من منظر الرجل ومن قوله ثم تمارفنا وقصصت عليه مجل أمرى وكيف تحولت الخسوس قطعة ذهبية التي اقترضها منه إلى تلك الثروة التي يرى علاماتها بعينه

ولا حظت أن عثمان أبا لم يثار من انتقالى الفجائي إلى ما كنت فيه من نعمة وراء ولم يحركه منظرى وقصتي كثيراً إذ كان له عقل فيلسوف قليل الاهتمام . غير أنى لاحظت أن مواطني حينما علموا أن لايس تلك الهامة الكبيرة والثياب الغالية وراكب ذلك الجواد وصاحب هؤلاء الخدم إنما هو حاجي بابا الذى كان بائع سلع ملتهم لم يستطيعوا كظم غيظهم ولا إخفاء حسد مدرك ولكن أخيراً جداً أننى أخطأت خطأ جسيماً في ظهورى بذلك المظهر أمام أبناء بلدى وأردت أن أسحب في سكوت من غير جلبة أو ضوضاء وإذا بأحدهم يقول :

« ماشاء الله! أهذا حاجي بابا ابن الحلاق الأصغرى ! »

دنس الله قبر أبيه وفضح أمه ! »

وقال آخر :

« أجنبت وأحسنت يا ابن الأحماء ! لقد هزمت من ذنون الأتراك فليمت الله إليك من يهزأ بك ، ويسخر منك »

في صدقها ، ومن ثم بدأت أطمئن على نفسى وأخذ شبح الخوف ينبس عن عيني فأنصرفت إلى المذلات والتعرف على أصحاب الله وإخوان السرور وأن ألبس أنف الثياب ، وكان منزلى موضوع الأحاديث ومطبخ الأنظار في المدينة ، ولست أستطيع أن أنكر أننى كنت أزداد كل يوم شعوراً بأنى مدين بكل ما أملك تروجى وألنى ذلك الشهور ونقص على عيشتى ، وقد أدركت أن ستقوم بيننا منازعات عديدة على موضوعات أخرى غير فطائر الأزد وفطائر الجبن حتى لقد قلت في نفسى : « ما كان أحسن حظ الأمير الشيخ لقد استطاع أن يعيش مع هذه الزوجة ثم لم يختلف معها إلا على أمر واحد مع أننا نختلف على كل أمر حتى لست أجد ما لستنا نختلف عليه »

وكننت قد علت نفسى بأمنية غريبة وهى أن أظهر أمام مواطنى في الخان الذى يقيمون فيه بشكلى وأهبطى . وأن أمتع نفسى بما يظهر على عثمان أبا عند رؤيتى من القهول والارتباك ؛ فلما رأيت أن لا خطر على وأنى أصبحت آمننا مطمئناً لم أرد أن أقوم تلك الرغبة فلبست أحسن ثيابى وامتطيت خير جياذى وسار حولى كل خدعى وأتباعى وسرت في ذلك الوكب فى أكثر ساعات النهار حركة إلى الخان الذى كنت قد أقت فيه باسم تاجر غلايين أول جمعى إلى الأستانة

لم يعرفنى حينما تخطيت باب الخان أحد بل اجتهد الكل فى خدمتى واحترامى طائفتهم سيحبتون منى شارياً لكل ما ليسهم من البضائع وجاء خدى ببساط ثمين من أنفاس الأيسطة وأغلاها وفرشوه لأجلس عليه . وناولونى كذلك شرباً على الثمن

وقال ثالث :

« أنظروا إلى عمامته الكبيرة ، وسراويله الطويلة ، وغليونه الثمين . والله إن أباه لم يرمثل هذه الأشياء حتى ولا في أحلامه . »

وظل آل بلدي يوجهون إلى الكثير من هذا التقرير إلى أن استجمعت كل ما أمك من عطفة ووقار بمد الذي كان ، وقت من مجلسي فامتطعت جوادى ، وتركهم يشيمونى بالنكات المرة والضحكات المزرة والسخر والاحتكار .

حققت أول الأمر عليهم ثم حققت على نفسى بمد ذلك حقاً شديداً . وقلت : « لقد جوزيت يا حاجى بابا جزءاً عادلاً ! وحق رأس أليك كربلاى حسن الحلاق لقد كومت على رعونتك ، وغباثك ! هل يجرؤ يوماً كلب أن يمشى بين ذئاب مقرسة ؟ هل قدر غي من أغبياء اللدن أن يسير بين وحوش العرب بدون أن يسرقوه أو ينهبوه . »

قد يصير حاجى بابا عاقلاً حازماً في يوم من الأيام ولكن يجب أن يدق مرس السذاب ويتجرع كؤوس الألم قبل أن يصل إلى تلك الناية

ثم قبضت على الحيتى بيدي وتأوت قائلاً : « ماذا أفادتني هذه اللحية وماذا أكتبتنى شرأتها الطويلة ! لقد أصاب من قال : إن المرء لا يسره أبداً أن يرى ابن وطنه في ارتفاع وارتقاء اللهم إلا إذا كان مرفقاً إلى المشقة ! »

وبقيت أحدث نفسى بأمثال هذه الخيالات إلى أن وصلت إلى منزلى وهناك دخلت إلى محل الحرم محاولاً أن أجد الراحة من عناء اليوم ومتاعبه غير أنى لم أسب ما أردت فإن زوجتى زادت في كرى وبلاى كأنما كانت تدفنها الشياطين وتحضرها أبالسة الجحيم إلى مضايقتى

طلبت إلى أن أقدم لها حالاً كل البالغ الذى ذكرته في وثيقة زواجى . وظلت تلح في طلبها وتردده بحالة لم أحملها مع ما كنت فيه من غيظ وضيق صدر بسبب ما حدث بينى وبين أبناء بلدى ولم أشعر إلا وقد انفجرت انفجاراً شديداً وجعلت أهذى هنيئاً مريضاً مصحوباً بالإشارات النيفة وأمطرت أبناء بلدى وزوجتى وأبلاً من اللعنات والشقائم القبيحة والسباب البذى حتى غدت أنا الذى كنت ودباً لطيفاً أكثر شراسة من الوحوش الصوارى

ذهلت زوجتى بما أبدته وتفوهت به وتراجعت قليلاً إلى أن وقتت ومن ورأها خدعها وعبيدها وأتباعها تتقدمهم عائشة منتظرة فرصة تستطيع فيها الكلام

وأخيراً تكلمت وتكلمت حتى بدا ثغرها أصغر من أن يسع كل ما تفوهت به من ألفاظ وما خرج من فها من كلام

ولم يمنع عائشة ومن معها من الخدم والأتباع ما كانت تقوله سيدهم من الكلام فتكلمن حتى كأنما هبت في الحجرة عاصفة من ألفاظ عنيفة وشقائم متوالية كلها موجبة إلى

كنت أرغب في المقاومة غير أنى لم أستطع فقد كانت الحجرة كأنها ساحة فجيح وسوق شتائم وصراخ وضاعت الحجرة عن أن تستمنا جميعاً . وكنت أول من فكر في التقهقر والمهرب فانسحبت من مسكن الحرم بين اللعنات والسباب والضجيج والتدافع والتلاطم وعلى رأس الجميع زوجتى المزرة فكانت هذه المخالقات اللطيفة أشبه بالشياطين منها بالحور التى وعد الله بها عباده المتقين في الفردوس النشود .

اللحظة البرس الذي تملته في مشهد
ثم فكرت في حالي قائلاً : « ولكن أليست
شكريب زوجتي رغم كل ما حدث ؟ إنها زوجتي
شرعاً مهما يكن ما حدث أو ما سوف يحدث، ولئن
كنت قد بالفت قليلاً في مقدار ثروتي فإني لم أفعل
لذلك غير الذي يفعله كل أبناء آدم »

ثم التفت إلى خادي وقلت له : « بحق النبي دع
القوم يأتون إلى هنا وأحضرن لنا القهوة والغلايين »
رفع الخدم فراشي ونظفوا حجرتي ودخل الزوار
واحدًا بعد الآخر في صف طويل وجلسوا على لمبواني
وهم أخو زوجتي وأخو زوجها الأول وابنه ورجل
آخر متجههم الظلمة شرس النظر لم أكن قد رأيته
من قبل

جلس هؤلاء ورأيت غيرهم سرباً من الخدم
والأتباع وقوفاً في آخر الحجرة وبينهم رجلان بشما
الشكل قد تسلحا بالعمى التليظة ووقفاً أمام الخدم
ينظران إلى نظرات تنطوي على الشر ولا تدل على
صفاء ولا خير. اجتهدت أن أكون ساكناً رزيناً
وألاً أظهر بمظهر الخائف ما استطعت وتظاهرت
بالبشر والارتياع لتلك الزيارة ورحبت بالزوار فلم يكن
جوابهم لي ما أريدت غير تحمة لم أفقه لها معنى
أمرت بإحضار القهوة والغلايين ورجوت
أن أعلم السبب في تشرفي فقلت لشقيق زوجتي
الأكبر : « أسمع الله صباحك يا عزيزي . هل
أستطيع أن أؤدي لك أية خدمة في هذا الوقت المبكر
من النهار ؟ ليس عليك إلا أن تأمر بقطاع »

فقال بعد أن ثم الصمت برهة : « حاجي بابا !
أنظر إلى ! هل نفلتنا حيوانات لا تفقه ولا تنفع ؟
هل تمد نفسك رجل اليوم فلا قرين لك ولا نظير
تضحك من ذقوننا وتبث بكرامتنا ما شئت وشاء
لك عقلك ؟ »

أويت إلى حجرتي منهوك القوى مضضع المزم
خائر النفس مما حدث في يومي من أرزاء وخطوب
وأوصلت باب حجرتي وجلست فيها وأنا أشعر بأنني
أنس مخلوق دب على الأرض رغم ما يحيط بي من
عز وأبهة ورغم أنني صاحب كل هذه الرياش والتفاش
وجملت أدب سوء حظي متوقفاً ما يجيء به القدر .
وشمرت بما يشعر به المسجون من الظنون والريب
وكان من الواضح أني لو حاولت أن أخفف من بلواي
بإخلاق أكاذيب جديدة فإن أخرى ستكون شر
آخرة ومصيري أصبح مصير

ثم قلت لنفسي في ألم وحيرة : « رحم الله أيلماً
كنت فيها حراً طليقاً فلم كنت لم أرتبط بمقود
وأخاتم تركت زوجتي تفعل ما تستطيع دون أن
أحفل بما تفعل ، ولكنني الآن تقيدت بكتابات
رسمية عليها توقيعى وسأظل أمام العالم كذوباً عتلاً
الفصل الحادى والسبعون

هاجى بابا يستكشف أمر اعتباره بمفكر زوميه
بت ليلتي قلقاً مسهداً لازمني فيها الأرق فلم تدق
عيناي الكرى حتى سمعت المؤذنين يملنون انقضاء
الليل وزوغ الفجر ويدعون الناس إلى الصلاة .
وكان استيقاظي إذ ذاك قبل أن تمر ساعة واحدة
على اغتاض عيني ، على صوت نغمة غير عادية في
رجبات المنزل . وأخبرني أحد خدعي أن أختي
زوجتي قد حضر إلى المنزل يصعبه قوم آخرون .
فأصابتني رعشة شديدة أفقدتني كل ما كان لدى
من عزمة وقدره . وقام في ذهني خمسون خاطراً
كل منها يزيد على الآخر أهمية وخطورة ، وبدأت
أشعر بأصابع قدمي قد أصابها خدر شديد فلم تقو
السنون التي مضت على إضاعته ، وذكرت في تلك

فضله ! إن حاجي بابا تاجر لا نظير له . فإن حرائره وديابجه في الطريق إلى بخاري لتسبيل بها جلود ، وإن شيلانه في طريقها إلينا من كشمير وإن سفنه قد حجبت سطح البحار ما بين المين وبو شهر ! » وقال ابنه متمم : « ونسبه وأصله ! هل قلت إياك ابن حلاق ؟ حاشا لله ! اللهم رحمتك وغفرانك فإن نسبه ينتهي إلى قريش وليس هو من قريش فقط بل هو شريف من العترة النبوية . من ذا الذي يوازي أسرة المنصوري ؟ »

وكنتم قد لاحظت أن العاصفة على وشك المهبوب فجعلت أكرر : « ولكن لماذا كل هذا ؟ إن كنتم تريدون قتلي فافعلوا ! يا قوم ولا تنزعوا جلدي قيراطاً قيراطاً بقارص كلامكم »

فقال الرجل المتجهم الوجه العبوس الطلعة بعد أن ظل صامتاً أثناء كل هذه الأحاديث : « أنا أتولى إخبارك عما ترى وتسمع أيها الكافر المنافق . إني لك خيس نذل لا تستحق أن تعيش فإن لم تترك أديامك ومظاهرك الكاذبة وتترك زوجتك وهذا المنزل وكل ما يحتويه بغير إبطاء فأنت ترى هذين الرجلين (وأشار إلى التشردين الواقفين أمام الخدم بالمصى النليظة) وهما يزعان روحك من جسدك النجس كما نزع بقايا التبغ من الغليون . لقد أخبرتك بما سيكون وتركت لك الخيار فاختر لنفسك ما يحلو »

وكأنما أثرت ألفاظه في جميع الموجودين فأطلقوا لأنفسهم الننان وصبوا على اللسان والشتائم دون مبالاة ولا احترام . وظللت صامتة في تلك العاصفة الثائرة لم أنبس بينت شفة ووجدت من صمتي فرصة للتفكير .

رأيت أن أتبين ماذا تكون نتيجة المقاومة فقلت لصاحب الوجه العبوس : « ولكن من أنت حتى

فأجبتة بقولي : « ما هذا الذي تقوله يا سيدي الأنا ؟ إني لا أدعي أي دعوى ولست إلا رجلاً وضيعاً لا يزن قبضة من التراب »

فقال أخوه الثاني في حماس وحدة : « أيها الرجل كيف ترعم أنك لا تدعي الدعوى المراض ؟ ما الذي صنعتك بنا إذن ؟ هل حسبنا أغناماً حتى نتحمل مشقة الجي من بغداد إلى هنا لكي تسخر منا ؟ » فصحت متألماً : « يا الله يا الله ! ما هذا ياسادتي ؟ لماذا تتحدثون بهذه اللجة المرة ؟ ماذا صنعت حتى أستحق منكم كل هذا ؟ تكلموا بحق السماء وأصدقوني ! »

فقال عم زوجتي وهو يهز رأسه ولحيته البيضاء : « ما أخشاك يا حاجي بابا ! ما ألأم طبعك ! لقد صاغك الله يوم صاغك من خبث ورياء فظننت أن خبثك يجوز علينا وديامك ينطلي على عقولنا . كلا كلا ! إن ذلك لن يكون »

فقلت له : « ولكن بحق يا عمها ماذا جنيت ؟ تكلم ! »

فقال ابن عم زوجتي : « ماذا جنيت ؟ أتقول ماذا جنيت ؟ إني قد كذبت وسرقت وتزوجت امرأة بعد أن خدعتها . ألا يرضيك كل هذا ؟ أنك لا تستحي ولا ماء في وجهك . هل تظن أنك لم تأت أمراً ؟ »

وهنا قال صهري الأكبر : « ربما ظننت أنك أكسبتنا شرفاً عظيماً وأن ابن حلاق أصفهاني قد تواضع فرضي بالزواج من ابنة أسرة من أغنى أسر الآستانة ! »

وقال آخر : « ربما خطر ببالك أو صور لك الوهم أن بائع قصبات التدخين تاجر عظيم يستحق أن يعقد له على شقيقتي »

وقال معهما ساخراً : « نحمد الله ونشكر

« نعم نعم بحق النبي ! أتركوه يذهب إلى سبيله .
بالله عليكم أرحمونا من طلعتة »

صدرت هذه الكلمات وآلاف من قبيلها عن
ناحية الباب فنظرت إلى جهة الصوت من مسكن
الحرم فראيت عند بابہ زوجتي على رأس جماعة من
النساء كأنما أحضرت للشهد ضدى ولتبدى رغبتيها
في الانفصال عني

وأخذ النسوة يصرخن ويلعنن ناقيات ناديات
كأنما لبستن روح عفريت وكأنني كنت رجساً من
عمل الشيطان ويجب تنظيف المنزل منه
وجعلت نفسي وحيداً غريباً في بلدة لا مساعد
لي فيها ولا معين ، ورأيت أن لا حيلة لي أمام قوة
عظيمة لا أستطيع الوقوف أمامها فتجلجت قليلاً
وقت من موسى وأنا أقول :

« إن كانت هذه هي رغبتكم فليكن ما تريدون
إني غير راغب في شكرليب ولا في مالها ولا في أخوها
ولا في عمها ولا في أي شيء مما يملكون ما داموا
جميعاً لا يرغبون في ، غير أنني أقول اليوم إنهم عاملوني
معاملة لا يعاملها مسلم لأخيه ، ولو أنني كنت كلياً
بين جماعة من الكفار لمولمت بأحسن مما أعامل به
الآن . وفي يقيني واعتقادي أن العذاب الذي سيناله
من أساءوا إلى النبي سيناله يوم القيامة من أساءوا
إلى واضطهدوني »

ووقفت في وسط الحجرة بين الموجودين وقد
تشجعت وتحمس بسبب ما ألقيته عليهم من الكلمات
وخلعت جميع ما كان عليّ من الملابس التي اشتريتها
أو أخذتها من مال زوجي ورميت بذلك على الأرض
في احتقار وعزلة نفس كأنما هي وباء يخشى منه
ثم طلبت حبة قديمة كانت لي ووضعتها على كتفي
وانطلقت إلى الخارج وأنا أؤمن كل من تركت
عبد اللطيف النشار (يتبع)

تجزؤ على دخول بيتي ومعاملي كما يعامل الكلب
الأجرب ! إن هؤلاء أصهارى ، وهم في منزلهم ،
وأهلاً بهم ومرحباً ، ولكن أنت ماذا تكون
قرايتك من زوجتي ؟ لست بأبيها ، ولا بأخيها ،
ولا عمها فإذا تصنع هنا ؟ إني لم أتزوج ابنتك
أو أختك فإذا يهتك ؟ » .

وكان أثناء حديثي يحدث غيظاً وغضباً ، ونظرت إلى
كما ينظر الأسد إلى فريسة يهجم عليها . وقال
وصوته يشتمل فيه الغضب والحقد : « إن أردت
أن تعلم من أنا فسل الذين أتوا بي إلى هنا . إني
ورجالي نعمل بأمر الحكومة وسلطة القانون ، فإن
قاومت كان الأمر وبالأعلى عليك وخسرانا » .

فأدركت أن الرجل وأتباعه من رجال الشرطة
قتلت وقد خفضت من لهجتي وألنت من ألفاظي :
« ولكنك إن أردت أن تفرق بيني وبين زوجتي
التي تزوجت بها على كتاب الله وسنة رسوله فأتك
لي فرصة أستشير فيها رجال الشرع إذ كل مسلم
تحميه نصوص القرآن الشريف وأظنك لا تأتي عليّ
استعمال هذا الحق . وفوق ذلك فإن زوجتي لم تبس
رغبتيها حتى الآن في الانفصال أو قبول ما تعرضه
عليّ أنت ... إنها هي التي بحثت عني ولم أكن
الباحث عنها ورضيت بي ملاكاً وأحببني دون أن تفكر
في أي أمر مادي مما تثيرون إليه . وحين قبلت أن
أقتن بها لم أكن أعلم من أمرها شيئاً ولم أكن
أعلق أية أهمية على غناها أو مركز أسرته . لقد
كانت إرادة الله السابقة هي التي جمعتنا وأنتم مسلمون
فهل تمارضون تلك الإرادة ؟ »

فقال أكبر أصهارى سناً : « لا تبهج نفسك
في الكلام عن إرادة شكرليب ورغبتيها فإنها تمنى
الانفصال أكثر مما تمناه نحن »

وسمت في هذه اللحظة جملة أصوات تصيح :



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرآة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتأنيخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — أول مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٥



فهرس العدد



ملحة

- | | | |
|------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|
| ٣٩٤ هذا القرن ... | أفصوصة مصرية ... | يقلم الأستاذ نجيب محفوظ ... |
| ٤٠٣ لم يرغب أحد في وجودي ... | عن الانجليزية ... | يقلم الأستاذ عبد المجيد حمدى ... |
| ٤١٥ زهير الصين ... | للآلة متيرة سم شاه ... | يقلم الأديب ابراهيم ت . ج . ما ... |
| ٤٢٢ الحب أقوى من الموت ... | الكاتب الروسى ديمترى ميرىجكوفسكى ... | يقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ... |
| ٤٣٣ حاسى بابا أصفهانى ... | الكاتب الانجليزى « جيز نور » ... | يقلم الأستاذ عبد الطيف النشار ... |

جسمه الدقيق صورة صليب
متساوي الأطراف على وجه
التقريب ...

ولم ير السائق بداً من إيقاف
سيده فقال بصوت خافت :
— سعادة الباشا ... سعادة

الباشا ...

فلم يبعث نداؤه فيها أى أثر للحياة ، فرفع
الرجل صوته قائلاً :

— سعادة الباشا ...

واستطاع نداؤه في هذه المرة أن يوقظه فتحرك
رأسه ، واضطرب شاربه كأنه جناحاً نسر يحفان ،
وقال بلسان ثقيل متلعثم :

— من ... ؟

— وصلنا يا صاحب السعادة ...

— وماذا تريد ؟

— عفواً يا صاحب السعادة ... تفضل بالنزول

لتصعد إلى مخدعتك

ففتح الباشا عينيه المحمرتين وكان النور اللطيف
الذي ينير المكان آذاها ، فأغمضهما بسرعة وتحسس
بيده ذراع زوجته العاري كأنه قرية مملوءة بالمياه وقال
بصوته الثقيل :

— يا هانم ... زينب هانم ...

فشبهت المرأة شهقة قوية لو أصاب تيارها الباشا
لابتلته ، وقالت بتبرم وسخط :

— من ... ؟

— وصلنا ...

— وماذا تريد يا باشا ؟

— تفضل لتصعد إلى مخدعتك

هَذَا الْفَرْزُ

أَقْصَوْصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

انتصف الليل ؛ وخيم السكون ، وشمل الصمت
الدور والطرقات ، وانتشرت أنوار المصابيح الباهتة
كأنها تؤنس وحشة الأشجار المتروسة في الأفانير
وقد مرق السكون الآمن بوق سيارة أتت
مسرعة من مبتدأ شارع العباس ، ثم وقفت أمام
الباب الحديدى الملقى لفيلا آية في الأناقة والجمال ،
ونفخ السائق في البوق مرات ، نفخ البواب من
كوخه الخشبي وفتح الباب ، واندفعت السيارة إلى
داخل الحديقة التي لا يبدو منها إلا أشباح الأشجار
ودارت دورة غير كاملة ، وصعدت متحدراً ثم وقفت
أمام الباب الداخلى للقصر ، ونزل السائق مسرعاً
وضغط على مفتاح كهربائى على كشب من الباب
فأضاء مصباح وأرسل نوراً أزرق هادئاً ، ثم فتح
باب السيارة ووقف كالتمثال ...

وانتظر لحظات وثوانى ودقائق ، ثم أخذه المعجب
فأرسل ناظره إلى داخل السيارة ، فرأى الباشا
وزوجه مسافرين في نوم ثقيل ، وكانت السيدة ملقبة
برأسها إلى الركن ، وجسمها الضخم المائل ممدداً ،
يسدو في الفتحة اللامع الملتصق به ، كفرس
البحر ، وكان الباشا مسنداً رأسه إلى كتفها يحسبه
من رآه لعلالة جسمه ونحافته وقصر قامته — غلاماً
صغيراً . فولا شاربه الغليظ الطويل الذي يرسم مع

- أصدد !؟ أنا لا أستطيع أن أتحرك فكيف لي بالصعود !
- ما العمل ... هل نقضى الليل في السيارة ؟
- ولم لا ؟ .. المقعد وثير لين كالفرش ، وهذه فجرة مريحة فما معنى التعب ؟
- فقال الباشا للسائق وهو ينازل منمض الجفنين :
- يا حسن ... لإذهب أنت .. سننام هنا فارتبك السائق وقال بتحرج :
- العفو يا صاحب السعادة ... هذا غير طبيعي .
- وسيرى البواب في الصباح ويرى الخدم ...
- فألقى الباشا إلى زوجه قائلاً :
- يا هاتم هذا غير طبيعي وسيرى البواب في الصباح ويرى الخدم !
- من الذى يكلمك ؟
- السائق
- أف ... لا تضايقي ... ماذا بهما من البواب أو الخدم أو السائق ؟
- فقال الباشا للسائق بنفس اللهجة :
- أف ... لا تضايقي ... ماذا بهما من البواب أو الخدم أو السائق ؟
- فسكت الرجل ولكن لم تطاوعه نفسه على الذهاب فوقف ينتظر ، أما الباشا فأخرج مندبيله وجفف عرقه ، وقال وهو يفك ربطة عنقه :
- الدنيا شديدة الحرارة ...
- فاعتدل المرأة في جلستها ، ولم تلبث أن صاحت :
- يا لطيف !
- مالك ... ؟
- المقعد يبد في كأتى في أرجوحة !
- وأرادت أن تسك بشيء ، فوقت يدها
- التخبط على شارب الباشا ، فتألم الرجل ونزع شارب من كفها وهو يقول ضاحكاً :
- دعى شاربى ... هل تحسبته جبل الأرجوحة ؟
- أنا في غاية التعب
- شربت كثيراً يا زينب هاتم ... شربت أكثر مما ينبغي لك !
- وماذا كنت أستطيع أن أفعل سوى ذلك ؟
- الكل كان يشرب رجالاً ونساء ... أنت نفسك شربت كثيراً يا باشا
- أنا متعود على الشراب يا هاتم ... أنا أستطيع أن أشرب حانة كاملة في ليلة واحدة !
- ومع هذا لم تبالك أعصابك الليلة ...
- وعلا صوتك بالضحك على غير عادتك ، بل ونحكت منى أنا يا ناقص !
- كيف ذلك ؟ ... هذا مستحيل
- مستحيل ! ... ألا تذكر ساعة خروجنا من البوفيه ؟ ... كنت تسير ورأى فنظرت إلينا عذبة هاتم تلك المرأة الوحشة وقالت : « كان الله في عون إبراهيم باشا فهو زوج و«مروض» ونحكت جميع المدعوين ونحكت أنت أيضاً !
- أنا لا أذكر هذا !
- طبعاً لأنك لم تكن في وعيك ، ومع ذلك فأنت تزعم أنك تستطيع أن تشرب حانة في ليلة واحدة ... أليس كذلك ؟ ولكنى انتقم منك

- فضحكت منك مع الضاحكين بعد ذلك مباشرة
— وكيف كان ذلك ؟
- كان جماعة من الحاضرين يتمتعون لنحافة
قدك فاعتذر الأمير الای فتحي بك عن صغر حجمك
بقوله « إن شاربك الثقيل يوق جسمك عن النمو »
فضحكت مع الضاحكات والضاحكين ... وواحدة
بواحدة
- بالله من ضابط وقع !
— أنت السئول عن جملنا أضحوكة في كل
مكان ... لماذا لا تقص شاربك ؟
- أقص شاربى ؟ ... هل جنت يا هانم !
— وما وجه الجنون في هذا ؟ ... إنه حمل
ثقیل على جسمك الرقيق
- لا يكون الرجل رجلاً بجسمه !
— أیكون رجلاً بشاربه ؟
- معلوم ! أنظرى إلى مثلك ، فانت امرأة
ولك جسم فيل .. ولكن هل توجد امرأة بشارب ؟
— الحق أقول لك إنى هممت مرة بقص شاربك
في أثناء نومك ... لولا الخوف
- وما الذى أخافك ؟
— أشفتك من أن يصبح زواجنا لاغياً
- وله ؟ هل أنت زوجى أنا أم زوج شاربى ؟
— الحقيقة أنك بغير هذا الشارب تفقدو غلاماً
لما يبلغ السن القانونية للزواج !
- هذا هذر سكارى والأولى بك أن تتحنى
جسمك الهائل ، فضخامتة الشاذة هي المدعاة الحقيقية
إلى السخرية ... ألم ترى صديقاتك الليلة .. كلهن
- نحيفات اللحم إلا راضية هانم وهي على كل حال لا تزن
نصف وزنك ...
- أنت السئول عن وزنى
— أنا !
- نعم ... لأنك كنت دائماً تؤكد لى أنك
تحب اللحم السخالى والبقرى ... وأنت تحترق الوزن
(الهاف) ٢ ... وما أنت ذا تملص من تيمانك
كما كنت تفعل وأنت وزير !
- ما شاء الله !.. هذا قول أهدأ النياسيين ،
وأرى أنى أجد فى بيتى كما جحدت من قبل فى ميدان
السياسة للملوم وأنى خسرت الدنيا جميعاً
- بل زحمت شيئاً مؤكداً ...
— وما هو ؟
- أنك صاحب مقام رضيع !
— يا هانم أنت فى سكر كالحشاشين ، والحق
أنك تستأهلين رتبة ولكنى لا أدرى أى رتبة
تناسبك ... فلا أفكر قليلاً ... ما رأيك فى لقب
الصدر الأعظم ؟ !
- ... وهنا قطع حديث الزوجين طرق عتيف
على باب القصر الخارجى ، وشق الصمت الخيم صوت
متكر بصيح :
- يا بواب ... يا عم محمد ...
فسكت الزوجان دهشة واعتدلاً قليلاً فى جلستهما
وأرهما السمع ، وخف السائق مسرعاً إلى الباب
ليرى ما هنالك ...
- ***
- كان الشرطى المكلف بالحراسة الليلية يسير

— سفر لا يقبل التأجيل .
 أو ليس للقصر باب ؟
 — لم أجد وقتاً لإيقاظ البواب
 — يا مغيث ... هذا حقاً عصر السرعة ...
 وليس يبعد أن أرى غداً من يقفز من نافذة الطابق
 الثالث أو الرابع . لأنه ليس لديه متسع من الوقت
 يهبط فيه السلم ... عوفيت يا سيدي عوفيت ...
 — أراك لا تصدقني يا حضرة الشاوش ...
 أوكد لك أني من أهل القصر ... غير أنني استسلمت
 أن أقفز على هذا السور القصير
 — معلوم ... معلوم ... ليس الذنب ذنبك ...
 ولكنه ذنب من يحتم تعليم الألعاب الرياضية
 والتدريب العسكري ... على أني أجد نفسي مضطراً
 إلى تأخيرك يوماً أو عدة أيام وربما عدة أشهر
 قال ذلك ودفعه أمامه .. ولكن الشاب ألصق
 قدميه بالأرض وقال بتوسل :
 — لست لصاً ... لست لصاً والله ... أنا من
 أهل القصر
 — إذا كان ما تقوله حقاً فأعنيك إلا أن تدخل
 القصر ثانية فأصدقك
 — حسن ... أترك ذراعي وسري ...
 — أدخل البيت من باب ... تعال
 وساقه إلى باب القصر وطرقه ، وهو ينادي
 البواب ...
 وأنى السائق على صوته مسرعاً وأيقظ البواب
 فقام الرجل ساخطاً وفتح الباب ، وأحدث ظهور
 الشرطي والشاب القبوض عليه دهشتها ، ونظرا

المهين في شارع العباس ، ولما بلغ قصر الباشا .
 سار بجذائه وعرج ملازماً للسور إلى شارع الإلهامى
 واتبه من سهوة إلى حركة في أعلى السور فنظر إلى
 مصدرها فرأى رجلاً يقفز من الحائط ويسقط على
 بعد ذراع منه ، وقد تولاه الذعر لظهور الشرطي
 المفاجئ فتسمرت قدماء الأرض .. وأسرع الحارس
 إليه وقبض على ذراعه بقسوة وهو يصيح به :
 — يا ابن اللعن ! ألمحسب البلد بلا حكومة ؟
 وكان القبوض عليه أفندياً ، أنيق اللبس ،
 كشف نور المصباح الخافت في وجهه عن ملامح
 وديمة ونظرة أدنى إلى الرقة والجلين منها إلى الشر
 أو التجدي ، فحصره الشرطي بنظرة شديدة وهو
 يتحسس جيوبه وقال له متهمكاً :
 — إخالك لم تسرق سوى هذه البذلة !
 فقال الشاب وهو يلهث من الإضطراب والخوف :
 — أتركني يا حضرة الشاوش أنا لست لصاً
 كما تتوهم
 — عفادم عليك ... فمن تكون يا مولانا ؟
 — أقسم بالله العظيم أني لست لصاً ... ولم أسرق
 في حياتي قط وهاك جيوب قتشها كما تشاء
 — آه ... هل كنت في القصر زائراً إذا ؟
 — أنا ... أنا من أهل القصر
 — فعمت يا سيدي فعمت ... أنت ابن الباشا
 بلاشك وما تفرك من السور إلا رياضة بدنية كنت
 تقوم بها في هذه الساعة المتأخرة من الليل !
 — بل أردت أن أخرج بسرعة
 — وما الذي يدعوك إلى الخروج بعد منتصف
 الليل ؟

- إليهما متسائلين ، فقال الشرطي :
- نعم يا ماما ... ماذا حدث ؟
- قبضت على هذا الشاب وهو يقفز من سور القصر ، فادعى أنه من أهل الدار فهل تعرفانه ؟
- فقال الباشا :
- قبضوا على لص يقفز من سور القصر .
- فأنشأ البواب المصباح الكهربائي ، ونظر السائق إلى وجه الشاب الشاحب وقال مسرعاً :
- هذه هي المرة الأولى التي تقع عليه عيناى ...
- وسأل البواب الشرطي :
- هل وجدت معه شيئاً ؟
- سيفتش في القسم
- وفي تلك اللحظة سمع صوت الباشا الثمل يصيح في سكون الليل :
- يا حسن . من عندك ؟
- فهرع السائق إلى الباشا ، وطمع الشرطي في سماع كلمة ثناء من صاحب السعادة فساق الشاب أمامه وتبع السائق ، وقال حسن لسيده :
- قبضوا يا صاحب السعادة على لص يقفز من سور القصر .
- فقام الباشا واقفاً وغادر السيارة ، وهو يقول :
- كيف ؟ دى لولو كانت في البيت وحدها وهرب نحو الباب الداخلى وتبعته زوجته في تضرع ظاهر وكان الباشا يصيح : لولو .. لولو !
- وفتح الباب وظهرت غادة جميلة في لباس النوم الأبيض الشفاف ، أشرقت في الظلام كالشمس تائرة في الجو عطراً يملأ بالأعصاب فمل الموسيقى المذبة . فصاح والدان :
- الحمد لله .. هل أنت بخير يا لولو ؟
- فأنجابت بصوت له في الأذن وقع كالطر في الأنف :
- بلى ... بلى ... هذا لص ولا شك ثم مال على أذن لولو وسألها :
- أليس كذلك يا لولو ؟
- ولم تجب الفتاة أو على الأصح لم تسمع السؤال .
- فسأل الباشا السائق :
- أطفأت انحر نورها وقالت :
- كذب ... هذا لص جرىء
- ولكن ساورها شك في صحة بصورها فالت إلى زوجها وسألته بصوت خافت :
- أليس كذلك يا باشا ؟
- فنظر الباشا إلى الشاب بعينين ذاهلتين كمعنى زوجه وقال :
- بلى ... بلى ... هذا لص ولا شك ثم مال على أذن لولو وسألها :
- أليس كذلك يا لولو ؟
- ولم تجب الفتاة أو على الأصح لم تسمع السؤال .
- فسأل الباشا السائق :

إصلاحه بالحروب فوقعت في يدي الشرطي .. لست
لصاً ... قتشوني فلن تمثروا على شيء

— وماذا شربت ؟

وكان السائق في حالة سيئة من النعيط والجنون
فقال :

— هذا لص كذاب يا صاحب السعادة وينبغي
أن نسوقه في الحال إلى القسم

ولكن الباشا انتهره قائلاً : لا تقاطع التحقيق
وسأل الشاب وهو يهز رأسه بدهاء :

— ماذا شربت ؟

— ويسكي يا صاحب السعادة

فسأله زينب هامم :

— بالصودا ؟

— نعم يا سيدي

فالت المرأة على أذن زوجها وهمت :

— معذور ...

فرد عليها قائلاً بصوت خافت :

— نعم ... الويسكي بالصودا شراب مملون

ثم ذمها من الشاب وهو يقول : دعنا نفتشك

أولاً ... فاستسلم الشاب إليه ، ودس الباشا يديه

في جيوبه ولم يجد سوى حافظته فأراد تفتيشها ،

ولكن الشاب لم يمكنه منها ، وأثارت مقاومتها

شكوك الحاضرين ، فقبض الشرطي على يديه بقسوة

وأخذ الباشا الحافظة ، وكانت لحقت به زوجته وابنته ،

وأخرج محتوياتها وكان بها ورقة من ذات الجلبية ،

وعدة بطاقات وصورة صغيرة ، ولاحت منه نظرة

عارضة إلى الصورة ، فأيقظ انتباهه وشحنه بهرمة

— هل تعرف هذا الشاب يا حسن ... ؟ هل
هو من أهلنا ؟

وكان السائق حسن يخلط من لولو نظرات
ملتهبة وبرايقها بارتياح ، فقال بانفعال :

— هذا لص مجرم يا صاحب السعادة

فقال الباشا للشاب بلسان متلثم ثقيل :

— كيف تسول لك نفسك ادعاء قرايبي ؟

— لست لصاً يا صاحب السعادة

— فإذا كنت تفعل هنا ؟

— لا أدري يا صاحب السعادة

— ما شاء الله ... هل سقطت من طائرة في

حديقتي ؟

— كلا يا سعادة الباشا .. ولكنني وجدت

نفسى بنتة في الحديقة ... لا أدري كيف ساقني

قدماي إلى هنا !!

فقال الشرطي :

— ستجد نفسك بنتة في السجن إن شاء الله

وغضب الباشا لمقاطعة الشرطي وقال له بمنف :

— يا عسكري ... لا تقطع على التحقيق ...

فقال الشرطي بسرعة :

— حاضر يا أفندي

وسأل الباشا الشاب :

— كيف تدخل إلى الحديقة وأنت لا تدري ؟

— أنا أسف يا صاحب السعادة ، كنت سكران

وقادنتي قدماي إلى هنا من غير أن يراني أحد ونمت

على الحشائش يضع ساعات ، ثم استيقظت في حالة

أدنى إلى الوعي والانتباه ، فأدرك خطيئتي ، وحاولت

- فنظر إليها بإيمان فرأى صورة لولو ، لولو بذاتها ، هل يصدق عينيه ؟ ... أم أنها الخمر ؟ ... ونظر إلى زوجه يستعين بعينها فرأى بهما دهشة وإنكاراً ، والتفت إلى لولو فرأى أنها تنسحب بخفة وتعود إلى القصر تسير بخطوات مترنة مثقلة غير مبالية بشيء ...
- وسمع الشرطي يسأل بصوته الغليظ :
- هل وجدت بها مسروقات يا صاحب السعادة ؟
- فرد محتويات الحافظة إلى موضعها وأعادها إلى صاحبها وهو يقول بلسانه التلثم :
- كلا ... ما بها يخصه دون غيره ...
- وكان السائق على بعد قريب من مولاه فاستطاعت عيناه الحادتان أن تريا ، فارتد إلى حالة جنونية من الغضب والنعيط وقال لسيده بصوت متهدج :
- إن عدم الشور على شيء معه لا يبرئه بحال وهو ولا شك قد حاول السرقة فلم يفلح .
- فقال الباشا :
- سأتحقق مما إذا كان سكران ...
- ومال على فم الشاب يشمه ثم قال :
- الآن حصص الحق ... هذا الشاب سكران بغير شك ...
- فكاد السائق يمين وقال بنضب :
- البغوي يا صاحب السعادة ، العادة أن الإنسان إذا كان شارباً لا يشم الخمر في أفواه الآخرين !
- فانتفض الباشا غضباً ، وقتل شلوه بنطرسه وصاح بالسائق :
- إنه شارب يا كلب !
- البغوي يا صاحب السعادة ... أنا أغنى ...
- لا أقبل منك كلاماً يا سفيه ، لقد قضت سفاهتك على أسباب رزقك في هذا البيت . يا عسكري
- دع هذا الشاب لي الآن ، وخذ هذا الوقح خارجاً ...
- وصدع الشرطي بما أمر ، وخلا المكان إلا من الباشا وزوجته والشاب .
- قال الباشا للشاب بلهجة ترم على التهديد والوعيد
- ألا تعرف من أنا ؟
- أعرف طبعاً يا صاحب السعادة ...
- فكيف إذا تسول لك نفسك انتهاك حرمة بيتي ؟
- أنا غايي شريفة يا صاحب السعادة ...
- وهل يوجد شرف بعد منتصف الليل ؟
- وسأله السيّد :
- ما صناعتك ؟
- موظف ...
- هذا يعني أنك صموك ...
- صموك !
- نعم ... إن الكاتب الحقير الذي لا يجد له وظيفة تشرفه يطبع على بطاقته كلمة موظف وهي لا تعني في الواقع إلا أنه كاتب حقير ... أليس كذلك ؟ ...
- ... !
- في أي وزارة ؟
- المساحة ...
- ما شاء الله ... وما هي مؤهلاتك ؟
- ... !
- ما هي مؤهلاتك ... أجنّي ؟ !

فوقعت في غرام صملوك متشرد. ممن يسمونهم
بالموسيقين !

- لا تتكلم عن صهرك بمنثل هذه الألفاظ ،
فليس هو الآن بالصملوك ولا بالمتشرد ، ولكنه
مفتش موسيقى محترم بوزارة المعارف !

- أنا الذي عينته في هذه الوظيفة التي هو غير
أهل لها بحال ... أنا الذي خلقتة

- اخلق هذا أيضاً من أجل لولو
ولكنه غير قابل للخلق ... لقد كان الأول
مغنياً فاستطعت أن أصنع منه مفتشاً للموسيقى وإن
كان لا يفقه شيئاً في الموسيقى ، ولكن ما عسى
أن أصنع بهذا وكل مؤهلاته البكالوريا ؟ ... الأوفى
أن نظوره !

- ليت ذلك كان ممكناً ! ... ولكنك تعلم
أن لولو عنيده صلية الإرادة ، فلنوار سواتنا ونضع
منه شيئاً ...

- مهما فعلت فلن يكون أكثر من كاتب
- حنانيك يا باشا ، هل شح الزمان حتى
تزوج ابنة واحد باشا مثلك ووزير سابق (ووزير
لاحق إن شاء الله) من كاتب ؟ !

- وما ذنب الزمان إذا كانت ابنة الباشا مجنونة
مثل لولو ؟

- دع أحاديث الغضب جانباً ، وقل لي ألا يمكن
إلحاقه بأي وظيفة في مفوضية أو قنصلية ؟

- مفوضية أو قنصلية ! .. أهذا كلام يقال
على واحد كل مؤهلاته البكالوريا ؟

- أف .. أنا أعلم جيداً أنك متعب ومهما
(٢)

- البكالوريا ...

- بس يا خير أسود .. وما هيكت ؟

- ... !

- وما هيكت .. أتوسل إليك أن تجيبني !

- ستة جنهات !

- عال .. ولماذا تحب ابنة باشا ؟

- سيدتي ..

- لماذا لم تحب ابنة كلب من طبقتك ؟

وتنهذ الباشا من قلب مكوم وقال للشاب :

- تفضل مع السلامة . -

وصعد الزوجان إلى غدعهما وقد نال التعب
منهما كل منال فارعى الباشا على « الشيزلنج »
واستلقت السيدة على الفراش وكانا واجبين
حزينين ...

وتنهذ الباشا وقال لها :

- أيسجيك هذا ؟

- أنت دائماً تلقى على تيمة كل شيء ..

- أنا رجل ينوء مكتباه بعبء ثقيل سواء

في الوزارة أو مجلس الشيوخ أو الشركات ، فأنت
وحدك المشغولة عن فساد أخلاق بناتك !

- لا تتكلم يا سيدي عن بناتي بهذه اللبحة
التي لا أقبلها بحال ... إني أعلم أنهم أشرف النساء
جميعاً !

- إذا أنت ترضين عن هذه الأفعال

الشائنة ؟ ...

ألا ترى أن مأساة الأخت الكبرى تتكرر ؟ تلك
الفتاة البائسة التي أردت أن أزوجه من طبيب كبير

بكلمات لا تنفي وقد قال له :
 — أنت غطى يا حسن ... لماذا تتدخل
 فيما لا يعنيك ؟
 فقال محمداً :
 — أهذا رجل ؟
 — وما الذى يفضيك أنت ؟ ... إنها ابنته
 لا ابنتك !
 ثم غمز بعينه وتساءل :
 — أم هنالك سبب آخر لهذا الغضب ؟... أهو
 غضب أم غيرة يا شيطان ؟!
 فلما لم يرد عليه الجواب قال له وهو يودعه :
 — معلش يا حسن ... فالحق أن الباشا لم يعرف
 ربي غير شنبه !
 نجيب محفوظ

الأم فوتر

للساهر القليوبى جوتى ابوليانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

عشرها ١٥ قرشا

يكن من أمر فينبنى ألا تكون درجته أقل من
 السادسة وألا تقل ماهيته عن خمسة عشر جنياً ...
 وأمامك أصدقاؤك الوزراء فليختره أى واحد منهم
 سكرتيراً له ..

— ليس الأمر سهلاً يا هانم كما يبدو لك
 فالصحف تقف بالمرصاد للحسوبيات والاستثناءات
 — وهل يرضى الصحف أن تزوج ابنة واحد
 باشا من كاتب بستان جنيات ؟
 — إن للصحافة هموماً لا تدع لها وقتاً للتفكير
 فى مسألة زواج لولو !

— وإن مستقبل لولو لفوق الصحافة وهووما
 فينبنى أن تخلق هذا الشاب من جديد ...
 — هل كتب على أن أخلق كل يوم شاباً
 من جديد ؟

— أرجو أن تذكر أنك كنت موظفاً بأشأ
 حين تزوجتك وأنه لولا النفور له والذى ...
 — إن أباك لم يخلقى ولكنه أتاح الظروف
 المناسبة لعظمى الكامنة !
 — صه .. لولا أبى لكنت الآن موظفاً بالدرجة
 السابعة على أكثر تقدير ؟
 — أبهذا الكلام تدافعين عن ذوق بناتك
 القنصر ؟

— معلش يا باشا ، إنهن ورثن عنى ذاك الذوق
 الذى حملنى فيما مضى على الزواج منك !

وكان السائق هائجاً غاضباً ، يلحن ويتوعد ،
 والشرطى يهدى روعه ويمزجه عن « قطع عيشه »

لمتبرعاً أحداً في وجودي

إلى أن
عن الانجذابية
بقتلم الأستاذ عبد الحليم حمدي

الشهوة من عمل السنوات
المديدة، بقطعة الصوف الزرقاء
الطروحة على ركبتي وقد بلغت
في ذلك اليوم السادسة والسبعين
من عمري فالיום هو عيد
ميلادي ولكن أحداً لم يذكر
ذلك ولم يشعر به، لا ابني هاري
الذي أعيش الآن معه ولا امرأته
التيورالذي كذا الحيلة ولا ولداها.

قضيت اليوم كله أداعب أملأ حياً حزناً في أن
يتذكر أحدهم فيحضر. إلى وقبلي ويقول لي :
« عيد سعيد يا عزيزي ! ». ولكن لم يكن هذا
الأمل إلا حافة، فقد كانوا جميعاً مشغولين بشئونهم
الخاصة . لذلك نسي ابني هاري والنيور وحفيدي ،
وكذلك نسي ابناي الآخرون : توم وهو عام
في برمتاج ، وآلان الطبيب في نورامبتون وجورج
الذي كان يبحر جريدة في مدلانز ، وجين التي
تعيش في لندن وتكتب لإحدى المجلات النسائية
مقالات تتقاضى عليها أجوراً عالية وقد قضيت عندها
جزءاً من شتاء العام الماضي

ولكن لا بأس ! فانا امرأة شخوة وأبناي
جميعاً جد مشغولين ولهم من نجاحهم في الحياة ما يليهم
عن الاهتمام بأمر عجوز مثلي . ولم يعرفوا بعد الشتاء
الذي يشعر به الإنسان عند ما الشيخوخة يرى الحياة
تمر به مندفة وتركه وراءها . إنهم لا ينتظر منهم
أن يدركوا ما في الشيخوخة من قسوة ووحدة .
يا لهول ما في الشيخوخة من وحشة وخوف !
لقد كان كل شيء قبل ثلاث سنوات ، مخالفاً
فيا يتصل بحياتي لما هو كأن اليوم ، إذ كان زوجي
جون لا يزال علي قيد الحياة فلم أكن أبالي بالشيخوخة

هل هناك أساة أعظم من أن يكون
الإنسان غير مرغوب في وجوده ؟ هنا قصة شيرة
عن امرأة واجهت هذه المشكلة ومازالت تواجهها
إلى أن ...

جلست إلى جانب شباك غرفتي الوحيدة التي
فيها أنام وفيها أجلس ، في خط رفيع من شعاع
الشمس المائلة إلى التروب ، وقد طرحت على ركبتي
قطعة القماش التي كنت أحبكها
ونظرت بعينين كليتين إلى الجدران العارية
القائمة على الجانب الآخر من الطريق ، وهي كل
ما يمكن أن تقع عليه العين من شباك غرفتي ونحن
الآن في شهر مايو من فصل الربيع وقد تفتحت
الزهور وعطر شذاها الجو

وقد مضى على الآن ثلاث سنوات لم تقع عيني
في خلاها على زهر الخزامى الجليل ، وهو يستقبل
الربيع باسماً جذاباً ، ولا شمعت شذى الليلق المنمش
للصدور . مضى ثلاث سنوات على اليوم الذي مات
فيه زوجي جون ، فاضطرتني موته لأن أعيش متنقلة
بين بيوت أبناي ثلاث سنوات طويلة جوفاء قضيتها
وحيدة في عزلة عن الناس !

جلست إلى جانب الشباك تعبت أصابعي الخشنة

فقد علمتني هذه السنوات الثلاث ألا أقول شيئاً وأن أبتعد عن طريقهم . لقد كان لهم من مشاغلهم وضيق وقتهم وشدة ملهم ما يجعلني باطلة الأومة على أن ألتبس لهم في أعماق قلبي المنذر من عدم إقبالهم عليّ

كانوا يتبرمون بطراز ملايسى ، كانوا يكرهون القماش المطبوع الذى أخيط منه الملابس ، والمئزر الأبيض الذى كنت ألبسه فوق ثوبي . فابتاعوا لى رداء من الحرير الأسود لبسته إرضاء لهم ، ولكنى كنت أشعر أنى فيه غريبة غير مريحة ، أشعر بالوحشة إلى جلايبي القطنية القديمة الطراز . كذلك كانوا يتبرمون بأستلتي إذا خطر لى أن أسألم سؤالا ، ولقد سمحت لندا امرأة «آلان» تقول فى كثير من الضجر :

— إن أنا متعبة تشبه الأطفال فى أستلتي
ذكرت هذا كله فى جلستى هذه فسرى الجزء إلى نفسى

وذكرت أن جين اتهرتنى مرة إذ قالت غاضبة :
— إنك تثيرن أعصابى يا أمى بكثرة كلامك على أمور قد مضت . ألا يمكن أن تفهم أبنتى أن الماضى هو كل ما أملك فى الحياة ؟ لقد سرت نظرة التاذى على وجهى عند سماع هذه الكلمات وامتلاّت عينائى الكيلتان بالدهوع البطيئة ولكن جين لم تلاحظ شيئاً من ذلك

لقد تبين لى الآن أنى كنت دائماً عقية فى طريقهم ، كلا حاولت المساعدة فى بعض الأعمال المنزلية ، وما كنت أقصد بذلك إلا أن أجمل لنفسى بينهم قائدة وأن أملك فراغ ساعات أباى الطويلة

تنزل لى وهو إلى جانبي . لقد كان حبه وقربه منى يملآن نفسى شجاعة ومحيطان حياتى بالهدوء والمعادة والآن قد تركّ جون هذا العالم وتركنى وحيدة تكتنفى الحيرة والخوف فى عالم هو فى عيني شديد الاتساع والحدأة وسرعة الحركة

ولقد عزائى عما أنا فيه أن جون لا يستطيع أن يعلم الحقيقة ، فلقد كان واثقاً من أنى سأكون هنية وفى خير بعد ذهابه . لقد قال لى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

— سيمى بك الأولاد يا مارى ولن تكونى وحيدة ياغرنزى ، سيجبك أباؤنا ويرفون حياتك نعم ، فبعد أن انتهى كل شىء وبعد أن رأيت جون بوض فى مقره الأبدى بمقره البلدة الصغيرة أخذنى أبنائى معهم . فاقّت أول الأمر مع آلان ثم مع توم ، وبعد توم أخذتنى جين فقضيت معها فترة من الزمن وأنا الآن مقيمة مع هارى . لقد أدى الجميع واجبهم ، ولكن يبدو لى على صورة ما أنهم أصبحوا لا يشبهون أبنائى الذين من لى ودى . فهم يعاملونى كأنى غريبة فى بيوتهم ، غريبة لا تتصل بهم ولكن يجب أن يتحملوا عبئها

لقد أزعجنى ذلك وشعرت فى أعماق قلبي بشىء صغير جازع يصيح بهم طالباً الحب والراحة والتفاهم ويرجوهم أن يقتطعوا من حياتهم الملوذة حركة فترة وجيزة يقولون لى فيها لهم لا يزالون يحبونى ويحتاجون لى ويرغبون فى وجودى إلى جانبهم ، كما أحبونى واحتاجوا لى ورغبوا فى وجودى عند ما كانوا أطفالاً

ولكننى لم أنطق قط بهذه الصيحة الدفينة ،

أيضاً : ترى تحبّ لندا بقدوى ؟ وهل يتسم عند ما أقبل عليها وتقدمي لضيوفها ؟ من يدري، ولعلها أيضاً تسمح لي بمساعدتها في تقديم الشاي والنفطائر الصغيرة . لقد كنت أرجو من أعماق قلبي المهجور أن تسمح لي بأن أجالس المدعوين

فتحت الباب في استحياء ودخلت ، فتلقت لندا وإذ رأني قطبت جبينها علامة عدم الارتياح لوجودي . ثم قالت في جفاء :

— لقد حسبتك ستبقيين في غرفتك فأجبت :

— لقد آتيت لقضاء فترة وجيزة يا لندا وكانت عياني وأنا أنكم تمولان إليهما في أن تسمح لي بالبقاء وأن تشفق علي

فتنهلت لندا تنهد المتهور وأشارت إلى كرسي في ركن بعيد من أركان الغرفة جلست عليه في هدوء وأخبرت يدي المرتجفتين في جبري حتى لا يلاحظ الضيوف اضطرابي .

ونكلم النسوة في أمور لا أعلم من أمرها شيئاً وتجاهلن محاولات التواضعة التي كانت تنم عن رغبتني في الاشتراك في الحديث ، فشمرت بأني قد زجرت وأني وحيدة لا موضع لي في ذلك المكان . لذلك وقفت في الحال ، وتركزت الترفة في سكون ، مقفلة ورأى الباب في بطنه ، ثم تسربت إلى غرفتي فزعزت ثوبي الأسود ، وفككت دبوس الأمايست ، وبقيت فترة طويلة ممسكة هذه الهدية الوجيهة العزيزة في يدي النحيلمة المرتجفة ، بينما سالت السمورع على وجنتي المجدتين .

ولم ألبث أن قلت لنفسي :

الفاخرة . كنت أود أن أذهب إلى المطبخ فأسوي من حين إلى حين بعض النفطائر ، كما كنت أحب أن أصلح ملابس أحفادي أو أنظف غرفة الجلوس ولكني لم أكد أقدم على عمل من هذه الأعمال لأول مرة حتى همست البيئور وقالت وهي تلوي رأسها :

— إنني أفضل أن تترك ذلك للخدام وطلبت مني لندا ألا أندخل في شؤون بيتها قائلة في صراحة :

— إنه (يتق) كما تعلمين وأنا أفضل أن أرتبه على الطريق التي أراها

وشمرت من جراء عدة أمور صغيرة كهذه أنني قد جرحت وأني لم أكن في بيوت أبنائي إلا غريبة طفيلية . وهكذا تعلمت أن أكثف ساعدي وأن أزم غرفتي وإن كنت أشعر فيها بالوحدة والفراغ

وحدث مرة في بيت آلان ولندا أن كان هناك بعض الضيوف لتناول الشاي ، فلبست ردائي الجديد الأسود ، وجمدت شعرى الأبيض الرفيع ، وشبكت ببقتي بدبوس رأسه من حجر الأمايست كان زوجي جون أهدانيه في الذكرى الثانية لزوجنا ، ثم نظرت إلى المرأة نظرة الناقد لأرى إن كان في منظري ما يدعو إلى التفور ، وصرمت بلطف بكفي على ردائي وعلى شعرى ، ثم هبطت السلم إلى غرفة الاستقبال حيث كان الضيوف جلوساً ، على أنني عند ما وصلت إلى الباب وقفت لحظة مترددة

وأحسست في وقتي بارتجاف يدي من التأثير المصبي كما أحسست بقلي ينبض بشدة . ترى أكان في منظري ما يدعو إلى الاحتشاز ؟ لقد سألت نفسي هذا السؤال غير مطمئنة إلى الجواب . وسألت نفسي

— إني لشيخة حقا إذ أبكى .

لم يبق من أثر لأشعة الشمس حيث جلسبت على الكرسي الواطي في غرفتي ، ولم تلبث عتمة الفسق أن ملأت الجو ، على أنني ما زلت جالسة في مكاني مطبقة جفني مطلقة لفكري العنان يسبح في ذكريات الماضي السعيد النامض .

عاد الخيال إلى مزرعتنا الصغيرة في كورنيش ، تلك المزرعة التي لا تنفك عواطفني تحن إليها كلما شمعت بالفراغ الذي يكتنفني وسط المدينة الأهلة فارتسمت أمام عيني صورة العريشة والحقول والبيت الأبيض الخشن المنظر الذي ولد فيه أبنائي الخمسة وشبوا ، ورأيت غرفة النوم الكبيرة وقدهت ورق جذرائها ورأيت السرير الخشبي الكبير المزخرف الذي كنت أعاني عليه آلام الوضع كلما أخرجت أحد هؤلاء إلى عالم الوجود .

رأيت نفسي بين الماضي شابة صغيرة رشيدة سريعة الحركة لا مجوزا بطيئة كما أنا الآن ، ورأيتني متقلبة في خفة من مكان إلى مكان أجز عمل البيت وأربي الصغار . رأيتني أغسل الملابس والآنية ، منحنية على الوجاء متمبة شاحبة ، مشتغلة في الحديقة في أشعة شمس الصيف الحارة ، معدة نار الشتاء بيدني خشفها وشققهما الصقيع ، معنية بتغذية الأطفال وتظيفهم وتنشئهم على الصلح ومعرفة الحقائق ، مجتهدة في إقناعهم معنى الشرف والعصر والكرم ، ولا أذكر أنني أهملت في ناحية من هذه النواحي ، وإني لأشعرهم الآن كما كنت أشعرهم أطفالا يرتلون صلاتهم كل مساء .

إني لأذكر كيف كنت أنا وجون نقصد ونقتصد على نفسينا لنستطيع أن نبتاع للأطفال أحذية جديدة ولتسد لهم نفقات التعليم في المدارس ، ولتسكنهم من أداء مدة التمرن للمهن التي أعدتهم لها دراساتهم وإني لأسمع جون وهو يكرر قوله :

— إن أبناءنا هؤلاء ياماري ليستحقون كل هذا العناء والتمب فسيأتي يوم نفخر بهم فيه ، وسيكونون مبعث رفاقتنا في شيخوختنا .

ولقد صدقت زوجي حينذاك ، وتطلعت إلى الزمن الذي يصبح فيه أبنائي رجالاً ونساء ناجحين في الحياة يؤلفون بيوتاً هنية سعيدة تزورها أنا وجون ، فنجد فيها أحفاداً لنا أعزهم وأدلم وأهم مرأجحيهم لأنهم

مرت في هذه الذكريات وأنا جالسة في مكاني ساعة الفسق فالتسمت ، فإني أبناءنا لم يدعوني وأيام لربابهم إلا نادراً ، وبعد أن غادرونا الواحد بعد الآخر بقينا نحن الاثنين في مزرعتنا زوجين شيخين وخيدين منسيين

أما الأحفاد ، فقد كانوا في الحق أطفالاً من الطراز الحديث فلم يسمح لي بأن أدلم أو أهزم ، بل إني حتى لم أر قط « أن » ابنة جورج ، فقد كانت في المدرسة التي ألحقها بها أبوها في سويسرا ، عندما مات جون ، ولم تحضر جنازة جدنا

نظرت إلى يدي الجافتين المشوهتين البسوطتين على ركبتي ، وذكرت كيف كانت هاتان اليدين تتسابقان في سرور في سبيل العناية بالأطفال ، فأصبحنا الآن عديمي الفائدة شيخيتن مشوهتين لا يرغب فيهما أحد .

وفي هذا اليوم يوم ذكرى ميلادى هيات لى
الحاققة أنهم سيحضرون إلى مهنين معبرين عن حجم
لى وعطفهم على !!

أحنيت رأسى فى بطء وأطبقت جفنى
وفى صباح اليوم التالى بكرت فى المهبوط إلى
الطابق الأول لأستطيع الاجتماع بهارى وحده، فلما
وجدته فى غرفة الطعام ابتسمت ابتسامة مرتجفة
وقد جهشت فى تملك أعصابى والتزود بالشجاعة،
وقلت وقد بدا فى صوتى الرفيع أثر الاضطراب على
الرغم منى :

— لقد كنت أفكر فى أمرى يا بنى وقد
وجدت أن بى حاجة إلى تغيير الهواء، وإننى لأحب
أن أبقى هنا معك أنت وإلينور، ولكنى أرى أن
أسافر الآن إلى جورج، فهل لك أن تكتب إليه
لتخبره بأننى ذاهبة إليه فى الحال ؟

لم يكده هارى يسمع هذه الكلمات حتى بدا أثر
الارتياح على وجهه : فوخز ذلك نفسى، وألمنى أن
أرى ابنى أيضاً مسروراً للتخلص منى !

فرد جورج فى شئ من التذمر يقول إنه مستعد
لاستقبالى إذا كان من الضرورى أن أذهب . فأجابته
إلينور برسالة تلغرافية إن ذلك من الضرورى جدا .
وهكذا أعددت حقيقتى التيقية وأركتبى هارى القطار
وقبلنى قبة وداع عاجلة معتذراً بأنه مضطرب
يسرع فى الذهاب لإرتباطه بوعده جام فحصل بأعماله؛
على أننى لم أكده أشعر بما فى عمله من إهمال لشأى،
لأنى بعد أن علمت أن ليس بين أبنائى من يرغب
فى وجودى لم يبق ما هو أشد من ذلك إلا أنى لنفسى .

وبينا أنا غارقة فى هذه الأحلام إذا صوت إلينور
الحاد يمتشق غشاء رأسى ويقطع على أحلامى، متسرباً
خلال باب غرفتى نصف المفتوح، كانت مقبلة من
الردهة، وكان كسبا حذائهما المالىان يقرعان الأرض
بشدة تيمث فى الجو صدى عالياً، يسر هارى إلى جانبها
فى خطوات بطيئة ثقيلة ... سمعتها تقول له :

— أقول لك إن صبرى قد فرغ يا هارى !
ويجب أن تيمدها عن هذا البيت، إنها تدخل لحد
بعيد فى ترتيباتى الاجتماعية

ساءلت نفسى متعجبة : ترى من هى التى تريد
الينور إيمدها عن هذا البيت ؟ أمى الخادم الجديدة
أم لعلها الطاهية ؟

ثم سمعت صوت هارى بطيئاً تبدو فيه الحيرة
وهو يقول :

— ولكنها أى يا إلينور، صحيح أنها عجوز
كالأطفال ومتعبة قليلاً، وأنا أيضاً لأحب بقاءها
هنا ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟
فقلت لإلينور فى حدة :

— يجب أن تملئ شيئاً، ويحسن أن ترسلها
إلى جورج، فإنه لم يتحمل قط نميبه من هذا المبه
وليس مهمى أين ترسلها ولكن يجب أن تيمدها عن
هنا فى أسرع وقت

سمعت صوت إقفال باب غرفتها وجلست فى
الظلام مصمومة لا أستطيع حراكاً

لقد كنت أنا التى بدور الحديث حولى أنا التى
يراد إيمدها عن البيت ! أنا « المجوز كالأطفال
المتعبة قليلاً » كما قال هارى

بوجودى إلى جانبه ! وجدت من يرى أنه محتاج إلى
لقد كان ذلك معجزة ! كان إجابة لصلواتى ودعائى .

فأطبقت عيني للمتعبين لأخى البومع التى غمرتهما
بجأة ، والإنسان إذا كبر كانت جموع الفرح أسرع
إلى عينيه من جموع الألم والبكاء

وكانت « روث » امرأة جورج تنتظرنى فى
البيت ، ولم أكن قد رأيتهما غير بضع مرات منذ
زواجهما من ابنى ، وأذكر أنها كبيرة الجسم شقراء
ممتدة بنفسها زرقاء العينين قاسيتهما مرتفعة الصوت .
ولقد رأيتهما الآن قد تغيرت قليلاً ، إذ أصبحت أقل
نشاطاً مما كانت وأشد تحكماً ، ولكن صوتها كان
كما عهدته مرتفعاً ، وكذلك كانت عيناها على عهدى
بهما قاسيتين

رحبت بى امرأة ابنى فى فتور وقيلتى قبلة باردة
وإلى لأظن أن « روث من هؤلاء النسوة اللواتى
يحسن أن الشيوخ من الأدميين كالخيل التى أتلفها
العمل الشاق يجب قتلها متى أصبحت عذبة النفع »
نظرت إلى « آف » نظرة قبيض الجزع
والرعب ، فابتسمت لى ابتسامة تيمت الاطمئنان إلى
النفس الحائرة وقالت :

— لقد غادر أبى البلدة اليوم لحضور اجتماع
سياسى ، وسيمود إلى هنا صباح الأحد ، فهلى إلى
غرفتك المجاورة لرفعى ، وسأفك لك حقيقتك لأنى
أعلم أنك متعبة يا جدتى

ثم تأبطت ساعدى ومضت بى
وتنحّرت وأنا أصمد معها السلم متباطئة بباطئة
الشكر تنمرنى وقلب فى نفسى : « مهما حدث الآن

قد أصبح قلبى كبيراً يذى كما يذى كل قلب مجبور
كبير ...

كان كل ما أملكه هو أن أحاول الترفيه عن
نفسى بأن جورج يعيش فى بلدة صغيرة على مقربة
من المزرعة التى أحببتها وتمودت حياتها وفى ذلك
بعض المراء . غير أننى كنت أضطرب كلما ذكرت
أننى ذاهبة إليه غير مرغوب فى وجودى .

زلت من القطار فوقفت على إفرز الحطة دأخنة
متعبة من الرحلة غريبة بين الناس حائرة فيما أفعل
ثم سمعت ورائى خطوات تجرى بسرعة ؛ وشمعت
ييد تمسك بساعدى فى لطف وسمعت صوتاً يقول :

— هل أنت جدتى ؟

فتلفت فرأيت أمامى فتاة طويلة رشيدة بنية
الشعر مرسلته لها عياناً واسمتان صافيتان ، تبدو
على فها المنوبة والزناة . فقلت :

— نعم أظن أننى لا بد أن أكون جدتك

فطوقتنى بتاعديها الفتيتين القويتين وقيلتى قبلة
حارة ، هى أول قبلة حقيقية تحضت بها منذ ثلاث
سنوات . وقالت :

— أنا « آف »

وقادتنى حفيدتى إلى سيارتها الصغيرة الزرقاء
فساعدتنى فى الصعود إليها ، حتى إذا أدارت المحرك
ابتسمت لى وقالت :

— جئنا لى لسميعة يا جدتى بقدموك ا

وقعت هذه الكلمات من نفسى موقع الغذاء من
نفس الكلب الجائع ، والكلاب الجائع اختلطت
هذه الكلمات متخلطة : لقد وجدت أخيراً من يسعد

فإنني سأجد «آن» إلى جانبي»

لقد صدق ما توقعته، ففي الأشهر التي تلت ذلك اليوم، كانت «آن» هي المستعدة دائماً للدفاع عنى في حماسة وغيرة، وهي التي كانت تغمر أيامى بضوء الشمس وبالسعادة... كانت تجيب على أسئلتى المتواضعة وتحدثني بأخبار أسدقائها وما همم به من الشئون... كانت تعرض على مسألهما طلباً لنصيحتى، كانت تعاملنى على أننى إنسانة حية، لا على أنى عبء ثقيل عديم الفائدة، فكنت أقابل هذه المعاملة بأرق ما أستطيع من مظاهر الشكر وعرفان الجليل

ولولا «آن» لكانت حياتى في بيت جورج كئيبة موحشة كما كانت في بيوت أبنائى الآخرين. ولم يكن فى تصرفات جورج ما يدل صراحة على عدم شفقتة، وكل ما هنالك أنه لم يكن ليهم بى على نوع ما. فقد كان كل هم محصوراً فى الصحافة والسياسة

وكان اهتمام «روث» منصرفاً إلى عملها الاجتماعى وإلى تذكير زوجة طيبة «لجان»، ولم ألبث أن أدركت أن «روث» إنما قصدت «بالزيجة الطيبة» أن تتزوج «آن» من ستيوارت باكتون ابن أحد مديرى البنوك

وكنيت قد التقيت بهذا الفتى على أثر وصولى إلى بيت جورج. ولذا كنت تعودت ملاحظة وجوه الناس منذ خمسين سنة وأكسبتنى التجربة صدق الحكم على أخلاقهم النكاملة وراء مظاهرهم، فقد دقت فى وجه ذلك الفتى القصير النحيل ثقيل الحركة التى رأيت فيه «روث» الزوج الصالح لابنتها،

نظرت إلى عينيهِ الصغيرين الزرقاوين الماكزتين، وإلى فمه الرفيق الضعيف الذى يدل على القسوة فلم أحب ما رأيت، لقد كان وجهه مجرداً من أمارات القوة والشفقة وكرم النفس، وهذا هو الرجل الذى تخبرته «روث» ليكون زوجاً لابنتها!

شعرت عند ما رأيت هذا الفتى برعشة الخوف تسرى فى نفسى، ورجوت ألا تكون «آن» قد أحبته، فقد كنت أشفق عليها من ذلك الحب لغلى بأن الشباب متلف إلى الخيال تعميه فى سهولة المهالة التى تحيط بالثروة والمركز المالى

ثم قابلت «كن ادامز» فلم تلبث أن تلاشت جميع مخاوفى فباتتص باستيوارت باكتون وعلاقته «بآن»، فى مساء يوم من أيام شهر يونية بينما كنت جالسة فى الحديقة أقبِل «آن» ومعه فتى طويل القامة قممته لى بقولها:

— هذا هو «كن» يا جدتى

قالت هذه الجملة فى صوت متهدج، فنظرت إلى الفتى نظرة حادة عند ما تناول يدي المجدبة وأنحنى عليها مقبلاً

كان «كن» ذا عينيْن واسعتين رماديتين ضاحكتين، فى وجهه الأسمر بساطة، شعره أسود سميك، فمه واسع سار. ابتسامته شئ ذكرفى زوجى جون وقد أخبته حباً شديداً لأول مرة وقع نظرى عليه. وكان رداؤه قديماً رداً وكان هو نحيل الجسم، وعلى الرغم من ذلك قلت فى نفسى: «هذا هو الرجل الذى يليق بآن» ولكن هذا إذا أمكن أن تحبه الفتاة

« أن » من مقابلته في أى مكان آخر . وكان ستيوارت باكتون يزور البيت كل ليلة على التقريب وكان الجميع ، ما عداى وآن ، يقابلونه بالترحيب القلبي الحار

وفي مساء يوم من الأيام خرجت لأبتاع بعض الحاجات فلقينى « كن » في الطريق ، فرأيتة قد ازداد تحولاً وشحوباً عما كان من قبل ، وقد استوقفتى إذ رأتى وقال :

— خبرينى يا مسز مارتن ماذا عسانا نستطيع أن نفعل « أن » وأنا ؟ إننى أحبها حباً شديداً وأبواها لا يسمحان لى بأن أراها . وإنى لأعلم أننى غير كفء لها لأننى رجل فقير ، ولكن سيأتى يوم أولف فيه كتاباً يفود على بالرج ، وعندئذ أستطيع أن أقدم لها كل ما تحتاج إليه ، وإلى أن يحى هذا اليوم أعطيها كل ما فى نفسى من الحب فابتسمت لما فى حديثه المتحمس من لهجة جادة وقلت :

— إنى أظن أن حبك كاف « لأن » فلا تنقد الأمل يا « كن » فسينتهى الأمر نهاية طيبة على وجه من الوجوه

واجتهدت أن أساعد « أن » بتبنيه « روث » إلى عدم ارتكاز بنفسها « كن » على أساس مقول ، ولكننى بذلك قد زلت الأمر سوءاً . فقد أبابتنى فى جفاء :

— أرجو أن تهتمى بشؤنك الخاصة ، وكفى تدخل فى شؤون « آن » فإن ما تسببه لى من المتاعب كاف بدون تدخلك

ثم رأيت « أن » تنظر إلى « كن » نظرات ملتهبة ، ورأتها تبسم له ابتسامة حبيبة مضطربة ، فعلت كما لو كانت هى التى خبرتنى بأنها تحبه من أعماق قلبها حياً يدوم إلى الأبد

ولكن الأمر عند أم « أن » كان على العكس من ذلك ، فقد كانت تبغض « كن أدامز » بغضاً قاتلاً لا يرتكز على سبب مقبول . فقد قالت لى مرة فى لهجة غاضبة :

— إنه رجل أفاق لى يصلح لها بحال ، فإنه لا يحصل حتى على مرئيت محترم أو الحق أننى لأأدرى أى شئ فيه يعجب « أن »

نظرت إلى « روث » فى دهشة ، فقد أعلم جيد العلم ما الذى يعجب « أن » من « كن » فقد أعجب بمنزلة من زوجى جون ، فيه الطيبة والبهجة والقوة والشرف والرفقة فى معاملة المرأة التى يحبها ، وهذه هى الخلال التى تحمل الفتاة على أن تعمل وتحمل المتاعب من أجل رجلها وتشعر فى الوقت نفسه بأنها تلقى الجزاء الذى يروض عليها المشقة والتعب .

لن تكون لـ « كن » يوماً ما مثل ثروة « ستيوارت باكتون » ولكن الحياة مع « كن » سيكون أغنى من نواح أخرى ، نواح عظيمة هامة كالصالح والحب والسلام والمؤانسة

ولكن « روث » لا تستطيع أن تفهم ذلك ، فقد كانت مصممة على أن تزوج « آن » المال والثروة ومعنى ذلك أن تزوج من ستيوارت باكتون . فلم تسمح لـ « كن » بوضع قدمه فى البيت وأمنت

قط ، لقد كنا فقيرين ، كما ستكونان أنت و«كن»
في أول الأمر ، ولكننا كنا سميدتين . إنكما صغيران
وفي نفسيكما شجاعة ، ويجب أحداكم الآخر ،
فلا تسمحيا لأى شئ بأن يحطم حبكما .
فرفعت الفتاة رأسها ، ورأت السموع تنحدر
على وجنتيها ، وقد بدا في عينيها بريق لطيف ،
وقالت هامة :

— شكراً لك يا جدي ، فاني الآن أعرف
ما يجب أن أفعل ، وسأهرب الليلة مع «كن»
فباركينا يا عزيزتى .

فضممتها إلى صدرى وقبلتها ، ثم تناولت مفتاحا
من فوق مائدة إلى جوارى ، وكنت قد وضعت عليها
استعداداً لما توقعت أن سيكون ، ثم وضعت في يدها
وقلت :

— هذا مفتاح بيتنا القديم في المزرعة ، والمزرعة
في كورنوال على مسافة خمسة أميال من ليسكيد ،
وستجديها على خريطة الطريق ، والدار لا يسكنها
الآن أحد ، فستطيعان أن تقصداها وتميشا فيها
إلى أن يجد «كن» ما هو خير منها ، وعلى الأقل
إلى أن يؤلف الكتب التى ستجعل منه رجلاً ذائع
الصيت

وهنا انقسمت لنفسي في الظلام ثم أعمت حديثي
في رقة :

— وليبارك الله لك يا عزيزتى .
ثم همت من فراشي فلبست رداى الصوف ،
وتسللت أنا وآن إلى المر الخاريجى ، ثم مررنا
متلصصين في الظلام بباب الغرفة التى يرقد فيها جورج
وروث ، وهبطنا بعد ذلك السلم إلى ردهة الطابق

وسمعت روث بعد ذلك تتحدث مع جورج في
أمرى فتقول في لهجة الغضب :

— إذا كنت لا تريد أن تزوج ابنتك من
هذا الأفاق المفلس فيجب أن ترسل هذه المعجوز
إلى أحد إخوتك ، فإني لا أريد بقاءها في بيتي !
وفي هذه الليلة نفسها نشأ بينها وبين «آن»
شجار عنيف ، حتى إذا انتهت تسالت «آن»
إلى غرفتي ، وكان جسمها يضطرب لشدة انفعالها ،
وكانت تبكي بكاء شديداً وركعت في الظلام إلى جانب
سريري فوضعت يدي في لطف على شعرها الأحمر
الحمد ، وقد قالت لى هامة :

— ماذا أعمل يا جدي ؟ إنهم لا يريدون أن أرى
«كن» وأنا أحبه حباً شديداً وسيرغنى أوى وأبى
على الزواج من ستيوارت ، ويقولان الآن إنك
سترحلن من هذا البيت ؟

فربت على وجنتها البلهة بالسموع وقلت :
— إسمى يا عزيزتى ! قد أكون مضطرة لغادرة
هذا البيت إذا ما طلبا ذلك منى ، ولكنهما لا يستطيعان
أن يرغماك على الزواج من إنسان لا تحبينه .

— سيفعلان ! نعم أعرف أنهما سيفعلان ذلك !
إنك لا تعرفين كيف يتصرفان إذا ما اتفقا على أمر ،
وتشيثا به فإن أى ستجعل حياتي كلها شقاء إلى أن
أزوج من ستيوارت ، ولكننى أبغضه .

فنظرت إلى خط من ضوء القمر على نهاية
سريري ، ثم قلت في ثان :

— إننى عند ما كنت في مثل سنك يا «آن»
أحببت شاباً كما تحبين أنت «كن» فهربت معه ،
وتزوجت منه بعيداً عن أهلى ، ولم أندم على ذلك

الأرضي حيث آلة التليفون ، فأصابت « آن » مصباحاً كهربائياً في الجدار

وبينا وقتت عند قاعدة السلم أقرب وأنصت لأية حركة تبدو أدارت أن رقم تليفون « كن » ، وفي هذه اللحظة سمنا صوت تشقق لوح من الخشب فوق رأسنا ، فظفرت كل منا إلى الأخرى جاحظتين فإذا بفعل إذا كان جورج أوروث قد سمع حركتنا وجاء يستطلع الخبر ؟ ومضت لحظة سكوت خفيفة ثم إذا كل شيء في البيت نائم في هدوء

ولجأة جمعت آن نفسها على آلة التليفون التي حملتها في يدها وسمعتها تقول مستفهمة في صوت خافت :

« كن » ؟ أنا « آن » أريد أن أقول لك إنك كفت على حق حين قلت إننا يجب أن نهرب ، وسنهرب الليلة ونفترج أسرع ما يمكن ! نعم سنهرب في اللحظة التي تصل فيها إلى ... نعم ! نعم ! أنا أقصد ما أقول ... إلى أحبك يا عزيزي !

وإني لأستطيع أن أنصور النشوة والجذل اللذين غمرا « كن » عند سماع هذه الكلمات

وأعادت « آن » جماعة التليفون مكانها في هدوء واعتقت بكل ما فيها من قوة ، وكانت عيناها تبرقان من شدة الانفعال ، وقالت :

« شبيك أصابعك من أجلنا يا جدتي إلى أن نبتعد من هذا المكان

وعندما صعدنا السلم متصلصين ، وساعدت « آن » في سرعة سامنة في إعداد حقيبتها ، ثم حملنا الحقيبة إلى الطابق الأرضي ، وقتحت « آن » رتاج الباب بأصابع مرتجفة ، ولم تكد تخطو إلى العتبة حتى وثب

« كن » فماتها في شدة كأنه يخشى أن تفلت من بين يديه وهو لن يسمح بذلك أبداً

وابتسمت وأنا واقفة في ضوء الردهة الضئيل متذكرة الماضي — لقد كان ساعداً جون فتيتين قويتين كساعدي « كن » وكان قلبي ينبض شوقاً وعيناي تشعان بيريق الأحلام السميدة شأن عيني « آن » في هذه الساعة

وقبلاني قبة الوداع ثم جريا ممسكا أحدهما بيد الآخر إلى حيث كانت سيارة « كن » العتيقة في الانتظار عند الباب الخارجي

وأقفلت الباب وأوصدت رتاجه ، وأطأنا مصباح الردهة الضئيل ، ثم تسلمت في هدوء إلى غرختي ، ولم ألبث أن نمت نوماً عميقاً هادئاً ، وأنا لا أزال أشعر بمنوبة قبة آن على وجنتي الجمدة المعجوز ، عالة بأن هذين الصغيرين يسرعان في الظلام في طريق الحرية ، ولم أعد ألبث بما قد يصيبني بعد أن مهدت « لأن » الطريق إلى السعادة

وبعد أيام قليلة تسلمت تلغرافاً جاء فيه :

« لقد تزوجنا ونحن سعيدان ونحب الزهرة والحياة فيها ، شكراً لك يا جدتي وتقبل حبنا وكانت الرسالة موقعة في كبرياء باسمي « آن » وكن آدامز »

وعندئذ هبت الزوينة ، فهبت روث هذياناً جنونيا ونطق جورج بببارات شديدة لا تقبل الففران . وحملني كلاهما مسئولية هرب « آن » وزواجها وقالاً لهما لن يفرنا لي ذلك أبداً ، وقد نمصنا على حياتي في الأسابيع القليلة التي تلت ذلك الحادث ، رافضين أن يبادلاني الحديث إلا إذا دعت .

وقد قال في لهجة منفعة :

— لقد وجدنا معدن الصفيح في الحقل الجنوبي .
وجدنا معدن الصفيح ، فهل تفهمين معنى ذلك ؟
ستصبحين غنية يا جدي ! فأخضري في الحال
تركت سماعة التليفون فوجدتني أنا أيضاً اضطرب
انفعالاً ، وحضر جورج وروث إلى الردهة ونظرا
إلى محلقين وتساءلا :
— ماذا هناك ؟
فأجبت :

— لقد أخبرني « كن » الآن أنهم قد وجدوا
معدن الصفيح في المزرعة
فنظر جورج مهووناً وقال :
— الصفيح ! ... مرحى مرحى يا أمي إنك
ستصبحين غنية
واندفت « روث » نحوى فطوقتي بإساعديها
وصاحت :

— يا للعجب ! لا تتفكرى في مفارقة هذا البيت
أيتها الأم العزيزة ! يجب أن تفكرى رباط حقيقتك
في الحال ! وإنك لتستطيعين أن تنتقل إلى غرفتنا
فهى أحسن غرفة في البيت . وسيذهب جورج
إلى المزرعة ويتولى الإشراف على العمل بنفسه ،
ألا تذهب يا جورج ؟ والآن يجب أن تكلمى إليه
كل شيء

ولكننى ابتعدت عن روث وقلت في فتور :
— لا ، وشكراً لك فإن « كن » و « آن »
في انتظارى وسأذهب إليهما ، فالزراعة مزرعتى
والصفيح صفيحي وسأولى الأمر بنفسى
فيما الحزن على روث وقالت :

لذلك ضرورة ملحة ، فأشعرانى بذلك أنني ازدت
عن أى وقت مضى . بأننى غريبة في بيوت أبنائى
وكتبت آخر الأمر خطاباً إلى ابنتى جين أسألتها
فيه في تواضع إذا كنت أستطيع أن أزورها ،
فأجابتنى بأنه يستحيل عليها أن تقبلنى في دارها قبل
اتهاء فصل الصيف
وكانت خطابات « آن » هى الشماع الوحيد
الذى يضيء ظلام حياتى . حتى إذا جاء شهر أغسطس
تلقيت منها خطاباً تقول فيه :

« إنحزى حقيقتك يا عزيزتى واحضرى إلى
المزرعة . إننا هنا سعيدان كل السعادة ونشعر بالحاجة
الشديدة إلى وجودك معنا . فكل بيت يحتاج إلى
جدة تراءى ! و « كن » يشتغل بالفلاحة في النهار
وفي الليل ينكب على تأليف كتبه . وهو راغب أشد
الرغبة في حضورك . ويمكنك أن تجبرى بقية العائلة
أن ليس بأحد منهم من حاجة في إيوائك فأنت لنا
دون غيرنا ! لقد مهتت طريق السعادة « لكن »
ولى فنحن نحبك من أعماق قلوبنا »

قرأت هذه الكلمات المذبة من خلال الدموع
التي ملأت عيني ، ففاض قلبي بشعور عظيم من
الراحة والرضا . فقد أبقت أن الحياة لن تكون
بعد اليوم حرباً على ، فقد وجدت من يحببني ويحتاج
إلى وجودى معه ، وقد أصبحت ملكاً لأناس
يحبوننى . إننى لن أكون وحيدة بعد اليوم وستصبح
الحياة عذبة سعيدة

وفي ساعة مبكرة من الصباح قبل بضعة أيام
من الموعد الذى حددته للسفر إلى المزرعة تكلم
« كن » مئى تليفونياً ، وكان صوته يهتز انفعالاً ،

الفصول والغايات

معمزة الشاعر المات

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طرقة ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدوا أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

محمّد وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

ثمة ثلاثون قرناً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لا مريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرناً

— ولكنك لا تستطيعين أن تذهبي ، بل يجب
أن تبقى هنا معنا يا عزيزتي وهذا البيت يتك ...
ونحن ... نحن محتاجون لوجودك معنا ...

فابتسمت في نفسي .. فصحيح أن روث محتاجة
الآن إلى وجودي معها ، فقد أصبحت شبيخة غنية
بعد أن كنت مجزاً مفلسة . هذه هي أخلاق روث
كذلك كان أبنائي الآخرون على شاكله جورج
وروث ، فلم يكذب توم وآلان يسمان الخبر حتى
حضرنا لزيارتي ، وقد حملا دعوتين ملتصتين من
زوجتيهما الماهرتين ترجوان فيهما أن أعيش معهما
وكذلك أرسلت لي جين تلفرافاً تسألني فيه أن أذهب
في الحال إلى لندن ، ويظهر أن وجودي قد أصبح
خفيفاً عليها فلن يقلق راحتها في شيء .

وجاءني أيضاً تلفراف من هاري وإلينور يؤكدان
فيه أن الوقت مناسب جداً لعودتي إليهما ، فابتسمت
مرة أخرى ابتسامتي الخفيفة . وقلت في نفسي :
— إنهم جميعاً يفكرون في أنني سأموت بعد
قليل ، ويطلبون إلى الثروة التي سأتركها .

كان هذا شأنهم جميعاً ما عدا « آن » و « كن »
فهما اللذان احتاجا إلىّ عند ما لم أكن إلا جدة .
لم أزد على أن كنت شبيخة ضئيلة الجسم متواضعة
حنونا أحببتهما من كل قلبي .

فالآن سأذهب إليهما ، وستكون الثروة التي
يدرها عليّ منجر الصفيح روثهما بالنفا ما بلغ مقدارها .
لقد كان الله رحيماً كريماً يواسي القلوب الكريمة
بأسلوبه الحكيم ، لقد أفاض تعالى نعمته على عباده
الحائرين صفاراً وشيوخاً ... نعم لقد كان الله كريماً
رحيماً . . .

عبد الحميد حمدي

ما رأيكم في أن نذهب لمقابلة اليابانيين
الوجيه لي — أظن أن هذا هو الحل الوحيد ،
ستفهمهم أننا رجال مثلمهم ، وأنه يجب أن يكون عندهم
شيء من الرحمة (استؤثفت الطرقات بقدة خلف اللوحة
وساد الوجوم في القاعة)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : أيها المؤذن ما !
افتح الباب ودعنا نخرج . إننا لا نستطيع البقاء
مختبئين في هذا المكان . زُيد الخروج . إن الحالة
لا تطاق هنا

المؤذن ما — (مقرباً من اللوحة) إلزموا الهدوء
قليلاً ، تحملوا الظلام بصبر . ألا تعلمون أن اليابانيين
قوم لا رحمة في قلوبهم ؟

من خلف اللوحة (صوت امرأة) : دعنا نخرج .
زُيد أن نحدثك في أمرهم

الوجيه يانج — (متجهاً نحو اللوحة) : منتجان !
بنيقي منتجان ! إن اليابانيين هنا . إنهم في الشوارع
المجاورة . أصنى قليلاً إلى دوى الدافع الرشاشة
والبنادق (تسمع أصوات الدافع) . إبقى في مكانك
ولا تتحرك . إصبري قليلاً في الظلام . فقد ينقذ
حياتك وحياة أخيك وزملائك من الهلاك المحقق
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : سمعنا
كل شيء يا أجه ، لكنني لا أستطيع تحمل الظلام
أكثر من ذلك ... يا أجه ! وا خجله من الشباب
الصينى !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : احترس
من السحاب للقاء اليابانيين أيها المؤذن ما . إنهم
أناس لا رحمة في قلوبهم . إنهم شياطين لا يتخذون
عن العدل ولا يدركون له معنى . فإذا ذهبت فلن
تعود بالفشل تحسب ، بل تعرض حياتك للهلاك
المحقق . ألم يأتك خبز ما ارتكبهه من المذابح في البلاد

تهدما حقيقاً مداهبا لحيته بحركة عصبية . والوجهان وانج ولي
جالسان على قاعدتين في حالة وجوم ، ويقفان بين وقت ووقت
بنظرهما على الإمام وانج . ثم لا يلبث أن يقطع صوت الطر
ويضرب عليه دوي الدافع الرشاشة .

الإمام وانج — (يقف فجأة) اسمعوا . لقد دخل
اليابانيون المدينة

الوجيه يانج — (مرتعداً) آه !
الوجيه لي — (رافعا يديه إلى السماء) اللهم إليك
نسلم أمورنا ، لقد قطعنا سنة لا تسمح لنا بحمل
السلاح ، للدفاع عن المسجد ، وعن حياة الآلاف
من إخواننا . اللهم نسألك موتك (ثم أشرق رأسه
بيناً أخذت أصوات الدافع الرشاشة والبنادق تردد وضوا)
الإمام وانج — (واهوا أمام الجدران ، وقد وضع
يده على جبهته كانه أدرك شيئاً) كلا . إن الله لا يحب

الجبنة وبرغم تقدمنا في السن ، يجب علينا أن نسير
إلى الأمام ونواجه الحوادث ، حتى نتفقد الآلاف من
إخواننا . لنقل لليابانيين إن هذا هو المسجد فيتعين
منحنا امتيازات وحمايتنا . (المؤذن يدخل من الباب
الأيسر بخطى سريعة ناجة وهو يرتدي جلباباً أسود)

المؤذن ما — أصبت يا سيدي الإمام وسأذهب
ملك لمفاوضة هؤلاء اليابانيين ، والإسراع خير من
الانتظار ، لأن مئات من الناس أسلموا لنا أرواحهم
فأروناهم في المسجد فهل يمكن أن نظلوا إلى ما شاء
الله في الظلام . (اقتربت طلائع الرصاص . وسمع من
خلف اللوحة التي خلف باب الخروج طرقات قوية متوالية)
الإمام وانج — (مشيراً إلى اللوحة وعظابها ما)
كيف الحال هناك ؟

المؤذن ما — (أخرج ملطفاً من جيبه) الحالة
حسنة ، والباب مغلق بالفتاح ؛ لكن الظلام جالك
وعدهم كبير

الإمام وانج — (عذابها يانج ولي وهو يتهد)

الإمام وأنج — على أنه لو نزل بنا مكروه لما
أسفنا على ذلك أمام خالقنا وبني ديننا .

المؤذن ما — هذا صحيح يا سيدي الإمام .
سنبدل أقصى جهودنا لمعادتهم، وإن أخفقنا فنسوى
الأمر بهذه (معبراً إلى قبضة يده — الجميع ينسكون
بصوت عال)

من خلف اللوحة (صوت رجل) : علام عولم
هل تواجهون اليابانيين ؟ إنه جنون . ستلاقون
حتفكم جميعاً . دعونا نخرج ، فمن واجب الشباب
أن يذهب لتسوية الحساب مع العدو . (صوت امرأة) :
لا . لا . أوصل إليكم . لا تذهبوا . إذا وعدتم
ببقائكم كففتنا عن المطالبة بالخروج ، وولمنا الهدوء
ولم نضايقكم (صوت تهد)

الوجيه يانج — وهو كذلك . الزموا السكنية
فالشيوخ لن يحاطروا بحياتهم (بصوت خات) ومع
هذا .. من خلف اللوحة (صوت رجل) : لا حرية
بلا قوة .

(صوت امرأة) : إذا لم نمتصم بالقوة ، فلن
يأتينا المدل من السماء .

الوجيه يانج — (بصوت سرخيف) : هل نذهب
لنلقى حقتنا بظلفتنا : كلا .

الإمام وأنج — (بصوت متهدج) : لم يبق لنا
إلا هذه البارقة من الأمل .

الوجيه يانج — إهدأوا يا أولادى سنفتح لكم
من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : حقاً .
ما أسعدنا : إذا سيقون هنا معنا .

الوجيه يانج — نعم يا أولادى
من خلف اللوحة (صوت رجل) : هيا بنا لنخبر
الآخرين يا متحان . إنه لنبا عظيم (وهم أقدام وتهد
وطي حاسى ... للقاسومة . القاسومة ... اقتراب يوم
(٤)

التي فتحوها ؟ ألا تدري أنهم يجهلون المبادئ
الإنسانية ولا يفهمون إلا فلسفة الدم ؟ ... إنهم
وحوش ضاربة يقتربون بنى الإنسان ...

الوجيه يانج — (مقاطعاً) : حسن جداً ، كلنا
نعرف اليابانيين على حقيقتهم . فآزموا السكنية انتظاراً
لقرارنا ...

من خلف اللوحة — (صوت امرأة) : يا أبتاه
قل للمؤذن (ما) إننى لأستطيع الانتظاراً أكثر من
ذلك ، أريد الخروج بل أفضل الموت على البقاء هنا .
إلى اليابانيين بين ديننا . أريد الدفاع عن نفسى
والمهجوم عليهم باسم أمتى ودينى وشرفى . أنت تعلم
أنتى كنت دائماً سريعة التأثر قليلة الصبر ، فهل
يرضيك أن أختق هنا حية ؟ ... أبتاه ... أبتاه ...
دعنى أخرج ... (صوت رجل) : ماذا تنتظر هنا ،
الموت أم الحياة ؟

الوجيه يانج — واحسرتاه ... ولكن ...
(تنبها إلى المؤذن في حرة عصبية) إفضح الباب ودع
أولادى يخرجون . لا مانع لى ما داموا يريدون
التضحية بحياتهم في سبيل الأمة والدين . بل إنه
لشرف عظيم .

الإمام وأنج — (اجذب إليه الوجيه يانج ومس
في أذنه) لا تسرع في الأمر . واعلم أن اليابانيين
لا يرجون الشباب ، فالأفضل أن نذهب نحن ونحذوهم
بهدهو ، لن ينزلوا بنا أى عقاب ، أو كد لك ذلك .
(قال الوجيه يانج سامتوا واكتفى بالإيعاء برأسه ثم جيع الامام)
الوجيه لى — أنظر إلى لحانا الطويلة . إنهم لن
يلحقوا بنا أى أذى ، وسيحترمون بلا شك الرجال
المتقدمين في السن ، أو يتساعون معهم على الأقل .
ومع ذلك فهل يملهمونا أحياء ولا يكوننا لحماً وعظماً ؟

الوجيه لى — هيا . إذهبوا ... إذهبوا ...
(تبدو على شفاهه ابتسامة مربة وحركة تدل على محاولة إخفاء الألم) هيا ... إذهبوا ... إن الذين أحبوكم راقدون فى ركن الشارع الغربى . ألقوا إلى هنا هؤلاء الشيوخ الأجلاء (يمشى بينه) اللهم اشملهم ببركتك واجعل جنة النعيم مأواهم !
الرجل أ — باسم الله وباسم الدم الذى ورثناه عن أجدادنا ، لن نخاف شيئاً وسنكافح إلى النهاية .
هيا بنا . هيا بنا ...

الجموع — هيا بنا . هيا بنا (اختفت الجموع من المسرح ، وقد حاول منجان يانج أن تنهض لتلتحق بهم ، ولكن الوجه لى منها)
الوجيه لى — لا . لا . لائق مى ، إننى فى حاجة إليك . لائق مى قليلاً !

منجان يانج — أمرك يا عماء (تنظر لى إلى الذى كان يبدو عليه ما يدل على رغبته فى الكلام ، بيد أنه صمت)
إنشايانج يانج — ننقلهم إلى هنا (عظامها لى)
إذن فأتى والآخرون جرجوا أيضاً وحالتهم خطيرة جداً ، ولا يستطيعون السير على أقدامهم (منجان يانج تحقق فى أخوها)

الوجيه لى — لا .. نعم .. إنهم .. (تدع عيناه)
منجان يانج — عماء . إنهم ...

الوجيه لى — (مضطرباً) ستملئون ذلك فبإيدى (ممسكا بيد الإنشايانج يانج) يا ولده لم نشأ الاستماع إلى نصيحتك ، فكانت النتيجة أن الإيمان وانج والمؤذن ما والدك كلهم ...

إنشايانج يانج — (يحلف فى لى يهودى تام وقد امتنع وجهه ...)
منجان يانج — (مضطربة) ماذا ؟ كلهم يا عماء ؟ ماذا حدث لهم ؟

الوجيه لى — أصنى يا بنيتى . لقد اعتقدنا أن إخفاءكم فى ركن مظلم من المسجد ليس بالوسيلة

— (صوت امرأة مضطرب) : (إنى خائفة يا أختى .. خائفة جداً)

الوجيه لى — إنهم ... إنهم ... آه ! آه ! ما أشد آلامى !

من خلف اللوحة — (صوت رجل) : سنأتى إليك فى الحال يا عم لى ... إننا على استعداد ... (ركلات أقدام قوية على الباب الذى تخفيه اللوحة ، حتى كادت تسقط من شدتها)
الوجيه لى — تماكوكوا قليلاً .. لا يوجد شيء هنا

(لكن ركلات الأقدام على الباب تشتت فيصبح صوت الشيخ غير مسموع) لا . لا شيء ... إن الذين يريدون السلام راقدون الآن فى سلام ... لا يخرجوا (يزحف على الأرض متسائلاً آلامه للبرحة) أنا ... لم أصب بشيء ... لكننى أخشى عليكم (وأخيراً تسقط اللوحة من شدة الضربات وتخرج جموع من الرجال والنساء كالميل الجارف بعد كسر الباب . وقد بدا على وجوههم الملول والفرع وأثر السجن الطويل . وتظهر قاعة فى المقدمة . ثم تملكهم الدهشة عند ما يرون الوجه لى غارقاً فى دماحه)

منجان يانج — (عترب بسرعة) عمى (لى)
إنشايانج يانج — (يبيت مع أخته) الدم يسيل من جبهته (يبحث فى موضع آخر) لا ... لا شيء فى موضع آخر (يمزق قبضه وسطبه أخته) خذنى ضمدى الجرح هنا

منجان يانج — (تضمد جرح لى) إنه لفجر عظيم أن تسقط جرحي يا عماء ... والآخرين ؟ (ترتد) وأبى ...

إنشايانج يانج — (يرنح لى ويسنده إلى صدره) عماء الوجه لى — (عيناه مضطربتان . يفتحهما قليلاً وينظر إلى الشبان) أما أنتم ... أما أنتم ... فأخرجوا من هنا (مشيراً إلى الباب الأيمن)

الرجل أ — نعم (يضم قبضة يده بشدة) سنخرج لنهزم أولئك اليابانيين الشياطين

مبلا بالأماء بهم، وفي بادى الأمر كنا ممّا حاولنا النهوض، ولكن جهودنا ذهبت سدى. كان بعضنا يصرخ من شدة الألم، وبعضنا يئن ويذكر اسم الله... وبعد دقائق قليلة سكتوا... وأصبحوا لا يتحركون. ثم سمعت ديب أحذية حديدية صرت بجوارنا تتخللها ضحكات سخرية. حاولت أن أقف فاستطعت، وبعد جهد جهيد اقتربت من زملائي ومسست أجسامهم فوجدتها باردة كالثلج. ثم.. لقد رقدوا في سلام..

انشياخ ياخ — حسن! سرود إلى أعدائنا تلك الطلقات النارية، سننتقم، سننتقم (ضحك مرهم)، الوجهه لى — (خطابا متجان ياخ، إلى متالم لمصابك، ويكاد قلبي يتفتق من شدة الأسف. لكن صبرا جيلا. فقد كان أبوك وزميله رجلا صالحين في هذه الحياة الدنيا. واستشهدوا في سبيل أمهم. وهم الآن في جنات الخلد حيث ينعمون بالجزاء الحق ورضا العلى العظيم. (يسود التكون المسرح ويتخلله احتجاب متجان ياخ. تتبدد أصوات الطلقات النارية ويختل رجال يحملون ثلاث جثث مفرجة بالدماء، وتحمل متجان ياخ وتبكي) إنشياخ ياخ — (يرك الوجهه لى ونهش): أبتاه. يا أباه الإمام. يا أباه المؤذن أقسم بالله أننى سأخذ بثأركم (يحاول الخروج فيسك بيايه الوجهه لى) كلا. يجب أن أذهب (يمسح الوجهه لى مرة أخرى) سأواجه الموت للانتقام. من أولئك اليابانيين اللوميين. إن وجهي يحمر خجلا أمام بنى وطنى. على أن الوقت مازال متسما للانتقام (بكاه)

الوجهه لى — (يكفك عبراته) هيا انقلوا جثث المتوفين إلى غرفة الأموات (رجال يحملون الجثث ويخرجون من باب آخر. خطابا انشياخ ياخ) ساعدنى على النهوض، لأننى أريد الاضططاج على سرير لأستريح (انشياخ ياخ يساعده على النهوض... خطابا

المثل لإيقاظ حياتكم. وكنا نعلم حق العلم أيضا أن لا جدوى من التحدث في العدل والإنصاف مع اليابانيين. ومع هذا فلم نتردد في الانتجاع إلى محاولة أخيرة، عسى أن نجد في قلوب أولئك القوم شيئا من الشفقة والرحمة. نعم إننا أدركنا ما في نصائحكم من سداد الرأي، لكننا ظننا أن اليابانيين سيحترمون سننا المتقدمة ولحانا الطويلة... وأنهم... أنهم... فهل هناك من يتصور أن الشيوخ الكبار لا يمكن أن يتنجوا من برائن هذه الدواب الصاروخية؟ نعم. وأسفاه. هذه هى الحقيقة المؤلمة. لقد ذهبنا برغم ذلك. كانت الطرقات مقفرة كأنها قبور موحشة، أو ميدان الرعى غداة الوقعة. خرجنا إلى الشارع. سمعنا أزيز... زرز... (وأشار إلى الجهة الغربية بصوت خفقه العبات... على حين تبدو متجان ياخ في أشد حالات الاضطراب) وأصابنا وصاصة... أصابت... أصابت... أبلك...

متجان ياخ — لكنه لم يمض.. أليس كذلك؟ الوجهه لى — مات... وأسفاه. متجان ياخ — آه.. آواه.. واحمرته عليك يا أبى (بكاه) وأبناه تقسم بالله العلى العظيم أننا سننتقم لك! (يسمر الوجهه لى فى الأبين من شدة الألم... وتكف متجان ياخ عن البكاء شيئا فشيئا) انشياخ ياخ — سنذكر إلى الأبد عدونا اللدود يا شقيقى. أنسمعين ما أقول؟ متجان ياخ — (تساقط البكاء)

انشياخ ياخ — خبرنا يا عمى (خطابا الوجهه لى) ماذا حدث للإمام وأخى والمؤذن ما؟ هل قتلوا أيضا بأيدى أولئك الشياطين. (متجان ياخ مطرقة الرأس تستمع باهتمام)

الوجهه لى — لقد أصيبوا جميعا لسوء الحظ. أصيبوا بطلقات الرصاص وقتلوا لساعتهم وجرحوا أيضا ثم سقطت إلى جانبهم. لم أعرف هل كنت

ضحكا هاليا... تتعهر متجان يانج قليلا نحو الباب الأيسر
ها... هاها... لا تهري منا يا أنسة (تحضر المرأة
الأخرى مضطدة فيجلس عليها الجنود اليابانيون ويغذفون
بمساتهم على متجان يانج. قتهرب من الباب الأيسر وتهر
المرأة الأخرى من الباب الأيمن ويركش الجنود للاعتصام.
تسمع من خلف الأبواب أصوات : أمسكوا بهم... أمسكوا
بهم. وبعد لحظات يظهر الجنود الستة مرفعة أيديهم وأرجلهم
ويسبقهم على المسرح إلتشيانج يانج ومتجان يانج وفي يد كل
منهما بندقية يابانية

أنشيانج يانج : (يسمى في جيوب الجنود ويترع
منها المدسات وأكياس الرصاص. ثم يمر على حلي ثينة
وغيرها من الثفاس التي تزين بها السيدات) لا تخافوا،
سندد إليكم هذا الرصاص في الحال (ضحك سرية)
الرجل أ — لنذهب بهم داخل الحجرة لبروا
الذين اغتالوهم وليؤدوا عن ما جئت بدم

انشيانج يانج — سنفضي على جميع الذين يأتون
إلى هنا باحثين عن الهلاك!

الجوع — لن يخرجوا من هذا المأزق (يغذفون
بالجنود نحو الباب الأيسر. ثم تسمع ست طلقات نارية...
وتنود الطرقات على الباب الأيمن. تفتح المرأة نفسها ويظهر
على المسرح ستة جنود يابانيون آخرون. تستدرجهم متجان
يانج إلى الباب الأيسر، وتخرج بهم موفتي الدين والقديسين.
ثم يغذف الجنود الستة إلى الباب الأيمن خلف المسرح...
وأخيرا يعود الجميع وقد حل كل منهم بندقية يابانية)

انشيانج يانج — الآن وقد أصبح لكل منا
بندقية يابانية سندد لهم رصاصهم (ثم يصطف الرجال ثلاثة
ثلاثة يخرجون من المسرح وهم يغذفون التشيد الآن :)
هل تسمعون دوى مدافع الأعداء التي تخرب
حقولنا ومنازلنا؟

هل تسمعون أزيز الطائرات التي تلتقي بقنايلها
تضرق مدتنا الأهلة؟

فلتهض ! فلتهض !

سنكافح الى آخر قطرة من دماء لحياة وطننا.

المزج ١

ستار

متجان يانج : ضى القفل في الباب (الوحيه لى يسير
بطء متكا على كفت انشيانج يانج. وتضع متجان القفل
في الباب).

متجان يانج — (واقفة بجوار الباب تنظر إلى الم
المنخفضة به الأرض) : اللهم... اللهم... هذا دم أبى...
هذا دم بى وطلى... لقد سقطت مدينة تسنينج
في يد الأعداء. لقد هزمت جيوشنا القوية... هذا
هو اليوم الأول الذى أصبحنا فيه بلا أهل ولا أب.
اغتيال الإمام وزملائه. أين بى وطلى؟ هل هربوا
أم قتلهم العدو؟... هذا هو اليوم الذى دخل فيه
اليابانيون بلادنا. ترون ماذا سيحدث بعد هذا؟
إلى أى مصير نحن مسوقون؟ هل سنعيش إلى الأبد
عبداً أذلاء؟ اللهم ارحم عبادك. لقد سئمت الحياة،
ولا أقبل التل (ينفض صوته... ثم يرتفع فجأة) :
كلا. أريد أن أتمتع... أريد أن أتمتع... أريد أن
أثار لأبى ولبنى وطلى. نعم. نعم. لقد قررت هذا
(تخفى من الباب الأيسر... ثم يسمع ديب أحذية حديدية
من الباب الأيمن يخطله ضحك عالية)
متجان يانج — (في يدها سكين مطبخ) الاعتقام
الاعتقام (تهدم من الباب الأيمن تقسع طرفات وضكات
وصراخ من الأعداء) آه (دمعت ثم وقت وفكرت
وفكرت ولهمت كل شيء... عادت أذراجها واصطبغت
سما امرأة أخرى.. طرفات قبضة اليد أولا، ويلها
طرفات غرمة النادق)
متجان يانج — من الطارق؟

من خلف الباب — هاها هاها (ضحكات مالة)
إفتحوا يا أنسات. إفتحوا لنا الباب، نحن عشاقكن
متجان يانج — (تضحك ضحكة غارة) : هيه.
(ثم تمجى إلى الباب، وتدفق بشر كلمات بصوت منخفض
ثم تخرج وتسير إلى المرأة الأخرى بفتح الباب) : إفتحى
الباب.

المرأة — (تفتح الباب يظهر على المسرح ستة جنود
يابانيون سكارى) : آه... (ثم تتعهر عدة خطوات)
الجنود اليابانيون — (يرون متجان يانج فيضحكون

من أحسن القصص

الحب أقوى من الموت

للكاتب الروسي ديمتري ميخكوفسكي
بِسْمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ

وما من أحد يستطيع أن يتبادل
التكات الرحة ويقي الملح الطريفة
على السالبة ، أو الجيران ،
أو المشترين في حلق ومهارة كما
كان يفعل ألقى القصاب ،
وما من أحد كان يقدر أن
يتحدث بمثل تلك الولاة والإلام
عن الأحداث السياسية للشعب
الفارنسي أو عن تاريخ سلاطين
آل عثمان أو عن مؤتمرات ملوك
الفرنسيين

وما كان يسوء مزاح القصاب
وهزله من الناس إلا قليلاً؛ وكان
يطبق عليهم المثل « إن المزاح
لا يسوء الجار الطيب، وإن اللسان
لحاد مرهف في المزاح كالوسى »
وكان أخوه ماتيو — تاجر
الصوف — على «خلق مختلف :
كان حاد القهن في دهاء ومكر ،
سياسي الطباع، صمواعبوساً، وقد
اطردنجاح أعماله أكثر من جيوفا في
العمل المذار، وكان له مراكبان
يتفادان — كل سنة — ميناء
« ليفرونو » محملين بالصوف إلى
نفر القسطنطينية. كان واثقاً بطلوحاً
سلك في سبيل إعاء ثروته سلوك

نصريف بالقصة

كان ديمتري . س . ميخكوفسكي
أحد كتابه الروس المبدعين الذين
كتبوا فيا وراء بلادهم ، وربما
فعل هذا لأنه كان أقل مصيبة من
زملائه الروسين . ولما رأى أن أدب
بلاده آيل إلى الانحطاط والتفكك ،
لقت نظر الكتاب إلى الرتبة
الفرنسية كوسيلة لانتاش الأدب
وإحيائه ، ولعل لهم إلى الأسلوب
الحزن الكتيب الذي يصورون به
آراءهم وأحاسيسهم نحو حياة هذا
الوقت ، وقد أحس سحر الخلفات
القديمة ، ولقة ما في القصص التاريخية.
من تفاصيل غريبة وتصورات دقيقة
تناسب عبقريته وثبوته ، وما هو ذا
يقدم لنا في قوة وبراعة « الحب أقوى
من الموت » ، وصرح هذه القصة
إلى الأصل الإيطالي قصة جنيرفا كما
ظهرت في : « The Novellæ Do-
menico Manni » من آثار القرن
الثامن عشر الفلورنسي . وقد حمد
ميخكوفسكي إلى كتابة القصة من
جديد مستمداً على أسلوبه الخاص
الترجم

كانت أسرة « ألمرى »
السالفة — من أهالي فلورنسا —
في قديم الزمن تتجر في نوعين
من التجارة مختلفين ، فقد راح
البعض منهم بقدس « سانت
أنتوني » حاي القصابين ، على حين
اتخذ الآخرون شعاراً رسم عليه
صورة تحمل إذ كانوا يتجرون
في الصوف

وقد اختلف الاخوان جيوفا في
وماتيو ألمرى — كأسلافهم الأولين —
هاتين التجارتين ، فامتن جيوفا في
تجارة اللحوم في مكان السوق
القديم The Marcato Vecchio
واتخذ ماتيو مصنفاً لغزل الصوف
في « آرنو » ، وكان الناس
يتقاطرون على محل جزارة
جيوفا في ، لأنهم يجدون لديه

السيول إلى منصب في الدولة كبير ، وقد انخرط
في سلك الطبقات الراقية والمجامع الأرستقراطية
أو « الناس السمان » كما كان يطلق عليهم آنذا

أحسن اللحوم من خنزير طازج ومجل طرى وأوز
سمين غضب، ولكن لأنهم — إلى هذا — يجدون صاحب
التجر لمباعه الرحة البهيجة ولسانه الحلو الموصول

وكان الراتب الذى أفرد له لأرملة أخيه كل شهر
جد ضئيل ؛ حتى أنها فاست أسباب الحرمان والفاقة
لا سيما وهي ليست وحيدة ، إذ كان لها ابنة صغيرة
عزيزة محبوبة اسمها جنيترا . وما كان أحد من طلاب
الزواج فى ذلك الوقت يقبل على المندارى اللواتى
بدون صداق ، كما هو الحال الآن . بيد أن
اليأس لم يتسرب إلى قلب مونا أرسولا المؤمنة الورعة
إذ أخذت تصلى بجماعة وإخلاص لكل قدسى الله
ورسله خصوصاً « سانت أنتوني » حامى القساكين
فى الدنيا والآخرة . كان أملها قوياً فى أن الله
- نصير الأارامل واليتامى - حتماً سيرسل إلى ابنتها
التي لا تملك بائنة ، زوجاً صالحاً ربياً

وكان ثمة سبب آخر يشعرها يقرب تحقيق ذلك
الأمل ، هو جمال جنيترا وسحرها . حتى أنه
لما يصعب تصديقه أن جيوفانى البدن الهذاز ينبج
تلك الابنة الطرية الفتيانة . وكانت جنيترا دائماً
ترتدى ثوباً أسود فضفاضاً وتضع حول عنقها الطويل
الجميل قلادة من اللؤلؤ تتوسطها ياقوتة أثرية صفراء ،
وتربط رأسها بمصاصة من اللوسلين تصل حتى منتصف
جبينها شفاقة حتى أن المرء ليرى خلخالها خصلات
شعرها الذهبي الباهت ؛ وكان وجه جنيترا هو وجه
المفرداء التي صورتها ريشة الرسام قبلي لي ، المفرداء
الطاهرة التي تبنت للقديس برنارد في الصحراء ،
وبأصابع كالشمع قلبت صفحات كتابه ...

كانت شفتاها اللتان كشتفى الطفل ، ونظراتها
المادئة الحزينة وحاجباها الخفيفان الباليان ، كان
كل أولئك يحمل أقصى معاني البراءة والظهر .
ومع أنها كانت ندية كالزهرة شابة كالربيع إلا أن
منظرها كان يدل على ضعفها وقصر عمرها كما لو كانت
لم تخلق للحياة

فى فلورنسا . وقد أمل أن يسمو بأسرة ألمرى إلى
أعلى مرتبة اجتماعية . بل ربما يرى اسمه محققاً على
أجنحة شهرة خالدة وصيت باق ، ومضى ينصح لأخيه
أن يهجر مهنة الجزارة لأنها مهنة ليست راقية وأن
يضم أمواله إلى رأس مال ماتيو ، بيد أن جيوفانى
أبى أن يأخذ بنصيحته إذ كان يخشى أخاه بقدر
ما يحب بمقدوره ، وراح يقول لنفسه دون تصريح
« لسان معسول وقلب خؤون »

وفى يوم قانظ عاد جيوفانى إلى مثواه من دكانه
تعباً مكثوفاً ، ومن ثم أزع بطنه بشاء ثقيل كعادته
وجرح كما كبيراً من خمر متلوجة ؛ فأصابته غثاء
سكتة قلبية ، إذ كان بدن الجسم فى إفراط ، غليظ
المنق فى قصر . قضى نحيبه ليلاً دون أن يجد الفرصة
لإشهاد أحد أو كتابة وصية . فسلمت مونا أرسولا
أرملته - وهي امرأة طيبة القلب فى سذاجة وبلاهة -
مقاليدها تجارة زوجها إلى أخيه ماتيو الذى عرف
كيف يخذلها بدهائه وكلامه الممسولة ؛ إذ استطاع
أن يقنع المرأة الساذجة أن زوجها قد ترك « دقار
حساباته » مضطربة نتيجة إهماله وتقصيره وأنه مات
وهو على شفا الإفلاس وأنها إذا أرادت أن تنقذ
البقية الباقية فعليها أن تنلق دكان اللحوم فى السوق
القديم . وقد تناقلت أفوايل السوء أن ماتيو الداهية
قد خدع الأرملة دون رحمة ليدير رأس مال جيوفانى
مصانع الصوف تحقيقاً لرغبته القديمة . على كلر ،
شئ واحد كان واضحاً جلياً ، هو أن أعمال ماتيو
قد تقدمت تقدماً كبيراً منذ ذلك الحين ، وبدلاً من
مركبين اثنين مضى الآن يرسل إلى القسطنطينية
خمس أو ستة مشحونة بأنواع الصوف الثوسكاني.
ومرعان ما أنضى صاحب أكبر مصنع للصوف
فى فلورنسا

لفلسفة أرسطو ومحاورات أفلاطون . على الجملة لم يكن يأمل تاجر الصوف (وهو الداهية الطموح) في شخص ينتسب إليه أكثر نفعا وأسمى مركزاً من هذا . وقد تمهد مانيو أن يهب ابنة أخيه بائلة كبيرة على شرط أن يرتبط اسم أجولاني باسم ألى

وقد صادف ذلك طبعاً هوى في فؤاد فرنسكو ؛ غير أن جنيرفا مضت تمهل عمها وتؤجل موعد الزفاف من سنة لسنة ، وحيناً سألها عمها حزم أمرها أعلنته بأن ثمة رجلاً آخر تحبه أكثر من أجولاني . وبالرغم من خوف مونا أرسولا ودهشتها ، قد صرحت باسم أتونيو رونديلي للثال الشاب الذى يقوم مصنعه في أحد الشوارع الضيقة في « بونت فيكيو » وقد تعرف أتونيو بجنيرفا في بيت أمها منذ أشهر قلائل . فقد استأذن أن يصنع ثعلاً من الشمع لرأس الفتاة الصغيرة ابتداء بث جمال جنيرفا في صورة بارزة للشهيدة القنسة باربارة أوصاه بها راهب تروى يشوى في إحدى ضواحي المدينة . ولم تشأ مونا أرسولا أن ترفض للثال الشاب طلباً كهذا لوجه الدين . وإبان العمل ونُقِ الثال في حب نموذجة الجميلة ، ثم تلاقياً في المحافل الشعبية والمجتمعات الشتوية حيث كثيراً ما كانت تدمى جنيرفا بحرارة وإلحاح ، إذ كان جمالها من أقوى أسباب التحريم بها في كل حفل أو وليمة

ولما أن جهرت مونا أرسولا - نزع إبداء أسفها واعتذارها - إلى مانيو بأن جنيرفا لها خطيب آخر تحبه ، وحيناً ذكرت اسم أتونيو رونديلي ، تمالك نفسه وكبح جماح غضبه المتضرم وسدد إلى مونا أرسولا نظرات وادعة وقال في لين وهدهو :

— لو لم أسمع ياسيدتى ما قتله الآن بأذنى

وعند ما كانت ابنة القصاب . تتخذ سبيلها إلى الكنيسة في هدوء واحتشام بأعين مسبلة وبكتاب الصلوات في يديها كان الشبان السرعون إلى وليمة أو رحلة صيد يوقفون خيلهم ويملو وجوههم تواراً أمارات الاهتمام ، ويحتفى هزلهم ونحكاتهم ويعضون بقبمونات جنيرفا الجميلة أبصارهم

وعند ما سمع الم مانيو كلمات المدح والإطراء تنصب انصباباً حول أخلاق ابنة أخيه الفاضلة ، حزم أمره على أن يزوجهما من فرنسكو ديلاً جولاني أحد سكرتيرى الجمهورية وكان رجلاً شينخاً ، ولكنه كان محترماً من الجميع يرتبط بصلات وطيدة مع عطاء المدينة البرزين في ذلك الحين ، وكان فرنسكو أحد تلاميذ المدرسة اللاتينية السكار ، وقد دأب على أن يكتب تقاريره ومضبوطاته بالأسلوب الفلسفى الذى كان للقي وسأوتست ، وكان بطبعه عيوساً متجهماً ؛ بيد أنه كان أميناً (كرومانى قديم) لا يحمل سلوكه منفذاً للوم والتعنيف ، وكان وجهه كوجه أحد أعضاء « السناتو » أيام الجمهورية ، وقد عرف كيف يرتدى عباءة موظفى فلورنسا الطويلة الحمراء القاعة كأنها « روب » روماني حقيقى « Areal Roman Toga » وكان يحب اللغات القديمة حباً جماً حتى أنه حيناً كانت اللغة الإغريقية شائعة في توسكانيا وحيناً جاء المعلم البيزنطى « عمانوئيل كرزو لوراس » من القسطنطينية يحاضر في قواعد اللغة الإغريقية في الاستديو (اسم الجامعة آنذاك) لم يستنكف أجولاني بالرغم من سنه المتوسطة ومركزه كسكرتير في الجمهورية الفلورنسية أن يجلس جنباً إلى جنب مع الصبية الصغار على المقاعد المدرسية ، وقد أيقن اللغة الإغريقية حتى استطاع أن يقرأ النسخ الأصلية

عنها . يقدسها أكثر مما يبارك صور القديسين ،
والرسل الخالدة .. وقد حدثني بعضهم أنه ،
وتلاميذه يشرّحون الجثث التي يتناغمها من حراس
المستشفى بأهبط الأثمان ليدرس عليها خفايا الجسد
البشرى من أعصاب وعضلات ادماء التثبت من فنه
والتضلع فيه ؛ ولكنه في الحقيقة يفعل كل هذا
إرضاء لمساعدته وناحه ، عدو لمصلنا القديم ، الشيطان
الذى يوصى إليه بالشموذة السوداء . لقد أقوى ذلك
النضال بنتك الطاهرة واجتذب قلبها برقة الرافعة ،
وسحره الجهنمي وأساليبه الشيطانية »

يمثل هذا الحديث مضى ماتيو يخيف مونا أرسولا
ليحملها على الاعتقاد أنه على حق . ولما أن أنبات
ابنتها أنها في حالة رفضها الاقتراح بفرانسكو
ديلا جولاني سيكف عمها حيا عن إعطائهما راتبهما
الشهرى . أزع الحزن واليأس قلب الفتاة ؛ بيد أنها
رضخت لحظها وجمعت أسرها على إطاعة عمها

وفي أثناء تلك السنة انقضت على فلورنسا رزية
فادحة ، مصيبة تنبأ بها النجومون من قبل ، لأن
كوكب المريخ دأمته كوكبا زحل والمغرب دوا
كبيراً . كان عدد كبير من تجار الشرق قد أقبلوا
يحملون بين طيات أقمشتهم الهندية ميكروبات الطاعون
وتقدمت الموابك الزهية في الطرقات يردون
المزامير حاملين صور جميع القديسين ، وسُنّت
القوانين تحرم تغريغ القمامات في المدينة وحرم على
المدابع والمناجيم تصريف فضلاتها في « آرنو »

و ضرب نطق حول الرضى خشية اختلاطهم بالأسماء
وخوفاً من التعرض لمقاب الغرامة أو السجن بل
الموت أحياناً ، حرص الناس ألا يتركوا في بيوتهم
أولئك الذين ماتوا أثناء الليل إلى شروق الشمس
(٥)

لما كنت أصدق أبداً أن امرأة حكيمة فاضلة مثلك
تعتبر شاباً أرعن قليل الاختبار مثل هذا أدنى اهتمام .
لست أدري كيف يحدث مثل ذلك في هذه الأيام ؛
ولكن في عصرنا لم يكن للبنت أى رأى وليس لها
أن تلفظ أى كلمة في اختيار زوجها . في كل شيء
كن يطمئن آباءهم ، وأولياء أمورهم . تبصرى قليلاً
في الأمر . من هذا الأتونيو التي شرفته ابنة أخى
باختيارها ؟ . أيمكن أن تكونى غيرة أن المثاليين
والشعراء والمثليين والطربين الجوايين إنهم إلا أناس
لا يمكنون ما يفعلون غير هذا ، ولا يصلحون ألبنة
لأعمال مثمرة مفيدة ؟ . إنهم أخف الناس عقولاً ،
وأكثرهم وهماً وخيالاً في هذه الدنيا الواسعة . إنهم
سكبرون وبهميون ، كسالى ملحدون ، مترفون
مبذرون لأموالهم وأموال غيرهم . أما عن أتونيو ،
فلا إخالك لم تسمى بكل ما تعرفه فلورنسا عنه .
وسأذكر لك ببساطة إحدى ميزاته . تلك السلة
الملفة بحبل في دكانه ، في تلك السلة يضع أتونيو
كل انزال القذى ينزع دون حصد ولا عد . وكل من
يرغب ، سواء أكان تلميذاً له أم أحداً من معارفه ،
في استطاعته أن يأتي ويترنل السلة دون أن يعلم صاحبها
أو يستأذنه ، ويأخذ ما يشاء من المال ، نحاس أو فضة
أو ذهب . فهل تحسبن ياسيدتى أنى أضاع مالى
- البائسة التي وعدت ابنتك - في يد مثل ذلك المتهو ؟
« وليس هذا كل ما في الأمر . ألا تملين
أن أتونيو ينطوى على الحاد خفي وإباحية مستبدة
غرسها الشيطان في قلبه ، فجعله لا يذهب إلى الكنيسة
ويسخر بالسر المقدس ولا يمتدق في الله . لقد أنبأتى
بعض الأخيار أنه يبد تلك التماثيل والأوتان الرخامية
التي تمثل الآلهة والأرباب ، والتي يئسدى يكشف

وقد حدث بمض الاضطراب في أخريات الحفل حينما حل النمش من الكندراتية إلى الرمس لتوديعها بالقبلة الأخيرة . إذ شق رجل شاحب الوجه في عبادة حريرية طريقه إلى الفتاة السجدة ، ورفق عن وجهها غطاءه ، وبدأ يمدح فيها بنظرات ناجية . فطلب إليه أن يتنحى ويبتعد ، وأخبر أنه عار عليه — وهو غريب — أن يدنو من جنيرفا ، ولما يتركها أهلها بعد . فلما سمع الرجل الممتنع أنه وُصف بالنزيب ، وأن ماتييو وفرنسكو قد نمتا بالأهل ، ابتسم في صرارة وقيل الفتاة الميتة في ثمرها وأعاد الغطاء على وجهها ، ثم ابتعد عن الجمع دون أن ينبس . فدار الهمس بين المحشدين ، وأشاروا إليه مرهدين اسم اتونيو دي روندنيلي ، الرجل الذي أجبته جنيرفا ، والذي مات في سبيل جبه .

واختفت بقايا الشغب وانتهت الجنازة ، وبدأ الجمع في الانصراف . فرغبت مونيأرسولا في قضاء الليل بجانب النمش ، فعارضها المم ماتييو . إذ أنها بلغت من الحزن مبلغا كان يفتشى على حياتها من قسوته . فقط بقي الأخ ماريانو — وهو راهب دومنيكاني — بجوار القبر ليقرا الصلوات على الميت وتقتضت بضغ ساعات . وفي هدوء الليل الشامل لم يكن يُسمع سوى صوت الراهب ودقات الساعة من أعلى برج « جيوتو » من حين لحين . وأحس الأخ ماريانو بعد منتصف الليل بظلم شديد . فسحب زجاجة من الخمر في عنف وأمال رأسه إلى الوراء ، وتناول بضغ جرعات قليلة بسرور ولذة . ثم خيل إليه أنه سمع زفرة ، فأرهدف السمع فبلغت سمعيه زفرة أخرى . وفي تلك المرة بدا له كأن غطاء وجه الفتاة قد اهتز وارتمش . فتملكه رعب شديد بعث

إلا صريتها المجوز التي يرميها الجميع بالجهل والثناء . فتوسلت إليهم في بكاء مؤلم ألا يدفنوا جنيرفا مؤكدة أن الطيب يغطي . فإن جنيرفا لم تحت ، بل أنها في نوم عميق . وأقسمت أنها حينما وضعت يدها على قلب عزيزتها (أحست أن القلب يخفق في ضعف ، في ضعف ، بل أضعف من رفيف جناح فراشة)

وتصرم اليوم ولم تُبد جنيرفا أى دليل على حياتها فطويت في أكفائها ووضعت في نعشها ، ثم حلت إلى الكندراتية . وكان القبر الجانف الخشن مرصوفة أرضه بالأجر التوسكاني ، جانما بين بابي الكنيسة في إحدى ساحات الجبانة تحت ظل أشجار السرو الشماء العالية ، بين قبور أشراف فلورنسا وأعيانها . وقد دفع ماتييو في ذلك القبر عنّا بهظا . ولكن المال أخذ من البائنة التي كانت ستدفعها جنيرفا . وكانت عملية الدفن يحف بها المهابة والوقار . إذ أضيئت الشموع وأعطى كل فقير — قد كرى جنيرفا — كيلا من زيت الزيتون مقابل نصف « صولودو »^(١) . وبالرغم من برودة الجو وهول الطاعون كان في الجنازة جمع غفير . ولم يستطع البعض — حتى الثرياء منهم — حبس دموعهم حينما سمعوا قصة موت العروس الصغيرة ، وراحوا يتمتمون بحملة بترارك الحلوة

« يبدو الموت جميلا على وجهها الجميل » .

وقد أتى فرنسكو على قبرها رثاء مقتبسا ليس من اللاتينية فحسب ، بل من الإغريقية لأنفلاطون وهو ميسر^٢ ، وقد كان ذلك حدثا جديدا في هذه الأيام ، أخذ بالباب جميع المنصتين إليه حتى أولئك الذين لا يفهمون الإغريقية .

(١) « الصولودو » عملة إيطالية

الجبانة . ثم إلى الساحة أمام البكتدائية . وكانت أشعة القمر تنساب من بين السحب السريمة التي كانت الرياح تمزقها ثم عمق ، وبدأ برج « جيونو » الرخاى في ضوء القمر منتصباً في صلابه وشم . وكانت أفكار جنيرفا مرتبة مضطربة ورأسها يتأيل ويترنح وقد خيل إليها أنها والبرج سيحملان إلى السحب المنمورة بضوء القمر . لم تدرك تماماً إذا ما كانت حية أو ميتة ، إذا ما كان هذا حلماً أم يقظة .

وسارت على غير هدئى في شوارع مقفرة ساكنة . واسترعى بصرها بيت تعرفه ، فتوقفت ثم سارت إليه وطرقت الباب ، كان بيت عمها ماتييو وبالرغم من هذه "ساعة المتأخرة" ، لم يكن تاجر الصوف قد آوى إلى فراشه . كان في انتظار رسول من القسطنطينية إثر إخطار أنه . وقد كانت بضعة إشاعات قد بلغت العلم ماتييو تدور حول غرق سفن كثيرة على مقربة من ساحل « ليفورنو » وخشى أن تكون سفيناته ضمنها ، وأحس وهو في انتظار رسوله بالجويع . فأمر خادمه « نينسيا » . - وهي فتاة جميلة ذات شعر أحمر وثنايا بيض سواحر - أن تجهز له ديكاً محمراً . وكان العلم ماتييو غريباً عجوزاً وفي تلك الليلة كان يجلس في الطبخ بجوار النيران حيث كان البرد شديداً في بقية الحجرات . وكانت نينسيا تجهز الديك بوجه مورد وذراعين بشترين : وكان لهيب النار ينعكس على الخزف البراق والأباريق المنسولة والصحون التي استوت على الرفوف . وقال ماتييو وهو يهرف السمع :

— نينسيا . أما سمعت شيئاً ؟

— إنها الرياح . سوف لا أذهب . لقد أرسلتني إلى الخارج ثلاث خرات .

في هيكله الرجفة . ولما كان قليل الإختبار في مثل تلك الأمور ، ويسلم جيداً أنه حتى من خبروا هذه الحالات تطفئ على أذهانهم خيالات وأوهام ، حين ينفردون بمجة أثناء الليل . فقد عوّل على ألا يبقى بالآ إلى الأمر ، ورسم علامة الصليب ثم مضى يردد الصلاة بصوت جهورى طنان .

وانقطع صوت الراهب فجأة ، وتصلب مكانه ، وثبتت عيناه الملاحظتان على وجه الفتاة الميتة ، لم تكن هذه المرة زفرة ، بل أئين أتى من بين شفتيه . ولم يبق لدى الأخ ماريانو أدنى شك بعد ذلك ، إذ رأى صدر الفتاة يعلو ويهبط ببطء ، فبرز النطاء الشفاف الذى على وجهها ، كانت تنفس ، فرسم علامة الصليب وهو يرتد من الرأس إلى القدم . ثم اندفع نحو الباب ، وقفز فصار خارج القبر . ولما استعاد نفسه بفعل الهواء البارد حمل ما حدث على الوم والتخيل وعاد إلى الباب مستعيزاً بالمذراء ، ونظر إلى جوف المقبرة ؟ فأنفجرت من بين شفتيه صرخة مفزعة . كانت الفتاة الميتة قد استوت جالسة في نمشها بعينين مفتوحتين ، فأسرع الأخ ماريانو يملو عبر الجبانة دون أن يلتفت خلفه . ثم عبر ساحة سان جيوفانى ثم طريق « ريكاسولى » . فقط كان يُسمع وقع (صندله) الخشبى على الشوارع المرصوف المنطلى بالتلج في سكون الليل الرهيب .

وعندما أفاقت جنيرفا ألرى من نومها ، أو من غيوبتها التي تشبه الموت ، راحت تفحص نمشها بعينين يشع منهما الجبل ، وابنت فيها الرعب حيناً أدركت أنها دفنت حية . وبقوة يائسة قامت من نمشها وأحكمت أكفانها حول جسدها . ثم انجهمت إلى الباب الذى تركه الراهب مفتوحاً ، وخرجت إلى

إنك ترند كما لو كنت ذاهباً إلى الآخرة ... هيه ؟
ليس ثمة فائدة من ذهابك . إبقى هنا واحد الله
أن لم يحدث لنا أسوأ من هذا
وأخذت نينسيا زجاجة مملوءة بالماء المقدس
ورشت منها على الباب الخارجى وعلى أرض البيت
والسلم والطبخ ، وعلى ماتييو نفسه . . . وأطاع
الخدام ولم يُخَيِّب رجاها ، زعماء منه أنها أكثر
معرفة في التصرف مع الأرواح . واستحلفت نينسيا
الروح بصوت مرتفع قائلة :

— أيها الروح المبارك . اذهب بربك .. الموق
للموق جميل الله مثواك دار الحق
فلما أن سمعت جنيفاً أنها خوطبت كأنها ميتة
أدركت أنه ليس ثمة داع لبقائها هنا ، فهضمت من
جلستها على مدخل البيت حيث كانت قد سقطت
إعياء ، وضربت في الطريق تبحث عن مأوى
سارت بقدميها المتجمدين في ثوب وإرهاق
حتى وصلت إلى الشارع المجاور حيث يقوم منزل
فرنسكو ديلاً جولانتي

كان سكرتير جمهورية فلورنسا في هذا الوقت
يكتب رسالة فلسفية باللاتينية إلى صديق له في ميلانو
يدعى ميشيو ديبلو برقي كان مولعاً هو أيضاً باللائيم
القديمة . كانت رسالته في اللاهوت عنوانها :
« خطاب لذكرى الروح التي ارتبطت برابطة الموت ،
روح زوجتي الحبيبة ، جنيفاً أرى » . ومضى
فرنسكو يقارب بين مذهب أرسطو ومذهب
أفلاطون ، مُفْتِداً وجهة نظر توماس أكويناس
الذى يجزم بأن فلسفة أرسطو تتفق وتعاليم الكنيسة
الكاثوليكية من ناحية الجنة والنار ، بينما راح
فرنسكو يدلل في براعة ومنطق سليم أن أرسطو

— وما ذلك بريح . امرؤ يطرق الباب . إنه
الرسول . إذهي واقفحي الباب حالا .

فبدأت نينسيا المكتنزة تنزل الدرج الخشبي
في تراخ وكسل بينما وقف المم ماتييو على رأس السلم
ممسكاً بمصباح ينير لها السبيل . وسألت الخدام
— من هناك ؟ ... فأجاب صوت خافت من
وراء الباب :

— إنه ... إنه أنا جنيفاً أرى ... فتمتمت
الخدام في ذعر :

— يسوع .. يسوع ...
وابدأت ساقها ترمدان ، ولتتقد نفسها من
السقوط تشبثت بسياج السلم ...
واصفر وجه ماتييو وسقط المصباح من يده .
وتولست جنيفاً قائلة :

— نينسيا . نينسيا . افتحي الباب . أسرعى .
دعيني أدنى نفسي . إني مقرورة أنبئى عني أنه أنا
وبالرغم من يدانة الخدام ، اندفعت نحو السلم تجرى
عليه صاعدة حتى سُمع للدرج صرير تحت قدميها :
— هو ذا رسولك الذى تنتظر . لقد أنباتك
أنه خير لك أن تذهب وتنام كسيحى مؤمن ...
أوه ! أوه ! يطرق ثانية . . . أسمع ؟ إن الروح
المسكين بن ويتالم . كم هو مؤلم أليته . آه يا إلهي !
أنتذا وارحنا نحن المذنبين صل من أجلنا أى قديسنا
لورنس ... فقال ماتييو في تردد :

— اسمي يا نينسيا . سأذهب لأرى ماذا هناك
من يدري ... ربما ... فصرخت نينسيا وهى تشبك
يديها :
— ماذا ستفعل أيضاً ... فكر فيه فقط ...
يا للرجل الشجاع ! أو هل تظن أنى أدعك تذهب ؟

تمالك نفسه سريعاً . وخجل للرب الذى ران على قلبه حيناً تذكر ما قاله بلوتونيس الأسكندري ، وبروكس عن ظهور الموتى ، تمالك نفسه توا وأطل من النافذة وقال فى صوت ثابت :

— إذهب سواء أ كنت روحاً سماوياً أم روحاً أرضياً . إذهب إلى حيث كنت لأنك تحاول عبثاً أن تخيف ذلك الذى استنار عقله بالفلسفة الحقبة . قد تستطيع أن تمنع عيني الظاهرتين ؛ ولكن عبثاً تحاول خداع عيني عقلى وإدراكي . إذهب بسلام . الموتى للموتى .

ثم أغلق النافذة جامعا أمره ألا يفتحها ثانية حتى ولو أقيمت فرقة بأكلها من الخيالات والأطيان البائسة تقرر الباب .

فشرعت جنيفاً تقرب فى السير . ولما كانت على مقربة من السوق القديم فقد ألفت نفسها عند مأوى أمها .

كانت مونا أرسلوا لاجئية أمام الصليب وبحوارها وقف الراهب جيا كومو شاحب الوجه ضعيفاً واهنا من أثر الصيام . فرضت عينها الجزعتين إليه وقالت : — ماذا أصنع يا أبت ؟ ساعدنى . لا أحس صبراً ولا خضوعاً . ولا أشعر فى نفسى رغبة إلى الصلاة . يبدو أن الله خذلنى ، واجتوانى وهجرنى ، وقضى على روحى بالهلاك . فقال الراهب يحبها على الصبر :

— أطيبى الله فى كل شئ حتى النهاية . لا تتدبرى . هدى من صوت جسدك المتدرب . فإن حبك المحض لا ينتك إن هو إلا حب جسدى لا روحى . ليس الحزن لأن جسداه مات . بل الحزن لأنها مثلت أمام الله ولما تب توبة صادقة . خطيئة

كان فى الخفاء شاكاً ملجداً وأن « أفلاطون » المحب الكبير بالألثة هو الذى كان يتمشى مع تالميم الكنيسة المسيحية

وكان مصباحه الزيتي المثبت على مكتبه إلى جانب عدد كبير من الأدراج ، وأقسام الورق والخبر ، والأقلام ، يحترق فى لهب هادى لطيف . وكان المصباح عبارة عن تثال صغير « لترينون^(١) » يمانق إحدى غواني البحر ، وهذا يدل على ولع فرنسكو طوال حياته باقتناء التحف التى على هيئة التماذج القديمة وكان على المكتب أيضاً تماثيل من ذهب تمثل رقص كيوييد ، وملائكة تحمل أكاليل من زهور الجنة ينمكس ريقها على صفحات القراطيس الناعمة كالحرير ، الصلبة كالعاج .

وكان فرنسكو بهم بتحليل نقطة لاهوتية من مذهب تميم الأرواح . ويُلمح فى حق ، ومهارة إلى مذهب « البيثاجوريان^(٢) » الذى يحرم أكل البقول زعماً أنها تحتوى على أرواح الأولين . عند ما سمع نجاة طرقة على الباب . فقلب حاجبيه ، إذ كان لا يطيع أى إزعاج إلا أن عمله . على أية ، فقد ذهب إلى النافذة وفتحها ، ثم أطل منها إلى الشارع وعلى ضوء القمر الشاحب رأى جنيفاً ملتفة فى أكفانها .

فنى فرنسكو أفلاطون وارسطاليس وأغلق النافذة فى سرعة حتى أن جنيفاً لم تستطع أن تنبس بكلمة واحدة . ثم ابتدأ يردد صلاة المنراء ، ويرسم علامة الصليب فى رعب هائل مثل نينسيا ؛ بيد أنه

(١) تريون : نصف لله ، أحد ناطق البوق من أتباع نبوتون لله البطار .

(٢) بيثاجوراس : فيلسوف إغريق قديم عاش سنة ٥٢٢ ق . م

وهت الأم مرة ثانية ومدت ذراعها نحو ابنتها
بيد أن الراهب ، في شعوب كالوقى ، وقف حائلاً
بينهما ...

فسقطت جنيرفا على الأرض وأحست البرد يكاد
يقتلها . وعقدت يدها حول ركبتيها ونكتست رأسها
ثم عقدت النية ألا تقوم ثانية ولا تتحرك حتى
تموت ... ومضت تفكر « ليس للوقى أن يعودوا
إلى الأحياء » ثم ذكرت أتونيو فقالت في نفسها :
« أيمكن أن يبينى أيضاً ؟ » ... لقد فكرت فيه
من قبل ؟ ولكنها شرمت بالخجل يطغى عليها ،
إذ أنها لم تشأ أن تذهب إليه ليبارك بعفدها وهي
ذات بعل ... ولكنها الآن ميتة أمام الأحياء

واختفى القمر ، واكتست الجبال بالثلج ،
واقتضبت شاحبة أمام الصباح السافر . ومن جلسها
في مدخل بيت أمها وفقت جنيرفا ، ثم اتجهت إلى
بيت غريب بعد إذ ضاقت بها بيوت الأهل والأقارب
وكان أتونيو قد قضى الليل كله في صنع تماثيل
من الشمع لجنيرفا . لم ينتبه إلى مرور الوقت وكيف
تسرب الضوء البارد ، ضوء صباح الشتاء الأزرق ،
إلى الغرفة من خلال النافذة . وكان يساعده في عمله
تلميذه المقرب بارتولينو وهو شاب في السابعة عشرة
من عمره ذو شعر ناعم ووجه كوجوه الفتيات
وكان وجه التمثال هادئاً . خيل إليه أنه يعيد
الحياة إلى المائتة ويهبها بقاء جديداً . وبدت الجفون
كأنها ستتهز وتنفث ، والصدر كأنه سيملو ويهبط
وكان الدم الحار يتدفق في عروقها الجليلة
وانتهى من عمله ؛ وبينما كان يحاول أن يرسم
على شفتي تماثيل جنيرفا ابتسامة طاهرة ، إذ سمع
طرقاً على الباب . فقال دون أن يترك عمله :

— بارتولينو ! افتح الباب

فذهب التلميذ إلى الباب وسأل :

كبرى وذنب عظيم . وفي تلك اللحظة سمع طرق
على الباب :

— أوى . أوى . اختفى سريعاً . إنه أنا . دهيني
أدخل . أسرعى

— جنيرفا !

قالتا مونا أرسولا في دهشة عنيفة وهمت
بالاندفاع نحو بنتها . ولكن الراهب تصدى لها :

— أين تذهين ؟ إن ابنتك الآن في قبرها
ميتة ... ولن تقوم حتى يوم الحساب . إن هذا
إلا الروح الشريرة تخدعك بصوت ابنتك . بصوت
جسدك ودمك . توبى وصلى . صلي قبل أن يفوت
الأوان وتولى الفرصة . صلي من أجل نفسك وروح
جنيرفا الخاطئة . هذا ما يتفدك من الخسران المبين
— أوى . ألا تسمعين ، ألا ترفين صوتي ؟
إنه أنا . إني على قيد الحياة ... لست ميتة !

— دعني أذهب إليها ، أى أبى . دعني
— اذهبي . وتسلمي أنك بذلك لا تعرضين
نفسك لللاك نجس ، بل روح جنيرفا أيضاً ...
عليك لعنة الله في الدنيا والآخرة

وامتلاً وجه القس بأيات البصيص الشديد وتوهجت
عيناه بيريق من النار غريب ، مما جعل مونا أرسولا
تقف خائفة وجملة . ثم شبكت يدها وجشت تحت
قدميه تصلى

فأبحه الراهب جيا كومتو نحو الباب ورسم إشارة
الصليب وقال :

— باسم الأب والإبن والروح القدس ...
أستحلفك بدم المسيح الذى صلب أن تختفى ... أن
تذهبي أبناً للموتة . إنها أرض مقدسة . أى إلهي
لا تقدنا إلى التواية والضلال بل خلصنا من السوء
والوبال ...

— أوى ... أوى ... رحمة فى ... إني أموت

وحده. فتأديه، فلما جثا بجوارها حدثته بكل ما مر بها من حوادث، ثم عَقَبَتْ قائلة :

— أوه يا عِزْزِي ! أنت وحدك الذي لم تخف حينما جثتكم ميتة. أنت وحدك الذي يحبني حباً صادقاً فمالها أنتونيو : هل أستدعي أهلك ؟ عمك ، وأمك ، أو زوجك ؟

— ليس لي أهل . ليس لي زوج ولا أم . إنهم جميعاً غريباء إلا ليالك . انني ميتة في نظرم ... ولكنني على قيد الحياة في نظرك أنت ... وأنا لك . وبدأت أشعة الشمس الأولى تنصب في الحجرة فتصبمت له جثيفاً . وكان لون الحياة ينوء إلى خديها كلما تجلت الشمس . وجرى الدم حاراً في عروقها وحينما انحنى أنتونيو عليها ، وضمها إليه وقبلها في ثغرها ، أحسّت كأن الشمس تعيد إليها الحياة ، وتبهرها حياة أخرى خالصة . وهمست تقول له :

— أنتونيو ! تبارك الموت الذي علمنا الحب . تبارك الحب . إنه أقوى من الموت .

محمد عبد الفتاح محمد

— من هناك ؟
فأجابته صوت كموت نسيم المساء لا يكاد يسمع :
— أنا جثيفاً لأرى
قفز بارتونيو إلى أقصى مكان في الغرفة شاحباً مرتمداً ، وراح يهيمهم وهو يرسم علامة الصليب :
« الميتة ... ! »

يبدو أن أنتونيو عرف صوت حبيبته فاندفع إلى بارتونيو وخطف منه المفتاح خطفاً فعاجله التلميذ قائلاً وأستانه تصمك :

— فكر في نفسك يا أنتونيو . ماذا أنت صانع ؟ فأسرع أنتونيو نحو الباب وفتحه ؛ فأتى جثيفاً ملقاة على عتبته كأنها جثة هامدة ، وقد تجمد الطل على خصلات شعرها الناعم ، ولكنه لم يحس أي خوف إذ كان قلبه مغماً بحنو شديد . انحنى فوقها تتنثر كرات الحب من فيه . ثم حملها وعاد إلى مثواه . أرقدها على بضع وسائد وغطاها بأحسن غطاء لديه ، ثم بعث بارتونيو إلى السيدة المعجوز التي استأجر منها غرفة عمله . ثم أوقد ناراً في الموقد وأدفاً عليها بعض الخمر وسقاها منه قطرات . فتتنفست بعد ذلك في راحة وسهولة وهي وإن كانت لم تستطع الكلام ، إلا أنها فتحت عينيها . فامتلاً قلب أنتونيو بالفرح ، وقال لها وهو يذرع الغرفة غدوا ورواحا :
— مستقبل المرأة حالاً ، لقد برت كل شيء . فقط أغفري لي تلك الفوضى التي ترين ياسيدي جثيفاً وأزل أنتونيو السلّة خجلان حيران وأخرج منها بعض المال ناوله بارتونيو وأخبره أن يسرع إلى السوق ليشتري لحماً وخبزاً وخضراً لطعام الإفطار . ولا أقبلت المرأة المعجوز ، أمرها أن تهنيء حساء فزوج ساخن

وأسرع التلميذ إلى السوق بأسرع ما في مكنه ، بينما ذهبت المعجوزة تدبح فزوجاً وبقي أنتونيو مع جثيفاً

صدر كتاب

قافله الأيام

مجموعه من القصص المصورة

تأليف

عبد الحفيظ كركي

يبلغ خمسة قروش بجميع المكتبات بالعالم العربي
وبمكتبة النهضة المصرية

حَاجِي يَا ابْنَا صِفْهَا لِيْ

لِكُنَّا بِنَا لَانْطَلَبُوْهُ جِهَن مُوَر
بِقُلْ لَانْطَلَبُوْهُ جِهَن لَانْطَلَبُوْهُ

وما أقل عقل من يندم على شيء أنت أردته
وقدّرته ! يارب لقد شاءت قدرتك أن أصر
من هنا لأتعلم درساً ولأعلم الطريق الذي
يجب اتباعه . إن العونة والمساعدة في متناول
الذي يطلبها . ذلك هو الدرس ، وإني لنبهه
إن شاء الله رغم أن الكلب هو الذي
علمنيه . ثم يجب أن نخرج من حكمة تأتي بها
الحيوانات ويغوت الآدي إدراكها ، فلن أدع اليأس
يتسلط على وسأبحث عن صديق أجد العزاء واليأسوان
في تجاربه كما رأيت هذا الكلب يفعل الآن

واتجهت خطواتي إلى حيث كان صديقي الأمين
ومرشدي وناصحي الشيخ عثمان أغا فهو على الرغم
من كونه تركياً كان يمايلني كما لو كان مواطناً لي
ومشاركاً لي في عقيدتي

استقبلني في سكّون وهداة كعادته ، وحين قصصت
عليه بلواي صعد نفساً طويلاً من غليونه الذي لا يفارقه
وتهد قائلاً : « الله كريم ! » ثم قال لي : « اعلم
يا صديقي أنك حين حضرت إلينا بكل ما عليك من
مظاهر النعمة ودلائل الثراء والثني وراك مواطناً
كذلك تبنأت لك منذ تلك اللحظة بضربة تصميك
ومصيبة تحل بك ... إنك لا تزال صغيراً ولم تحمل
على كفتيك من الأعباء الطويلة والتجارب القاسية
مثل الذي أحل ، فانت لا تدرك أثر النعمة الحادثة
في نفوس الأشقياء التاكيد ... أ كنت تصور
أن قوماً من طبقتك في الحياة يرحون تحت ما يمانونه
من العمل المتواصل والكد العنيف لا يعتمدون
في رزقهم إلا على قسبة تبغ يبيعونها أو كبس تبغ
شيرازي يشجرون فيه ، أ كنت تحسبهم يطبقون
أن يروا زميلاً عليه من مظاهر الترف والثني ما لم يتصوروه

الفصل الثاني والسبعون

مادة في الطير - ما جى بابا جى
في نصبة عثمانه أغا عزيزه رسولنا

خرجت من المنزل لألوي على شيء وأسرت
في مشيتي وظللت مدة لا أشعر بشيء ولا أسمع حتى
ولا وقع قدمي إذ كنت مشوش الأفكار مهموماً
محزوناً أحس باللوعة تكاد تمزق صدري وبالأسي
يوشك أن يفتت كبدي . وحين وقع نظري على البحر
جملت أقول : « إن من الحكمة أن ألقى بنفسي فيه »
غير أنني أثناء اجتيازي ميداناً فسيحاً من ميادين المدينة
رأيت حادثاً كان له رغم قهقهته أثر عظيم في نفسي
إلى حد أنه غير مجرى أفكارى وأتقذني من الانتحار
وقفت أشاهد معركة من معارك الكلاب
مما يكثر وقوعه في شوارع الأستانة فتسلل كلب
إلى حظيرة جماعة من الكلاب واعتدى على حقوقها
بأن سرق قطعة عظم ونجى بها . وتبع ذلك عواء
شديد ونباح وانطلقت الكلاب جميعاً وكادوا يصلون
إليه . وهنا تصادف أن قابل الكلب السارق بعض
رفاقه فطلب منهم البعثة ورجع بهم إلى مهاجرة
مطارديه وبذلك بدأت المعركة

وقد خطرت لي خاطر أثناء وقوفي أشهد هذا المنظر
قلت : « يارب ما أعظم قدرتك وأحكم لإرادتك

فقلت له : « قد يكون حقاً ما ظننت ، وقد يكون الأمر قد انتهى ونفذ السهم وليس لنا غير السكون والصبر ؛ غير أنني مسلم يا صديقي أعتقد في عدل الله ولم أسمع قط أن امرأة طردت زوجها من بيتها وإن كان المكس كثير الشئوع . ولست أعلم ولا أستطيع أن أعلم بأى حق تقبلني هذه السيدة زوجاً ثم لا تلبث أن تطردني من منزلها في هيئة تحجل الكلاب . إنها امرأة خبيثة سرها أن تماشرنى في الصباح ثم تهجرنى في المساء »

إن في المدينة قضاة وشيوخ إسلام كما هي الحال في كل بلد إسلامي فلماذا لا أرفع مظالمتي إليهم ؟ إنهم يقبضون مرتباتهم لإقامة العدل ورد اللظالم فكيف يجلسون مطمئنين إذا سمحوا بمثل مظالمتي ولم يردوا العدل إلى نصابي ؟ إنني باحث بإذن الله عن حق »

فقال صديقي عثمان أغا : « هل جئت يا حاجي بابا حتى تطلب مقاضاة أرملة أمير من أعظم أمراء الإسلام ، بينما يحممها أخوها وما تاجران من أغنى تجار الآستانة ؟ أين عشت كل حياتك حتى لا تعلم أن الذهب والمال هما الحق والعدل ؟ إنك لو ظهرت أمام المحكمة تطلب بمحقتك ومعك ما شئت من حجج وبراهين ووقفت أمامك صهرتك بماله وجاهه ، هل تشك في أن الحق يكون في جانبه ؟ »

فقلت متأوها : « إرحمني يا أرحم الراحمين اهل ضلع العدل وفقد الناس الدم ؟ بئس علا هذا شأنه ! إنني لا أستطيع أن أزل عن حقوق وسأطالب بها » وجعلت من يأمي وحسرتي أبكي بكاء مراراً وأنتحب نحيباً شديداً وجلست من يأمي وحسرتي أبكي وأنتحب وزجعت ببعض شمرات من لحيتي فحاول عثمان أغا أن يهدئ من زعجي ويسكن من هياجني

في أحلامهم أو يتخيلوه طول أيامهم ؟ إنك لو كنت تفوقهم حذفاً أو تزيهم مقدرة وعزماً ثم ظهرت أمامهم بلباس أحسن من لباسهم وحال أنعم من حالهم ، أو أراوك تمتلئ الحياء وقد اعتادوا ركوب الجير لمان الأمر ولما أغرحت صدورهم وأترت حزازات نفوسهم . ولكن الذي أوقد نيران الحسد وأشعل لحيب الضغينة ظهورك بملابسك الأنيفة وغلبيوك الذهب وجوادك الطهيم بين خدمك وحشمك وما كنت فيه من عظمة وكبرياء وجب وخيلاء . وإن ذلك كله كان مفاجأة لم يسبقها امتياز لك عليهم ولا تدرج في التفاوت بينك وبينهم فأذلتهم بذلك وحطمت عزائمهم فلم يحتملوا الأمر وحقدوا عليك ووطدوا الزم على إرجاعك . إن أمكنهم - إلى حالك الأولى ، فمن الجلي أنهم هم الذين أسروا إلى أصهارك أنك لست بالتاجر البندادي ولكنك ابن حلاق في أصفهان وأنتك بائع سلع حقيرة

ولم يشك أصهارك في صدقهم بسبب الرية التي كانت محوم حولك وللتلاعب في عقد الزواج وحيرتك في تحديد ثروتك ، ومن الواضح أيضاً أن أصهارك أدركوا كذبك فيما ادعيت من شرف الأصل وكرم الثب وسعة الثروة ، فمن متاجر في بخاري إلى مهاكب تسبح في بحار المين . ولو كنت ظهرت أولاً في غير جلبة ولا ضوضاء بمظهرك الحقيقي لكنت نصحت لك وحذرتك من الظهور أمام أبناء بلدك بشئ يدل على النعمة أو ينم على النقي . ولكن الأمر انتهى ووقع المقدور ولا حيلة لنا اليوم فيما حدث . وكل ما أوصيك به الآن أن تتعلم من ماضيك ما ينفعك في مستقبلك »

وبعد أن انتهى الرجل من حديثه عاد إلى غليونه

ولما تكلمت معهم أدركوا أنني واحد منهم رغم ملابسى التركية ، ووعدوني أن يدخلوني إلى سيدم من غير عناء .

غير أنني كنت أريد قبل أن أدخل إلى السفير أن أعلم شيئاً من طباعه وأحواله حتى أستطيع أن أظهر أمامه بالشكل الذى يريد ، وأحاطه بالثقة التى يجب .

لذلك تحدثت مع أحد الأتباع من غير حذر أو مواربة عن كل ما أستفهم عنه ، وكانت نتيجة حديثي أنني علمت أن السفير اسمه فيروز ، وقد ولد في شيراز من أبوين محترمين ، ولو أنهما ليسا من عليّة القوم خلا أمه التى كانت شقيقة وزير قديم ذى سطوة وجاه ، والذى كان السبب في ارتقاء الشاه إلى العرش .

وتزوج السفير من ابنة خاله الوزير المذكور ، وساعده ذلك الزواج أن يتال مركزاً في الحكومة وكان قبل ذلك قد مارس عدة شؤون جعلته يزور كثيراً من الممالك ، ونتج عن ذلك أن اختاره الشاه وزيراً لشؤنه الخارجية .

ثم قال : « إنه رجل ذكى القلب سريع الخطار جبار العقل سريع الغضب غير أنه مع غضبه كثير التسامح ولو أنه حين يغضب لا يسلم المرء من شدته وقد وهبه الله ملكة الخطابة والتأثير ، وبها استطاع أن يتنجو في مركزه من أية ورطة يقوده إليها مركزه وحده طبعه ، وهو يسامل خدمه وحاشيته بالحلم والرفقة أحياناً وأحياناً بالشدّة والقسوة فيسمح لهم في بعض الأحيان أن يقولوا ما يشاؤون في حضرته ، وفي البعض الآخر لا يمرؤ أحد أن يقترب منه ، ولكنه يثلب عليه التبسط في الحديث

فأخذ يذكرني بحياتي الماضية وبحوادثها وما شاهدناه أثناء سجننا لدى التركان وقال لي : « إن الله قادر وحليم وكل ما يصيننا في حياتنا فهو مكتوب مقدر فليس لنا إلا الرضوخ لما قدر علينا »

فغطرت لي خاطر جديد وقلت : « ولكنني إراني فكيف أقبل ظلاماً من تركي ؟ إننا أمة عظيمة لها تاريخها وعظمتها من عهد جنكيز خان وتيمور خان ونادر خان الذين رفضوا شائناً وأذاعوا فضلنا بين المالمين ، والذين قتلوا رجال الترك ونهبوا ديارهم أبنا وجدوم . سأسى إلى سفيرنا وأقص عليه الأمر . فإن كان رجلاً شهماً رد لي حقوق من مقتصبها . نعم . نعم . إن السفير سيرد زوجي إلى . ما أحسن هذا الخطار وأطيعه ! ثم سترى من يستطيع أخذها مني ثانياً » .

وكنت قد تشبعت بهذا الخطار ، وامتلاّت به نفسي حتى لم أقف لأسمع ما يقول عثمان أنا في الموضوع وانطلقت ممتلئاً نشاطاً وإقداماً أسى إلى مثل ملكنا الأعظم الذى كان لحسن الحظ قد وصل قريبا في شأن من شئون الدولة مع الباب العالي .

الفصل الثالث والسبعون

عثره على صديقه - بعض أقطاب ميرزا فيروز علمت أن السفير يقطن في حي اسكوتارى . فبميت ذلك الحى ، وجعلت أرتب أفكارى وأنظم خواطرى لأقدم للسفير مظلة جديدة بالاهتمام . وبمعد أن زلت من القارب سألت عن منزل السفير . فلما وصلت إليه رأيت حديقة حافلة بالأتباع والخدم ، وقد ذكروني بموطنى الذى يختلف كثيراً عن البلاد التركية بما يبدا لي من ملاحظهم وسرعة حركتهم .

والرفة واللين وحب المزاح .

وعظمى اللتين ظهرت بهما ، وكنت كلما ذكرت شيئاً من خديتي لمجول الأثرak (كما كان يسميهم السفير) وغشي لهم زاد سروره وانشراحه وكثر ضحكه وأخذ يقاطعني بقوله : « بارك الله فيك يا أصفهاني ! بارك الله في ذكائك أيها المفلس ! والله لو كنت في مكانك ما صنعت خيراً مما تصنع »

ولكنني حين قصصت عليه ما فعله مواطني من حسدهم وضغينتهم وما تم أخيراً في منزلي ، والشتام التي أنهالت عليّ من النسوة وأقارب زوجتي . وحين مثلت له حالتي حين خرجت من المنزل رأيته بدل أن يظهر الشفقة والأسى لما نالني أخذ يضحك ويتأيل من شدة الضحك وقد احمرّ وجهه وانتفخت عروق جبهته ولم يلبث أن استلقى على وسادته من تأثير الضحك الشديد

فقلت له : « أتوسل إليك ياسيدي أن تفكر في مركزى الحاضر . لقد كنت أنام على فراش من ورد فأصبحت لأجد ما أتوسده . وكنت أمتلئ خير الجياد فأصبحت أتمنى أن يكون لي حمار حقير

إنني حين أنصور ما كان لي من ثروة وغنى ، من ثياب فاخرة وخدم وحشم وحمامات من رخام وغلايين وفناجين وكل ما يمكن أن يشتغى المرء ، ثم أرى نفسى اليوم لا أملك ما أتباع به ؛ حين أنصور ذلك أعاني حسرةً آتية حسرةً وأكابذ لوعةً آتية لوعة ! إن هذه الذكريات لتثير كل شعور في نفسى إلا السرور ، وتحديث كل شيء بنفسى إلا الضحك مهما يكن تأثيرها في نفسك »

فصاح السفير ضاحكاً : « إن هؤلاء الأثرak معانيه وإنني أتخيلهم الآن باحمام الطويلة ورؤوسهم الصلماء ، وقد انطلقت عليهم رواية الإيراني الخبيث وأكاذيبه . ولولا أن أبلغهم الأمر فارسيون من

ذلك هو الرجل الذي قادوني إليه . وقد رأيته جالساً في أحد أركان الغرفة كمادة أهل إيران ، وبسبب جلوسه لم أعرف أطويل هو أم قصير ... غير أن وجهه كان من أجل الوجوه ، وهو عريض الكففين ، عريض الصدر ، أفتى الأنف ، واسع العينين متآلفهما ، جميل الفم جذاب ، له لحية يحسده الرأؤون عليها . وكان مثلاً للجمال الفارسي ، وبمد أن تبادلنا السلام قال لي : « هل أنت إيراني ؟ » فقلت : « نعم » .

قال : « إذن لم تنزياً بالرى الميثاني ؟ إن لنا بحمد الله ملكاً ودولة لا يتجمل من الالتئام إليهما أي إنسان » .

فأجبته : « لقد قلت حقاً . ولما لبست ثياب الأثرak وتشبهت بهم صرت أحقر من كلب ورأيت أيام يؤس لا توصف ، وفتفت كبدي أسي حيث اختلطت بهؤلاء القوم اللعابين ، وليس لي من حام غير الله وغيرك » .

فقال لي : « وكيف ذلك ؟ تكلم ! هل نال أحد أصفهانين ، إذ يظهر من لمجنتك أنك أصفهاني ، ضرر أو أذى من ترك ؟ عجيب هذا والله ! إننا ما حضرنّا إلى هنا ، وما قطعنا كل هذه المسافات الشاسعة إلا لنذيقهم المناب لا لكي يذنبوا » .

قصصت عليه كل أمرى منذ البدء إلى النهاية وكنت كلما تقدمت في الرواية ازداد هو إقبالاً عليّ وانشراحاً بحيث لي أن وصلت إلى قصة زواجى فأخذ يضحك ضحكا عالياً متواصلاً من الرواية التي رويتها عن زوجتي ، وقد سره ما أخبرته به من أمر الوليمة التي أقيمتها والاحترام الذي قوبلت به وأبقي

كثير الهم والتفكير، فكألى من حيث الحياة الناعمة والعيش الطيب قد ذهبت أدراج الرياح ورأيت نفسى مضطراً إلى الكد والنصب لأحصل على ما يقوم بأمورى

وأخيراً قلت لنفسى : « لئن فقدت المنزل فقد عثرت على صديق وليس من العقل أن أرفض حمايته ولا شك أن العناية التى حفظتنى والتقدير الذى سدد خطواتى سيتمهداننى فى مستقبل وقد أسل يوماً من الأيام إذا شئت المقادير إلى حالة لا ألقى معها على الحياة »

وصممت على التقرب من السفير ، وصرنى أن رأيت أن البشاشة التى أظهرها عند أول مقابلة قد زادت ، وكثر عطفه على مع توالى الأيام . وقد استفاد السفير منى إذ جعلنى أستطلع له الأخبار ، وأودى له خدمات حكومية ، وأخرى خاصة بمهمته التى جاء من أجلها .

وشغلنى عن البحث فى مستقبل الاهتمام بالحوادث العامة ، والأمور الخارجية ، وكنت لا أعرف عن الأمم من قبل غير أمتى وأمة الترك ، وأسما بعض الأمم الأخرى مثل الصين والهند والأفغان والتاتار والكرد . وكنت أعرف العرب كذك ، وأعرف من الأفريقيين بعض أجناس كنت أراهم يخدمون فى منازلنا .

وعرفت من الفرنج الروسيين (إذا كان هذا هو اسمهم) وقد كنا كثيراً ما نرى بعض رجالهم فى إيران . وصممت عن الإنكليز والفرنسيين .

فلما دخلت إلى الأستاذة دهشت إذ سمعت بوجود أجناس أخرى من الفرنج غير الثلاثة الأجناس التى ذكرتها ، ولكننى كنت مشغولاً بأمورى الخاصة

جنسه لظلالوا فى عمايتهم ولما خاسروا شك ولا رية . ثم قال لى : ماذا أستطيع أن أعمل ؟ لست والحدك ولا عمك لأتدخل فى أمر زواجك ، وأتقع أهل زوجتك ، ولست قاضياً ولا مفتياً لأفصل فى موضوعك » .

فأجبت : « نعم . لست واحداً ممن ذكررت غير أنك حايّ هنا ونصيرى ، وأنت تمثل ظل الله على الأرض فلا تتدخل » عني ولا تسمح باضطهاد يصيب مسكيناً غريباً مثلى »

فقال لى : « هل ترغب فى استرجاع زوجتك على أن نظل عرضة للقتل فى كل لحظة ؟ ماذا يفيدك الننى والثروة والجاه والسلطة إذا وجدوك قتيلاً فى صبيحة اليوم الذى تستردها فيه ؟ كلا ! كلا ! كنى عاقلاً وأسع إلى قولى واستمع لنصيحى . ألقى كل ما عليك من ملابس الأتراك وارجع كما كنت فارسياً . فإذا ما استعمت شكلك الأول فكرت فى أمرك ، وفيما يجب أن أعمل من أجلك . لقد أطرقتى قستك وأعجبنى ذكاؤك وفطنتك وصدقنى أن فى الحياة ما يفوق النوم على فراش من ورد ، والتدخين طول اليوم فى قسبة تبغ أوركوب جواد ضيق فالث هنا وإذا اشتقت يوماً إلى الهو والضحك أحضرتك لنقص على قستك فانيا » .

وعند ذلك قلت فقبلت أطراف ثيابه شاكرًا فضله . وتراجعت غير عالم بما يكون من أمرى فى حالتى هذه .

الفصل الرابع والسبعون

عاجى بابا بموزقة السفير

لقد قيل إن الحاجة كجواد يمدو راحبه فيصل إلى ما لا يصل إليه الجواد السابق . وكنت قلقاً

فلم ألتفت كثيراً إلى ما يختص بهذه الأجناس . فلما انضممت إلى أتباع السفير ، وصرت في معيته سمعت عن أشياء لم تكن تخاطر ببالى من قبل . وسر السفير إذ علم أنني أسس إلى مرضاته ، واتتهى أمره بأن منحني ثقته التامة .

ففي صباح أحد الأيام بعد أن تسلم رسائله الرسمية ، أرسل في طلبى وقال : إنه يريد محادثتى على انفراد فى أمر هام . وأمر كل من كان موجوداً بالانصراف وأجلسنى . ثم قال لى بصوت منخفض : « يا حاجى بابا . إننى أريد أن أحادثك . فإن القوم الذين تتكون منهم ميمتى لا يفقهون ما أريد . وهم فارسيون أذكاء إلا أنهم لا يدركون من شئون الدولة شيئاً ، وبطلون الأعمال التى حضرت من أجلها أكثر مما يساعدونى على إنجازها . غير أننى والحمد لله قد وجدت فيك الرجل الذى أطلب . فأنت فوق هؤلاء الرجال خبرة ودراية ، وقد رأيت من العالم وحواشه ونجاريه فوق ما رأوا ، ويمكن الاستفادة بك . إنك تستطيع أن تضحك من الذقون ، وتستخرج لباب الأمور من غير أن تلس ظواهرها . وأنا فى احتياج إلى رجل مثلك . فإن أحصلت لى وللشاه ملك اللوك كان ذلك سبباً فى دفعتنا سوياً ، وفي ارتقائنا وعظمتنا » .

فقلت له : « إننى وما أملك من قوة ونشاط رهن إشارتك . فما أنا غير عبدك وخادمك ، وليس على سيدى السفير إلا أن يأمر بقطع أمره على الرأس والمين » .

فقال السفير : « قد يكون وصل إلى سمك مما تتداوله الألسن أن مهمتى التى قد جئت من أجلها هى شراء الرقيق للشاه من نسوة بارعات فى الرقص

والعزف على آلات الطرب وغير ذلك من الشئون التزلية ، وأن اشترى للحزم الملكى حرائر ورياشاً وبذائع وطنافس ... لقد أشبعنا ذلك لتضليل الجمهور وإخفاء غرضنا الحقيقى ، فلم يرسلنى الشاه لأمثال هذه السفافات بل حضرت فى غرض أهم وأشرف مما ذكرت . حضرت فى مهمة فوق ما تتصور . ولا ينتخب الشاه لثلها إلا الذكى الحصيف ، وقد وقع اختياره على فأرف سمك لما أقول . منذ بضعة أشهر وصل إلى طهران عاصمة إيران سفير من أوروبا قال : إن الذى أوفده هو امبراطور اسمه نابليون بونابرت شاه الفرنسيين . وقال إنه يحمل رسالة وهدايا للشاه وتحدث ذلك السفير كثيراً عن قوة الامبراطور وأعماله وصفاته ، وأكد رغبة سيده فى عقد محالفة مع الشاه . وقال السفير : إن لى من التعليمات ما ينحوله عقد المحالفة ، وظهر فى كلامه وحركاته بظهور عظيم حقاً ، وصرح بأن باقى الأمم الأوروبية أى أم الفرنج ليست إلا مواطنى لقدسه لا تستحق منه أى اعتبار ووعداً السفير بأن يتخلى لنا الروس عما فتحوه فى جرجان ، وأن يمد إلى الشاه نفيلس وغيرها من المدن التى كانت للفرس فى الزمن الماضى وقال إنه سيفتح الهند ويطرد منها الانكليز ، وأنه يهبنا كل ما نطلبه ونصبو إليه نفوسنا .

وقد كنا سمعنا من الفرنسيين أنهم يجيدون غزل الأقمشة وبضع صناعات أخرى غير أننا لم تكن نعلم أن فى استطاعتهم تنفيذ ما كان يدعيه ذلك السفير . وسمعنا فوق ذلك شيئاً من أخبار هجومهم على مصر إذ ارتفعت على أثر ذلك الهجوم أثمان اللبن والحناء . وذكر أحد المطباء سفيراً فرنسياً من قبل ملك فرنسا لويس ولكن أجدنا لم يعلم أن ذلك البونابرت.

عرشى ويقبل على أهل الشمال والجنوب وسكان الغرب والشرق ويقدمون إلى الهدايا والنفائس ، لأصح لهم بالمقابلة تحت قدمي ليقدم منهم من يتقدم وليقد على منهم من يقد فآله معنا »

وعند ما ترك باب الشام كانت فارس تنظر قدوم سفير الإنكليزي . والخطابات التي تسلمها الآن تنبئ بأخبار طلبه السماح له بالمقابلة . والمخابرات الدائرة بهذا الشأن غير أن الشام لا يستطيع البت في الأمر قبل أن تسلم أخباري لأنه حين علم أن في الأستانة كل الأجناس الأوربية وأن لكل أمة سفيراً فيها رأى جلالة بما له من الحكمة وسداد الرأي أن يعثى إلى هنا لأحصل له على المعلومات التي نحن في حاجة إليها حتى يزول من فارس كل ريب يتعلق بالفرنسيين والإنكليز وحتى أعلم إذا تمكنت حقيقة ما ظنوه عن أنفسهم .

وقد رأيت يا حاجي بابا أنني رجل واحد هنا والعمل الذي كلف به يحتاج إلى أكثر من خمسين رجلاً فالفرج أمر مختلفة وأجناس لا عداد لها كما لاحظت هنا من تباين اللغات واختلاف السحن واللهجات ، وقد أخبرتك أن رجال حاشيتي لا يعرفهم ولا منفعة منهم في مثل أبحاثي فوق اختيارى عليك . وهما نذا أنتظر نتاج مجهودك ثمرة أبحاثك ويجب أن تتعرف على بعض هؤلاء الكفار . ولمعرفتك باللغة التركية تستطيع أن تستعلم منهم عن كثير ممن نود . وسأقل لك نسخة من تعليمات الشام في هذا الصدد ويجب أن تحفي هذه التعليمات في أيدي مكان من عقلك غير أنك تسير على مقتضاها فاذهب الآن إلى أن أستحضر لك هذه الأوراق واجلس في مكان منفرد وفكر طويلاً فيما يجب أن تبنيه من الطرق وتسخده من الوسائل »

قد صار ملكاً على فرنسا . وعلنا من تجمار الأرمن الذين طافوا بلاد العالم بوجود رجل بهذا الاسم وبأنه مثير هياج ومسبب شغب وقلق . وقد قبل الشام بسبب معاملته من هؤلاء التجار وبسبب ظروف أخرى أن يسمح للسفير بالمثل بين يديه . غير أن أحداً من الناس لم يستطع أن يعرف إن كانت الرسائل التي أحضرها ذلك السفير مكتوبة بخط يمكن تفسيره أو لا يمكن وأن ما قاله السفير كان حقاً أو باطلاً فأعيا الأمر وزدنا كبيرم وصغيرم ولم يستطع الشام أن يدرك شيئاً رغم علمه الواسع بكل ما تقع عليه أشعة الشمس وإذا استثنينا « الخواجه عبيد » الأرمني الذي كان قد وصل إلى مرسيليا وهي بلدة في فرنسا وظل فيها سجيناً أربعين يوماً ، وإذا استثنينا كذلك « ناسيس » القس الفرنسي الذي تلقى العلم مع الدراويش في جهة من جهات تلك الممالك المجهولة . إذا استثنينا هذين الرجلين لم نجد يباب الشام من يستطيع إرشادنا أو يلقى على ظلمات عقولنا شيئاً من النور أو يستطيع على الأقل أن يخبرنا إذا كان هذا البونابرت وسفيره محتالين أو صادقين ؟ وهل جاءنا السفير لنهب بلادنا أو ليرفع من شأننا ؟ ثم لم نعلم حيرتنا فإن الإنكليز الذين كانوا يتجرون بين الهند وإيران ويقطن بعضهم في « بوشير » حين علموا بمجيء ذلك السفير أرسلوا إلينا الرسل والرسائل وبشوا بمقابل منهم يحمنا على عدم السماح لذلك السفير بالتقرب منا وحاولوا كثيراً أن ينعنوا تقدمه ونجاحه حتى أدركنا أننا نستطيع الاستفادة كثيراً من هذا النزاع بين الإنكليز والفرنسيين

وقد قال الشام : « وعزتي وتاجي إن العناية الإلهية هي التي أحدثت ما حدث . إنني أجلس على

كشف مسألة حيرت ألباب الفارسيين وشوشت عقولهم وهي كيف أن انكلترا ولوندرنا قد اختلطتا واشتبتكتا فهل انكلترا جزء من لوندرا أم لوندرا جزء من انكلترا؟

ثم أمر السفير أن يستعلم فوق ذلك عن حقيقة الإمبراطورية ومن أو ما هي وكيف وجدت العلاقة بينهما وبين انكلترا وهل الإمبراطورية امرأة مجوز كما يتردد على بعض الألسنة أم تشكون من حلة عجائز؟ وهل ما يروى عن عدم قابليتها للنفاء مثل (لأما التبت) خرافة أم حقيقة؟ ثم يستكشف حقيقة بعض أمور غامضة خاصة بالحكومة الإنكليزية ونظمها

ومن مهمة السفير أيضاً معرفة بعض أبناء الدنيا الجديدة . وأخيراً أمر السفير أن يكتب تاريخاً عاماً عن الفرنجستان وعن أحسن الوسائل المؤدية إلى تنغيرهم من شرب الخمر وأكل الخنزير وإلى اعتناق دين الإسلام

وبعد أن قرأت هذه التلقيات وفكرت ملياً رأيت أن خير من يجيب عليها هو كاتب في خدمة (الريس أفندي) كنت قد تعرفت به إبان الزمن القصير الذي كنت فيه أتيقظ المظهر

وكنت أعرف القلي الذي اعتاد أن يجلس فيه والساعة التي يذهب فيها وكان من عادته ألا يكثر من الحديث ولا يسترسل في الكلام غير أن رجوت أن تشرح نفسه ويحدثني عما يراه في هذه المسألة إذا ما شرب قهوته ودخن غليونته كما كان يحدث من إقباله على الحديث في بعض الأحيان

ولما اتفقت بهذه الفكرة أخبرتها السفير الذي سمر منها واغتبط إلى جذأته عزاءها إلى نفسه وقال لي : « ألم أخبرك بهذا؟ ألم أقل لك أنك ذكي القلب

وبعد ذلك أمرني بالانصراف فتركته وخرجت وقد فتح أمامي طريق جديد من طرق الحياة

الفصل الخامس والسبعون

مهررد حاجي بابا في الحياة العامة ونفحة لمهررد

خرجت بعد أن أعطاني السفير صورة من تعلبات الشاه وعمت مقبرة مجاورة لأكلوها على انفراد بهداة وسكون وقد أقيمت الورقة ملفوفة في طيات عمامتي، ولأن هذا العمل كان أول عمل لي في الحياة العامة فقد ظلت محتوياتها منقوشة في ذهني باقية في غيظي وكان أول أبحاث السفير متجهاً إلى معرفة حقيقة تلك المملكة التي تسمى الفرنجستان وهل ملكها الذي يلقبونه في فارس بشاه الفرنج موجود حقاً وأين عاصمته إن كانت له عاصمة؟

وكان السفير فوق ذلك يريد أن يستعلم عن عدد قبائل الفرنجستان وهل هم ينقسمون إلى سكان مدن وسكان صحراء كما هي الحال في إيران ومن هم رؤساء قبائلهم وكيف يجمعونهم ثم يستعلم بعد ذلك عن فرنسا وعن اتساع أقاليمها وهل هي قبيلة من قبائل الفرنج أو مملكة مستقلة ومن هو ذلك البونابرت الذي يلقب نفسه إمبراطور تلك المملكة؟ وأمر السفير أن يوجه كثير من التفاته إلى معرفة حقيقة هؤلاء الإنكليز الذين يعرفونهم في فارس بأفشتهم المريضة وساعاتهم وخناجرهم، ويعرف من أي طبقة من طبقات الكفرهم؟ وهل يقيمون طول العام في جزيرة من غير أن يكون لهم مصيف ولا مشق وهل يعيش معظمهم في المراكب ويقتصرون في قوتهم على الأسماك؟ وإن كان هذا هو أمرهم فكيف استطاعوا الاستيلاء على الهند . ثم يبدل جهده في

وهؤلاء يرسلون إلينا سفيراً خاملاً يقوم بشئون تجارتهم وتصريف صادراتهم من جبن وزبد وسمك محفوظ . غير أن حكومتهم قضى عليها ظهور بونارت وبونارت هذا رجل في مقدمة الرجال حليق بأن نضمه في صف نادر شاه الفارسي وسليمان القانوني التركي دون أن نخجل أو نخبط من قدر أنفسنا . وهنا لن أتمالك أن قاطعت الكاتب وقتل حين سمعت اسم بونارت : « بونارت » . هذا هو اسم الرجل الذي أريد معرفة شيء عنه فقد سمعت أنه كافر لا نظير له مقدم شجاع ، وأرجو أن أسمع منك شيئاً عنه »

فقال صاحبي : « هل تظنني أستطيع أن أحصي أخباره ؟ لقد كان جندياً بسيطاً من عهد قريب ، وهو اليوم سلطان أمة عظيمة ، وهو الذي وضع لبلاده قانونها ، وحاول جهد استطاعته أن يقضى علينا باستيلائه على مصر فأرسل جيوشاً جرارة لفتحها . غير أنه نسي سيوف المجاهدين وقتل المؤمنين فاضطره المصريون إلى العودة بعد أن خوف بضعة عماليك ، وأدغم الأعراب إلى الالتجاء للمصريين »

فسألت الكاتب : « ألا يوجد بين الكفار قبيلة اسمها الانكليز ؟ لقد قيل إنهم أقل القبائل عدداً وإنهم يقيمون في جزيرة ، ويسمنون الآلات الحادة » .

فقال مجيباً : « أجل ذلك صحيح ، وقد حظي الانكليز منذ قرون بما لم يحظ به غيرهم من أم الفرنج لدى الباب العالي فنالوا ودم ، وهم قوم بحريون لهم أسطول كبير ، ولا يماثلهم أحد في صناعة الساعات ، ونسيج الأقمشة »

فقلت له : « وماذا تعلم من أمر حكومتهم ؟

صارخين بأعلى أصواتنا « الله أكبر ! في سبيل الله ! » ويحكم الرجال والنساء على حد سواء . ولكنهم ياتلوننا في قتل حكاهم والثورة على ولاة أمورهم . ثم يبعيهم هؤلاء من طوائف الكفر طائفة البروسيين وليس غير الله يعلم لماذا يرسلون إلينا سفيراً لا حاجة لنا به ولا منفعة ؛ فأنا أبدو من أن نهم يمثل ذلك الحقير ؛ غير أن الباب العالي مفتوح على مصراعيه بلجه النجس والحقير كما يدخل منه المؤمن الوقور فتشمل الجميع عنايته

ثم ماذا أقول بعد ذلك بحق رسول الله ؟ توجد طائفتان أخريان من طوائف الكفر تسكنان في شمال العالم وتبين في آخر حدود الأرض ، وهما طائفتا الدانمركيين والسويديين وهؤلاء قبائل صغيرة رجالها قصار القامة لا يذكرون بين الرجال رغم ما قيل من أن شاه الدانمركيين من أكثر ملوك الفرنجستان اطمنئناً على ملكه وراحة في عيشه لا يزجه مرضع ولا يخيفه منازع . بينما شاه السويد مشهور بالحقاقة والجنون فقد أثار مرة في أوروبا حرباً شعواء لم ينظر فيها إلى البلاد التي يحاربها بل كانت الحرب غايته ومقصده ، وقد أدى به جنونه وساقته حماقته إلى اختراق حدودنا التركية . فأسرناه كما يؤمر الوعل الشارد .

وكانت هذه الحادثة سبباً في معرفتنا تلك الأمة . ولولا ذلك لكانا ظننا إلى ما شاء الله لا نعلم من أمر هذه الأمة حتى ولا وجودها .

وسأذكر لك قوماً آخرين يقال لهم أمة الفلنك ، وهم كفار أغبياء فقال الظل باردو الطميط ينظر إليهم الفرنج كما تنظر نحن إلى الأوربيين لا يفكرون إلا في جمع المال ، ولا يطمعون إلا في الثروة والغنى

الإنكليز المجانين ، وعلى أنه أوجدنا في أمة راقية
رزنة ندخن غلاييننا مطمئين أكثين على ضفاف
البوسفور

فقلت : « ما أغضب ما قص علي وما أعجبه !
لو لم أكن قد سمعت منك هذه الأمور لما صدقت
منها حرفاً واحداً ؛ غير أن شيئاً واحداً بقي وهو
مسألة الهند فكيف استطاع الإنكليز أن يحكموها
مع أن حكامهم نساء عجائز »

فأجابني : « لا يدهشني والله أي أمر أسمعه
عن هؤلاء القوم فليس لهم عقول . ولكن لم يصل
إلي على أن الهند تحت حكمهم . قد يكون ذلك
وقد لا يكون والله وحده يعلم . وكم للمجانين من أفعال
شاذة وأمور غريبة »

فقلت بعد برهة صمت : « والآن هل قصصت
علي كل ما تعلم أم لا يزال عندك علم بكفار آخرين ؟
قل لي بحق الصداقة إذ من كان يعلم أن في الدنيا
التربية التركيب والتكوين أمما بهذا الشكل ! »

فقال بعد أن فكر قليلاً : « أجل لقد نسيت
أن أذكر أمثين أو ثلاث أمم ، غير أن ما نسيت
أن أذكره غير جدير بالحدث . هناك غير ما ذكرت
الأسبانيون والبرتغاليون والإيطاليون وهؤلاء أقوام
يتنذون بالظنازير ويسبدون الأصنام وليس لهم أية
قيمة حتى بين الفرنج . وقد وصل علمنا إلى أولام
بسبب تقدمهم الفضيحة المتداولة بيننا ، ويفد من الثانية
بعض اليهود ، وتبعت الثالثة إلينا دراويش يدفعون
مبالغ طائلة لبناء الأديرة ودق الأجراس . ويجب
أن أذكر لك شيئاً عن البابا خليفة الفرنج فهو يقيم

ألا تكون من شيء آخر غير الشاه »

فأجابني : « كيف يمكنني أو يمكنك أن تفهم
عقلية هؤلاء القوم المجانين ؟ لست أنكر أن لهم
شاهاً ولو أنه من الضحك أن ندعوه بالشاه
إذ لا ينطبق عليه هذا الاسم فهم يطعمونه ويكسونه
ويسكنونه في القصور الشوامق ويقررون له مرتباً
سنوياً ويحيطونه بكل مظاهر العظمة وأبهة العرش
بل ويلقبونه أفضخ الألقاب وأعظم الأسماء سخريه
منهم لأن الأنا البسيط من أغواتنا يملك من النفوذ
أكثر مما يملكه هذا الشاه الإنكليزي الذي يبلغ
من ضعفه أنه لا يستطيع حتى جلد أحد وزرائه
مهما كانت جنايته . بينما يستطيع الأنا عندما إذا
أراد أن يصلم أذان نصف المدينة ولا يجازي بنير
التشجيع والمكافأة . ولم يحال مملوءة بالمجانين
الحق يجتمعون فيها للجدل السخيف والتطاحن
والتراشق بالألفاظ إذا قال فريق منهم عن شيء هذا
أبيض اللون قال الآخر لا بل هو أسود ، ويشيرون
نخبة عظيمة من مناقشات وردود وخطابات حول
أية مسألة عادية يكن أن يقطع فيها بالرأي أي مفت
عندنا فنفرض على قطر بأسره . وبجمل القول فإن
أمرأ واحداً لا يمكن أن يقرر في تلك المملكة دون
أن يشير الشعب تلك الضجة الحقاء والناقشات الجوفاء
مهما بلغ من ثقافة هذا الأمر كقطع رأس أنا ثائر
أو مثل ذلك من الأمور البسيطة . إن الله جلت
قدرته وعظمته قد أعطى العقل لبعض الأمم وحجبه
عن البعض الآخر ، وليس لنا إلا أن نخضع لما أراد
وعلينا أن نشكره تعالى على أننا لم نخلق بين هؤلاء

وقد سر السفير من التقرير الذي قدمته إليه مما قصه على الكاتب . وظل السفير بعد ذلك مدة إقامتي في الأستانة يرسلني يومياً في شئون أخرى واستعلامات شتى إلى أن حسبنا سوياً أن في استطاعتنا بما لدينا من المعلومات أن نكتب تاريخ أوروبا الذي كلفه مليكه بكتابته عند عودته . فأخذت أشتغل بجهد في وضع ذلك التاريخ وبعد أن فرغت من كتابة مسودته عرضتها على السفير لتتقحها وتصحيحها لتوافق أغراض الشاه فنقحها وزاد فيها ما رآه لازماً وحذف منها ما يجب حذفه ، وحين انتهى منها سلمت إلى كاتب قتلها بمخط جميل فأخرجها مجلداً قنيا مرتباً ترتيباً بديعاً ووضعها في كيس من الحرير قال السفير إنه حري بيد الشاه ، واعتقد السفير أنه أتم مأموريته التي جاء من أجلها وأعلن أنه سيأخذني معه إلى إيران بل زاد على ذلك أنني سأستمر في خدمة الحكومة بعد رجوعنا إلى طهران ، وقال إن رجلاً له مثل هذه الدراية والخبرة الواسعة بأحوال الفرنجستان سوف يتفقتنا نفعاً كبيراً في معاملة السفراء الموجودين في إيران »

ولم أكن أعتني فوق ما عرضه على السفير إذ أن سوء المعاملة التي لقيتها من الترك جعلتني أكره الإقامة بينهم فلم أعد أرى في مدينتهم ما يجعلها في عيني ، وكنت كلما ذكرت شكرليبي على صدري بالنيظ والحقد الشديدين

وكان قد مضى زمن طويل على حادثتي مع شيخ الملء في طهران ، وكنت قد علمت أن الملا نادان قد مزق جسده على آلة التعذيب وأن أرملة شيخ الملء التي تركتها بين أيدي قطاع الطريق لم ترجع

في إيطاليا ولا يني عن السعي في نشر دينه ، غير أننا لا نهم به وقد توقعنا إلى هداية كثير من تابعيه وهذا لا يمنع من العذاب الذي يصيبهم على ما قدمت أيديهم قبل اعتناقهم الإسلام ديناً »
فقلت لصاحبي : « لم يبق غير سؤال واحد ليس لي بمده سؤال وشكر لك على ما قدمت ، هل تذكر لي شيئاً عن الدنيا الجديدة فقد سمعت أخباراً متناقضة حيرت عقلي . كيف وصل الناس إليها أمن تحت الأرض أم بأية وسيلة ؟ »

فقال الكاتب : « ليس بيننا وبين من ذكرت علاقات كثيرة ، ولذلك لا أستطيع أن أقص عليك كثيراً من أخبارهم غير أن المرء يستطيع الوصول إلى الدنيا الجديدة على سفينة إذ رأينا هنا كثيراً من سفن الدنيا الجديدة وكلهم نصارى ضالون »
ثم تابع حديثه متهدداً : « كلهم نصارى مثل سكان الدنيا القديمة وسيكون مقامهم في جهنم وبئس المصير . هذه إرادة الله وحكمته »

ورأيت بعد ذلك أن الكاتب بدأ يتذمر ويتضجر فلم أسأله عن شيء آخر ، وكنا قد مضى علينا وقت طويل ونحن نتحدث فلم أطلب قهوة ولم أذخن وافترقنا بعد أن توعدنا على المقابلة ثانياً

الفصل السادس والسبعون

جاءني بابا يكتب تاريخ أوروبا

ورجع مع السفير إلى أبراهام

عدت إلى السفير فرحاً بطوباً بما ممي من الأخبار وبنجاحي في أول مهمة كلفت بها في حياتي السياسية

التي لا نهاية لها . وكان الذي يسمعون في احترامهم هذا وتعظيمهم لا يحضر بباله أننى نفس الرجل الذي ضحكوا منه وشهروا به منذ أقل من شهرين بل يستعد أننى رجل بلغ من سلطانه وقوته أن حياته أو موتهم يتوقفان على إشارة من بنانه

غير أننى لما استأذنت من عثمان أنا لم ألاحظ عليه أى تغيير ، ودلنى كلامه على أن عاطفته نحو ابن حلاق أصفهان هى من بطرا عليها أى تبديل وقال بلهجته المادية حين افترقنا : « إذهب يا بنى . إننى سأصلى وأبتهل إلى الله أن ينالك ما تصبو إليه نفسك من رقة ونجاح ، وأن يسدد الله خطواتك أينما ذهبت وفق أية حالة — سجيناً عند التركان ، أو عالماً من العلماء ، أو بائع غلابين ، أو أنا تركياً أو سفيراً فارسياً — كن ما شئت وسأدعو الله لك فى صلاتى »

وترك السفير اسكوتارى بعد أن انتهى من حفلات الوداع ، واستأذن الحكومة فى الرحيل ، وصحبه كثير من الفارسيين فى مسيره وظلوا معه نحو فرسخ ثم استأذوه فى المودة

وكانت رحلتنا هادئة لم يحصل فيها ما يستحق الذكر من يوم أن بدأنا السير إلى يوم دخولنا فارس وسمنا فى « أريقان » أخباراً مهمة غير واضحة غمما يشغل بال القوم وعمما يحدث فى البلاد إلى أن وصلنا إلى تبريز التي يحكمها عباس ميرزا فملنا أهم المسائل التي تشغل بال القوم وأهمها التشاحن بين السفيرين الفرنسى والإنكليزى وسمح الشاه لأولهما بالثول بين يديه وعدم استطاعة الثانى الثول أمام جلالته بعد وسمنا أخباراً عدة عما يبذل السفيران من الجهد

قط إلى فارس فاستنتجت من كل ذلك أن فى مقدورى أن أعود إلى الظهور فى فارس دون خوف

وقلت فى نفسى : « وإذا عرفت وظهرت حقيقتى فى الذى يمرؤ أن عيسى بأذى وأنا فى حماية رجال الحكومة ذوى النفوذ والجاه ؟ لقد استرد رئيس الجلادين جواده ومتاعه عند القبض على اللانادان ، وأغلب الظن أن الشيخ عبد الكريم قد تلقى ما لقيته سيده أرملة الملا بائى إذ لم يسمع عنه أى خبر فلست أخشى أن يعود إلى مطالبتي بالماله الطومان ، وأى شيء أخشاه بعد ذلك من العودة إلى طهران ؟ »

لم أر ما يجب على أن أخشاه إذ يكفى أن يسل القوم أننى فى خدمة الشاه لأسير مطمئناً فى تيه وعجب واختيال فى كل أنحاء البلاد الفارسية مهما يكن من ذنوبى ، وشجعت غريبتى هذه الأفكار فأخذت أجهز نفسى للرحيل مع السفير . غير أننى عقدت النية على أن أزور قبل رحيلى الخان الذى فيه أبناء وطنى لأتسكن من الظهور أمامهم بمظهر ذى النفوذ والسلطان بعد ما لقيت من الخزى والعار فى حادثى الأخيرة

وقد تعبت فى إقناعهم بأننى من موظفى السفارة ثم لم أخش بعد ذلك أن يهزأوا بى ويشخروا منى إذ لم يكده يستقر فى عقولهم أننى من أتباع السفير القوميين حتى كنت محل عنائهم واحترامهم ، وكانت الكلمات التي يوجهونها لى لا تقل عن : « إذا تفضلت » أو « إذا قبلت مكارمكم » أو « نرجو من مكارم حضرتمكم » ، وغير ذلك من كلمات التجميل والاحترام التي لا تنقطع وخطابات التعظيم والإجلال

لكم طريقاً في أرضنا أو نمادى أصدقاءنا القداماء :
الانكليز .

وقال سفير الانكليز من جهة أخرى : « ليس
للفرنسيين أى غرض في الهجى إلى فارس إلا مضايقتنا
ومنازعتنا فريد ألا تقبلوم في فارس » .

فقال الشاه : « كيف تريد أن نفعل ما تأباه
قوانين الضيافة ؟ إن أبواب قصرنا مفتوحة لكل
قاصد »

فقال السفير الانكليزى : « ولكن يجب أن
تضربوا صداقة أحدنا وعداء الآخر ، فإما أن تستمروا
أصدقاء لنا قطردوا السفير الفرنسى وإما أن تقبلوه
فتكونوا أعداءنا »

فأجاب الشاه : « ولم نمادى الناس لنسركم ؟
إننا نريد أن نكون أصدقاء الجميع » .

فقال السفير : « ولكن في استطاعتنا مساعدتكم
على نمو قوتكم وإعطائكم ما يلزمكم من المال »

فأجاب الشاه : « عافاك الله ! هذه مسألة أخرى
فأخبرنى ما قدر المال الذى تدفعونه فينتهى كل أمر ؟ »
كانت هذه هي الحال عند وصولنا إلى تبريز . ولما
كان وصول متبوعى السفير إلى طهران منتظراً بفارغ
صبر فلم تترث في سيرنا ولم نلبث كثيراً عند الأمير
عباس بل أسرعنا إلى السير . ووصلنا إلى مقر السلطان
في صباح أحد الأيام فشهدنا في طريقنا صفّاً طويلاً
من الفرسان معهم أمتعتهم ولا حظنا أنهم ليسوا
فارسيين وقد تبينا عند الاقتراب منهم أنهم من الفرنج
وكان يصحبهم ضابط فارسى من قبل الشاه
أخبرنا أن هؤلاء هم رجال السفارة الفرنسية راجعين
إلى بلادهم بعد أن أرسل إليهم الشاه خطاباً رقيقاً

في الوصول إلى أغراضهما ، وقد وصل التحجب
والاندھاش من الفارسيين مبلتھما عند رؤيتهما
النصارى يتركون بلادهم متحملين كثيراً من المشقة
والثب لیتساحنوا ويتأبدوا أمام شعب كامل يحترم
ويتمنى لهم الهلاك والموت الماجل .

أخذ السفير الفرنسى لكي يحصل على مطالبه
يذكر ملكه وعظمة مملكته وسيادتها في جميع أنحاء
أوروبا وعدد الجيوش الجارة التي يمكن أن ينزلها
امبراطوره إلى الميدان ، وقد أجاه الشاه عن كل
ذلك بما يأتي :

« قد يكون ما قلت صحيحاً ، ولكن مالنا نحن
ولقوتكم وعظمتكم ، وأية علاقة بين فرنسا وبين
إيران ؟ أى غرض لكم تسعون إلى تحقيقه ؟ »

فقال السفير : « غرضنا أن نفتح الهند ونخرجها
من يد الانكليز ، وزجو أن تسمحوا لنا بطريق
نمر منه في بلادكم » .

فقال الشاه : « وماذا نستفيد نحن ؟ قد تكون
رغبتكم في الهند قوية ، ولكن أى شأن لنا في هذا
ولم نسمع لجيوشكم بالمرور من أرضنا ؟ لا رغبة لنا
في ذلك » .

فأجاب السفير : « صبراً . فسنفتح لكم جرجان
وعلكم نغليس ، ونعطيكم من اعتداء الروس على
أرضكم في المستقبل ! » .

فقال الشاه : « هذه مسألة أخرى فحين تهرنون
لنا على صدق أقوالكم ، ونرى نتيجة أعمالكم ،
ونسلم أنه لم يبق روسى على جوانب القوزاق تصاعد
معكم ، ولكن قبل ذلك الوقت لا نستطيع أن نفتح

في فهم كلمة واحدة مما يرطنون به . وكل ما حسب
نفسى قادراً على تذكره أو رسمه ثلاثة ألفاظ سمعهم
يكررونها ، ويميلونها كثيراً في حديثهم . وهي
« سفير » و « باريس » و « الأمباطور » .

وخطر ببال أن هؤلاء الفرنسيين لن يغيروا
شيئاً من مراحهم أو ضحكهم ومجونهم يوم يحتوهم
نار جهنم في النار الآخرة ، وأن حلمهم فيها ستكون
مثل حلم التي رأيناها عليها في مقر السلطنة . واقترعنا
في الصباح التالي فسادوا ضاحكين صاخبين في طريقهم
وسرنا نفكر خائفين مما عسى أن يستقبلنا به الشاه
ملك الملوك

الفصل السابع والسبعون

وصف الاحتفال باستقبال سفير الفرنجة

استقبل رئيسي ميرزا فيروز في قصر الشاه
بالخفاوة والإكرام ، وسر الشاه من الإجابات الحاضرة
التي كان يتقافاها من سفيره على أسئلته المتعددة
الخاصة بشئون أوروبا فأظهر السفير بذلك أنه خليق
بمركزه جدير ببنائة مولاه وأن أحداً غيره لم يكن
ليقوم بما قام به في المهمة التي انتخب لها
كان لا يتوان لحظة في الإجابة على أسئلة الشاه
ولا تلتئم ولا يتلعجج ولم يبد عليه الجمل ولا وقفت
أمامه عثرة ولم ينطق أمام الشاه بكلمة « لا أعرف »
قط فقد كان يعلم أن هذه الكلمة مما لا تحتمل أذان
الملوك

وكان يرسل السجلات في رصانة ورزاة وثبات
ويتم القول قوياً مقنعاً حتى لا يمكن أن يخطر

بجروم فيه مفادرة البلاد . وأخبرنا ذلك الضابط
أن السفير الإنكليزي وأتباعه سيحلون محل الفرنسيين
قريباً . واستنتجنا مما رأينا بجمل سير الأمور في
حكومة إيران وأن الشاه أيده الله بنصر من عنده
قد استفاد من النزاع والشحناء بين الفرنسيين
والإنكليز . وقد دهش السفير الذي أحبه من تلك
النتيجة ومن البت في الأمر بهذه السرعة وعدم
انتظار الشاه له مع ما يحمل من أخبار أوروبا ، ولكن
سرعان ما فسر هذا تأثير المال الذي لا تقف أمامه
عقبة مهما عظم شأنها

سمحت لنا هذه الفرصة لملاحظة الفرنسيين
الذين سمنا عنهم كثيراً في الأيام الأخيرة . ولم يدم
السفير الفارسي وسيلة يتعرف بها بالسفير الفرنسي .
وانتظرنا أن نجد الفرنسيين منقبضى الصدور
منحلي العزيمة بسبب طردهم من حضرة الشاه ولكن
دهشتنا كانت عظيمة حين رأينا الأمر على نقيض
ما ظننا . لم تر إيران قبل هؤلاء القوم قوماً أكثر
مجوناً ولا عبثاً ولا جنوناً فقد كانوا يرقصون ويشنون
ويضحكون طول اليوم ، وكانوا يتحدثون جميعاً
في وقت واحد بأصوات تختلف في الملو والارتفاع
من غير فارق في المراتب إذ يظهر أنهم جميعاً من طبقة
واحدة في نهاية الانحطاط .

وكانوا يدوسون أبسطتنا بغير احترام مما أثار
عواطفتنا وحرك نفوسنا . وإذ كنت أحسب نفسي
ذا خبرة واسعة بأحوال الفرنجة لما قاسيته في الاستعلام
عنهم فقد حاولت أن أعرف إن كان يوجد تشابه
أو مشاكلة بين لغتنا وبين لغتهم ، غير أنني لم أجد

سبق السفير وحرصى على أن أظهر دونه علما ومنزلة
فكنت بين عاملين عامل الخوف من الظهور بمظهر
الجاهل ومحاذق أن أظهر بمظهر العالم

وعلى أية حال فقد نظر إلينا الفارسيون أبناء
وطنتنا كما ينظرون إلى أصحاب المعجزات إذ لم يكن
بينهم من يستطيع نقض ما نقول. وذكري ذلك بحكمة
رددتها الألسن وهي: «إن أى صوت يظهر كأنه النعمة
الذيذة في بلاد البكم، ولو كان الصوت صوت حمار»
عبد اللطيف الشار (يتبع)

على بال سامعيه خاطرة شك في قوله، وإن من أصنى
إليه وهو يتكلم عن أوربا ليخال أن السفير إنما واد
ونشأ وترى بينهم

وشاع بين القوم أن السفير استخدمنى في تصيد
أخبار الأوربيين وفي كتابة تاريخ أوربا فقلت شهرة
في معرفة العالم والملم بأحوال الناس، ولم يكن لى مثل
ما للسفير من قوة الحجة، والقدرة على الإقناع غير
أننى عزمت على أن أحمل ما فى وسعى فى الإجابة
على الأسئلة التى تلقى على بسرعة رغم خوفى من

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

خط رهاب فاخر وسريع بين الإسكندرية - جنوى - مرسيليا وبالكنس

أسعار الصيف ابتداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء للسفر

من مصر أو من أوربا

(من الإسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو بالكنس)

الباحرة كوتور

الباحرة التينيل

جك

جك

١٦

١٧

١٠

١٢

٩

٩

٥

٥

٣

٣

درجة أولى

درجة ثانية

درجة ثالثة : مخفضة (سياحة)

» ثالثة : (خصوصية)

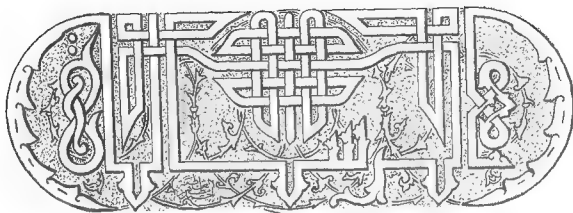
درجة رابعة

كوتور

ويمنح للذين يستخرجون تذاكر الذهاب والاياب ما خصم ٢٠٪ على قيمة تذكرة الاياب .

والأجور المبنية أعلاه بالعملة الانجليزية تحصل بواقع ٩٧ ١/٢ قرشا للجنبة الانجليزية .

مواعيد السفر من الإسكندرية :		الباحرة كوتور	
الباحرة التينيل	٤ مايو	» التينيل	٢٢ يونيو
» »	» ١٨	» كوتور	» ٢٩
» »	» ١	» كوتور	٦ يوليو
» كوتور	» ٨	» التينيل	» ١٣
» التينيل	» ١٥ يونيو	» كوتور	» ٢٠
		» التينيل	» ٢٧



مَجْلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالْثَقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعَبَقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيُو فِي النُّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِنَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الْإِسْتِزَارِ لِلْأَخِي سَتُونَ قَرْنًا ، وَالْحَاجِي مَيْسَرِي هَيْبَرِي مِصْرِيًا ، وَلِلْهَدْيِ الْعَرَبِيَّةِ بِمُخَصَّم ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

السرورية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والادب

نصره مؤتمناً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الثالثة

٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٦

من احسن القصص



فهرس العدد



صفحة	
٤٥٠	هل القى أحبه أمى ... عن الانجليزية ...
٤٦٥	سر السونو ... قصص مصرى ...
٤٧٢	البث ... الكاتب الفرنسى جى دى موباسان ...
٤٧٦	الراهبة ... قصة مسرحية في فصل واحد ...
٤٨٤	عندما افتتح الباب ... للكاتب الانجليزية مناره جراه ...
٤٨٨	فراق ... للكاتبين ماركس ووال وجورج مونتيك ...
٤٩٦	حاجى بابا أسفهانى ... الكاتب الانجليزى « جيمز مور » ...
	يُعلم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
	يُعلم الأستاذ درين خشفة ...
	يُعلم الأديب عادل الجال ...
	يُعلم الأنسة جميلة الملايل ...
	يُعلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
	يُعلم الأستاذ ناجى الططاوى ...
	يُعلم الأستاذ عبد القظيف النشار ...

الحياة ويرفها علينا ، فإذا
أحس منا أقل رغبة في شيء
من الترف والكليات أسرع
بتحقيق رغبتنا ، حريصاً على
أن نعيش في مستوى عال من
الحياة

الحب الذي أحببته أمي

قصة استحققت جائزة مائتين وخمسة
عشر الإنجليز
بفلم الأستاذ عبد الحليم حمدي

ولعل شعورنا نحو هذا

الأب الكريم كان أقرب إلى الاحترام منه إلى المحبة،
فلقد كنت أنا وأمى في جسم الأميرة كالمصنوعين
الآليين وكان أبى هو الرأس المدبر الناجح فيما يعمل.
فلما قتل في حادث تصادم في سكة الحديد — وكان
في الثالثة والأربعين من عمره — شعرنا بالخسارة
التي أصابتنا شعور البحارة بالخسارة التي تصيبهم
بموت ريان السفينة ، وازدادت الرابطة بيني وبينها
توتراً في سبيل المضي في الحياة بغير قائد.

ولم يكن في حياتنا ما يشغلنا من الناحية المادية
فقد ترك لنا أبى وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ كبير ،
فضيت في حياتي المدرسية على ما كنت في حياته .
وقضت ظروف التعليم بأن ننقل من البلدة الصغيرة
التي ولدت فيها بمقاطعة وورشترشير إلى مدينة
كبيرة من مدن ميدلاند حيث التحقت بالجامعة ،
ولما كنا غريبين في تلك المدينة فقد كان الكثيرون
من بروننا يحسبون أننا أخوان ، وكان البعض
يبتسمون لنا ابتسامات لا تخلو من معنى التساؤل
من نوع العلاقة التي بيني وبين السيدة التي
ترافقني على الدوام . ولقد كنا نترك هؤلاء
التساؤلين يتيهون طويلاً في خيرتهم قبل أن نعلمهم
على الحقيقة

« هل يستطيع أن يفهم يوماً ما كان يشمل
قلب أمه وزوجها ، تلك الأم الجميلة التي لا يمكن
أن يتم منظرها من غير فثاة عنفوان لم تمض
بد دور الأمومة ؟ »

لا أستطيع أن أذكر الوقت الذي بدأت فيه
العلاقة بيني وبين أمى تتشكل في صورة صداقة
بين رفيقين متقاربين في السن . وحتى في حياة أبى
— وقد كنت في الثانية عشرة عند موته — كان
سلوكي مع أمى سلوك الأخ مع أخته . ولعل السبب
في هذه العلاقة غير العادية بين أم وأبها أن أمى
تزوجت وهي فتاة صغيرة من رجل يكبرها بأربعة
عشر عاماً ، ولم تكن سنها يوم ولدتني تتجاوز
السابعة عشرة . وحين شئت وبدأت أعرف ما يدور
حولني في العالم الذي خرجت إليه ، أخذت أدرك
أن متاهي ومشاعلي الصبانية من الأمور التي يمكن
التفاهم عليها وحلها مع أمى الشابة الرقيقة الشموه
بأسهل مما يمكن ذلك مع أبى السكهل الذي تلزمه
طبيعة السكولة نوعاً من البؤس الجدي

وما أقصد بذلك إلى أن أقول إن أبى كان رجلاً
عسير الماشية فالأمر على العكس من ذلك ، فلقد
كان يسند على الدوام كل ما في جهده ليسهل لنا

نادزة بين الأمهات والأبناء

وكان يحدث أحياناً أن أرافق شباناً من سنى
في بعض الجولات ، وأن تخرج أوى وحدها لبعض
الأغراض الاجتماعية ، ولكن لم يكن أحدنا يسأل
الآخر عما عمله أو عن الأشخاص الذين التقى بهم
فلم تكن ثمة من حاجة إلى مثل هذا السؤال . فقد
كنا صريحين في أن يفضل كل منا في بعض
الظروف ما يلائم ذوقه من الترتيبات التي تتصل
باجتماعهم ببعض الأصدقاء أو المعارف

وإني لأذكر جيد الذكر مناقشة جدية نشأت
بينى وبين أوى على مائدة العشاء على أثر عبارات تفوهت
بها عن مركزنا الاجتماعي إذ قلت :
— أحسبك تطعن يا أوى أنه يجب أن نعمل
شيئاً في هذا الموضوع . فسألتنى :
— أى موضوع تعنى ؟

فاحتبست الكلمات لحظة في حلق ثم قلت :
— لقد سألت اليوم إحدى الفتيات أن تخرج
مى مساء يوم السبت المقبل ، فرفضت طلبى دون
أن تبدي أول الأمر سبباً لهذا الرفض ، ولكننى
حين ألححت عليها في تعرف السبب أجابتني صراحة
بأنها لن تشبك نفسها بأى رجل متزوج ! ولقد
اقتضى الأمر نصف ساعة لإقناعها بأن السيدة
الجميلة التي رأتى الناس معها أحياناً ليست امرأتى
فلم تجب أوى بشئ على هذا الكلام ولكن
بذت على وجهها نظرة غريبة
وبعد لحظات قالت أوى ، وقد انتقلنا من غرفة
المائدة إلى غرفة الجلوس :

كانت هذه النظلة العامة في تقدير العلاقة التي
بينى وبين أوى من أكبر بواعث تسليتها ، فكانت
تشم دائماً بروح الشباب والمرح ، وكان ذلك مما
يقوى رغبتها في الحرص على جمال شبابها ، أما فيما يتصل
بشخصى ، فقد كان انهماكى في تكوين نفسى
يحملنى على التفكير فيما سأضطلع به في المستقبل
حين أصبح رب أسرة ، وكنت أشعر بشئ من
الكبرياء والفخر حين يرانى الناس في محبة «أختى»
الجميلة ...

وحدث في ذات ليلة عند ما خرجنا آخر الليل
من حفلة ساهرة كنا من حضورها أن دنا أحد
الضيوف من أوى وقال لها إنه قد سره أن يلتقى زوجها .
فارتبكت لحظة — عند سماع كلامه — ولكنها
لم تلبث أن أدركت أنه كان يقصدنى بما يقول ، ولم
تلبث أن تبادلنا الابتسام ، وفي أثناء عودتنا إلى البيت
ضحكنا لهذا الحادث من أعماق قلوبنا
وقلت لأوى مازحاً :

— لقد بدأت أشعر بالإهانة في أن يحسبنى
الناس زوج سيدة عجوز مثلك !
فردت على بدورها برد لئلى لم أتيين معناب على
حقيقته قالت :

— وما ظنك بشعورى حين أراى مضطرة
لأن أسلك سلوكاً طليخة يلهاه ؟
نعم . لقد ازداد ارتباطاً وتلازماً على مر السنين .
كنا نحضر الحفلات معاً ، وكنا شريكين بأسباب
المرح والمرح ، وكنا نرحب مشتركين بأصدقاءنا ،
وفي الجملة نتمتع بجميع مباحج الحياة على صورة

قط في أن يحيطي نفسك ببعض الأصدقاء ؟
قالت :

— ولكنك تعرف يا « تيمى » أن لى أصدقاء
وأهمهم كثيرون ... وأناى ...
فقاطعتها بقولى :

— أقصد أصدقاء من الرجال ! فإنك ما زلت
صغيرة وفيك من الجاذبية ما يلقى أى رجل على قدميك
ولا يزال أمامك نصف حياتك تمنعين به ، ويستطيع
بعض الرجال أن يهيئ لك حياة بالغة السعادة حقاً .
إذا أنت سمحت له بذلك

فضحكت أى ضحكة غير مترنة وقالت :
— دع عنك هذا البله يا « تيم » لإذية حاجة
تدعونى لأن أطلب الزواج مرة ثانية ؟
قلت :

— ألا تريد أن يكون لك بيت خاص ؟
ألا تحبين أن يكون إلى جانبك رجل يحمل المتاع
المالية عن كتفك ؟ وإنك لتعلمين أننى لن أفيدك
أهدأ من هذه الناحية ، فما أنا إلا طفل كبير مدلل
لا فائدة منه ... وأنت المسؤولة عن ذلك !

وطالت المناقشة بيننا عنيفة مشبعة بروح المحبة
ولكننا لم ننته إلى نتيجة ، فحُت برجاجة من التبيذ
المتعق الذى يحتفظ به عادة لبعض الظروف الخاصة ،
وشربت نخب الاستقلال الجديد الذى لم يمتزج أحد
منا بأننا محتاجان إليه

وبقيت أى لحظة بعد هذا الحديث مشغولة البال
وقد ظهر لى أن المناقشة أقلقها قليلاً . وبدأ لى أننى
عرفت السبب فى ذلك . فلقد قضينا عدة أعوام

— لم يا « تيم » لا تكثر من اصطحاب
الفتيات ؟

فضحكت وقالت :
— ولم أكثر من ذلك ولم يبق فى الوجود
فتيات من ذوات العقول ، فكل ما تستطيع الفتيات
أن تعله الآن هو صبغ الوجوه وارتداء الثياب ،
واحتماء الكوكبتيل بغير حساب ، وهذا هو السبب
الذى يحتملى على أن أفضل الخروج مملك يا أى فلقد
جمعت كل شئ : الجمال والذكاء
فقالت أى :

— إننى جادة يا « تيم » فإنا أقول ، فهذا هو
الوقت الذى تبدأ تنظر فيه إلى الأمام ، فبعد قليل
ستحصل على إجازاتك العلمية ، وستجد لك مركزاً
تشغله ، ثم تشعر بحاجتك إلى الاستقرار ، والأيام
الطيبة التى قضيناها ولا تزال تقضيها مما هى من
الأوقات السعيدة حقاً ، ولكنى أحسبك تعلم أنها
لن تدوم إلى الأبد ، لأننا كلينا يا بنى نكبر مع الزمن
وأنا الآن فى السادسة والثلاثين
فقلت مازحاً :

— طفل فى الناية !
ولكنها قالت ملحة وقد بدت عليها سمات الجد :
— إن عليك أن ترسم خطتك فى حياتك
الشخصية ، وأنا أريد منك أن تكثر من الخروج
وأن تقابل أناساً من سنك وأن تتعرف بأهل
عصرك ..

فقلت ألقها :
— فليكن ، ولكن لماذا تعلمين أنت ؟ ألم تفكرى

وكنْتُ أسألكِ نفسى : ترى ما شأنُ هذا الرجلِ أو ذاك ، وهل يمكنُ أن تكونِ أُمى قد أحببتِ واحدًا من هؤلاء الأصدقاء ؟ وهل يمكنُ أن يصبحَ هذا الذى أحبته زوجًا لها صالحًا وأبًا طيبًا ؟ على أُنّى كنتِ أشعرُ بأنَّ فى كلِّ منهم تقصُّصًا فى نوع ما .

ويبدو لى أن رأى أُمى فى هؤلاء الأصدقاء كان متيفكًا مع رأى فهم . فقد كنتِ أرى على وجهها بعض الأحيان إشارات واضحة ثم عن نفس منكسرة يغالباها اليأس ، كأنما قد روعتها سرعة مرور الزمن وهى وحيدة لا شريك لها فى الحياة . وأردت فى يوم من الأيام أن أستمعها فترة من فترات مرحلتها الماضى قبلتها فى شوقٍ وقلت :

— لا فائدة يا أُمى فى هذه الحياة الجديدة . فما أستطيع أن آلف هؤلاء الفتيات اللواتى أخرج معهن . فما أجد فيهن من الفطنة والذكاء ما يحببنى فى عشرين

فأبست ابتسامة المستغفم وقالت :

— أى شئ تشكو الآن يا تيمى ؟

— لقد خرجت مرة أخرى ليلة أمس مع جوديت كارتر فقطعنا مرحلة فى السيارة ، ثم وقفنا حيث أكلنا قطعتين من الساندوتش وشرينا فانتجين من القهوة ، وبعد ذلك استأنفنا السير . فما فعلت فى أثناء ذلك غير أن لمبت المواقف بنفسها على حين فجأة ، فبدأت بقولها إننى شاب مدهش ، ثم انتهت بأن خطبتنى إلى نفسى بالقل ، أليس عجيبًا أمر هؤلاء الفتيات ؟ !

فصحكت أُمى ضحكة بدا فيها أثر التصنع وقالت

متلازمين فى منزل عن الناس وكناراضيين بحياتنا . أما الآن وهذا العالم الخارجى حولنا منتظر أن يدعونا لنفسه منفردين وأن يسلكنا فى حياة الأسر الواقع فإن الخوف قد بدأ يستولى على أُمى ، وكذلك شعرت أنا بالقلق من التغير الذى يتعارض مع أسلوب حياتنا ومن ذلك المساء سارت حياتنا على نغملها الأول مع فاروق أُنّى بدأت أزيد من اختلاطى بالفتيات والفتيان من سنى ، وأن أُمى أخفت تكلم من دعوة الأصدقاء إلى بيتنا بدل أن كانت تكلم من الخروج . كذلك أ كترت أنا من الخروج فى غير صحبتيها ، ولكننى كنت فى كل مرة أخرج فيها من غيرها أزداد شعورًا بعدم الاستقرار فى نفسى . ولم يكن فى مقدورى أن أتصور ما هو طارىء على من تغير ؟ وكنْتُ أبحر فى أمرى فى لحظات غريبة فأنا الآن إذ أنظر إلى الماضى أرى أنه لم يكن من الأمور العادية المألوفة . إن الحياة تتحدانى بما فى نفسى من رغبة ملحة فى العمل ، وبما فيها من مغريات مطالبا وقضاياها الكبيرة . فما أنا بمد الصبى ولكننى قد أصبحت رجلاً وبدأت أدرك إدراكًا تامًا ما على من المسؤوليات

كذلك أصبحت أُمى تظهر اهتمامًا متزايدًا برجال مختلفين ممن كانوا يأتون إلى بيتنا ليصحبوها إلى الخارج أو ليقضوا بعض الوقت فى التراسل معها ، ولقد أحببت أنا أكثرهم ، وكنْتُ أتعجب معهم وأسألهم فيما يتصل بلعبة البكرىك أو حفلات بطولة اللاكمة المقبلة أو الحوادث الجارية . وكنْتُ فى كل مرة أشعر بوجود أُمى وبأهمية هذه الزيارات

يضرب إلى السواد ، غضة الحيا لا تكاد العين تقع في وجهها على أثر خط من خطوط الزمن ، ولم أملك أن ساءلت نفسي إن كانت جوديت ستبدو حين تبلغ السادسة والثلاثين في مثل جمال أمي ونضارتها ؟ ثم دخل في جياتنا عنصر جديد ، ذلك هو ميخائيل راج

ومن اللحظة الأولى بدت لي عدة أمور : الأول أن ميك — وقد بدأت أدعوه بهذا الاسم للصغر في ثالث مرة لزيارته بيتنا — كان رجلاً محبوباً للدرجة غير عادية . والثاني الأسلوب الذي انتهجته أمي في معاملة هذا الرجل الطويل الحلي الهادئ الصوت . فقد ظهر عليها في اللحظة الأولى التي دخل فيها ميك الغرفة ، أنها قد دخلت في حياة جديدة وأن شرارة جديدة قد سرت إلى نفسها

تعرفت أمي بميخائيل في أحد الاجتماعات ، واشتد ميل أحدهما إلى الآخر عندما تبين أن بينهما ميلاً متبادلاً إلى الشفر ، وعلى وجه أخص شعر أحد شمراتنا الحديثين . وأحضر ميخائيل في إحدى زياراته كتاباً قدمه هدية لأمي فوطد ذلك دعائم الصداقة بينهما ...

أصبح ميك بعد ذلك زائراً لبيتنا مواظباً ، وأصبحنا جميعاً نتطلع إلى العشاء معاً ، وإلى تبادل الأحاديث وإلى الترويض جماعة في سيارته

ومضت فترة من الوقت قبل أن أبيع لنفسي الاعتقاد بأن بين أمي وبين ميك حباً متبادلاً ، وحتى بعد أن اعتقدت وجود ذلك الحب لم يكن في مقدوري أن أحلل المركز تحليلاً دقيقاً . فقد كانت

— ينحيل إلى أنك قد أكرت من الاجتماع بجوديت أم ترائي غمطه ؟

— بل أظن الأمر كما ترين . فإني أجمع بها مرتين في الأسبوع ولكن ليس بيننا شيء جدى — قد يكون ذلك من ناحيتك ؟ ولكن لمل الأمر في نظرها أكبر مما توهمته أنت يا تيم . فإن المرأة لا تخرج مع الرجل مرتين في الأسبوع فترة من الزمن دون أن تحمل الأمر بينه وبينها على محمل الجد ، وجوديت فتاة قد عثرت على الرجل الصالح في رأيها ؛ فأى شيء أقرب إلى الطبيعي من أن تبدأ تحمل بالبيت ، بالسعادة الباعثة ؟

فأنجلت عن سماع هذا الكلام ، وشرعت على حين فجأة بالحيرة والقلق يستوليان على نفسي وحاولت أن أنضحك من كلام أمي فقلت :

— كلام فارغ يا أمي ! إنك لا تستطيعين أن تتخلصي مني بمثل هذه السهولة ، فانت وأنا ملتصق أحداً بالآخر ويجب أن نستغل ذلك على خير الوجه وهنا روعت مرة أخرى بما بدا على وجه أمي من أثر الاضطراب النفسي والشعور باليأس والوحدة فهل يمكن أن تكون قد وقفت في لحظة من لحظات الانفعال من أحد الرجال مثل موقف جوديت مني ؟ لقد خطر لي هذا السؤال فتبينت أن تكون هي أيضاً قد وقفت على الرجل الصالح في رأيها !

نظرت إلى أمي نظرة الناقد الدقيق فرأيت كما رأيت في ظروف عديدة أنها حقاً جذابة . والحق أنها لم تبد يوماً في نظري كامرأة جاوزت الخامسة والعشرين من عمرها . كان شعرها غزيراً لونه نحاسي

— هلم يا وادى « تيم » ستصبح ولك أب جديد
فأراك في ذلك ؟

ولكن هذا اليوم لم يأت ، ومرت الأيام ثم
لحقت بها الأسابيع وتبعتها الأشهر ، وشعرت بأن
في الجو توترا غير طبيعي ، ولم أستطع كشف السر
في ذلك ، واستمر ميك جاعلاً من بيتنا مركزه
الرئيسي ، أما فبا يتصل بجميع المظاهر الخارجية
فقد تقدم حبه أى في طريق جديدة ، وقد بدأ يظهر
في عينه ما يبعث عن التخاذل والتعب ، كذلك بدا لي
أن أى تزح تحت عبء نفسى ثقل فقد أصبحت
تستسلم على غير عادتها للانفعال أحياناً ، وعلى الرغم
من أنها كانت تسرع فتعتمد من انفعالها ، فإني
كنت ألحظ أن هناك شيئاً غير طبيعي .

واستقر رأى في يوم من الأيام على أن أكشف
الحقيقة وقد وجدت أى مشتغلة بكى للملابس جلست
على مقربة منها وأشعلت سيجارة ثم قلت :

— متى تتزوجين من « ميك » يا أى ؟
وقد حاولت أن أبدو في صورة من خطر له هذا
السؤال عرضاً .

ولم تدهش أى لسؤالى ولم ترد على أن ابتمت
وقالت :

— لست أدري يا تيم ، فإن ميك يقول : إنه
لا يرجع من المال ما يكتفى لحياة الزوجية . فقد أصابه
سوء الحظ في السنوات الأخيرة وتأبى عليه كرامته
النفسية أن أمده يد المساعدة !

إذن ، لقد تكلمنا معاً في موضوع الزواج ،
وإذن كنت مصيباً فيما طلبته ، فشعرت في آن واحد

أى حتى ذاك تبدو متعالية فوق شؤون الحب وتنتظر
إليها نظرها إلى هتات من أعمال الفتيات الصغيرات
لا من أعمال أمهات لمن أولاد في سن التاسعة عشرة
على أننى احتفظت بأرائى في نفسى واعتزمت
أن أترك الأمور تسير في مجراها الطبيعي ، فهما يكن
من أمر ، وسواء تزوجت أى من ميك أم لم تزوج
منه فليس ذلك من شأنى . وصحيح أن هذا الزواج
— يترك شيئاً من الأثر في حياتى ، ولكن لأم أكن
أظن في الرجل إلا كل خير فقد شعرت بأننى لن
ألبث أن آلف التغير الجديد في حياتنا

وعلى كل حال كان من الحسن أن أشهد نضجة
جديدة وأن أرى شفاع النبطة يبدو من عيني أى ،
ولقد شكرت للأقدار أن حياتها قطرة من السعادة
ورجوت ألا تندم يوماً على اختيارها

ومشت قصة الغرام سريعة الخطى ، فكانت نادرة
تلك الليلة التى لا تجتمع فيها أى بميخائيل ، فكانا
دائماً يخرجان معاً في السيارة ويوزران أصدقاءهما معاً
أيضاً ، وكانا أحياناً يختلفان إلى دور التمثيل أو إلى
الحفلات الموسيقية . أما أنا فقد تركت لغرايى التي
لا أمتنى إذ بدأت أزداد اهتماماً وتعلقاً بمجوديت كارتر
فقد كانت فتاة ماهرة نشطة ، لم تمبث الخلاعة
بأخلاقتها ، ووجدت أننى أستطيع قضاء سهرة معها
أن أنعم بخير مما كنت أتصور أننى مستطيع أن
أنعم به

وكلا مررت الأيام ازدادت تعجباً لتأخر النتيجة
التي كنت أتوقعها ، فقد كنت كلما عدت إلى البيت
ووجدت أى مع صديقها انتظرت أن أسمع منها قولها :

بالسرور وبالأسف وقلت :

— وعلى فكرة أيمكن أن تقول لى بم يشتغل ميك ، فإني لم أعرف قط شيئاً يتصل بعمله فى الحياة .
أجابت أوى :

— إنه يشتغل مركز كاتب فى أحد المصانع الكبيرة بالمدينة ، فقد أضاع كل ماله وخسر عمله السابق ، فاضطر أن يقبل هذا المركز ليستعين به على الحياة .

ميك — كاتب صغير !

لم يكن الأمر أصراً المركز الذى يشغله الرجل ولكن ما كان يبدو على ميك من مظاهر الثقة الهادئة وحسن الجرؤمة كان يبعث عن كفايته وعن استعداده لأن يكون الأمر المطاع ... ولقد كان يحيل لى أنه على أقل تقدير من السامرة أو الليرين المالبين ...

وبدأ ميك يكتر من شرب الدخان ولست أدري إذا كان الباعث على ذلك رغبته فى أن ينسى ما أخذ يحيم على مجتمعا الثلاثى من الميوس والوجوم ، أو إن كان هناك باعث آخر لا أعرفه . وكل ما أعرفه أنه أصبح الآن يأتى إلى البيت مسلحاً بقنبينة من الوسكى ، كان يخلط به أنواعاً أخرى من المسكرات كذلك بدأت أوى تشرب الخمر من حين إلى حين وقد أفلقتى ذلك ، وإذ كنت عصياً فى كل شيء حتى فيما يتصل بالخمر ، فإني لم أكن أعارض فى شرب كأس من الكوكتيل فى بعض الظروف ، ولكن أوى كانت دائماً محافظة فى كل شيء ، تكتفى بتعرف مثل تجريبية من الحياة هنا وهناك : أما الآن

فقد بدا لى أن هناك نوعاً من الضجر الغريب يشغل نفسها ، كما لو أن هناك حاجة ملحة تدفعها خرمة فى الطريق التى تسلكها .

ولاحظت فى إحدى الليالى — بعد انصراف ميك — أن خطوات أوى لم تكن على ما عهدتها من الثبات والاتزان ، ولم ألبث أن صمقت إذ تبينت أنها كانت منتشية من الخمر ، فاستولى الغضب فجأة على نفسى . ثم بدأت أقول :

— ألا تظنين يا أوى أنك قد اندفعت أخيراً فى طريق الحياة اندفاعاً قد يكون شديداً بعض الشيء ؟

— فأزاحتنى من طريقها وغطت عينها بكفيها وقالت :

— لىذهب إلى فراشك يا نيم واركنى وحدي ولكنى أصررت على موقفي وقالت :

— يحيل لى أن ميك الذى يرى أن موقفه المالى السئ لا يسمح له بالزواج ، ينفق فى الوقت نفسه مالاً كثيراً فى ابتياع الخمر

ولأول مرة فى حياتى رأيت أوى تغضب غضباً حقيقياً ، فاقتربت منى ووقفت إلى جانب كرسى ، وكانت حينها ترقان غير مستقرتين وقالت :

أريد منك يا نيم ألا تقول مرة أخرى مثل هذا الكلام . فإني أملك وأنا ... على كل حال إن ما نعمله هو من شئوننا الخاصة ، وأريد منك ألا تتدخل فى أمرنا .

كانت هذه هى المرة الأولى بين أوى ونيمى ، فأخذت كل منا لحظة فى وجه الآخر ، ثم تلفتت

من الآلات البعث، وكانت آلة الراديو تذيع في أعلى درجاتها نغمت موسيقى «نجاز» من النوع الواسطى، وكان الجو مشبعاً برائحة السوسى ودخان السجائر وكان ميك وأنى مشغولين أحدهما بالآخر، وكانا يتبادلان الضحكات الفاترة المستهتر فلم يشعرَا بدخول

وشمرت بدافع جنونى يدفعنى إلى الوثوب على الرجل والقبض على عنقه، واستولى على الخوف من

الانفعالات الشديدة التى بدأت تنفث في صدرى وتقدمت إلى آلة الراديو فوقفت حركتها، ومضت لحظة لم يصل فيها أثر السكون الذى طرأ على الترفة إلى عقليهما اللذين غيبتهما الحيرة، ولكن يظهر أنهما قد تنبها على حين فجأة إلى أن الراديو لا يمكن أن يكون قد سكت من تلقاء نفسه، فالتفتنا وأحدنا في وجهى

وأظن أن أى لم تدرك في الثواني الأولى القليلة لشدة ذهولها، الخطر الحقيقى لحضورى في ذلك الوقت. جلست في مكانها وقد التصق شعرها بكل ناحية من وجعها، ونظرت إلى نظرة بلهائى. ولم أستطع أن أنظر إليها فحشرت نظرى في ميك، وما رأيت عينيه المحمرتين ووجهه الملتهب حتى انقلب شعور الغضب والغف الذى استولى على إلى احتقار واشتمزاز! أأكون ميك الذى وثقت به واعتقدت فيه أخلاق السادة هو المجرم الذى يرتكب هذا!

على أن تخيلتى لم تلبث أن طمسها ثورة مفاجئة فتقدمت خطوة نحوه، ولكننى مع ذلك لم أجبه (١)

واتجهت إلى السلم فصعدتها، وإذا شعرت بشغل في قلبى وجزعت فجأة من شيء لم أستطع أن أتبينه، فقد أوتيت إلى فراشى وحاولت أن أنام، ولكن النوم لم يعرف طريقه تلك الليلة إلى جنونى

وبعد ليال من هذا الحادث خرجت مع جوديت في سيارتى، وسألته أين تريد أن نذهب، فأجابت بأنها لا تفضل مكاناً على آخر، فقلت وأنا أشعر بشيء من الانقباض:

— لست أشعر برغبة في الذهاب إلى السينما، فهل توافقين على أن نتجول بعض الوقت في السيارة؟

فوافقت الفتاة على رأى

استقر في نفسى أن العمل بهذا الاقتراح هو خير الوسائل لتخلصى من التفكير في أمور معينة، فقلت لجوديت:

أظن أنه يحسن بنا أن نعود إلى البيت لأنى بصديرى من الصوف فإن سرعة السيارة تريد شعورنا بشدة البرد

وأدركت السيارة في طريق البيت حتى إذا وصلنا أمام الباب الخارجى وثبت من مقعدى تاركاً جوديت في انتظارى وأخرجت مفتاحى الخاص وفتحت الباب، وتذكرت أن أى وميك لا بد أن يكونا في هذا الوقت لا يزالان في البيت ... فاتجهت إلى غرفة الجلوس ...

وما أحسب أن النظر الذى وقفت عليه عيناى سيفارق تخيلتى ما حيث، فقد كانت الترفة مجموعة



بيدى . لقد كنت أكبر منه جسماً وأقوى عضلاً
غير أنني رأيتني غير مستطيع أن أمد إليه يداً بالأذى
فابتعدت عنه كما يبتعد الإنسان عن الأفعى
ووجدتني بعد ذلك أتحرك كاللمبة اللمبة التي
تحركها يد اللاعب بحيث متصل بأجزائها ، فإذا يدي
تبحث عن أحد أدراج المكتب ففتحته وأخرجت
منه مسدساً كان لأبي ، فحركت مفتاح الأمان ،
وصوبت فوهة المسدس إلى ميك . ، وقلت في نفمة
جامدة :

أبدأ من هذه الغرفة حياً

عندئذ صاحت أوى صيحة وحشية يائسة ردت
إلى رأسي كل ما أطاره المنظر من صواب . ولم تلبث
أن وثبت من مكانها فوقفت حائرة بيني وبين ميك .
وقد تجسم الرب في عينيها وأخذ أثر الحجر يتلاشى
مسرعا ، وقالت :

— تيمى ! تيمى ! لا تطلق النار ! تيمى ! إنك

لا تدري ما أنت فاعل !

كنت في هذه اللحظة أرتجف من فة رأسي
إلى إخص قدي ، وأحسست بجسمي كله يهزه

— ميك ... قف بعيداً فسأقتلك !
ولكنه جلس في مكانه مترنحاً محاولاً أن يلتقي
نظره بنظري ، وقد أخذ خطر المركز يبين له في بقاء
فرفع يداً مضطربة وقال :
— لا تطلق النار يا تيمى ! وضع جانباً هذا
المسدس قبل أن ينطلق !
فقلت :

— إنه سينطلق ، فقف وانتقل إلى هذه
الناحية ولا تحاول أن تبتعد عنها ، فإنك لن تخرج

وليس لدى ياتيم ما أعترض به مما حدث الليلة، وإلى متفق معك في أنني أخطأت، وأفهم جيداً كيف يبدو الأمر في نظرك، وكل ما أستطيع قوله هو أنني آسف لرؤيتك لنا في هذا الوقت، ولست ألتبس لنفسى الصبر من استسلامي للضعف، ولنكتفى ضعفت أول الأمر في مقاومة الحجر فلما خضعت لها. زادنى ضعفاً على ضعف فقاطعته في عنف قائلاً:

— أسرع وأوجز يا ميك فلم يبق أمامك في الحياة غير لحظات فتشهد الرجل تنهداً طويلاً وقال:

— إن ما قلته يا تيم، عن أمك منذ لحظة صدق كله، ولا يزال صدقاً، ففي كل الوقت الذي عرفتها فيه لم أسمع منها كلمة نافية ولم أشهد منها عملاً حقيراً، ويجب أن تتق بأن هذا هو شأنها الحق — سواء أصدقت مثل ذلك فيما يتصل بشخصي أم لم تصدق، ولكن اسمح لي يا تيم أن أسألك سؤالاً واحداً، فقد حدث أنك شربت شيئاً من الحجر، وما من شك في أن الحجر قد أثر في رأسك أحياناً، كذلك لا بد أن تكون قد شربت الحجر مع بعض الفتيات، فهلا توافقني إذا قلت إنه قد يسهل أحياناً حين ينتشى الإنسان بالشراب، أن يندفع غير مدرك إلى الشطط في تصرفاته؟

ما سمعت هذه الكلمات حتى شعرت فجأة بشيء من الضعف والدوار يستولى عليّ. فأغمضت عيني وأسندت يدي إلى المائدة لأحفظ توازني. ثم فتحت

الغضب الذي ملكني هنالك عتيفاً. وشعرت بثقل شديد في معدتي. وجأه رأيتني مندفعاً اندفاع اليأس لإنهاء هذا الموقف أسرع ما أستطيع وخرجت الكلمات من بين أسناني المتقلصة بطيئة قتالة

اتهمت الرجل — أتهمته بكل ما استطاع عقلي الشاب أن يصوره، فابيض وجه الرجل من قسوة التهم وحارقتها، ولكن لم يبد في عينيه أى أثر للخوف. وكأني به وهو يبحث عن الكلمات التي قد تميد إلى هذا الموقف الجنوني شيئاً من الهدوء والسكون، ولكنه لم يهتد إلى هذه الكلمات وسألتني أى في صوت ضعيف متهدج:

— ماذا أنت فاعل يا تيم؟ فلم أنظر إليها ولكنني أجبت على سؤالها، وقد جززت على أسناني وصوبت مسدسي وقلت: — سأقتل ميك فقال ميك في صوت هادئ هدهء غريباً: — لا، يا تيم! إنك لن تقتلني قبل أن تصنى إلى لحظة فلت غاضباً:

لن يكون فيما يمكن أن أقول ما ينبغي فاستمر في حديثه كأنه لم يسمعي وقال: — إنى أحب أمك يا تيم! أحببتها منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها، وأعتقد أنها هي أيضاً تحبني، وقد اعترمت أن أزواج منها، ولكن الناحية المالية هي التي جعلت هذا الزواج حتى الآن مستحيلاً

— ما هذا يا تيمى ؟ لقد بدأت أظن أنك
إنما تنسج الصدى نسيجاً ، ولكنك مع ذلك
لم تأت به !
ولكنها لم تكدر ترى وجهى حتى قطعت حديثها
ونظرت إلى نظرة استفهام فقلت :

- هل يضايك يا جوديت أن أوصلك إلى
بيتك مباشرة ؟ لقد حدث شيء لا أستطيع الآن
شرحه .

ولاشك في أنها لاحظت ما أنا فيه من اضطراب
فقد أجابتنى فى صوت خافت :
— فليكن ما تريد يا تيمى .

بقيت أسبوعاً كأننى فى حلم مزعج ، أحاول
ما استطعت أن أصرف عن مخيلتى ذلك المنظر الذى وقع
عليه نظرى فى تلك الليلة المشتومة . ولم أحاول قط
أن أتصل بأى ، واستأجرت غرفة فى أحد الفنادق ،
ولم أقرب مرة من البيت

وفى نهاية الأسبوع وجدتنى قد أصبحت هيكلاً
محطاً مضطرب الأعصاب ، أقضى الليالى فى أرق
فلا تنفوق عيناي طعم المنام ، وفى النهار لا تفارقنى
صورة ذلك المنظر الشيع . واجتهدت أن أختلط
بالناس لأنسى ، فكانوا يتلقوننى فى بشاشة وترحيب
ويسألونى عن أوى . وأخذت شيئاً فشيئاً أنعمود
الحياة الجافة ، وقد خيل إلى أنه من السيتحيل أن أجد
فى الحياة لذة بعد الآن

واستقر عزمى آخر الأمر على أن أهرج البلد ،
وصممت أن أبحث عن عمل وأن يكون عملاً شاقاً

عنى مرة أخرى ونظرت إلى ميك ... ميك الذى
كان واقعاً أمامى مستقيماً أبيض الوجه . ومع ذلك
كان شعور الاحتقار يملأ قلبى ، وما من شك
فى أن ميك قد لحظ ذلك فى عيني فغمز بعينه وهو
يدمدم :

— والآن إذا كنت لا تزال يا تيمى مصمماً على
قتلى فاضغط هذا الزناد واقض أرك !

خفدت فى الرجل ، وشمرت جفاة بأن جميع
أعصاب التوتر ترخى فى كل ناحية من نواحي جسمى
وبعد أن كان كل همى أن أقتل أصبح كل ما أطلبه
الآن أن أهرب . أردت أن أندفع خارجاً من الغرفة
فلا يقع نظرى بعد ذلك عليها ، ولا على الشخصين
الذين فيها . أردت أن أستبدل برائحة الوردى ،
والدخان المطبق فى جو الغرفة نسيم الليل الرطب النقي
فى الخلاء .

فالتفت إلى أوى وقلت :

- ليكن ما تريدن ، ولتندفعا فى طريقكما
على ما تشتهيان وسواء أتزوجكما أم لم تزوجا فإن
الأمر عندى سواء . ولكن لا تنتظرنى أن ترينى
مرة أخرى ما حيت ! لا تحاولن أن تبحن عنى ،
فإنى لم أربى من حاجة لأن أنظر إلى أوى منكبا
بعد الآن !

ثم التفت وخرجت من الغرفة فشعرت بنسيم
الليل كمنفحة من نفحات المطر الزكى ، وقصصت
إلى السيارة فتلفتى جوديت بضحكة قصيرة مرححة
وقالت :

أن أفكر إلا في أننا قد اجتمعنا مرة أخرى ،
وفي أنني لسبب سخيف قد أعددت حقيبة ملائي
بامتعى كما لو كنت ذاهبا إلى سباحة طويلة ،
أو ما يشبه ذلك :
وقلت مدسداً :

— لقد ... لقد كنت أعزم الذهاب
فنهبت وتعلقت بي وقالت :

— لا تذهب يا تيم ! فسيكون كل شيء على
ما تحب . لقد انتهيت من ميك وهجرة . وقد قلت له
إنني إذا خيرت بينه وبينك فإنني أختارك . وها أنا ذى
لم أره من ذلك اليوم

وحاولت أن أستعين بجميع الأسباب التي
تمكنتي من التمسك بعزى الأول ، ولكن كل
ما استطعت أن أحس به هو الشفقة على هذه المرأة
التي هي أمي . لقد كانت تتمتع عذاباً شديداً وهي
تتوسل إلى الشخص الوحيد الباقي لها في الحياة ليفر
لها ويساعدها . فكان كل ما قلته :

— لا بأس ، سننسى ! سننسى كل شيء ،
ولن نذكر اسمه بعد ذلك أبداً !

وخيل إلى أن الأمر سيصبح بعد ذلك سهلاً .
ظننت أننا باتفاقنا على أن نخرج ميك من محيط
حياتنا مستطعمين أن نستأنف سعادتنا الماضية .

ولكن لم يكن ذلك إلا وهماً لم يتحقق
فلم أستطع أن أنسى . فقد كنت إذا جلسنا
إلى المائدة أو تمددنا في غرفة الجلوس أختلس النظر
إلى أمي من حين إلى حين فأراها عذقة في تقابل

لا يتخلص من الحال التمسة التي أخذت تكتنفني
واتصلت تليفونيا بالبيت معتزماً أن أغير صوته
إذا تصادف أن ردت عليّ أمي ، ولكن مضت فترة
لم أتلق جواباً على الدق المتواصل فلمت أن ليس من
أحد في البيت ، فأمرعت إلى سيارتي ومضيت بها
إلى هناك ، منهزماً فرصة غياب أمي لأنني لم أكن
أريد أن ألتقي بها ، وقد اعترمت أن أنفذ تهديدي
بقطع كل علاقة بيني وبينها

وجئت البيت على الحالة نفسها التي تركتها عليها
فسمرت لحظة بالحنين إلى الدار ، فلقد كانت هذه
داري ، وهذا هو مربى الذي ألقته ، فما الذي أصاب
السعادة التي نعمنا بها حيناً ؟!

تسللت إلى غرفتي وبدأت أحزم حقائبي ،
حتى إذا انتهيت من عملي وأصبحت على إستعداد
لمغادرة البيت فتح الباب ودخلت أمي تحمل على
ساعديها كثيراً من أنواع البقالة . فلم تكدر ترائي
حتى وقفت فجأة وحقق أحدنا في الآخر . ولم تلبث
أن طرحت أحمالها وقذفت بنفسها عليّ وهي تزفر
زفيراً هستيرياً وتصيح :

— تيمي ! تيمي ! أين كنت ، لقد بحثت عنك
في كل مكان . آه يا تيم لقد خيل إلى أن نهاية العالم
قد حلت بنا

لم أدر ما أقول ، ولكنني أحسست أن عزيزتي
أخذت تتلاشى . فمن الجيب أننى شمرت بشيء
من السعادة إذ وجدتني مرة أخرى على مقربة من
والدتي ، وأحس ساعديها يطوقان عنق . ولم أستطع

بيدها ، وحاولت أن يكون صوتي رقيقاً بداعياً وأنا أقول :

- يا أمي ! إن بنيك الصغير تيمى سيضرب الصخر برأسه إذا لم تعودى إلى مداعبتة
فقلت :

- حسن يا تيمى ، وسأجهد ، سأجهد ..
ثم اخنقت صوتها . فنظرت إليها متألماً وقلت :
- ما هذا يا أمي ؟
فقلت :

- لا شيء يا تيم ، كل ما هناك أننى كنت تيمسة شقية ، وإنى لسرورة أن أراك فى البيت
بت تلك الليلة يقظان أفكر وقد غمر اليأس
نفسى إذ تبينت أمة على الرغم من المظاهر التى تبين
على حياتنا فإن شيئاً غريباً قد أصابنا ولن نكون
أبداء كما كنا من قبل أما وولداً . فهناك دائماً
ذلك الرضى ، ذلك الشيء الذى لم نستطع أن ننسأه ،
هذا الشيء سيطر علينا دائماً هازناً بنا يشعرا
بالتعاسة والشقاء

وفى يوم من أيام الآحاد بقيت وحدى فى البيت
واستقلت أُمى السيارة لزيارة بعض صديقاتها وقالت :
إنها لن تعود إلا متأخرة

فلما وجدت نفسى وحيداً خطر لى أن أتحول
فى غرف البيت لتبر غاية معينة ، ثم شرعت أقرأ
الصحيفة اليومية فلم أترك فيها سطراً لم أقرأه .
ولما انتهيت منها اضطجعت ودخنت عدة سجائر
مجتهداً فى أن أجد طريقاً للخلاص من الموقف الذى
بنا فيه

نظرتى بإتسامة حزينة أقابلها بإتسامة متكلفة ،
ولكن كان كل منا يعرف ما يفكر فيه الآخر ،
لقد كانت ذكرى مزجبة تلك التى تلازمت فى كل
مكان : أم مدنسنة فى نظرا ابنها ! أوجد شيء يستطيع
أن يطمس معالم هذه المأساة ؟ !

لقد أجهدت رأسى فى البحث عن الوسائل التى
أستطيع بها أن ألين ذلك التورالتى أصاب حياتنا
فابثت لها كثيراً من الهدايا ولكن الهدايا
لم تكن غطاء للفقران الذى لم أستطع أن أسيله عليها
وحاولت أن أدخل فى حديثنا للملح والنكات على
ما تودنا قبل أن نفارقنا السعادة ، ولكنها كلها
كانت تبدو مبتذلة جوفاء . وأخذت أعصابنا تزداد
كل يوم تضعضماً ، وعلى الرغم من أننا كنا نحاول
أن نكون لهجاتنا هادئة لا يتخللها شيء من الغضب
والانفعال فقد كنا نشمر أن لا بد من نهاية لهذه الحال
غير الطبيعية .

عدت ليلة إلى البيت فوجدت أُمى تنظر من
نافذة جامدة ، وكانت الغرفة مظلمة . فلما أدت
مفتاح الكهرباء رأيت عينيها محترتين كما لو كانت
تبكى ...

وأحسست طوفاناً من الندم يغمقنى وتمثل أمام
عيني رضى الأسف والحسرة يحول بين أُمى وبينى ،
وكان يسخر منا فى موقفنا العاجز ، وليس فى يدنا
ما نستطيع أن نملة للتخلص من براثنه .

كان يبدو على أُمى الانكسار والضعف والشعور
بالعزلة المؤلمة فلم أتحالك أن ركبت إلى جانبها وأمسكت

كذلك أنه أهدى أمى هذا الكتاب .

وعلى حين فجأة خطر لى الحل الذى أبحث عنه ، فكان كالشمع الذى يذوب فجأة فى زاوية مظلمة ، إن الحياة بين أمى وبينى لن تمود سيرتها الأولى حتى نعالج السبب الذى أدى لى ما نحن فيه ، ولم نكن حتى الآن قد جملنا شيئاً غير محاولة النسيان . فكان مجهودنا فى استرداد سعادتنا الضائعة مجهوداً رجعياً والحياة لا يمكن أن تمود إلى الوراء . لقد حاولنا أن ننسل إلى السكن الذى كنا نعيش فيه قبل أن نحل بنا المأساة ، ولكن منذ ذلك اليوم وقع من الأحداث ما يترك فى نفوسنا أثراً دائماً يحول دون ما نبغىه ما لم نحول هذه الأحداث إلى الطريق التى نلأعنا . وهناك أمر واحد ما فيه من شك ذلك أن

أمى قد أحببت منك وهى لا تزال تحبه !

شعرت فجأة بالحرارة والافتقار بملآن نفسى فوثبت مندفعاً إلى آلة التليفون ، وأدبرت رقفاً ووصل إلى أذنى صوت ألفتة من قبل حتى شعرت كأن شرارة كهربائية سرت فى كل جسمى وقلت :

— ميك ... ! ميك ... ! مرحى ... ! هذا تيم الذى يخاطبك ... ليسألك إذا كان لديك ما يحول دون مجيئك إلينا هذا المساء ؟ أرجو أن تحضر فالأمر جد هام ... فأنا ... أنا أريد أن أعترف من عدة أمور ... أود أن أسألك ... وأسألك إذا كنت ترغب فى مساعدتى فى رد السعادة إلى أمى ؟ ماذا تقول ؟ ستحضر ؟ أشكر لك يا ميك ! بقيت فى البيت وكأن فى حلقى سداً يكاد يخنقنى

ولم أتألك نفسى من التفكير فيما رأيت من إهمال أمى فى ارتداء ملابسها وهى تستعد للخروج ، ولا فى المظهر الحزين الذى بدا عليها وهى تحتجاز عتبة الباب

ولم يلبث نظرى القلق أن وقع على كتاب فوق المائدة ، وكنت قد رأيته عدة مرات من قبل ولكنى لم أفتح قط ، أما فى هذه الليلة ففتحته ، ونظرت متكاسلاً إلى غلافه ، لقد كان ديواناً من دواوين الشعر ، وهو الديوان الذى أهداه ميك لى أمى ، منذ زمن طويل ، وقرأت فى الورقة البيضاء التى تلى الغلاف هذه الكلمات : « تحيات إلى صديق جديد من ميخائيل دوج » ورجع تاريخ هذه الكتابة إلى عشرة أشهر مضت

حذقت فى الاسم منهشاً كيف لم يعد يؤثر فى نفسى ، ترى هل ضعفت ذاكرتى ؟ كم ترانى دخلت فى دور الجود وعدم الاكتراث ؟

قلبت صفحات الديوان فوقع نظرى على كثير من الأبيات التى رسمت تحتها خطوط بالجر الأحمر ، وكان جليلاً أن ميك هو الذى رسم هذه الخطوط وقد قرأت فوق أحد الأسماء هذه الكلمات : « لعل هذا يفسر لك بأسهل مما أستطيع ما حاولت أن أشرحه لك فى الليلة الماضية

وقرأت الشعر فتأثرت بما فى فكرته من جمال ورقة أدركت إذن أن ميك قد أحب هذا الشعر وقد أوصى أمى بقرائه ، لقد كنت نسيت أن مثل هذه الأفكار قد خطرت يوماً برأس ميك ونسيت

والوحدة وأشباح الذكريات السوداء التي كانت
تملأ حياتنا ...

لا وقعت بعد شهر من هذا اليوم، وأنا وجودت
في بهو الكنيسة الصغيرة الزينة بالأزهار وشهدنا
القسيس يعقد زواج أمي وميك، ساءت نفسي
مندهشاً كيف يستطيع ابن أن يبرر اتهامه أمه،
لأى سبب من الأسباب، إذا هو لم يكن أهلاً حتى
لأن يفهم الأمور التي يمكن أن تحتفظ بها أمه سرّاً
في قلبها؟

أما وجودت فقد أبدت إعجابها بحفلة الزواج
وجملها، ومن رأيها أنه يكون جيلاً أن تزوج في
الكنيسة نفسها ... في الخريف المقبل
عبد الحميد محمد

إلى أن جاء ميك. فتلقت يده، ودفعته إلى أحد
الكراسي، وساد السكون بيننا فترة طويلة كنت
في أثناءها أطل من الشباك عابراً عليك نفسي،
ولم ألبث أن سمعت صوت الرقيق المتعب من ورأى
يقول: « هنا فلتتظاهر يا تيم بأنني كنت هنا طوال
هذا اليوم. فقيم كنت أنت شاغلاً نفسك كل هذه
الساعات؟ »

وهكذا نبج ميك حيث فعلت أنا، في وضع
الأمر على أساس متين.

ترى هل بي من حاجة لأن أصف مظاهر
الدشنة والسرور التي ملأت وجه أمي عند مداخلت
البيت فرأيتني ألب الورق مع ميك؟ أبي من حاجة
لأن أصف كيف تلاشت هباء جميع المتاعب

المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترفت فتى
المصر لموسيه، والأديسة لهوميروس، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات
كبيرة و١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومنفوعة.

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجره البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بأثمانه الوترية

ص

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عند أجره البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

شرب السِّنُونُ

اقصص مصرية
بقلم الأستاذ مربي خشبة

يكون ملك الموت الكريم
ما زال يرف على القصر وينظر
في حزن إلى الزهر الأسوان
والشجر الكاسف أو أن يكون
قد قبض الروح هناك ، وشهد
ذلك النذر هنا ، فيحمل إلى الله
اللى رسالة البشرية الظالة مع
رسالة الموت الحق في آن ،
والله بكل شيء عليم ...

لقد علقت الملكة أها الملك وهويته كما هويت
زوجة العزيز نبي الله في مصر ، وكما هويت أتنايا
بليروفون في اليونان
ملك لا ترفين هذه الأسطورة ! إنها بعينها
قصة يوسف ، تلك القصة الرائعة التي تمثل على
مسرح الزمان في كل زمان ومكان

علقت للملكة أها الملك الذي شغفها جيا ؛ وقد
تردد أخو الملك أول الأمر ، وجعل يصارع جيروت
الحب ، لكن الملكة كانت جميلة وساحرة ، وكان
لها جسم ممشوق يثير النداء القديم في القلوب المحيطة
به ... لقد كانت تبتس كالنظير ، وترو بعينين مثل
عينيه ، تمهد لها ابتسامات النهم الجميل الدقيق المشتمل
كل سبيل إلى كل قلب ... لذلك لم يستطع أخو
الملك أن يقاوم طويلا ... فاستسلم ، وجرفه تيار
الحب ، وقامت العلاقات الأنيمة بينه وبين الملكة
ولما كانت الملكة هي التي تطارد عاشقها بمحبها
فلم تكن تخشى شيئا في سبيل لقائه والانفراد به ...
لقد كانت تنسرق في ظلام الليل من غلغع الزوج
الوفى المريض لتتقلب في أحضان خليلها للسكين ،
حتى إذا بلبت أيام قلبها الشرب رطحت دون أن تستشعر
(٢)

كانت تصنى إلى حديثه في اقتبائه شديد وذهل ،
وكانت الحجرة الفاتنة التي طالما تأججت بالنزول الملتهب
في خديها قد استحوطت إلى شحوب وصفرة ، وكانت
عينها النجلوان قد أخذتا ترتشان ، وقد بدا فيهما
أثر البكاء الصامت

وكان نعمان يروى لزوجته الجميلة المهيأة أسطورة
ساذجة مما يطالعه الناس عفوا في بطون الكتب
ولم يكن يدور بخله أن حديثه يتدفق في قلب فتاته
فيثير فيه الهم ويمكر عليه الصفو ، ويترعها من
أحلام الحاضر الجميل فيقذف بها في عالم الذكريات
— فلما مات الملك صفا الجو لأخيه الذي غاثت
الشمائل في فؤاده ، ورفضت الأبالة في رأسه ،
فلم يعطى على لقاء الملكة الفاجرة صبرا ، بل انطلق
في جنح الليل البهيم ليلقاها ... وكأما كانت ولإيه
على موعد ، فقد تركت جثة الزوج الراحل الوفى
بسيحة على سريرها ، وذهبت دون أن تدرف عليها
دمعة لتبادل البعثرات والتهاني هي وعشيقتها الأثم
وهناك ... تحت البوحة الخريزة الباكية التي
شهدت غرام الملك ، وسمعت عين الملكة ، أهوى
الماش الجديد على النعم العادر يقبله ، غير مهال أن

يقولون إن سرباً من الكراكى وعصافير السنونو كان آيياً من رحلته الطويلة إلى الشمال فشهد الغلام مستلقياً عند جذع الشجرة ، فذهب رائد الطير ليتحسس الجرح ، ثم عاد إلى السرب ، فها هي إلا لحظة حتى أقبل الطير كله يحمل الزهر الجميل فجعل يلقيه فوق الطفل ، ثم أخذ الطير يرف فوق الغابة ويعود بازهر ليصنع منه مهاداً وثيراً لولى العهد ... وانطلقت العصافير والكراكى ... وأصبح الصباح وأرسلت الشمس أشعتها كحلل الأفنان فسقط منها شمع فوق الطفل الذى لم يستيقظ بعد ...

وأقبل كركى جميل فجعل ينفى ويهتف بالطفل ، لكن الطفل ظل نائماً ولم يستيقظ ... وأقبل كركى آخر وأخذ يندب وينرد ، ويقف على الجبين الباهت الناضل الشاحب ... لكن الجبين الباهت الناضل الشاحب ظل ساكناً ولم يتحرك

وهنا وصل المسس الكثير ، ووقف الحراس مسبوهم مشدوهين ... وتقدم رئيسهم فأنهى فوق الجثة الهامدة فجعلها ، وجعل يعطرها بدمه الكريم الحزين ...

وحزفت الملكة ألياً ثم قامت إلى هواها فأخبت فيه من جديد كأنه لم يحدث هذا الحادث المؤلم لولى العهد .

— انتظرى فسأروى لك حديث الطفلة ... فهم يذكرون أنها ظلت ألياً تبكى ، وتسال أين ذهب أخوها ، وكانوا يقولون لها إنه ذهب ليحضر لها باقات الورود من الغابة ، وإنه لا يلبث أن يعود ... فلما مضى العام أو تصرم معظمه ولم يعد لولى العهد ، أخذت وحشة الفتاة اليتيمة تتضاعف ، وبدأت تحس حرارة الميش بعد أيها الملك وأخيها لولى العهد ... وبدأت

وخزة من ضميرها الميت ، فتجد زوجها يبكي ويشكو من علته ، ولو درى لبكى وشكا من زوجته ولم تمض أيام حتى كان العاشق وصياً على العرش وقائعاً مقام الطفل الصغير لولى العهد ، وراعياً للطفلة البائسة التى فقدت أباهما أشد ما تكون فى حاجة إليه ومضى عام أو نحو ، ثم قيل إن لولى العهد مريض ، وإن علته قاسية قاتلة ، وإنه فى حاجة إلى الشمس المنكسة من الثلج فوق قمم الجبال ترين ، هل كان مريضاً حقاً ؟ أم أراد الوصى على عرشه حاجة فى نفسه فهو يخفيها لحينها ؟ !

وذهبوا بالطفل البرى إلى قمة جبل منيف شاهق فى مملكة مجاورة ، وخصصت له طائفة من الخدم من بطانة الوصى

ولم تمض أشهر حتى جاء نبي لولى العهد ، ولكن ليس كما يمجى نبي أحد من الناس . لقد قصوا فى ذلك قصة عجيبة لو صدقت لكأنت أسطورة أو أسطورة ذكروا أن العلة اشتدت بالثلام الذى كان يضيئ بالنداء وبالخدم ، فتفنل حراسه وانسرق فى غابة قريبة ، فلم يزل يتنخلل بين الأشجار حتى أمن الأنتظار ثم انتصر ...

— أجل ، سأقص عليك كيف فعل ، فإنهم يروون فى ذلك قصة هى إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ...

يقولون إنه ما زال منطلقاً فى الغابة لا يدري أين يستقر ولا ماذا عساه يفعل ، وكان الطقس بارداً والرياح زهريراً ، فلما غربت الشمس أو كادت ، تطرح الغلام عند جذع شجرة هائلة ، ثم أخذت جفنيه سنة من النوم فاستغرق فى سبات عميق — انتظرى ، فسأروى لك كل شيء ... ثم

الذكريات والوقت ترقص في هواء الحديقة الخائفت
الكريه ... وأخذت قبلات الغرام الأثيم ترقص
مع الذكريات سافرة متبهكة مطلة على الملكة من
حلق النوار ومقل البفنضج وأعين الزجاج ، وأماق
البنسيه . وكانت هذه القبل تسقط كالسهام في حشاشة
الملكة لأنها كانت تنشر رائحة الماضي كأنها تنشر
رائحة صارخة من قبر قديم .. ومضت سنوات
قلائل ... ولم يعرف أحد أين ذهبت الأميرة الصغيرة
التي لم تكن قد بلغت السابعة من عمرها بعد

ووقت الجفوة بين الوصي الذي أصبح ملكاً
وبين الملكة التي لم تصبح شيئاً ... ولم يكن الملك
يجعل ما يقوم بنفس صاحبه من غيظ وحزن فكان
يحوطها بالجوايسيس ويرصد لها العيون كل مرصد ،
وكانت هي تحس بهم يحقدون بها ويتمرفون كل
حركة من حركاتها ، ولم تكن تجعل أنهم يفعلون
ذلك بأمر الملك ، وينقلون إليه خبر كل نفس من
أنفاسها ، وعدد الخطوات التي تخطوها في كل حجرة
وفي كل مكان

غرفت ذلك الملكة لحفظته وأصغره ونظاشرت
بالسكون ، وآثرت العزلة ، ثم راحت تدبر خطتها
للقضاء على غريمها

وقد عاونتها في ذلك خادمة عجوز من خدمها
الواني أقصين عنها بأمر الملك ، فزالتم تملق
بعض عيونها عليها وترشده وتمنعه بالأعطيات والهدايا .
والتي ، حتى أصبح أطوع لها من بناتها ، فلما
وثقت به أمرت إليه بما تحاوله من إقناذ الملكة من
عسف الملك ، فارتدت فرائسه أول الأمر ، ثم لان
قليلاً قليلاً ، ثم وعدّها أنه سيمعمل بما ترسم له حتى
تنجو الملكة ...

الدنيا تنقلب في عينيها وفي قلبها ظلاماً حالكا برغم
مباهج الملك المحيطة بها ، وبرغم الموسيقى التي تبكي
كل صباح ، وكل مساء في حدائق القصر ، وبرغم
الأنوار الخافتة المتألقة التي تحارب ظلمات الليل ،
فتطفي عليها الظلمات ، وتنتشر على لألأها ظلال
الحداد والحزن ... لأن ظلمات الليل وجدها تعرف
كل شيء ولأنها شهدت كل شيء

— ثم أصبح الصباح يوماً وجاءت وصيفة
الفتاة إلى الملكة وهي تصرخ وتندب وتشتق جيبها ،
لأن الفتاة فرت ، ولأنهم يبحثوا عنها في كل مكان
فلم يقفوا لها على أثر !!

هل ذهبت تسأل الناس عن النابة لتلقى أخاها ؟
إن النابة في أرض مملكة أخرى غير هذه المملكة
فيا ترى أين تذهب الفتاة ، ومن يدها على مكان
أخيها ، وهل يذكرها أحد أنه جثة هامدة ، أورقات
سحيق في قبر ضيق مظلم ... ؟

والجديد اليوم أن الملكة أخذت تستيقظ من
أحلام هواها ، لقد كان حزنها الجديد أمض على
نفسها من كل حزن ، لأنه حزن متجمع متمكن ،
ولأنه حزن صادف ما تفتح في نفس الوصي على
العرش من آماني ومآرب .. لقد شعرت الملكة أنه
يزيد أن يتخلص من كل الأشخاص الذين يضايقونه
ليخلص له الملك ، وليصبح الأمر الناهي ، وليكون
السيد المطلق ... ولقد شعرت أيضاً أن دورها قد
جاء مثل دور زوجها الملك ، ودور ابنتها ولي العهد
ودور ابنتها البريئة الضعيفة التي أبقت لأنهم لم تستطع
ذلك البعد القاهر الربر عن أخيها .

جلست الملكة وحيدة فريدة تحت البوابة
المهودة تفكر ثم تفكر ... وأخذت أطياف

أما أمه ... نعم ... أمه ... يا لهول اللقاء !
 لقد وضع فوق وجهها ثامناً حتى لا يراها وهو
 يكلمها ...
 — أجل ، هي لتلك الهيمية التي حسنت لك
 قتل أبي ، ثم أثارك بي لألحق بوالدى حتى يخلو
 لك الجو أنت وخليك
 — إصف عني يا بى واصفح ما دام الله القادر
 قد حرسك ، وإني لأقسم لك إن صدقت لى قسماً
 أننى كنت أريد به ما صنعته أنت أس !
 — ولم لا تريدن له ذلك وفى طبيعتك الشر ...
 إن مثلك لا يفكر إلا فى الجريمة لأنه فطر عليها
 — يا بى إنه الشيطان قد أضلنى فلا تقتلنى
 بكلامك ألف مرة قبل أن تقتلنى بسيفك مرة واحدة !
 — الشيطان ! ولكن يا بنات حواء دائماً
 تهمن الشيطان بما ليس بحسن شيئاً منه كما تحسنه
 إطمئنى ، فلن أقتلك ... لقد خسرت قيمتك لأنك
 شهدت عقي تديرك
 — حقاً يا بى ! وإنى على كل ما كان لك أسفة !
 — أحب أن أسألك قبل أن نفرق إلى الأبد
 لماذا عشت أبى وأنت لا تحبينه ؟
 — ترفق بى يا ولدى !
 — لا بد أن تحببى ؟
 — أقسم لك إذن أننى لم أحبه ، و ...
 — إذن لماذا تزوجته ؟
 — لأنه ملك وللتاج بريق يخلب ألباب المذاوى
 — أى أنك آثرت بريق الملك على موى القلب
 — هذا هو ! ولو كان لى يحفل ناصح ما فعلت .
 ذلك ! !
 — ولماذا كنت تحسبن نحوى باعتبارى ابنك
 الوحيد البكر ؟ !

وقد أطلع تدير العجوز ، وكان الرأى على أن
 تفاجئ الملك عصابة من الرجال الأقوياء ممن لم يقرأوا
 تصرفاته فى الوصاية ، ومن شوا رائحة الجريمة تنتشر
 فى كل تصرفاته منذ وفاة الملك ، فمقدوا الخناصر
 على القصاص منه لسيدهم وولى عهدهم ، وإن كانوا
 يعلمون أن الملكة فى كل ما تم يدأ مجرمة تستحق
 التقطع مثل يد عديم وأشد تنكيلاً ...
 وفى هداة ساكنة من ليالى أغسطس ، كانت
 أشباح ملثمة تنهذى كالظلال فى حديقة القصر ،
 وتقفز من شباك هناك إلى حجرة الملكة
 وقبل أن يتفلسق الفجر صمقت هذه الأشباح
 كلها ، لأنها سمعت صوتاً مدوياً فى ردهة العرش
 المجاورة لحدع الملك يسندهم فيقول : « مكانكم
 أبها الأشيقاء وإلا قتلتهم جميعاً ... ليترك كل منكم
 سلاحه على الأرض وليتقدم نحو السور ، ثم ليقف
 هناك حتى يؤذن له ... »
 وألقى التأمرون أسلحتهم ، ثم نظروا فأروا
 أشباحاً ملثمة أخرى تصوب محوم مهاماً لو طارت
 عن قسيها لنفذت فى صدورهم فقضت عليهم
 قضاء مبرماً
 وأشرق الشمس واستيقظت المدينة ، وما دى
 الناس إلا أن يروا شوارعهم تملج بمجنود كثيرين
 يهتفون باسم ولى عهدهم الذى زعموا أنه انتصر بالورد
 منذ عشر سنوات ... أو الذى زعموا أن عصفير
 السنونو قد قضت عليه بالورد حين قصدت أن تمهد
 له منه فراشاً
 وظل الجنود يهتفون للمكهم الشرعى ويطوفون
 فى المدينة برأس الطاغية ، وعرف الملك الفتى ما كان
 ينتويه الرجال اللثمون ففعا عنهم ...

— ألا أراها؟

— لن تريها على أنك أمها ، فقد أخبرتها منذ ثمان سنوات أنك ميت ، ففرحت ، ولم تدرب عليك دمة كما تفعل البنديات الصغيرات إذا توفيت أمهاتهن . وثق أمها إذا علمت أنك ماتت لأن حية فإنها تنقلب إلى طبيعتك الإجرامية وتقتلك .. أنا بالطبع لم أذكر لها شيئاً عن جرائك لأن مثل هذا لا ينبغي أن يقال للصغار — إذن سرُّ أن أراها مرة واحدة قبل أن أموت ...

— سترئها ، وإن كنت أكره لها ذلك ، لأن نظراتك تدنس كل إنسان تلحقه — ما أقساك !

— جاء اليوم الذي تعدين فيه كلمة قاسية أشد من قتل زوج وإزهاق روح ابن ، وهدم سعادة أسرة وتقويض مملكة ... إسمي ... احذري أن تذكرى لها شيئاً ، فإنك إن فعلت فإنها سوف تستفكك ولن تصدق من دعوالك شيئاً ... ثم لقيت الفتاة أمها دون أن تدري من هي ، وإن تكن قد عجبت للدموع التي كانت تنهمر من عينيها ... وعاشت الأم بعد ذلك في شبه دُرّ تصلى لله وتستغفره ، ثم مات ... ومن يدري ، عسى أن يفر لها الله ...

— انتظري فسأروى لك كيف فر ابن الملك ، وكيف كانت أسطورة عصافير السنونو والورد كذباً مقترى ، وكيف نشأ الفتي في بلاط أحد الملوك من أصدقاء أبيه ...

ولكن جريزة لم تشأ أن تصفى إلى الحديث

— ألا تترقب بي يا بني ؟

— قلت لك لا بد من أن يجيئ قبل أن نفرق إلى الأبد ، وأحب أن تصدق — كنت أحس نحوك بكل عبة وعطف إلا إذا ذكرت أباك

— فإذا كنت تحسبن إذن ؟

— كنت أمتنك ، لأنك ثمة زواجنا الذي لم يبق على دعائم من الحب — وأختي ؟!

— أختك ؟!

— أجل ... أختي التي فرت من عسفكم — إني أجد ريحها في كلامك ... أصدقني يا بني كما صدقتك ، هل تعرف أين هي أختك ؟ وماذا يهملك منها ؟

— يهمني منها . أنني كنت أحبها حباً لم أشعر به لا نحوك ولا نحو أبيك ... لقد قتلتني بعدها عني إن القيمة التي تمت بيني وبين عمك كان سببها بُد ابنتي ... لقد كرهته وكرهت الدنيا كلها . حين قيل لي إنها قُوت !

— عجيب أن توجد هذه القطرة من الخير في نفسك !

— ألا تقول لي إن كانت ما تزال على قيد الحياة ؟

— إذن فاطمئي ...

— إذن هي عاتية

— إنها عاتية

— وهل هي قريبة من هنا ؟

— بل هي هنا ... في هذا القصر !

— يجيئ !

— ماذا ؟!

- أكثر مما فعلت ... لقد كان القلق باديًا عليها ، وكان الوجوم يشتد بها. ثم يشتد كلما أوغل نمان في قصته المؤسفة المشجبة
- لقد نهضت وقد راح الممع ينهمر من عينيها الحزونتين ، ثم ذهبت إلى مخدعها ، فهب نمان في إثرها وقد ظن أنه سبب لها الألم بروايته تلك المأساة ... هب ليلاطفها ويرفقه عنها ، ويذهب عن فؤادها الحزن ... لكنها أغلقت الباب وراءها ، ثم قالت له حينها هتب بها : « انتظر قليلاً أرجوك ... » وهتب بها ثانية فلم ترد عليه ، فجلس على كرسي ذي مسندتين ، وراح يفكر فيما آلت إليه الحال من أمر تلك القصة ...
- وبعد قليل انفتح باب المخدع ، ثم برزت منه عزيزة في ثوب ضاف أسود ، وليس في وجهها أثر من دمام (تواليت) وفي يدها حقيبة صغيرة متنفخة قليلاً ، ثم قالت :
- نمان ... الوداع يا عزيزي !
- الوداع ؟! عزيزة ! ماذا تقولين ؟
- أقول لك الوداع ... إلى ذاهبة !
- رياه ماذا حصل ؟!
- لا شيء ...
- أصدقيني يا عزيزة ... أأست زوجتي ؟
- بلى ... أنا زوجتك ، ولكنني أرجوك أن ترسلني ...
- رياه ... أكاد أجن ... أريد أن أعرف ماذا حدث !
- لم يحدث شيء ... الأفضل لنا مما أنت
- ترسلني ، تصدق على الفتاة التي أحبتها كما أحبتك بكلمة الطلاق !
- ما هذا ؟ ماذا تقولين ؟ أأنت مريضة ؟
- لست مريضة قط !
- إذن ماذا حدث ؟
- أفضل ألا تعرف
- بل يجب أن أعرف !
- إذن ... وما دمت مُصبراً ، فاعلم أني خدعتك !
- خدعتني ؟ وكيف ؟
- خدعتك يوم بكيت لك ليلة زفافنا لتنفري زلتني ... ألم أقل لك إن شاباً أغواي ؟
- بلى ، ولقد غفرت لك ونسينا كل شيء ...
- إذن فاعلم أن أحداً من الناس لم يغفوي ، بل إلى كنت متروجة زوجاً لم أحبه ، فلما عاشرته ضقت به ثم هربت ، وقد لقيتني أنت فمطعت علي عطفاً جعلني أحبك بل أعبدك حتى نسيت السنوات الثلاث التي عشناها مع الرجل الأول
- وما في ذاك ؟!
- ألا تدري ؟
- لست أرى في كل ذلك شيئاً !
- بكلامك غريب يا نمان
- ليس غريباً كما تظنين !
- عجيب !
- أي عجيب ؟
- كيف أكون لك زوجة وأنا زوجة رجل آخر ؟!

— مشكلة !
— ألا ترسلني يا نمان ؟
— لا قيمة لكلمة الطلاق لأن زواجنا باطل !
— إذن وداعاً ... وداعاً أيها الرجل الذي
حانى ومد ظله على ... وداعاً رغبتى يا أعز الناس
على ... ماذا أعمل ... لقد ذكرت نجيماً وصفية
فدارت الأرض بى ، وضاعت على بما رحبت ...

هذه هي القصة التي رواها لنا نمان أفندى
عبد الجليل عند ما قابلناه مرة يتردد على مستشفى
المجاذيب حيث كان يزور زوجته عزيزة ، وقد ذكر لنا
أنها جنت لأن زوجها طردها لأن ابنها نجيماً ، وصفية
كانا قد اختارها الله ، ولأنه كان قد طلقها منذ
زمان بعيد .

دسرى خشيبة

آلام فرتر

للساهر القيسوف جوتة الأوّلانى

مترجمة بلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونحنها ١٥ قرشاً

— وما العمل إذن ؟
— سأذهب إلى زوجي الأول
— وأنت لا تحيينه ؟
— أجل !
— وكيف يكون هذا ؟
— لأنى لا أريد أن تكون آخرى مثل آخره
الملسكة بطة قصتك ؟
— ماذا تمنين ؟
— أعنى أن لى طفلين مثل الطفلين فى قصتك !!
— تمنين أنك تفضلين أن تعودى إليهما !
— أجل ... هو ذاك !
— وعبد الحميد !
— أوه ! عبد الحميد ! مسكين !
— هذه مشكلة يا نمان !
— مشكلة وأى مشكلة !
— لكنه ما يزال صغيراً ، وسينسى !
— أدعيه بنير أم ؟
— هذا من غير شك عزيز على ، لكنها
مصيبة ذات شطرين ، ولا بد ...
— لا بد ماذا ؟
— لا بد أن نقتسمها معاً .
— وهل تضمنين أن يقبلك رجلك الأول ؟
— من غير شك سوف يقبلنى ، لأنه كان
يمدنى ...
— وإذا لم يقبلك فما العمل ؟
— سأرى أولاً ...
— وكيف أقدمت على الزواج مني وأنت متزوجة ؟
— هذه زلة ، وإن تكن كبيرة ، لكنك
ستغفرها لى

في عينيه حين ارتشف كأسه
الأولى ... فما كاد يأتي على
الثانية حتى كان يلهمهما بعينيه
في نشوة وشراهة .. واستقرت
محتويات القدرح الثالث في جوفه
فتعم قائلًا دون أن يتم جملة :
« لو كان في إمكانك فقط
أيتها الآنسة ديزريه ... »

ومع فراغ القدرح الرابع كان يمان ممسكاً بشوب
الفتاة وهو يحاول تقييلها ...
وتمددت الكؤوس ... واكتملت عشراً ...
وحينئذ أرسل أوبان المجوز ابنته إلى الخارج وراح
هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه
الساهرين . كان أوبان رجلاً حاذقاً لا تخفى عليه
خافية ... فكان يترك ابنته تنقل رشاقتها بين الوائد
لإغراء الزبائن حتى يستريدوا من مخزونه تاركاً لها
مطلق الحرية في توزيع ألباساتها الرائعة وإرسال
سهام عينها إلى أفئدة المخمورين وهو واثق منها كل
الثقة دون أى محاولة من جانبها لاكتشاف سر ذلك
البريق الذى كان يشع من عينها .. البزيق الغامض
الذى كان يتمكس في أعواضها كلما حاولت امتحان
عواطفها لئلاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزريه مألوفاً لدى يمان من طول
تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو
في مركب صيده يشرأب شبابه في المياه الهادئة
أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يضيئها نومي
إليه في حلقة الليل الساجي . أو تحت ضوء القمر
الفضي الساهر ... فكان يطيل التفكير فيها ...
وكم كان يهنا بذلك التفكير وهو في جلسته عند

البعث

للكاتب الفرنسي جى دى فوباسان
بقلم الأديب عادل الجسّال

- ١ -

لم يكن هناك في قرية « فيكاسب » من يجهل
تاريخ الأم « يمان » الحافل بألوان الشقاء ...
كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة
زوجها لها طيلة حياته

اتخذها يمان زوجة له منذ عدة سنوات حين
كانت في نضارة الصبا وقد جباها القدر بقطر وافر
من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً
ماهرًا عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة المجوز « أوبان »
لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول ...
ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لفراغ معدته ...
بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثمانى أو عشر
كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلاً إذا ما كانت
صفقة صيده رابحة . وكانت ابنة أوبان هي التي
تشرّف بنفسها على خدمة رواد الحانة الذين أسرهم
عينها الحالكنت السوداء، وامتلكت أفئدتهم بنواها
الرائع للشوق

ويوم جاء يمان إلى تلك الحانة للمرة الأولى ...
اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين
وهو يشير إليها من طرف خفى . وازدادت فتنتها

بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ...
فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها
الحمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد في غضب
زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة
إلا في تلك الليلة التي اعتدى عليها فيها بالضرب
وخلال السنوات العشر التي تماقت بعدئذ .
لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن
تلك المعاملة القاسية التي كان يتيمها يأتان مع زوجها ،
لا شيء إلا لأنه كان موهوباً بالسليقة بلهجة في
سبابه لم يكن هناك في فيكاتب من يضارعه فيها
وعاشت المرأة للمسكنة في جوار الخوف والرعب
عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ،
عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجسل منها
هيكلًا هزيلًا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة .

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين
الرياح وهممة رياح البحر ... جلست على فراشها
وراحت أفكارها تتجمع في نقطة واحدة حتى تركزت
في ذكرى زوجها الغائب في مركبه وسط ذلك البحر
الثائر ، وسكن الصوت ... فاستلقت على فراشها
ولكنها لم تنكد تغمض عينيها حتى هبت فزعة
وقد روعها صوت الماصفة ، وقفزت من الفراش
ثم هرولت نحو الميناء التي كانت قد امتلأت
بمجموع النساء وقد حلت في أيديهن المصاييح يزن
بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك
لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين ... وظلوا
محدثين في المياه السوداء الممتدة أمامهم في جلال
وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة
وهي ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ،

(٤)

مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكّانه ... بينما
ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم ، وقد
راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادئ لئلا يبد
إجهادهم اليومي المرهق ... وفي كل تلك الحالات
التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تنسم إليه وهي
ترفع يدها لئلا تكسه بالرحيق الملون هامة وهي
تنأهب للاعتماد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حين تفكيره
كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبة التي كانت تلح
عليه في أن يتخذها حليمة له . وطلب يدها من أبيها
وأجيب يأتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً
وشباكاً ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ...
في حين كان أوبان المجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت
معدات الزفاف جون تأخير .

واقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها يأتان من الحلم
الذي كان يعيش فيه ، وهو يصعب كيف أنه اعتقد
بوماً أن تلك الفتاة وزوجه مختلف في شيء عن غيرها
من النساء .. وأبتدأ ينتم نفسه بالجنون ، ويعيب
عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي قيدت نفسها
به ... القيد الأبدي الذي استسلم إليه تحت تأثير
الحلم ... نعم ! لقد كانت الحُرْمى السبب في ذلك
الزواج ... الحُرْمى التي كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن
الفتاة قد مرّجتها يعض المقابر السحرية للأيقاع به
ولم يكف يأتان عن سب نفسه طوال ذلك
الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير
حتى ألقى فضلات التبغ التبقية في غليونه ، وراح
ينقل أسماك الواحدة إثر الأخرى ، وهو يغمغم غاضباً
وعندما وصل إلى منزله وجد زوجته — ابنة
أوبان المجوز — قابعة هناك كمادتها . فلم يحبها

وأخيراً... انتقلت ملكية البناء وقفه لـ «زيري»
بعد أن رفعت عنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتياً
وتعمت المرأة قائلة بنضب لها رأت نقطة
من السماء تلوح يدها حين لامست رقبته وهي تبضع
له شيئاً من الطعام في حجرها

— يا لله... لم أكن أعلم أنه جريح
وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت اللطائر
شيئاً من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء
ولم تكن أوار الفجر الوردية قد بدت بعد، حين
تمالى إلى أذني مدام باتان صوت واضح جلي يقول:
— ألم تستيقظي بعد أنها النكودة؟

لقد رجع زوجها أخيراً... فذلك الصوت
صوته وتلك عادته في مناداتها إذا ما استيقظ في
الصباح. وأحست برعشة تسري في عروقها فدفنت
وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف
ارتجافاً واضحاً وهي تتمتع قائلة لنفسها:

— يا إله السموات... لقد رجع ثانية
وها هو ذا... يا لله

وصرحت بضغ دقات دون أن يمكر بضغ السكون
الشامل صوت... فأخرجت رأسها من تحت الوسادة،
كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها رقبها وهو على
أتم استعداد للانجذاب عليها بالضرب كما كان في الماضي
البعيد... ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التي
اجتذبت محترق زجاج النافذة، فهمست قائلة لنفسها:

— لا بد أن يكون مخفياً في مكان ما
وظلت تنتظر... وطال انتظارها فماودها
بعض هدوئها ونخمت:

— إنني لم أره... إذا... لا بد أنني كنت
أهيم في وادي الأحلام
وأغمضت عينها مرة أخرى في اللحظة التي
ارتفع فيها صوت باتان كالرعد قائلاً:

ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة
وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر
صائداً قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم قط...
وكان باتان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة باتان «أميلي
الصفراء» إلى أحضان شاطئ «سان فاليري».
ولكنها لم تظهر أي أثر لجسد باتان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاماً
للأسماك... كما كان من الممكن أن يكون قد اشل
من المياه وأبحر مع منقذه إلى حيث يقصدون
وعودت المرأة نفسها الحياة كأرملة... ولكنها
إلى جانب ذلك لم تكن تتمتع عن استقبال سائل
أو مسافر أو بحار داخل غديها

وأغضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها
ومالت الشمس إلى المنيب... وهبت نسائم
باردة تنذر بإقتراب الليل... وفزعت الأطيوار إلى
أوكارها... في حين كانت المرأة تسير في شارع
«اليهود» وقد لفت نظرها منزل قبطان مجوز...
كان يقف يبابه «دلال» ينادي على أثاث المنزل
لبيمه... وفي تلك الآونة كان الرجل ممسكاً بقفص
قد استقر فيه يبياء وهو يهتف:

— ثلاثة فرنكات... طائر يتكلم كرجل
القانون... فقط ثلاثة فرنكات

وتعمت دزيري لسدق كان يتأبط ذراعها:
— يجب عليك شراءه فسيكون لك نم السمين.
إنني واثقة من أن ذلك الطائر يساوي ثلاثين فرنكا
تتقي من أنك تستطيع بيمه ثانية بشرين أو
خمس وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلاً:
هيا... أربعة فرنكات أيها السادة... أربعة
فرنكات... إنه يستطيع الترتيل، فياله من أعجوبة نادرة.

كان البقاء في قصصه تابع كلاً، وهو يحذف فيها بميتين كجرتين .

ونظرت إليه والدهشة تنمرها ثم تمتعت :
— إذا ... إنه أنت . وتكلم البقاء ثانية وهو يحرك رأسه :

انتظري ... انتظري قليلاً ... فسأني عليك درساً لتكوني أشد كسلاً منك الآن .

أي أحاسيس شعرت بها المرأة في تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بث مرة أخرى ... بث حياً في هيئة ذلك البقاء .

إذا ... سيمود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان في الماضي ... وسوف لا يمر يوم يهدوء ...

وجيرانها ... سيمودون حناً لفرء بها والسخرية منها وأسبغت المرأة نحو النفس فتفتحت . وأخرجت الطائر الذي راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدي

يديها ... ولكنها لم تتبأ به ... ونهالكت فوقه على أرض الترفة ... وراحت بكل قواها تضغط على رقبتة حتى سكنت حركته .

لم يعد يتحرك، لم يعد يتكلم، ولكنه كان مستكيناً استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مزينة ووضعها مع الجسد المسجى على الأرض في لقافة صغيرة ...

ثم هرولت إلى الخارج عارية القدمين ... وقذفت بالحزمة الحاوية لا ... للشئ الميت في مياه البحر الهادئة ... فبعت حزمة من الرسم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء .

وعادت إلى حجرتها فركت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت ... وراحت تبكي .

كانت تشعر أنها ارتكبت إثماً ... إنما هائل كأكبر الجنايات وحشية ... فابتدأت تدعو الله أن ينفر لها .

عاد الهمال

ألا زلت ناعمة أيها اللعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فرع المرأة الطيبة التي ظلت أربعة أعوام كاملة وهي تزح تحت عبء الذكرى الأليمة ... ذكرى المذاب الذي كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكره ... وهتفت :

— ها أنا ذى يا باتان ... ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها في دهشة ... ثم أخذت تبحث في كل مكان ... ولكنها لم تجد أحداً ...

ونهبالكت على مقعد بالقرب منها وهي تحس بروح باتان ترفرف فوق رأسها ... وأخيراً تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام ... لا بد وأن يكون مختبئاً هناك في انتظار مفاجأتها ... ثم ...

ثم العودة إلى نفس الحياة القاسية التي كانت تحياها من قبل ... ونظرت إلى سقف الترفة وهي تقول متسائلة :

— هل أنت فوق يا باتان ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت في الحجرة الصغيرة ترى ... لتراه ...

ولكنها لم تنمر عليه ... تجلس على الأرض وابتدأت تبكي وهي ترتد . ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول :

— أى جو وأى رياح ؟ ... إنني لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إنني هنا يا باتان .. ها أنا ذى في طريقي إليك لإعداد طعامك فلا تنضب ... ها أنا ذى آتية . وهبطت السلم بسرعة فائقة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها وأحست بضيق ميت ينمرها من رأسها لأخفى قديمها . وفكرت في أن تهرغ إلى الخارج مستغنية حين ارتفع صوت باتان قائلاً :

— إنني لم أتناول طعامي بعد أيها ...

إيزيس (متنيدة وقد غابها
مناسها) — ما زلت أجهل
يا أختاه الفارق بين اليقظة
والحلم ، نحن نعلم دائماً حتى
في يقظتنا ، لذلك أعتقد أن
اليقظة هي الحلم الصريح والحلم
هو اليقظة المتحركة

كاميليا (تجلس بجانبها
حانية) — أراك في هذه الأيام تمنين إلى العزلة ،
عزلة سكان الأرض (تشير إلى منزلها) حتى شغلك
يثبت أنك لاهية عنه ... ما الخبر ؟ هل من جديد ؟



إيزيس (في هدوء) — كاميليا ... يغفونها
لحاسها للهم النامس فتبكي بصوت خفيض)
كاميليا (في حرارة) — ربّاه ، أى شيطان
يراودها ؟ إيزيس هيا قولى إلى عرابك ليمود إليك

الراهبة

قصّة مسرّجة في فصل واحد
بقلم الأنيسة جميلة العلايلي

المشهد : إيزيس راهبة عناء جبلة ساحرة في الخامسة
والسبعين من عمرها ، جالسة تحت ظل شجرة
كثيفة بيّدة من بناء الدير وحديقته في طريق
أشبه بالصبراء الوحشة ترى المغزل في بطنه وتسدند
رأسها الجليل إلى يدها البيضاء مكددة في الأفق يصير
سارح وقدن شارد ، ثم تحول بصرها لترقب
ملياً رف عليها ثم حلق بيبيداً ، وأخيراً تقض
الطرف لتخفى دموعها التي بدأت تهيل وجبتها في
استحياء ولا تحد من قلبها غير يسة شاحبة مريرة

تفاجئها زميلة لها راهبة صبية قد جاوزت الأربعين من
عمرها ، عليها طابع العقل الرصين ، تنمش في موادها حتى
تقف بجانبها فتضع يدها على كتفها في حنو قائلة بصوت
خفيض بطي : —

إيزيس ، طالع بك الكثر هنا والجو مكفهر

غير بهيج

إيزيس (تنظر إليها في بطنه ثم تقول بصوت أشبه
بنفم الحلم العبق) — بالمعكس ، ما رأيته أبهج منه
اليوم .. أنظري إلى هذا النمام ! تأمليه . تأمليه جيداً .
ألا ترين اليقظة الحارة تسرى في شرايينه لتحبو
الكون حلاً يحمل خلاصة الرجاء والحزن ؟ ...

كاميليا (بلهجة للتناوبة) — ما عهدتك هكذا
تحمّلين عمان الدنيا وتخرجين من يقظة الحقيقة
القدسية ؟

اليوم أعمق فكراً وأعجز إحساساً ... لقد خلقني الله لأقدم رسالة الكل إلى الكل ، ولشد ما أجب كيف يمنحني الله حقاً ومجراً على البشر !

كاميليا (عاطفها وضع يدها على فمها) — كفى كفى لقد ازدت شططاً . خذار أن تسمعك الأم . إنها لا ترحمك مطلقاً وإذا غضبت لا ترضيها صلاة أعوام طوال ... لأنها تقضب لليسوع المهان ... قوى لنصلي معاً وليفر لك الرب ، وليشفع لك يسوع

إيزيس (بصوت البقن) — الرب يعلم حقيقة السرائر ويسوع يدرك الحقيقة . أما نحن فجهلاء آثمون .. نحارب الإثم بالإثم ونقول ذلك هو الإيمان . ما أقطع هذا ! قوى إلى عرابك يا أختاه ، لأن من يخاف لعب الشمس وبرد الشتاء ويفر من الوحوش لا يبلغ عمق الحقيقة أبداً ... أبداً

كاميليا — أى حقيقة يا بلهاء ؟ الحقيقة هناك ... تنتظر في معبدك القنسى تحت مصباح المنراء . أنظري (تشير إلى الصليب المعلق على صدرها) هذا علامة الحقيقة

إيزيس (تهرز رأسها مستنكرة ... يترامى إليها صوت نافوس البدر)

كاميليا — الصلاة ... هيا

إيزيس — دعيني ... لا يمكنني الصلاة الآن ...

كاميليا — عفوك يارب .. شد أزرها يا يسوع . إهربي من الشيطان يا أختاه ... وتعالى مي لتسردى إيمانك المفقود

إيزيس — من قال لك إنني فقدت لإعاني ؟ ومن أنت حتى تعرف خفايا الضائر ؟ الله وحده يعلم سرائر القلوب .. ألا يحتمل أن يكون الشرير

صوابك فلا شك أن الشيطان تابع في هذا المكان الذي ملأه ببسير السحر الكاذب والحلم الوهوم (تحاول إيمانها)

إيزيس ، تنتع من القيام) — كاميليا .. استمعي إلى . تعلمين أنني لجأت إلى البدر هرباً من أضاليل الجموع ، وتخلصاً من الذئاب البشرية التي تجري وراء الفريسة النسوية في كل مكان ... هربت لأن الله بقدر ما يمنعي من جهال ، وهب الآخرين جشع الجسد وضعف النفس . وقد زرعت عني كل رغبة

بشرية وتحررت من قيود كل مشوردنيوى لاعتقادي أن السعادة في خلو البال وتحرر الجسد من التزامات . أجل فررت من الرياض النضرة العاصرة بالأمان والأحلام ولجأت إلى الصحراء المقفرة مبهط الحقائق والسلام ... ولكنني أدركت أخيراً أن كل حياة مهما تنوعت صورها ناقصة مبتورة — كاميليا —

أصديقي ... ألا تشعرن بحاجة ماسة إلى شيء مجهول . ألا تحسبن في أعماق صدرك بعداب الحرمان؟ ألا توسوس لك نفسك أحياناً أن تدفئ ما تبقى من حمرك لقاء بعض أيام هنيئة مليئة بأعذب الآمال

كاميليا (مضطربة في حيرة) — ولكن هذا الأمل عبث يا إيزيس ، لقد وهبنا أنفسنا للمنراء ، وليس من حقنا أن نسترد الهبة .

إيزيس (في شبه ثورة) — المنراء لا تحل الباطل أبداً ... هذا وهم ... توارثته الأجيال . لا يمكن أن تكون المنراء أمانية وهي أطهر من الطهر ... كيف تحرم علينا حقاً مشروعا ؟ لقد تمتعت بالمنراء بحب وخيدها وتمتعت به إلى حين ... ذاقك الحب والأهومة ...

كاميليا (متكلفة منطق الحكمة) — اغفر لها يارب (تشير إلى الصليب) يا يسوع رد إليها صوابها إيزيس (في هدوء) — لست مجنونة . بل أنا

كاميليا - لا شك أنه أسابك مس من جنون
لا بد من مغارة الأم (تصرف)

الراهب - (بصوت لطيف) يا أختي الحسنة
أراك غاضبة ثائرة، علام ؟ ...
إيزيس - بدأت أفهم الحياة .

الراهب - خلقت الحياة لكي تكون خادمة لك
وأعتقد أن الرب يوم ولدت خلقك على مثال المنراء
جمالاً وطهرأ ، لا أكرمك عنك أنني أزداد إيماناً وقوة
كلما لحت وجهك التفسير ... آه ليت الدين حلل
للراهب أن يأنس بالجمال كما يأنس به ابن الحياة .
إيزيس - (متعجبة) هل تعني أنك تحبني ،
وتشبهني .

الراهب في ثورة وحاسة - كل الحب والشهوة
إيزيس (في دهاء المرأة) - وإذا طلبت منك
الفرار من هنا لنعيش سوياً كأبناء الحياة ، أتعجب ؟
الراهب (يتردد ويطلق مفكراً ملياً ثم يقول) -
ولم لا نجمع بين الدين واللذة ؟ ... لم لا أقتنع
بأخوتك مع تادية رسالتك الدينية ...
إيزيس (متأكدة) - تريد أن تتمتع بي وأنت
في لباس الراهب ؟

الراهب - منعة بريشة طبعاً
إيزيس - وهل تفرق بين النظرة الهممة
والاستمتاع الذي ؟

الراهب (خجلاً) - هناك فرق شاسع بين
نظرك الماطفية إليك وبين استمتاعي بك
إيزيس (في جد) - لا أفهم هذا أيها الراهب ؛
والذي أفهمه أنك أصرح ما عرفت من الرهبان ...
هم يحبسون شهواتهم وقد ينتفضون في خفاء وتفاق

السفك أكثر إيماناً من رجل يترا بمسوح الراهب ؟
كاميليا (تحفف مداسها) - إيزيس .. حسبك .
قوى واعتمدى على ذراعي

إيزيس - سأصلى هنا ... كل بقعة في الأرض
يجب أن تنال حظها من عبادة الله لأنه موجود في
كل مكان وهو يشرف على الحراب القمسي كما يشرف
على دار البني ، يمنح الأول رضاه، ويهب الثاني حكمة
الأناة ...
(يكرر دق الجرس)

كاميليا (في ثورة الغاضبة) - عجلى يا إيزيس
الصلاة تدعونا ...
إيزيس - اذهبي أنت ...

(يترأى إليها نفيذ الراهبات، يبدو لطيف راهب يتمنى
في طريقهما حتى يلفهما ... ويغفهم عن مشيئة أنه كان
ينفدجا) .

المشهد الثاني

كاميليا . إيزيس . الراهب
الراهب - طال بحثنا عنكما ... ألم يلسكنا نداء
الصلاة ؟

كاميليا - التوت ساق إيزيس فصعب عليها
السير ، وهانحن تان تنأهب للذهاب إلى الصلاة .
إيزيس - (محدة) لم الكذب يا كاميليا ؟
كاميليا - (تنظر إليها عابسة غاضبة) قلت الصدق
يا إيزيس ... أينجلك أن يسم الأخ أنك طفلة
لا تحسن السير ...

إيزيس - (متهمكة) أعرفت أننا لا نمتاز
عن أبناء الدنيا بغير قوة الكبت ، وبراعة التلقيق .
الراهب - ما معنى هذا ؟ لم أفهم شيئاً .

إيزيس - معناه أننا نكذب أيضاً وقد نسرق
وقد تقتل ونظلم . ولكن بأسلوب غير أسلوب الناس .
(تضحك في شبه جنون وسخرية)

الراهبة — آه، تريد أن تترهب لتتلم الحقيقة من الدير وتعتكف في الخراب لتتطهر من الرجس الذى تظنه يقطن في كل بقعة من بقاع الأرض؟ خير لك يا سيدى أن تبحث عن الحقيقة في هذا المكان المفقرفان فيه معنى لها. إبحث عن الحقيقة في النور وفي الضواء، وابحث عنها في المراقص والملاهي ودور الفاسد ... هناك النفوس عارية تمشي بحقيقتها الأصلية وإن أسموها حياة الكذب والخداع ...

الخداع والنفاق هنا حيث يتستر الإنسان بالدين ليقف الألسنة ويفمض العيون
الس كل شيء ... وذق كل شيء ... فإذا زهدت أخيراً فأنت من المؤمنين المتطهرين ...

أما أن تجيش نفسك بين جدران الهيام لتلقى الشر وتسمون نفسك من إغراء الحياة ... وتظن نفسك فاضلاً فأنت أضف الضمء وأكذب الكاذبين. إن استطلعت أن تمشي وسط الظلم صابراً وبين المجون طاهراً وفي أعماق الأضاليل زبهاً فأنت مؤمن قديس. أما أن تجس نفسك في الدير فأنت بالحرمان المطلق تمشي في كنف عبودية مراسيم لا تفقه لها معنى ولا حقيقة فأنت أشبه بالكافر ... وما الذى تجنيه من الدير؟ عقلك يصاب بالشلل

وقلبك ييليه السم، وأخيراً تموت
الرجل — سأموت عاجلاً أو آجلاً ولكننى أريد الموت على الصورة التى تحبب إلى ظلمة القبر وتوهن على وحشة الآخرة

الراهبة (متبكة) — أى صورة؟
الرجل (يتألمها طويلاً) — في صولتك حنائها وفى لحائك معانيها وفى معانيك فلسفتها ووحشيتها

أما أنت فقد استطلعت أن تكون أكثر شجاعة وجراً ... منزة طيبة على كل حال ... تقدرها المرأة ... لكن في غير المأبد .. لأن الرجل الذى يمجز عن كبت شهوته في المبد أكثر خطراً على المجتمع من الرجل الذى يقضى طوال النهار والليل في دور البهايا

الراهب (يمس وجهه ويترق عيناه ويثم) — أراك أسأت فهم مرماي؟

إيزيس — ظن ما شئت وتركته في مكانه بعد أن رمته بنظرة شذراء وراحت تسير الموهي ... تسمع صوت ناي بعيد يقترب منها رويداً ... رويداً ... فتتألمه ... تقف بثقة وهي تشد جمل صليها وتقول: يا يسوع ... ما هذا الصوت؟ كأنه صوت الشيطان جاء ليردنى إلى حظيرة الذكرى المريرة ... آه ...

(يقترب الصوت حتى تتبين أقدامه ويقرأ لها صورة الطيف)
(تقول بدمع) إنسان هنا .. تحاول الفرار (الصوت يستوقها) ... يا أختاه ... يا أختنا إيزيس (تنف) من ينادينى؟ ... يواجهها رجل في زى رعاة الغنم سقيم الجسم شاحب الوجه في صوته رنة حزن عميق دفين ...

المشهد الثالث

الراهبة . إيزيس . الرجل

الرجل — أنا

الراهبة — أعظمى أنت أم جائع أم قاه تبحث عن الطريق؟

الرجل — ظاى إلى الحقيقة، راعب في الموت ولكن بعد أن ... (يتهدج صوته تحت تأثير اضطراب قوى فتلثم ويسكت ثم يقول بعد عناء هذا الذى أراه هو الدير؟

الفصول والغايات

معجزة الشاعر اللاتب

ابن العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
فاقدوا أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صحه وصرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

تمه ثلاثون قرشاً غير أجره البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

الراهبة - (في اختناق) أجل ماتت فتاتك
الحبة ...

الرجل - إذن يجب أن أموت ... فأين قبرها
لأموت أمام به ، وأصلب نفسي على صليبه فأموت
شهيداً ... ؟

الراهبة (مثيرة إلى شجرة بيده) - هناك ...
حيث كانت دائماً ، وقد أوصت أن تدفن هناك
الرجل (يزعم تحت لدمها) - باركيني يا أختاه
واذكريني عند ربك بأنني مت شهيداً إذ كفرت عن
ذني - باركيني يا أختاه قبل أن أموت - ولتشهدني
موتى لتذكريني عند ربك بأنفاسك الطاهرة .

الراهبة - (تباركه) غفر الله لك .

الرجل (يحمي موليا وجهه شطر الشجرة التي أشارت
إليها وهي تنبه في صمت رهيب وحزن قاتل حتى يبلغ
الشجرة) - هنا دفنت ؟

الراهبة - أجل

الرجل - باركيني مرة أخرى

الراهبة (تشير بلامعة الصليب) - غفر الله لك

الرجل (يخرج الخنبر ويصبه إلى صدره متمتماً) -

متمتماً ... إيزيس ... إيزيس ... هاأنذا أجيتك
مغتسلاً بدى لأبلنك طاهراً

الراهبة (تأخذ الخنبر من يده صارخة) -

زكي ... ماتت إيزيس الساذجة ... وعاشت إيزيس
المتحصنة الماكرة ... وستحيا للحياة بعد اليوم ...

الرجل (صارخاً في بصر وطلاقة) - إيزيس !

الراهبة - زكي !

إلى الحياة ... إلى الحقيقة ...

محمد حسن الزيات

الريحمة والنهاية السارة المغنمة .

وقد لا تخلص من ضيق يسبيه

لك استطلاع أنارته قصة بتراء

على حين تكون قد أنسيت

من القصص الكاملة كما

كبيراً

فقد ركبت القطار في طريق

المود إلى مثنوى من إحدى

الضواحي ، وكان أن جلست في ثوبى به أشخاص

ثلاثة : رجل أسود الشعر قسم الوجه وسميه بحوّم

حول الأربعين ، وزوجان فصلت بينهما السن فالرجل

كما يبدو يكبر زوجه ، وكان يلوح أن نزاعاً حل

بينهما قبل أن أجد الثوبى ، فقد كانت سحب الغضب

والحدة تظلل وجه الزوجة ، بينما كان الرجل حزينا

مهموماً

وقد بادل الزوج جله الغريب كلمات قلائل

بلهجة المتعارفين من قبل حتى يسدل على ماحدث

ستاراً . أما السيدة — فلي النقيض — لم تحاول

أن تخفي شعورها فقد استوت سادسة كأن على رأسها

الطير ، مقنعة رأسها تحديق في الظلام ، حتى إذا

ما وقف القطار ومد لها زوجها ذراعه ، غادرا الثوبى

فأُسِيت مع الثالث وحدى

وأنشأنا نرتب الزوجين إذ يسيران سوياً . وكان

طبيعياً أن يستأفنا التشاحن قبل أن يسيرا بضع

خطوات ، وكان رفيق السفر يواجهنى ، فلما أن

اختفى الزوجان تالتت أميننا في نظرة كلهما تفاهم

وإدراك ، وهن كفتيه هزة خفيفة ساخرة فرائيتى

أقول على رغم منى :

من روايت الأديب يونس

عندما انفج البئر

للنكبة الإنجليزية سارة جراهام
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

لطالما التمت في الحياة بارقات لوامح ، وقت

لدينا حادثات خوارق ، دون أن تلق إليها السمع

أو نجد البصر . حادثات بارقات تضطرب في قاموس

الحياة الهادرة ، وتقوى في رحيات الدنيا الصاخبة ،

وتضيق وسط المصيج واللجب ، حادثات غامضات

ترف أمام الناس في المدينة الراخرة ، والمركبات

الفارمة ، وفي السيارات العامة ، تتوالت على طوار

القُطر ، في عرابت تقف وتغرّ ؛ تترامى في أعمال

الناس صغيرة درجت عليها حياتهم رتيبة ناعمة طوال

الليل والنهار

وفي الحياة قصص أى قصص : قصص بَنَتْه

شقى المواطف وأُغْلِقَتْ ونسجته مختلف المشاعر

والأحاسيس : نبالة ونذالة وبطولة ، حب ومقت

ورذيلة ؛ وقصص يتوالى فيها تصاوير الأفراح وتهاويل

المكسب والآلام

ولو كان بين يديك قصة تقتصر على بداءة

حُجب ، فأى شوق يمدوك إلى معرفة النهاية ؛ وإن

كانت نهاية فأى نصب لتلقاه في تصور البداية ؟

وإنه لما يثير النيط أن يكون في القصة البتراء من

الروعة ما تقتصر عنه القصة الكاملة ذات البداية

كل من يقرأ أن يقرأه . ومن رأى أنه إذا انعدمت الثقة بين الزوجين فلا يجديهما الشجار شيئاً ، ولا تخلف الشحنة بينهما هذه الثقة المفقودة . غير أنى لا أجيز ترك الحمل على الغارب لفئة صغيرة رضاء . إن ما يريده المرأة رفيقاً لا ولياً ، صديقاً لا قتيلاً ، وكثيراً ما يأتى المقلاء - كما أسلفت - في حياتهم الزوجية بأخطاء جسيمة منكرة . لقد تزوجت فتاة تصفنى بسنوات عشر ولا أظن أن هذا الفرق في العمرين جد كبير إذا كان بين الاثنين توافق في الطبع وامتزاج في الخلق ؛ غير أننا كنا على طرفي تقيض . إذ كنت أهمي بالحياة الهادئة الساجية المفعمة بالفنون والأدب ، وأمقت ترجية الوقت بالثرثرة في الحفلات والولائم مقتناً كبيراً ، وكانت زوجي تضيق بكل ألوان الفن ، وليس ثمة شيء يدخل على نفسها أسباب المرح والسرور أكثر من وجودها بين جمع صاحب وحفل جياش . وقد أجمعت أمري على أن أضعها وما تهوى فلا أسألهما مرة البقاء معي في البيت على أن تدعى معي أيضاً وما أبني فلا تطلب إلى مصاحبتي إلى حفلاتها ومآذبي . وبالرغم من ذلك الحب الكبير الذي يجمع بيني وبينها لم أستطع أن أدرك لماذا جهد كل منا في العمل على توحيد أمرجنتنا المختلفة وأخلاقنا المتباينة . إن الزواج لموفق ناجح إذا كان أساسه التجانس في الأخلاق والتجاذب في الطبع . ولبت شعري لم يجلب الزوجان المختلفان في الزواج التناقضان في الطبع على نفسيهما الشقاء والبؤس إلىس في توحيد أخلاقهما . وفي وسع كل منهما أن يتخذ سبيله التي يجب على

— كم كان بؤى أن أحضهما النصيح .. فتهد الرجل وقال :

— آه ! وأنا أيضاً ، ولكن ليس من اليسير السهل أن يفعل المرء ذلك في هذه الحال — أحسبك توقن بأن الناس يملون من أصرم أكثر مما يعلم الآخرون

— كلا ، فليس هذا من رأيي ، فالنظارة ترى أكثر مما يرى اللاعبون كما تعلمين ، ومع ذلك فن البعث أن يحض المرء زوجين على خلاف وتنازع نصيحة خاصة إذا كان كلامها صلب الدماغ خاطي الرأى ، وحتى العاقل الزين من الناس ذو القلب الطيب والمرى الشريف نراه يأتى أحياناً بأخطاء فاحشة شنيعة على إدراكه فداحة هذه الأخطاء وجسامتها . والآن هذا الرجل — كان هنا منذ لحظات ، كان يقرب زوجه ويحملها على المكوت ويلزمها الصمت ، أو على الأقل يريد أن يبسط عليها حمايته كما لو كانت تجهل كيف تمسوس نفسها وتعاك قياد أمرها . في يقيني أنها ستحمل له الكره والمسخط والشحناء وسيحملها — ولا ريب — على انتهاج سبيل ربأ بها أن تسلكها ، ويتحاشى أن تضرب فيها . أراي عاجزاً عن أن أفهم لم يبيح الرجل لنفسه أن يتخذ من زوجه عبداً يطيمه ولا يصح له أمراً ، فأنا أؤثر أن أمنح المرأة حرية غير موكوسة إلا في حالات خاصة

— ولكن غالباً ما يكون لهذه الحرية الطلقة عواقب وخيمة ، وكيف يميز المرء هذه الحال الخاصة ؟ — أوه ! لا صعوبة أبنته في ذلك . إن أخلاق النساء كتاب مفتوح في سنن الباكورة ، وفي وسع

وحدى، فأمسكت بكتاب وأشملت سيجاراً؛ ولكن تبلى ذهني وعزب لي حيناً حاولت القراءة فنحيتُ الكتاب جانباً، واستويت في جلستي أذعن وأسرّح الخيال المضطرب في أجواء شتى

وبدأت أفكر : ترى ماذا تصنع زوجي في الكرنفال الآن ؟ وهل قابلت أصدقاءها ؟ وجل بخطري أنها ربما لا تلتق بهم . وقد يسبب لها ذلك شيئاً من الارتباك والحيرة . وإن مثل هذه الحفلات السامة لتجمع خلقاً كثيرين من شتى الطبقات والأجناس . وهناك بعض الحرية والإباحية لا سيما والوجوه ملثمة مقنعة . وزوجي حتى في هذا الثوب — ثوب الدومينو — تبدو جميلة ساحرة . وقد زيجها من لا أخلاق لهم من الذين يشنون هذه الحفلات كثيراً . وقد تكون الآن تراقص احراً راغبة عنه زاهدة فيه . أتراني أعبت في تركي لها تذهب وحدها؟ وبخاءة أقيت سيجاري في الموقد وفزعت واقفاً ولما أهتد لأمر . وأعملت فكرى قليلاً : آه ! إن لى ثوباً تنكرتُ به مرة إلى إحدى حفلات الكرنفال عند ما كنت غريباً . كان ثوب «دون إسماني» من الخمل الأسود من عهد فيليب الرابع . وقد كان يحق زياً جميلاً اقتبس من صورة وأحكم صنعه . وقد كنت أعجب بنفسى أى إعجاب وأنا أردت به . وذهبت إلى غرقتي التي جعلت منها «استديو» وفي إحدى التلذذات أقيت الثوب وقناعه

كان الوقت مبكراً . لما إذن لا أردت به وأذهب إلى الكرنفال ؟ لقد استقلت زوجي المركبة ، بيد أنه بجوارنا اصطبل للمربات . ثم استدعيت الخادم وأرسلته في طلب عربة

أن يرقب بعض الفرص السامحة فيسعدونيم برفيقه؟ إننى موقن أن هذه هي السبيل الوحيدة المؤدية إلى السعادة في الحياة الزوجية المقامة على أساس متباين الأركان من الأخلاق والطباع . ألا ترين مى أنهما يدعمان حياتهما بالتلاق من حين لحن يتناقلان الكلمات الحلوة ويتجادبان الأحاديث المسولة

أقول قد تركت زوجتى تضرب في طريقها كما اتخذت أنا أيضاً سبيلى . وقد أجدت هذه الطريقة وسيرت ذفة حياتنا على خير ما زرجو . وكانت أحياناً تبدى رغبة أن أرافقها إلى الحفلات والولائم . كذلك كنت أحياناً ألمح لها برغبتي أن تبقى معى في البيت . وبذلك استطعنا قليلاً أن نوفق بين رغباتنا وأخلاقنا . ولكنى لا أستطيع الجزم بأن إنكار الذات على هذه الصورة قد صادف في حياتنا نجاحاً كبيراً ...

وكان ثمة حفلة مقنعة أصرت على أن تذهب إليها . وأظن أنها لمحت برغبتي أن أرافقها ؛ ولكنى تجاهلت تلميحتها ليعينى أنى سأضيق بالحفلة ونحجبها

وقد ذهبتُ إلى الكرنفال في ثوب قشيب على هيئة أحجار الدومينو موشى بخطوطي قرنولية باهتة ، ومفوف بشرائط بيضاء ناعمة ، وأخذت معها « مريحة » من ريش التمام الأبيض الثمين . وتبدى من قناعها شرائط حريرية ههههه غطت فيها الخمرى الدقيق . كانت رغبتها قوية في الذهاب ؛ ولكن رغبتها ضعفت حيناً رأت أنى لن أرافقها . غير أنها ذهبت لارتباطها بموعد مع أصدقاء لها . ولما أنبأ أنها أنى سابقى بالبيت وعدت ألا تنصيب في الحفل كثيراً وراى على السام والمثل عند ما ذهبت وتركنتى

وعند ما كفت الموسيقى عن العزف طلبت إلى بعض المطربات وأرقتي الطريق إلى النصف . ولما أن نالت منها كفايتها — وقد كانت كما كبيرا — تابعت ذراعى ، وراحت تدور في المكان . كان يبدو أنها تعرف منه الداخل والخارج ، ولم بكل غرفة فيه . وقد أدهشت ذلك كثيرا ، إذ كنت أعلم أنها لم ترد هذا المكان من قبل ، وقد سألتها في ذلك فأجابت : — أحضر هنا كثيرا ؟ إلى أحضر عند ما يحلولى .

وهل تملين زوجك ؟

فتمجبت قائلة :

— أوه ! زوجي ؟ ومن أدراك أنى ذات بعل ؟

— إن حسناء مثلك ، ولها طرفك ، وسحرك

لا يمكن أن تغفل من قيود الزواج .

— وأى فرق بين العشاق والأزواج ؟ أليس

من الجنون أن تزوج المرأة وفي مكنها أن تم

حولها المشايق للماميد ؟

وشدت يديها على ذراعى ، ثم رفعت إلى من

تحت قناعها عينيّن تشبان فتنة وإغراء ... ومجبت ،

أهذه المرأة زوجي ؟ أم هي غانية فارحة تبعث هن

القوت من هذا السبيل ؟ كلا ، لا أعتقد . وحملت

نفسى على الظن . بأن ذلك الأسلوب في الحديث وتلك

المواطف الحارة الجامعة التي تبديها زوجي ، إن هي

إلا من مستلزمات الكرشال ، تحت ستار الأزياء

الفرية والأنواب الشاذة ... ولكن المرأة لا تغفل

ذلك الضرب من النزول إلا عن اختبار وتجربة ،

وها قد اعترفت أنها تنشئ المكان كثيرا ، مما يبدو

لي أنه تصنع منها وتمثيل أن لم ألحظ عليها غشيان

وكان مكان الحفلة يزخر بالناس ، رجالا ونساء

حين دلفت إليه . ولكن لحسن الحظ وقع بصرى

لأول وهلة على زوجي زبيها ، وصروحتها ، وشرائط

الحمر المتدللة من قناعها على فيها . عرقها دون

صعوبة فاعتذرت سبيلى إليها قدسا . بيد أنى تنبت

حينما اقتربت منها إلى أنها سوف لا تعرفنى بزى هذا

إذ لم ترنى فيه أبدا . بل ربما لا تعلم عنه شيئا . على أية

حال لم أستطع أن أردت ، وقد رأيتى أمشى إليها . وقد

أدركت أنى أقصدها فلم تتعرض ، ولم تشج بوجهها

أوه ! أيمكن أن تسمح لرجل غريب أن يحادثها ،

أو حتى تشجبه على الدنو منها ؟ وساورتنى الريب

والشكوك . فأزمت لآبلون إخلاصها ووفاءها .

وبدون أن أهتم باللياقة والتقاليد ، قلت لها في رقة :

— يجيل إلى أنك في انتظارى ، هلا أجبت

بنعم ؟

— حسن ! إلى في انتظار منعة ولمو .

قالت ذلك في لهجة رقيقة هي أيضا كأنما آتت

مرماها من هذا التطفل البنيض إذ كان في وقوفها

هكذا وحيدة شيء من المرض والإغراء

ورانت على عيني غشاوة ، فلم أر ولم أسمع من

الحفل شيئا ، ولكنى تمالكت نفسى . وبدأت

الموسيقى تمزق ألحانها الطرية الحنون فساتها أن

تمنحنى هذه الرقصة فقالت وهي تهبنى بسمه مضينة :

— كم أسر بذلك !

ثم تناولت ذراعى ، وقادتني إلى حلبة الرقص ،

وأنا ذاهل مأخوذ . لا ريب أنها غامرت قبلى مع

كثيرين . ولكن هل يتأتى لقناع على وجهي

أن يسدل على شخصيتى كل هذا التستر ؟

كانت في الرقص بارعة كأنما خلقت لترقص .

وقت ليس بقصير قبل أن أمسك زمام نفسي . لقد أترع اليأس قلبي ، ونحطمت الآمال في فؤادي . وددت لو ألتحي ركناً مهملًا وأبكي كطفل صغير . وقد ران عليّ لا غضبٌ وثورة ، بل حزن وأسى فليس ثمة غضب حين ينعدم الأمل . كنت كالقاسم الذي يلقى بآخر درهم معه ، وطمئتُ النفس أن أوغل في ذلك الغزل فأعطيها فرصة أخرى ، قلت :

— لقد سباني سحر ك . وأصباني جمالك ودلّك الأمر الذي لا أطيق معه فراقك وهذا الزحام رهقني فهلمّ تنادى السكان . إن العرب في انتظارى . هلا أتيت مي ؟
فقلت ضاحكة كأنما تحدث نفسها :

— وعلام الرفض وهو عصي الزاج ؟ والآن . هذا حسن . صدقني أيها « اللون » الكتيب . بني وجهك أنك لم تتعود أن تجميع امرأة بلفظة « لا » — وله ؟ ... حسن جداً ؟

— إن مزاجك المعصب يدل على توقد عاطفتك واضطرابها ، فإلى أراك جامدًا باردًا ؟ الحق أني لا أهضم هذا البرود الذي تشتمل به

— إذن فعلى أن أبث فيك السرور والهجة أما وقد أحسست ذلك فسايدل كل ما في وسعي . هلا أتيت مي ؟

فضحكت ثانية ... بالله ! هل يدل ذلك منها على الخضوع والاستسلام ؟ وقدتها إلى خرج المكان برغبة الشاب للفتون فلم تمنع . بل قالت إني نافذ الصبر . وقد كنت حقًا نافذ الصبر . كانت كل دقيقة تمر على كأنها ساعة مترعة بالألم والمذاب إلى أن انتهت المهلة . ولم يكن بوسي أن أعجل بإنهاؤها ،

هذه الحفلات أبدًا . ألمّ تمسك بالذهب إلى الكرنفال بحجة أنها لم تر حفلاً له من قبل ؟ وإني أقرر لك مرة أني كنت مجنونًا إذ تركتها تذهب وحدها . وإني وإن كنت أعلم عنها الرعونة والطيش إلا أنه لم يدرب بخلد قط أنها مستهترّة قارحة ليس في عينها ملح . كنت أعتقد أنها أمانة على عهدي حافظه لشرقي في كل مكان تنشاء ، وكل حفل تحضره ، ولكنني عرفت هذه الليلة ما انطوت عليه نفسها الخبيثة الآتمة

ولا مرة أن أصدقائي قد عرفوها أجمعين وأشفقوا عليّ من تبذلها واستهترها . كانت صدمة قاسية . كنت مشقت الدهن عازب البال طوال الوقت . كنت أنهما بالخيالة والتدريج حينًا ، ثم أنفس لها الماذر وأبدي عني شبح اتهامها حينًا آخر . كانت كل القرائن ضدها . بيد أني لم أستطع أن أنحصر من حي لها واحترام لها في مدى لحظات قصار . ومع كل ، فإذا صمنت لتستحق أن أؤاخذها وأرميها بالتدريج والخيالة . حقًا لقد اتبعت في الحديث سبيلًا ملتويًا مبتذلًا ، ولكنني لم أوغل معها فيه ، ولو أوغلت لأبدت ولا ريب استيائها واستنكارها . أتراها فعلت ؟

وكانت يدها مستقرة على ذراعي . فترددت قليلًا ثم أخذتها وضغطت عليها ، فضحكت لشرود ذهني ثم بادلتني الضغط على يدي وقالت :

— ها قد صمحت أيها اللون السيوس . إنك بارد الماطقة ، حليف الجهامة والكتابة . ألا ترائي أبثت الحياة والشمع ، وأنث الحب والسحر ؟ وسوف أبث كل أولئك فيك

فغلى الدم في عروق لهذه الكلمات . ومضى

ثم سقطت على أحد المقاعد. كانت المرأة التي أمامي غريبة ، مخلوقة بشر فاحم جمده وعينين سوداوين وأهداب مصبوعة ووجه ملطخ . امرأة من النوع الذي لا يشرف المرء مسيرتها في أى مكان ، أو مصاحبتها إلى أى حفل . وددت لو أجثو عند قدميها فأقبل طرف ثوبها . هكذا كان شمورى حينما تحررت من الوسواس والظنون ، وتمثل ذهنى فلم أستطع شيئاً سوى التحديق في وجهها مبتسماً .

وعمرتها هيئتي إذ حسبت أن ذلك منى لإعجاب صامت بث في الدحول من جمالها وحسنها ، فوقفت صامتة في هيئة مسرحية تمثل الخجل المصطنع والدلل الزائف ؛ وظلت الحال كذلك حتى بُيئت إلى نفسى . كان أول ما خطر ببالى هو أن أتخلص منها ؛ ولكن كيف أفضل دون أن أخدش كرامتها وأجرح عزتها؟ كان عقلى يعمل بسرعة في امتحان نذر مقبول . ولكن قبل أن أهتدى إلى شيء ، سمعت صوت عربة تقف بالباب ، ثم سمعت صوت المفتاح وهو يدار في القفل ، ثم خفيف ثوب من حرير ، ثم خطوات خفيفة تصعد السلم .

لقد بكرت زوى بالمودة كما وعدت . وأقبلت خطواتها نحو غرفة الاستقبال ، ومحت يدها بإدارة مقبض الباب ...

وكفت عن الحديث ثم أطل من النافذة . كان القطار قد وقف منذ لحظات دون أن يحس به . قال الرجل في دهشة :

— « هال ها » لقد بلغت طيبتى . وقفز من

القطار عندما تحرك ثانية يواصل السفر

ولم أراه مطلقاً منذ ذلك الحين . وأحسبني لن أراه أبداً ، لذلك سأظل طوال حياتى أكدر ذهنى في تصور ما حدث له عندما افتتح الباب

محمد هبة الفتاح محمد

فقد كان الأمر جد خطير . وكان لا مندوحة عن الذهاب بها إلى البيت . وتسلفت إلى الخارج بنفسى أبحث عن الركبة ، إذ خشيت أن يعلن اسمى أمامها وأمرت الحوذى بالعود إلى البيت بينما كنت أساعدها على الركوب .

ولشد ما خشيت أن تنتبه إلى حقيقتي في ذلك الحفل العام . وكأنما صرّ دهر طويل على بدء تحرك العربة في طريق الرجعة إلى البيت .

اعتمدنا عن جلبه الحفل ونحيجه ولكنى ظلت صامتاً بضع دقائق حتى بدأت تمازحني كرة أخرى حول وجوى وكثبانى، وارتعت على مجسدها؛ ولست أدري أ كان ذلك لا هتزاز للركبة أم عن فجور منها وفسق . على كل حال ، فقد طوقت خصرها بذراعى فلم تتعرض ، بل سألتني وقد اقتربنا من طيبتنا :

— أين تقيم ؟ إن هذه الشوارع جد متشابها ولا أستطيع بحال أن أعرف أين نحن الآن .

— على أية حال لقد وصلنا .

ووقفت المركبة فساعدتها على النزول ثم فتحت الباب الخارجى بفتاحى ، ودلفنا إلى الزدفة حيث كان الضوء خافتاً ضئيلاً . فأمسكت بيدها وقدمتها إلى غرفة الاستقبال ، وكان الفلام يعلمون في جو الحجرة ، بيد أنى بدته بأن أشعلت السراج ، ثم واجهتها ، فرأيتها تضحك عالياً، ولكنها بدت كأنها لم تعرف أين هي !

قلت بلهجة شديدة :

— الآن فلنضع اللثام يا سيدتى

وما ترددت ، بل أباطت لثامها ونعتت عنها ثوب الدومينو .

فشقت شقة حادة وجعلت عيناى حتى كادتا تقفزان من عجزهما .

فراقنا

للكاتبين : ماركو صونال وجورج مونياك
بقلم الأستاذ ناجي الطنطاوي

— (تظهر ملة) ثوب الأتسة
إيليان ! نعم يا سيدتي . لقد عملت
فيه أنا وعمتي حتى أنهينا به
الأعمال المزمعة لدينا الآن ،
وقد أحسنتي أن أرسله إليك
— (أخذت العلبه) نعماً

صمتت عمتك . إن باستطاعة إيليان
أن ترديه الآن حالاً (تشمل إيليان من ناحية العين بزة
حسنة ولباس بسيط مناسب) هاهي خذى قد أتت (تخطبها)
أيها الأتسة خذى ثوبك الجليل
إيليان (فرحة) — ما أَسَدَ حظي... هاتيه حالاً
يا أُمى... أُرْجُو أن يكون ملبأً لى

بوليت — لا تخرج الأثواب من بين يدي
مدام بوفيت إلا حسنة وملائمة تماماً

إيليان — حسن ، سأوديه باعتناء وسأبدو به
كأننى إحدى نجوم السينما (تخرج من ناحية العين)
مدام إيدوان (تخاطب بوليت) — تفضللى
بالجلوس قليلاً

بوليت (تمسك) — إن اجنحك ظريفة جداً
— إنها ليست ابنتى
— سمحتم تدعوكِ أُمى
— إنها تدعونى أُمى منذ أن فصلتها من لجنة
المساعدة العامة
— المساعدة العامة ؟

— أجل ، وضعت عندي سبب أن كانت رضيعة
وكل الناس يعرفونها عندي ، ألم توضح لك مدام
بوفيت الأمر ؟

— كلا ، إنها تعمل بسرعة لإتمام الثياب وليس
لديها وقت للكلام ، ولولا ذلك لحدتقى ... إذن
فالأتسة إيليان ؟

انوشناس : مدام إيدوان ٣٥ سنة ، إيليان ١٦ سنة ،
السكرتس ميرليل ٤٠ سنة ، بوليت ٢٠ سنة
في العهد الحاضر قرب بلدة تور الفرنسية ،
غرفة ذات أثاث بسيط ، باب في متعوى الغرفة
وبابان أخران على طرفي السرح .. إلى اليسار تظهر
أريكة ومتعددة شغل .. إلى اليمين مقاعد وأرائك .

المشهد الأول

مدام إيدوان — ثم بوليت — ثم إيليان

عند رفع الستار تظهر مدام إيدوان وهي ترتجى
جيلة بديلة زاهية . سكوت وضمت ، تنظر إلى الساعة
في يدها لتعرف الوقت

مدام إيدوان — الساعة الآن تبلغ الثانية
والنصف ... ستم قيمة إيليان عند ما تستيقظ من
قيلولتها (تنهد) بعد أيام ثمانية في مثل هذه الساعة
(تسبح للقدر) يجب علينا أن نوطن أنفسنا على
تحمل ما لا مفر منه (يرد الجرس في داخل الغرفة)
من ذا بترى ؟ إننى لا أنتظر زيارة أحد الآن
(تسبح لفتح الباب)

(سوت بوليت في الزدعة) — هل أنا الآن بمحضرة
مدام إيدوان ؟

— أجل يا سيدتي ، تفضل بالدخول

بوليت (تشمل) — إننى قادمة من دار عمتى
مدام بوفيت
— الخياطة ؟ حسن ، هل أتيت بالثوب ؟

— ويدو لي أنها من أيضاً تكن لك من الحب مثل ذلك

— نعم لمنها تحب كثيراً (مضطرب) ويد ثمانية أيام على الأكثر سرت...

— يد ثمانية أيام؟

— مشترك منزلي وهو منزلي لتذهب...

— إلى أين؟

— مستحب لتفعل قصر ريكور وهو على بعد ثلاثين كيلو متراً من هنا

— مستضمة؟

— كلا، إنها تتركني إذا لم يحن لي - حسب القانون - أن أبقها عندها حيث أحيا هذه الحياة البسيطة، فقد فُتحت لها ثروة كبرى ومحرمت عليها حياة نفقة

— إنني لا أفهم ما نتين

— أعني أن الكونتس مرفيل هي مالكة قصر ريكور، وهي أرملة ليس لها أولاد مثلي، طلبت مني أن أكون بقرها وأن أعتني بإيليان شرعاً

— مادامت السادة حماة ثروة فباستطاعتك ..

— كلا لا أريد، إنني لم أبلغ بعد السن المخصصة للتبني، ولا أملك المال الكافي لأتفق على إيليان حسب رغبة اللجنة وتلجأها، ولم يعد هناك مجال للمفاضلة بين حياتي التواضعة البسيطة وحياة الكونتس النخمة الثرية

— لا ريب في ذلك

— ومن أجل هذا سأتى الكونتس مرفيل بعد أيام ثمانية لتأخذ إيليان وتدعني وحدي في هذه القادر أرى ببيني آثار إيليان وذكرياتها دون أن أستطيع عمل شيء (تخمد نديها من مينيها لتسحبها)

— ما هي إلا يتيمة أتتني من لجنة المساعدة العامة، وأنا كما تعرفين بدعوتني بالرضعة - فهمت ...

— إن بي ميلا شديداً إلى الأطفال وليس عندي أي طفل. كان زوجي قد سبقني إلى فكرة تبني الأطفال، فأودعوا عندها حسب طلبه طفلاً كان أصله مجهولاً لم نستطع معرفته. ولقد سألتناه فما أجدي سؤالاً إذ أنه لا يذكر شيئاً، وقد نشأ هذا الطفل شديد الذكاء طول حياة زوجي، وبعد وفاة زوجي لم يعد في إمكانني أن أشرف على تربيته فأصبح كثير الشغب وغفلاً سقيماً عطلاً كل شيء، طامساً كل أمر

— يعلم الله ما أصله

— فأدركت أن في ذلك خطراً علي، وبعد عدة حوادث رهيبية حدثت لي معه وأبقت له في ذاكرتي صورة غير حسنة، طلبت استبدال بنت صغيرة به

— ألم تخاف أن تنشأ البنت كالولد؟

— كنت أشعر برغبة ماسة لأن أرى يقرني مخلوقاً يودني وأوده، طفلاً أحبه قلبي وأريه وأعني به حتى أراه ينمو ويكبر أمام ناظري، وأنا أعلم أن التجربة التي كنت بها لم تكن ذات نتيجة حسنة ولكن خسارتي ستكون أقل مع طفلة صغيرة، وسيكون تدريبها وتهذيبها أسهل علي... ولقد أصبحت في ظلي إذ أتتني وجدت في إيليان الحبيبة الطفلة التي كنت أنشد لها بل وجدتها أبهى مما كنت أتخيل... كانت سنّها عند ما عهد بها لي أربعة أعوام وهي تبلغ الآن من العمر ستة عشر عاماً، لقد قضيت بقرها اثنتي عشرة سنة كلها مسرة وسعادة وحبور

مدام إيدوان — (تثير يدها إلى منضدة الشغل)
تجدن هناك كل ما يمزك ... سأترك قليلاً لهيئة
طعام الفداء (تخرج من اليسار)

المشهد الثاني

إيليان — بوليت

إيليان — أأزع الثوب؟

بوليت — لا حاجة لذلك فإن العمل لن يطول
(تأخذ خطاً وإبرة وتبدأ العمل)

إيليان — لا تسرعى بالعمل فأني لست مستعجلة
وأرجو أن يعود الحزام ملائماً .

— سيكون ملائماً وعلى حسب رغبتك .

— (تأمل الثوب) أراه قاتناً أليس كذلك؟

— جيد ، سيمثلوك طرياً وابهاجاً ، حقاً إنه

من ثياب القصور !

— آه ... أحدهمك أى بشىء؟

— قالت لى إنك ذاهبة بعد ثمانية أيام لتسكنى

قصر بريكور .

— نعم ، وإنه لجميل جداً ... لقد تناولت فيه

طعام الفداء مرتين . إنه قصر ساحر ، فيه روضة
كانها إحدى روضات فرساي

بوليت — (بشفاعة) وفيه مياه كثيرة؟

— يمكن أن يكون كثير الماء . لم يكن لدى

الوقت الكافى لأرى كل ما فيه .

— إن حظك عظيم .

إيليان (بانهاج) — أليس كذلك يا عزيزتى؟

لقد رأيت غرفتي فيه ، إنها فاخرة : نافذتان كبيرتان
وقطعة من الديباج ملأى بالورود ، وسرير جميل

منذهب ، وآرائك يفوح الجالس فيها ، ومنضدة من
الخشب النخيل ، وأخرى للزينة ، و... و... و...
ماذا أحدهمك !

من الدموع) أستميحك عذراً . إن هذا ليس من
اللباقة ...

— لا تقولى هذا يا مدام إيدوان ... أتظنين
أن البكاء من فرط الألم ليس من اللباقة ؟ ولكن
أما كنت تمالئينها معاملة حسنة وتطفلين عليها ؟
يجب أن يخفف هذا من ألك ، ويجب أن يمزك
عملك أنها مسرورة وسعيدة عند الكونتس

— صحيح ولكن ... (تأله) ذهبت إيليان

لتتلقى دراساتها الابتدائية فى مدينة تور ، وفى دار
إحدى صديقاتي اجتمعت بالكونتس فشمرت هذه

نحوها بماطفة قوية وذكرتها بابنتها الوحيدة التى
ماتت منذ ست سنوات ... وبعد أيام قلائل زارتنى ،

لتعرض على مشروعهما فى التبنى وهو حقها الذى
يجوزها إياه القانون ، فلم أستطع أن أقبل ذلك إلا

بالخصوص والتسليم ، وأنا أفكر فى مستقبل إيليان
ومستقبل بعد إيليان . . .

(تدخل إيليان مرتدية ثوبها الجديد وهو على أحدث
زى وعظيماً باعتناء ودقة)

إيليان (تسلم وهي ضاحكة) — أقدم لكما نفسى

إننى إحدى نجوم السينما !

مدام إيدوان (تنهر إليها) — حسن جداً

وموافق ... إتفقى يا ابنتى . إن هذا الثوب ذو جمال
باهر (تخاطب بوليت) أرجو أن تبلى شكرى مدام

بوفيت وتهنئنى على نجاحها فى الخطاطة

بوليت (وهي تهمس) — سأبلنها ذلك وأعتقد
أنها ستسّر

إيليان — خبريها أن الحزام طويل

بوليت — لا خير ، سأصلحه لك الآن فى

بضع دقائق

بدأه هذا الصباح (تخرج من البيت ، وتخرج بوليت من أقصى الرقعة . وتدخل مدام إيدوان من اليسار)

المشهد الثالث

مدام إيدوان — بوليت

مدام إيدوان — (تنظر أن ليليان موجودة) لقد

سمعت الجرس بن مرتين

بوليت — (داخلة) مدام الكونتس مرافيل

مدان إيدوان — (في ذمور) مدام مرافيل ؟

وفي هذا اليوم ؟

بوليت — (بصوت منخفض) يمكن أن تكون

هناك بعض تبديلات في القصر .

— أدخلها بصورة لبقة وباحترام

بوليت — (خارجة) هل تفضل سيدتي

الكونتس بالدخول .

(تختفي بوليت وتدخل الكونتس وهي امرأة في الأربعين

من عمرها ، ذات مظهر ارستقراطي قليلا ، تتجاف في أول الأمر)

المشهد الرابع

مدام إيدوان — الكونتس

مدام إيدوان — (في دهشة وتحفظ) تفضلتي

بالدخول يا مدام كونتس

الكونتس — أنسى صباحاً يا سيدتي العزبة ،

يبدولي أنك دهشت لرؤيتي .

— نعم ، أعترف بذلك (تهتم لها أربكة)

— (تمسح) لماذا دهشت ؟

— (تواصل كلامها) ذلك لأنك أتيت اليوم ...

يمكن أن ... تكوني عدلت عن مشروعك

— عدلت ؟

— نعم عن مشروعك

— ما أجل هذا القصر !

— وفي الروضة بركة بها قارب أخضر اللون

— هل تحسنين التجديف ؟

— كلا ، ولكني سأتمله (تلمب يديها) كم

يسليني هذا !

— أكل ذلك بمد ثمانية أيام ؟

— نعم .

بوليت (وقد أتمت عملها) دونك الحزام فالنسيه

إيليان (تضع الحزام) — موافق جداً ، أشكرك

حقاً إن هذا الثوب جميل ... أراي مضطرة للصمود

على درجات القصر بثؤدة كيلا يفسد

— سيكون تحت إمرتك خادمة بلا ريب

إيليان (مسرورة) — طبعاً (تمل دوراً حزلياً)

هل عادت مدام مرافيل من زيارتها للكهنة أيها الخادمة ؟

بوليت (تمل دور الخادمة) — إن سيدتي

الكونتس عادت يا آنسة

— خبرتها أنني في غرفتي

— أشرك يا آنسة

— سأزول لأراها بمد قليل .

— أشرك يا آنسة (تتفجران من الضحك ، ويسمع

دين الجرس من الداخل)

إيليان — ألا تسمعين الجرس بن ؟

— إحدى الزائرات ولا ريب .

— يمكن أن تكون الزائرة ثقيلة . ماذا يحدث

إذا رفضنا أن نفتح ؟ ولكن لا ، إن أمي لا ترضى

بذلك (يرن الجرس ثانية)

— لا تبدلي شيئاً ، سأفتح الباب ، وسأعلم

مدام إيدوان .

— أصبت ، وأنا ذاهبة إلى غرفتي لأنهم كتباً

— معادية ؟ كلا يا سيدتي ... إن لمحتي كانت

حزينة جداً

— ذلك لأنني أتيت قبل مضي ثمانية أيام ،

ولا أراك تصافيني الود

— سواء صافيتك أم لم أصافك إن هذا لا يبدل

شيئاً ... أرجو أن تعلمي أنني أعد هذه الأيام الثمانية

دقيقة بمد أخرى ... وأراك اليوم لجأة تقولين إنك

ستأخذينها (تخضع صوتها) وتوحين إلى بصورة غير

إرادية أنك آتية لتسرقها !

— (مالكة زمزم نفسها) ولكنك يا سيدتي

العزيزة قد نسيت أن القانون كان باستطاعته أن

يسرقها - على حد تمييزك - منذ ثلاثة أعوام لكي

يضعها تحت الثورين ويسمح لها بأن تعيش حرة .

فأنت إذن قد رحمت أموال ثلاث سنين وهي أكثر

من ثمانية أيام فيما أظن !

— إنني لن أناقشك في هذا الموضوع الذي

يؤلمني ، بل أبق ألي في شفاف قلبي

— لقد كانت دهشتك أقل منها الآن عندما

أتيت أعرض عليك مشروعي ، أأذكرني ؟

— هذا صحيح ، لم أكن أنظر إلا لنعادة

إيليان التي عزمت على أن تضمني لها مستقبلها ، ولكن

تبي أن هناك قلب أم حنون يتلوى من الألم ، لقد

قلت ذلك قبل ساعة لابتة عمتي مدام بوفيت

— مدام بوفيت ؟

— نعم الخياطة التي صنعت ثوب إيليان الجديد

— (رأت موضوعاً يتكلم فيه) هل انتهى الثوب

هل رأيته جميلاً ؟ كيف يبدت فيه ؟ أجيبي بسرعة !

— لقد اتبعوا فيه تعليماتك (صت) آه لو أنني

— أي عن تبنى إيليان ؟

— نعم

— كلا يا سيدتي العزيزة ... لقد نضج مشروعي

بمد أن فكرت فيه طويلاً ، ولقد تمت كل المدمات

ولم يمد هناك أي دماغ للمدول

— (يمزج) آه ، حقاً أن ...

— سأشرح لك بكل بساطة سبب زيارتي الآن

قبل أن آتي إلى هنا . كنت في زيارة المرأة التي علمت

إيليان حتى خرجتها ، وقد زرتها حسب وعد

قطعت لها إر كتاب عاطفي أمانى منها ، ولا خرجت

من عندها عزمت على أن أخذ إيليان معي اليوم دون

أن أكون بحاجة للعودة بمد ثمانية أيام

— (يمزج) اليوم ؟

— كيف صحة الطفلة ؟ (مدام ايدوان لا تعيب)

صايتك هل صحتها جيدة ؟

— (تتكلم عواطفها قليلاً) نعم يا سيدتي

— هل تمام القيولة بمد كل غداء ؟

— دائماً

— حسن ، هل فكرت في تصويرها ؟

— نعم ، وإن صورتها الآن عند صانع الأطر

— هل نبيح التصوير ؟

— نعم

— سبق لك هذه الصورة ذكرى جميلة ،

وستعطيني طبعاً تكاليف التصوير

— كلا يا سيدتي إنني لست غنية وأنت ترففين

ذلك

— حسن إذا كان هذا يسرك فلست أدرى

لماذا أريد أن أعرضك به ، ولكنك قلت لي ذلك

بلهجة معادية قليلاً

المشهد الخامس

مدام إيدوان - الكونتس - إيليان

إيليان - سيدتي الكونتس؟ لشد ما أنتظرك!

مدام إيدوان (بحس) - أنظري إلى ثوبها!

الكونتس - (بدان تاتق إيليان وهبل جينها) :

- جميل جداً ، لقد زادك جمالاً

إيليان - أرايت ياسيدي؟ إن أمي قد أحسنت

بإعطائه للخصيطة (تخاطب مدام إيدوان) سأقرأ لك

الكتاب الذي انتهيت الآن من كتابته لأرسله إلى

أليس فاييه (تخاطب الكونتس) : هل تسمحين

ياسيدي؟

الكونتس ، شاكراً - أسمع

إيليان (هزأ بصوت مرهق) - « أعذريني

يا عزيزتي أليس إذا تأخرت في إجابتي على كتابك

الأخير الذي تسأليني فيه عن الحادث الجديد بانتقال

إلى قصر بريكور الذي وصفته لك »

الكونتس - (مستعنة) جيد جداً

إيليان (تابع قراءتها) - « هذه الحياة الجديدة

بكل معنى الكلمة توقظ في هذه اللحظة أفراساً

ليست كلها صنيانية ، ولكنها مع الأسف متبوعة

بلحظات ألم . ذلك عند ما أفكر في الذكريات التي

سأتركها في هذه الدار التي عشت فيها سعيدة بقرب

التي وهبتني خالص حبها دون أن تعرف عني شيئاً ،

كما تحب الأم الحنون ابنها الوحيد ، وأظهرت لي

من العطف والود ما لا يفقه شكر »

مدام إيدوان (تصرق بالمرع) - إيليان !

إيليان (ثم) - « إنني أشعر أن ذكري

هذه الأعوام سبقت منقوشة في أعماق قوادي .

ثم إنك تملين يا عزيزتي أليس أنني لن أغادر هذا

تنبهت إلى نفسي ، إنني منذ اثنتي عشرة سنة أنتظر
حزناً عميقاً .

- ألا تفكرين في امتلاك البنت وتبنيها ؟

- كلا .

- أما أنا فأقول لك يجب أن تقول نعم لأنك

منذ اثنتي عشرة سنة تشمرين بالفرح لوجود هذه

الطفلة إلى جانبك ، وإنك مصيبة في ذلك لأن هذا

الفرح أشمر به أنا أيضاً عندما أكون أما دون أن

أفكر في الألم الذي سيحدثه لي فقدان ابنتي التي أحبا

حب العباد .

- إنني لم أكن أبداً أما ، ومع ذلك فأنني

أقعد اليوم ابنة لي في الوقت الذي تجدين فيه أنت

ابنة . إنني لا أحسد أحداً ، ولكنني لا أستطيع

أيضاً أن أمتنع نفسي من التألم والحزن لحياة الفقيرة

التي لا تسمح لي باستبقاء إيليان

- حياتك الفقيرة ... ؟ إنك تنالين

- كلا . إنني أقول الحقيقة !

- سيدتي العزيزة ، إنني أكون تحت تصرفك

إذا ...

- (بلاهة) أواه ياسيدي ، إنني لا أطلب

صدقة ، ولقد أردت فقط أن أقول إن دخل لو كان

كافياً للدرجة التي يطلبونها ، لم أتردد قط في استبقاء

إيليان ، إن الحظ يكون في بعض الأحيان رهيماً

- لقد كان رهيماً لي قديماً عندما أقعدني ابنتي .

إننا لا نستطيع إلا أن نتحلى أمامه كبيرنا وصغيرنا .

إن أواصر الله ومقدراته نافذة على الجميع (تدخل إيليان

حاملة بيدها كتاباً ، ويدعو عليها السرور) هذه هي

الطفلة المزرة

مدام إيدوان — لشد ما أود ذلك ، ولكنك تعلمين جيداً أن هذا غير ممكن الآن .

الكوتنس (تتخاطب إيليان) — إنني أشاطرك حزلك يا إيليان (تهدئها ببطء) ولكن يجب على أن أذكرك أن أمر مستقبلك قد وكل إلى وأنا مضطرة لتأمين سمادتك ، وثق أني لن أؤد لك طلباً .
لمسحى عينيك يا ابنتي العزيزة واذهي لتهدئي ، وسأبقى مع مدام إيدوان (أخذها نحو اليمين) حالاً يا ابنتي إيليان حالاً (تخرج إيليان) .

الشهر السادس

مدام إيدوان — الكوتنس — ثم إيليان
مدام إيدوان — أرجو أن تعذريها
الكوتنس — بل إنني أستحسن ذلك منها
— إنني أخاف أن ...
— لقد عجبت لصيحتها
— إن ذلك شيء طبيعي في فراق كهذا ، إذ أننا منفترقون لفتر لقاء .

— فكرة جميلة . إنك ستريتنا غالباً هنا أيضاً .
سأقي بها إليك كل وقت أستطيع فيه ذلك بالسيارة
— يمكن ذلك في الشهر الأول .

والثاني أيضاً وكل الأشهر التالية ، لم لا ؟
— لأن الزمن يسيرُ ، ويأتي معه النسيان .
إنني لا أشك أبداً في عاطفتك الحسنة ولكنني أخاف .
لقد عشنا معاً اثنتي عشرة سنة ، الواحدة منا قرب الأخرى . إنك ستأتيين بها ، هذا صحيح ولكنهناتاني زائرة ثم إنها ستنساني ، وأنا أيضاً سأنساها بحكم العادة
الكوتنس (تضحك) — إلا إذا ...

مدام إيدوان — ماذا قلت ؟

— قلت ، إلا إذا

الكان دون أن أشعر بمنزلة قاتل » (تطوى الكتاب وتختاطب الكوتنس) أظنك فهمت عواطفني يا سيدتي
الكوتنس — (بدهشة) نعم . نعم . ولكن ما الوسيلة لحل مقبول ؟

مدام إيدوان (تضحك دموعها) — إنني أشكرك يا إيليان من أعماق قلبي
إيليان — بل أنا التي يجب على أن أقدم لك شكري الجرم بعد ثمانية أيام
مدام إيدوان — لم يبق هناك ثمانية أيام وأسفاه
— كيف ذلك ؟

— إن مدام صريفيل قادمة لتأخذك معها
— (فرحة) اليوم ؟
الكوتنس — نعم يا ابنتي العزيزة
إيليان — هكذا فجأة ؟
الكوتنس (يدهو) — نعم . لقد وُضعت السبب لمدام إيدوان

إيليان (بعد صمت قصير) — إذن أنا متهمة للذهاب منك يا سيدتي
الكوتنس — لا تصمجلي يا ابنتي ، لن نذهب الآن ...

إيليان — ماذا يجب أن أدعوك منذ الآن ؟
الكوتنس — بوسمك أن تدعيني بكلمة قصيرة وجيدة : ماما
إيليان (تضطرب) — ماما ؟

الكوتنس — نعم ماما . إذ أنني احتلت مكان ...
إيليان (صائحة بمنزلة) — كلا ، إن هذا لن يكون (ترمي على عنق مدام إيدوان) ماما ، ماما
مدام إيدوان (تضيق) — يا عزيزتي
إيليان — لا أريد أن أتركك ، استبقيني عندك

— بامنتان (ترمي بين ذراعي الكونثس
للمدودتين ، تدخل إيليان)

إيليان — لقد تهيات ، لا يتقضى إلا بقى
(تأخذ القبة من على المنضدة وتلبسها)

الكونثس — أما ذاهبة لأرى المائق (تخرج
من أقصى الغرفة)

إيليان — إني لست واهمة ، لما دخلت رأيتك
تماثين الكونثس

— (مسرورة) كلا ، إنك لست واهمة يا عزيزتي

إن مدام صرقت طيبة القلب وكريمة ورحيمة

— نحوى . أما نحوك ؟

— نحوى أيضاً إذ ستأخذنى معها

— إلى قصر بريكور ؟

— إلى قصر بريكور لأساعدها في إدارة الدار

وسأكون معك منذ أن أقبل أثنى من هنا في
وقت قصير

إيليان — أنا أحلم ؟

— إنك لا تجلين يا ابنتى . سترى كل منا

الأخرى كما كنا هنا تماماً

— (مسرورة) : كم أنا فرحة ومسرورة !

الكونثس — (تظهر) سيؤخذ الأثاث إلى

غرفتك في القصر يا عزيزتى وسنذهب معاً

— لقد قالت لى أى كل شيء ... إني سعيدة

جداً ، وأشعر بنحوك بحب عظيم

الكونثس (تأخذ يدها بمنى) — لقد أصبتُ

فيا فعلت ، أسرى الآن (تخرج)

إيليان — (ترجع إلى مدام ليدوان فرحة) سأدعوها

أى إذا أردت ، ولكن أنت لا أدعوك إلا ماما ...

دائماً ماما

(دمعى) نأبى الطنطاري

— (يظهر لها يرقى أمل) إلا إذا ؟

— هناك ... من الممكن ... وسيلة ؟

— أية وسيلة ؟

— إني أفكر ... ليس بعيداً عن بريكور ...

لى صديقة عزيزة ذات قلب رحيم ... أستطيع

أن أطلب إليها ... إنك تبصمين أقشة جيدة

أليس كذلك ؟

— بقدر المستطاع .

— (ترمي القبة التي تسقتها مدام ليدوان)

ومى راقية .. أنظري قيمة إيليان الجميلة هذه ، إنها

خرجت من عندك كما أظن ...

— نعم .

إذا طلبت من صديقتى أن تأخذك لتبصى الأقشة

عندها وتلاحظي الخدم وما يتطلب المنزل ، أرضين ؟

— إذا كان وجودى لهنها يسمح لى برؤية

إيليان بسهولة وفى غالب الأحيان فإننى أوافق

— إذن ستركين هذه الدار وتنتقلين إلى

صديقتك ... وسترى إيليان متى شئت

— أذهب من هنا ؟ إني مستعدة لذلك ،

ولكن هل لى أن أسألك ...

— عن اسم هذه الصديقة ؟ هل قبلت ؟

— نعم وبامنتان عظيم ولكن ما اسمها ؟

— احزرى

— لا أستطيع

— (ضاحكة) ندعى الكونثس صرقت

— (بمرح زائد) أنت يا سيدتى ؟

— (ضاحكة) نعم أنا بكل بساطة

— (بمرح عظيم) . أستطيع أن أرى إيليان

دائماً ؟ اسمح لى أن أباثتك ؟

حاجي بابا اصفهاني

لِكَاثِبِ الْاِغْلِيَتِي "جِهَز مُؤَبَّر"
بِقَمِ الْأَسْتَاذِ عَزَبَا الطَّيْفِ النَّشَا

(تسمة)

ويمكن أن يقال إن كل هذه التعطفات كانت أكثر مما يجب للترحيب بهؤلاء الكفار وإكرامهم ومنحهم وسائل الراحة ولكن حين حل موعد الرسميات نشأت صعوبة مهمة الأسباب دلت على جود هؤلاء الضيوف وتكرامهم للفضل، وكان السفير

أكثر خلق الله جوداً وعناداً، فأولاً عند ما مثل بين يدي الشاه أبي أن يجلس على الأرض وطلب كرسيًا يجلس عليه فأحضر له كرسي وضع في مكان بعيد عن العرش. وثاني الأمور التي دلت على عناد السفير مسألة الحذاء فلم يقبل ذلك الكفار أن يتخلع نعليه أو أن يلبس جواربنا الحمراء. وثالث الأمور أن السفير أبدى رغبته في رفع قبعته عن رأسه أثناء انحنائه أمام الشاه رغم محاولتنا إقحامه أنه ليس من الأدب أن يكشف رأسه. ثم نشأت عن اللباس مشكلة كبرى، فقد كانت أعدت للسفير ورجاله ملابس يرتدونها تغطي جميع أجسامهم فيمكنهم بها أن يظهروا أمام الشاه بمظهر لائق، وأعلن ذلك للسفير فأياه إياه شديدًا وقال: إنه سيظهر أمام الشاه الفارسي بما تمود أن يظهر به أمام ملكة الإنكليزي من الثياب

ظهرت هذه المشكلة عسيرة الحل إذ لم يحدث أن أحد الفارسيين وجد يوماً في بلاط ملك من الملوك الأجانب ليرف اللباس الواجب ارتداؤها أمامه. ففى وسع السفير ما دعتنا نجعل عادات بلاده أن يرتدى ثياب نومه ويقابل بها الشاه إذا أراد. غير أنني فكرت ملياً في الأمر فتذكرت أن من بين الصور الموجودة في القصر ذى الأربعين عموداً في أصفهان توجد صور بعض الأوربيين الذين كانوا

وكان السفير الإنكليزي قد وصل إلى طهران قبل وصولنا إليها يرضة أيام واستقبل بأعظم ما يمكن أن يستقبل به كلب من كلاب النمساوى لدى خليفة رسول الله. وأثار الاحتفال به نجة في المدينة وصرح بعض كبار علمائنا بأننا قد ارتكبنا بعض الإثم باحتفالنا بكافر هذا الاحتفال العظيم وأتينا سنندب من أجل ذلك يوم الحساب عذاباً أليماً

ودجبت الدبايح من مجول وأبقار تحت حوافر خيل السفير الإنكليزي، وتثرت الأزهار في كثير من الطرق، وسمح له بأن يدق رجلاه الطبل يوم دخولهم المدينة، وهذا لعمري فضل كبير لم ينله أحد غير أسراء إيران

ثم بدأت الضيافة كأحسن ما يمكن أن تكون فأعد خان كبير لتزول السفير، وفُرشت الأسيطة الخشبية، وأخذنا من الجيران ما احتاج إليه الختان والحلقات به حديقة بدسية. وأمر غزن المال الأعظم بإطعام السفير ومن معه من يث المال ما أرادوا الإقامة في المدينة وأرسلت الملابس والشيلان بعد أن جمعت من رجال الحكومة إلى السفير. وأعلن الشاه في جميع المدينة أن السفير ومنعته في ضيافة جلالتنا الخاصة فلم يكن، والحالة هذه، بد من ملاطفة هؤلاء الأغراب والاحتفاء بهم خشية غضب الشاه

وجعلت رعيته تصيح : « من حشيد ؟ من دارا
ومن أو شروان أمام شاهنا العظيم الجالس على
العرش ؟ »

ووقف الأمراء على يمين العرش وعلى يساره
فكانوا أبهى وأجل من الأحجار التي تتألق على حلة
أبيهم ، ووقف على مسافة من العرش وزراء المملكة
الثلاثة ورجال الحكمة وأصحاب الشورة ، واصطف
غلمان الشاه من كل أصبغ الوجه أسود الطرف
ممتدل القد أمام الحائط يحملون تيجانا في أيديهم
فكانوا كاللآلئ يحملون الأنجم الزاهرة ليرسموا
بها قبة السماء

وأخذ الفرج مقاعدهم في وسط الجمع وأخذتهم
في أرجلهم وعليهم أردنهم التي ترتفع إلى خصورهم
وذقونهم حلقة فكانوا كالطير التبيح المبرد من
ريشه وألقررة الرينة التي تساقط شعرها أوأى شيء
آخر خلا بني آدم إذا وازنتهم بمن حولهم من السادة
الأمجاد ، وقد تجلدوا وتمسكوا فلم يرههم هول
الوقف ولم يزجهم وجود الملك حتى خلنا أنهم مثلنا
تباناً وجلداً في هذه المواضع

تكلم السفير الانكليزي فمدد مناقب الذين
يتثلهم، تكلم على مثال لهجة قومه وعاداتهم في الكلام
فلم يجمل من لفظه ولم يحسن من قوله ، ولولا حذق
الترجم وذكاؤه لما لقب الشاه فيما نقل إلينا من حديث
السفير بملك الملوك وقبة العالم

وإني لأحاول مستحياراً إذا حاولت أن أصف
ما بين أخلاق القوم وأخلاقنا وعاداتهم وعاداتنا من
الفوارق التي لا تحصى والمفارقات المديدة ، وحاول
بعض فلاسفتنا أن يلجوا بشيء منها أو يدرجوا مبادئ
القوم فنزوها إلى أن مناخ بلادهم قائم رطب وإلى
(٧)

يفدون على الشاه عباس الكبير وبينهم من أقام
في المدينة

وتذكرت أن بين الصور صورة ظهر فيها نفس
الشاه عباس فلا شك أن الثياب التي تتلها تلك
الصورة والتي ارتداها الأرييون أمام الشاه عباس
هي الثياب الواجب أن يرتديها كل أوربي أمام
رأس متوج

فأسرعت بإخبار رئيسي بما رأيت . ونقل هو
حديثي إلى الوزير الأكبر وهذا أمر بأخذ نموذج
من تلك الصورة بواسطة أمير مستاع أصفهان
في أقرب وقت ممكن . وعند ما وصلت الصورة إلى
طهران أرسلناها إلى السفير الإنكليزي وقلنا له :
إن الشاه قبل أن يراه في ثيابه التي اعتاد السفراء
لبسها في البلاط الفارسي ، وإن نموذجاً منها مرسل
إليه ليرى هو ورجاله على مثاله وليقابوا الشاه بهذا
الزي . ولم يكذ الأشياء الملاحين أن يروا الرسم
ويسمعوا خطابنا حتى علا ضحكهم وكثر صياحهم
بشكل لا يمكن وصفه ، ثم قالوا لنا : « إننا لن نضع
هذه الثياب على أجسامنا » . وأصرروا على البقاء
بزيهم المتاد واضطرونا أخيراً إلى الإذعان لرغبتهم
ساد السكون والهدوء بين القوم الذين حضروا
اجتماع السفير بالشاه بشكل لم يكن ينتظر من قوم
جهلاء لم يمدنيوا ، وعجبنا ودهشنا من قوم هذه عالم
من الجهل بأحوال العالم ثم يستطيعون ضبط شعورهم
والسيطرة على إرادتهم في مثل هذا الاجتماع فلا يحدث
فيه ما يعكر الصفو

وجلس الشاه على عرش من ذهب وعليه حلة
مزر كشة بالياقوت والأحجار الكريمة ذات البريق
الذي يخطف الأبصار والوميض الذي يبهز الأنظار

كان الوزير الأكبر هو الرجل الوحيد في فارس الذي له تأثير على الشاه لما انتصف به من الخلق والمهارة وحضور القهقري وقد شغل منصب الوزارة على حكم الشاه لم تزعمه التقلبات عامة كانت أو خاصة ولم تضعف نفوذه التثيرات فأصبح أئمة لفارس من أي رجل آخر

فأريت أن أول ما يجب أن أحاوله هو كيف أقال رضاء الوزير الأكبر عنى وحمايتى لى . وبدأت بالظهور أمامه يومياً، وإذ كانت مسائل الأوربيين قد شغلت كثيراً من اهتمامه فقد كان لا يرانى إلا سائلى عن شىء من شئونهم ، وأدى ذلك إلى أن الوزير الأكبر كان يبعد إلى رسائل إلى السفير الإنكليزى أعود إليه بالإجابة عليها مضيئاً من عندى مدنياً للوزير وإطراء وإعجاباً به وبقدرة العظيمة وتدخلت بين الأحزاب وغدوت محبوباً مقرباً من كبير الوزراء وكان أحب ما تصبو إليه نفس الوزير أن تهدي له الهدايا، فجعلت هذا الأمر قبلى فى علاقتى مع سفير الإنكليز وبذلت جهدى فى الحصول منه على شىء يقدم للوزير فيرضيه ويكون مساعداً لى على نيل الخطوة لديه، ولم يكن تبادل الهدايا إلا أضراً عادياً لا يجلب مظنة ولا يثير شبهة فالتقت كل اعتمادى فى خدمة نفسى على هذا الأمر . وكنت قد نجحت مرة أوسرئين فى المفاوضة لصالح أمتى ووطى، فكان الوزير الأكبر ينتظر إلى بإعجاب وسرور

وكان فى النية عقد محالفة مع الإنكليز وعين رئيس الوزارة مفضواً من قبل الشاه فأخذت أحوم حول المفاوضات والمفاوضين ككلاب يحس عن قطعة عظم، رغم أنه لم يكن لى أى عمل فى المفاوضات، وكنت أشمر بين أوتة وأخرى بانى على باب النجاح

أن الشمس لا تظهر على ربوعها : « كيف يمكن أن يشبه قوم يحيطهم المياه ولا يشعرون بحرارة الشمس قوماً لا يمر بهم يوم لا ينمون فيه بأشعة الشمس ويكادون لا يعرفون ما هو البحر . — غير أن المامة أراضهم وأغصهم قول بعضهم : « إن كفر القوم وجحودهم أنزلا عليهم العنة حتى فى دنياهم، ولوأسلم السفير وأتباعه وأمته أيضاً واعتنقوا الدين الصحيح لتغيروا جميعاً فى لحظة عين وأصبحو مثلنا وثقال ففهم ناهم فيه من نجاسة وأقذار ولكان ما لهم الجنة فى الآخرة يوم يسكنها الله عباده الصالحين

الفصل الثامن والسبعون

ماجى بابا تحفظ غناية كبير الوزراء

كان ما تقدم مساعداً لى على التقدم معينا على النجاح فقد عهد لى بمعظم ما يتعلق بالأوربيين فى فارس من الأعمال نظراً لما ظن فى من العلم بأوربا والخبرة بشئونها وأدى ذلك لى إلى أن أصبح معروفاً عند كبير الوزراء وزملائه الوزراء وذوى النفوذ والقوة فى الدولة

ولم يكن ميرزا فيروز صاحب ثروة، وانقطع عنه ما كان يعطى له نظير قيامه بأمر الدولة بعد عودته إلى طهران فلم يستطع وهذا أمره أن يمدنى بما أحتاج إليه للعيش، وقد سره أن أدانى قادراً على كسب فوقى والعمل لنفسى فى الحياة . فبر أنه لم يترك فرصة تمر إلا وامتنحى فيها ممدداً مناقبى وكفايتى ذاكرة جدى واجتهادى، وقد رهنت على صدق ما قال عنى فلم أهمل ولم أهان حتى أكنس رضاء الكل وأن أحول نظرم لى مسلمين وغير مسلمين فهجرتى بحس الطالع وتركنى الشؤم

« ما لا يمكنني أن أقوله . هل فهمت ؟ »
 قبلت يده باحترام ورفضها إلى رأسى قائلاً :
 « اطمئن ياسيدى وأقسم إننى إن شاء الله حامل إليك
 أحسن الأخبار ، ومببض وجهى عندك »
 وانصرفت من لدن الوزير وقصدت إلى دار
 السفير الإنكليزى ، وكلى آمال طيبة فى حسن
 المستقبل . ولست أريد أن أذكر ما قلت وفعلت
 لأقنع السفير بموافقة رئيس الوزارة على آرائه غير
 أننى نجحت نجاحاً باهراً ، وعدت أهل فى يدى
 كيساً مملوئاً بالذهب .

دهش الوزير الأكبر عند ما رأى أنى بالكيس
 أمامه ، وجعل ينظر إلى ثم إلى الكيس مدة قبل
 أن ينطق بحرف ثم انطلق يمدحنى ويقرظ ذكائى ،
 وقال : « حاجى بابا ! إنك أصبحت لى وحيدى ولست
 أتركك دون أن أكافئك فتمن على ما شئت »

فجئت أذكر له أننى خادمه الأمين وتابعه المخلص
 وأننى لم أفعل غير ما يحتمه على واجبى وأنى لا أطلب
 غير سماحه لى بالوقوف أمامه . فظهرت بظهر من
 الإخلاص للوزير والأمانة لا يمكن أن تنطرق إليه
 الرية ، غير أنه فهم ما وراء هذه الكلمات وقال لى :
 « لا تسترسل فى كلامك على غير جدوى . لقد كنت
 أبحث عن رجل مثلك بحث اليأس حتى وجدتك ،
 وأنا أعرف قيمة الخدمة التى أدتها . تقدم بابى »
 فى طريقك الذى بدأنه تحت حمايتى وروايتى ، وعليك
 بالفرنج فاسلب منهم ما تشاء فإن الذهب مكدر
 فى خزانهم ، وهم فوق ذلك محتاجون إلينا . وماذا
 أقول لك أيضاً ؟ إن أهل إيران كالأرض العطشى
 يفعل فيها الذهب ما يفعله الماء فى الأرض . يتظاهر
 الفرنج بالشعور القومى والإحساس الوطنى ، ولهم

وأخيراً أرسل إلى كبير الوزراء يطلبنى فى صباح
 أحد الأيام بعد جلسة استمرت طول اليوم السابق
 فى المفاوضات . وأمرت أن أقابل الوزير فى حجرته
 الخاصة التى لا يدخلها أحد غير الأخصاء من أتباعه
 وجده لا يزال فى فراشه ولم أجد معه أحداً
 آخر ، وحين رأتى قال بصوت لطيف : « حاجى بابا !
 اقترب منى واجلس بجانبى إذ لى من الهام ما أريد
 أن أحدثك به »

عند ذلك شعرت برهبة وخجل غير أنى لم أستطع
 إلا الركوع بجانب الفراش إذ كان كلام الوزير
 بصوت منخفض جداً لا يكاد يصل إلى . لم يبدأ
 الوزير كلامه بمقدمة ولم يستهل أى استهلال بل قال
 لى فى مركز حرج جداً إذ طلب السفير الإنكليزى
 مطالب لا يمكن قبولها ، وقال لى سيقادر طهران
 إذا لم تقبل مطالبه

ثم قال الوزير : « وقد هددنى الشاه بقطع رأسى
 إذا سمحت للسفير بترك طهران ، ومن جهة أخرى
 فإننى والمفوض الآخر الذى يشاركنى مقتنعان تقريباً
 بأن الشاه لا يمكن أن يوافق على مطالب الإنكليز
 فما العمل ؟ »

فقلت بمخضوع وكأننا كان لكلمات معنى آخر
 غير ظاهرها : « ألا يمكن أن نرشوه ؟ »
 قال الوزير : « نرشوه ؟ من أين تأتى بالرشوة ؟
 هذا لى أن الإنكليز قوم أغبياء فلا يقبلون الرشوة .
 ولكن أصغ إلى . إننا لا نشاركهم فى هذه التباوة .
 والسفير يريد أن ينال مطالبه بأى ثمن . وأنت
 بلاشك تعلم أننى ما تناولت أمراً إلا وأبجزته ، فانطلق
 لى السفير وكله بما لك من حق صداقته . قل له
 إننى مرسلك ، وإن فى استطاعتك أن تقول له

الأجسام وخبث الأرواح وبأن مصيرهم جهنم وبئس المصير .

وليس من شأني أن أبحث في طبائع هؤلاء الناس ولا في أذواقهم بل كان بحثي منصرفاً إلى كيفية الحصول منهم على المال . وقد ألتج عمل وأمر وعاد على المال الوفير فلم يذهب تبى سدى

ويذكر القراء عموماً أنني تحدثت في جزء سالف من هذا الكتاب عن طبيب أجنبي كان يحاول أن يوجد في فارس طريقة لملاج الجبري بالتطعيم

لم تنجح طريقته نجاحاً كبيراً وظللنا نعالج أطفالنا المرضى كما كان آبؤنا يعالجوننا . ولكن الطبيب كان يظهر شغفاً شديداً بتحقيق فكرته ونشر طريقته .

وكان يخاطب بنفسه كل سيدة يتمكن من رؤيتها في وجوب التطعيم بمصل الجدرى حرصاً على حياة أبنائها . وقد رأيت أن في تقربه من النساء بهذه الوسيلة خطراً عظيماً على الآداب مهما كان السبب الذي يندفع به فأقنعت رئيس الوزارة بأن يجعل جندياً على باب هذا الطبيب لمنع كل امرأة من دخوله وكان هذا العمل قاضياً على كل أمل للطبيب فأدخل اليأس على نفسه

فذهبت إلى هذا الطبيب الأحمق وقلت له : ما الذي يدعوك إلى الحزن مع أنك لم تستفد مالا في مقابل تبيك ؟ »

فقال لي — وكان قد تعلم لغتنا — ويحك إنك لا تعرف معنى لما أقول . إن طريقة التطعيم يجب أن تتم في جميع البلاد لإيقاظ الأطفال من الموت »

قلت : « وما الفائدة من ذلك ؟ لماذا لا يموتون وهم أطفال وأى نفع جثثنا من حياتهم ؟ »

قال : « إذا كنت تريد النفع والفائدة فإني أدفع

إنما يخدمون مصالح بلادهم في كل عمل أو قول أو حركة ، وهذا نمري ما لست أفقه له معنى . من يدريي بمد موتي أو موت الشاه أن إصلاحاتنا باقية وأعمالنا لا تذهب بها الأيدي العاجزة ؟ إن الوطن رباً يحميه وبقية كيد الكاذبين ، فبست ما يقول المكابدون إنهم يخدمون أوطانهم إذ ليس لفرده أن يفهم ما هي هذه الخدمة فكيف يقوم بها ؟ »

وكأنما أزال كلمات السفير حجاباً كان فوق عيني ، وفتحت لي طريقاً جديدة للكسب ورتت في أذني كلمات الوزير : « إن الذهب مكسوس في خزائن الفرنج وهم محتاجون إلينا » وإلى هذه الناية وجهت عنايتي ...

الفصل التاسع والسبعون

لا قيت صعوبة كبيرة وبذلك مجهوداً عظيماً إلى أن توصلت إلى الإعلان عن نفسي في المدينة أنفى صاحب الوزير الأكبر للقرّب إليه ونشرت بين الفرنج أن أمراً واحداً لا يمكن إنجازه من غير وساطتي ، وسرعان ما أنتجت هذه الشهرة نتائجها وأعرت ثمرها . وأخذت تكثر لدى الطلبات بما يتبعها من الأجر والنفقة . وكان أظهر ما في طباع ضيوفنا الإنكليز ميلهم الشديد إلى منفعتنا رغم إرادتنا غير مباليين بما يصرفونه في هذا السبيل ورغم ما نقوله نحن عنهم

وكانوا يشعرون نحونا بما لم نشعر به نحو أنفسنا من الود والنفقة . ولم نستطع رغم ما بذلناه من بحث وتفكير أن نستكشف السر الذي حدا بهؤلاء القوم إلى السعي في مصلحتنا ذلك السعي الشديد — نحن الذين لم ننقطع قط عن رميهم بالكفر والإلحاد وندس

كانت من الأعطمة التي تروى في بلاده ولا يوجد مثلها في فارس، وقد قال إنه يريد مساعدته على تعريف الناس بها لتكون أساس تجارة واسعة بين البلدين فامتعض رئيس الوزارة وكلفني أن أذهب إلى السفير وأخبره بأن الأرض الفارسية ممتلئة بالخيرات وأنه لا يقبل مثل هذه الهدية بل يريد هدية من القماش الثمين الذي لديه

ولما أبلغت هذا القول إلى دار السفارة فحك الشبان الذين فيها والذين ليس لهم لحي ولا شوارب وقالوا: « هل يريد رئيس الوزارة أن يحبل أغذية يستفيد بها الشعب إلى كساء يضعه على ظهره ؟ » ونحكوا فحككت عاتية مني ومن الذي أرسلني ولكن السفير نفسه كان أعقل بكثير من هؤلاء الشبان فقابلني بمنتهى الأدب وأمر بتسليمي ما طلبته من الثياب، وفي الوقت ذاته أبقى أن يسترد البطاطس التي أرسله وطلب توزيعها على الشعب فأتاك إن هدته إلى الوزير علامة على الصداقة وهديته إلى الشعب برهان على الاحترام والتقدير

ولما عدت في ذلك اليوم إلى رئيس الوزارة أطرائى وامتدحني وقال إن منزلي عنده أكبر منزلة وإنني سأظل أقرب أخصائه ما بقي على قيد الحياة

الفصل الثامن

اللائحة

كانت تنتهي المفاوضات التي بيننا وبين الكفار على أن يرسل الشاه سفيراً من قبله إلى بلاد الإنكليز لتقوية الروابط بيننا وبينهم . وكان كل يوم يمر يزيد في إقناعي بكبر المنزلة التي نلناها عند رئيس الوزارة وكانت حاجته إلى مساعدتي تزداد ظهوراً بمرور الأيام

لكن المبلغ الذي خطبه وتركني أعود إلى نشر العمل الذي لم تكن ترى فيه فائدة قبل الآن »

هنا بدأت مفادىض منه وأظهرت له مقدار المخاطرة التي أتحمّلها بالكلم في شأنه مع رئيس الوزارة ثم انفتحت معه في النهاية على المبلغ وبعد أيام عاد الزحام على بابه ولم يقل أحد أى شيء عن مخالفة الآداب بمقابلة الطبيب للنساء

ومن محافلات هذا الطبيب أنه طلب تشريح الجثث الأدمية فقلت له: « هل تدعى في هذا الموضوع أيضاً أن العالم سيستفيد من تقطيعك أجساد المسلمين ؟ » فقال: « يستحيل أن تقدر التوائد التي تمود على الإنسانية من علم التشريح ويستوى عندي تشريح المسلمين والنصارى واليهود »

ثم عرض على مبلنا كبيراً أسمح له بذلك فهدت له الطريق وصرت أشقى غيظي من الكفار بتقديم جثثهم إلى الطبيب لتشريحها وفي الوقت نفسه أجمع ثروة طائلة من هذا الطريق

ولقد كان السفير نفسه يزعم أنه يريد الإصلاح لبلاده وأنه سيخضع الإنسانية بتنفيذ مشروعاته في هذه البلاد، وكانت لمحبة كلهمجة الطبيب وقد طلب إلى أن أساعده على عمل آخر عند رئيس الوزارة ووعداً بهدية كبيرة جداً، ولما كان من عادات رئيس الوزارة أن يظل أغنى عالياً مادام في الجو هدية فقد استمر يسألني كل يوم عن هذه الهدية بعد أن قصصت عليه الحديث الذي دار بيني وبين السفير وقد علم أن السفير أحضر من بلاد الإنكليز مقداراً عظيماً من المنسوجات الثمينة وكان الوزير شديد الشغف بالثياب الفاخرة

لكن الهدية التي أرسلها السفير من نلقاء نفسه

على الكذب والاختلاق . وقد أظهر الشاه من السرور به أكثر مما أظهر من السرور بأى إنسان . وقد سمعت أنه يضرر لى عداة شديداً وإن كان يتظاهر بأنه خادم مطيع ولم يجرؤ إلى الآن على إعلان عداوته لأى إنسان أو على البس ضد أى أحد . ولكننى لا أزال خائفاً منه حتى رحل عنه، فحتى بعد عن وجه الشاه بالسفر إلى بلاد الكفار استرحت من أكبر مسبب لمتاعبى وسأدبر فى غياهب الخطط حتى إذا ما عاد ظافراً من مهمته (وأسأل الله ألا يموت) لم يجد مثل ما له الآن من النفوذ »

واقفت رئيس الوزارة دون تردد وإن كان ضيقى غير مستريح إلى أى عمل أقوم به ضد هذا السفير الذى كان أجمل نعمتى

وقال لى الوزير : « إننى لم أظلمك إلا على جزء من مشروعى فأنى أريد غير ما أخبرتك به — أن تذهب أنت أيضاً مع السفير بوظيفة السكرتير الأول وأنت جدير بهذا المنصب لما لك من الإخلاص والعرفه الثامه بما أريد ، والخبرة بمختلف الشؤون » ولقد سرتنى تقليد هذا المنصب ، ولكنى لمرشه فى وقت واحد مع منصب أكبر منه ، واختيارى لأصغرها امتعضت ، وكنت من جهة أخرى أفضل البقاء فى إيران مادمت لى آمال منصب السفير فإن مجال الكسب والعمل فيها أكبر من مجالهما فى المنصب الذى اختاره لى . وكنت لا أزال أذكر ألم الفربة ، وأخشى أهوال البحر فى رحلة طويلة إلى بلاد الإنكليز التى سمعت عن غلامها وبردها ما يفضى فيها وعلمت من جود أهلها وثقلهم ما جعلنى أتصور الإمامة بينهم فوق الطاقة . وعلى أية حال فقد أجيبت

وفى اليوم التالى لتوقيع الماهدة مع انكلترا استدعانى إلى غرفته الخاصة وقال لى : « أصغ إلى حاجى بابا فإن لى حديثاً هاماً أريد أن أحدثك به ولما كنت واثقاً منك فأنى مقدر ما ستبديه من الاهتمام »

فأظهرت له أننى عند ظنه وأكدت له ولائى وطاعى فقال : « سواء أكانت للماهدة بيننا وبين الإنكليز حسنة أو سيئة فإنها قد تمت وقد قرر الشاه أن يرسل من يثقف لورنرا : وأنت تعرف الفارسيين كما أعرفهم وتعرف أنهم لا يحبون مناداة ببلادهم وتستجد صعوبة كبيرة فى اختيار من يصلح لهذه السفارة ممن يقبلون السفر إلى بلاد الإنكليز . وإنى واضع نصب عيني اسم رجل خاص أريد أن يفارق البلاد الفارسية بأسرع ما يمكن وأريد أن تبذل كل ما فى وسلك لإقناعه بقبول هذا المنصب »

فهمت لأول وهلة أنه يريد لإرسالى وتقليدى هذا المنصب ، ولكننى لم أفهم لماذا يريد إخراجى من فارس . وعلى كل حال فأنى لم أشأ أن تفوتنى هذه الفرصة فأظهرت أننى فهمت وأننى شاكر ودعوت له ودنوت منه وقبلت يده وقلت له : « إننى عبدك الخاضع وسأبرهن فى كل موقف على خضوعى لك وولائى . مرنى وستجدنى مطيعاً ولو أدى ذلك إلى موتى »

قال : « هذا كلام حسن يا حاجى بابا والرجل الذى أعنيه هو ميرزا فيروز »

فظهر الترحيم على وجهى وبدت على علام اليأس واستمر رئيس الوزارة يقول : « لقد وجدت نفوذه لدى الشاه أخذاً فى الازدياد ، وهو رجل قادر على الكلام والإقناع ، وهو ذاهية فى الرياء قادر

والخاطرات؟ وهل سأقطع السنة الدين كانوا يشتمون
في ويبروني بأنى ابن حلاق أم سأزيدم شتائه في؟
وأخذ فكري يحوم حول هذه الخواطر ومشيت
في الطريق متفخخاً بحالة تستلفت الأنظار . وكنت
أحلم بمجسري على جواد مطعم في أصفهان وتحتي سرج
موشى بالذهب وفي يدي لجام مذهب وحولي الجنود
يبحرسوني . وصلت إلى بيت ميرزا فيروز فوجدته
مستعداً للكلام من في شأن السفارة وظهر لي أن
السفير الإنكليزي كله في نفس الموضوع الذي كان في
رئيس الوزارة بالكلام معه فيه، وقد سهل على موقف
الذي كنت أستعجبه أن ميرزا فيروز أظهر سروراً

شديداً واعتباطاً بمنصب السفير في لوندرة ، وقد
سألني هل أريد بعد أن استمدت مكاني أن أعود
إلى زوجتي شكرلي، فتخرجت من الجواب على هذا
السؤال لأنني كنت أكره الذكرى السيئة .

وفي اليوم التالي أعلن الشاه أنه اختار ميرزا
فيروز ليكون سفيراً في انكلترا . وصدر أمر رئيس
الوزارة بأن أذهب إلى أصفهان لجمع الهدايا من هناك
ولست أريد أن أجهد القارى بذكر التفاصيل
عن هذه المهمة ويكني أن أقول إنني سافرت إلى
أصفهان كما يسافر إليها رجل كبير الأهمية وإنني كنت
مغمم النفس بشعور من المظلمة والجلال . لا يمكن
أن يدرك إلا أمثالي من الإيرانيين، وقد ظهر لي أن
تنوء الحظ فارقي فصرت في مأمن منه ودلني
كل الطواهر على أن صفحة جديدة من حياتي
قد فتحت ليكتب فيها القدر سطور السعد .

ودخل حاجي بابا مدينته باسم ميرزا حاجي بابا
نائب الشاه، وهل أريد بذلك أن أقول شيئاً؟

بكلمة القبول التي تجدها حاضرة على لسان كل فارسي
مهما كان شعوره الحقيقي ، وقلت له إنني قابل أمره
على البين والرأس ، وإنني سأظل خادمه . ثم سكت
سكوت الحجر الأصم ففهم الوزير سريعاً ما عنيته
وقال لي : « إذا لم تكن تحب ما عرضته عليك فمندی
مناصب أخرى ليس بالصعب تمييزك في أحدها ،
ولكنني آرت صالحك ولا يزال موعد السفر بعيداً
فاذهب الآن إلى أصفهان مندوباً من قبل الشاهو جمع
من أهلها ما تستطيع جمه من الهدايا لتقدم باسم
إيران إلى البلاط الإنكليزي . ولك من هذا العمل
مورد كبير للكسب »

لم أدع الوزير يشتم قوله فقد كان اقتراحه بأن
أعود إلى مدينتي في مثل هذه المهمة معزياً لي وقلت
بلهجة من استخفه الطرب : « أقسم بالخبر واللح
الذي أكلته عندك وأقسم بحياتك وبرأس الشاه
إنني مستعد لتلبية ما تأمر به وسأذهب إلى أي مكان
تأمرني بالذهاب إليه ولو أمرني بالذهاب تحت أطباق
الأرض لأنني بشيطان من الشياطين »

وقال الوزير : « حسن ما تقول فاذهب أولاً إلى
فيروز خان وأخبره إنه هو الرجل الوحيد الذي يصلح
من بين الفارسيين لمنصب السفارة وأقمته بالفوائد
العظيمة التي تعود عليه من قبول هذا المنصب . وقل
له إن رجلاً آخر زاحمه عليه وأنه أعقل من أن يضيع
هذه الفرصة فيمنعها منافسه . ومتى قلت له ذلك
سهل إقناعه »

تركت رئيس الوزارة وأنا لا أعلم هل أنا صاعد
إلى السماء أم هابط إلى الأرض وهل تحققت كل
أطاعي أم سأعود إلى حياتي للماضية الملوثة بالأخطار

وهنا يقول واضع القصة باللغة الانكليزية إنه قد اتبع نصيحة البرويش الفارسي فلا يعود إلى سرد القصص إلا إذا أعجب بها السامعون، فإن شجعه القراء وضع قصة أخرى يسرد فيها حوادثه بعد ذهابه إلى انكلترا وما حدث بعد عودته من انكلترا إلى إيران بعد أن عرف عن الغرب وشئونه ما ليس يعرفه الإيرانيون . وواضع هذه القصة في انتظار تشجيع القراء يستأندهم في إتمام قصته

ويقول مترجم القصة إلى اللغة العربية إن واضع القصة باللغة الإنكليزية قد وفى بوعده فوضع كتاباً

آخر عنوانه حاجى بابا فى انكلترا وقد ترجمناه ونشرناه فى مجلة الرواية فى العام الماضى . وقد أعجبنا أياً بإعجاب بطريقة المؤلف فى استعراض مظاهر الحياة فى إيران غفاً كيناه فى طريقتة ووضعنا على غرار كتابه كتاباً نستعرض فيه الحياة المصرية المصرية وعلاقتها بالشرق والغرب وجملنا بطل القصة « الدكتور مبارك الستريسي الملقب بحاجى بابا بولاق وأخباره فى مصر وفرنسا والعراق »

وستوافى به القراء بعد حين

عبد اللطيف النشار

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة ماهرة مصرية

خط رباب فاخر وسريع بين الاسكندرية — منفى — مرسيليا والبلكس

أسعار الصيف ابتداء من ١٥ مايو إلى ٣١ أكتوبر سواء لغير

من مصر أو من أوروبا

(من الاسكندرية إلى جنوى أو مرسيليا أو البلكس)

الباحرة سكوتر

الباحرة النيل

جك

جك

١٦

١٦

—

١٢

١٠

—

—

٩

٥

—

٥

—

درجة أولى

درجة ثانية

درجة ثالثة : مخفضة (سباحة)

« ثالثة : (خصوصية)

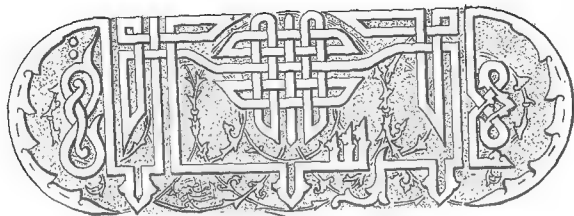
درجة رابعة

كوبرتة

وتمنع للذين يستخرجون ثلثا كره الذهب والأياب ما خصم ٧٠٪ على قيمة تذكرة الأياب . والأجور المينة أعلاها بالعملة الانجليزية تحصل بواقع ١٧ ١/٢ قرشا لجنينة الانجليزي .

مواهب السفر مع الاسكندرية

الباحرة النيل	١٨ مايو	الباحرة النيل	٢٩ يونيو
»	١ يونيو	»	٦ يوليو
»	٨	»	١٣
»	١٥ يونيو	»	٢٠
»	٢٢ يونيو	»	٢٧



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النَّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّظُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلُوعَةُ أَعْدَادٍ هَادِيُونَ الْعَرَبَ الْمَشْتَرِكِ ، وَكِتَابُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك للداخلين قرناً. والمخرج ما يصادى جنبها مصرى، وللبلد العربية بمضمون ١٠٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السبقول
احمد حسن الزيات

حول الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع البدوي رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والنبأ

ينصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ - أول يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٧

من أحسن القصص



فهرس العدد



صفحة		
٥٠٦	المرينة	أفصوة مصرية
١١٦	وحيدة	أفصوة مراية
١١٩	رنا	للفصمى الروس أنطون تشيكوف
٢٠١	مغامرات فتاة	أفصوة مصرية
٤٠	أبواب الفتح	للكاتب الإنجليزي الكبير "الساقي"
٤٤	ما ذنبها ؟	أفصوة مصرية
٥٠١	فقدان التذاكرة	عن الإنجليزية
٥٥٧	الشرطان	للكاتب الفرنسي بى دى موباسان
		بلم الأستاذ نجيب محفوظ
		بلم الأدب ناسى محمود الزاوي
		بلم الأدب فيصل عبد الله
		بلم الأستاذ عزيز خبطة
		بلم الأستاذ عبد الحيد حمدي
		بلم الآلة جيلة اللابل
		بلم الأستاذ عبد الطيف النشار
		بلم الأدب عادل الجمال

ولكن ربما لأنها كانت
أنفسهن جميعاً ولأن تعاسها
هذه كانت السبب الخفى فى
سمادنى بها زمناً طويلاً لن
يمود أبداً

ويرجع عهد معرفتى
بها إلى يومين أيام عام ١٩٢٠
وكنت أكتشد طالباً فى اللبنة

الأولى بمنزلة الزراعة العليا ، استيقظت ذلك اليوم
فى الصباح المبكر كمادنى فجاءتنى والدتى وقالت لى :
— حسونه ... أرى أن أخبرك أن ضيفه نزلت
بيئتنا ، وأنها ربما أقامت بيئنا إلى أجل غير مسمى ...
فنظرت إليها بغرابة وقلت لها :
— من هى ...
— زيف هام زوج الـبوزيائى محمد راضى جارنا .
فاستولت على الدهشة وقلت :
— لكنها ما زالت عروساً فى شهر العسل ...
أليس كذلك ...؟

— هو ذلك يا ببنى ، والظاهر أنها تسمة الحظ
لأنها اضطرت إلى هجر بيتها والانتجاع إلى فى الصباح
المبكر ، وزوجها ولا شك رجل غليظ فظ لا تسهل
معاشرته ، وإلا ما تركها تهيم على وجهها وهو يعلم
أن لا أقرب لها فى القاهرة ...

وكانت والدتى شديدة التأثر فقلت :
— مسكينة ...
فقالت بانفعال :
— كانت أم هذه الشابة صديقة صباى ، وإنى

الشربكة

أفصوصة مصرية
يقلم الأستاذ نجيب محفوظ

الغالب على أحداث الشبان فى هذه الأيام أن تتجه
نحو غرضين : النساء والسياسة ، وحول هذين
الموضوعين دار الحديث فى مجتمع من الأصدقاء كان
من حظى المشاركة فيه حديثاً ومتصيحاً . وقد بدأ الحديث
فأرأى أنه لا يمكنه أن يستطع أن يجذب إلا بعض أشتباهى ،
حتى تكلم ذلك الصديق البارع وتدفقت الذكريات
على لسانه الدرب فألقيت إليه بأشتباهى كه ، لأن حديثه
كان قصة مستوفاة العناصر ، ومثل هذا الحديث
يستبد بمشاعرى استبداد المال بقلب اليهودى الشجيح
وإليك ما قصه صاحبي — قال :

لا يكاد يخلو تلويع شاب من امرأة ، ولكنه
قد يخلو من المرأة المؤثرة التى تترك وراءها شاهداً
عميقاً لا ينال منه طمس السنين كالوشم فى اليد
أو الصدر . وقد عرفت نساء كثيرات لا أذكر منهن
إلا أثرأ ذاهباً من اللذة أو الألم ، أو أطياناً غارقة
فى الظلام والنسيان . إلا امرأة ، بدت فى فترة من
حياتى كالشوكب الذى ينير أبداً ويضى ما حوله ،
فلأننا أنساها ، ولا يثمر النسيان حياتى التى غمرتها
بروحها الرقيق ... لماذا ... لأننا كانت أجل من
عرفت ... أو أحسن إلى قلبى ... لا أعتقد هذا

عهداً للتقاليد، وكانت المرأة المصونة تبدو دائماً وكأنها عاطلة بسياج من الأسلاك الشائكة . وكان الحب بعيداً نسبياً عن التهلك والابتذال اللذين صرعا أخيراً وأورداه الإباحية والجنون ، فكانت العواطف تزدهر في القلب وتبت الآمال والأمان ، وتنصهر في الملل وتخلق الأخوية والأخلاق ، وتكتسى بحلى نادرة من صنع الأوهام والأطيان ...

فكان يقتنى من زينب نظرة أختلسها من وجهها الحسن أو جسمها البض ، لتكون زاذى في النهار والليل وفي القفلة والنوم ، وأصبحت وأمسيت في عالم أثيرى جميل بث في وجداني حياة ناضرة كالحياة التي ينشرها الريح في الحقول والبساتين . على أن الأسر لم يقتصر على ذلك فجرى الحديث بيننا مراراً ، ولعبنا الورق مرة والرد أخرى ... وغالبتي عواطفى فوسوست إلى نفسي أن أتشجع وتساءلت بمحبة لماذا لا أجرب حظي . لماذا لا ألس أناملها في أثناء اللعب مثلاً ؟ أو أهدى إليها عجدولين فكنون فاتحة حديث لذيذ لا يعلم ختامه إلا الله ... ولكنى لقيت من التردد الشيء الكثير، ولم تسمحني الجراءة التي تملتها فيما بعد ، وضاع الوقت هباء حتى رجعت يوماً إلى البيت ، فوجدت والدتي وحدها ... وكنت تمنوت أن أراها إلى جانبها ، فأحسست بوحشة وضيق ، وكنت رغبة تلعب على بالمؤال لأن تلوث نفسي أفقدني صراحة الأبرياء ، وظننت السؤال قاتحى ، ولم تدعنى والدتي فريسة المذاب فقالت لي :

— شكرًا لله فقد جاء جارنا الضابط واعتذر

أرجو صادقة أن تفيش بيننا سخيبة ...

ثم أردفت بلهجة ذات مغزى

— وأن تكون لما يا حسوة أخاً كريماً ...

وبادرت قائلاً :

— طبعاً ... طبعاً ... يا أماء .

وذهبت إلى المدرسة وأنا أذكر كلمة والدتي الأخيرة واللهجة التي قالها بها :—وأحسست بمزيج من الخجل والغضب . ترى هل تشفق والدتي من سواكى على ضعفنا ؟ ثم خطرت لي أن أتساءل — هل هي جميلة إلى حد تبرير والدتي ... حامت أفكارى حول ذلك طول الطريق من مصر الجديدة إلى الجيزة . والحق أن كلمة والدتي البريئة أوجدت في نفسي منذ البداية الاستعداد الذي كانت تشفق منه أياً لمشفاق .

وكان جو بيتنا غايه في الهدوء ، فوالدى كان حينذاك قاضياً بحكمة منطفاً الأهلية ، وكان يقيم نصف الأسبوع في القاهرة ونصفه الثاني في محل عمله ؛ وكان أخى على في المدرسة الحربية ، وأخى عادل في بعثة مدرسة الطب بالبنسنا . وفي ذلك الجو المغمور بالهدوء والسكينة عرفت زينب هائم العروس التمسة ... وقد خيل لي وأنا أتى عليها النظرة الأولى أنى أرى صبوية صغيرة . نعم كانت بضعة مبتلئة بادية الأنوثة ، ولكنى قرأت في عينيها المسليتين نظرة براءة وسذاجة . بل طفولة كاملة لولا ما يلوح فيها بين العين والعين من الحزن العميق الذي لا تعرفه الطفولة الجففة ...

وكان الشباب في ذلك العهد غيرهم الآن كانوا أعظم استقامة وأدنى إلى العفة والطهر ، وأدعى

- فضحكت ضحكة رقيقة وقالت :
 — لا ينقصك إلا أن تفتح عمراً للتحقيق
 وتطالبني بالشهود ...
 فجلت من فضولي ، وضحكت أداري خجلى ،
 ولم تكن عواطفى تكف عن الطفيان قلت :
 — ألا يحسن بنا أن نبحث عن مكان صالح
 للجلوس ...
 فهزت رأسها وقالت بمناد طريف :
 — كلا أنا أفضل المشى لأني أريد أن أنحف
 فنظرت إلى جسمها البض المتلى نظرة ممذبة
 ووجدت في كلامها فرصة ذهبية لا ينبغي أن تفلت
 مني فقلت بإعجاب :
 — وما جدوى هذا التعب ... إن جسمك
 كامل الفتنة ...
 فأثقت على نظرة جمعت بين الانتقاد والدلال
 وقالت وهي تشير إلى جسمها :
 — هذه موضة قديمة
 فقلت بحماس :
 — هذا جميل وكفى ... وما عدا ذلك فلا وزن
 له عندي
 — وعند الناس ... ؟
 نعم وعند الناس ... كدنت أنسى هذا ، إذ خيل
 إلى الوم الساحر أنى صاحب الشأن الأوتد ، وعلى
 أنها قالت ما قالت وهي تبسم إلى ياغراء ، فاستخفى
 الوم مرة أخرى واشتد في الطمع فقلت :
 — أنت لم تتنبى في هذه الفترة الطويلة وكأن
 التي أراها الآن هي السيدة الجميلة التي أشرت بقتة
 فقلت بسرور وقدأ يقظ صوتها وحدى القديم بها :
 — والذى بخير ... كيف حالك أنت يا هانم ؟
 — عال ، ولكن أين عدالات هانم ؟ ...
 هل أنت هنا وحده ؟ ...
 — نعم ، الأسرة في رأس البر لأن والدى
 يجها ويفضلها على الاسكندرية ، وأنا هنا بحكم عملى
 — نسيت اسمك ...
 حسوة ...
 وكنت نسيت اسمها كذلك ولكنني نفرت بطبعي
 من سؤالها عنه ، فثيت إلى جانبها صامتة وكان
 وجداني في يقظة قوية ، وأصارحك القول بأني من
 الذين لا يملكون عواطفهم إذا خلوا إلى امرأة
 أيا كان جمالها ، وأن رغبتي في النساء طامة لا تعرف
 التخصص ، وقد كنت قبل نحو عشرين عاماً
 ذا استعداد للحب ، ولكنني فقدت بمرور الزمن واطراد
 التجارب وكثرة الأهواء تلك الموهبة الجميلة ودنوت
 كثيراً من الحيوانات الراقية . وكنت في ذلك
 الوقت خالطاً ، وكنت اخترت خطيبتى من بين
 عشرات الفتيات ولكن ذلك لم يمنع قلبي — ذلك
 اليوم — من التعلق السريع بتلك المرأة ومعاناة الرغبة
 والطمع ، قلت لها :
 — أأنت وحده هنا ؟ ...
 فقالت بلا اكتراث :
 — نعم !
 — وزوجك ... ؟
 — في السالم
 — وماذا تعيشين وحده ؟ ...

فتهدت وتعمدت أن أسمها تهدي ثم قلت :
— فليكن ... ألا ترين من الحكمة أن
(ترك) فندق ريش ... ؟
— ترك ...

— نعم ... أنا أعني ما أقول ، وأعرف فندقاً
هادئاً في لوران فـأ رأيتك ؟

ولم تجبني ، ولأزمت الصمت حيناً ، وبدأ على
وجهها الاهتمام والتفكير ، نفثت قلبي وساورني
الخوف والقلق ؛ ولكني أحسست فجأة بذواعها
تلصق بذراعي وسرنا مشتبكين كالعشاق أو الأزواج ؛
فأتلج صدري وغمرني الفرح والفوز ، وقمت بذلك
جواباً ...

وفي مساء ذلك اليوم افتتحنا ممّا مأدبة الحب ،
فعدنا إلى ريش وأخذنا حقائبنا ورحلنا إلى لوران
وزلنا في فندق أكس لاشابل ، وهو فندق هادئ
منزل يقوم على شاطئ البحر كزاهد عازف يولى
ظهرة ضميح الحياة ويستقبل أفق الأبدية والأحلام
وعشت أليماً أذكرها دائماً كما يذكر السقيم
عهد الصحة والمافية ؛ كان الحب فيها الحاكم القاهر
المستبد الطاغى الذى لا يترك لشيء مكاناً من عقولنا
أو نفوسنا ، وكنت أعلم أنها أيام وإن طالت قصار ،
وإن صفت فإلى انتهاء سريع ؛ فأقبلت عليها بنهم
وجشع ، أملأ من حسناتها قلبي وحواسي ، كيلا أدم
زيادة لمستريد ، غير مؤجل تمتة إلى غد أو مبق على
لنفة إلى حين ، أو تارك ثمرة بلا قطف والهام ... وكانت
شريكتي سميحة راضية يسكرها الحب وتستخفها
آيات العطف ، تستزيد منها كما يستزيد النمل من الطرب
وتبين لي بغير كبير عناء أن آمالنا متباينة ،

في بيتنا بمصر الجديدة منذ عشرة أعوام ، وغربت
بنته كذلك فتركنتي أحلم بها أليماً وشهوراً
فنظرت إلى بحيث وقالت :
— يالك من ما كر ...
فقلت ضاحكا :

— ما وجه الغرابة في ذلك ... من يرى هذا
الحسن ولا يتمناه ؟
— الظاهر أني سأجد من الواجب أن أفارقك
لأنجو من أمانيك ...
— حاشا أن تفعل ... بل حشاشي أن أترك
تفعلين . إن فوزي بلقائك بمد هذا الثياب الطويل
نعمة من البطر الشرير الكفر بها ...
— إنك تحدثني كما لو كنا عاشقين اقترعاً ثم
تلتقيا ...

— هذا شعورى بحق ...
— هو أدنى إلى الوم
— أما من ناحيتي فلا ...
— وأما من ناحيتي فنعم ...

ولكنها قالت ذلك بدلال ووقه ، وهي تبسم
ابستامة عذبة تسيل إغراء (فعلت أن يمينها لم تخرج)
ولم أدهش لما تبدي من استسلام لأن حالتها في الواقع
كانت تدمر إلى الريبة ، وتذكرت ما قال صديقي
الدكتور شلي فقلت :

— إني أعجب لماذا تقيمين وحدك في هذا الفندق ؟
— أراك تمود إلى التحقيق ...
— كلا لا داعي للتحقيق ... ولكنني غلث
أن التقيمين بالطابق الثاني يضايقونك ...
— أهدأ لهم يضايقونك أنت ...

وإلا يمكن أن يظهر بثقة في أفقا الهادئ فتكون
الطامة التي لا تدفع ...

وكانت هذه الأفكار تساورني خارج الفندق
بمبدأ عن ظلها الخفيف ، ولكنني وجدت نفسي
مسوقاً إلى مقامحتها بهذا الحديث وقد فلتت ،
فسألها يوماً :

— أما من أخيار عن زوجك ... ؟

فأكفهر وجهها وأظلت عينها وقالت :

— دع هذا الحديث جانبا ...

فاضطرت ساعته إلى السكوت ، وفي نيتي
أن أعيد الكرة مهما كلفني ذلك . وكانت تتخاضى
هذا الحديث وتهرب منه ، ولكنني قلت لها يوماً
بإخلاص وحزم :

— ينبغي أن تعلمي أنه ليس الفضول الذي يدفعني

إلى معاودة السؤال ، ولكنه الاهتمام بشخص أعزّه
وأحبه وأرجو دائماً أن يفتح لي صدره وقلبه ...

كم فرحت لكلامي هذا ... لقد التصقت بي
بوجد وحنان وتهدت بسفاده وقالت :

— يا للسعادة ... طالما شرعت إلى الله أن يهني

قلبي حقنوا غيماً ...

فداعيت خصلة من شعرها الأسود بيدي وقلت :

— إذا هيا وصارحين بكل شيء

— ولكنه حديث مؤلم كرهه

فقلت :

— أنا لا أدري شيئاً ، لأنك لم تريدي أن
تطلعي على شيء ، ولكنني كنت أرجئ دائماً أن
حياتك الزوجية غير سلبية . ومنها يكن من أمر
فينبغي أن أعلم كيف يتركك زوجك هكذا ...

فكنت لا أفكر إلا في حاضري ، وأود لو امتص
ما فيه من حلاوة في رشفة واحدة ... أما هي
فكانت تنظر إلى بعيد ولا تفتأ تذكر المستقبل وترغب
رغبة صادقة في أن تطمئن إلى دوام السعادة والحب .
وقد عجبت لذلك وعلمت أني لم أفهم بعد تلك المرة ؛
وقد ظننتها حيناً امرأة مستهترّة متقلبة الأهواء ،
تجوب البلاد بمبدأ عن زوجها طلباً للحب الآثم
وانتهاباً للذات ... ولكنني وجدتني هادئة الطبع ،
عظيمة المودة ، لا تسيطر عليها النزوات الممياء التي
تورد أصحابها مهالك الفتن ...

وكانت أياها الأولى أيام حب خالص ، فلم يكبر
صفوى مكبر ، إلا أن إفراطى الشديدي ردى إلى شيء
من اليقظة والانتباه فاستطاع فكري أن يتناول أموراً
غير الحب ...

فكرت في أنني اعتدى لأول مرة على حرمة
الزوجية ، ولم يكن سبق لي أن اقترفت هذا الإثم
السكر فوخرتني شكة الألم وأحسست بخوف غافض ،
وزاد من ألمي أنني كنت على عتبة الحياة الزوجية
وسأملت نفسي في رعب ألا يجوز أن يقتصر الله مني
ويصيبني يوماً في القتل الذي طلمت فيه الآخرين ؟

— وهنا قاطعه أحد الستمعين قائلاً :

— وهل صدقت غاؤفك فيما بعد ... ؟

وبضحك الهمس ونظر محدثنا إلى مقاطعه شيزراً
ثم استأنف حديثه قائلاً :

ثم فكرت في أمر آخر لا يقل عن سابقه
خطويزة . فكرت في أمر الزوج الغريب الذي يترك
زوجته الجليل على الغارب . ما الذي عساه يفرق
بينهما ... وكيف يرضى عن هذه الحياة القريية ؟ ..

لاستعنت به على الصبر والرضا ولكنى حرمت حتى
من هذا الزمان ...

وكانت تتكلم بتأثر شديد تغيل إلى أنى سأتبعها
إلى البكاء ، ورتت في نفسى على الحظ التمس الذى
ضيق عليها الخناق ، وخطرت لى فكرة قفلت لها :

— ألم يكن فى وسعك إصلاح ما أفسد الحظ ؟
فضحكت ضحكة مريرة وقالت :

— الحظ التمس لا يصلحه شيء وأنا ما قصرت
قط ، وأصارحك القول بأني كنت أحبه وما وافقت
على الزواج منه إلا لأنى أحبته يوماً ، ولكنه مضى
بعد الأسبوع الأول من زواجنا بقضى الليل خارج
البيت ولا يعود إلا قبيل الفجر ، وكنت إذا انبرت
لإصلاحه ومدافعة الشقاء الذى يهددنى به سخر منى
وهزأ بمحاولاتى ، ولما ضاق بى ترك السخريه والهزء
وعمد إلى الخشونة والفظاظة ...

وسكنت عن الحديث دقائق وهى مستسلمة إلى
الشعور الأليم الذى أحدثته الذكريات ، ثم أردفت
بصوت أعمق ووجه أشد اكفهراراً

— وأذكر كنى اليأس منه ، ولما أتم شهراً كاملاً
فى بيتى الجديد ، وكان ذلك لحادثة هجية لا يمكن
أن تحمى من ذا كرتى أياستنى من الخير ودرست
كل فضيلة فى نفسى . فى ليلة من ليالى شهر العسل
كنت مستغرقة فى النوم بعد سهاد حزين ، وإذا
بهزة عنيفة توقظنى من نومي فاستيقظت فزعة صارخة
ونظرت بعينين مرتبنتين فرأيتته جالساً إلى حافة
الفرش ، وهمت بتعنيفه ، ولكن لساني لم يتحرك
فى فمى لأنه كان فى حالة سكر شديد كما تبين ذلك
من نظراته الذاهلة ووجهه المحترق والرائحة التى تنبعث
(٢)

فهزت منكبيها باستهانة وقالت :

— إنه لا يعرف مقرى على وجه التحقيق ...

— ما أعجب هذا ... أستطيع أن أفهم أنكما
غير متحابين ، ولكن الذى لا أستطيع فهمه هو
أن تبقيا زوجين بعد ذلك ...

— إنه لا يظلمنى لأنه لا يستطيع الاستغناء
عن مالى ... وسوى ذلك فلم يكن زوجاً قط وهو
لا يظلم أن يكون زوجاً فى يوم من الأيام ... على
أنى فى الواقع لا أرغب فى الطلاق ...

خمدت فى وجهها دهشاً وقلت :

— هذا أعجب !

— لا تعجب لشيء . ألا ترى أنى هكذا مالكة
لحريقى ؟ ... ولو كنت مطلقة ما استطلت أن أذهب
إلى حيث أشاء . ولو كان لى من يهمة أضرى ويخنو
على بصدق لتغير مصيرى من يادى الأحرار ، ولكنى
وحيدة ، وحيدة فى هذه الدنيا الواسعة . أنت
لا تدري ما الوحدة ... أما أنا فقد تجرعت مذاقها
المرطوال هذه السنين ... مات أبواى والتحق أخى
الأوحد بوظيفة فى قنصلية اليونان ، ونبذنى زوجى ..
فليس لى مكان آوى إليه أو قلب يطفئ على ...
أما منبوذة فى هذه الدنيا ...

فوجئت صامتة وغلبنى التأثر الشديد . ورأيت
وجهاً الجليل محترقاً كقطعة من الجمر ولحت دمة
حييسة فى عينها قفلت :

— إنك جميلة وغنية فماذا كان يريد هذا الأحمق ؟

— إنه وحش ضار وقاس جحود ، لم أستطع
أن أعائره كزوجة إلا أياماً معدودات ثم اضطررت
إلى حياة التشرد والهجان ... ولو وهبى الله لطفاً

على أن يطبق حريقى ، وقد كان ... وغدوت حرة
أقيم حيث أشاء وأفضل ما أشاء لا أسأل عما أفضل ...
وهاللى الأمر فقلت :

— وهل عشت سعيدة بعد ذلك ؟ ...

— فتهبت وقالت :

— ليت ذلك كان ممكناً ... ما تمنيت على الله
من شيء مثلاً تمنيت أن يسلبنى حريقى هذه فى لقاء
أن أحظى بالمعاده التى أحلم بها والمطف الذى أتحرق
إليه ، وأنا مستعدة دائماً أن أتنازل عن حريقى بانه
لن يهين قلبه وإخلاصه .. كم تميت وكم بحثت ...
وكم ضقت بحريقى ...

الآن علمت كل شيء ... لقد صرفت هذه المرأة
التسعة عشرة أعوام فى البحث عن العبودية السعيدة
فهل ياترى وقت إلى ما تريد ؟ ... كلا ... هى
لم توفق ولا ريب ، ولو أنها وفقت إلى الحبيب الصادق
ما رمت نين يدي أنا بهذه السهولة . لقد انصرمت
السنوات العشر فى خيبة مريرة وخدع ألمية ، وما من
شك فى أن الكثيرين تلقفوها بشراهة وجشع كما
أفعل الآن ، ثم ردوها قهراً بعد شبع إلى حريقها
البيضة . وهكذا فالخيرة نفسها تهون وترخص أحياناً
وتسعى فى طلب المستبد الفاسد ..

ولما انتهت من سرد قصتها نظرت إلى بيلينا
واستسلم ، ثم ألصقت جبهتها بجبهتى وسمعتها تهمن
فى أذنى قائلة :

— وأخيراً ...

وفهمت مدلول تلك الكلمة وعلمت أنى ألعب
فدرايتها البائسة دور الأمل الأخير ، فإما أن أقوم به
كما تمنى أحلامها وإما أن أخفى بها على اليأس القاتل

من فيه ، وكان هنالك ما هو أدهى من ذلك ، كانت
تقف قريبة منه امرأة غريبة فى مثل حالته من السكر
الشديد . كانت تنتظر بلاريب أن أوسع لها مكانى
من فراش العرس ، ولم يهملنى حتى أفتق من فزعى
ودهشتى فقال لى بلسانه الثقيل الملتوى : (تفضلى
خارجاً) ولم تنتظر صاحبتها ، فدنست من الفراش وارتحت
إلى جانبى ، ولم أتمالك نفسى ففزعت من مكانى
إلى أرض الفرفة وقعدت رشدى ؛ فانبجرت غاضبة
وانهلت عليه سباً ولعناً ، ولكنه هن كتفيه استهانة
واستلقى إلى جانبها فنادرت الحجر فى حالة جنونية ،
وأحسست برغبة لا تقاوم فى هجر البيت ، وكانت
نيابى فى الدولاب داخل الحجر ، فأخذت غطاء
المائدة القטיפية وتلفتت به وفتحت الباب ووليت
خارجاً ، والدريوك تصيح معلنة طلوع الفجر ،
وهزلت فى الطريق الوحش لا أقوى على شيء حتى
انتهت قدامى إلى البيت الوحيد الذى تودنا الذهاب
إليه ... بيت والدتك ... ولعلك تذكر الأيام القلائل
التي قضيتها عندهم ... إلى لا أنسى تلك الليلة أبداً ...
ولن تزال قائمة فى نفسى بجميع تفاصيلها ... وقد
كانت فاصلة فى حياتى بين عهدين ...

إلى أذكر تلك الأيام بلا ريب ... ولكن كم
كنت أجهل ما تخفى من التماسه والبؤس ...

واحترمت فترة الصمت التى تلت ذلك ثم سألتها :

— كيف عدت إليه بعد ذلك ؟ ...

فهزت رأسها باشمئزاز وقالت :

— فى تلك الليلة انتهت حياتى الزوجية فى الواقع
ولسكنى كنت بلا مأوى وبلا معين فإذا أصنع ؟ ...
عرض على اتفاقية قبيلتها ، وهى أن أعطيه من مالى

تتجاهل كل شيء ... لماذا لم تصارحنى بشمورها ؟ ...
ولماذا لم تهب للدفاع عن سماعتها الموهومة ...
لم يحدث شيء من هذا

وقد عدت ظهر يوم من عملى بالتفتيش فوجدت
حجرتنا خالية ، وبحفت عيناى عن آثارها اللطيفة
التي تمودت رؤيتها كالفلستين التي كانت تعلقها على
الشجب أو الحقيقة التي كانت تضمها على المائدة فلم أر
لها أثرأ ، وأسمرت إلى اللولاب وفتحت على مصراعيه
فلم أجد سوى ثيابي ، وناديت الخادم وسألته عنها
فأخبرني أن الهانم تركت الفندق الساعة العاشرة
صباحاً وأنه أحضر لها بنفسه التاكسي ...

وبحثت هنا وهناك عن خطاب أو ورقة لأنى
كنت أتوقع أن تترك لى كلمة ، ولكنى لم أعثر على
شيء ...

لقد تركتني دون كلمة وانتهى كل شيء
وجلست صامتاً واجماً تتنازعنى العواطف ،
ولم أشعر براحة للخلاص الذى جاءنى بدون مشقة ،
وأحسست بمخجل وألم ووحشة ثقيلة ، ولم أجد رغبة
إلى الطعام فقامت من فورى أبحث عن مسكن جديد ،
لأنه كان يقعد على أن أبيت ليلتى فى تلك المحجرة
المهجورة ...

وسكت الراوى لحظة ثم أردف :
ومضت سنوات لم أرها فيها ؛ ثم رأيتها منذ
عهد قريب تسير شاباً أنيقاً في ميدان المحطة ؛ ولكنى
لا أدري إن كانت ما تزال تبحث عن الحب والعطف
أم أنها استنامت إلى القنوط ...!

تحيب محفوظ

وأحسست بثقل تبعثى وران على صدرى ثم
عظيم وتساءلت حيران ترى ما هى أحلامها ؟ ...
أن تدوم هذه العشرة ... وكيف لى بدوامها وأنا
على قلب قوسين أو أدنى من الزواج ... ومضى تأثرى
الشديد لتماستها بهداً نوعاً ، وأخذت أفكر فى نفسى
وأنظر إلى علاقتى بها بعين متشاعة ، وأسأله فى قسوة
وأسفا عن طريقة الخلاص ... وكانت تأتى على
أوقات أعجب فيها من أنانيتى وأسأله فى اشتزاز
— إذا كيف كان شأن من لم يشعروا بنحوها بنير
الشهوة والطمع ؟ ... الحق أن عالنا الإنسانى عالم
شديد القسوة ، وما أضيع الفلسفة التي تمب أصحابها
فى الدعوة إلى القسوة وتحقيق تنازع البقاء ، فعلى
فى الحق تحصيل حاصل وجهد ما كان أخرى بأذليه
بالضن به ...

على أن الذى أزعجنى هو أن زيفت لمشاعرى
الخفية من غير أن أصرحها بها ، وبدا لى ذلك فى
وجومها وبرودها وقنوطها . ولم أدهش لذلك فأنى
من الذين لا يدرون كيف يخفون ما بنفوسهم ،
وتفضضحهم أعينهم وإعماهم . ولم أكن يئس قط
نية مصارحتها بما طبع فى صدرى أو بفكر
بما يمتزق فى رأسى ، وقد كنت أفكر فى حالتها بعطف
ومودة ، ولكن العطف شيء والحب شيء .

وكنت أتوقع فى خوف وإشفاق أن تفتأحنى
بما يقوم فى نفسها من الواسوس ، وكان ذلك يضاعف
آلامى النفسية ورجوت أن تنقش تلك السحابة
من سماء حياتى دون أن تترك وراءها أثر الحزن أو ألم
أو تأنيب ضميمين مقلبت حياتنا تخميلاً ثقيلاً ، وكان
كل منا يعلم ما يشعر به صاحبه نحوه ولكننا كنا

إكراماً وإرضاء لها ، ولكن
سرياً ما ذلت الزهرة وطواها
الرحى ، وخلفت له ابنة سماها
وحيدة !

ولقد كانت هذه تشبه
أمها كل الشبه ... حيناً
مثاقفان ، حين منبسطة ،
أنف دقيق ، شعر ذهبي غزير

جسم بض حُلُو شهي ، كلها آيات توحى الرقة
والإبداع ...

نشأت وحيدة في كنف والدها الذي أحاطها
بطفله وحنانه حتى أنساها موقع الأم التي فقدتها !
وكان يتحضرها يشقى الهدايا المناسبة أو لغير مناسبة .
وما كان أسعده عندما يرى شبح ابتسامته تلوح على
شعرها البديع !

ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها السعيد
أنحت كأنها الزهرة النضرة : فتاة ممثلة بالحيوية
ويوحى جسدها المشتعل أن فيه روحاً متوثبة مرحة ،
وفيه حياة تتدفق كأنها الللال الصاخبة لا يكف
لحظة عن الاندفاع ... سهلة الضحك ، تحب أن تقضى
النهار كله في الحديث والمسامرة ، لا مع أختها التي
كانت تضيق كل المضايقة من صمتها المل وسكونه
الدائم ولكن مع ابن خالتها « أمين » الطالب
في كلية الطب !

كان جميل الطلعة ، برى التفاضيل ، صافي
العينين ، دقيق الأنف ، يجمع بين نشاط الرجولة
ورقة الأنوثة

من صميم الراح وجيلة ...

أقصصة عراقية
بقلم الأستاذ ناجي محمود المزاوي

« مهداة إلى الأستاذ الكبير الزيات اعترافاً
بفضله على الأدب والأدباء . » ن . م

السيد كامل بك وهذا هو اسمه المعروف والذي
تنبأ عنه بطلاقة ذات الحروف البارزة ، رجل فارغ
الطول ، عريض التكوين ، يمجرك تقدير سنه ،
ففي ثمانى عشرة سنة أوحس وخسون أو ما بينهما ،
وهو من صنف الرجال الذين لا تنوهم الأعمار
لأنهم قط ما أزهروا (١) ...

لم يكن كامل بك من ذوى المناصب المالية ،
والوظائف الكبيرة ، وإنما هو من أصحاب الثروات
الضخمة والمال الوافر الذي جمعه بالسي الدائب ،
والتدبير المعجز ، والربا الفاحش ، والشح الدق ،
والتقدير الملهك (٢)

وقد تيسر له بهذا الثنى العريض أن يناسب
إحدى المائلات ذات الحسب العالي والشرف العالي
والصيت البعيد . فأحب زوجة الحب كله وبسط يده
المغولة إلى عنقه ، فشد القصر الضخم وأكبه بالأثاث
الفخم ، واشترى السيارة المريحة : كل هذا وغيره

(١) برنارد شو

(٢) أحمد حسن الزيات

ألا تنكر ضفوف مودتنا بالتحدث في هذا الموضوع
مرة أخرى!...

ومضى عام ... وعام ، وفي الربيع زفت وحيدة
إلى الباشا !

كان زوجها قصير القامة ، ناعل الجسم ، أسمر
الوجه بارده ، لا يثير عاطفة ما في نفس المرأة ، ولهذا
بدأت تحس بالقباض في صدرها وبوحشة في نفسها ،
وظنت أنها أصبحت حقاً وحيدة !

ولقد أثر فيها في البدء عطف زوجها وحده
عليها ، لأنه دائم الحرص على راحتها ، وتوفير أسباب
الهناء لها . وما من مرة لمحت بمحاجتها إلى شيء
إلا أسرع فكفله لها . وإذا حدث وأحست مرضاً
أو توعكا فإنه ينفى راحته في سبيل راحتها ،
ويضمها بطف وحب كثيرين . كان يسرف
في خدمتها ويمده جيلاً منها لو أنها كلفته بالقيام
بأي عمل من أجلها ؛ وأحاطها بمجيش من الخدم
يلبون نداءها لأول إشارة ، وما عليها إلا أن تأمر
فتطاع ، ومع ذلك فهي تشكو وتتذمر !

أما أسعد الأوقات عند ما فهي حينما يأتي «أمين»
لزيارتها ، فيتسامران ويتناحزان ، ويقرأ لها أشعار
الحب والفرح ، ويحدثه أحاديث الغرام والوجد !
لقد رأت فيه رجلاً جديداً يختلف تمام الاختلاف
عن زوجها . وجدت في نفسه الرقيقة الفياضة
بالمحبة ، صدى لنفسها المتعطشة إلى الحب ،
وتأكدت أنها لو تزوجته لماشت حياة كلها صرح
وسعادة ، تختلف تمام الاختلاف عن حياتها

ففي إحدى الأمسيات ... كان يسير معها ...
وكان الجو صحوً والتسيم عليلًا ، والهواء مطرأً
بشذى الزهور ، والقمر الماشق يشر بأشعته الفضية
أطراف الحبين اللذنين ... فتحرك عواطفه وفاض
غرامه ... واعترف بحبه ، وقبل أن يفيق من دهشتها
كان قد احتواها بين ذراعيه وسجل غرامه بقبلة
على شفتيها !
ووقفت الفتاة أمامه مضطربة ، صرّخبة ...
وقالت :

— ولكن ... لم يكن ينبغي أن تفعل هذا ...

وترقرت الدموع في عينيها وأردفت :

— لو رأنا أبى ...

فقاطعتها بلهجة الراضية :

— لا يهم ، سأفأخ والدك بالأمر ...

وقصد إلى غرفة أبيها وفأخه في الأمر ، ولكنه
قال في لطف إنه وعد ابنته رجلاً آخر ...

— رجلاً آخر ؟ كيف ! لماذا ؟ أأنت أحمق

الناس بها ؟

ومع ذلك فهي تبادلني الحب ، وما قالت لي
إنها مخطوبة ؟

— لعلها لا تعلم ، ولعلك نسيت أن تقاليدنا
في الزواج لا تعجل للفتاة أهمية في هذا الموضوع !

— ولكنها تبادلني الحب !

— اصبر يا أمين : إنك شرقتني بطلب ابنتي .

ويجزني أنني لا أستطيع إجابة طلبك ، ومن إنجليز

التي تحياها مع زوجها الباشا !

ومضى عام ... و « أمين » الماشق المرمى يرى بأن وحيدة ضرورية لسعادته كما هو ضروري لها ! ولم يكن يستطيع أن يتصور أن وحيدة في كنف زوج مغموم بها وعليه أن يتركها ليسلو وينمي ونسلي !

والعجيب من زوجها الباشا أنه ماشك يوماً في نية أمين . والحقيقة أن « أمين » ما فكر يوماً أن يبست بقرينته ويتنكح حرمة الزوجية وقديسيها، ولم يكن يحظر على بال وحيدة أنها ستستسلم يوماً ما لأمين التي تنمده عبادة أو تستعمل الاستحيل للزواج به ثانية ! ولكنها امرأة ، ولكنه إبليس !

وفي إحدى الأسابيع الدلهمة خرج الباشا لزيارة صديق له فلم يجده . وفي ذلك الحين همت عين السماء بمطر كأنه أفواه القرب ، وازدادت الوحول واشتد زفيف الريح فتاله من البرد والطر ما لم يتحمله جسمه الواهن فوقع فريسة الحى والمرض ، واشتد عليه المرض فجاء الطبيب ووصف الدواء وعذراً الزوجة من أن تعمله أكثر من عشر قطرات في كل وقت وقامت في نفسها فكرة ... شرب زوجها الدواء فنام إلى الأبد ، وانتهت حفلة الدفن ورجع الناس بمدون خصاله ويترحمون عليه ، وترك زوجته تروء لا تُمد ولا تحصى ، ملايين من الأصفر الرئان !

وهنا تقرب من الخاتمة ، فبعد العلة بشهرين

زُفَّت وحيدة إلى زوجها الجديد الدكتور « أمين » !
الذى لم يكن يعلم مادبرته وحيدة للخلاص من زوجها والزواج به

ولقد كان من سوء حظها أن تكتب يومياتها في مفكرة صغيرة عثر عليها أمين فقرأ فيها ما كان ، فهاله الأمر وتجاهل أنها فعلت ذلك رغبة فيه . فخرج جادت وحيدة فهاهنا أن تعبد مذكراتها بمزقة ، مبثرة تتطاير من هنا إلى هناك ، وأب أمين قد خرج ...

وقضت ليلة أرقه مسهدة فيها محنة وفيها عذاب ، فضافت في عيها الدنيا ومرت بنفسها من الثائفة فاذا هي على الأرض كومة من المظم والحم والدم ! ...
نأوى محمود العزراوى

كتاب النقد التحليلي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

هو أول كتاب في اللغة العربية عالم النقد الأدبي بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة . بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين ، ولكنه استطراد لدرس مسائل مهمة في قواعد النقد وأسول الأدب ومناهج البحث حتى جاء الكتاب مرجحاً في هذا الباب ونموذجاً في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يغنى القارئ عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه لخصه تلخيصاً وافياً .

يبلغ في ٣٢٦ صفحة من الطبغ المتوسط
وثنه ١٢ قرشاً خلافاً أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة

الممس والنظرات ... وهزوا أكتافهم ساخرين
وتابع الخطيب كلامه : « إى (بروكوفى أوزبش)
لقد كان وجهك شاحبا مرعبا ... إلا أننا كنا نعرف
أن وراء ذلك قلبا طاهرا نبيلًا ونفسا كريمة » .
وما لبث السامعون أن لحظوا على الخطيب دهشة بلغت
حد الدهول . فقد أجمه بصره إلى ركن من الحشد ، ثم
التفت إلى بولافسكى زائغ البصر ، وقال بهدج : إنه حى !
— من تمنى ؟ !

— بروكوفى أوزبش . إننى أراه واقفا عند القبر
— ومن قال لك إنه الميت ... ؟ إن الذى مات
هو (كيريل إيفانوفتش) أيها الأبله ...

— ولكنك قلت لى إن (الأمين) قد مات
— لقد كان (كيريل أفانوفتش) أميتا أيها
الأحمق ... لقد حل محل (بروكوفى أوزبش) بعد
أن نقل هذا ككاتب فى مستشفى العام المنصرم

— وأنى لى أن أعرف هذا ولم يسبق لى به علم ؟ !
— ولماذا توقفت عن خطابك ؟ استمر أيها البليد
فأدار زا بوكين وجهه شطر القبر وواصل رثاءه

وعينا (بروكوفى أوزبش) عالقان به تحديقًا فى حنى
وغضب ... وما إن انتهى من الدفن وعاد الشيمون
حتى أخذ زملاء (زا بوكين) يلطمون ... لقد دفنت
رجلا حيا ... وأسرع (بروكوفى أوزبش) إلى
الرائى حائقا ساخط : « لا بأس أيها النقي الأحمق
بخطبتك إذا كانت رثاء ميت .. أما أن ترمينى وما زلت
حيا فأيتها سخيرة فى بيضة وتهككها بمخاطي فظيع ...
لقد قلت لى لم أقبل الرشوة ولست بذى أغراض
ومنافع ... ومثل هذا القول لا يقال عن موظف حى
إلا بقصد إداخته وأتهامه ... لم يطلب منك أحد
أن تصف وجهي بالخيف الربيع ... إنها إهانة
فظيمة سوف تربى منى العقاب عليها »

فصل عبادته

« بناد »

وبهائه .. وأوج قوته ونشاطه .. وإن يك مقدما
فى السن ... أية خسارة منينا بها ... من ذا الذى
يستطيع أن يحتمل مكانه فى قلوب عارفيه ... لدينا
أيها السادة كثير من الموظفين .. إلا أن (بروكوفى
أوزبش) كان جوهره بقيمة فبا كان زدهى به ويفخر .
وكان - أيها السادة - المثل الأعلى للرجل الكامل
الرفيع بخلقه ، السامى بنفسيته . لقد كان الفقيد يأبى
الرشوة فلم يرتفعها يوما . وكثيرا ما كان يندى مقتنه
واحتراره لمن كان يلح عليه فى أخذها وقبيلها . لقد كان
يرفضها كل الرضى وزدى ضفاف النفوس ممن كانوا
على قيعه . كما لا أظنكم تجهلون أنه كان مبرراته
التفافه على مشهد من إزملاء الموزين . وما أنكم الآن
تسمعون بأنكم تحب الأرامل والأبلى اللاتى كن
يعشن من فيض إحسانه . لقد ذهب ذلك الذى وهب
حياته للبر ، ونذر نفسه للتخير ، وإنكم لا تعلمون
بلا شك - أيها السادة - أنه كان أعزب ولم يزل
كذلك حتى وسد التراب ... إننى لأصوره الآن
بوجهه للشرق الحليق ويسبته الحالة العذاب ،
ويخيل إلى أننى أكاد أسمع صوته الرؤوف الذى كان
يفيض حنانا ويقطر رقة وإخلاصا . فإلى رحمة الله
(بروكوفى أوزبش) ... إلى الجنان الطواله
أيها العزيز ... وداعا أيها الراحل الكريم ...
وكان الخطيب مبدعا حقا فى إلقاءه فأحرز بهذا
إعجاب السامعين ... إلا أن المادفين منهم باليت
أدهشهم مما قاله أعيان . ذلك أنهم لم يفقهوا علة ذكر
الخطيب اسم الميت على أنه (بروكوفى أوزبش) مع
أنه كان (كيريل أفانوفتش) . وإنما أن الشكل
كان لا يجعل أن الميت قضى حياته فى تكريم صفو
حياة زوجه ، فكيف يقول الخطيب إنه كان عازيا
عن الزواج ؟ وأخيرا لقد كانت للميت لحية حمراء
كثية ولم يك بحليتها ... فلماذا يصفه الخطيب بأنه
كان حليتها ؟ ! ... واشتد عجب السامعين وتبادلوا

الناس ولا أن تساعد نساء الأغنياء في النسل والخير ولوازم المنازل . فتساعد بهذا زوجها الشقي بما يؤجرها به عملها ، وتخفف من ضغط ما يصنع الفقر بأبدان أبنائها وما يشيع فيها من مرض وجوع ووصب ...

على كل حال ... هذا قانون تصنعه العزة ويشرعه التمتعف ومصدره الفضيلة والحياة في نفوس الفقراء ... وهذه هي الفرائد التي فصلت بيننا وبين الحيوانات فجعلت لنا تيارات من التفكير تدفع منها برغمنا أحرانا ودموعا وشكويات

وكانت سيدة ابنة الشيخ محمد فتاة مثقلة الجسم بَصَّة الظهر ، لها ابتسامة يحسبها الرائي مفتاح القنص ... وكانت تلتفت الأنظار إذا خطرت في الطريق بقدميها الحافيتين الجليتين البضاوين، ويجسمها المشوق الملتف في الملاء السوداء الساحرة .

وكان للشيخ محمد صديق حدث السن ابن تاجر غنى يسمى خالداً ، وكان هذا الصديق مولماً بسيدة ولماً شديداً ، وقد دخل غرامه بها إلى فؤاده عن طريق قدميها . فكان غراماً قفراً لأنه نشأ من التراب وتغرغ في الطين، ولم يكن كهذا الغرام الذي تبته الميون النجل فطهره بالنار وتصهره بالسحر وترفعه إلى السماء .

وقد ظن خالد أن موت الشيخ محمد سوف يسهل عليه قضاء لباثاته من الفتاة التي خلبته وسلبت فؤاده وأقامته وأقعدته في هوى مبرح وغرام متقد وفكر سابع في جسمها البض ، وقد ها النض ، وجمالها الفينان

وكانت سيدة تعرف ما ينطوى عليه خالد من حها لكنها كانت تعرف أيضاً أنه يريد لها للشيطان

لشد ما كانت الريح تصصف هذه الليلة ! ولشد ما كان البرد والصقيع يلحقان هذه الدار الواهية ! يا الفقراء !

توفي الشيخ محمد (الفتى) عن هذه الأسرة الشقية ، ولم يترك لها ما يقيم أودها إلا برأسدقائه وعطف عارفيه إن كان بر الأصدقاء وعطف العارفين بقيان في هذا الزمان أوداً أو يسدان رمقاً أو يستران هورة ، أو يحسبان تلك الدموع التي فجرها ألم البرد وأنين الجوع وزمهر برأسخيز في تلك الميون الشقية البائسة !

لقد كان للمفقور له يشترى بآيات الله ما يتصدق به الرزؤون عند المقابر ، وما يشترى به رحمة الله يستزولونها فوق الأحداث بالميش والكمك والملايم وأوصال القصب ... وكان المغفور له محبوباً من الناس لأنه كان يخدم جميع الناس ، ويقضى لهم حوائجهم ، ويعمل أطفالهم ، ويحميهم مكر الطريق وأذى السكلاب ... وكان قنوعاً لا يساوم في أجر ولا يلحف في طلب ولا يثقل في سؤال ... وأحسب هذا هو الذي حبب الناس فيه ... فهم كانوا يستنولون قناعته البائسة في تقصه أجره ، وهذا من ألأم طباع الناس ...

وكان الشيخ محمد يحرص على إعزاز مائتته حرصاً شديداً رغم هذا العوز الذي كان ملاقيه ... فلم يكن يسمح لزوجته أو ابنتيه بالذهاب إلى منزل أحد من أعيان المدينة في حاجة مما يدفعهن الفقر إلى سؤالها ... ورفض ألف مرة ما عرضته عليه زوجته من الخدمة في منازل الأغنياء « لأنه ابن أصل وحامل لكتاب الله » ، كأنهم قالوا إن زوجة ابن الأصل وحامل لكتاب الله لا يجوز لها أن تخدم

في الهواء فتحسبها موسيقى تنزل من السماء كالخيا.
يهتز له الروض وتتراقص تحته الأزاهير

كانت وداد بارعة في مضغ كلالها ومطه وإرساله
سهلاً هيناً ليناً ، وإمائه وترصيمه بطرف لسانها
أو بحس شفتيها .. وكانت ترنه إذا شامت فيجلبجل ،
أو تنحطفه فينقطع كالنغمة الصامتة التي تقف حين
تقف أكلة الموسيقى على أحد أوتار الود

ما كان أجدر وداد بجنة من زهر وطير وأشجار
من لبن وخمر وعسل مصفى تمشي فيها مع الملائكة
الأطهار الأبرار !!

ما كان أجدرها بجنة من سحر وشعر وموسيقى
وغناء وحب !

ما أكثر وداد على هذا الفقر اللثيم اللعين !!
ولكنها ليست كثيرة على هذه الأم المفنودة ،
والأخت المنكودة ، والأخ الطفل الضعيف اليتيم ...
ليست كثيرة على هذه الأسرة البائسة التي غال الموت
عائلة قضى عليها بالصبر والجور والحرمان ... إنها
محنة مكبوتة في صدر مكروب حزين ... إنها بارقة
الأمل في حلك اليأس وليل الشقاء البهيم ! ...
فَلْتَصَبِّرْ أحران أما سعادة إذن ، ... ولتلب
في مأساة أختها الناشبة بينها وبين خاله دور البطل ..
ولتنظر كيف تبث تبث الزمان ، وكيف تبذل هذه
الآلام والأحران ... وكيف تحمل عمل والدها الفقيه
فتبتر الكمك وتحمّل الرغفان ، وتربي الطفل المسكين
بجلال الخزانى وصدقات الشكالي وقروش المجانين !

كان الخطب مبللاً ، وقد حرصت سيدة لذلك
ألا يذهب عود الكبريت سدى فلا يكون خبز
ولا يكون أكل ولا يكون دفء ، ويكون عكس
ذلك جميعاً

وليس يريد لها الله الرحيم الرحمن ، فكانت تشيح عنه
دون أن تقطع جل أمه ، وكانت تصلي لله أن يهديه
إلى سواء الحب ، فيثور على تقاليد البيثة ، ويفتح
لها قلبه ، كما تفتح لها مجسده ، فيتقدم إليها خاطباً
لا أن يقعد لها بكل طريق خاطباً ... على أنها مع
ذلك لم تحبه قط ، بل إنها لم تعمل إليه ولو أقل الليل
وأهونه ...

أما وداد فكانت فتاة مريحة لا ترى أن يكون
الفقر سبباً لهم أو طريقاً إلى ألم ... لقد كانت تشدو
شيئاً من التسليم حصلته في كُتّاب القرية ، وكانت
لذلك تشدو كثيراً من آيات الله وقليلاً من القصص
الديني ... وهذا الكثير من آيات الله والقليل من
القصص الديني إذا صادف ذهناً مستندراً كانا غناء
لفتاة في مثل ظرف وداد وفي مثل طلاقها وإيناسها
وحدة ذكائها

وكانت مع ذلك جميلة ولو لم تبلغ من ذلك جمال
أختها ، لكن جمالها القليل كان أخطر من جمال
أختها الكثير ... لقد كان جمالها خطراً عظيماً على
كل قلب غريب ونفس خالية ... لقد كان لها عينان
مخسنان الغمز وتجيديان التكلم وترفان طريقتيها
إلى سويداءات القلوب ... فإذا أرادت أن تغير فيها
الرحمة عرفت كيف تفجر فيها الألم ، فيهمر من الميون
دموعاً ... وإذا أرادت أن تفرحها في لجج النرام
فلا نجاة لها ولا خلاص سلط عليها سهاماً مرشاة
تدي شفافها بل تمزقه ، بل تشب فيها خراماً لا ينفع
فيه طب ولا حيلة معه لشواد

هاتان عينا وداد !
أما مصونها فكان سلاحاً لا يقل خطراً عن
مهلكات النرام جميعاً ... لقد كانت ترسل نبراتهما

القش، فتصاعد الدخان الكثيف يلاً أرجاء المنزل ،
وقبل أن تنطفيء أشعلت الورقة الثانية وقد علا نحيبها
وأغربت فيه حتى نهرتها أنها وصبت عليها جاماً كاملاً
من الشتم واللعن والسباب ... ولكن ذلك لم يمنع
الورقة من أن تحترق وتطوى سرها معها إلى الأبد
كما طوت سرها الورقة الأولى آخر الدهر
وسألها سيدة ماذا كان يضحكها ، وكيف
سرهما أن تضحك على ما م فيه من هذا الكرب .
فقالت لها وداد : « نحي ١ »

فقالت سيدة : « وكيف أضحى ؟ »
فقالت وداد وهي (تبط) الرغيغ (فتجده) :
« يجب أن نضحى ! »

فاستشاطت سيدة ، وحدهتها بنظرة محنقة
ثم سكنت

وأكلوا لا هنيئاً ولا مريئاً ... وكان طاهر
يتربص بالرغيغ الأول الذي خرج من الفرن فالتهمه
بقليل من اللحم ؛ ثم نام فوق الفرن وتنطى ، وأخذ
يرسل في أرجاء المنزل غليظاً مزججاً

وانطلق المؤذن يرسل في سماء المدينة أذان
الفجر ... فهضت العائلة المقدسة تنوشاً وتصلى ،
وتتهيأ لزيارة المقابر ، وكان اليوم يوم الجمعة المبارك
الذي تردد فيه الأرواح على رموس الموتى كما يزعم
الحزاني من أهل سكان القبور
وبدت لوداد فكرة خاطلة فلم تردد في تنفيذها
قالت لأما :

— اليوم الجمعة يا أماء ، فبم تصدق على روح
المرحوم ؟

فقالت لها الأم الموهنة :

— تصدق ؟ ولم تصدق يا ابني ، وبم ؟

وذهبت تبحث عن ورقة تشعلها تحت الحطب ،
ولكن عبثاً حاولت أن تجدها ... فلم يكن في البيت
من كتاب غير كتاب الله القدير ، وغير الكتب
الدينية القليلة التي كانت تقرأها وداد في الكُتّاب ..
وقد حاولت أنها أن تجعلها تأتي بورقة منها لا لزوم
لها فتشعلها لتشتمل النار وليخزوا ويأكلوا
ويستدفئوا ... لكن وداد دافعت عن كتبها النافعة
في دعابة وحزم ، وأبت أن تنزع منها ولو غلافة
داخلية لا تؤثر في بهجة كتاب الديانة ، إن كان
لكتاب الديانة القديم الرث بهجة — ولا تنقص
من كتاب التهذيب شيئاً ، إن كان للكتاب كله
وزن في هذه الليلة البلاء التي اشتد قهرها وفدح سرها
واشتد الأخذ والرد بين الأم وسيدة من طرف
وبين وداد من طرف آخر ... وعيست الأم ، لأنها
كانت تضيق بمزاج وداد ذرعاً ... ثم فاضت كأمها
فزجرت وراحت تسب وتشتم وتلعن الكتب
والكُتّاب وبنات المدارس ... والحمد لله فلم تكن
وداد منهم ، وإن تكن من بنات الكُتّاب

وخشيت وداد أن تتناول الأم كتاب الديانة كله
فتشعله بالثقاب لكي تأخذ في عملها ... وفي الحن
لقد أوشكت الأم أن تصنع ذلك ... لولأن تضاحكت
وداد ثم طأنت أمها وأكبت أنها ستأتي لها بورقتين
جيدتين يبنى أن تحرق جالاً ، ويبني أن تتخلص
منهما الدنيا بأسرها لا هذا البيت الحزين وحده ...
وذهبت إلى غرفة النوم والاستقبال وتربية
الكتاكيت والخزن ، وفتحت صندوق الملابس
والأطباق والقباييق ، ثم عادت تحمل الورقتين
الكبيرتين وهي تضحك نحيكات ساخرة ، ثم أشعلت
عود الثقاب ، ودب اللهب في الورقة الأولى تحت

— إذهي وأنا غير راضية ... واذكري أننا
قراء إلا من الكرامة يا ابنتي
— إطمئني يا أماء
وهنا قالت سيدة :
— وماذا لو أتيت معك يا وداد ؟
فقلت .

— لا ... لا أريد أن يأتي معي أحد ... بل
إن لكم موعداً فلا تخلفوه ...
وانطلقت وداد في ملأها السوداء الشاحبة ،
وراحت تطوى الطريق الموحلة تحت قطرات المطر

الدينة ما تزال ناعمة ، ولم يستيقظ من أهلها
إلا عباد الله الصالحون ... وهؤلاء عادة هم الطاعنون
في السن الذين ينظرون إلى شبابهم المولى فيطمعون
في شباب مثله يكون لهم في جنة عرشها السموات
والأرض ؛ فيعملون له بالصوم والصلاة وإيمان
التفكير والضراعة إلى الله .. وهذا شيء محمود منهم ،
وكان يحمد لهم أكثر لو أنهم فعلوه في فتوة العمر
وشرخ الشباب وعنفوان الصبا ... حين يحمد للمرء
مجاهدته للنفس الثائرة والقلب الجريح والفرزة الشابة .
أما هذه التقوى التي تأتي عن مجز الجسم وموات
القلب وعزوف الرغبات فهي تقوى الطمع والبكاء
على ما فات ... على أنها تقوى محمودة ، وهي رغم
ما قامت عليه من نقص خير من شئبة تصر على التي
وتمرح في الضلالة ولا تأتي أن تعمي الله ...

كانت تهادي وداد في غبشة الفجر بقدمين
رشيقتين كقدمي دمية ، وكان الشيخ سيد أحمد قد
خرج من المسجد بعد صلاة الصبح يسبح ويمجد الله
ويسأله أن يمد في عمره حتى يعمل عملاً صالحاً يرضاه

— لم تصدق ؟ ألا تعرفين لماذا يتصدق الناس ؟
— أعرف لماذا يتصدقون ... ولكن الناس
كلهم لا يتصدقون !
— أجل ، ولكن يتصدق خيارهم !
— وهل الذين لا يتصدقون هم شرار الناس ؟
— وماذا يكونون إذن ؟
— يكونون إما قادين على الصدقة ولكنهم
لا يفعلونها ، وإما معوزين فهم بالصدقة أحق ...
أليس كذلك ؟ !

— ومن أيهم نحن يا أماء ؟
— نحن من الناس الذين لم يكن عندهم أمس
غير عود واحد من الكبريت ، وغير قدحين من
التخالة ...

— ولكننا أكلنا ودفننا والحمد لله !
— الحمد لله ... هذا ما لا شك فيه ! وهل يحمد
على المكروه غير الله ؟
— ونستطيع أن نتصدق أيضاً !
— ولم لا نستطيع إذا كنا أغنياء مثلك ؟
— مثل أنا ؟ ...
— والله يا ابنتي أنا لا أدري بأي أجزاء جسمك
تفكرين ؟ !

— أفكر رأسي طبعاً !
— إذن ترك لرأسك الدبر المفكر الحصول
على ما تصدق به
— إذن دعوني أنطلق إلى القرافة وحدي ،
ولا تلحقوا بي إلا بعد الشروق ...

— وماذا تصنعين ثمة ؟
— لا أستطيع أن أذكر لك هذا الآن ...
ولكن أرجو أن تلمطيني إلى ما أنا صانعة

- وقبل أن ينحني ليربط حذاءه، حانت منه التفاتة إلى هذه
الأثني السارية وحدها في هذه الصبح، وقد شدت
ملامتها حول ردفها شدًا وثيقًا فجعل يهزوي رجليها وينازل
الألحسة والشياطين، ويطلق الأفاعي والشهوات،
ويسلط الفتنة على أمثال الشيخ من الصالحين الأواين
ونسى الشيخ صلاته وتسبيحه، وهرول وراء
الفتاة دون أن يعي ربط الحذاء، فالتصقت الأربطة
بالوحد، وفي سبيل الشيطان ما يليق الفؤاد المهيان
وجعل السيد أحمد ينتحج ويرسل في الهواء
بعض ما كان يتقنه من لغة المنازلات أيام الدنيا شباب
والعمر فينان والقلب مشبوب ... وكانت وداد تعرف
ما أصاب فؤاد الشيخ وما انطوت عليه أضالمة،
فكانت تتخلف في مشيتها أكثر فأكثر لترى ماذا
يصنع المذنب التصابي ... وهكذا كانت وداد خيفة
مرحة في طريقها إلى الموت !!
وهرول الشيخ سيد أحمد، وأسرت وداد ...
ثم برز من الظلام فتى عريض الكتفين مشدود
المفضل طوال يبعث في القلوب رهبة، ويشير في
النفوس حالًا من الهم لا تدرى مصدره ... فانطلق
في إثر الشيخ حتى إذا حاذاه قبض على قفاه بيد جيلة
عاتية وقال له :
- إلى أين أيها الولد !
— ومن أنت ؟
— ألا تعرفني ؟
— كيف أعرفك وقد أرخيت هذه العبادة على
رأسك كاللصوص والقتلة هكذا ؟
— أي لصوص وأي قتلة يا شيخ سيد أحمد ؟
— عجب ! أنعرفني ولا أعرفك ؟
— إذن فاطمن لمرفتي إياك على الأقل
- من أنت بالله عليك ؟
— ليس من شأنك أن أذكر ذلك لك ...
— ومن شأنك أن تكسر رقبتي يا وادى ؟
— وما قيمة رقبة تخرج من المسجد لتنتقل
وراء امرأة كالكلب السمور هكذا ؟
— أنا يا وادى ؟ أستغفر الله ... أستغفر الله !
— أحقًا تستغفر الله يا شيخ سيد أحمد ؟
— أستغفره وأتوب إليه ... لقد تركنا هذه
الصبوات لكم يا شباب المصر
— إذن أين كنت معتزمًا أن تذهب ؟
— أזור مقابر المسلمين
— وماذا لك في مقابرهم أيها الأب !
— عظة وعبرة لمن لا يتمظ ولا يعتبر يا ...
ما اسمك إذن !
— أنا ... أنا عزرائيل !
— أعوذ بالله منك يا سيد عزرائيل ... أترك
رقبتي جعلت فداك !
— لن أتركها حتى تصدقني ... ألم تكن تبع
هذه المرأة المزدحج ؟
— والله إنك لا ذوق عندك !
— وكيف ؟
— لا أنت تركتني في سبيل ولا أنت الذي
تسرع حتى ...
— حتى ماذا يا سيد أحمد ؟
— حتى لا تفوتنا يا خبيث !
— إذن هلم ...
وانطلق الشيخ والفتى في إثر وداد، وكانت
قد ابتعدت كثيرًا فهنما، يد أيهما لحقا بها بعد
جهد، وكان الطريق قد انمرج ناحية المقابر، وكانت

سكان هذا العالم الثاني ؟ لا أحسب أن الفراق هو الذى يبكي الناس . إنه الفزع من ظلام القبر وديدانه . الفزع من أن يأتي اليوم الذى تنيب فيه في ظلمات التراب وتناكلنا ديدانه ... نحن نخاف على أنفسنا ؛ ولذلك فنحن نبكي علينا لا على ذنوبنا . وإن يكن منا قليلون سيكون على أجبائهم !

أية فلسفة فارغة هي هذه الفلسفة ؟ أين وداد ؟ آه ! هاهي ذى جالسة على الترى تلو آيات من الكتاب ! حقيقة إن في الدنيا جحاً هو الذى يجب الناس فيها حتى ليؤروها على كل شيء ، حتى على الحياة الباقية ... !

ما أجل ما يرث القرآن قبل الشروق بصوت ساحر هادئ رقيق مثل صوت وداد ؟ ! هذا هو القرآن المشهود ... قرآن الفجر !

لقد اجتمع الناس من كل صوب ليسموا إلى هذا الترتيل كأنه ينطلق في آذانهم من ضمير داود ... ثم سكنت وداده فدست الأم الحزونة الجالسة فوق ترى ابنها قطعة فضية من ذات القرشين في يدها ، وأقبل الناس يدسون في اليد نفسها قروشاً كثيرة تهلت لها أساور المقرة الجرثومة . ولما انتقلت في صف آخر من المقابر القريبة وجدت أخانا الشيخ سيد أحمد عند قبر منفرد يتحدث إلى صاحبه الذى يسمى نفسه عزرائيل ، فلما شاهدناها صمتا ... ثم رأى الشيخ أن يجرح كأن فرصة الزاح كانت مؤاتية ، فقال لها وقالت له :

— ألك في صورة ترفئها على موتانا يا ست الشيخة ؟

— ولم لا ... أنا مستعدة يا شيخ سيد !

— يا خيرا ! أنت ترفئني ؟

رهبة الأبدية تنشر ظلالماتمة ، وأشباح الموتى ترف في فجر أمشير ، لكنهما لم تكن تميز الرعب في قلب وداد للمعوب ، ولا تزعج الرجل والشباب عن متابعة الفتاة .

قال الشيخ وقال الفتى له :

— هل صليت الصبح يا ... سيد عزرائيل ؟

— صليته ما في ذلك شك ...

— وماذا أفادتك صلاتك ، وقد جعلها الله لتنتهي

عن الفحشاء والمنكر ؟

— إنها إن لم تنهي هذه المرة فإنها سوف تنهي

يوماً ما ... لكنك أنت ... هل صليت ؟

— إلى أغلب نفسي على الصلاة فلا أستطيعها

وأسال الله أن يهينني قريباً

— ومتى تنظر أن يهديك الله ياسيد عزرائيل ؟

— أحسب أنني لن أعتدى قبل أن أتزوج

— وماذا يمنعك من الزواج ؟

— لا بمعنى شيء ... فقط ...

— فقط ماذا ؟

— أخشى ألا أعتدى بالزواج كما لم تهتد أنت به !

— ستعود إلى ذلالتك من جديد .. أسرع ..

أسرع يا مغفل ... لقد فائتنا الفتاة ...

وكانت وداد قد فائتها بالفعل ، وكانت قد غابت

عن أنظارها كأنها ابتلعها المقابر

ماذا هنا في هذا العالم الثاني ؟ !

لماذا يبكي الناس كثيراً هنا ؟

هل هو الفراق الذى يفجر دموعهم وعللاً

أفقدتهم أجزائنا ؟ !

هل نحن في هذه الدنيا الخالدة أحسن حالاً من

- رأسه ... أما هو فقد تبعها بعد أن عرفها ليرى إن كانت الفرصة تسنح ليخاطبها عن سيدة ؟ لكنها كانت خيفة ، وكانت تعرف أنها ذاهبة إلى القابر لتري إن كانت تستطيع أن تصل عمل المغفور له والدها العزيز الراحل ... لذلك لم تتسكأ ليكلما خاله ، حتى كانت أمام المسجد ، وكان ما كان من لقاء الشيخ سيد أحمد للسيد عزرائيل ...
- وتربت وداد على الثرى البلبل وأخذت في ترتيل آيت الذكر الحكيم ... فلما رتل : (قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ...) جعلت ترددها في خشوع وخشية ، وكان الأفق الشرق قد بدأ يصطبغ بأمواء الورد والبنفسج ، وكانت حواشي السحاب الرائع تنشر في الشرقيين أذلالها فتضاعف جلال الترتيل ، وتترج بالصوت البكر والقراءة المنيرة ، ثم تترقق جمالاً وتقوى في قلب خاله وفؤاد سيد أحمد ، الذي عرف من صاحبه أن الفتاة هي ابنة مديقه الشيخ محمد رحمه الله وختمت وداد آياتها ، ثم همت بالانصراف ، فد خاله يده بقطعة فضية كبيرة ، وكذلك صنع الشيخ سيد أحمد ، ودست وداد القطعتين في جيبها ثم ذهبت من طريق ، وذهب الرجلان من طريق آخر ، كما ذهبت الشياطين كلها من طرق شقي وفي وجوهها حسرة ، وفي أفئدتها تلدد ، لما أصابها من الفشل في أداء مهمة الشر التي أبقت من الجنة بسببها ؟ والتي من أجلها قامت الله العلي أن تعتمد للناس صراطه المستقيم .
- ***
- لماذا لم تحضروا اميادكم ؟
— كان أخوك ناعماً غشينا أن تركه وحده ...
- وكيف لا أعرفك وقد كنت صديق والدي !
— والده !
— أجل والقي ! هل نسيت ؟
— ومن والده يا ست الشيخة ؟
— يا للوفاء واللاوفياء !
— لست أذكر ! من أنت ؟
— ألا تعرفني ؟
— لي الشرف !
— ما دام لك الشرف فسمني أقرأ لك أولاً
— تفضل !
— أمل أن يروقكما ترتيلي ... أليس كذلك يا سيد خاله ؟
— خاله ؟ ومن خاله ؟
— صديقك هذا ... أليس هو خاله أفتدى عبد النبي ؟
وجلب الشيخ سيد أحمد النطاء عن رأس صاحبه فإذا هو خاله عبد النبي حقيقة ... وقد عجب عجباً شديداً كيف لم يعرفه وقد ماشاه كل هذا الوقت من مسجد ولي الله إلى هذا العالم الثاني !
ولكن كيف عرفت وداد خالداً ؟ ! المسألة بسيطة جداً ... إن هذا الجسم المتلي الذي اكتر فضله ليس لأحد في البلدة إلا لخاله ... وقد كان خاله المندف بسيدة بنت الشيخ محمد يحوم حول حبيبه في مثل هذا الوقت من كل فجر ... وكانت وداد تعرف هذا الأمر ، وكانت غير خفيفة تدب في قلبها من أجل أن القنص ليس قنصها ، فلما خرجت هذا الفجر قاصدة إلى القرافة كان خاله يقطع الطريق أمام المنزل الفقير جيئة وذهوباً ... وقد عرفته رغم الباءة الكبيرة التي كان يخفي في ثناياها

كان الله البلى قد زودها بهذا الصوت الساحر الذى
أخذ يلعب بالباب الجماهير ويحلب أفتدسهم ، والذى
لا تنقصه إلا صنعة قليلة وإلا عودُ مُسَرَّن ، أو وتر
مرثان لينطلق مدويًا بين أصوات الفنانين !

وبعد ، فلقد ضاقت البلدة الصغيرة ببقرية الفتاة ،
وأخذ الطائر المحتجبُ في صدرها يهفو إلى جنات
أخرى ... إنها تسمع إلى راديو المقهى البلى القريب
من منزلها فتعجب كيف اشتهرت هذه الأصوات
المنكرة وكيف تُنسى في أفلاك العالم على حساب
شهرة أصحابها ، في حين تتوى هي في هذه البلدة
الصغيرة المجهولة كيوسف المحبوس وهو النبي الوفى
الأمين ! !

ولكن أين تذهب وداد وفي عنقها هذه المائلة
القدسة ؟ ! إن القاهرة قرية حقًا ، لكن كيف
السبيل إليها ، وبينها وبين مدينة الملك هذا الملاك
الحارس الذى هو أمها ؟ ثم ماذا تصنع في القاهرة
الفاروقية التى لا تعرف فيها أحدًا ؟

ولكن لماذا لا تجازف ؟ هل كانت تعرف أنها
ستبرع تلك البراعة في ترتيب القرآن وإحياء المولد ؟
إن كل مشروع مفتقر قبل كل شيء إلى القامحة .
وكم أمل طويل عريض قضى عليه التردد ، ولوسنده
قليل من الإقدام لطار بصاحبه بنحاحى نسر في سموات
المجد والشهرة .

— سأسافر غدًا يا أماء إلى القاهرة ؟

— القاهرة !

— أجل ... القاهرة العظيمة

— ما هذه المفاجأة يا ابنتى ؟

— لا مفاجأة ، ولا شيء ... لقد عزمت

أن أجرب حظي هناك !

عسى أن يكون الله قد فتح عليك يا وداد ! !

— الحمد لله حمدًا حتى يرضى !

— وما هذا الذى فى (طرفك) إذن !

— خير كثير ومال !

— مال !

— ولم لا يكون مالًا ؟

— ومن أين لك المال يا ابنتى !

— كما كان أبى يصنع صمت !

وجلس وداد تمد الرغفان والكسكس ، وأقبلت
سيدة وأقبل معها أخوها على أوصال القصب عصاها
بشفق ، وهما بين الفينة والفينة يقضبان كمكة
أويًا كلان قطعة من المعوجة المشقورة اللبسة بالسهم
وكذا أبدت الأم انتقادًا لأمسنت وداد راحا يجادلانها
ألا سبيل إلى (السَّتر) إلا هذا السبيل ! !

أما النقود فقد أربت على الخمسة وعشرين قرشًا
فكانت وحدها أكبر برهان على عبقرية وداد وحجة
براهين سيدة ، وعقم مرارة الأم وفساد انتقاداتها

اشتهر أمر وداد القرية وعجبة ليالى المولد النبوى
في كل القرى المجاورة ، وأخذت أنهار الخير تنصب
في البيت البائس الفقير حتى عمرته ، وحتى بدلت
أتراحة ، وما راع الناس إلا هذه البهارة التى جددت
شباب المنزل وكسته بالملاط ودهنت بابه وشبابيكه
فأصبح (قبلا الشيخ محمد ! !) ، كما كان الخبثاء من
أهل المدينة يسمونه ! !

تُرى ! ماذا كان يحتجبُ في أعماق وداد من
الأمانى والآمال ! ! إن الله قد وهبها مسحة من الجمال
الساحر للفاهض تكفى لأن تكون رأس مال امرأة
تريد أن تلمب دورها في الحياة بمجارة ... فما لها إذا

- يا ابنتي لقد كبرت ، فكيف أطفئ عليك
في بلاد الغربة ؟
- القاهرة بلاد غربة !
- ألسنت ستكونين بميدة عني ؟
- ولماذا أكون بميدة ؟
- لا أفهم !
- ستلحقون في بعد قليل
- كلنا !
- كلهم
- وماذا تصنعين هناك وليس في القاهرة
أحد يعرفك !
- سيعرفني الكثيرون بعد قليل .
- وكيف تعرفين هذا !
- هاتف يا أماء ! هاتف جميل ما يزال يدعوني
وبوسوس بالأمانى البراقة في صدري . لابد أن أتبعه
لا بد أن أتبعه !
- ألا تسمعين نصيحتي يا واداد !
- وسم تنصحين يا أماء ؟
- بالأنا تبادري بلدتنا هذه
- ولماذا ؟
- لأنها دنت علينا أخلاف الرزق
- وهل لا تدر القاهرة أخلاف الرزق ؟
- إن القاهرة يا ابنتي بلدة عظيمة شاسعة ،
وبناء الشهرة فيها من المضلات ... وليس أشأم
في حياة الإنسان من ترك ما هو فيه مما عرفه وخبره
من وسائل الرزق إلى ما لا يعرفه من وسائله ، خصوصاً
في بلاد مثل القاهرة . وقد كنا في حال من الضيق
قبل أن يفتح الله عليك ، فبدل الله ضيقنا سعة وشقاءنا
نعماً ودعة ، فإذا سمعت نصيحتي فامكثي هنا والبقي
- في تلك البلدة ففى الأهل والوطن والحيا والمات ...
- ولماذا لا أجرب يا أماء ؟ إن لدينا من النقود
ما لا نحشى معه منية التجربة !
- هذا كلام جميل ... لكن ...
- لكن ماذا ؟
- لكفى أخشى عليك من القاهرة يا واداد !
- ولماذا تخشين على منها يا أماء ؟
- إنها فتنة يا ابنتي ... وصنعتك أقرب ألوان
الصنعة إلى فتنة القاهرة وضلالاتها ، فإذا كان
الهاتف الذى يدعوك ويجذبك إلى القاهرة قوياً
مفرقاً ؟ فإن هاتفاً أقوى منه قد قذف في قلبك الرعب
من مشروعه هذا !
- ليس هاتفاً هو الذى قذف في قلبك الرعب
من أجلى !
- إذاً ماذا عساه أن يكون ؟
- إنه قلب الأم
- ليكن هو الذى تقولين !
- من كان يصدق يا أماء أننى أحفظ هذا
الكثير من الكتاب ، ثم أحترف هذه الحرفة التى
تريدن أن تربطين ببلدتنا من أجلها ؟
- لم يكن أحد يصدق ... هذا صحيح !
- فلماذا لا أطلب المزيد من الشهرة والمال ؟
- الشهرة والمال !
- أجل ... الشهرة والمال ... أليس هذان
هما أكثر جوانب الحياة برزقاً ؟ أليس كل الناس
يطلبون الشهرة والمال ؟ فكرى يا أماء في حالنا قبل
أن يطير ذكرى في هذه الثرى وقبل أن تنقلى
أيدينا بالمال ... هل كان حال يسر ؟ أذكركن ليلة

للسكاه ، لأنها سرعان ماتيل وياكلها الصدا وتنقلب
حسنتها إلى سيئات ربما دفعت الدولة أموالاً طائلة
لتنقي غوائلها ...

— لقد أسرفت في مدح المال يا وداد
— ولماذا لا أسرف في مدحه وهو عندى كل
شئ في هذه الحياة !

— كل شئ !
— أجل ، كل شئ ، لأننا أصبحنا في عصر
تبدلت فيه الظروف القديمة؛ فتحول الناس عن صوفية
الفقر إلى صوفية الثنى

— ومع ذاك ، فأنا أخشى عليك من القاهرة ؟
— وماذا تخشين على منها يا أمي ؟ أتخشين أن
يجرفني تيارها ؟

— كدت أقول هذا !
— إنه تيار جبل رخی لن يحسن السباحة فيه
— ومن ذاك الذى يحسن السباحة في تيار
القاهرة

— أنا !
— أنت ؟
— ولم لا ؟
— لأن التماسيح تسبح فيه بكثرة ، وهي كما
تملئين تسبح أحسن منك !

— إطمئنى ... فأحلى بندقية سيدي دائماً

لم تستطع الأم البروم أن تنفى عزيمتها عنها
السفر إلى القاهرة ... لأن إرادة وداد كانت إرادة
فولاذية لا تلين ، وفي الحق ، لقد كانت وداد تسمع
هاتفاً قويا يناديها ويلون لها الأمانى ويهرج لها
الأحلام ، ويتبدى بها جالس على عرش عظيم مرد من

أشهر ؟ أما زلت تذكرين أخى طاهراً وهو يلهم
قطع المعجين ؟

— أذكر هذا كله يا وداد ، لكن الشهرة
والمال ليسا شيئاً قط ما لم يكن تحتكما دعائم من
السعادة !

— وماذا يصنع السعادة كما يصنعها المال ؟
— المال وحده لا يصنع السعادة يا وداد
— هذه أقوال الفلاسفة النظريين يا أماء ،

أوهى أقوال الساكنين والفقراء ، وهم يقولونها
ليسوا بأنفسهم ... إنها علة يملأون بها أدمغتهم
الفارغة .. إن الرجل الذى لا يسند المال لا يستطيع
أن يعرف ما هى السعادة ! يشفق الفقراء فيقولون
وماذا ينفع المال إذا أصابت الإنسان مصيبة في سمته

أو في عرضه أو في وده ؟ أكان الفقير يتجوع من
أن تصيبه المصيبة في سمته أو في عرضه أو في وده ،
وهي إذا أصابته في شئ من هذا كانت مصيبته أفدح
من مصيبة ذى المال ، لأن مصيبة الفقير تصادف

قلبا مكنتكاً ويدأ فارغة أما مصيبة الثنى فتصادف
عكس ذلك . إنها تصادف قلباً فارغاً ويدأ مكنتة
وشتان بين الحالين ... لا تصدق يا أماء أن الفقير

قيمة في عالم الحقيقة ... إن أكثر قيمته ناشئ من
عطف الناس للمصطنع ... وهم يقولون إن الفقير
ملكات قد لا تكون للثنى ، ولست أدري لماذا

لا يكون للثنى أحسن وأكثر من ملكات الفقير ؟

على أنه إذا كان للفقير ملكات فإذا ينمها إلا المال ؟
إن الفقير محتاج لكي ينمى ملكاته إلى ملجأ أو جمعية
خيرية أو غنى من أهل البر أو حكومة منصفة عادلة
كي تأخذ بيده وتعينه بالمال حتى تنضج ملكاته ،
فإن لم يجد معينه الذى يسندة بالمال فلا قيمة مطلقاً

- المجد والشهرة إذا هي ذهبت إلى القاهرة ، وقد
استجابت لندائه ؟ فذهبت إلى المحطة بعد أن ودعت
المائة المقدسة ، وركبت القطار للمرة الأولى في حياتها
ولقيها الشيخ سيد احمد غياها وحيته ، وجلسا
على مقعد واحد من مقاعد الدرجة الثالثة :
- إلى أين إن شاء الله يا ست الشيخة !
— ست الشيخة ؟
— يا ست وداد !
— هذا أفضل !
— وله ؟
— أنا ذاهبة إلى القاهرة ، فكيف أكون
الست الشيخة ؟
- زيارة لأهل البيت أم ماذا ؟
— سأزور أهل البيت إن شاء الله ، ولكن
ليس لهذا اعترمت السفر إلى مصر !
— لعله خير إن شاء الله !
— خير ... خير عظيم إن شاء الله
ثم أخذ الشيخ يداهب ويمزح ، وذكر الفتاة
بفجر أمشير ، فقالت له :
- وبمناسبة فجر أمشير يا شيخ سيد ، هل
أعجبك صوتي يوما ؟
— أعجبني صوتك ؟ أهله أكبر ؟
— لم أفهم !
— ما هذا السؤال يا ست وداد ! لقد سحرتي
صوتك وهو ما يزال يرن في أذني إلى اليوم !
— وهل سمعتي بعد ذلك ؟
— سمعتك كثيرا !
— وما رأيك في صوتي بصفتك من موازين
الفن في بلدنا ؟
- رأيي !
— أجل ... أنا أسألك عن رأيك الحق ، ودع
عنك محاولة إرضائي
— رأيي أنك لم تتقاي لبلدنا الصغيرة باست وداد !
— ولأي البلدان خلقت إذن ؟
— أقول لك الحق !
— هذا هو ما أطلبه منك
— لقد خلقت للعنينا بأمرها يا وداد ، واعتدبني
إذا خاطبتك هكذا
— أنت تبالغ يا شيخ احمد ... يا شيخ سيد ...
لا تؤاخذني فقد ربكتني
— والله إنك غططت في البقاء هناك ! طيري
يا شيخة ! طيري إلى القاهرة فهي مهد الفن ، وهي
وحدها التي تتسع لك
— وماذا أصنع هناك وأنا لا أعرف فيها
إلا قليلين من أعاربي !
— ماذا تصنعين ! أركبي لي هذا الأمر أدبره
وأنا أضرب بك كل فتاتي مصر والشرق !
— يا رجل ...
— أقسم لك يا وداد لو سلمتني زمامك لندوت
ملكك الفناء في مصر ؟
— ملكة الفناء ؟
— أي نعم ، ملكة الفناء ... إلى أدي
ألا تقصري حياتك الفنية على ترتيب القرآن وإحياء
الموالد ... إن صوتك المطاط الرنان هو أليق الأصوات
للفناء ، فلودست الألحان وشدوت شيئا من الموسيقى
لندوت ملكة الفناء كما قلت لك !
— كلامك جميل ولكنه لن يتعدني
— ليس إلى خديبتك أردت يا وداد ... تق
أنني أقول لك الحق !

البال والصحة والحياة الهادئة في كسري بيت حقير .
فهؤلاء في رأيها مندورون لأنهم لا يملكون أن
يقولوا إلا هذا . وهم يقولونه وهم يعرفون أنهم يقولون
أنفسهم ويقولون النطق ، لأن الصحة في الغالب
لا تتوفر إلا للثني ، وراحة البال كذلك هي من
نصيب الثني قبل أن تكون من نصيب الفقير والحياة
الهادئة إن كان في هدوء الحياة شيء من الفضل ،
هي أقرب متناولاً للثني منها إلى الفقير ، لأن الفقير
يتخشى الجوع دائماً وهو من خشية الجوع ينسى
كثيراً من فضائل الإنسانية العالية ، فهو دائماً
يتعلق من هو أعلى منه ، وهو دائماً ذليل ينفي
على الهوان ، ثم هو مع ذاك شديد الحقد شديد
الحسد ، ثم هو متبع دائم للجرائم . فإذا عفا عن
الجرعة فإنه قلما ينف عن الحقد وحسد الأغنياء ؛
والدولة التي يشتد الفقر بين أفرادها هي أشد الدول
انحطاطاً وأكثرها عكوفاً على الموبقات ؛ والدولة
التي لا تتألم فقراءها بإصلاح أحوالهم الماشية وفتح
أبواب الرزق لهم ، لن تستفيد كثيراً بالمستشفيات
والملاجئ والسجون التي لا تبنيها إلا للفقراء ، ومثل
هذه الدولة ممرضة دائماً للحسد الأكبر ، والحسد
الأكبر هو البشاعة ، لأن البشاعة هي ثمرة حسد
الفقراء للأغنياء ، ثم هي ثمرة غريزة حب التملك ،
لأنه ليس صحيحاً أن البشاعة تأتي التملك ، فقلد
أراد امتنعوها بآدي الرأي حرمان الأغنياء من
أموالهم ليلكوها هم باسم الدولة ، والمصلحة هنا
وإن لم تكن حق التصرف فإنها تعني فائدتها الكبرى
وهي الانتفاع
استطاعت وداد هذه الفتاة الفتية المحدودة
الثقافة ، التي ازدهرت عبقريتها أول ما ازدهرت

— وكيف لي أن أنعم الألحان والموسيقى ؟
— هنا من أسير الأشياء عليك إذا رضيت
أن تأخذني برأيي !
— إذن ماذا نصنع !
— صديق الشيخ ذكرها !
— الشيخ ذكرها ؟
— أجل ... إنه يملك الألحان والموود في
ثلاثة أشهر
— ثلاثة أشهر فقط !
— بل في أقل من ثلاثة أشهر يا وداد !
— هذه مبالغة لا شك
— ليست مبالغة ، لأنك فتاة بطيخ ، والطبخ
كالأرض الخصبة التي لا ينقصها إلا البذر لتمطي
أكلها
— إذن ...
— اتفقنا ...
— اتفقنا يا شيخ سيد !
— وعلى ذلك تقصد من محطة مصر إلى منزل
الشيخ ذكرها مباشرة !

المال ! !

هذه هي الأنشودة المائلة التي كانت تملأ خيال
الفتاة الفتاة وداد ! المال هو كل شيء في هذه الحياة ،
إنه محور السعادة في نظرها ... والسعادة في نظرها
هي القصور والبساتين والسفر وتعلق الفقراء للأغنياء ،
وشعور القدرة على قضاء الحاجيات ، والتحكم في
مقادير الخلق ... المال هو كل شيء في حياة الأفراد
كما هو كل شيء في حياة الدول ... أما المفلسون
الذين يذمون المال ويشتمونه ، ويفضلون عليه راحة

مرض وضعف ، ثم إن أمها لم تحس عليها من القاهرة إلا الفتنة ، وما هو من باب الفتنة من حب وغرام وشلاة أخرى

وكانها هاديت نفسها قبل أن تركب القطار إلى القاهرة إلا أن تحقق رجاء أمها فلا تنهزم أمام أبلسة الماسحة ، وشياطين الضلالات فيها ، فكانت دائماً تذكر ما حدثتها أمها منه ، فلم تكن تأبه كثيراً لنظرات المشاق الطائرة ، ولا لكلماتهم المصنوعة ، ولا لأشاراتهم الفاسقة التي لا يريدون بها غير وجه الشيطان ، وغير إشباع اللبانات والشهوات .

برعت وذاد في الفناء الفني براعة هائلة ، واستطاعت أن تبشر أروانا جديدة من الفناء التمثيلي ثارت بها على عرف التخت الشرق الجامد ، ولم تبال أن تمزج بين الفناء وبين الرقص التوقيى ، ولم تزل بأختها سيدة تطن في أذنها بالأمانات الجميلة والآمال الممسولة حتى حبت إليها الحياة الفنية ، وجملت نفسها برقص في أجواء المسارح والسينمات ، وكان أكثرهما أن تشاركها أختها في عملها ، فقد أوتيت سيدة من الجمال نصيباً لم يتوفر لوداد ، وجمال ربات الفن هو نصف رأس ما هن ... فإذا اقتسمتا العمل فستكون وداد للفناء وستكون سيدة للرقص ، وجسم سيدة كفيف باجذاب الجماهير ، لأنه جسم صرصرى سليم له بشرة وردية يترقق فيها عطر ليست فيه رائحة ، ولكن فيه مفناطيس يكسبه زغب العنبرية سحراً وقوة

ولكن الرقص ما يزال معدوداً في مصر خلاصة إن لم يكن فجوراً ، والناس - أو أكثر الناس - لا يعرفونه فناً من أرفع الفنون التي لا تقل قيمة عن الشعر أو الرسم أو التصوير أو الموسيقى ، بل

بين القبور وترى الموتى ، وفي بيت والدها الفقير البائس الموز للغفور له الشيخ محمد ، استطاعت أن تفكر كل هذه الأفكار ، لأنها أفكار خفيفة سطحية تدور بخلد كثير من الناس فيما يتعلق بدولة المال ، لكنها امتازت عن هؤلاء الناس بإقدامها وحسن استفادتها لما زودها به الله من مجال قليل لكنه غامض ، وهنا مقدار فتك الجلال إذا أُجيد استخدامه ، ثم هذه الخنجرية الغالية التي اكتشفها وداد في فجر أمشير ، وعرف قيمتها الشيخ سيد أحمد فاقترح تقويمها بالألحان والموسيقى لتكون صاحبها ملكة الفناء في مصر .

وقد صدق الشيخ سيد أحمد ، فقد مضت ثلاثة أشهر ثققت فيها الفناء عقد الموسيقى العملية ، واستطاعت أن تلعب على العود فتأتى بنتم كان له الفضل الأكبر في تقويم صوتها ، لأنه كان كلاماً والساد صادفاً أرساً صالحاً فأثبتت من كل زوج بهيج وقد أعجب الشيخ زكريا بوداد ، وراعه منها حسن استمدادها وتوفرها على دروسه ، وكان يربكه منها جالها الغامض ، واستطاع أن يقاوم مفناطيس الحب في فتاده شهرين متتابعين طويلين ، وفي الشهر الثالث صرعه التيار العنيف فباح بحبه ، ولكن ليس بلسانه بل بدموعه ، ولم تسأله وداد لماذا يبكي ، فقد كانت أذكي من تلك المذلة لكنها داعبته بكلمات ظريفة نسي بها تباريحهم ، ثم ظلت تحاصر هواه وتمت به حتى برعت في الألحان وألّت بدروس المود ...

وحينئذ ... أخذت تقف منه موقف الفتاة التي لم يفتح قلبها للحب بدم ، لأنه قلب يشغله أمل أوسع من الحب دولة وأقوى منه سلطاناً ، ذلك هو أمل المال .. المال قبل الحب ، لأن المال صحة والقوة والحب

التي أعقبت الانتهاء من عرض النظر الأول، والتي أطلقوا فيها أكتفهم وحناجرهم تصفق وتدوى بالتحية والإعجاب، وكانت باقات الورد والرياحين تنتثر فوق المسرح تحت قدمي وداد، ووداد تبتسم ابتسامة رقيقة محتشمة، وتنتظر نظرة واجفة نحو أختها سيدة لتتأمل ماذا تم من أثر هذا العرض في نفسها

وانتهت الحفلة، وكانت نصيبها اللانهاي من النجاح، وفي اليوم الثاني، بدأت طائفة من أكرم الهدايا تصل إلى وداد من شخصيات مصرية كريمة لا يمكن أن يكون تقديرها لمارأت من رقص وسمعت من غناء تقديرًا شائهاً إلبليسيا كما تمود الآخرون أن يفعلوا؟ وقد انتقت وداد من الهدايا حلياً غالية وضعتها يدها على جيب سيدة وفي رأسها وإسمعها ...
— أ رأيت يا سيدة !

— ... ؟ ...

— هل أصابني سوء مما قلت يا أختاه ؟
— أنت جريئة ... جريئة جداً يا وداد !
— ولم لا تكونين جريئة أنت أيضاً يا أختي !
— أعني أنت أكون كذلك ... ولكني لا أستطيع الآن !

— بل تستطيعين ... فقط ...

— فقط ماذا ؟

— تتعلمين

— وماذا أتعلم

— تتعلمين ما تعلمت ... الأستاذ صادق فنان متقدم في السن، حميد الخصال موفور الأدب طيب السيرة، وهو الذي تولى تلقيني هذه الدروس في الرقص، وهو الذي سيتولى تلقينك أيضاً !

يملكون من تجارة تكسب المال بالأجسام، فهو عندهم باب الزنا . ولذلك فهم يمدون كل راقصة فاجرة تتجر بجسمها أمام الناس وتوزع عانسها بالقروش على أبصارهم يأكلونها ساعة أو ساعتين ثم ينصرفون وقد تأججت شهواتهم بين أسالهم، وفي خلدوم صورة الراقصة المسكينة ما تزال تيمس وتدل وتتأود وتثني ...

هكذا ينظر الناس في مصر إلى الرقص والراقصات، وقل منهم من ينظر إليه نظرة أرفع من هذه النظرة وأسمى، ولذلك فقد وقعت وداد أمام مشكلة هائلة وهي تحاور أختها كي تقننها باحتراف الرقص، وكانت وداد قد تلقت دروساً في الرقص التوقيبي على يدي فنان عظيم، فلم يسمها يوماً إلا أن تدبر حيلة لتحارب في نفس أختها النفور من تلك الحرفة الجلية، فدرت حفلة مجانية في صالة من أكبر صالات القاهرة؛ ثم دعت إليها طائفة كبيرة من علية المصريين الذين سمعوا بفنائها وعرفوا ما فيه من أسرار القوة والنبوغ، فلبوا الدعوة جميعاً، ولما حان موعد الفناء تجردت وداد من ثيابها العادية ثم أضفت عليها ثياب الرقص للنظر الأول الذي أطلقت عليه اسم « أمل فتاة » . وكانت صور النظر قد نقشت على ستائر المسرح بأيدي كبار الفنانين المصريين الذين أوتوا في هذا السبيل نصيباً عظيماً من المبقرة وسلامة اللبوق في أداء المعنى وإضفاء الروح الشمري على النظر المطلوب ... وبرزت وداد بعد إطفاء الأنوار وأخذت في الفناء وتوزيع الرقص في غمر جميل من الأشعة ذات الألوان المختلفة ... لله ما كان أجلها وما كان أروع ثنائها وهي تتأود في فيض أشعة البرتقال ! لقد كان الناس مندوبين في هذه النوبة الجنوبية

المال الكثير والثروة المديدة ، واستطاعت أن يكون لها مسرح خاص أصبح قبله رواد محي الفن الخالص الجرد الذي لا يستعين في استغواء الشباب بالأداف والأغاذ والتجوى الخشنة والخلوة التي يطير فيها الميراث وتبيد الثروات ... وكان تركيزاً برغم صمود وداد منزلة للملحن الأول في المسرح كما كان لصادق برغم صمود سيدة منزلة مخرج أدوار الرقص ... وقد طال حب البطلين للبطلين ، لكن الفتاتين لم تفتحوا قلوبهما لأحد ... لقد أصبح جمع المال وتنمية الثروة طبيعة لها ... فهما لا تعرفان حباً بحب الذهب ولا غراماً كغرامهما بالأسمه والسندات والدور والقصور والزارع والضياح ... لقد أصبح لها من ذلك الشيء الكثير ... لكنهما مع ذلك صانتا عفافهما ، ولم تجعما بما جمتهما ملياً واحداً حراماً ، ولو قد التفتتا إلى جمع المال من طريق حرام لاجتمع لهما هرم كهرم خوفهن من الذهب .. لقد كان غناء وداد دروساً في الوطنية وأغاريد في الحب والجمال وحفز الهمم إلى الممالي ، وكان غناؤها يترج برقص سيدة فتكون حولها جنة كلها لمجاز وكلها حور ومياه دافقة وزهر وشجر وطير وثمر يانع جناء دان ودوح غصونها حوانى ... لقد كان فهما شيئاً جديداً في الفن المصرى ... لأول مرة شهد الجمهور المصرى رقصاً لا يثير شهوة ولا يمتلئ الفرزة الجنسية ، وإن يكن جسم سيدة جسماً يانماً يافقاً فيناً وإن يكن لهذا الجسم الياغ الفافع الفنان ثديان يلققلان الفؤاد الخلى ، وساقان نامحمان مستويتان ، وخصر لطيف نحيل وذراعان لدنتان ، تنهين بأصابع عاجية تكاد تنمقد من لين وطراوة . أما وجهها فهو دولة كاملة من الباهج والمفاتن ، وحسب الغم تلك الانبسامة الفررة البريئة التي لم تعرف الختل ، وحسب المينين

— وأى بإوداد! آه لو رأتك الليلة الماضية !
— أوى ! وما دخل أمنأ إلا في المحافظة علينا من أن نزل !
— هى تمتقدأتنا في حياتنا هذه أدنى إلى الخطيئة — لتتقد ما نشاء ، أما نحن فنسأل الله أن يقينا مصارع الزلل
— وكيف نسأل الله أن يقينا مصارع الزلل ونحن نلقى بأنفسنا مكتوفين في الميم ؟
— هذا وهم كاذب ... إنك يا أختاه ستقومين بأداء أدوار من الرقص التوقيى التثيلى إما بمفردك وإمامى ، ولن يشترك معنا أحد ... إن آمأى الواسمة في عالم الفن مفتقرة إلى جسمك الخصب أشد الافتقار ... إن جسمك المشوق للمتلئ لم يخلق لشنهوات الأزواج فقط يا سيدة ! إنه خلق للكفاح في دنيا الفنون ، وثق أن الله سيحفظنا من شياطين الإنس ما دمنا لا تقع في جباثهم ولا تنغمس في خباثتهم ... فهلى ... أعينى يا سيدة ... يجب أن نعيش سمداء وأن نهض بترية أختنا الصغير ، ونضمن لأمنأ آخره سيدة هانئة . أما نحن .. أما أنا وأنت ، فسترين كيف يصطرع المشاق تحت أقدامنا فتختار منهم زوجينا ، فإذا ولى الشباب ، ولم يعد لنا روثه الذى هو أول ضرورات الفن ، اعتزلنا الرقص والغناء ، وألقنا في قصرينا المنفين إن شاء الله ، نكلأ نأ عينه ، ويسندنا ما ادخرناه لهذا الند المحتوم

آه لو كان للرجال مثل لإرادة وداد !
لقد تألق نجمهما في عالم الغناء كما تألق نجم أختها في عالم الرقص ... وقد جئن الأستاذ صادق بسيدة كما جئن الأستاذ زكريا بإوداد ... لكن الأختين التزما الحفاظ أعواماً ثلاثة استطاعتا خلالها اقتناء

— ألا أقول لك يا زكريا ؟
 — تقول لي ماذا ؟
 — لقد صرنا هربين يا صديقي ، والبنتان في شبابهما الريان ، ثم لا تنس أنهما أصبحتا من النني بكان يمدحنا عنا كثيراً ... إنهما تعلمان إلى من هم أ كفا منا وأعلى مقاماً ...
 — ماذا تقول يا زكريا ؟
 — أقول الحق يا صديقي ... والرأى أن نظل عائشين في ظلهما نسعد ونشقى في وقت ممك ...
 وأطرق صادق رأسه ، ثم نظر إلى زكريا وفي عينه عبرة مترققة توشك أن تنهمر ، ولم ينبس بكلمة ثم نهضا لينهبا إلى منزل وداد ... أو قليلا وداد بمصر الجديدة ، فقد كانا على موعد معها لشأن من شئون العمل

— أهكذا يكون جزائي يا آنسة وداد ؟
 — أي جزاء يا رجل ؟ إن كنت في حاجة إلى نقود فأنا أعطيك ما تريد !
 — نقود ؟ أنا لست في حاجة إلى نقودك يا آنسة !
 — إذن ماذا تريد ؟
 — ألا تعرفين ؟
 — ومن يدري ؟
 — إذن أريد قلبك .. أو أريد قلبى يا عزيزتى !
 — لفة لأفهمها ... أسمع يا شيخ سيد أحمد ، لا تنظن أنك تكلم مطربة ممن تعرفهن في عرض الطريق
 — طبعاً ... أنا أكلم الآنسة الفنانة الكبيرة وداد بنت الشيخ محمد الفقى الله رحمه !
 — رحمه الله رحمة واسعة ، وهل في ذلك ما ينقص قدرى !

تلك النظرات المهادئة التي لم تطفها الصنعة ، وحسب الجبين تلك الأشرطة التي تملأ القلوب نوراً ووضاءة ، أما شعرها فقد كان ناعماً ساجياً يتدودن على الكتفين ، ثم تطير خصلة منه غير مصفوفة على الجيد ، في حين تنتثر أخرى في الهواء ، حسب ما يتفق الثني في الرقص وكانت سيدتهم كل هذه الفائق لا تثير الحيوان في اصلااب النظارة ، بل كانت تبتسم في أفئدتهم روعة الفن ونعمة التلذذ به عتجراً بسحر التصوير وجمال توزيع الضوء ... ثم ... سمو الفناء الجميل الذى كانت وداد تبثه مع النسيم من فوق القمم ومن صميم الوردان أو من بين السحب !
 وتبسم الحظ الوافر للفتاتين

لكن زكريا لم يمد يده يطيح صبراً على حاله للبرحة من هيامه بوداد ؟ ولا الأستاذ صادق بمطيق التجلد على هوى سيدة

— لست أدري يا صديقي زكريا لماذا أرسلتك القضاء إلى بهذه الفتاة ! لقد أودعني حبها السقام ، وصرت من غرامى بها في جحيم وفي نعيم ، وأخشى أن يمحى جحيمي جنتي !

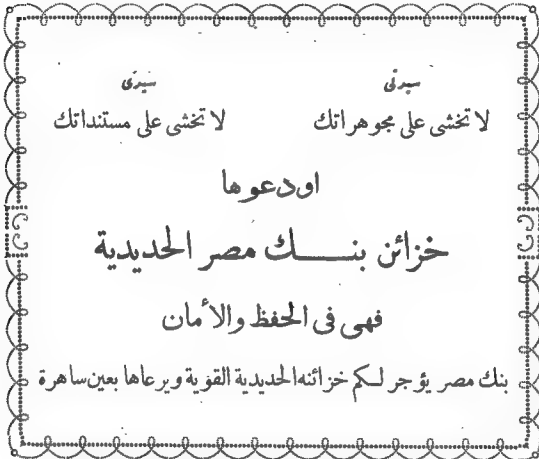
— أسكت يا صادق ! أسكت يا عزيزى ! والله إن قصة حبنا لتثير الشجون ... إن كنت أنت في جحيم وفي جنة ، فأنا في علة دأعة لأحسبها تنتهى إلا بميتي ... حبك لهذه الفتاة حباً ! إنها لنزاع لها سر غامض .. أتصدق أنني لم أستطع إلى اليوم أن أتزع منها تصريحاً أو تلمييحاً بأنها تميل إلى ولو بعض الميل ، ولو كصديق ، ولو كرجل لقها ألحانها جميعاً وعلها أسرار الموسيقى ! أنا ؟ لشد ما يحزننى أنها هزمتنى ! أنا الذى لا أعلمها إلا أحاديث الحب وكلمات النزل وأهات الغرام ! أعلمها كل ذلك وأعجز عن اجتثاث شيء ولو تأفها من الحب في قلبها !

— ولماذا؟ هل أنا كذابة؟
 — أستغفر الله أن تكوني يا أمي... ولكن لأراهما وليقتنع الشيخ سيد
 وكان خالد أفندي عبد النبي قد أقدم مع الشيخ
 ليخطب سيدة فتتضح ثم قال إنه لا يظن أن الأنسة
 وداد تريد عن ثمانى عشرة سنة، وكان تعلقاً ثقيلاً
 ما كان أغناه عنه... وذهبت الأم ثم عادت بورقتين
 دفعتهما إلى وداد التي أغرقت في الضحك إغراقاً
 شديداً، لأن الورقتين كانتا ورقتي عقد إيجار...
 ثم ذكرت وداد ليلة أمشير التي لا تنسى، وأنها
 جاءت لأما بورقتي الميلاد لتستعين بهما في إشمال
 النار... فكافت تسليمة ظريفة أمحككت الجميع...
 ولما هدأت الماصفة قال خالد:

— وأنا يا ست سيدة!
 — وأنت ماذا يا سيد خالد؟
 — إنه ليسعدني أن تقبليني زوجاً
 — أنا؟
 — طبعاً أنت؟
 — أنا لا شأن لي في هذه الأمور يا عزيزي
 — ولن الشأن إذن؟
 — سل وداد!
 — أسأل وداد وأملك حاضرة!
 — أي لا تحب هذه الأمور كثيراً!
 — وهنا ثارت الأم وزجرت ابنتها فقالت وداد:
 — تريد أن تقول إني وإياها شريكتان في عمل
 لا نستطيع أن نتركه، وعملها لا يسمحان
 بالزواج يا أماء، وإذا كان لا بد من زواج...
 — وهنا دخل الأستاذان زكريا وصديق جفاة فقلا:
 — رُسْنَا... أليس كذلك يا آنسة وداد؟

— ومن قال إن ذلك ينقص قدرك!
 — إسمع يا شيخ سيد! كم سنة عمرك؟
 — خمس وأربعون
 — وكم سنة عمري؟
 — خمس وعشرين!
 — كذاب!
 — بل أكثر من خمس وعشرين!
 وكانت أمها حاضرة هذا اللقاء، وكانت أمها تود
 من قلبها أن تزوجه ابنتها وداداً، لأن الرجل ليس
 طاعناً في السن كما تحسب الفتاة، ثم هو في سمة
 من الميش، ولم يكن أحد يظن أن مثل الشيخ سيد
 يرضى أن يتزوج بنت الشيخ محمد الفقي، فلما جاءت
 مسألة السن تدخلت وادعت أن وداداً لا تريد عن
 عشرين أو إحدى وعشرين، ثم قالت: إن شهادة
 ميلادها موجودة وكذلك شهادة ميلاد سيدة، ومع
 أن الموقف لم يكن موقف هزل، فقد تضاحكت
 وداد جفاة، ثم بالنت في الضحك حتى استلقت على
 كرسي الفراخ القريب، وهي ما تكاد تملك نفسها
 من شدة الضحك
 — ماذا أضحكك يا وداد؟
 — لا شيء يا أمي...
 — لا يمكن... لا بد أن أعرف!
 — لقد ذكرت شيئاً...
 — وماذا ذكرت؟
 — شيئاً قديماً... قديماً جداً!
 — تكلمي يا وداد
 — أمّا كدة أنت أن شهادتي ميلادي وميلاد
 سيدة عندنا؟
 — طبعاً...! إني محظوظة بهما
 — إذن قولي لهما!

- ثم قال زكريا :
 — ألسنا أحق من هذين ؟
 وقال صادق :
 — ألسنا أحق يا آنسة سيدة
 فقالت وداد :
 — إذن كننا غنيتين ؟ وسمعتنا كل شيء !
 فقال زكريا :
 — أى والله !
 فقالت وداد :
 — إذن فابشرا
 فقال زكريا :
 — بشرك الله بكل خيرنا ... يا حبيتي !
 — إذن فابشرا أننا لن نتزوج أبداً يا أستاذ زكريا
 وهنا وجه الجميع ، ونهض الشيخ سيد احمد
 فجاء فقال :
 — ومن يرضى أن يتزوج مطربة ؟
 وقال خالد :
 — ومن يرضى أن يتزوج راقصة ؟
 ثم انطلقا غير مأسوف عليهما
 قالت وداد :
 — أسمع يا زكريا ؟ أصرحت لماذا نرفض أن
 نتزوج ؟ أليست حياة الفن شقاء في مصر ؟ ! وأنت
 يا سيدة ! هل عرفت أن المال لأمثالتنا هو كل شيء ؟ !
 ويرضى فشيء



الأعصاب المفروض أنه مصاب به ... فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عالة بما ستكون عليه رحلتك ! فلسوف تدفن نفسك حيث لا تتحدث إلى مخلوق من الأحياء ، وعندئذ تنصاع الكآبة مرض أعصابك ؛
وها أنا أكتب في الحمال خطابات توصية أقدمك بها إلى جميع الأشخاص الذين أعرفهم هناك . ولقد كان بعضهم ، على ما أذكر ، ودعياً ظريفاً »

تذكر فرامتون كلات أخته وتسأل في نفسه : ترى مسز سابلتون التي سيتقدم إليها بعد لحظة يأخذ خطابات التوصية التي يحملها ، تدخل في نفاق هذا البمض الوديع الظروف »

وإذ لحظت الفتاة الرقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر الغريب سألته :

— أتعرف كثيرين من أهل هذه الناحية ؟
فأجاب :

— أكاد لا أعرف أحداً هنا . ولقد كانت أختي كما تعلمين ،

مقيمة هنا في الأبرشية منذ حوالى الأربع السنوات ، وقد أعطيتى خطابات توصية لفريق من أهل هذه الناحية ...

الباب المفتوح

للكاتب الإنجليزي الكبير "الساق"
نكلم لانتنا غيبند المحمد محمدت

نصريف

« الساق » أو « سكي » كما تطلق بالإنجليزية هو الاسم للستار الذي تخيره الكاتب الإنجليزي الكبير مكتورهيونج مونرو لتوقيع مقالة وقصصه القصيرة التي نشرت في المصنف والمجلات الإنجليزية . وقد تغير هذا الاسم من إحدى رعايات عمر الحيام التي يخاطب فيها (الساق) بقوله : « إذا سررت أيها الساق بالرفق للتترنن على الأعصاب انتار النجوم ... الخ »

« وقد ولد مونرو في بورما سنة ١٨٧٠ ومات أمه وهو في السنة الأولى من عمره ففعله أبوه هو وأخوه إلى نورث ديفور ليقيموا بين جنسهم ومهتهم . وقتل مونرو في فرنسا سنة ١٩١٦ فلاحى مبارك الحرب الكبرى . وله كثير من القصص القصيرة والمقالات القندية البارعة . وقصة « الباب المفتوح » التي نعرضها هنا هي إحدى قصصه القصيرة الطريفة »

— ستحضر خالتي في الحال يا مستر « تفل » ، ولكن يجب في الوقت نفسه أن تجهد في إلهاء حديثك مني

بهذه الكلمات باذرت الفتاة ضيقها عند عودتها إلى غرفة الاستقبال ، حيث كانت قد تركته ريثما تذهب لإخبار خالتها بقدموه : وفاتنا صبيبة رزينة لم تتجاوز الخامسة عشرة من سننها

وحاول فرامتون تفل أن يتخير الكلمات اللائقة التي يستطيع أن يرضي بها ابنة الأخت المائلة أمامه دون أن يكون في هذه الكلمات ما لا يرضى بغير مقتضى ، الحالة التي ستحضر بعد قليل . وقد شك الفتى بينه وبين نفسه أكثر مما شك في أي وقت مضى ،

فيا إذا كانت هذه الزيارات الرسمية التي يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التي لا تربطها بها أية رابطة على الإطلاق ، سيكون لها أثر فعال في علاج مرض

من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الميدان المفضل عندهم لصيد البكاشين ساخت أقدامهم في بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا في ذلك الصيف الذي كثرت أمطاره ، على ما تعلم حتى إن الأماكن التي كانت مأمونة في السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فانهارت ، وقد اخفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثر ، وهذا هو أفظع ما في المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التأثير ، ثم مضت تقول :

— ومسكنة خالتي لا تنفك تتصور أنهم سيمودون يوماً ما ومهمهم كلهم الأسود الصغير الذي ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون إلى البيت من هذا الباب كما تعودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو النصب في تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط النسيق . وما أنس خالتي العزيرة فلسم كررت على سمي قصة خروجهم ، إذ كان زوجها يحمل مطفئ المطر الأبيض على ساعده ، بينما روني أخوها الأصغر ينشد أغنية : «لماذا تهب يا برقي» ، كما كان يفعل دائماً ليفيظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفي عليك يا سيدي ، أنني في بعض الليالي الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسي غالباً شعور خفي بأنهم جميعاً سيمودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بمض الشيء ، وأحس فرامتون بالفرج عند ما دخلت الحالة إلى الترفة تسوق أمامها سلسلة من المآذير

وصاغ الفتى كلامه الأخيرة في لهجة تنم عن الأسف فتابست الفتاة الرزينة حديثها قائلة :

— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئاً إطلاقاً من أمر خالتي ؟
فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها فهو لا يدري إذا كانت متزوجة أو أرملة . ولكن شيئاً في الترفة لا يستطيع أن يبينه على التدقيق كان يوحى إليه بأن في البيت رجالاً ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد نزلت بخالتي مأساتها الكبيرة في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ووافق ذلك الوقت الذي غادرت فيه أخذك هذه الجهات

فسأل الفتى الذي لم يكن ليتصور أن الناس يجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ الطمئن :
— تقولين مأساتها ؟

فقالت الفتاة وهي تشير إلى أحد الأبواب الطلة على الشرفة وكان مفتوحاً :

— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحاً في مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟
فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أية علاقة بالمأساة التي تشيرين إليها ؟

فشرعت الفتاة تحكي القصة الآتية :

— في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتي وأخوها الأصغر منها سنّاً ليصيدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا

لتأخرها في إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك بمحدثها ؟

فقال فرامتون :

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون في نشاط وخفة :

— أرجو ألا يضايقك فتح هذا الباب ، فإن زوجي وأخوي على وشك أن يمودوا من الصيد ، وقد تمودوا أن يدخلوا دائماً من هذا الباب ، ولقد خرجوا اليوم لصيد البكاشين في البرك ، وما من شك في أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدى المسكنة آثار ما تحمل أقدامهم من الأوحال ، وهذا هو شأنكم أيها الرجال ؛ هل توافقني على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث في انشراح عن الصيد وعن ندرة الطيور ، وبخاصة البيط في فصل الشتاء ، ولقد بدا هذا الحديث لفرامتون مزيجاً ظليماً ، فحاول جاهداً أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهو لا ، فلم ينجح في ذلك إلا بعض النجاح ، وقد تبين أن مضيقته لا توليه من عنايتها إلا جزءاً جد يسير ، ولكن نظراتها كانت تتخطاه إلى الباب المفتوح وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فما من شك في أن زيارته هذه الأسرة في مثل هذه القذكري المولة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

ومرور الوم لفرامتون أن القوم الثراء الذين يجتمع بهم والدين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى تعرف أقل ما يمكن من التفضيل عن مرضه وعلته ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء في أمرهم في بأن أزم الراحة

التامة وأن آتجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد عن كل شيء يتصل بالجهد الجسمي ، ولكنهم غير متفقين اتفاقاً تاماً فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقال مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها في هذا السؤال صوت الذى جاهد التأثؤب في اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت فجأة وبدأ عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

— ها هم قد عادوا آخر الأمر في الوقت المناسب لشرب الشاي . ألا يبدو عليهم أن الأحوال تقطعهم إلى رؤوسهم ؟

فارتجفت الفتى ارتجافاً خفيفاً ، ثم نظرت إلى ابنة الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة تحرق من خلال الباب المفتوح ، وفي عينيها معنى الرعب الحاطف . فدار فرامتون في مقدمه وقد أحس بصدمة مرعشة من جراء خوف لا يدرك مناه ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فراى خلال النقس الحابط ثلاثة أشخاص يجتازون الحقل متجهين إلى الباب المفتوح ، وكانوا جميعاً يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم يحمل ما عدا البندقية مغطاً أبيض من سحاطف المطر ألقاه على كتفه ، وكان يتعقب أقدامهم كلب صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا الجمع في سكون من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش يضي في النقس :

« إلى أسالك يا برنى لماذا تيب ؟ »

لم تكذب عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الألب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مقفوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

مصحح ومترجم وطبعه الأستاذ

محمد حسن زنائي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكتبات الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

أسسك في عتف بصاه وقيمته ، وفي أسرع من
لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرسوف
والباب الخارجى كأنه السهم المار ، حتى أن رجلاً
مقبلاً على دراجة لم يثق التصادم به إلا في اللحظة
الأخيرة منحرفاً فجأة إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال جامل
المطعم الأبيض :

— ها نحن يا عزيزتى قد هدنا ملوثين بالأحوال
ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل
الذى تلاشى لجرد ظهورنا ؟

فقلت مسر سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جداً اسمه مستر « تكل »
لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكدر أكم
حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يلقى بكلمة
وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح
عرفت نحيف

فقلت ابنة الأخذ في هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرنى أن
بعض الكلاب الضالة هاجته مرة وطاردته حتى
أزيمته الحرب منها إلى مقبرة في ناحية ما على ضفة
نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل في قبر جديد
لم يدفن فيه أحد بينا الكلاب من فوقه تنبح
مكثرة عن أنيابها ، وفي ذلك ما يكفى لهز أعصاب
أى إنسان

لقد كانت خاصة فنانا الزينة اختراع الروايات
على البدهة :

عبد الحميد محمدى

مَا خَبَّرْتَهَا ...؟

أَقْصُوصُ صَبْرٍ مُصَرَّبَةٍ
بِقَلَمِ الْآنِسَةِ جَمِيلَةِ الْعَسَلِ دَبْلَى

منقطع محموم ...
وشكت المرضى في أمره ...
واستطاعت أن تفهم بحكم غريزتها
أن أمام ناظره خيال امرأة ، قد
تكون سبب هذه الصدمة أو سبب
هذه الحى ... الله يعلم
وانتهزت فرصة غفوة العميقة
فانسلت خفية إلى غرفته تبحث

في محفظته ... حتى رأت بين أوراقه رسالة موجهة
من فتاة تقول فيها :

أخي القاضل

لا أحب أن أكون أكنوبة هائلة في تاريخ
حياتك ، إذن يجب أن نسدل الستار

واستمع إلى بمقل ولملك لا تكون من الظالمين .
لقد تمارفنا على غير ارتقاب ، وتحايينا لغير غاية ...
ولملك تذكر يوم لقيتني في منزل الخالة وقدمتي إليك
زوجها ... وكان ذلك في عيد ميلاد ابنته ...
وانتهزت فرصة خلو المكان إلا منا فحدثني عن
نفسك في صراحة مطلقة أكبرتك من أجلها ...
وصورت إلى في صرامة ما تمنانيه من حرمان وآلام
من جراء يثملك ... ولم تكند تصل إلى هذا الحديث
الحزن باكية في هدوء حتى أحسست أن دموعك
خرجت من قلبك لتسكب في قلبي ، ولذا أؤكد لك
أن دموعك وحدها هي التي جذبتني ... ثم خرجت
في حديثك على حياتك الخاصة فأفهمتي أنك تلهو
بالحسان وتقضى طوال الليل خارج الدار مع جمهرة
من الشبان وعلفت على ذلك بأنك مضطر إلى هذا
الفساد لخلو قلبك من الحب ولعدم توفيقك إلى إخرأة
تحميمك وترعاك ...

صنع الرجل عند ما بلغه خبر خطبتها وكان على
يقين من أنها لن تتزوج غيره ، لأنها أحبت دليل
أنها بادلت الحب وارتنفت به زوجاً ، والآن ما عساه
يفعل ... هل ينتقم ؟ أم يتناساها ويحب غيرها ؟
أم يسمى إليها عليها تمود إليه ... ؟

وارتجى الرجل على مقعده مهموماً مفكراً يتخيلها
يجمأها الرائع وروحها الساحرة وعواطفها الطاغية
وعقلها النابه ...

استعاد كل ماضيه وما يحمله من ذكرى جاعحة ،
فأحس أن خسارته بفقدانها لن تموض أبداً ...
أبداً ... وأنه لن يثر على فتاة تأملها عفة ورقة
وسحراً وذكاء ...

فما أعظم المصاب !

بكي فلم يرفه السمع عنه !

وخرج إلى الشارع يتمشى كالشارد فاصطدم
بسيارة حمل على أثرها إلى المستشفى ... وظن الأطباء
أن الحى التي اتايت به أتر الصدمة . ولو أنهم كانوا
بخفايا القلوب عالين لرفقوا موضع الداء الدفين ،
ولأدركوا أن الحى في قلبه ، وصداها في غه !
خائنة ... فادرة ... مجرمة ...

لم يكن لديه سوى ترديد هذه الألفاظ بصوت

ولكننى اتخفت الحب وسيلة إلى إصلاحك
لأنك أهمتنى أنك لا تردع عن الإثم إلا إذا أجبته
إصرأة ...

ولم أمقتك بل كنت أشفق على شبابك الذى
يذويه الفجور وكنت أتمنى أن أخلق منك الرجل
الكامل ، ثم أدع الطبيعة بعد ذلك تدنبنى منك
أو تقصينى عنك ...

نوهت لى عن الزواج فلم أمانع ... لا حبا فيه
أو فيك ... بل رغبة فى أن أصل بك إلى مستوى
أرفع من مستوى الرجال ... نحييت فى سبيلك بمالى
ووقتي وجملتك عمور تفكيرى وحسنى ... على أمل
أن تصلح ولكنك كنت تقول ولا تفعل ... كنت
تصارحنى بأنك ستصم لكذا وكذا ... وقد عملت
كذا وكذا ... فإذا اكتشفت الحقيقة واستوضحت
الأمر ... ظهر كذبك ونفاقك ...

رباه ... لشدة ما عذبنى هذا وكنت أصبر راجية
أن تكون من المهتدين ...

كانت رسائلى وحدها كافية لإصلاحك وكان
حنوى وعطفى كافيين لإشبعاك ... ولكنك
فى الواقع خلقت لغير الحب الأكيد - صدقتى -
لم يكن فى نيتى أن أحب غيرك أو أتزوج سواك؛
إذ كنت أريد أن أشرم بآتيه الخلاله ، لأننى خلقت
رجلا ... وعجيب أن يكون المعاطفة شيطان يحولها
من الفضيلة إلى الرذيلة ومن الأمل إلى اليأس ومن
الحب إلى الكراهية ...

وكان شيطان حبي ... كذبك ... فطني عليه
وحوله إلى يأس حير

ولطالما صارحتك بذلك وقلت لك إن الرجل الذى
يكذب مرة لا يصدق مرة. وأخشى أن تنفقنى بسبب
(٩)

واقترعنا على أمل أن نكون كصديقين أو أخوين،
ولم أر غضاضة فى قبول صداقتك ما دامت تدفع عنك
الضر والشر كما زعمت ...

تراسلنا وتقابلنا وحاولت جهدى أن آخذ من
رسائلى أداة لإصلاحك وأن أسيطر على عواطفك
كلما قابلتك لأوجهك إلى الطريق المستقيم ...

فلم أدع صغيرة ولا كبيرة تدفعك فى طريق الهدى
إلا لفت نظرك إليها ...

أغريتك بكل ما فى قلبى من رحة وبكل ما فى
عقلى من ذكاء لأتشلك من البؤرة الدنسة وأرفضك
من الأحوال إلى سماء الطهر والكمال ...

فكنت تكتب إلى بأسلوب رائع لتوهمنى أنك
تسير فى الطريق المرجو فى غير هواة ... وأنت على
خير ما أتمنى لك من خير وقضية

وبرغم تصرفاتك المعاطفة التى كنت أكتشفها
بالمصادفة ... كنت أتماسح وأقول لنفسى من السبيل
أن يتحرر من قيود المجتمع دفعة واحدة ...

وفى الواقع يا أخى أنت بارع فى تلقيق الأكاذيب ..
بدرجة أننى كنت أثق فيك مع أن البراهين تؤكد
سبوء تصرفك .. والكذب عندك عريضة. أوه ...
لطالما ضايقتى كذبك وأرفق وأسلى إلى أمر الآلام
وأظلم الأحلام ... ورغم ذلك كنت أريد أن أجرب
قدرتى فيك ...

فكنت أجهل وأتماسح على أنجح فى نادية
مهمتى ...

ولكن عبتا ...
كيف أنجح وأنت بعيد هنى تعيش هناك
كما يحلو لك ... مطمئنا إلى تسامحى وحبي ...
فى الواقع لم أجبك ...

هذا الكذب غاذر ... فكنت تدافع في براعة
الحامين ولباقة السياسيين حتى أضطر للسكوت لاعت
إيمان وتسليم بل عن جد ورجاء ...
أخيراً ...

أجل أخيراً أيقنت أننا لو تزوجنا لا يمكن أن
نتفق أبداً ... أبداً ... وسنكون وصمة في جبين
النظام الروحي الأكيد - فأثرت أن أقف بجانبك
موقف الأخت البارة تراك من بعيد بقدر المستطاع
مرحبة بالخطيب الحبيب لما يبننا من نظام وتألف ...
وأحمد الله الذي وحده بين قلبينا وروحنا ...

والذي أريد منكم الآن ... أن تعود إلى رسائلي
وأن تستعيد ذكرى كل ما قلته لئرى أنني أخلصت
لك يوم ظننت أنك تصلح لأن تكون مثل الأعلى ...
فلسا واجهتني بحقيقتك تنبه وجداني ، فإذا بالحب
كظلك الذي تلاشي عند ما اخفيت عن ناظري
في آخر لقاء ...

يا سیدی ... أو يا أخي إن شئت : الحب
كالبنیان تندك قوائم عرشه بالثقة ويزعزعها الهشك
وأخيراً يحطمه الكذب والبهتان

ونصيحتي إليك أن تحب المرأة صادقاً وتفهمها
صادقاً وتكشف لها عن مساوئك صادقاً ، ثم حاول
إصلاح نفسك صادقاً ، إنها تدفع دوماً ثمناً لهذا الصديق.
والشيطان يسخر منك عند ما يحلل لك الكذب
غاذر ...
كوتر

فهمت الممرضة كل شيء ... فأشفت على الرجل
وفكرت ، أرى المرأة أخطأت ؟
وكانت الممرضة ذكية فلم تشأ أن تحكم لها
أو عليها حتى تراها ...

ولكن كيف ؟
آه ... ها هو عنوانها في الرسالة ...
إذن فلتكتب إليها فالريض يحتضر ويدعوها ...
وظل المريض يهذي :
خاتنة ... غادرة ... مجرمة ...
اندمل جرح الصدمة الطارئة ولم يندمل جرح
القلب الهادي ...
حتى جاءت
مریض يحتضر يدعوها ؟ ... ولم تجد غضاضة
في عيادته .

وأفهمتها الممرضة في حكمة ودهاء ... أنها بثت
إليها رحمة به لأنه يهذي باسمها وقد فهمت من هذيانه
كل شيء .
فشكرتها الفتاة وولجت باب المريض في هدوء
ولهفة ... ونادة ...

فرفع بصره في بطنه ، وقد أريد وجهه فجاء ...
ثم غص طرفه ملياً ، وأخيراً ابتسم في صرامة وقد
انطلق وجهه وغنم ... كوتر ...
قال : ساء لي مصابك . لكن الممرضة طابتني
فالحمد لله

قال : وهل تهيك حياتي ... خبر لي أن أموت
قال : كيف لا تهمني حياتك وأنا أرجو لك
كل خير وتوفيق ...

وهنا أحس الرجل بانتعاش غريب فنسى ما كان
يشغله من المواجس القائمة ، واعتدل في مقعده ثم
اقترب منها ليجر أنفاسها البقية بأنفاسه الحمرى
فأثلك : أوتدكرين يا كوتر ما سر من حلو الأيام ...
فلم تشأ أن تثير مجرى خياله وقالت : طبعاً أذكر
فأبسم وأعقب : أذكرين يوم اجتمعنا في غفلة

يا قرة العينين بل يا منية القلب المذاب
تفديك روي يا حبيبى فى حضور أو غياب
ما العيش بعدك فى الحياة سوى ريق من سراب
خذنى إليك ونجى مما ألقى من عذاب
أنا إن أعش فلاجل أن أفتاك عنوان الشباب
أنا إن أعش فلاجل أن أدنيك من كل الرقاب
أمودعى عند المساء وتاركى لضى ارتقاب
أخطبى ؟ مهلك للى أن أعود إلى صوابى !
يا مهجى الحرى حنا نك قدسنت من العتاب
ماذا على إذا فتحت له لى الترحيب بابى
ووهيته ما شاء من عطى وحى المستطاب
يا ويح نفسى هل أطيق غيابه بعد اقتراب ؟
أطيق وهو هو المضي بخاطرى مثل الشهاب ؟
يا من هدته عواطفى فى كل مختلف الشهاب
أبدأ أحن إليك يا رضى الأمانى المذاب
وهنا انشرح لميا ثم عاد يتألمها فى لهفة بادية
قائلاً : غنى يا كوثر ... أعيدي على مسمى هذا
النشيد ... إن كلامك أعذب من أغريد البلابل ...
غنى غنى ...

فأغصبت بسمه وقالت بصوت تشيع فيه المرارة:
— عند ما تماودك المافية كاملة أسمعك أجمل
الأنشيد ...

فأغصبت واقفا قائلاً :

— أنا بخير ... انظرى ... هانذا أتحرك ...
وأسير أيضاً ... فى مقدورى أن أخرج الآن ...
ولابد أن أخرج منك ... لن أتركك تخرجين وحدك
فأشفت عليه لأن آثار الحى كانت ما زالت
ظاهرة عليه وقالت :

القدر تحت خيلة فى إحدى الحدائق النائية وكنا
أشبه بمصفورين اليقين ضمهما الوكر فى حى الصفاء ،
وأحسست يومئذ رغم حاجز الغفة الذى كنت تحرصين
دائماً على إقامته بيننا أننا التحفنا ببطاء واحد —
لا أذكر كيف كان — أكانت ماديتنا هى التى
تغلى روحينا ، أم بورا الحب هو الذى كان يكتنفنا حتى
بيننا كأننا نور من نوره . لقد كنت أجهل موضعك
منى وموضى منك ... ولما سألتك : أين أنا منك ؟
أجبتنى : وأين أنا منك ؟

ولم يكن كلامنا بهذه الحروف المهودة بل كان
بلنة الصمت الجليلة التى تنساب من قلب إلى قلب
كما ينساب النور فى الأفق . ولما قلت لك : تخيل
إلى لو أننى جردت نفسى من الغفة واعتصرتك
لما ارتويت أبداً ... أبداً ...

فأشعت بوجهك عنى حياء واجتمعت عنى ثم
قلت : لأنك بقدر ما تسلب منى أسلب منك !
فانهمرت دموى من فرط التشوة وقت : كل
يوم يزداد حسنك كأن فى معينك كنزا من الجاذبية
لا ينفى

قلت برأسك دلالاً قائلة : من عند ربى . ولما
عادونى السهوم وأنت حياى وبدا على وجهى لظلال
أحلاى ...

أهبت بى إلى مكالماتك ... ولكننى كنت متفانياً
فى نفسك سارحاً فى جنبات قلبك

وظل قلبى يخفق ، ونظرك ينطق
وما زلت أذكر نشيدك الذى كنت أنتفى به
دائماً كأنه تمويذنى الخالصة :

أخشى عليك من العباب بطنى عليك بلا حساب

— لأعودك في الغداة وأصحبك إلى الخارج ...
والآن يجب أن أخرج ...

وحاول أن يستعملها فاعتذرت وانصرفت وتركته
واجماً ساكتاً لا يدي حراكاً كالطفل الصغير الذي
تركه أمه فيمجز عن اللحاق بها أو استبقائها بجانبه

مرت الأيام وهي تموده ... حتى عوفي وترك
المستشفى ... وطلب إليها أن تزوره في منزله فوعده
وانتظر في الليام فلم تحضر، ومرت الأيام تباعاً
ولم تدم ...

وعثر الرجل على الرسالة وكان نسخها، أو لعل
الحى هي التي أنستة إياها فقرأها ...

تذكر كل شيء ... فارتجف وجده
مفكراً فيما يصح أن يعمل . حتى صبح عزمه على أن
يبحث بجميع رسائلها إلى خطيبها، وهي مجموعة موفورة
من الحب المشوب التأتاج، وفيها ميثاقها على ألا تتخذ
منه بديلاً ...

قد يتخيل المحب أن في مقدوره أن يصفح
ويغفر وأن ينسى الإثم والبهتان
وقد يسهل ذلك على الحب المائل النبيل إلى
حد ما ...

وقد يعتقد المحب أن حبيبه كان يجب من قبل
غيره ... ولكنه لا يسير هذا الاعتقاد إذ ليس لديه
ما يشبهه ... حتى إذا حدث ما يؤكد هذا الزعم
حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فإما هجر لا لقاء بعده،
أو شك يظل يندب صاحبه على طول الأيام ...
وخطيب الفتاة كان رزيناً حكماً ولكنه إنسان

له غرائز البشر وخصائص الحب ...
لطالما قالت له الفتاة إنها عرفت كثيراً وجملت
بعض المحبين، وسارت أحياناً في طريق الحب إذا تراءى
لها عفا ريثاً حتى إذا تكشفت لها عن خدعة تنحت
عنه وابصمت ... وكان يستمع إليها ويسامرها دون
أى عيب أو ملل ...

ولكنه اليوم بعد أن تسلم رسائلها ساوره الشك
واعتره الريبة؛ وفاجأها نائراً لأثماً وكأنها تبدلت من
ملائكتها إلى شيطان رجيم أمام ناظره فاحتاج وراح
يرمى بأشعث التهم وهي ساكنة هادئة باسمه ...

حتى إذا اتبعى قالت له : كلانا خدع في الآخر
يا سيدي ... أنت ظننتني ملكاً كريماً فأحببتني
وأنا ظننتك المثل الأعلى للرجولة الكاملة فأحببتك.
والآن ... ليس ثمة ما يدعو للغضب ما دمنا في أول
الطريق ... فليبحث كل منا عن شريكه ...

فاعتاظ وقاض شكه وقال : آه في الطريق
أكثر من رجل ينتظر لك لأنك رميت شبكة الخداع
على كثيرين ... أصدقيني هل أحببت هذا الرجل ؟

قالت : أجل ، كما أحببتك قبل اليوم . فدهش
الرجل لجراتها، ولكنه ظن أنها تهجم فماد يقول :
ولماذا لم تزوجيه ؟ قالت : إذا خاب الحب انتصر
العقل بما يكتسبه من التجارب والأحوال ...

أما الزواج فخياره موت لا حياة بعده مهما تجدد
بظل طابع الخلية على جبين المرأة مدى السنين ...
وصحمت ملياً ثم قالت : يا سيدي إن الرجل إذا أحب
صدقاً يغفر للبني لأثماً ... وأنت كما زعمت تخبي ...
فكيف تريد أن تحاسبني على تصرف لا تدري كيف
فعلته ولماذا ؟ !

لم تمد لي صلة بك أوبه ...
 فقاطعها : أنسيت حتى يا كوتر ... لقد أخبيتني
 حباً لم تحبه امرأة لرجل وكذلك أحببتك أنا ...
 فمادت تضحك ، ثم قالت : لقد أحببت طيفاً
 مجهولاً فيك ... أما أنت فلم أحبك ... أحببت
 الإنسان الذي أنشده فيك وله كنت أكتب وعليه
 أحنو ؛ فلما وجدت ذاك غير قادرة على حفظ الروح
 الذي أهمل إليه تنحيت عنك باحثة عن مفر ذلك الروح
 لقد كنت تحاول أن تخدعني بالحب لتبأى بحبي
 ففدعتك بالحب أيضاً لأعرف حقيقتك ؛ فلما
 عرفتها ارتفعت إلى سماءي ... ولما كنت لاحظت فيها
 مضي أنني كنت أحاول دائماً أن أرفسك إلى الأفق
 الذي أعيش فيه موطنه النفس على التناعة بك
 لو استطعت الصعود إلى ... فلما فشلت وعجزت عن
 السمو بنفسك إلى مستواي ... تركتك في الأوجال
 وحديك وحقت في عالي النوراني هناك ... فما ذهبي
 أريد أن أهبط إلى الأرض لأعيش معك لا كون
 حبة وفيه بينا في عمق هذه الحنة اللثة والموان ...
 لماذا لم ترتفع بإنسانيتك إلى سماءي مادمت تهواني
 كما كنت ترع ...
 إن الرجل الذي يعجز عن السمو بنفسه في سبيل
 الحب لا يقدر قيمة الحب ولم يكن محباً أبداً ...
 أفصمت ما ذهني إذا استغلت الحب في سبيل الإصلاح
 فإذا عجز الخراب به من حب ، وإن عجز
 عن البلوغ بصاحبه إلى الغاية المثلى فليذهب في ذمة
 التاريخ الضائع ...
 ما ذهني إذا ابتسمت ساخرة من عفتك في التفرير
 في ظناً منك أن كل الفتيات أسيرات الكلام المسول
 والحب المصطنع !

إذا صعب عليك أن تنفر ذنبي في ماضي فقد
 صعب عليك أن تنفر ذنوبي في حاضري والإنسان
 لا يسلم من الخطأ ... إذني اجت لك عن فتاة لم تنفر
 على أي رجل ، وأنصحك أن تأخذ طفلة لم تبلغ
 الرابعة من عمرها ... وتركتها وانصرفت
 يا للشيطان ... إنه يلعب على مسرح المقول
 بمهارة ...

خرج الرجل وانقطع عنها فوطنت النفس على
 أن ترفضه وتسلوه ...
 وحاول الرجل أن يسولها فلم يستطع لأن ثقته
 بظهرها من اختباراته كانت أشد تأثيراً في نفسه
 من شكها فيها ، ولكن بماوده من حين إلى حين وقع
 رسائله في نفسه فيأرق ويتألم ، وظل كذلك ...
 حتى ذلك اليوم الذي بشت فيه أخته إلى كوتر رسالة
 تدعوها لزيارتها لأمر هام ...

فذهبت كوتر ، وفي فيها أن تضع حداً للعلاقة
 بينها وبين أخيها وتعلن له رفض يده ...
 وهناك قابلتها أخته ، ودخل الخادم يطلب الأخت
 لمقابلة الوالد ... ففرجت وغابت ... ثم دخل الرجل ...
 دخل الرجل الحبيب الأول ... مفاجأة لم تكن
 متأهبة لها . كيف حضر إلى هنا . ولماذا ؟

لم يترك لها الرجل فرصة لمخاطبته إذ قال :
 كوتر ... يدعشك أن ألتاقك في منزل خطيبك ،
 ويعد أن عرف علاقتنا القديمة ... ولكنه نبيل
 كريم كما يدل تصرفه ... إذ لم يشأ أن يحطم قلبي
 فأبج لي لقيامك هنا لنجدد العهد وقد تنازلت عنك لي
 فضحكت الفتاة منهكة وقالت : ها ها ها .
 أتراني سلمة وأنا لا أدري !

لأى غاية ولن أجبك أيضاً لغاية ... بل أجبك
لأصلحك ...

إذن لم أكن أنا التي أجبك ... إنما هو الحب
الذى سخرنى ليهديك ... فكفرت به

قال : سأكون كما تشائين ... صالحاً تقياً
مؤمناً محباً ونياً ... إن قبلتني زوجاً ، وإن أبيت
فلأمت ، ولتزل عليك نعمة الله ...

فقلت : الله يعلم كيف أنصني في سبيل الإيمان به
فحسبى ...

وهنا دخل خطيبها ملتفتاً إلى الرجل مصوباً إليه
نظرة شذراء ، ثم قال : كفى يا صاحبي . لقد فهمت كل
شيء ... إنها ملك .

جميعه المولى

« الصورة »

ما ذنبى إذا تننيت بذب الشيد متاجية الإلف
المجهول ، فتظنك المعنى بذاك القصيد ؟!

ما ذنبى إذا صب عليك تفهم الحقيقة لتدرك
معنى الحب ؟!

وما ذنبى إذا عجزت عن إصلاح نفسك لتدعيم
حياتك كما ترجو ...

فقاطعها : أنت الجانية . كان في مقدورك إصلاحى
ورعايتى ... لقد تركتني وسط أعاصير الحياة الهوجاء
فقلت : أكنفت تريد أن أجبس نفسى في دارك
لأرماك ...

فقال : كنت أريد أن أتزوجك ...

فضحكت متهمكة ثم أعقبت : هيه ... آه ...
كان يجب أن أقدم إليك لأعقد عليك ... أليس
كذلك ؟! ... معنرة يا سيدى ... كان يجب أن
أفعل ذلك ...

فقال : لقد لوحث لك كثيراً فكنت تعاطلين
فأجابته جادة : اسمع . الرجل الذى يريد المرأة
ويتمناها لا يسألها رأيها ، ولا يستشيرها ماذا يفعل
لنيلها . إنه يقتحم الطريق الشائك في سبيل الوصول
إليها ، بل يختطفها من بين ذراعى القدر إن تحدها ،
أنفهم ؟!

أما هذه التماويز الشيطانية التى يلجأ إليها
الرجل ليخدر بها أعصاب المرأة ليطلق من عمر الحب
لينعم ويتسلل فلا أجزها ولا أنفهمها

أنت تعرف جيداً أننى دفعت الثمن غالياً من
عواطفى لإقناذك ... ولكنك أبيت إلا أن تعيش
في الظلام فما ذنبى ...

ولقد أكدت لك أكثر من مرة أننى لم أجبك

المجموعة الأولى للرواية

صفحة ١٥٣٦

فيها النص الكامل لكتاب اعترفات فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لميروس ، ومذكرات
نائب الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعه
ومنقولة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

فقدنا الذكر

عن الانجليز
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

يصدق فيها وأجاب : « ذلك لأنني لا أثق بأنني أستطيع أن أفعل شيئاً يسرك »

ثم قال بصوت منخفض : « ولا أثق بأنك تحبني ، ولذلك أفضل الظهور معك في مثل هذا المكان على الظهور معك في الأماكن المزدحمة »

فضهدت الفتاة تنهداً يدل على الحزن وقالت : « إنني أتمنى من أعماق قلبي أن أحبك فانت عزيز عندي ، ولكن أعطني مهلة فربما ... »

فقاطعها بقوله : « إنني لا أستمتع بك ، وإنني مستعد لانتظارك سنوات »

ثم ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : « أنا لمت رافياً في الانتظار سنوات ولكن إذا لم يكن بد من ذلك فساظر »

قالت الفتاة : « لقد ناقشت نفسي كثيراً في هذا الأمر ولا أرى من حق أحد أن يطالب الآخر بالانتظار ، على أنني أجده نفسي أفضل ذلك وهكذا أكثر النساء »

وعادت الفتاة إلى ابتسامتها الحزينة فاجابها في رقة : « ولكنني رافق في الانتظار ، وأنا مكث بما ترين إعطائه لي ، وكل ما أتمناه أن تنسى بطرس والزمن كفيف ... »

فهزت الفتاة رأسها وعضت الفم ثم قال : « وهل ترين أنه من انصاف نفسك أن تستمرى في طريق أنت تعرفين أنه لا أمل فيه ؟ إنه لم يعد شك في أنه قد مات ، وأنت قد نزعمت خاتم الخطبة ،

« ما أغرب هذا المكان يا جيمي ؟ »

ونظرت الفتاة إلى جوانب المطعم نظرة استخفاف فقال لها صاحبا : « إياك أن يسفك فرائسو وأنت تقولين ذلك فيطلب إليك الخروج من المطعم »

وكان فرانسو هو رئيس الخدم وقد وقف مرهوا بين الجالسين كأنه يعتقد أنه ليس في لوندرا مطعم آخر غير مطعمه ، ومشى نحو هذين الصاحبين وقال بلهجة انكليزية مشوبة بلهجة فرنسية : « من زمن لم تأت أيها السيد ، وأنت يا آنسة هذه أول مرة تزورين فيها المطعم « في اسبابه ؟ »

فقالت الفتاة وهي تتبسم ابتسامة رقيقة : « ولكن أرجو ألا تكون آخر مرة »

قال النذل : « إن الدين يزورون هذا المطعم مرة يهودون دائماً إليه لأنهم يعرفون مزياه »

ضحكت جيمي وطلب الشاب الذي معها أنصاف الطعام فذهب فرانسوا ، وقال الشاب لصاحبه : « أظنك تضايقت من هذا المطعم ولكني أحبه وأفضله على كثير من المطاعم »

قالت جيمي : « ولماذا تظنني أتضايق منه ؟ » ثم نزعمت قفازيها فبدأ تحتها كفان جيلتان أخذ

أليس الأولى بالإنسان أن يواجه الحقائق ؟ »
 ضحك الفتاة ضحكة خفيفة ثم قالت بصوت يشبه
 البكاء : « نعم ذلك هو الأولى بالطبع ، ولكن
 ألا نستطيع أن نفتح الصداقة في البداية يا جورج ؟ »
 فقال : « نعم أستطيع أن أقنع بها »
 قالت : « إنني أشعر بأنني فقدت جزءاً من نفسي
 وأظنني عاجزة عن أن أحب امرأة أخرى أى رجل
 وأنا أميل إليك يا جورج ، ولكنني لا أعرف هل
 أحبك كما كنت أحب بطرس ؟ »
 فقال : « أنا أعرف أن ذلك هو الذى سيكون
 ولهذا أخاطر »

قالت جيمي : « أنت تستحق كل شيء يا جورج
 ولن أقدم نفسي في حبك إذا استطعت »
 فقال : « إن أقل ما تهيئته لى أحب من أكثر
 ما تهبه امرأة أخرى أيها المزمنة . ولست أريد
 استمجالك ولكن ها هو الفندق فوق هذا المظم
 فهل تقولين نعم ؟ إنك لن تنسى هذه الليلة وأقسم
 إنك لن تندى عليها »

فسكت الفتاة لحظة ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة
 وقالت : « نعم » . فقال : « هل أنت راغبة يا جيمي ؟ »
 فهزت الفتاة رأسها وقالت : « إنني أعنى ما أقول »

بعد ساعتين عادت جيمي إلى غرفتها وأغلقت
 الباب ، وكانت لا تزال ترن في أذنها قبلاؤه وهما
 ووقفت لحظة بجانب اللقود وهي تبسم ابتسامة حزن
 ثم ذهبت إلى الحائط فوفقت أمام صورة ضابط
 فرقة الخرس ثم جثت أمام هذه الصورة خمس دقائق
 خالت في أثنائها إن الصورة تفتح شفتيها وتتكلم ،
 فقالت : « إنه صديقك يا بطرس فأرجو أن تسامحنى
 استحقك الحب أن تسامحنى يا بطرس »
 وخالت أن الصورة تبسم ابتسامة رفيق ثم مدت
 يدها إلى اللقود فتناولت خاتم الخطبة الذى أهداه
 إليها بطرس فقبلته وهي تبكي
 وقضى جورج شهرين وهو سعيد ولم يبق غير
 أسبوعين على زواجه من جيمي حينما حدث هذا
 الحادث الفجائي الذى لا يكاد يحتمل التصديق فوجد
 أمامه بطرس
 وكان اسم بطرس قد نشر منذ ثلاثة أعوام في
 قوائم المفقودين في الحرب . واعتقد الجميع أنه مات
 لا تقطاع أخباره طول هذه المدة
 وأحس جورج بدوار شديد ثم مشى إلى بطرس
 وقال بصوت يهيج : « أين كنت يا عزيزى بطرس
 وما الذى تفعله هنا ؟ »
 وقبل أن يجيب بطرس على هذا السؤال لاحظ
 جورج أن بجانب بطرس امرأة من نساء النور
 الفجريات فدهش وأعاد سؤاله : « ما الذى تفعله
 هنا يا بطرس وما الذى جاء بك ؟ »
 وكانت الفجرية ويطرس يحملان بعض الألعاب
 التى تلعب بها قبائل النور في المدن الكبرى . وقال
 بطرس : « خفض من صوتك حتى لا يسمعك
 البوليس »
 وقالت الفتاة : « إنه لا يريد أن يتلم رئيسه
 السابق في الجيش بأنه عاد إلى إنكلترا »
 قال جورج مخاطباً بطرس : « ولكن لماذا لم
 تخبر أصدقائك بموعدك ؟ »
 فقالت الفجرية : « إنه لا أصدقاء له غيرى »
 قال جورج في نفسه : « إذا لم يكن الأمر غير
 مفهوم ألبته فلا بد أن تكون قصة بطرس إنه نجا

ولكنه لي ولا أريد أن تنسى ذلك »

وتركهما جورج وهو يمشي متباطئاً وقد انقلبتم في غميلة صورة ليزا وهي تنظر إلى بطرس نظرة الأم الرحيمة إلى ابنها المريض

ولم يزل يسير حتى وصل إلى مبنى بيكاديلي، وليس يشغل ذهنه إلا خاطر واحد هو أن بطرس لا يزال على قيد الحياة . وكان يقول إنه من المستحيل على جيمي أن تعرف الحقيقة ما لم يخبرها بها، وأن بطرس في حالته هذه سعيد مع ليزا وليزا سعيدة معه . وأنه من المحتمل ألا تعود ذاكرته إليه . وما فائدتها ؟ ولماذا أكثر من السلام مع ليزا ؟ ولماذا دعاها إلى منزله ؟ ولماذا لا يقول إن هذا الرجل ليس هو الذي كان يعرفه ، وإنه لا شأن له معه ؟ إن تغيير حالة بطرس تضر كثيرين ولا تقيد أحداً حتى ولا بطرس نفسه ...

وتقابل مع خطيبته جيمي فلاحظت عليه التغير الشديد فقال : إن حادثاً حدث فشغلني عن كل شاعل وقال : « إذا رأيتني أبكي فلا تلقى أهمية على ذلك » ثم استدرك فقال : « إنه لا يريد إخبارها » وتظاهر بالضحك وقال : « إنه لم يجد هدية مناسبة ليقدّمها في المرس ، وأن هذا هو الذي يشغل خاطره »

سكتت جيمي وسكت جورج أيضاً . وكان شارد الذهن . ثم قال : « أريد منك جيلاً هو أن تمنطين صورة بطرس التي عندك »

فوقفت جيمي وهي مندهشة وكادت تنقطع أنفاسها وقالت : « لهذا علاقة بهدية المرس ؟ »

فقال : « أريد شيئاً شبيهاً بذلك »

قالت : « ما أعزك يا جورج ! ما أعزك ! لقد كنت أفكر في ذلك منذ عدة شهور أنني سأعطيك الصورة »

من الحرب بأعجوبة وإنه فقد ذاكرته فنتى كل شيء يتعلق بالماضي

وقال مخاطباً بطرس : « ومن أي عهد تلب هذه الألباب المتنوعة ؟ » فقالت الفتاة بمحبة : « هذا ليس من شأنك ولا علاقة لك به فإني أتولى شئونهم »

لم يتردد جورج لحظة واحدة وكان صوت خفي يهمس في نفسه قائلاً : « لا تكن أحمق وتجاهله فإن جيمي لن تعلم شيئاً عن أمره »

ثم قال : « لقد كان الأمر غلطاً مني وقد حسبته صديقاً لي كنت أظن أنه مات » فقال بطرس : « إنني لا أذكرك ، إنني فقدت ذاكرتي وهذه ليزا تنظر في شئوني »

قال جورج في رقة : « أنا أعرف ذلك وألف شكر لك يا ليزا . ولكنني أدعوك إلى زيارة منزلي وهذا عنوانه »

ثم كتب عنوان منزله في ورقة وسلمها إلى الفتاة وهو يقول : « إن تركه على هذه الحالة مؤلم باليزا وأريد أن أعرضه على أحد الأطباء »

قال بطرس : « شكرًا لك ولكنني لا أريد أن أرى طبيباً » . فقالت ليزا : « بل خير لك يا بطرس أن يراك طبيب . ويظهر أن هذا الرجل رقيق القلب » ثم التفتت إلى جورج وقالت : « ألا تأخذه مني إذا تم شفاؤه ؟ »

قال جورج بلهجة جدية : « إنني أعذك بالآأحاول أخذه منك . ولكن عيني أنك ستأتين إلى منزلي . إنني أطلب ذلك لمصلحته فقط »

نظرت ليزا إلى جورج نظرة بين الرجاء وبين الخوف وبعد تردد لحظة قالت : « إنني سأأتي به .

فنظرت إليه نظرة خوف ، وكان أول ما فعله الطبيب أن عرض على بطرس صورته في ثوبه الرسمي مشتم ليزا إلى جانب بطرس ووقفت معه أمام الصورة وكانت هي البائدة بالكلام فقالت بلهجة الأم حين تخاطب ابناً المريض : « هذه هي صورتك يا بطرس . هل كنت ضابطاً بهذه الرتبة ؟ »

ثم بدت على وجهها علامة الرهو وهي تنظر إلى حبيبها وإلى صورته وهو ضابط . وقال بطرس : « لست أذكر ، وهذه الصورة تصيب رأسي بالصدياع » وبدأ عليه الغم ففضبت ليزا وقالت : « وما فائدة ذلك ؟ هذه سخريه بنا . إن هذه الصورة كادت تحبسه فلماذا لا تتركه وشأنه ؟ » فقال : « لأنى أحاول أن أنبهه »

فوضعت المرأة ذراعها حول عنق بطرس وقال الطبيب : « إننى أريد أن أخفسه في غرفة أخرى وأن أكون معه على انفراد »

فصربت النجربة رجلها الأرض وقالت مخاطبة جورج : « هل تريد أن تترك ليزا ؟ »

قال جورج برفق : « إننا لا نريد أن نأخذهم وقد وعدتكم بذلك »

نظرت المرأة إليه نظرة ألم وقالت : « هل تقسم على ذلك ؟ » ؛ فلما قال إنه صادق في وعده قالت :

إنها ترى أموراً غريبة وأنها لا تفهم شيئاً مما تراه قال لها الطبيب : « كيف وجدته ؟ » فقالت :

النجربة : « وجدته ضالاً في الجاهل التي فيها خيام قبيلتنا ، وهو لا يبي شيئاً فأخذته وعينته به وعلمته

ألماب النجر ، ونحن سعيدان معاً . وهو لا يتذكر أى شيء في عهد مضى على مقابلي إياه »

وقال جورج : « إن هذا طبيب من أكبر

ثم صعدت إلى غرفتها وأتت بالصورة وأوصته بالمناية بها . ثم وضمت يدها على كتفه وقالت : « لا أظن الآن أنك ستنتظر مكثفياً بالصداقة مدة طويلة . »

وفي اللحظة التالية كانت وحدها . وبعد لحظة كان جورج مع الطبيب ، وكان الطبيب يقول : « هل تقول إنه فقد ذاكرته تماماً ؟ »

فأجاب : « إنه لم يعرفنى » ثم نظر الطبيب إلى الصورة وقال : « أهذه صورته ؟ » فقال : « نعم »

— وهل علم أهل ؟

— لم يعلم أحد إلى الآن غيرى وغيرك ، وقد حصلت على الصورة اليوم من جيبي دافترى

قال صديقه الطبيب : « تعنى أنك حصلت عليها من خطيتك ؟ »

فأجاب : « نعم وقد كانت خطيئة لبطرس وهي تظن أنه مات . وهذا هو السبب الوحيد الذى جعلها تقبل خطيئتي »

ومضت فترة في صمت وكلا الرجلين ينظر إلى الآخر . وقد كانت نظرة الطبيب مريباً من الدهشة والإعجاب ثم قال : « ولكن ما رأيك إذا نجحت العملية ؟ »

فقال جورج : « وهل تظن في العالم هدية في العالم أفضل من العريس التى تحبه الفتاة ؟ »

قال الطبيب : « وإذا لم تنجح العملية ؟ » فقال جورج : « الله أعلم ! إننا لم نصل إلى تلك الناية »

وفي هذه اللحظة دخل بطرس فتودع ليزا وسألت عن الرجل الجالس إلى جانب جورج فقال :

هو الطبيب

يراقبها وهو مطروق فقالت : « إننى لا أريد شفقتك ولكننى أريد رجلي »

ولما رآه يتأمل فى صورة الفتاة قالت « تذكر الحسارة التى تخسرنا بسبب هذه الشفقة . وإنى طالما كنت أفكر من زمن طويل فى أن بطرس ليس بالرجل الذى أصلح له ، ولكننى أفتنه وألغى »

قال جورج : « وهل أنت حسنة الحظ يا ليزا ؟ »
فقالت : « لقد كنت سعيدة ولكننى أخذت نصيبى من السعادة عاماً »

قال : « ما الذى تفعلين الآن ؟ » . فقالت :
« ليس هذا شأنك ولكنه شأنى » . ثم خرجت مندفعة من الباب ...

وقال الطبيب بعد أن فحص بطرس إنه يستقد أن العملية ستنتج تمام النجاح ، وأنه سيجريها فى صباح الند ، وأرسل الخدم فأعدوا ليزا ، وطلب إليها الانتظار مع المريض ، وأن تجعله ينام ؛ فبقيت وحى تنتظر إلى المريض نظرة الإنسان إلى أعز ما يملكه

ونجحت العملية بمعاونة ليزا . وفى الصباح التالى وجد جورج ورقة كتب عليها : « لا تبشوا عنى — ليزا »

فلم يكن فى وسعه أن يفعل أى شئ لأنه لا يعرف عنوانها . ولو كان يعرفه لكتب إليها أن بطرس قد استرد ذاكرته ، ولكن عهداً واحداً قد اخفى من ذهنه تمام الاختفاء ؛ فهو لا يعرف أى شئ من غن الأعوام الثلاثة الأخيرة . وكان من أوائل الأسئلة التى ألقاها كيف تسير الحرب الآن ؟ ونسى ليزا وعهدا

الأطباء باليزا ، وهو يعتقد أن إجراء عملية جراحية له يشفيه من مرضه ، ويعيد إليه ذاكرته .

فكانت النجربة : « وبذلك يعرف أنه كان ضابطاً » وقال جورج : « نعم ويتذكر حياته الماضية كلها . وبطرسك هذا يا ليزا هو السير بطرس سفوندون الذى كنا نحبه مات فى الحرب »

ثم عرض عليها صورة فتاة وقال : « وقد كان مخطوباً إلى هذه السيدة » . فقالت النجربة : « إنه لا ينظر إلى أى إنسان إذا رأى صاحبة هذه الصورة » قال جورج : « وحى تحبه جداً يا ليزا ، وهو أيضاً يحبها ، ولا أعرف أن فى العالم اثنين يجب أحدهما الآخر مثلها ومثله . وهذه الفتاة مخطوبة لى الآن »
فكانت ليزا : « وإذا شئى بطرس فإنها تركك » قال بطرس : « نعم هذه هى الحقيقة كما يظهر لى الآن » .

ثم ضحكت النجربة ضحكة أدل على الحزن من الدموع وقالت : « والعمل الذى تريده الآن يجعلنى ويمجلك من أنسى الناس »

فقالت جورج : « نعم يا ليزا وإنما أقول ذلك لتعلمى أن التضحية ليست من جانبك فقط بل أنا مشترك معك فيها . والطبيب يريد أن يبق بطرس هنا هذه الليلة ليجرى له العملية غداً فانتظرى معه إذا شئت »

نظرت ليزا إلى صورة جيمى وقالت : « وفى غد تأخذ هذه الفتاة . لماذا تأبئنا ولماذا تريد أن تأخذ منى ؟ إنه سعيد ، وإبنى سعيدة . لقد قلت لك إنه سعيد مى .

وقد بكت النجربة كما يبكي الطفل وظل جورج

قالت: « لست أفهم ماذا حدث ولا أعرف
إلا أن بطرس قد عاد »

فقال جورج: « هذا يكفي ! أليس يكفي
يا عزيزتي ؟ » ثم أمسك بيدها اليسرى وأخرج
خاتم الخطبة الذي كان قد أهداه إليها وهو يقول:
« لا تنسي الخاتم في هذا الأصبع ولكن احتفظي
به لديك تذكراً لي »

وهنا سمعت صوت بطرس فقالت: « ادخل
فكلمه فهو ينادي ». فقال: « كلا يا عزيزتي فهو
لا يريدني وسأخرج الآن من المنزل »
ثم خرج من منزله فلم يكن الهجان في حاجة
إليه ولا إلى ليزا
ولكن كلاً أخذ نصيبه من السعادة عاماً كاملاً
قالت النجربة .

عبد اللطيف النشار

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف جون الويلاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تدبّر من آثار آقن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وتفها ١٥ قرشاً

في هذه الأثناء استبطأت جيمي صاحبها جورج
بغامت لزوره في منزله . ولكن لما وقع نظرها
على النائم في السرير اسفر وجهها وتحركت شفتها
وصارت يدها تنقبضان وتنبطان . وصاحت:
« لقد جننت ! لقد جننت ! إنني لا أصدق نظري
فهل هذا هو بطرس يا جورج ؟ »
وسمعا بطرس فالتفت ورآها وقال: « أنت
جيمي ! تعالى يا عزيزتي »

فصاحت صيحة فرح ، وجثت على ركبتيها عند
سريره . فأغلق جورج الباب وخرج من الغرفة .
فجلس وخواطره ساجحة في العالم المجهول . فلم ينهه
إلا بجي ليزا . وقالت: « لقد رأيتها وهي تأتي »
قال جورج: « لقد استرجع ذاكرته يا ليزا ،
ولكنه نسي الثلاثة الأعوام الأخيرة »

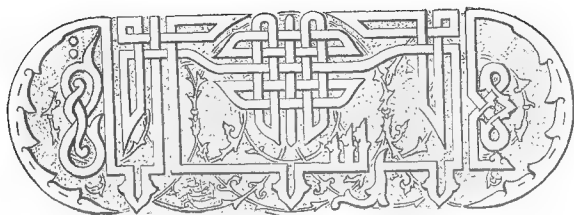
قالت وشفتها ترتعشان: « هل نسيني ؟ »
فقال: « نعم يا ليزا ، ونسي ألباب النجر ،
ونسي كل شيء في هذا العهد . وهو يظن أنه لا يزال
في الحرب »

قالت ليزا: « وهل هي معه الآن ؟ » . فقال:
« نعم هي معه »

قالت: « الأفضل أن أذهب فلا أريد أن أراه
معه ، إن ذلك يكسر قلبي ، لقد أخذت نصيبي منه
عاماً ودمعته بالأمس »

ثم ذهبت فراقبها من النافذة فرآها تنقف كلاً
خطت خطوتين وتلفت إلى المنزل

قالت جيمي لجورج: « أهذه هي هديتك ؟ »
فأجابها وهو يتشم وعيناه مفرورتان بالدموع:
« نعم فهل أحببتها ؟ »



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقَرِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجَدُّدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيِي فِي النُّشْءِ أَسَالِيْبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِ ، وَكِتَابُ الْمَشْرِقِ
الْجَدِيدِ ، وَسِجِلُّ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

، وَشَرَاهُ الْإِلَهِي سَتَرْنَا ، وَالْحَاجِي مَا يَسَادِي جَنَاهَا مِصْرِيَا ، وَلِلْبَلَدِ الْعَرَبِيَّةِ بَخْصَمُ ٢٠٪



الله
جزء

عبدالله

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

جلد الاشتراك من سنة
ض
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
كايدى — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والنقد

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — ١٥ يونيو سنة ١٩٣٩

العدد ٥٨



فهرس العدد



صفحة		
٥٦٢	اختيار زوجة	عن الانجليزية
٥٦٣	دموع قديمة	أفصوصة مصرية
٥٦٤	زوجة	أفصوصة مصرية
٥٦٥	الأعمال والآمال	عن الانجليزية
٦٠٥	الورقة الثالثة عشرة	لكاتب القصص فيليبس أونينج
٦١١	نصيحة	عن مجلة تروستورى
		عالم الأستاذ عبد الحيد حمدي
		عالم الأستاذ درويخ خبطة
		عالم الأستاذ جميلة الملايلى
		عالم الأستاذ عبد الحيد حمدي
		عالم الأديب عزت السيد ابراهيم
		عالم السيد ناصر عزيز

يريد هو لا حيث تريد هي . فلا أنا أجبك ولا أنت
نحبنى .

فرفع جون رأسه في حركة سريعة ، ولكنه
حول نظره جانباً وقال في هدوء :

— إذن أنت تقرن اقتراسي وتوافقني على أن
أنتقل من هنا ، وهذا هو ما توقفت من قبل ،
وطبيبي أن يقيم روني مملك ولكنني أريد أن أراه
في أغلب الأوقات
فقلت :

— هنا طبيبي وروني صبي رقيق الحس وفي
مقدورك أن تكسب حبه وصداقته في سهولة . وهو
لا يزال أصغر من أن يفهم الأمور على حقيقتها ،
وإني أريد منك يا جون أن تحبه ، كما أود أن تدرك
مبلغ حزني لما صارت إليه الأمور ، وإني لأخجل
من موقعي بعد الذي تأسسته أنت من الآلام ، ولكنني
أريدك كما كنت يوم أخذك من زوجي الصغير
الجميل بحسبه القوى الرشيق ونظرة الثابتة وشعره
الغزير ... ويدبك يا جون ...

« ألا فأغفر لي يا جون ولتبق هنا فلا تتركنا
وسأحاول أن أصلح كل شيء »

ثم غطيت وجهي يدي وبكيت
فقال جون :

— أبدأ أنا فإن بقائي هنا أسوأ من إرسالك
إلى السجن لتتقضى فيه بقية حياتك . لقد كنت
أفكر في غلطتي حين منمتك من زيارتي في السجن
وانتهيت إلى أن الزور الوقتي هو الذي جعلني على
ذلك ... على أن أولى غلطاتي مع ذلك كانت ترك
إليك قضيت لياليك وحيدة مندفاً وراء هابل كيليون
في حياته الجنونية ، ولقد دفعت ثمن ذلك غالياً

— إنك قد نجحت نجاحاً مدهشاً . وإني لمحب
بروحك القوى وقدرتك على إنعام الأعمال الكبيرة
التي اضطلعت بها . فانت امرأة عاملة تدبر وتستطيعين
أن تعني بأمر نفسك ، وليست بك من حاجة إلى
إحداث أى تغيير في أسلوب حياتك ، وروني ابنك .
ولم أترك قط لنفسى اللئان في الشف به ، لأننى
أدركت منذ اللحظة الأولى شعورك نحوى . لقد
قضيتنا عدة أعوام متقاربين تقارباً شديداً من الناحية
المنوية . فلا يتفق مع هذا أن أعجز اليوم عن قراءة
أفكارك . وأريد يا إيلين أن أشكرلك قبل أن نفرق
تلك الرسائل التي لم أكن لأحتمل حياة السجن
بدونها ، ولقد دأبت على انتظارها كل يوم حتى
اليوم الأخير .

انهمرت دموعي لأننى لم أستطع حبسها ، وكان
من موجبات الزاء أن أعلم أن جون كان ممتعضاً
منى أيضاً حتى أنه يريد الذهاب .

ولكنني شعرت في كلامه بتيار خفي من الحزن
أثر في نفسى . وقد وقف عن الحديث ، ولكنه
لم يرفع نظره إليّ حين جاوبته :

— لقد كانت الغلطة الأولى غلطتك أنت يا جون
حين جعلتني على أن أعاهدك بالألا أزورك في السجن .
ولو أنني رأيت بالتدريج ما طرأ عليك من تغير لكان
من المحتمل أن أحتفظ بحبك حياً في نفسى ، غير
أنك مع ذلك على حق فيما تقول ، فليس اللوم فيما
حدث بواقع على أحداً .

« إن الغلطة هي غلطة المجتمع في أن تؤخذ منى
شاباً قوياً بجيلاً ثم ترد إلى شيخاً مكسور القلب .
وإني ما زلت على استمداً لأن أوجه الأمور خير
وجهاً ، ولكن حب المرأة يا جون يسقط حيث

يحمل بها جون ويعزمها في الخيال
وقلت لابي :
— أعطني يا روني إحدى لعبك فمفدك منها
كثير
فقال الصبي :
إذن خذي هذه المروس الصغيرة فإن الأولاد
لا يلعبون بالمراس
ثم مضى يقول في حماسة :
— أنظري يا أمي إلى هذا الجواد وهذه البقرة
والخنزير الصغيرة ، أنظري إلى ذيلها الجميلة الملفوفة
نظرت ولكنني لم أستطع أن أرى شيئاً لأن
السموع قد ملأت عيني . لقد كان جون يفكر
في ابنه الصغير وهو في السجن فصنع له هذه اللعب
من الخشب !
وقال الطفل :

— إلى أحب جون مثل حي أبي الذي
في الصورة . وهو أب حزين جداً ولكنه يضحك
معى وروي لي أعجب القصص ، وسيمسحني غداً
في سيد المسافرين التي كان يصطادها وهو صغير .
فهو كان صغيراً مثلي وكان يعيش في المزرعة التي
يمش فيها الآن جاك وجين ، وهو يبرف أشياء
عن رعاة البقر وعن الهنود ويعرف كل شيء تقريباً !
ولقد كان الأمر كما قال جون : الطفل يألف

حكم الظروف بأسرع مما يألفه الكبار
وفي مرة أخرى عاد روني من زيارة أبيه
وأخبرني أن جون يعرف كل شيء عن
السجن ، فهم هناك يجلسون الرجال بميدن عن
أبنائهم الصغار ويناهم لأن هؤلاء الرجال أشرار ،
وأنا أعرف أن جون لم يكن رجلاً شراً لأنه

يا عزيزتي ، دفعتني ندماً وحزناً ، ولكنني الآن أريد
أن أعيش ... وإنك لخطئة إذ تصورين أننا نستطيع
أن نكون سعدين أو حتى راضين في حياتنا معاً في
هذا البيت ، ولقد قررت الانتقال إلى البيت الآخر
غداً ، وعندى بعض أشياء أريد أن أرتبها ، وهي ما يحويه
الصندوق الذي جاءني أمس من إدارة السجن .
وأنا من أجل ذلك صاعد إلى الطابق الثاني
والآن أرجو يا إيلين ألا تحاولي مرة أخرى
إصلاح ما حدث ، وإنك لتعلمين أن لا فائدة في الندم ،
ولنمش من الآن للمستقبل ، لمستقبل ابنا الصغير
حيث جون تحية السماء وتركت الغرفة وقد
شمرت الآن بالارتياح بعد أن واجهنا قضيتنا بهذه
الصراحة

انتقل جون إلى البيت الآخر ليمش فيه وعاد
كل شيء إلى ما كان عليه قبل عودته من السجن ؛
غير أنني أصبحت أشعر بأن هناك شيئاً ينقصني . لقد
أضعت شيئاً كان يشغل ناحية من حياتي ثم مضى
فأنا شاعرة بفقدانه . لقد فقدت زوجي من قبل ،
أما الآن فقد انتزعت ذكراه أيضاً من قلبي
وكان روني يقضي وقتاً طويلاً في البيت الآخر ،
وقد استحكمت الصداقة بينه وبين جون منذ اليوم
الأول حين عاد إلى يحمل بعض ساعديه مجموعة من اللعب
المصنوعة من الخشب ، وقال :

— أنظري يا أمي ... هذه مزرعة كاملة أعطاهالي
جون . أنظري هذه الفتاة الجميلة التي تشتغل بصناعة اللبن
ومد يده باللمبة في وجهي ، فكانت تتحالا جلياً
لفتاة عقصت جذائلها كالتاج حول رأسها ، وقد نثني
ذيل رداؤها إلى أعلى فهي صورة طبق الأصل لي يوم
تركني جون ذاهباً إلى السجن : هي الفتاة التي كان

الجديدة ، فلقد كان الفئير الذى أحدثته فيه المدرسة كبيراً . وكانت الفتاة تستوقفه كل ليلة عند عودته لتمطيه فطائر طازجة من الجوزيل أو السكمك ، وكانت دائماً تحاطبني بالتليفون إذا هي أبقتة عندها وقتاً طويلاً . وكانت تقول فى بعض الأحيان : لقد ذهب رونى مع والده إلى جهة ما وسيحضر إليك بـمـد قليل

وكتب أشعر بالطمئنان والرضا حين أعلم أن رونى فى بيت جين

كنت فى هذه الأيام كثيرة المشاغل فقد قبلت أن أتولى كتابة صفحة فى مجلة مصانع الألبان ، عدا الاشتراك فى مسائل أخرى كثيرة ، وكلما كثرت أعمالى قل تفكيرى فى نفسى . ولقد عاد إلى الشعور بالسعادة ، فكنت على الأقل أنعم بالحياة وقد خلت نفسى من كل غل أو حقد أو غيرة

وعاد شهر إبريل وكان الربيع بارداً رطباً ومحبب رونى إلى المدرسة فى صباح أحد الأيام ، وكانت السماء قد أمطرت بـمـد العشاء مطراً بارداً فاعتزمت أن أذهب هذا المساء بنفسى إلى المدرسة لإحضاره ، ولكن جاءنى رجل لأخذ صور للرحلة . وبلغت الساعة الخامسة قبل أن أتنبه إلى الوقت ، فجزعت لمدم عودة رونى إلى البيت ودققت التليفون لبيت جين وود ولكن لم أتلق ردّاً لىقاتى . وإذا كنت أناأهب للبس معطى استمداً للخروج أبصرت بـمـجون يحمل رونى إلى البيت ، وأسـرعت إلى الباب وفتحته لحظة وصوله إلى عتبة وصحت .

— ماذا حدث يا جون؟ هل أصيب رونى بسوء؟

فأجـبـ جون :

— هو مريض فلا تجزى . لقد مرض

لم يعمل العمل الذى أدخل السجن من أجله ، ويقول جون إنه يحدث أحياناً أن يـتمـذب الناس بسبب أغلاطهم ، وهذا هو ما يحمل الإنسان على التفكير والحذر من الوقوع فى بعض الأغلاط مثل إيدائك شخصاً تحبه فى سبيل الجرى على هواك

ويـرفـ جون يا أى كل شىء عن الفهم . يعرف العناصر التى يتولد منها ، كما يعرف طريقة إخراجها من الأرض ، وسيفتح عماء هناك بـمـجوار التل ويسمح للفقراء أن يحضروا إليه ليأخذوا ما يحتاجون إليه من الفهم لتدفئة أطفالهم الصغار . وهكذا أطلع جون رونى على السر الذى اجتهدت فى إخفائه عنه . ولقد عرفت كيف حدث ذلك ، فقد سأله رونى السؤال الذى كان يحيره فأجاب عليه جون بالصدق وحدث الطفل كما لو كان يحدث رجلاً رشيداً

لقد شعرت فى أحيان كثيرة أن رونى محتاج إلى محبة رجل طيب ، لذلك فكرت فى أن أتزوج مرة أخرى تحقيقاً لهذا الغرض ... والآن أرى أن رونى قد أحب جون ، بل هو يحبه أكثر مما يحبنى ولكننى لم أغضب لذلك !

كانت هذه أول سنة لرونى فى المدرسة ، ولقد كنت أتتبع بـمـهـمة حركات تقدمه ، وكان يمر فى طريقه إلى المدرسة ومنها بيت جين وود ، وكانت جين تأتى به إلى البيت فى أغلب الأحيان ، وكان جون يصحبهما فى بعض الأوقات . ولقد قابلت صداقته لجين دون أن أحس بأقل أثر من التيرة ، وقد خطر لى - إذا كانت جين تهتم به - أن أطلقه فقد تكون قادرة على إسعاده ، وما من شك فى أنها تصبح زوجة صالحة .

ولم تكن جين أقل منى ابنهاجاً بحياة رونى

في ميران القدر ، فقد اقتربت الأزمة وجلس الطبيب متجنباً عند نهاية السرير يرقب التنفس ، ووقفت إلى جانب السرير ووقفت جون إلى الجانب الآخر وعند منتصف الليل تلاشى الظل الأخير عن وجه روني ولم يبق مكانه إلا شعوب زائقة . ثم فتح عينيهِ يتلمس أحداً حوله وقال همساً :

— جون ؟

فأجابه جون :

— هانذا ياروني ، هانذا يا صديق العزيز ...

فرت على الشفتين الصغيرتين ابتسامة ملائكية وقال :

— حدثني يا جون عن بعض المتودد ورة البقر فقال جون :

— لا شك في أنني أعرف من أخبارهم أشياء كثيرة رائمة ولكن يجب الآن أن تنام هادئاً فترة طويلة

فأطاع روني إشارة أبيه وأدار رأسه واستغرق في النوم

فوقف الدكتور جونسون وقال :

— سيميش . وكل ما يحتاج إليه الآن هو العناية . ترى هل أعدت ماري شيئاً من القهوة ؟ أظن أنني أشم رائحة قهوة وسأهبط إلى الطابق الأول لأرى رفعت رأسي فראبت جون ينظر إلى بينين ملوفاً الحب ، فقلت همساً :

— جون ، جون ، إلى أريدك ، أريدك كما أنت فدار جون حول السرير قادماً بحوى وقابله في منتصف الطريق ، وإذا أنا بين يديه يضمني من جديد بعد هذه السنوات الطوال ، وهو يقول :

— إلى أحبك يا إلين ، ولم يقف قلبي قط عن (٣)

في المدرسة وجاء إلى بيتنا ماشياً ، ومن هناك حملته إلى هنا .

وبينا هو يتكلم ذهب بروني إلى الصفة فأرقده فوقها ، وكانت حرارة الصبي مرتفعة ولم يكن في استطاعته أن يرفع رأسه ، وقد قال لي في صوت خافت :

— لماذا لم تحضري يا أمي ؟ لقد شعرت بأني مريض جداً

عندئذ أدركت أنني كنت حتى هذا الوقت أفكر في نفسي وفي أحمالي أكثر من تفكيرى في روني على الرغم من شدة حبه .

وإذ استوى جون واقفاً بعد أن رتب الوسائد بما يتفق وراحة روني قال له الصبي :

— ابنى هنا يا جون

فأجاب جون :

— سأعود يا روني ، فهناك شيء آخر لا بد من عمله وسأراك ثانية يا عزيزى .

ثم التفت جون إلى وقال :

— سأنقله إلى فراشه يا إلين ، ولكننى ذاهب الآن لإحضار الطبيب فأعطيتى مفاتيح سيارتك .

عرفت حكم الطبيب قبل أن يتنطق بكلمة « نيمونيا » فنسيت كل شيء في الدنيا إلا هذا العالم

الصغير الذى يحيط به روني وهو في فراشه يكافح الموت .

وبقي جون بجانب روني الذى لم يسمح له بالتهاب وقضى إلى جانبه أياماً وليالي طوالاً لا يفارقه لحظة في أثناء بقلته ، ولا يئيد عنه إلا قليلاً إذا هو نام .

وكان معنى بابه الربيض في لطف وحنان ولكنيه لم يكن أقل لطفاً وحناناً مع الزوجة التى جحدته .

ثم جاءت الليلة التى علقت فيها حياة الصغير

— لقد تبت كثيراً ولكنها كانت تتجلد
فلا تشكو

ثم مضى يقول :

— إنكما لا تدركان مبلغ سرورى بشفاء
طفلكما . وستصبح حياتكم جميعاً سعيدة رائمة
بعد الآن . وأنت أيضاً يا جون اذهب واسترح

وسأبقى أنا هنا فترة من الزمن

قضيت أنا وجون ساعتنا الأولى معاً محاولين
أن نجتمع فيها كل ما فقدنا من السعادة طوال هذه
السنوات المرة . وإن هناك من التجارب ما لا نستطيع
الكلمات أن تصفه ، إنما يستطيع أن يقدرها من
يعربها فيعرف قيمة الحياة بعدها

عبد الحميد محمد

النبض بجبك ، ولكنني تركتكم متعدين أن الحياة
بدونك كانت مستطاعة ميسورة ، ولم أكن أثق
بضبط نفسي إذا نظرت إليك . وكنت أخشى أن
تدرك أنني أحبك ، والآن ستمود إلينا السعادة
يا عزيزتى .
فأجبت :

— جون ، إلى أحبك حباً صادقاً آخر الأمر
فقال جون فى رقة ولطف :

— ترى هل يفرح صبينا الصغير بهذا ؟

لم أجب على هذا السؤال لأن الطبيب عاد فى هذه
اللحظة إلى الغرفة وقد فاجأنا بقوله :

— خذ زوجتك فأرقدوها فى فراشها
ولما نظر إلى وجهي قال :

سبرى

لا تخشى على مجوهراتك

سبرى

لا تخشى على مستنداتك

ادعوها

خزائن بنك مصر الحديدية

فهي فى الحفظ والا مان

بنك مصر يؤجر لكم خزائنه الحديدية القوية ويرعاها بعين ساهرة

مُسَهَّدَةً تَحْتَ ذَوْبِكَ الْفُضَى
وَمِى لَا تَجِدُ أَحَدًا غَيْرَكَ تَجِلُهُ
مُسْتَوْدَعًا لِأَسْرَارِهَا ، قَتَشْكُو
إِلَيْكَ بِهَا وَمِى وَائِقَةً بِكَ ،
مُؤْمِنَةً أَرْسَخَ الْإِيمَانُ بِالْوَهْمِ
الَّتِي تَمْسَحُ الدَّمُوعَ وَتُكْتَمُ
الْأَسْرَارَ وَلَا تَقْشَى مَا تُؤْمِنُ
عَلَيْهِ مِنْ بَنَاتِ الْقُلُوبِ !

نظر إسماعيل أفندى إلى

القمر الساطع خلال الشرفة الكبيرة ، وظل برهة
مُسبوها كأنه في حلم ، ثم اقترح أن يذهب الجميع
إلى الحديقة ليجلسوا ثمة تحت قمر النيا وسماء النيا ،
وليشرفوا من ربوة الخلد على النيل القديم المقدس
المتثل في هدوء ودعة لوصى خون^(١) العظيم
كان إسماعيل أفندى في مسهل حياته ضابطاً
من ضباط البوليس ، وكانت له سطوات كان صداها
يتجاوب في فضاء قلبه ، فتارة يتسم وتارة يتجهم ،
وتارة يشرد له ... وهكذا كان يبدو أثر ذكرياته
على وجهه حين يفعل بها

وكان يقص لأبنائه بعض مجازفاته في مطاردة
الصوص لإذ هو معاون بوليس بندر طنطا منذ ثلاث
وعشرين سنة ... وكانت طريقته في القصص طريقة
جذابة شائقة ، ولذلك كان أبنائه يصغون إليه إصغاءً
تاماً ، وكانت القصة - أو الحادثة - التي يروى
وقائعها قصة أخلاقية رائحة ممثلة بالمخاطرات التي
يزيدها ظلام الليل ، وتقيق الضفادع ، وعواء الذئاب
في ريف الغربية الشاسع روعة ورهبة .

(١) خون وخونس من أسماء القمر عند المصريين
القديما ...

دَمُوعٌ فَلَيْكِيَتِي

أَقْصُوصَةٌ مُصْغَرِيَّةٌ
بِكَلَمِ الْأَسْتَاذِ دِرْجِي خَشَبَةِ

جلس الوالد السميد يسمر إلى أولاده السعداء
حول منضدة كبيرة في الردهة الفسيحة الزدانة
بصور العظاء وأعلام الفكر . وكانت ثريات الكهرواء
تسكب أضواؤها على الوجوه المصنّية إلى الحديث
الساحر الجذاب ، يلقيه إسماعيل أفندى عبد الرحوف
بطريقته الرائعة وأسلوبه القوي وعبارته الهادئة فينفذ
بكل ما فيه من جمال إلى أفتنة بنيه

وكانت ليلة من ليالي الصيف المظمرة . وليالي
الصيف المظمرة في مدائن الوجه القبلي عامة وفي مدينة
النيا عروس مصر العليا خاصة تشبه ليالي القدر ..
لأنها ليالي الأحلام والمحبة والشعر والسمر الجميل
الحلو التي تهدهده أغاني السميد الفتاة ، وتحمله
نسائم الصحراء فترطب به القلوب والأكياد
لأنها ما أروعك يا قمر السميد ! ولشد ما كان
أباؤنا مذكورين فيك حين اتخذوك إلهاً !
خونسوا !

هكذا كانوا يُسَبِّحُونَ لك ويضرعون
بأَكْفِهِم إِلَيْكَ ، ويتمنون عليك الأمان !
فكم سطرت في أديمك التلائي من قصة حب
يا خونسو الجميل ، وكم شهدت دموعاً تدرفها عيون

- معذوراً وهو في غير حاجة إلى السرقة ؟
 - قد يكون معذوراً لأنه ربما نشأ في منزل
 يعلم الإجرام !
 - فلسفة جديدة !
 - ليست فلسفة لكنها الحقيقة !
 - وكيف ؟
 - لوعلمنا الناس وحاربنا الفقر لانتفت الجريمة
 - وما علاقة المنزل بكل هذا ؟
 - المنزل هو البناء والسكان ، وما دام البناء
 غير صحي فسيظل الجسم غير صحيح . وما دام الجسم
 غير صحيح فسيظل صاحبه يفكر تفكيراً سقيماً
 ملتوياً ، ومع ذلك فهو لا يفكر إلا في الشر والحسد
 والحقد و ... الجريمة ... هذا من جهة البناء ...
 ومن جهة السكان ، فهم غالباً امرأة جاهلة شريرة ،
 وابنة أجهل من أمها تريد أن تتزوج بأية وسيلة إذا
 دب الحيوان في أسلابها ... ثم أبناء متخاضعون
 متنافرون لا يرحم بعضهم بعضاً ، ولا يريد أحدهم
 الخير للآخر ، لا سيما إذا كان أحدهم متزوجاً ...
 - أرجوك أن تدع هذا كله ... ولكن ماذا
 أبكاك ؟ حقيقة أنك تألت لأن الرجل ترك أسرة
 لم يكن لها عائل غيره ؟
 - هذا هو !
 - أبداً ، ...
 - إذن فاذا تحررين ؟
 - أحزر ؟
 - أجل
 - لا بد أن في المسئلة سراً ، وقد حاولت إخفاءه
 عنا بهذه الفلسفة في أصل الجريمة !
 - أبداً
- لكن إسماعيل أفندي سكت عن الحديث فجأة ،
 وانتظر أبنائه أن يصل قصته ، بيد أنه لم يفعل ،
 وبدل أن يتكلم راح ينظر إلى القمر ، وألى خونسو بلغة
 المصريين القديمة ، كما كان ينظر إليه عباده
 الأولون ... ثم راح الأبناء الواجبن أن يذرف أبوم
 عبرة ترقرت فوق خديه الشاحبين ، لم يستطع أن
 يمنهما من أن تتنرف .
 ولم يجرؤ أحد من الأبناء أن يسأل أباه لماذا يبكي ،
 لكن أهمهم لم تبال أن تفعل ...
 - أوه ! ماذا ؟ لعلك أسفت لأنك تسببت
 في إعدام اللص ؟
 - أبداً .. آه .. أجل .. والله لقد ألتى ذلك !
 - وله ؟ أليس يستحق القاتل أن يُقتل ؟
 - قد يستحق القاتل أن يقتل ، لكن كثيرين
 من القتلة لا يستحقون أن يقتلوا .
 - إذن تريد أن تضع شريعة جديدة ...
 - لست أحاول ذلك .
 - ولكن قل لنا أولاً : لماذا أحزنك إعدام
 القاتل إلى هذا الحد ؟
 - لقد ترك أسرة شقية لا عائل لها غيره .
 - ولم ؟ لم يلتصم عيشه من طريق حلال ؟
 - ومن يدرينا أنه لم يفعل ! لا شك عندي
 أن أكثر لصوص بلادنا مضطرون إلى هذه الدائمة
 برغمهم .
 - ومنهم المجهول عليها وهو في غير حاجة
 إلى السرقة .
 - هذا حق لكنه قد يكون معذوراً كذلك !
 - كلام عجيب ، وأعجب منه أنه يخرج من فم
 رجل كان ضابط بوليس فيما مضى ... وكيف يكون

— كلا ... كلا ... لا داعي ... صاغى أبك
يا إحسان ... قبيل يده ! هذا هو أبوك يا وجدى ...
ما هذا الظلام الحالك الذى انتشر فجأة فى مبنى
إسماعيل ؟ إحسان ؟ ! من إحسان يا ترى ؟
لقد وجع إسماعيل وجعاً شديداً ، ووقف
العائلة السعيدة ترمق القادمين بأعين دهشة ساهرة ...
من هؤلاء يا ترى ؟ ! لقد تساءل الصغار كل ينه
ويين نفسه : مَنْ هؤلاء ؟ ! مَنْ إحسان ؟ وَمَنْ
وجدى ؟ ومن هى هذه السيدة ... ؟ إن السيدة
تقول : إن أبهم هو أبو إحسان وأبو وجدى ،
فإحسان إن صح هذا هى أختهم ... ووجدى ...
هذا الشاب الياض المحب يبذلته العسكرية هو
أخوهم ... أخت من الطريق وأخ من السيارة ...
وعائلة طرقت باب الحديقة من جوف الليل القمر
ما هذا يا خونسو ؟ ! ما هذا يا كاتم الأسرار
الرهيب ؟ ألم يتفق عيالك على أنك مستودع بنات
القلوب التى لا يقضى منها شيئاً ؟ كيف تفجأ عائلة
بمائلة هكذا من غير أهبة وعلى غير استعداد ... ؟
ألا ما أقساك يا خونسو الخبيث الساهر السامى !
تقدمت إحسان إلى إسماعيل افندى فصاحت ،
ولما همت بتقبيل يده سحبها فى رفق وتلطف ...
ثم تقدم وجدى افندى فصافح الرجل المرتجف
المضطرب ، ولم يحاول تقبيل يده ، بل لم يحاول
الانحناء القليل اليسير وهو يتناول اليد القابسية
الصارمة التى كان يعنى نفسه منذ أن أدرك معنى
الحياة وحملها الثقيل بحسابها العسير
أما سميحة هانم ، أم الأنجال وربة العائلة ، فقد
أحسّت أنها فى مسرح كبير شاسع مكتظ بالرواد ،
تضج بخباته بالصغير والتصفيق والصخب ... وأول

— أبدأ ... هل هذا صحيح ؟
— وماذا يهمنى أن أقول كل شيء عن سرحتى
منذ ثلاث وعشرين سنة ؟
— ليس يهمنى شيء ؟
— بلى ... لا يهمنى مطلقاً ...
— على كل ، شكراً للقمر المجيب الذى أبكاك !

وقبل أن تنهض الأسرة المباركة لتنام ، وكانت
الساعة توشك أن تدق الحادية عشرة سمع صوت
سيارة تقف عند باب الحديقة ، فأوما إسماعيل افندى
إلى الخادم لينظر من القبل
من ؟ !

سيدة نصّف^(١) مُلثمة بلثام أسمر خفيف
يداعب التسميم حواشيه ، وفتاة ناهد فى مقبيل الصبا
ورشح الشباب ، ترفل فى ثياب ثمينة تدل على السعة
والثروة والعيش الناعم المنفرج ... ثم شاب سامق
كالمرح يثب فى خطاه كذكر الحجل ، عليه بذلة
رسمية بما يلبس تلاميذ مدرسة البوليس ، أخذ القمر
يراقص أزوارها الصغر النحاسية ويغازل أثرطها
الحمر الزاهية

— مرحباً مرحباً ، لعلكم فضلتم أن تستريحوا
عندنا !

— شكراً يا إسماعيل بك ! ألا تستطيع أن تذكر
من أنا ؟

— أنت ! ! ! أهلاً وسهلاً ... إجلسوا
أولاً ... أو ... لعل الطقس ملائم هنا ... أو ...
تفضلوا فى حجرة الجلوس يا حامد ... يا حامد ...
أودة الجلوس يا ولد !

في كل مرة بمعنى جديد لم يخطر لها ببال ، ثم كانت قارة تصدق وأخرى تكذب ، تصدق لأن ألفاظ الرسالة ألفاظ حزينة مكتوبة فيها إخلاص وفيها دموع وفيها حشرات ، وتكذب لأنها لم تمهد في زوجها إلا الأمانة والصدق والبساطة أحياناً . فكيف يستطيع أن يخفى عليها سره هذا وهو سر هائل هكذا ؟

وخيل لسميحة هائم أن الرسالة مفتوحة أمام عينها . فهي تتلوها سطراً سطراً وكلمة كلمة . بل خيل إليها : أن خروف الرسالة أحلام مسوداء عائق بعضها بعضها ، وأخذت ترقص في رأسها المضطرب هكذا :

حضرة السيدة المحترمة حزم إسماعيل بك عبدالرؤف « لا تزجي يا أختاه فهد رسالة من أخت ، أو صديقة ، لا تحقد عليك ، ولا تمنى لك إلا كل خير وسعادة ... على أنني لست أدري إذا كنت قد علمت قصتي أو عرفت اسمي قبل اليوم ؟ أنا أخرج أنك لا تعلمين من أمرى شيئاً ، ولذلك ، فربما تظنين أنني أرسل إليك بهذه الكلمة الحزينة لأحدث في حياتك الهائلة حدثاً يرق فضاءها لا قدر الله .. كلا يا أختاه ... فلقد صبرت للتعبية التي حلت بي صبراً جميلاً ، وكسرت حياتي لإسعاد ولدى مجدى وإحسان ، وسأحت لإسماعيل على ما صنع بي ، وإن لم يكن له عذر قط ... قد لا تظنين أنني أقصد لإسماعيل بك عبد الرؤف زوجك المحترم .. إطمئني يا أختاه ... إنه هو نفس الرجل الذي أعنى ... قد لا يكون عندك خبر بما كان بيننا منذ ثلاث وعشرين سنة ... أوه ! ثلاث وعشرون سنة زمان طويل جداً وقديم ، وإشارة الذكريات التي ترجع

المصنفين الصاخين هو ذلك القمر الساطع الساخر في عليائه ، الذي يكاد ينشق قطعتين من شدة الصفر والتصفيق .

لقد راحت سميحة هائم تهترس في هذا الركب الذي انشق عنه جوف الليل كما تنشق القمام عن عفاريت سليمان !

وراحت تسائل نفسها عن هذا الفتى وهذه الفتاة ولدى السيد إسماعيل زوجها العزيز

ثم جعلت تفكر في الرسالة التي وردت باسمها اليوم تحمل إليها نبأ هذا اللقاء المفاجئ العجيب ... « لقاء سيدة يسعدنا كثيراً أن نال مساعدتها في أمر هام سيوجب السعادة لكثيرين ، وسنشفي جراحاً طال عليها الزمان ما تقنا تسبب آلاماً لكثيرين ... » هذه كلمات من الرسالة الهائلة التي تسلمها سميحة هائم اليوم واليوم فقط ... لقد تسلمتها في الساعة الثامنة صباحاً ، والساعة الآن الحادية عشرة ونصف مساء ... فكأنه لم يمض إلا نصف يوم وبضعة ساعات حتى تم اللقاء التي أُنذرت به - أو خبرت به - الرسالة الهائلة

ولم تكن سميحة هائم تصدق أن وراء زوجها الوفي الأمين سرّاً عيقاً كهذا السر ، إذ كيف يكون ما جاء في الرسالة حقاً وهذا هو زوجها الوفي الأمين يشارها عشرين عاماً لا تدل إلا على الوفاء المحم والحب الصافية لها ولا بناتها ... وكيف يستطيع رجل مثل هذا الرجل الوفي الأمين أن يكتم سرّاً مثل هذا السر في أعماق قلبه فلا يبوح به لزوجته التي هي نصف حياته إن لم تكن حياته كلها ؟

لقد قرأت سميحة هائم رسالة تلك السيدة التي وصلتها اليوم عشرات المرات ، وكانت تخرج منها

استشاط غضباً ، ودبر لنا حيلة ليجمعنا وإياه مما ليرى فينا رأيه... وأأسفاه إلیته لم يفعل يا أختاه ! لقد جمعنا ليلتي حشفه بيد إسماعيل !... أما كيف كان ذلك فلهذا قصة طويلة حالكه ما تزال طلي الكتمان إلى وقتنا هذا ، وأنا ألخصها لك في كلمات ... لقد احدثت المناقشة بين أبي وبين ... حبيبي ... وم الوالد النعيط المبروح في عرضه الطمون في شرفه أن يبطش . بإسماعيل ، فأخرج من حبيبه غدارة عشوة ليفرغ نلرها في صدر الشاب ، ولست أدري كيف نسي إسماعيل عند ذلك حبه ، وتمعرت في رأسه عسكريته ؛ فإيه أخرج مسدسه بأسرع من البرق ، ثم أطلقه في رأس أبي ...

— يا للهول ! ... إني أذكر الوالد المسكين يا أختاه وهو يسقط إلى الأرض ناظراً إلى ... إلى أنا وحدي ... تصوري أيها العزيزة موقفی ذاك بين أبي وبين حبيبي ... أستغفر الله ... بل بين أعز الآباء وأكرمهم وبين هذا الحبيب الوحش القاتل ، سافك الدماء ! ... على أن أبي العزيز كان كريماً حتى في موته ... لقد ظل يجمود بروحه أكثر من عشر دقائق نسي فيها موقفه وبأسأى ، وذكر خلاصی وخلاص ... لإسماعيل !!

« لقد طلب إلى قلماً وورقة ، فأحضرتهاما على عجل ، فكتب بيد مرعجة أنه ينتصر تخلفاً من مرضه ، وسجل الاعتراف بكتابتها اسمه في هدوء عجيب وطمأنينة لا يذکرهما أحد ساعة الموت !

وقيل: أن يلفظ آخر أنفاسه ، انحنى إسماعيل يقبله ، فتبسم أبي ثم تمتم : « هل تزوج كريمة يا إسماعيل ؟ » . فأجش إسماعيل بالبكاء ثم قال : « لطمئن أيها الوالد فسأزوجها ، والله على ما أقول شهيد ... »

إلى قبل هذا التاريخ هو شيء مؤلم ، ومثير للمواطف . لماذا لا نفضل أن ننسى هذا الماضي ؟ أه ! قد تصف بنا ضرورة فثثير هذه الذكريات برغمتنا ... فثناك ... لا تنزعج يا أختاه إن لم تكوني قد عرفت مأسأ ذكره لك ... فثناك ... لقد حدث أمر قهري بيني وبين إسماعيل بك قبل ذاك التاريخ البعيد ... قد تسأليني ماذا حدث ، وسأربحك حتى لا تفكری طويلاً ... لقد أحبني إسماعيل وأحبته ، وأحب كل منا الآخر حباً من ذلك الحب الذي تستمر ناره بسرعة وفي عنف لأنه يصادف قلوباً خالية فيتمكن ويكون جارفاً عارماً قوياً ... حب الشباب يا أختاه ... وأحسبك قد أحببت إسماعيل كما أحبته ، لأنه قبل عشرين سنة كان فتى سمهري القامة ، خلاب اللفتات ؛ وكان في روحه شيء غريب غامض تنجذب إليه أرواح الفتيات في شدة من دون أن تكون لمن إزادة في ذلك ، فلا يلبن أن يقمن في شراكه كما تقع الحشرة في نسيج المنكبوت ... أخشى أن أمسك لأنني أطيع عليك ... فأعذريني إن خرجت عن موضوع رسالتي ، لأنني أذكرك بما كان في إسماعيل ، زوج كليتنا ، من جاذبية وسحر ، لأن تذكرك بهذا سيكون أقوى أدلتي عندك على صحة قولی ... ولا بد أنك تذكرين جاذبيته وسخره تماماً ، خصوصاً إذا كنتما قد تعاييتا قبل الزواج .

— فما نخبتا يا أختاه ، وسبقته موعونا ، فترعرع وأطلقنا كالذوذة الباسقة ... وأرتبط قلبيانا برابط قوي مقدس ... لكننا لم نصبر على جوى الحب كما يصبر الآخرون . لقد زلت قدمنا بإسريحة هام . يا لله لماذا أبوح بكل هذا ؟ ... ولما لاحظ المأسوف عليه . — أو المغفور له — والدي ما تغير من حلي ،

بين أبنائه ... فأصر على وجوب اشتراك الوالد في خطبة ابنته ، وفي عرسها أيضاً ...

— حاولت يا سميحة هام أن أثنيه عن هذا الإصرار فأبى ، وقال إنه ذهب إلى الدنيا وعرف من سيرة إسماعيل بك الشيء الكثير ... إن جميع أهالي الدنيا يمتدحون أخلاقه ويطرون سيرته ، ويضمونه في النورة من شرفهم جميعاً ، فإذا بمنته من المشاركة في عرس ابنته ، ولماذا لا تنتهز هذه الفرصة الثمينة لنسيان الماضي ؟

— خفت يا أختاه أن أصر على الرفض خشية من النواقب ، وإقصاء لأشباح الذكريات المرة حتى لا تمكر على صفو أحزاني ؟ أجل ! صفو أحزاني يا أختاه ... قد صار لأحزاني صفو رضيت به ، فأنا أجموع غصته في سكون وهدهوء وشجاعة ... لأنني أنسى ماضى كله في سبيل حاضري المستمر ، وهو السهر على تربية ولديّ الذين فرأبوا وتركها في عنق ...

— فإذا تقولين يا سميحة هام ؟ هل كثير أن عرفت هذا السر للزعج الذي ما أظن لإسماعيل قد وقفك عليه ؟ وهل كثير أن أضرع إلى هذا الوالد الكريم أن يشارك في عرس ابنته مشاركة إن شاء جعلها رضية ، وإن شاء جعلها فعلية ؟ إن هذا أوداك لا يكلفه كثيراً ... فأنا والحمد لله في سمة ، وقد ترك لي الرحوم والدي أطياناً واسعة وعقاراً عظيماً ومالاً جماً ... فمن جهة المادة لا أريد أن أكلفه شيئاً ، والذي أطلبه منه أن يكون أباً لإحسان يوماً أو يومين ، وأن يذكر تضحيتي في سبيل ولديّ ؟ فقد رفضت خطبة أطباء ومغربي

وقبعت الحادثة انتحاراً كما أراد والدي الكريم الرحيم البار ، ولم يحنث إسماعيل فيما قسم عليه أبي ، وتزوجنا ، ورشونا المأذون فقيد التاريخ في صحيفة سابقة ، حتى لا يكون كلام بين الزوج وبين الحادث وبين الوضع ...

وعشنا في ظلال الحزن أعواماً ثلاثة ، كانت تتمثل لنا الحياة طوالها جحيماً لا صبر لنا عليه ... فقد فترحبنا ، وخذت جنونه التي كانت تشيع بالكهرباء في جوانبنا ... وولدت لإسماعيل إحسان ، لكنه لم يرها إلى اليوم ، فهل تصدقين ذلك ؟ وظنى أنه لا يذكر أخطاها وجدى ... وجدى الحبيب الذي لو رأيته اليوم لسرك شبابه ، وراقك عنفوانه ... وجدى هذا لا يذكره إسماعيل أبوه ... كما لا يذكر أخته ، لأنه ، عفا الله عنه أبى إلا أن تنفصل قبل أن أضع ابنته بأربعة أشهر ، وكان عمر وجدى إذ ذاك عامين ونصف العام على وجه التقريب ولم أعارضه فيما رأى ... وأبرأته من كل شيء ، واقتربنا على ألا نلتقي إلا الأبد

وعلمت بعد ذلك أنه خطيبك وبني عليك ، فوالله ما حزنت لهذا ولا ضقت به ، بل ذكرت الله ربى لي ولولدى ، وصليت له من أجلهما

واليوم ... وبعد عشرين عاماً يا سميحة هام ... كبرت عزيزتك - إن رضيت منى هذا التمييز - «إحسان» وتقدم إلى خطبتها شاب رضى الخلق سرى النفس كريم الأرومة ، من أسرة عريقة في بلدتنا طنطا. وهو طيب من أشهر أطباء المدينة له جاه وله سمعة طيبة ... غير أنه ، ولا أدري كيف عرف هذا ، علم أن والد إحسان ما يزال حياً يرزق. وإنه يقيم في منزله في مدينة النيا كأحسن ما يقيم الوالد الكريم

زوجته حياءً بحب وهياماً بهيام... فياترى، هل كان
 يذكر كريمة في فصول غرامه التي كان يملأ بها أذن
 سميجة، ويرتلها على سمها ترتيلاً؟؟ أليس في هذا
 المشق بعد المشق نفاق على القلب وتدليس على الروح؟؟
 لقد تكلم لإسماعيل عن الجريمة والجرمين الليلة، وقد
 سكت فجأة وهو يقص على أبنائه إحدى مخاطرته...
 فلماذا سكت فجأة يا ترى؟؟ أليكون قد ذكر هذه
 اللساة الدامية؟؟ إنه لا بد قد ذكرها إن لم يكن قد
 ذكر ما هو أشد منها هولاً وأغزيراً دماً بريئة؟؟
 ولكن وجدى... هذا الفتى المشوق السهمى
 ما ذنبه؟؟ كيف ساغ لإسماعيل أن يتركه ويترك
 ما في بطن أمه ثم يفر كالجبان الفذل ليتزوج مرة
 أخرى بدل أن يتكف في خلوة أو يعتزل الناس
 في جبل أو دير؟؟ ألا ما أشقى الإنسانية بكثيرين
 ممن يتسبون إليها ظلالاً وهم إلى وحوش الغاب أقرب!
 ثم هذه الفتاة الجميلة لإحسان؟؟ كيف نشأت
 طوال هذه السنين؟ قد يظن الإنسان أنها كانت
 تكون أشد شقوة لو أنها كانت فقيرة، والإنسان
 حين يظن هذا ينسى أن ملء العالم ذهباً لا يؤوض
 على فتاة مثل إحسان تلك الأبوة التائهة... إنها
 لا بد قد سألت نفسها ألف ألف مرة: أين أبى مادام
 موجوداً؟ ولماذا لا يعيش مع أبى كما يعيش الآباء
 مع الأمهات؟ ولماذا يكون أبى بها هكذا وكل الآباء
 بشر لهم قلوب وفي قلوبهم رحمة وعطف ومحبة؟؟
 لا بد أن إحسان قد سألت نفسها هذه الأسئلة ألف
 ألف مرة، بل هي تسألها صباح مساء وفي كل
 لحظة. وليس صحيحاً أنها لا تعرف ما الأبوة لأنها لم
 تجربها ولم تغم بها... ليس صحيحاً هذا...
 وإلا فقد بطل علمنا بالله لأننا لم نره، فإن إحسان

ومحامين وقضاة، وفضلت أن أعيش لوجدى وأن
 أعيش لإحسان أرواحها بين الأمومة الحزينة الباكية
 وأعطف عليهما بالصدر الذي كله أشجان وحشوه
 آلام وذكريات وأحزان...

« فإذا تقولين إذن؟ هل ستكونين شفيعة
 لدى هذا الرجل؟ هل تضمنين صوتي إلى صوتك
 في سبيل إيقاظه من هذه النومة الطويلة؟ لقد
 عزمتم أن أزورك فجأة... و... وربما لا يعضى
 طويل حتى أكون عندهم... »

« وتقبل يا أختاه تحيات أم مهيضة كسيرة،
 وقبلات ابن يقيم وأبوهى، وسلام فتاة بريئة لم تسمد
 بوالدها القريب البعيد!! »

« كريمة بهاء الدين »

تخيلت سميجة أن هذا الخطاب الطويل مبسوط
 أمام عينيها، فهي تقرأه، ثم تقرأه، ثم تعيد قراءته
 عشرات المرات فلا تستغرق المرة أكثر من طرفة
 عين، وعجبت كيف يكون ما جاء فيه حقاً وكيف
 تكون هذه السيدة - كريمة هانم بهاء الدين - حقيقة
 لا ريب فيها... ثم تفرست في الشاب... وجدى...
 ما أحلى هذا الاسم وبأرقه!! وجدى!! الثمرة
 البريئة لحفاة ماشقين!! فياترى، هل يعرف وجدى
 هذه القصة القديمة المألوفة...؟ إنه قطعة من أبيه
 ما في هذا شك، وما هي ذى خلال فضية من أشعة
 القمر تنكسر على جبينه فتعكس السحر من ناظره...
 صورة قديمة كالصورة التي وصفها كريمة هانم في
 خطابها لشباب إسماعيل وجاذبيته وسحره... ولقد
 أحبت سميجة هانم زوجها لإسماعيل وهامت به بتأثير
 هذه الجاذبية الغامضة التي كانت تفيض بها روحه
 كما ذكرت كريمة... لكن لإسماعيل أيضاً كان يبادل

لقد نظر كل من هؤلاء نظرات تأهبة إلى السيدة اللثمة في ضوء القمر، فلما قالت قولها، انصرفت نظراتهم متبصرة تنتشر على وجه أبيهم ووجه لإحسان ووجه وجدى... لكنها كانت أعلق بوجه الوالد من أوجه الغرباء المفاجئين!

هل عرفت الماء الأسنى الراكد حين تقذف فيه بحجر ماذا ترى على سطحه من تغيرات؟! لقد كان وجه إسماعيل أفندى يشبه تماماً! بل كان وجه إسماعيل أفندى يتقلص مرة ثم تملؤه كآبة ثم تشيع في أساريره ظلمات فتجمله كالبحر الهائج... ففمه مغفور كالهوة السحيقة بين كل موجتين، وعيناه كأنهما زورقان يتلاعب بهما الماء ليقذف بهما من حلق...!

— لماذا لا تحبى أبنائك يا إسماعيل بك

— أبنائي؟!...

أجل... لإحسان التي لم ترها قبل اليوم، ووجدى التي كان أعز خلق عليك في الحياة؟!... ألا تذكر؟! هل نسيت؟ محباً! هل نسيت كل شيء؟...

— ومن أنت؟...

— من أنا؟... أنا أم ولديك هذين! أنا

كرمة بهاء الدين!

— آه... كرمية!

ثم التفتت كرمية إلى سميحة هائم فقالت:

— هل وصلك خطابي يا سميحة هائم؟

— أجل يا عزيزتي لقد وصلني

— لعله لم يزعجك!

— وكيف يزعجني وقد كتبته عزيزة جداً مثلك؟

— عفواً... كم كنت أفضل ألا أسبب لكم

فكراً قد يسوؤكم!

تبتشش كما يبتشش أترابها، ولكل من أترابها والد بر حليم محب ودود، لكن لإحسان ليس لها أب لابر ولا غير بر، وإذا سألت أمها أجابتها بدموع غزار حرار، ثم لم تشأ أن تكذب ابنتها، فتصرفها عن سؤلها في رفق وعطف وحزن وتلدد

ما هذا الوالد اللثيم الذى يفر من أبنائه كما تفر ذكران القطا والكلاب والحير و... و...؟! كيف يسمو علينا نحن الأكدمين الحام والمصافير وسائر الطير وهي من مراتب الحيوان ولو أن لها أجنحة!؟

— «صاغى أبلك يا إحسان! قبلى يده! هذا هو أبوك يا وجدى!» قد يكون الإنسان جالساً مع بعض صحبه فيسقط عليه جلود من الصخر فجأة فلا يحس الألم في الحال، لكنه يقع في شبه غيبوبة عميقة إذا أفاق منها بدأ يصيح كالطفل، وقد لا يشعر أين مكان الألم من جسمه، لكنه كلما ذكر أن حجراً سقط عليه من علو استفزع الأمر واستمر في الصياح... وهكذا كان حال إسماعيل أفندى حينما سمع السيدة تقول هذه العبارة المائلة: «صاغى أبلك يا إحسان! قبلى يده! هذا هو أبوك يا وجدى!» إنه فوجئ لأول مرة في حياته بأن له ابنة تدعى إحسان! لم يكن يعرف ذلك من قبل، وإن يكن يعرف أنه ترك كرمية حاملاً... يا لقسوة القواد الذى ينسى رجولته تحت إصر الجرمية؟! لقد نزل عليه الخبر كما يصطدم رأس السارية بمامود من حديد أو جدار من الحجر الصلب، وقد أسلمه ذلك إلى غيبوبة عميقة زاد في عمقها أنها حدثت أمام زوجه وأبنائه...

شهيد على ما أقول - لقد طلبت لك السعادة كاطلبت
لنفسى المودة على تربية ولدى ... وكان يبكي فقط
أن يسألا عن والدهما أين هو ؟ فأقول لهما إنه حي
يزرق ، وهو سعيد ، فاطلبا من الله أن يزيد سعادة ،
أليس كذلك يا وجدى !

— أوى !

— ماذا يا بنى ؟

— أريد أبى أن يتركنا ؟

— سله أنت يا بنى ... إنه لابد بحبيك بالحق ...

فهذه لحظة لا يستطيع فيها لسان آدم أن يفترى ...
إنها لحظة من لحظات الله !

— أبى !

— ... ؟

— ألت أنا حبيبك وجدى ؟

— وجدى من !

— حبيبك وأغز الناس عليك ، وجدى الصغير .

ألت أنت الذى كتبت هذا الكلام تحت صورة
هذه من سبعة عشر عاماً ؟

ومد الشاب يده بالصورة بعد أن أخرجها من
جيبه ، ثم أعطاها لأبيه ... ولكن الأب الشارد
كان ما يزال فى غيبوبته فلم يد يد ليتناول الصورة
القديمة العزبة التى طالما طبع عليها آلاف القبل ،
وسفع عليها آلاف العبرات قبل أن يتمزق الغرار
من كريمة .

— لماذا يا أبى تأتى أن تتناول الصورة ؟ هل

صرت قاسياً إلى هذا الحد ؟ ... تكلم أرجوك ...

لقد كبرت ، ولى سبعة عشر عاماً أو أكثر لم أرك .

ألم تفكر فى كافكرت فيك ؟ كم كخترأعنى أن

أراك أيها الوالد ... أهؤلاء ... أولادك ؟ ... الله

— ولماذا يسوؤنا أن نمرف ؟

— هذا أمر طبيعى إن لم يكن إسماعيل بك

قد ذكر لك شيئاً من ماضيه

وهنا تدخل إسماعيل قائلاً :

— على أننى لا أدورى ما الذى جعلك تذكرينى

بعد عشرين سنة ؟

— وهل كنت تظن أن الدهر كله يفصل

بينك وبين أبنائك ؟

— من هم أبنائى ؟

من هم أبنائك ؟ إسماعيل بك ! أفنى تماماً ،

ولا تجمل البلوى بلوتين بإنكارك ... قد تحاول

أن تقطع الزمن فتجعل لك ماضياً تحب أن يجعله

أسرتك الثانية براءة من أسرتك الأولى ، ثم تجعل لك

حاضراً تشعره أنك ملاك ... إحذر أن تحاول هذا

أيها الرجل ... على أننى لست أفهم لماذا تحاول ذلك ؟

لقد جاهدت طويلاً أن يظل وجدى يذكرك ،

ولا ينسأك لأنك أبوه ، ومن لا والد له فهو

لاشرف له وإن يكن هو مظلوماً فى ذلك . أما إحسان

فهى ابنتك التى فررت من أبوتها فظلمتها وهى لم تر

الدنيا بفسد ، فهل تريد أن تنكرها هى أيضاً ؟

قبل أن تقفل ، تذكر أنك كنت رجلاً رسمياً من

رجال الحكومة ، ففكر فى العواقب التى تبنى

على إنكارك ... وأريد أن أطمئنتك ... إلى لم أحضر

إلى هنا لأننى عليك صوفك ... أولاً تقص منك ...

لا ... لقد نسيت كل شيء ... لقد علمتنا مأساتنا الخير

المحض ، فأنا ووجدى وإحسان نمرح دائماً منذ

فررت . فى رعاية الله وحمايته ... وقد عرفت أنك

تزوجت من مميحة هانم فى نفس الشهر الذى بنيت

عليها فيه ، فلم يثر فى قلبى أى حقد عليك ، بل - والله

— شكرًا لك يا سميحة هانم ... أرجو ألا أكون قد سببت لك قلقًا

— أى قلق يا عزيزتى! كلا والله ... عسى ألا تتأثرى من إسماعيل ... إن الموقف صربك من غير شك ...

— ولماذا يرتبك؟

— لماذا يرتبك؟ على الأقل لأنه لم يذكر لنا عنكم شيئًا مطلقًا ... ثم هذه السنوات العشرون ... إنها عمر يا كله يا عزيزتى ...

— ألم يقرأ خطاى يا سميحة هانم؟

— خطابك؟ ... بل أنا الذى قرأته!

— وهو؟

— لم يقرأه ... بل لم أذكر له عنه شيئًا

— وله؟

— لأننى لم أصدق بى رأى ... إنه قصة

مشجية، أليس كذلك يا كريمة هانم؟

— لكن لهجة الباكية تدل على أنه حق!

— الآن فقط عرفت أنه حق ... بل ربما لم يحو

كل الحق يا كريمة هانم ... ما شاء الله! إن صورة

وجدى وهو صغير تشبه صورة عُبيد تمامًا

— ومن عُبيد؟

— عُبيد ابنى، أخو وجدى!

— والخط الذى في ظهر الصورة!

— هو خط إسماعيل، ليس في هذا شك!

— إذن ... فأليك هذه الصورة أيضًا ...

— آه ... آه ... هيه!

— آه ماذا يا سميحة هانم؟!

— هذه هى صورتنا!

— هى بعينها ... هل كنت تعرفينها؟

— لقد كشفتها في كتاب قديم بمد (دخلتنا)!

ما أسمعنى بهم! كم كنت أتمنى أن يكون لى أخ هؤلاء إذن أخوتى! تكلم يا أبى ... إنى أحس كأنما قلبي يتجذب إليك ...

يبد أن الرجل وقف متضربًا بل وقف كأنه صنم من أصنام بوذا ... تفكير عميقة لكنها من صخر، ولا يهم أن تكون من مرمر! وهنا تألت سميحة هانم لضراعة الشاب الذى يشبه أباه شبهًا كبيرًا، فقالت والمم يمتصر فؤادها:

— لم لا تجيب يا إسماعيل؟ أليس وجدى ابنك؟

— ليس أبى ولا أعرفه!

— عجيب جدًا ... لكنه يشبهك كثيرًا ...

— هذا لا يهم!

— أرنى الصورة يا وجدى أهدى!

ثم تناولت الصورة وجعلت ترمقها في ضوء القمر، فراعها أن يكون الخط خط زوجها ...

لكنها لم تعجل، بل دعت الجميع ليدخلوا فقد أخذ

الموقف يتحرج، ولم يُحسّ القادمون بأية تحية،

وليس هذا من عرف الصعيد الكريم الضياف ...

وحاولت كريمة هانم أن تتندر فأقسمت سميحة أن

تقبل دعوتها ... وهنا بدأ الجميع يتحركون كالأشباح

التمتعبة إلى الداخل ... وبقى إسماعيل فلم يتحرك ...

وبقى معه ولده ... وجدى ... وعُبيد

ولما جلسوا قليلاً في الرفقة الفسيحة المؤتمنة،

وشربوا عصير البرتقال الثلوج ... دار الحديث

فكان ذا شجون:

— صرح بك يا كريمة هانم ... ما شاء الله

الآنسة لإحسان جميلة جدًا ... إن شاء الله ربنا يتم

بخير .. الله! إن لها خالاً في خدها .. مثل إسماعيل

تمامًا ... وفي نفس الموضع

— ومع ذلك فأنت التي تقولين هذا !
— ولم لا أقول هذا وقد خيل لي أنه ربما فرمنا
مثلاً فرمنا ؟ !
— لا ... لا قدر الله ... ولماذا يصنع ؟ إنه لم
يفر منا يا أختاه ، بل هو قد فر من الذكريات ،
ولولا هذا ما أغفيتها ...
— هذا ضعف ، فقد غفر له والدك قبل أن
يموت وأجابه من القصاص العادل ... إن هذه يد
لا يبجدها إلا لثيم ...
— سيدتي ... أنا أعتذر ... يبدو لي أنني
ورطتك في الثورة على زوجك ...
— بالممكن ... حقيقة أننا كنا نبشئ سعادة ،
لكن أحلامه كانت تنفص علينا صفونا ، وكان
جهلنا أسبابها رهقنا بل زيجنا ... لقد كانت تتباه
حالات من الفحول والشرد هي أشبه بالجنون ...
فكنا كلنا نبي من أجله ... ولن ننسى مرة حين
سمعناه يصرخ في سكوت الليل طالباً المغفرة من
ابنه ... قائلاً : يا رب ... إغفر لي يا بني ... ليست
خطيئتي أنا وحدي ... إصغى عني يا وحدي ! ...
هذا الغلام الذي لا أشك الآن في أنه هو ... ولقد
جعل مرة يضحك في رمضان ساعة الأصيل ويقول :
نفاق ... رياء ... أنا منافق ... لقد كنت لا أصوم
رمضان ... ولكني أصومه منذ عشرين سنة ،
وكنت لا أصلي كذلك ، ولكن هأنذا أصلي منذ
عشرين سنة أيضاً . فلماذا ؟ لماذا أعبد الله على هذا
النحو ؟ ! أليغفر لي ؟ ... أبدأ ... أبدأ ...
لن يغفر الله لي .. فالآن يا سيدتي عرفت السبب ..
لقد كان يخفى عنا كل شيء ، فأما وقد عرفنا كل
شيء فسيكون يسيراً جداً أن نعالجه ... لقد كسبنا
كثيراً ...

— ثم ...
— ثم أنكر أن تكون السيدة شيئاً إلا ...
— إلا ماذا ؟
— ... ؟ ...
— لعله أخبرك أنها حظية أو واحدة من
صويحاته ! !
— لا تخزني يا كريمة هاتم ... الحق أن زواجكما
بعد الحادث المؤلم الذي ذكرته لي كان يبنى ألا يتم !
— وأين كنت أذهب بوجدي يا أختاه ؟
— ووجدى ... آه ... بل كان يبنى أن تزوجا !
ما ذنب بوجدى ؟
— بل لم يكن في أحشائي منه شيء مما آثرت أن ..
ثم حبس البمع منطق السيدة الحزونة فلم تستطع
أن تكمل
— على كل حال لقد برهنت على نبل وأرومة
بجد يا كريمة هاتم !
— شكرًا لك يا أختاه ! ماذا كنت أستطيع
غير هذا ؟ !
— عجيب جداً أمر إسماعيل ... الآن عرفت
سر أحلامه !
— أحلامه ... ؟ !
— أجل ... لقد كان يحلم في اليقظة وفي المنام ..
وكان يتمم بكلمات لا تفهمها وعيناه مفتوحتان
جاحتان
— ولكن لماذا يحاول أن ينكرنا ؟ لعله ظن
أننا في حاجة إلى عونه للمادى ؟ !
— وإذا كنتم كذلك فإذا بمنكم من طلب هذا
العون ؟ إنه ملزم بهذا بل هو ملزم بأكثر من هذا ...
إنه ملزم بنفقة ابنه طوال هذه السنين ، وأحسب
أن نصف ثروته لن تقوم بذلك !

الشاب بالسر الهائل . ربما ذكر له أنه ابن إثم ،
وثرة جريمة . ولذلك تار وجدى وحاول أن يقتل أباه

وسافرت الأمرتان إلى طنطا للاحتفال بعرس
إحسان ... وحينما تقدمت الفتاة لتأخذ من والدها
هديته — ألف سهم من أسهم بنك مصر — نظر
إليها أبوها نظرة عميقة صامتة ، ثم طبع على جبينها
الجليل قبلة طويلة ... لكنه سقط إلى الأرض
مغشياً عليه ..

وتقدم الدكتور العريس فجئنا بجانب الرجل
وأخذ يفحصه ، ثم أمر بإخلاء الردهة لتجديد
الهواء ...

وتوفى إسماعيل أفندى عبد الرؤوف في مدينة
المنيا العامرة بعد عرس ابنته بمشرة أيام ، بعد أن
كلت في معالجته حيل الأطباء ...

لكنه مات كريماً آخر الأمر ، وترك خلفه
قلوباً صحيحة دسني هسبة

— عجيب جداً ... إنك زوجة كاملة !
— أشكرك .. بل أنا شريكك في هذا الأمر
ورجائي أن تليق معه ، فهو رجل طيب ، وقد تنغمينه
أكثر من أي شخص آخر .
ماذا حدث في الخارج ؟
ما هذا الصباح الشديد ؟

— كلا ... كلا ... لا تقتلني يا وجدى ...
حرام عليك يا بني ... أنا أبوك ... كيف تبوء
بائي ... ؟ تعال ... سأقدم لك الدليل الذي يبدد
شكوكك ...

كانت هذه الكلمات ترتفع ثم ترتفع ... ثم
دخل إسماعيل أفندى فجأة ... وتناول صورة كبيرة
ذات إطار مذهب فكسرها ، وقص ألقافها من
خلف ، ثم أخرج من داخل ذلك كله صورة
متوسطة قدمها للفتى الذي كان يمدو وراءه ...
لوجدى !

— ها أنت ذا يا بني ... أليست هذه صورتك
بيني وبين أمك ... أليست هي نفس صورتك
وأنت طفل ؟ لقد صورت الصورتان ، هذه والتي
ملك ، في يوم واحد ... فاطمتن يا بني ... إنك
ابني وأنا أبوك

وتناول وجدى الصورة من يد أبيه فخلق فيها
ثم ذهب إلى أمه باسمًا فقدم إليها الصورة قائلاً :
— لقد تكلم والذي كلاماً لم أصدق ... يبدو لي
أنه متعب ، أو مريض ... أصبح ما قال يا والدتي
— ماذا قال لك يا بني ؟

— لا داعي لذكر ما قال ... لا بد أنه متعب ...
إن هذه الصورة التي كان يحتفظ بها هي حسي ...
أليست ابن حلال يا أي ؟
فعرفت الأم كل ما قال زوجها القديم . لقد طمن

الأم فرت

للساهر الفيلسوف مونة الأولاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزينات

وهي قصة علمية تمد بحث من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ونعنا ١٥ قرشاً

زفر جنة

أَقْصُوصُةٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَنْثَى جَمِيلَةِ الْعَالَمِ

السبب حسب ما يرسمه ذهنه
على ضوء تفكيره وإحساسه..
وأنا وحدي كنت أعرف
السبب ... فقد أهدى لها
خطيبها أول يوم صار حجابها
باقة من زهر البنفسج ثم جعله
بمد ذلك نجمة مطرة يقدمها
إليها كلما تقيا حتى خيل للفتاة

أن هذا الزهر رمز سعادتها المنشودة ومفتاح تفاؤل
نفسها المتعطشة لكل ما تطعم إليه عذراء في سن
المشرين من عمرها ... وكانت تحرص كل الحرص
على أن يحتفظ الزهر بروقه وعطره حتى أنها راحت
تبحث في كتب الطبيعة لتعلم كيف تصون الزهر من
الذبول ، وانتقت له إناء جيلا كانت لنامي بأى عمل
في منزلها إلا تنظيفه ، ولم تحاول أن تعرف تنظيف
أى أداة من أدوات البيت غيره ...

لم أرها غير مرة واحدة وهي تقبل منه الباقة
— لما زارها في منزلها — تقبلته في فرحة الطفل
الطروب الذي عثر على أعز ما يتمناه من لعب
قد يكون ذوف في سبيل الثور عليها أحر السموع .
قبلت الزهر في حنان ثم وضعت في الإناء بخفة
مالحتها فيها أبدا ... كأنها تستودع أحلامها وأمانها
قلب القدر ... حتى في يوم العيد كان يرفق الهدية
بالباقة ...

تصرف مألوف كأي عمل معروف ... إنما
الإنسان هو الذي يخلق من الدم الوجود بحسبه
وتفكيره ... نحن نرى الزهر في كل مكان وبجمل
به كل مكان نرتن به ... ولكن الإحساس الذي

في مثل هذا اليوم من العام للناضى دعتي
صاحتي لحضور عرسها وقد أسمى يومئذ أجهل
أناميد السعادة المرتقة ، وأرتقي الأمل الوضاء إلهاً
وسعراً

يا لفرحة العروس عند ما يجمع القدر بينها
وبين الرجل الذي تحبه

لا أحسب إلا الفرحة خلقت لها في مثل هذا
اليوم . وما زالت صورتها برداء عرسها الأبيض
تتردى لى من وراء الخيال الداهب تمثل ما كان
يحبوها من صرح وبشر لا أدرى إن كان مبهما
ذلك الزواج المرغوب فيه ، أم الحب المشبوب الصادق ،
أم أن الله خلق الهجة والمسرة لها وحدها أم خلقها
لها — لا أعرف — والذي أعرفه أنني تخنت يومئذ
أن ينيلني الله ما يبيت في نفسى هذه الفرحة الصافية
فأكتسب مثلاً من الأمل الحق طلمة الأطفال
الأبرياء وفرحة السعداء المتفائلين ...

وتساءل الناس في شبه همس ما الذى حداها
أن تضع باقة زهر البنفسج على صدرها والفروض
أن تضع باقة من الفل أو الياسمين لثماثل لون
رداء العرس الأبيض ... وصور كل متسائل

الابتدائية ثم تركت المدرسة وخلفتها ورأى في الفقرة الثانية، وظلت هكذا متوانية متأخرة لا تترك الفقرة إلا بعد أن تمسكت بها سنتين على الأقل ...

وهي في المنزل لا تتماز عن المدرسة لا تحاول أن تساعد أمها في أى شيء، وتستنكر القيام بأى عمل مهما كانت ظروف البيت، وتعتقد أنها خلقت لتبدي جمالها الذى منحها الله أكبر قسط منه، ولكي تجيد لعب الباسكت والتنس وتقارن بين جال جريتنا ونورما وبين عظمة جارى كوبر ورامون

هى بحق تجيد معرفة كل ما يتعلق بالسينما والمسرح والرياضة والتجيد

وسادت نفسى يوم علت بخطبتها: أيمكنها أن تكون ربة بيت ...

وأيقنت يومئذ أنها لا بد عاكفة على دراسة شؤون الدار وخصوصاً بعد أن انقطعت عن المدرسة ولكي أتاها كد من صحة يقينى سألها:

— ما ذا أنت فاعلة في مقبل الأيام ؟ علك بدأت تفهمين حقيقة الواجبات المنزلية ...

فضحكت في بلاهة وقالت: أى واجب يا صاحبتى أظنن أنه يمكن أن أعرف غير مضجى الذى أفضى فيه ساعات النوم والمائدة التى أجلس عليها وقت تناول

الطعام والقيثار الذى أعزف عليه بنى الألحان؟ قلت: هه.. أظنن ذلك كفيلاً بهيئة بيتك .. هناك غير ذلك أشياء أكثر أجلاً شأننا وأعظم خطراً.. تهية

بيتك ليكون كاللوحه الظليلة لزوجك والفردوس الأرضي لأمرتك التى سوف يكل القدر أمر تكوينها وإسعادها إليك ... وتكونين بحكم الزواج ملكة مسئولة عن مملكتها الصغيرة المتواضعة

يفعمر هذا الرؤية الزهر غير ما يفعم ذلك، والشعور الذى ينتابني حيناً أرى الزهر أو الورد وخصوصاً ما ترتاح إليه نفسى ويطمئن إليه قلبى غير الشعور الذى ينتاب صاحبتى أو أى إنسان ... فأنا أرى في الياسين معنى يوحى إلى بأحب الأخيلة ينناير عليه غيرى غير آبه. قلت لصاحبتى مرة لأداعبها:

— ما أعجب شأنك ... إن في لون البنفسج معنى يدفع المرأة إلى النفس فضربنى على شفتى بأطراف أناملها في لطف وهى تقول:

— لو قدم لك خطيبك زهر « التيوب » لكانت أحب الزهور إليك فطوقها بذراعى وأنا أنظر إليها مسرورة لسعادتها وتفاؤلها قائلة:

— الآن فهمت يا صاحبتى أن السعادة في المعنى لا المظهر

ثم حضرت مجلسهما مرة أخرى فشمت في الرجل غموضاً لا يتفق مع براة الفتاة ... وأنا أعرف أن الغموض لا يحدث إلا مع عشيقين مدسسين يحاول كل منهما أن يخفى حقيقته ليحظى برفيقه ... أما الخطيبان الحبيبان فلا مكان لتألفهما غير الصراحة والصدق

وجئت كيف اتفقا مع تناقضهما، ولصكنى رجحت أن يكون الله جمهما لحكمة لا يعلمها إلا هو

كانت الفتاة في نهاية مرحلة التعليم الثانوى ولقد ذهبت إلى المدرسة تنفيذاً لأمر والدها الذى يرغب أن يجعل منها فتاة مستنيرة ولكن الفتاة لا تميل إلى التعليم مطلقاً فقد كانت موى في المدرسة

البيت كالمملكة يحتاج للأدب والفنون والفلسفة؟
لا تضحكي فلست هازلة... إن أعقد المسائل
العالية تشبه أبسط الظواهر التزلية... إنه مملكة
تحتوي مجموعة وزارات، وأنت وحدك المسئولة أمام
الله والشريعة والناس عن رئاسة هذه الوزارات
وتسييرها بحكمة تتطلب منك عقلاً علياً يشبه عقل

وزير المعارف وسياسة وزير الخارجية وحكمة وزير
الداخلية وإدراك وزير الصحة ولباقة وزير التجارة
والصناعة وذكاء وزير الزراعة وقوة وزير الحربية.
وأخيراً لك قلب الملك الصالح.. فظلت تضحك
حتى كادت تستلقي على ظهرها وهي تقول: ما دام
في وسع زوجي أن يحضر إلى الخدم فلماذا يهم؟
حسبي أن أشرف على الوزراء.. وقهقهت، وساورتني
مرارة من الشك في سعادتها المرتقبة ولكنني
لم أشأ أن أكون متشائمة.. قلت: يا منى: الخادم
لا يمكن أن يحسن العمل إن لم يلحظ فيك خير
مثال للماملين النابهين.. أبعدى عن ذهنك يا عزيزتي
هذا الخاطر، وتأكدي أن بيتك لا تثبت أركانه
إلا إذا ثبتت قوائم عرشك فيه بفضل قلبك وعقلك
إفنتحي قلبك.. وحكي عقلك..

ليكن هذا شامرك دائماً.
وهنا دخل الخطيب فهرت إليه تقول: أحمد،
جيتي تخيفيني من الحياة الزوجية..

فربت الخطيب على خدها في لطف قائلاً:
لا شك أنها تدابعك.

قالت في دلّ ظريف: بل تجد أيتها
فلأشأ أن أسارحه بالأمر خوفاً من أن يكون
(٥٠)

فهزت كتفها ومطت شفيتها وقالت في غير
اكتراث: خطيبي يجيني وأنا أحبه

قلت: للزواج مطالب أخرى غير الحب أكثر
خطورة.. إن الحب يقنع بكل شيء لأن من صفاته
التسامح واللين، أما الزواج فيحتاج إلى العقل والحكمة
بجانب القلب والإيمان

فكانت مستخفة: بقي أن أقول لي ويحتاج
للشعر والفلسفة أيضاً...

قلت: ما عنت هذا... ولا يمكن أن أقوله
لأن هذه ملطفات تلجأ إليها النفس بإحباء غير مدرك
ولا علاقة لها بالزواج، فالشاعر غير الزوج وكذلك
الأديب أو الرسام أو العامل أو الفلاح أو الوزير
فسياسة الزعيم في مكتبته غير معاملته لأسرته، أنظري
إلى الفلاح... إنه أمام صاحب الأملاك كالعبد القليل
ولكنه في المنزل كسيد أمر قاهر، والدكتاتور كقوة
القدر الجائر يبدو أمام الناس، ولكنه أمام زوجته
أو أولاده اللطف من السحر.. والتي أرجوه يا عزيزتي
كصديقة تحببك السعادة أن تحاولي معرفة المسئولية
التي ستلقى على عاتقك.. أنت مسئولة عن سعادة زوجك
وتكليف حياة ومساعدته بفكرك وحسك ليسمو
بنفسه وأسرته إلى السابك، ومسئولة عن صنفارك ليكون
لهم في العالم مكان على... ومسئولة عن بيتك ليكون
مجماً عالمياً...

فقاطعتني متهمكة... أي جمع تمنين يا صديقي؟
أتريد أن يكون بيتي أكاديمية للملوم والفنون
والآداب؟

ثم ضحكت متهمكة...
قلت: وأجل منها إن شئت... إني والله، أليس

فهزت كتفها، ونظرت إليه كأنها تستلهمه الجواب، فقال مسرعا: أقوم أنا بكل شيء .

قلت : ولكنك لا تعرف واجبات ربة الدار والروضة والأم ، أنت تعرف واجب الزوج ، ورب الدار .

قال مستخفاً : ياسى نستمين بكتاب التدبير .
فقلت ضاحكة : آه نسيت « مرشد الفتاة »
قلت : وغيره إن شئت ... إنما التجارب أنفع من القراءة .

ووجدت من الميث أن أحملها على تعرف ما وراء المستقبل القريب لأنهما في نشوة الحب .
فانسحبت راجية لهما كل خير وتوفيق .

واليوم عيد ميلاد زفافها السعيد ، وقد مضى العام دون أن أراها إذ سافرت مع زوجها بمد الزفاف مباشرة إلى مقر عمله ، وأتت رسالة منها البارحة تنبئني بأنها نقلت منذ أيام إلى المنصورة وأنها متلهفة لرؤيتي ...

وتذكرت أن ذاك اليوم عيد ميلاد زفافها فذهبت إليها لأقدم إليها تهنئتي الصادقة ولما كنت شغوفة لرؤيتها بمد ذاك العام لأعرف ماذا فعلت بحياتها الزوجية وكيف صارت .

وهربت إليها وبى من الشوق إليها ما يزى بشوق كل حبيب .

وطرقت بابها وقلبي يخفق ويكاد من لهفة الحنين بضمت ...

ولما فتحت الباب أدخلتني الخادم في غرفة (الصالون) وهرمت دقائق، وأنا وحدى أنتظرها، تأملت خلالها محتويات الرفة . ولشد ما أدهشني أن أرى الأثاث

على يقين من أنها ملئة بشئون البيت . فأفتح ناظره على ما لا يعلم فيرند .

فقلت : اسمع ياسيدى ... كنت أتصفح هذه المجلة فأعجبني ذاك القصيد ... قلت لها اسمع ... فقلت : لا أحب أن أسمع غير كلام خطيبى ... وأنت تعرف أنني أحبها ... (فطيماً عزت) ... وإذا كان هذا حالها اليوم فما عساها تفعل بعد الزواج ؟ طبعاً ستسنى جيمى .

فابتسم وقال : وهل يمكن أن تنسك ؟ إنها تحبك ؟ ! ... وكل ما في الوجود يذكركها بك . فقاطعت قائلة : لا ... إنها لم تقل ذلك ، ولكنها تقول : يجب أن أقوم بشئون البيت . ثم دنت منه راجعة على كتفه في خفة مرهفة : وأنت تعرف أنني لا أعرف أى عمل في البيت . ثم مطت شفتيها وهي تقول : حتى ملايسى لأعرف كيف أنظفها أو أعلقها على المشجب . فضحك طويلاً وقبض على يدها وهو يقول : لا تفكرى في هذا .. سيقوم الخدم بأعمال البيت ، وأنا مستعد يا حبيبتي للقيام بكل عمل بدلاً منك ...

فنظرت إليه فرحة ، وقد شاع طرب نفسها من كل خالجة فيها . لكنني تأملت إذ كان في مقدوره أن يهيب بها إلى تعرف المسؤولية في لطف لتحاول أن ترضيه على الأكل ولكي يشعرها بقيمة حياتها ، وضرورة تأدية واجباتها - ولولف - لردّها إلى عقالها وعملت على تعرف ما لم تعرف .

فقلت في شبه دمدمة : وإذا مرض الخادم ؟ فأنعقت : غيره يقوم بمهله .

قلت : لنفرض أن الخدم تأمروا عليك ، وتركوك بهتة كما حدث لإحدى المسكات فإذا تفعلين؟

قالت : بل اثنا عشر دهرًا يا جيمى
قلت : إذن أحسست بالوحشة كما أحسست بها
ولقد ظننت أن زوجك أنساك جيمى وسعادتك .
معت من ذا كرتك ذكريات الطفولة اللذيذة بأجل
ما فى الحياة من طهر ومرح وحلم وسذاجة

فتهدت قائلة : ليت هذه الأيام يا جيمى قيدتنا
فى باطن النيب كما تقيد الجاذبية اليد بين الأرض
والشمس ، أو لعلنا متنا قبل أن تفتح بصائرنا
على ضوء الأحلام والآمال فتتخيل ... حتى إذا
داهمنا الواقع رأينا الحياة تنفى وراها من الحقائق
ما تخفى ...

وغالبت دموعها — على ما أظن — لأننى لمحت
الضوء يبدو فيهما ويتلاشى ليبدو أكثر قوة والتناعى
وكانت لمحبتهما متكسرة عميقة بطيئة كأنها
آتية من أعماق الأبد ... تخرج قوية ثم تفتت وتتلاشى
لطول مسافة الزمن ... فعبثت لهذا المظهر الجديد
الذى لم أتيته فيها من قبل فقلت : لم يكن فى حسابى
أن الزواج يعلم الفلسفة ، أهكذا يمنحك الزواج من
من الحكمة فى عام ما لم تمنحك إياه الحياة فى عشرين
عاماً ... يا محباً !!

قالت : وعلى أكثر ... ثم أسندت رأسها
إلى صدرى كأنها تحاول أن تتخيل — بالإحساس على
الأقل — أنها مرتكزة على صدر حنون . ثم رفضت
بصرها إلى التنازع مترققة بالسمع الحار وغصفت :
جيمى ... كيف ترفضى ؟

قلت : آه . أنسىنى ما يجب أن أقوله ... ترى
هل جئت بجميلة أو جميل ، وكنا اتفقنا منذ زمن
أن نسمي كل منا بكرة باسم صديقها لتجسيد كذا كرى
الصداقة الأكيدة البريئة

الجديد يبدو كأنه من تراث جدتها القديم أى خيبة
ساورتنى عند ما لمحت الإهمال يتجسم فى الترفة ؟
ورددت طرفى لسكلاً أشوب حرارة حنينى
بمرارة أنين نفسى لما أصابها من ألم له فى عالم الحقيقة
صورة مرسمة فى أرجاء هذا (الصالون) ...

ودخلت (منى) وقبل أن أعانقها ارتعت على
صدرى كأنما شاءت أن تستودعه حرارة وجدانها
للتسريح حتى أحسست أن كل كياني بمحاربتها يحس
ويتنفس ... ثم رفعت وجهها بيدي وأنا أنامل الوجه
الجميل فى شفت لأتبين وجه المرأة وأأقرن بينه وبين
وجه المذراء ...

أجل ... نظرت إليها طويلاً لأقارن بين وجه
رفيقة طفولتى وبين وجه المرأة التى تخطت قبلى عتبة
باب المسئولية

وظللت هكذا أناملها لأقارن بين حياة الحلم
الماضى والواقع الراهن ، وبين حياة المتعة والحرمان
كما يقولون ...

لم تتكلم ونظرت إلى بعينين دامتتين وشتتين
مرتمشتين ... ولم أتكلم ونظرت إليها بعينين شاع
منهما خوف عليها وحجى لها ، وقد بدت ظلال هذا
الشعور الحار المتوثب على شفتى فى شبه بسمة صريرة
وأخيراً تمنت بصوت من يستيقظ بمد حلم
عميق : منى ...

فأجابتنى بصوت مرتمش كأنه قطرات من الماء
الصافى تنسكب فى هواده ورقة تمازجها قوة لا تبين :
جيمى ...

قلت : أخيراً التقينا ... مضى العام ... اثنا عشر
شهرًا فى حسابى اثنا عشر عامًا ...
ونظرت إليها نظرة معناها : أليس كذلك ؟

قلت وأنا أشد منها إيماناً : يا سبحان الله ...
في لحظة يثبت لنا الله قدره وعظمته بما تعجز عن
إثباته قوى المالين في أجيال. ثم اغتمصت نحرى لأدفعه
عنها وقلت : أُنذركين يا « منى » يوم كنت أدعوك
لنؤدى فريضة الصلاة معاً ؟ ... كنت تضحكين
وتسخرين مني وتقولين : فرضت الصلاة على الناس
يوم كان لا عمل لهم . أما اليوم فالوقت يضيق بالعمل
والجهد . ثم تتسمنين في بلاهة وترددين : إن الله
غفور رحيم ...

ولطالما حاولت أن أغالب شيطانك بنصحك
فكنت أفلح لأن تأثير يشتك كان أشد وأقوى
عليك منى ... لأن أمك متمدينة متطرفة لا تقبل
للحياة ميزاناً إلا بما تجلبه عليها من طرب ومسرّة
ومتعة ...

وهنا لحت الأسمى بنفاليها فسحبت رأسها وأسندته
إلى صدرى ورحت أنا أفكر في ماضيها وحاضرها .
وأقارن بين هذا وذاك ...

من يصدق أن منى الرحلة الطروب الجاهلة التي
تبدو كأنها في سن الثامنة من عمرها أو أقل ينأى
قد بلغت الحلقة الثانية منه من - يظن أنها الآن تبدو
وكأنها في سن الخمسين من عمرها مع أنها لم ترد
على المشرين غير عابها الأول من عمر الزواج ؟ .

تبدل بالرح سكوت رهيب نحيف وتلاشت
النضارة ليحل مكانها الشحوب البارز .

لم يصدق أن يقارن بين ابنة المشرين الحالة
المتفائلة ، وبين أختها المتألمة المتشائمة ليعرف أن عمر
الحياة ليس في حساب الزمن إنما في معناه وما يجلبه
من صرح أو ترح . ولجأة تذكرت زوجها ...

فتمتعت بشفتين مبلتين بالسموع : جاءت
جيلة ...

ولم أدعها تم عبارتها وعدوت أبحث عن
الطفلة الجميلة التي كانت تتصورها قبل زواجها أجل
أطفال العالم، ورسمت لها منهج حياتها رسماً يسمو بها
فوق متن الريح لتستقر على عرش الطهر والرفعة
والكمال

هرعت إلى مخدعها علّ الصغيرة نائمة فيه ...
تدفعني عواطفى لآلهامها كأنها كانت ابنة روى
قبل أن تكون ابنة أمها ... ولا لم أجدها في مخدع
الأم نضكت من خيالى الذى أنساى أنها لا بد أن
تكون في مخدع صغير خاص جمل لنوم الصغيرة
بعض الوقت ، وتحرسه ملائكة الرحمة والحب كل
الوقت ، ولكننى لم أجد السرير الصغير أيضاً ...

أنتكون في غرفة أخرى ؟ لا بد . وقبل أن أغادر
الغرفة لحقت بمنى قائلة : حبسك تيباً . وجذبته في رفق
وهى تقول : لم يشأ الله أن يتركها تحت تصرف القدر
الجائر . فاستردها ليستودعها حنان حور الجنان .
ثم صحت من فرط الالتئاع وتركزت دموعها تمير
عن أساها .

فهمت وحنوت عليها أشجعها بأجل الأمانى
المرتقة قائلة في النهاية : آمنى بالله ! فقالت بلجة
الخشوع :

عندما ولدتها وجربت كيف يفصل الله بين
الروحين بقدره قادرة .. آمنت بالله وأقمت له الصلاة
ولما ماتت وكنت يومئذ متعربة من حياى ناقة
على ولادتها ... ازدادت إيماناً به ورحت أرتل باسمه
بكثرة وأصيلا .

حتى يسمح الجيران نضحنا ..
قلت : حقاً ، ولقد حرمت متعة الضحك الأكيد
منذ فارقتك

قالت : إذن ماذا تفهمين من دموى
قلت : قد تكون الدموع من تأثير الفرح
كما تكون من تأثير الحزن. ولقد تمتد أن أجاهل
ما انتابني من شك في سعادتها لأستنطقها
فقلت : قولي ذلك لن لا يعرفك ... أما أنا
فقد علمتني كيف أعرف ماذا أنت قائلة قبل أن تفصحى
عن صرامك

قلت : تقرير جميل ... من تعليم مدرسة الزواج حقاً.
كل ما فيك قد تغير ...

فقاطعتني : ذهب جمالي وتلاشى فرحي وماتت
بهجتى ...

قلت : أمن أجل موت طفلة تيمتين نفسك
حسبك زوجك والله نعم الموضع ... وماذا يجدي
الحزن ؟ ...

قالت : لم يكن مصابي في ابنتي كصابي في زوجي
فاضطربت وقلت : أمرض هو ؟

قالت : لو كان لمان الخطيب ، على الأقل كنت
أتمزج بالأمل في المعافاة

قلت : لهجتك صروعة تخيفني ، أفصحى ماذا
جربى ؟ ...

قالت : مات وهو حى
قلت : يا لله ! هل أصابك مس من الجنون

يا « مى » كيف تهمين زوجك الحبيب بالو
وهو حى

صمتنا إذ سمعنا طرقاً على الباب . فازداد وجه

فرغت وجهها في رفق وأنا أقول : فانتى أن
أسألك كيف حال زوجك ؟ .

ففظرت مبدياً كأنها تفكر فيما تقوله .
فنجبت لهذا النظر واضطرت أن أكرس والى :
زوجك كيف حاله ؟

فنهتت وأطرقت قائلة بصوت خفيض : بخير ..
فشمت في لهجتها سرّاً رهيباً أفزهنى وراهنى أنها
جملت حيزاً من الفراغ بين (زوجى بخير) حتى أحسست
أنها تفصل بينهما لكيلاً تصل بين زوجها والخير
فارتدعت وخفت أن يكون جد لها مالا أرجوه
فقلت لأستدرجها : أهو على سفر ؟ الفروض أن
يكون في المنزل اليوم لأنه يوم العطلة الرسمية ...

فقلت وقد اعتدلت كأنها تتأهب لمصارحتي
بما كتمته عني : أتمرفين صلاح ؟

قلت : كيف لا أعرف زوجك ؟ مالك شاردة
كالذاهلة هكذا ؟ أترين مجيئى أزيجك ! ! عليه لا يبيح
لك لقاء صديقاتك ، إن كان ذلك كذلك فدعيني
أنصرف وحسى أننى رأيتك فكل ما أعتناه هناك
ووقت أتأهب للانصراف فأجلستنى في هدوء

وهى تقول : جيئى ، كان يجب أن تفهمى كل شئ
بمجرد رؤيتى ، وأنت أعرف الناس بطبيعتى ...

من كان يظن أن « مى » الزهرة الناضرة تدبل
دون أوان ؟ ولطالما قلت لك عند ما كنت أراك تتألمين

لشهد محزن : يا صديقتى ... خلقنا لنضحك وإذا
عشنا لمشاطرة الناس ألامهم ماذا نستبقى من الزمن

للفرح .. لا شئ بالتاكيد. إذن خير لنا أن نخلق
البهجة والمسرّة لنقلب بها الحزن والعنى ...

ولطالما داعبتك بنواحدى لأبدد تهيمك ولا أترك

لثأنتس بك وأجل منه أنها تملك الاعتماد على نفسك
لكيلا تمجز عن ارتداء ملابسك إذا كانت مريضة
مثلاً أو على سفر ١

قال : يا آنسة . . . ينجلني أن أصور لك مبلغ
إهمالها وعدم اكترائها بحياتها المنزلية .. أعرف أنك
صديقتها ، وأعرف أن لك في الحياة رأياً سديداً .
فإذا تقولين لمن تمجز عن إعداد الغداء إذا خرج
الخدام وتضطرننا لأكل الجبن والزيتون في الظهر .
أو استحضار اللحم والخضار من (مطبخ) السوق
فصرخت في وجهه : حضرتك تعرف أنني لا أعرف
كيف (أطبخ) ؟ وتزوجتي وأنت تعلم أنني لا أعرف
أن أؤدي أى عمل منزلي ؟ فقاطعها : لكن الفتاة
في بيت والدها غير المرأة في بيت زوجها ...

وهنا خفت أن يشتد عراهما ؟ فسحبت
صديقتي وخرجت بها إلى الخارج ، ثم رجوتها أن
تركة ريثاً يهدأ وتبشر الخدام لإعداد لوازم راحته
وتعمل له كوباً من الليمون أو الشاي أو القهوة
حسب ما يجب . وتركها بعد أن هدأها ، وقد فهمت
من حوارهما لم ملت قلب الرجل ، ولم شقيت المرأة .
ولما عدت إليه وعدته أن أُرشد صاحبي
إلى ما تجهله من شؤون الدار . ولما هدأت قلت بلهجة
جادة : اسمح لأختك أن تقول لك كلمة تقبلها مني
بسمة صدر الرجل الحكيم ، تذكر أنني أعرفت كيف
تحياتها وتزوجها وأنت قلت لها على مسمع مني إنك
رضيت بها زوجاً حبيبة ، ولم تأبه يومئذ لمجزها
عن تأدية مهامها ، فما ذنبها ياسيدي ؟

فكر وأحفظ الجواب لنفسك وخذ من الجواب
ما يمينك على توجيه زوجك إلى حياة الاستقرار

محمد العمودي

« للصورة »

صاحبتى امتناعاً ثم سمعناه يسأل الخدام بلهجة جافة :
من هنا ؟

فقلت لها : اسرعي إليه لتستقبله ثم تعالى معه
إلى — إن شاء — لأحييه

فلم تتحرك ولا زعها الوجود ... وقبل أن أحلها
على الخروج دخل علينا وقد ابتسم — ولعله تكلف
البسمة — قائلاً : كيف حال الآنسة ؟ أراك على
أحسن حال ، صحتك ونضارتك ...

فقاطعته لكيلا يستطرد : وأنت علك كذلك
فقاطعتي : الجو هنا بديع ... بديع جداً ...
فهمت أنه لا يريد أن يعترف بأنه على خير
وبأنى أن أشتم رائحة سوء تفاههما ...

فاحترمت رغبته واستأذنت لأتصرف وقبل أن
أصالحهما خاطبها بلهجة جافة : لقد نسيت هنا بعض
أوراق رسمية في غلاف كبير ، أين هو ؟
قلت : لا أدري !

قال (موجهاً الكلام إلى) : اسمي « ياسنى »
الهامم (مديرة البيت) لا تعرف أين يضع زوجها
حاجياته .

فابتسمت على مضض قائلة لها : أنت مخطئة
يا منى إن كان ذلك حقاً ... على أنك لا بد تريدني
أن تعلّيه كيف يأخذ معه أوراقه خوفاً من أن
تتمطل أعماله . لا شك ، وأظنه عقاب حلو بإصلاح بك
فقاطعتي ذلك تليل قد ألقبه لو كنت أجهلها .
ثم انفجر كالبركان الناثر مردفاً :

إنما حضرتها لا تعرف كيف تكون زوجة ...
أقوم في الصباح ... أردت ملابسي وحدي وهي
في مضجعها وإذا قامت فلست أقول لى لا تتأخر
فضحكت : جميل أن تدعوك دائماً إلى المودة

الأخيرا والكمالك

عزرا الانجليزية
بقلم الاستاذ عبد المصطفى النشار

وقال : « سنذهب غداً إلى
السينما يا عزيزتي » فقالت :
« لا بأس ولكن على ألا نغيب
أكثر من ساعتين »
وقال : « إن القطعة التي
يمزغها الجيران على البيان هذه
الليلة قطعة جميلة » فقالت :
« نعم إن هذا الدور من أحسن
الأدوار »

ومضت فترة في صمت كان فيها الزوجان يصنعان
إلى البيان، قالت الزوجة : « هل كنت مشغولاً ؟ »
فقال : « نعم . لقد استغرق شغلنا طول النهار
ويظهر أن أكثر الناس أغنياء . فهم يشترون أماناً
من كل نوع وبأى ثمن . إن الأغنياء سعداء الحظوظ
قالت : « لا تكرر هذه الجملة الطاللة . فإن حظك
ليس بالسيء » . فقال : « إنني غير ساهط على الحظ
ولم أقصد إلى الشكوى ؛ ولكن تجارة الأمانات
تدهش الإنسان لكثرة ما يراه فيها من الترائب .
وإذا استثنينا الأطباء فإن تجار الأمانات يطلمون
على الباطن من حياة أية طبقة أخرى ، وقد أثبتت
نفسى خطة هي أنى لا أسأل أى سؤال ، ولا أفتح
فمى بكلمة عما أراه .

ثم أشعل لفافة أخرى وتناول الجريدة ، وقرأ
قليلاً لزوجته ثم كتب خطاب شكر . وخرج من
المنزل فاشتري عليه سكاراً وجاد . وكانت الساعة
قد تجاوزت العاشرة . فأطفا الزوجان النور وناما .
وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي تناولا
طعام الإفطار ، وقبل الزوج زوجته وهو ينادى المنزل
وسألها عن رأيها في الذهاب إلى السينما . فقالت إنها

جلس فردريك جيمز سميت ماداً قدميه أمام
الموقد جلسة تدل على المظمة والزهو . وكان له الحق
في ذلك فقد تقرر في ذلك اليوم أن يزداد راتبه الأسبوعي
من ثلاثة جنيهات إلى خمسة . وفي هذه الزيادة تقدير
عظيم لخدمته مدة سبعة أعوام في شركة بنسبيت

وكان يسمع وهو جالس هذه الجلسة صوت
زوجته وهي تنفي في غرفة المطبخ أغنية هندية وتفسل
أطباق السردين من آثار المشاء ، وكان في الوقت
نفسه يسمع صوت البيان في المنزل المجاور

وأشعل فردريك جيمز لفافة وألقى نظرة على
إحدى الصحف ولكنه كان لشدة سروره لا يستطيع
أن يتناولها ليقرأها ، وكان يفكر في مستقبله فيمنش
نفسه بالأمل في صيرورته يوماً من الأيام مثل المستر
بنسبيت الذي أصبح من أغنى الأغنياء بسبب الاتجار
في الفروشات

ودخلت زوجته وفي يدها عدد من الملاحظات
والشوكات والسكاكين فوضعتها في مكانها ثم التفتت
إلى المرقد الذي عليه ابنها النائم . وعادت فالتفتت
إلى زوجها الذي كان يتأمل في وجهها أو لعلها لم تحل
في عينيه إلا الآن

الأمريكي ويظهر أنه متمجّل جداً ولا أعرف ماذا يريد وقد يدعوك عمله إلى الاشتغال طول النهار » فقال سميت : « لا بأس »

ولكنه ذكر في نفسه موعده مع زوجته في الساعة السادسة ، ووصلت العربة إلى ريشموند في نصف ساعة ، ثم وقفت عند منزل ، فاستقبلهما رجل يظهر أنه كان في انتظارهما ، وهو صغير الجسم كبير العمر بمجد الجلد أسمر اللون . وقال ساعة أركأما : « بول وبنسيت ؟ » . فأحى المستر بنسيت رأسه وقال : « أنا بنسيت وهذا مساعدى »

فنظرة المستر مارشال إليهما نظرة احترام . وأدهش سميت أن تكون كل هذه النظرة موجّهة إليه . ثم مشيا إلى الردهة فظهر أن التزل خال من الأثاث

ونادى المستر مارشال فنزلت سيّدة مسرعة وحيث الزائرين ثم تبادلت مع زوجها المستر مارشال نظرة ، وجلس الجميع فأخذت الزوجة تملى على سميت بيان الأثاث المطلوبة من سجاجيد ومفروشات وكراسى وأدوات زينة الخ الخ

ولم يزلوا يتنقلون من غرفة إلى غرفة وسميت يكتب قوائم جديدة حتى أصبح تمن الأشياء المطلوبة يستغرق ثروة رجل ميسور ... ولكن ذلك لم يكن كثيراً على المستر مارشال ملك الثروات والبوتاس فلما صارت الساعة المباشرة قال مارشال : إنه متمجّل جداً

قال بنسيت : إنه سيمرض عليه النماذج وقاعة الأمان في ظرف أسبوع ، فغضب مارشال الأرض بقدمه وقال : « ليس الأمر أمر نماذج ولا أمان

ستقابل في الساعة السادسة قرب دارالسيا في شارع كرانبورن .

وفي الساعة التاسعة وأربع دقائق كان جالساً إلى مكتبه فجاء الخادم وأخبره بأن المستر بنسيت يريد أن يراه في اللحظة التى يأتى فيها .

قال في نفسه : « لماذا يردنى ؟ » . ثم خالجه الشك في أن يكون قد حدث خطأ ، وأن زيادة المرتب ليست له . وألقى نظرة على الأوراق التى أمامه وذهب إلى « قدس الأقداس » وهذا التعبير صالح جداً للاعتراب عن نظرة الموظفين إلى الرؤساء .

وقابل المستر سميت سكوتير الرئيس فاستأذن له عليه ...

وقف الرئيس وهو رجل طويل القامة متقدم في السن ذو لحية كبيرة يبدو عليه التهذيب وقال الرئيس : « ماذا تعمل يا مستر سميت ؟ » فقال : « أنا في قسم البيعات يا سيدي »

قال الرئيس : « أرى أن تترك هذا القسم فاذهب وسلم ما بمهذتك وانتظرنى عند أسفل السلم بعد خمس دقائق »

وبعد أربع دقائق ونصف كان سميت ينتظر كالحارس في أسفل السلم . وبعد نصف دقيقة تزل الرئيس فتجاهل وجود سميت في طريقه وخرج من الباب فجلس في العربة ثم التفت إلى سميت وأشار له بالجلوس

وجرت العربة إلى شارع اكسفورد . وفي الطريق قال الرئيس : « نحن ذاهبان إلى ريشموند لنقابل فيها عميلاً جديداً هو المستر مارشال فلا كستون

فصاح الأميركي عمتدا : « اللورد في جهنم . استنقع
خمين عاملا بالتلفون واستحضر أنواعا مختلفة من
الساتر لعمل التجارب »
ووجد التاجر حاسة الرجل لا تقبل المناقشة ؛
فاستدعى المال بالتلفون وترك الستريسميث لينوب عنه
وعاد إلى متجره ليرسل البضائع .

لم يمض غير عشر دقائق حتى صارت حديقة
المنزل المراد فرشها بالأثاث كأنها معسكر لكثرة من
جاء إليها من المال ولكثرة السيارات في الحديقة
وأمام الباب .

وكان سميت واقفا أمام النافذة ينتظر مفروشات
الترفة التي هو فيها فليح عربية نعمة تقف عند الباب
وسمع الجرس يدق وعلى أثر ذلك دخلت الترفة زوجة
المستر فلكستون تبعها فتاة متناهية في الحسن وقالت
الفتاة لأُمها : « من هذا ؟ »

فأجابها : « هو تاجر الأثاث »

ثم خرجتا وسمع سميت صوت الفتاة تقول :
« ألم يأت خبر عن الكونت ؟ »

قالت : « كلا »

وقالت الفتاة : « ما أشد الشبه بين الشاب
الواقف في الترفة وبين أنطونيو ! »

وكان سميت قد أُرغم نفسه ألا يهتم بشؤون النبر
فلم يمر هذه المحاورة اهتماما وانتقل إلى الترفة المجاورة
ليمد المعدات لفرشها . وفي هذا الحين رأى الذين
جاءوا في المرة النخمة يدخلون كمن حديقة الماروم
جماعة من الصينيين وقالت السيدة : « عفوا يا مستر

(٦)

ولكني أريد أن يكون المنزل مفروشا بكل ماطلبت
في الساعة الثالثة من هذا النهار »

وكان ينتبذ قد لاحظ على عميله الجديد علام
ظنها دالة على الجنون ، فبعد الحركة الأخيرة لم يبق
عنده شك في صدق هذا الظن

قال صاحب المتجر : « أظن هذا مستحيلا »
فقال الأميركي : « كم عدد موظفيك ؟ »

قال : « عندنا في المصانع والتاجر والإدارة
والخازن بضعة آلاف »

قال الأميركي : « هذا حسن فادعهم جميعا
إلى العمل » فقال صاحب المتجر : « أخشى أن تكون
تكاليف ذلك ... »

قال الأميركي مقاطعا : « إنني لم أسألك عن
التكاليف ... أليس في المدينة سيارات ؟ أليس فيها
تليفونات ؟ أليس عندكم مخازن ؟ إنني أكرر لك
القول بأنني لا أبالي بالتكاليف وبأنني أريد أن يكون
المنزل مفروشا في الساعة الثالثة »

دارت عينا بنسبيت كما تدور عينا كلب الصيد
حين يرى الأرنب ؟ ولم يبق بعد هل هو الأرنب
أم لا . واستمر الأميركي يقول : « استحضر
أسطولا من سيارات النقل وخمسين رجلا لفرش
كل غرفة »

قال سميت : « ولكن السجاجيد والساتر ... »
فقال الأميركي مقاطعا : « مالها ؟ إن المقاسات
أمامك وقد فرش اللورد جاستوتس منزله بالأمس .
وغرفته في مثل اتساع هذه الغرف »

قال سميت : « ولكن منزل اللورد ... »

وعلى أثر خروجه دخل مئات من المال يحملون
الأسطلة والستائر والنفار والكراسي . وبعد
قليل دخل المستر بنسبيت وأخذت المطارق تدق
والفروشات ترتب وسميث واقف راقب ذلك ويشترك
في كل عمل يستطيع الاشتراك فيه

وفي وسط هذه الحركة القوية أعلن المستر
فلكستون أن الساعة هي الثانية عشرة ، وأنه لم يبق
غير ثلاث ساعات . وأخذ سميث يصيح بالمال أن
يسرعوا . فلما انتهى فرش الفسلفة الأولى جاء
فلكستون بستين جنياً وأمر بتوزيعها على المال
مكافأة لهم على الإسراع ، واستهافاً لهمتهم حتى يتم
العمل في الموعد المطلوب .

وفي الساعة الثانية وخمس دقائق كان سميث واقفاً
وحده ليستريح قليلاً في غرفة لم تفرش بعد . وكان
يرتب بنظره كيفية فرشها . فرأى على حين فحاة أربعة
من الصينيين ، وأشار له أحدهم فقبه إلى أعلى السلم
وهناك شعر بمادة ذات رائحة غريبة قد أُلقيت على
وجهه . ثم امتنع شعوره بعد ذلك .

ولما أفاق سميث بعد ذلك وجد نفسه ناعماً مكتوف
اليدين في سقينة ، ورأى البحارة حوله جميعاً من
الصينيين . نخل نفسه في إحدى حزر الأرخيل
الياباني ، أو في حزر الهند الشرقية .

ولكن وجه الغرابة هو أن البحارة كانوا
يتكلمون باللغة الإنكليزية .

وقال لأحدهم : « أين نحن الآن ؟ » . فأجابته :

« ستعلم متى جاء سعادة الحاكم » .

قال سميث : « ولماذا أنا مقيد اليدين ؟ » .

سميث لا تزعج من أي شيء وستنال ترضية على كل
شيء تفعله . إن حادثاً لم يكن منتظراً قد وقع الآن
وزيد منك أن بدعي شخصية لست صاحبها لمدة
لحظة واحدة . ولك مكافأة كبيرة »

قال : « لا مانع يا سيدتي ولك الشكر »

ودخل الصينيون فاستقبلتهم السيدة وكان
يصحبهم المستر فلكستون . وقدمت السيدة المستر
سميث باسم السنيور أنطونيو بن الكونت أندومى
فأحنى رجل وجهه من بين الصينيين رأسه أمامه .
واضطر سميث برأ . وبعد لصاحبه المنزل إلى إحتاء
رأسه أيضاً . وتقدم المترجم لينقل إلى اللغتين الصينية
والإنكليزية كلام الطرفين

قالت صاحبة المنزل : « إن سعادة الحاكم
الصيني يريد منك يا سنيور أنطونيو تنازلاً كتابياً
عن خطبتك لرودا ماليسترا وعن جميع الحقوق التي
لك في مملكة جزيرة بارى »

وهنا غمز المستر فلكستون ذراع سميث فقال
لأنه مستعد لتوقيع هذا التنازل

وقال المستر فلكستون : « إن هذا الشرط
هو الذى اتفقنا عليه لزوجك من بنى وسيزوج
سعادة الحاكم الصيني من رودا التى كانت خطوبة لك »
ثم كتب ورقة هذا نصها :

« أنا أنطونيو برونو أندومى أقدر أنى نزلت
عن خطبة الأميرة رودا ماليسترا وعن حقوق كلها
في مملكة جزيرة بارى » .

وقدم هذه الورقة إلى الحاكم الصيني فتناولها
هذا ثم أحنى رأسه وخرج مسرعاً

القدر على يد هذا الحاكم الصيني ، وبعد دقائق دخل الحاكم ونظر إليه نظرة وعيد وقال : « إنني أمرت بإعادتك إلى منزلك ولكن إذا نمت بأية كلمة عن أى شيء مما رأيته اليوم فاني سأهشم رأسك وسأقن لتأديبك ولو كنت في أقصى مكان من الأرض » وكان صوت هذا الجبار مثل نظرائه شديدا للدلالة على الوعيد

قال سميت : « لن نجد مني غير الصمت وألف شكر لك »

وبعد قليل كان سميت مغمض العينين في عربة تجرى في شوارع لوندا وهو لا يعرف هل مضى عليه بعد مفارقتها هذه المدينة أيام أو ساعات أو أعوام « ولم يرفع المندبل عن عينيه إلا عندما وقفت به العربة أمام باب منزله . وكان تشييع الصيني له نظرة تهديد قال جواباً عليها إنه ذاكر وعده وإنه سيلزم الصمت

ودخل سميت إلى منزله فنظر إلى نتيجة معلقة على الحائط فوجد أنه لا يزال في اليوم الذي باشر فيه المهمة في بيت فلكستون ، ونظر إلى ساعته فوجد نفسه في الساعة الخامسة فأسرع إلى مقر عمله وهناك رأى كل شيء على نفس النمط الذي كان عليه عند ما ترك هذا المتجر . وتلقاه المستر بنسبيت فقال : « كيف حالك الآن يا مستر سميت ؟ »

قال : « بخير »

وقال بنسبيت : « لقد علمت أنه أغخم عليك في أثناء العمل بمنزل فلكستون فنقلوك إلى منزلك في عربة » فقال سميت : « نعم لقد كان الأمر كذلك »

فأجابه البحار : لا أستطيع إخبارك بشيء حتى يأتي الحاكم . ولكن لماذا تكلم بالانكليزية ؟ أأنت إيطالياً ؟

قال سميت : أنا فردريك سميت ، وصناعتي كاتب في شركة بنسبيت . فتدخل بحار آخر وقال : أأنت السنيور أنطونيو ؟

حاول سميت أن يتذكر كيف وأين سمع هذا الاسم ولكن ذاكرته خائفة وقال : إنه جائع فجاء له البحار بقليل من الطعام ثم غلبه النعاس بعد ذلك فنام وعند ما أفاق من النوم سمع البحارة يتكلمون وكان واحد منهم يقول : إن سعادة الحاكم لم يطمئن إلى التنازل الذي كتبه السنيور أنطونيو وليس يكفي أن يطالب بحقوقه في الملك ولا أن يأمن في حب خطيئة أنطونيو ما دام هذا الأخير موجوداً . ولذلك اختطفه بعض أعوانه وجاءوا به إلى هنا لإرساله إلى جزر الملايو . ولكن الغريب أن الرجل كما ظهر لنا الآن ليس إيطالياً مع أنه اعتقل في نفس المنزل الذي وقعت فيه الوثيقة بتوقيع أنطونيو . وكان أحد الذين اختطفوه ممن حضروا توقيعه على وثيقة التنازل فلا يبعد إذن أن يكون الأمريكي قد خدع الحاكم وجاء رجل مزيف ليمثل دور السنيور أنطونيو وهنا تهامس البحارة بلزوم الصمت لأن سعادة الحاكم مقبل

وعند مجيئه سمع سميت صوت رئيس البحارة وهو يكلمه بصوت منخفض فلم يتبين ما قاله . ثم سمع الحاكم يقول بصوت كهزيم الرد : « لا تتركوه يتكلموا ! إقطعوا رقبته وألقوه في الماء » اضطرب سميت لعلبه أن هذا الكلام عنه وانتظر ما يجتبه له

الفصول والغايات

معبرة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقضو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صممه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زباني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »
الثنى ١٢ قرشاً

ولكنه عجب من رواية ما أصابه على هذه
الصورة المقتضبة . وتذكر وعده بلزوم الصمت
فسكت ...

وقبل الساعة السادسة أسرع إلى المكان الذي
اتفق مع زوجته على مقابلتها فيه ليذهبا إلى السينما ؛
فوجداه في انتظاره وقال : « أظنني جئت متأخراً »
قالت : « كلا بل جئت في الموعد . هل كان
عندك اليوم شغل كثير ؟ » فأجابها : نعم نعم
لا نستريح طول النهار بل هي حركة مستمرة »

قالت : ماذا رأيته اليوم ؟ فقال : إنني لا أحب
التدخل في شئون العملاء وإذا استئينا الأطباء
فلا أحد يطلع على أسرار البيوت كما يطلع عليها تجار
المفروشات ؛ ولكنني أنظر ولا أسأل ، وأرى شأن
لي بأمرار العملاء ؟ لقد تنازلت اليوم في أثناء عملي
عن حقوقي في مملكة باري ، وعن خطبتي للأمة
رودا الصينية وخطبتي بنت مليونير أمريكي واختطفني
رجال المصابة الصينية وكاد رأسي يقطع بالسكين ؛
وسافرت في السفينة إلى جزر الملايو ، وهناك
أعود في الساعة السادسة بعد أدائي كل هذه الأعمال »

فضحكت زوجته لاعتقادها أنه يمزح وقالت :
« هل كنت اليوم تمثل في رواية من روايات شارلي
شابليان ؟ »

فقال : « ساعيني إذا لم أجبك فإني مأمور
بالصمت »

وكم يرى المرء في حالي النوم والإغماء ، وكم
في شئون الحياة مما يظنه المرء حقيقة رآها وهو وم
يخيل له . أليست الأعمال كلها وليدة الآمال ؟ !

عبد اللطيف التشار

— حاك وفي أى سيارة

لأمر هام

— حسن ...

واعترض سيلين إلى رفاقه

ووضع قبمته على رأسه وارتدى

معطفه واستقل أول سيارة

صادفته إلى مسكن صديقه

اللورد مينشنجهام ...

ودخل سيلين مسكن صديقه بالطابق الثالث

وبعد أن أعطى الخادم قبمته ومعطفه ولج غرفة

المكتب حيث رأى اللورد جالساً مع اثنين من رفاقه

على مائدة اللعب وقد طفت على وجوههم موجة من

القلق والاضطراب ... ومد رب البيت يده مصافحاً

سيلين قائلاً :

— إننى سعيد بمجيئك يا سيلين ... أظنك

تترف رفيقاً

فألقى إليهما سيلين بالتحية وقد عرف الأول

جورينج بریت الموظف بوزارة الخارجية والثاني السير

مارتن فيليبس عضو البرلمان والسنام في عدة شركات

وله اسم رنان في الأسواق المالية، ولحظ سيلين خلو

المقعد الرابع ولما كان يعرف أن لعبة البريدج

لا تصلح إلا بوجود شخص رابع قال :

— ولكن أين رابعكم ؟

— كان صديقنا رونى كارترت جالساً منذ ساعة

نحن الأربعة حول المنضدة وقرق الورق أحداً ثم دخل

خادى طومسون وأخبر كارترت أنه مطلوب في

التليفون فخرج هذا ولا يزال نصيبه من ورق اللعب

في يديه يرتبه أثناء سيره إلى قاعة التليفون وبقينا

ننتظره مدة طويلة دون أن يمود، وأخيراً أتت لأرى

ماذا يفعل فوجئت الغرفة خالية وأوراق اللعب ملقاة

الوقت الثالث عشر

للكاتب القصصى فيليبس أوستنهم

بقلم الأديب عزت السيد إبراهيم

خرج جاسبر سيلين مع رفاقه من المقصف

إلى قاعة اللعب بمتدى لاندر عندما جاء الخادم قائلاً :

— التليفون يناديك يا سير جاسبر

فازم سيلين الصمت برهة وهو يفكر فيمن

سيحدثه في مثل هذه الساعة من الليل ثم قال :

— هل تعلم من هو ؟

— لم يذكر لى اسمه يا سيدى ولكنى أظنه

صوت اللورد مينشنجهام وهو يطلبك لأمر هام

فنظر سيلين إلى رفاقه قائلاً :

— احجزوا لى مكاناً على المنضدة فسوف أعود

بعد أن أعلم لم يطلبنى مينشنجهام فى مثل هذه

الساعة من الليل

ودخل غرفة التليفون ووضع الساعة لصق

أذنه وقال :

— أهذا أنت يا مينشنجهام ؟

فأجابه الصوت فى لهجة مختصرة :

— نعم أيها النجال ... ماذا تفعل عندك ؟

— كنت على وشك أن ألعب البريدج

— هذا ما كنت أفعل أنا أيضاً لولا مكالمة

الأقذار . هل تستطيع الحضور حالاً إلى بيتى فى

كننجهام مانشون

— حالاً ؟ أم بعد انتهاء اللعب ؟

— هل اهتديت إلى شيء ؟
 — إن التليفون مطبل وسأهبط الآن لأوجه
 بعض الأسئلة إلى البواب قبل أن تزور الأميرة
 الروسية
 وبسؤاله أجاب بأنه واثق من عدم دخول أحد
 أو خروجه من البارة وكذا أكد خادماً المصعد، وطلب
 سلين من البواب أن يرافقه إلى الطابق الأول حيث
 غصوا جميع الأبواب فإذا هي محكمة الإحصاء وعندما
 سأل البواب عن أصحاب هذه المكاتب قال :
 — إنهم جميعاً محترمون فسترها بل المحامي خرج
 مبكراً الليلة ولم يلبث وكيله أن تبعه وأما كاتبه والخادم
 فقد خرجوا في الساعة السادسة، ومستر سمسون
 متعهد الأفلام الأمريكية يستأجر المكتب لمدة ثلاثة
 أعوام وقد خرج مع سكرتيرة السحابة السابعة
 والشخص الثالث هو مستر ميشايل تاجر الفراء
 والتحف وهو رجل لا غبار عليه
 — وماذا تقول عن سكان الطابق الثاني ؟
 — إنها الأميرة الروسية ماذي بويل وهي أرملة
 كريمة نادراً ما تخرج ولكنها كثيراً ما تزار من بعض
 الشخصيات البارزة ...
 — وهل عندها خدم كثيرون ؟
 — سكرتيرة صغيرة ووصيفة وخمسة آخرون
 من الرجال
 وبعد أن نفحه سلين بورقة مالية ليفك عقدة
 لسانه سأله :
 — لقد رأيت في غرفتك آلة تليفونية لتصلك
 بجميع سكان البارة فما السبب الذي من أجله قطع
 السلك الموصل إلى تليفون اللورد ميذشجهام ؟

على المنضدة بجوار آلة التليفون وباب السكن مفتوحاً
 على مصراعيه فاستدعت الخادم ورحنا نبحت في
 أرجاء البيت دون جدوى
 وأخيراً هبطت الدرج إلى البواب فوجدته في
 حجرته المطلة على الباب، وبسؤاله أجاب أنه واثق من
 عدم خروج أى شخص في نصف الساعة الأخير
 وبذلك اخفى كارتريت ولكنى لا أظنه اخفى بعيداً
 بل هو في نفس البارة، ولكن أين ؟ هذا
 ما استدعيتك من أجله والطابق الأرضي كله حوانيت
 مطلة أبوابها على الطريق العام والطابق الأول عبارة
 عن مكاتب لبعض رجال الأعمال وتنفق أبوابها في
 تمام الساعة السابعة من كل يوم والطابق الثاني
 الذي يقع أسفل مسكنى مباشرة تسكنه الأميرة
 الروسية ماذي بويل
 — وهل كان يعرفها كارتريت ؟
 — كلا ...
 — إذن دعنا نبحت في مسكنك أولاً ...
 وتقدمهم سلين إلى قاعة التليفون فوجد ورق
 اللعب مرتباً حسب لونه ولكنه عند ما عده دهش
 إذ وجده اثنتي عشرة ورقة بدلاً من ثلاث عشرة فأخذ
 سلين يبحث عن الورقة الناقصة في جميع أرجاء البيت
 ولكنه باء بالفشل فحاول أن يتصل بالسنترال بالتليفون
 ولكنه وجده مطلاً فسأل طومسون :
 — هل تحدث مستر كارتريت من هذه الآلة ؟
 — نعم يا سيدي
 — وهل حدثني سيدك اللورد منها أيضاً ؟
 — كلا يا سيدي بل تحدث إليك من غرفة
 البواب عند ما هبط لسؤاله ...
 ودخل اللورد مع صديقيه فسأل سلين :

وغلب الخادم برهة ثم عاد يقول :

— تفضل يا سيدي .

ثم قاده إلى قاعة الجلوس ، حيث وجد الأميرة ممددة على إحدى الأرائك ، وهي متشعبة بالسواد بينما جلست على يمينها فتاة ممسكة بكتاب كانت تقرأ فيه لسينتها وبعد أن أبدى لها سليل أسفه على إزعاجها أشارت له بالجلوس .

فأطاعها وسرد لها قصة اختفاء صديقه كارترايت والأبحاث التي قام بها دون أن يجده أو يثر عليه ، ثم أردف :

— ولم يبق ياسيدي الأميرة سوى مسكنك فهو الذي لم نفتشه .

وامتمعت الأميرة وبدا على وجهها الأستقرار طي شيء من الضيق ثم قالت :

— ثقي ياسير جاسبار أن أحدًا لم يدخل مسكني منذ الساعة الثامنة مساء ، وغير ذلك فأنا لا أستقبل سوى أصدقائي الأعزاء أما صاحبك فأنا لم أسمع باسمه قبل الآن .

— ولكن يا صاحبة السمو إن الظروف التي أحاطت باختفائه غريبة وليس من المعقول أن إنسانًا مكونًا من لحم ودم وعظام يتغير ويصعد إلى السماء وقد بحثنا عنه في كل شبر من المارة فلم نثره له على أثر ولا أطمع في شيء سوى أن تسمحي لنا بالبحث هنا حتى يهدأ بالي وأطمئن أصدقائي الذين ينتظرونني في الطابق الأعلى ...

فصنحت الأميرة برهة ثم قالت :

— كما تشاء يا سير جاسبار . اقرعي الجرس يا آنا ليرافق جرابلنج السير جاسبار .

فشكر سليل الأميرة وتبع الخادم الذي أخذ

— يا إلهي . . لقد كان سليلًا عند ما رأيته

لآخر مرة

— أفهم ذلك فقد حدثني الورد في الساعة التاسعة من تليفونه فلا بد إذن من وجود أحد إما خرج أو دخل إلى المارة بعد الساعة التاسعة

— كلا يا سيدي ما عدا سكرتيرة الأميرة التي تخرج في مثل هذا الوقت من كل يوم لتزهر السكيتين الصنيرتين ، وكذلك أحد خدم الأميرة فقد خرج ليدخن سيجارة أمام الباب ولينتظر عودة الفتاة ، أما فيما عداها فلم يدخل أو يخرج أحد من الساعة السابعة . وفي رأيي أن مستر كارترايت ألقى بنفسه من نافذة أو هبط إلى مسكن الأميرة .

— سترى ذلك فأرجو لا تنادر غرفتك

حتى آذن لك .

ثم صعد سليل إلى رفاقه وقال : إنه لم يبق إذن سوى البحث في مسكن الأميرة فقاطعه الورد :

— من الصعب أن تفعل ذلك يا سليل إذ كيف تطرق باب سيدة في مثل هذا الظرف والساعة الحادية عشرة مساء .

وأحسن سليل وهو هبط إلى مسكن الأميرة أنه يقترب من حل هذه المشكلة الدقيقة وعند ما ضغط بأصبعه على زر الجرس انفرج الباب عن خادم وقور فسأله :

— هل سمو الأميرة موجودة ؟

— نعم يا سيدي ، ولكنها لا تستقبل أحدًا

في مثل هذه الساعة من الليل .

— إن الأمر أم مما تظن فأرجو أن تقدم إليها

بطاقتي هذه :

— قبل أن تقدم على أى مناصرة لتأكد من أن هذه الورقة هى الناقصة فهل مع أحد منكم المشرة الدينارى ؟

— كلا !

— حسن . إذن فقد كانت هذه الورقة ضمن أوراق كارترايت وما احتفظ بها إلا سهواً أو ليبيت بها فى طريقه . . . وقد وجدتها مطوية بمجلة طليات على منضدة الأميرة

فقال اللورد مينشجهم :

— ولماذا دخل هذا الأحمق عند الأميرة وغاب لديها إلى هذا الوقت ... هل وجدته ؟

— كلا .. لم أترك شبراً فى مسكنها إلا وبحيث فيه كما أكدت الأميرة أن أحداً لم يدخل عندها هذه الليلة ، فإين إذن اختفى وشهادة البواب تثبت أنه لم يخرج من الباب

فقال جورج بریت :

— لعله قفز من النافذة ...

— إتنا فى الطابق الثالث والشارع مرصوف - ولو فعل لدقت عنقه ... وعلى كل حال لنحرب هذه الفكرة . وهبط الأربعة إلى الطريق العام بعد أن طلب سلين من خادم المصعد أن لا يسمح لأحد مهما كان بالدخول أو الخروج من البهارة

ورافق سلين البواب فطافا حول البيت يبحثان عن أى أثر يؤيد شكوكهما دون أن يوفقا وكان الضوء ينبعث من نوافذ مسكن الأميرة فسأل البواب :

— نوافذ من تلك التى تحت نوافذ الأميرة ؟

— إنها نوافذ مستر ميشايل تاجر الفراء والمعاديات ... وهو رجل ضخم الجثة مرسل اللحية برأس عدة موظفين ...

يطوف به غرف السكن ابتداء من خدع الأميرة ، وغرفة الزينة دون أن يقف على أثر يدل على زيارة كارترايت هذا المكان ، وأخيراً قال جرابلنج :

— لم يبق يا سيدى مكان لم تره .

فنفذه سلين بورقة مالية ثم عاد به إلى قاعة جلوس الأميرة التى ابتدرته قائلة :

— لأعتقد أنك وجدت صديقك ياسير جاسبار غريباً تحت فراشى أو فى خزانة ثيابى !

وتصرج وجه سلين بحمرة الحجل ، ثم كرد شكره للأميرة على سماحها له بالتفتيش فى مسكنها ثم قبل يدها وحيا السكرتيرة وتأهب للانصراف بينما قالت ربة البيت :

— أرجو ألا تكون هذه آخر مرة ترونى فيها ياسير جاسبار .

— سأفعل دون شك يا صاحبة السمو .

وبينا هو فى طريقه إلى باب الخروج لمح شيئاً على منضدة صغيرة فتقدم منها وراح يتظاهر بأنه يشتم باقة الزهر الموضوعة عليها بينما تناول ذلك الشيء ، وأخفاه دون أن يراه أحد لأن جسمه كان حائلاً بين المنضدة وقاعة الجلوس التى فيها الأميرة والسكرتيرة وصعد سلين إلى رفاقه وقبل أن يسأله عما فعل ابتدرهم قائلاً :

— ليمد كل منكم أوراق لبيه

فقبلت الدهشة ألسنتهم ولكنهم أطاعوه فإذا مع كل ثلاث عشرة ورقة بينما عد سلين الأوراق التى تركها كارترايت على المنضدة الجاورة للتليفون فإذا هى اثنتا عشرة ورقة ، وهنا أخرج من جيبه الشيء الذى وجدته على منضدة الأميرة فإذا هو الورقة الثالثة عشرة ، ثم قال :

ثم التفت إلى البواب قائلاً: احتفظ بهذه الفتاة
ربما أحدثت بالتليفون

وحاولت الفتاة أن تصيح لولا أن وضع الرجل
يده على فيها ، بينما طلب سليم سكوتلانديارد وطلب
حضور المفتش ستمبسون مع أربعة من رجاله ، فلم
تض عشر دقائق حتى كانوا جميعاً في كمنجنهام
مانشون ، وسرد عليهم سليم قصة اختفاء كارتريت
وعندئذ قال المفتش :

- لقد أمانا اليوم تقرير عن المدعو ميشايل
تاجر الفراء

فالتفت سليم إلى البواب قائلاً : أعط حضرة
المفتش المفاتيح الاحتياطية ودع الآنسة تنزه كلبها
وما إن فصل حتى قال المفتش :

- إننا سنهاجم عصابة قوية فأرجو أن يتكرم
أصدقاؤك بالابتعاد

ولكن اللورد ورققاؤه أبوا إلا المسكت ،
ففتح المفتش باب تاجر الفراء وأشعل الضوء الكهربائي
فوجدوا أنفسهم في ردهة مليئة بأنغز أنواع الفراء ،
وعندئذ سطع ضوء في إحدى الغرف المظلمة على الردهة
ثم انطلقاً ، فطلب سليم من المفتش أن يرسل اثنين
من رجاله الأشداء لحراسة البهارة من الخارج فقبل
ثم تقدموا جميعاً إلى الغرفة التي انبث منها الضوء
ولكن بابها كان موصداً ففتحه بالمفتاح الاحتياطي
ثم دلف إليها شاهراً مسدسه ، ولشد ما دهش عند
ما وجد أن المكان خال إلا من روني كارتريت وقد
شد وثاقه في مقعد ضخم وتدل من السقف
سلم من الجبال النظيفة وما كاد روني يرى أصدقاؤه
حتى صاح :

واتجه سليم إلى اللورد سائلًا عما إذا كان
يمتلك سلاحاً ومصباحاً كهربائياً ، فدهش أصدقاؤه
بينما أتى اللورد بما يريده سليم الذي قال :

- في استطاعتكم أن تهبطوا معي لاختلاس
السمع خلف باب مكتب مستر ميشايل ، فإن لم نسمع
شيئاً فقد عجزنا عن الاهتداء إلى صديقنا كارتريت
وعند ما صاروا أمام الباب تقدم سليم وراح
يصيح بأذنه من ثقب المفتاح ، وبعد برهة أصادت
عيناه يبريق غريب وأشار لرفاقه بالهبوط إلى غرفة
البواب وأعطاه مسدساً وأمره بأن يحذر من
خروج أحد من البهارة بينما يتصل هو بقسم
البوليس ... وعند عودته سمع رنين جرس المصعد
فناد يسأل البواب :

- من ذا الذي يطلب المصعد ليخرج في هذه
الآونة من الليل ؟

- لا أدري يا سيدي

وصعد الخادم بالمصعد ثم لما لبث أن هبط وفي داخله
مدموازيل أنا سكرتيرة الأميرة وهي تحمل السكب
الصغير على يدها ، فاعترضها سليم قائلاً :

- آسف يا سيدتي فليس الوقت مناسباً لنزعه
السكب فضلاً عن أنك خرجت به قبل الآن
فالتفت الفتاة عليه نظرة احتقار وأجابت :

- إنني أخرج به جملة صرات كل ليلة ولولا
زيارتك المتأخرة لكنت ...

فقاطعها سليم :

- آسف يا سيدتي ، فليست نزهة السكب

بالأمر الهام

مسكن الأميرة الروسية لمقابل مندوب وزارة الخارجية عندها ... وما كنت أقبل يد الأميرة حتى هم على الطاعى وكان ما تعرفونه

وعند ما سأل سلين وزير الخارجية عما تم في أمر هؤلاء الجواسيس أجابه :

— خشنا أن نأقدهم فنحنأ عن ذلك أزمة دولية فاكفينا بنفهم جميعاً وأرجو ألا يصل خبر هذه الحادثة إلى الصحف حتى لا ينقلب علينا الرأى العام وسأل كارترائت سلين : كيف أمكنه أن يلم السكان الذى سجن فيه عند الأميرة ، فقال وهو يضحك :

— عرفته بشورى على ورقة اللعب الثالثة عشرة يا صديق ! عزت السيد ابهامهم

— إن هذا السلم الذى وصل إلى مطبخ الأميرة وقد صعد الطاعى اللين مع ميشال منذ برهة ... هيا قبل أن يلوذوا مع عصبتهم بالفرار ... إنهم جواسيس ملاعين

وفى مساء اليوم التالى كان السيد جاسبار مدعواً مع أصدقائه فى الحفيل الذى أقامه وزير الخارجية اعترافاً بجميعله حيث قال :

— إن الحكومة يا مستر جاسبار عاجزة عن شكرك لشكرك من القبض على هذه العصابة بمد أن فشل رجال بوليسنا فى تعقب أثرها ، ولم نكن نظن فى يوم من الأيام أن الأميرة الروسية ماديزويل مندججة فيها ، بل كنا نعلم أنها فرت من روسيا بأموالها بمد أن ادعت أنها من مؤيدى الثورة ، ثم تغير اعتقادها فاعتقت البلشفية ظانة أنها تفيد بلادها فأخذت توافى حكومة موسكو بتقاريرها السرية حتى حدثت هذه الحادثة الأخيرة التى تعرفها من كارترائت

فقال سلين : ولكن كارترائت لم يذكر لى شيئاً عنها

— هناك باخرة تمخر عباب بحر المانش وعلى ظهرها مليون من الذهب الروسى وقد بذل معتقو البلشفية هنا جهدهم كي يحصلوا على ما اعترمته حكومتنا من أمر ضبطها ، وكان كارترائت هو الرجل الوحيد الذى يعرف ذلك فنصب البلشفيون هذا الفخ لاصطياده وانزعاع المعلومات منه .

وقال كارترائت يروى ماحدث له : عند ما طلبت إلى التليفون خاطبني شخص وقال لى كلمة للورود السرية الخاصة بوزارة الخارجية وهى « إنك مطلوب » حالاً « فأنهت أوامره التى كانت تقضى بالمحيط إلى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالوثنامة الثانية

ص

٥٠٠ السنة الأولى فى مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

فراراً من ذلك المار... لقد
حلت النكبة... فالأحرى بهم
أن يلبثوا في علمهم وألا
يذهبوا بعيداً، وأن يصمدوا
للأرزاء حتى تخف وتلين
قناتها...»

ولم تلبث نفس الصحيفة

أن طلعت على القراء بعد يومين بخطاب خارجي موجه
إلى حنا ومارغريت رئيسي الأسرة المنكوبة، وكان
هذا نصه:

عزيزتي مارغريت... عزيزي حنا

ما أشد الشبه بين موقفكم الآن بعد نكبتكم
وآخر وقفته أسرق لمشر سنتين خلت! وسأقص
عليكم حادثنا مفصلاً على قدر إمكانية أمله أن يجيدوا
فيه عزاء لمصابكم وسلواناً:

كان عدد أفراد أسرتنا مطابقاً تمام الانطباق
لأفراد أسركم: أب وأم وثلاث بنات كبار وابن
صغير، وقد كان الأخ: علي أي حال أصغرنا سنًا
وأنا أليه في الكبر.

عشنا في بلدة لا تقاس بمدنيتكم، فقد كانت
صغيرة الحجم ولا يربو عدد سكانها على ستة آلاف
شخص، وفي مثل هذه البلدة يتندر ألا يكون
شخص ملأً بأسماء باقٍ الأشخاص وأحوالهم،
وعلى ذلك كنا معروفين من السكان جميعاً...
وهذا وحده كافٍ لجليل فضيحتنا أشد من أن نتحمل

نصيحة...!

مترجمة عن مجلة "تروستوري"
بمعلم السيدنا صرغريز

طلعت إحدى الصحف الصادرة في (أمريكا)
ذات يوم على القراء وفي إحدى زواياها نبأ مؤلم تحت
عنوان: «خطب عالي» وهذا نصه:

هناك أسرة تتألف من الأب (حنا)
وزوجته (مارغريت) وأطفالها الأربعة. وقد كانت
إلى عهد قريب أسرة سعيدة هائلة؛ ولكن الدهر
يأتي أن يبق على سعادة أو يديم سروراً

فقد هربت ابنة حنا الكبرى بصحبة رجل
متزوج لكي تعيش معه. وكم كان وقع هذه
المصيبة على هذه الأسرة العظيمة! لقد أصبح أعضاؤها
نهب الأمى والغم، وشعروا بالتحلل بقمهم وانخرى
يحيط بهم فسحبوا أنفسهم من المجتمعات وأصبحوا
عن أصدقائهم بمنزل

ثم أوعزت (مارغريت) إلى (حنا) أن يبيع
حائوته بنية الرحيل إلى مدينة نائية حيث لا صلة
لأحد بهم ولا علم له بمارم

ولكن حنا... كان من رأيها أنه ليس لجرم فضيحة
فرد من أفراد الأسرة يهيم الباقون على وجوههم

من المعلوم أن الخطب يشتد وقمة على المرء كلما عظم شأنه ، وتعالى قدره ! فن البديهي أن يعظم في نظرنا ما نزل بنا ، ونحن أسرة ألفت المجتمعات ، وربطها التقاليد الدينية السائدة ، فكان أفرادها في الكنيسة أعضاء عاملين !

أنهت تحصيلي العالي في الكلية وأنا مشرفة على الحادية والعشرين ... وسرعان ما شملت وظيفة تدريسية شاعرة في مدرسة محلية ...

أما أختي سوزان فلم تدرس سوى سنتين فقط في البدء ... لم تكن نفلن أننا سنقع في فضيحة ... أما الآن وقد حلت الكارثة وأصابنا

القدر بهمه الصائب فقد حجبنا أنفسنا عن جميع الناس ... حتى عن أصدقائنا القدماء ! ولا تسألني عمادى أختي وأختي الصغرى أثناء تنقلهما في المدارس الجديدة لتلقى العلم ، من ألم وكبد ... !

وقد دار بخلدنا أخيراً أن مواجهة الصدمة في علنا ليس في قدرتنا ، فاعتزمتنا الرحيل ... وكان علينا قبل تنفيذ فكرتنا أن نعمل أشياء كثيرة بسرعة متناهية ... لذلك ألحنا على الوالد أن يترك شغله دون أن يتقاضى لقاء خدماته الطويلة شيئاً ! غير أنه كان قد ادخر من شغله قليلاً من المال كان خير عون لنا بعد أن تنكر لنا الدهر ، فصممنا على تشييد دار جديدة لنا ... بعيداً جداً ... حيث لا يعرفنا أحد

ولم يواننا الحظ في بيع دارنا (وهل لي أن أقول إننا ذوو حظ ؟) ، فإنا لم نجد لها شارباً فتركناها خاوية ! ...

تركنا دارنا بعد أن أدبر عنا الحظ ، فاصدين بلداً

لميسر سنوات مضت ... بدأت أختي الكبرى المشرفة على الثالثة والعشرين تماشى رجلاً متزوجاً ولم يمض طويلاً وقت حتى عرف الجميع ذلك ولم نكن لنذكر ما سيقب ذلك حتى نزلت المصيبة !

فقد أعلنت جهراً أنها عازمة على الذهاب بصحبة الرجل المتزوج للميشة معه ... وتركت البيت فمكأثر تصرعها ومحبته حيث أخذنا في التنقل من محل لأخر كما كانت تستدعيه لذلك أعماله ... ولكنهما كثيراً ما قصدا بلدنا في عطلة آخر الأسبوع أو في المطل الأخرى ...

وما كاد يطرق سمع زوجة الرجل علاقته بأختي حتى طلبت الطلاق على الفور ... وقد أجيب مطلبها في الوقت المناسب وعلى أثر ذلك اقترن الرجل بأختي (سوزان) وعاشا في بيته رغم قضاهما جل الأوقات في السفر والتنقل

وهكذا ... ضربت أختي سوزان رقماً قياسياً في الوقاحة إذ ذهبت تنهل السعادة من أحضان زوجها وخلفتنا نحرق الأدم وتندب حظنا المأثر ... وزوجو بأزوائنا أنما لم نلقنا الكوم !

كان أبي يشغل في معمل إعداد اللوازم الحديدية ، وكان يظهر عليه أنه قادر على تجميل بيته وتجهيزه وإدخال ضروب اللو والترف إلى أسرته ...

وقد أنهى بصحبة أمي الشطر الأكبر من عمره في المدن ... فأصبحت بذلك ذوى صلة بكثير من الأصدقاء

ولم نعد ترى ابتسامته القديمة المشرقة : تلك الابتسامة التي طالما علت شفثتي فأسكرتنا بهجة ورضى

وأخيراً ... حدث الأمر الذي لا مفر منه !
 مهما أردت التخلص من شيء بهروبك منه وجدت ذلك الشيء مندفعاً نحوك اندفاع السهم ، لا يوقه عن مواجهتك عائق خصوصاً إذا كان في الأمر فضيحة

فقد قذفت الأقدار إلى قريتنا شاباً جاء من مدينتنا القديمة لقضاء عطلة عيد الفصح فيها، ويشاء حظنا المار أن يلعب أخى (بوب) في الطريق وأن يمره على النوراء ولم يأل جهداً في استقصاء أخبارنا فلم أنى أشغل وظيفة تدريسية، وهنا تأتي بقية القصة رجعت إلى وظيفتي بعد انقضاء العيد، ولكني لم أكّد أخطو فيها حتى لمست في الجو تكهرباً .
 وقلنا خطأ شعور الإنسان إذا ما لبث أن كشفت سر ذلك التكهرب، فقد أخطرتني المدرسة باستقنائها عن خدماتي منذ الآن !

يا لله ! أيا لحظ التحصن البائس أينما حل ! ماذا ترائي فاعلة بعد هذا اللصاب ؟ ولم يبق لدى شك في أن حالة والدتي الصحية سترداد رداة وخطورة عما كانت عليه في السنة الماضية . وظهر لدينا جلياً أن سمحابة اليأس والقنوط مشوكة أن تظلنا جميعاً ولم يكن في وسعنا بعد الآن غير السفر ثانية إلى بلدة أخرى نلتصم فيها بالاستقرار والصحة . فصارنا فلاك وحيد والدتي الأقدار على أنها لم تربطه الآن بممل آخر ليضحى ثانية به .

ألقت السفينة مراسها في مدينة تناثرت المصانع في أرجائها، وتمالت سحب الدخان من أفواه الدخان

بعيداً نأمن به شر المار... وأخيراً أشرطنا على قرية من ... الصغيرة النائية فنشنا فيها ، وكانت هذه القرية واقعة في الشمال ، وقد تيسر لي الحصول على وظيفة تدريسية فيها .

دعنا سبتمبر ونحن في مقرنا الجديد ، وقد عثر والذي على شغل ولو أنه لم يكن رافياً فيه ...

وكان من المنتظر أن نكون فرحين بعد عثورنا على مورد معيشتنا ، ولكن في الحقيقة لم تكن كذلك ! فقد غدت والدتي مريضة قانطة، ولم تكن تقدر أنها ستشعر بكل هذه الآلام حتى كانت تحتنا على الرحيل ، وقد كان عجيباً حقاً أن تشمر بأى ألم بعد انتقالنا إلى عشنا الجديد تاركين مهد الفضيحة وراءنا بعيداً، ولكن لعل ذلك راجع إلى انقطاعها عن الأصدقاء القدماء ... الأصدقاء الذين تربطنا بهم رابطة الصداقة المتينة التي يرجع عدها إلى زمن الطفولة ، وقد أحس والذي أيضاً بهذه الحسارة برغم أننا لم نعدم أصدقاء عديدين في محلنا الجديد، ولكن ما أشد تباين الصداقتين !

والآن ، لأبسط لكم حالنا .. لقد زمني المرض والقلق ، وكان هذا حال أخى الصغرى ، وأخى بوب المشرق على الخامسة عشرة !

وسوف لا أطيل الكلام حول تلك السنة التي قضيناها في قرية من ... وإنما يكفي أن أقول إن والدتي ضمعضها المرض طوال الشتاء ، وزممتني السكابة مع أخى وأخى

أما والذي فبالرغم من تركه العمل لم يكن يشكو شيئاً ، ولكن ظهر عليه أنه يتقدم في العمر بسرعة

تحرك الحب الأسمى وهو أقوى صلة وأعظم
رابطة على سطح الأرض !

من الجائر أن والدتي قد ظنت في وقت من
الأوقات — بسبب الفضيحة — أنها قطعت تلك
الرابطة وأسقطت ابنها من حسابها ، ولكن ...
ولكن صرخة الطفل وقت الكرب يجب أن تلي !
وهكذا كانت ... فقد قرر والدي ووالدتي
الذهاب لرؤية سوزان ، ولم يمكن تركهما يذهبان
دون أن أرافقهما ... فقد كانت محبة والدتي
متضمنة وخشيت أن تصبح السفرة ولقاء الجرعة
وبالآ عليها ، لذلك صحبتهما

لا أنسى قط نظرة الارتباب المشوبة بالفرح
التي ظهرت على وجه سوزان المذبة عند ما فتحت
عينها فأبصرت والدتها واقفة بجانب سريرها !

كانت لحظة عنيفة خالدة ... أنت على جميع
ما حمل قلب والدتي من الأحقاد التي ولدتها السنتان
الخاليتان ! لقد أجهشت في البكاء ، وأخذت دموعي
نهمل على خدي ... وفي نفس الوقت تمسكتني
الدهشة وعراني الدهول لما أبصرت من قدرة والدتي
على التجلد وحبس الدموع في ذلك الموقف المائل !
والدتي التي كانت آثار المرض : مرض الجسم
والنفس ، ظاهرة على قمبات وجهها بجلاء ووضوح !
مضت بضعة أيام كانت حياة أختي سوزان
خلالها معلقة في الزنزان ، ولكن والدتي لم تدع
للأس إلى نفسها سبيلاً . وأخيراً ... أخذ الخطر
يزول تدريجياً حتى أيقننا أن سوزان لن تلبث طويلاً
أن تنافي !

كثيفة قاتمة ... فنزلنا في تلك المدينة مصممين
على السكنى فيها .

وبعد أيام أسعفني الحظ بالشور على وظيفة
تدريسية في (مدينة المصانع) ... وكان لرئيسي
القديم الفضل الأكبر في إيجادها لي .

أما أختي وأخي فقد شغلا وظيفتين في حانوتين
صغيرين ، فقد كان من المسير جداً العثور
على وظائف حسنة في ذلك الوقت . وكانت الحاجة
أيضاً هي التي دفعتهما لهذا الشغل التافه الأجرة .
وقد كان الشتاء التالي من أشد أيام حياتنا
إذ لم يكن يتنا مريحاً كالبيوت التي أكثريناها
سابقاً ... ولم يشأ والدي أن يتورط في شغل آخر
بعد الآن !

انصرم الشتاء وأقبل الربيع بإشراقه ، وعبير
أزهاره ، وسحر جماله ، حاملاً تحت طياته نبأ خطيراً
فقد وافقنا الأبناء بمحاول كارثة صروعة شتت
شمل أختي سوزان وبعلمها ... ومفاد تلك الأخبار
أن السيارة التي كانا يسوقانها انقلبت فقتل الزوج
شر قتلة ، وأصيبت سوزان بجراح خطيرة نقلت
على أثرها إلى المستشفى وهي بين الحياة والموت !
هل تحسبان أننا فكرنا يوماً في الذهاب إليها !
نحن كثيراً ما دعونا وابتلنا لو أنها ماتت ،
إذاً لكان ذلك أولى من أن نجلب لأسرتنا تلك
الفضيحة !

أما الآن ... وهي بين برائن الموت ... فهل
في الإمكان تكرارها ؟ !

وكأننا الأقدار أشفقت عليها مما حلّ بها ففقت
أمنيتها ! فقد أمكنها من تكوين شخصية محبوبة
لا تمت لشخصيتها الأولى بسبب . فقد أحبا الناس
لبشاشتها ورقتها وعذبها على الفقراء وطول باعها
في العمل ! ثم أخذت بين مدة وأخرى تزورنا فبرهنت
بذلك على توبتها واستقامتها !

وأخيراً تزوجت منذ خمس سنوات وسبقني أختي
الصغرى في زواجها بسنة واحدة ، وعشنا سعيدين
بالقرب من والدينا . وبفضل إقسام الحظ وزوال
التجهم أصبح والدي قادراً على المساهمة في الشركة
التي كان بها عاملاً من قبل . ولم تلبث الشركة أن
أصبحت تحت إدارته الحازمة حيث لاقت نجاحاً باهراً
فاتمت أعمالها وعظمت شهرتها !

أما والدي فقد استرجعت سرورها وبشرها ،
ولم يمد يلقها المرض ثانية ، ولم يزل أخي بوب في عمله
مثال النشاط والإقدام !

فلأجل ذلك ... أحب أن أمس في أذنك
يا عزيزي حنا ألا تضحي بمملك وبمجهوداتك التي
بذلها في أحسن سعي حياتك متشبهاً بالأمل الواسع ،
الأمل في إيجاد سلة عن انطباع بذهابك إلى
عمل ناء عن بلدك ؛ فقد علمتنا التجارب القاسية
أنا لا تقدر على الإفلات من المه أو الهزب من
المتاعب ، ووجدنا أن الأجدد بنا مواجهتها في
الحل الذي وقت فيه ، إذ يظهر أن تلك المصيبة
تلاحق الشخص إلى أقاصي المصيبة !

وفي نفس الوقت... أحرص على توطيد علاقاتنا

كنا أثناء زيارتنا سوزان قد استأجرنا غرفة
في إحدى المنازل ، فقصداً أصدقاء كثيرين ليمروا
عن سرورهم بشقاء سوزان

لماذا لا ترجعون للعيشة في منزلكم ؟ لماذا بالله؟
كان هذا السؤال يتردد على ألسنة جميع أصدقائنا
وقد أسمعونا إياه أكثر من مرة . حقاً .. لقد خطرت
لنا نفس الفكرة حيناً ثم أخذت في النمو ... لماذا
لا نرجع إلى منزلنا الذي لا زلنا نملكه ... ؟ لماذا
لا نهرع إليه في التو واللحظة بعد كل ما حدث !
ولم يلبث الخاطر أن يمت إلى العمل وتحقيق .
فقد رجعنا إلى منزلنا في البلدة ، وقفلت راجمة
لأنه أجل تعليمي في (مدينة الصناع) ... وبعد
ذلك قصدت دارنا في ولاية حيث كانت في انتظارى
وظيفة تدرسية ... نفس الوظيفة التي أسندت إلى
قبل فرارنا بستين ؟

لشد ما يتبدل الأحوال ! فقد وجدنا بعد
رجوعنا إلى منزلنا القديم في بلدنا أن المار القديم
قد طمست معالمه وتطرق إليه النسيان فقد كانت
الستان اللتان احتجبتا فيهما كفيلتين بتخفيف
وطء المار القديم ، وتقليل تأثيره . أما نحن فنأدرك
ما كنا نفكر فيه

دخلت سوزان على أثر شفائها المستشفى للتدرب
على التمريض ، وقد رعت في عملها فأرسلت إلى مدينة
ناحية لتقوم بمعلمها كمرضة ؛ ولا زالت إلى الآن
تمارس مهنتها بمجد ونشاط . ولم يكن يؤرقها ويشغل
فكرها سوى شيء واحد : ذلك هو طارها القديم !
آه لو أمكن اندثاره ونسيانه ، إذا لماشت

سعيدة هائلة !

مع الأصدقاء ، فأنهم عند الشدة درع حصين ،
وخير معوان على درء الكوارث أو إضعافها !
إبه مارغربت المزمة ... لقد أطلتكم على
فستنا ولا شك أنك قد ظفرت بحقيقة لا شك فيها ،
ذلك أن الزمن كفيل بإزالة القسم الأكبر من الشقاء
والبؤس ... وعما قريب سيوانتكم الحظ قسمدون !
أنا لا أنكر أن ملاقاتكم ما زل بكم في مدينتكم
يفتقر إلى شجاعة في البدء ... ولكن ذلك خير
لكم من الفرار إلى بلد آخر مادامت المصائب
تلاحق الإنسان أينما ذهب أو حل !
وفي النهاية ... أختم كلمتي هذه بيسمة أبيات
اقتطعتها من قصيدة صغيرة طلالا وجدت الراحة

في ترديدها أثناء ما حل بنا وهي :
عند بلوغك أخطر نقطة في حياتك ،
يجب عليك مواصلة سميك برغم كل الصعوبات
إذ لا سبيل لرجوعك إلى الوراء أو إلى أي
جهة أخرى .
وليس لك سوى السير حثيثاً إلى الأمام ،
فإن الفياجير لن تلبث أن تبدد ، والعاصفة
الماتية عن قريب ستزول .
والله على إراحتك خير معوان ونصير !
الخطبة : س . ب . س
« البصرة » ناصر هزيم منصور
مدرس بمدرسة الشار الابتدائية

المجموعة الأولى

للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى
المصر لموسيه ، والأديسة لهوميروس ، ومذكرات
نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات
كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعات
ومتنوعة .

الثنى ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

كتاب النقد التحليلي

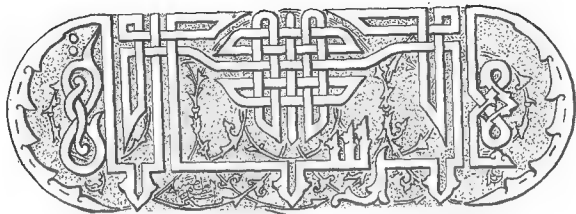
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

هو أول كتاب في اللغة العربية عالم النقد الأدبي
بالطرق العلمية المؤدية ، والمقاييس المنطقية المنتجة .
بناء المؤلف على نقد كتاب (في الأدب الجاهلي)
للدكتور طه حسين ، ولكنه استطرد لدرس مسائل
مهمة في قواعد النقد وأصول الأدب ومناهج البحث
حتى جاء الكتاب مرجحاً في هذا الباب ونموذجاً
في هذا الفن . وهو في الوقت نفسه يغني القارئ
عن كتاب (في الأدب الجاهلي) لأنه تلخصه تلخيصاً
واظفاً .

يبلغ في ٣٢٦ صفحة من القطع المتوسط

ومنه ١٢ قرشاً خلاف أجرة البريد

ويطلب من إدارة الرسالة



مَجَلَّةُ الْأَدَابِ الرَّفِيعَةِ وَالثَّقَافَةِ الْعَالِيَةِ
تَصِلُ الْمَاضِيَ بِالْحَاضِرِ وَتَرْبُطُ الشَّرْقَ بِالْغَرْبِ
عَلَى هُدًى وَبَصِيرَةٍ

الرِّسَالَةُ تُعَبِّرُ بِإِخْلَاصٍ عَنْ رُوحِ النُّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَجْمَعُ عَلَى وَحْدَةٍ الثَّقَافَةَ أَبْنَاءَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَصَوِّرُ مَظَاهِرَ الْعُبُقِيَّةِ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَسْجِلُ مَظَاهِرَ التَّجْدِيدِ فِي الْأَدَابِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَحْيُو فِي النُّشْءِ أَسَالِيبَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
الرِّسَالَةُ تَرَصِّدُ ظَوَاهِرَ النُّطُورِ فِي الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْمُوعَةُ أَعْدَادِهَا دِيَوَانُ الْعَرَبِ الْمَشْرِقِيِّ ، وَكِنَايَةُ الشَّرْقِ
الْجَدِيدِ ، وَسَجِلُ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ ، وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ عَامَّةِ

الاشتراك في الدخول سنون قرناً ، والمناجى ما يصادى جنبها مصرى ، وللبعدا العربية بمضمون ٢٠٪



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشئول
أحمد حسن الزيات

بيل ابول شتراك عمو سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في المالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

أنودارة

دار الرسالة بشارع الببدولى رقم ٣٤
بابين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

المرورية

مجلة أسبوعية للفصحى والبريد

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — أول بولية سنة ١٩٣٩

العدد ٥٩

من أحسن القصص



فهرس العدد



٦١٨	حياة الفصحى	... أنصوبة مصرية يعلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٦٢٣	وعيتها حياة ثانية	... عن الإنجليزية يعلم الأستاذ عبد الحيد حمدي ...
٦٤٢	الأب	... لكاتب الأثنائي ولم شبتون يعلم الدكتور على حبيب ...
٦٥٢	إشراء الشيطان لآدم وحواء	... من الأدب الفرنسي يعلم الأديب محمود الرصني ...
٦٥٧	عابد الشمس	... أنصوبة مصرية يعلم الألسة جيلة اللايل ...
٦٦٦	الطائر الأزرق	... لكاتب الأسباني روين داريو يعلم الأديب شكري محمد عباد ...
٦٦٩	جندي قبل الاعلام	... عن الإنجليزية يعلم الأديب مصطفى صبي ...

حَيَاةُ الْغَيْبِ

أَقْصُوصٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَسَاذِ نَجِيبِ حَفُوفِ

فأزاح الجريدة من وجهه
ونظر إلى حديقة البيت المجاورة
نظرة التمع فيها الاتهام فرأى
وجهاً مشرقاً يزور إليه بعينين
سوداوين صافيتين يطالعه
بالبراءة والحسن ، فأحس
إحساس الحزان هب عليه نسيم

بارد ممطر بالياسمين ورد تحيتها قائلاً :

— أهلاً بالآنسة سمارا !

فانقسمت إليه ووقفت تلاعب كلبها الأبيض
الصغير . كانت في السادسة عشرة ، يتجاذب وجهها
الصباح وقدما المشوق براءة الصبا وأتونة الشباب
وأشار إلى كلبها وسألها :

— كيف هو اليوم ؟

— تم شفاؤه ... الحمد لله ...

فضحك قائلاً :

— لعل هواء الأسكندرية لم يوافق مزاجه ؟ !

— على العكس كان يبدو على الشاطئ والدنيا

لا تسعه من الفرح ...

فنظر إلى وجهها الذي كسا الشاطئ بياضه
حمرة كأنه خمسه في الشفق وقال بركة :

— لقد اكتسبت بشرة جديدة يا سمارا !

فاستضحكت ، وعدا الكلب في تلك اللحظة .

فولته ظهرها وعدت وراءه ...

وبدا عليه تثير ظاهراً ، ففاضت من عينيه نظرة
الجد والرزانة وخلفتها نظرة حنان وأحلام ، وطاب له
أن يحتل منها نظرات طويلة سعيدة ، فشاهدها ،
وهي تجلس إلى الكرسي ، وتنحنى لتلاعب كلبها
الصغير ، وجعلت أناملها تنخل شعره الأبيض

ساعة الأصيل هي الساعة المثارة التي يهبط
فيها عبد الرحمن أفندي إلى حديقة البيت الصغيرة
وهي عادة التي يلازمها أو التي تلازمه أغلب شهور
السنة ، لأنه من القلة النادرة التي لا ترتفع إلى ترك
البيت إلا لعمل أو ضرورة . وقد زل إلى الحديقة
ذلك اليوم من أيام سبتمبر المتدلة ، وأتى عليها
النظرة المهودة ، وتمشى بين طرقاتها للتوية يسرح
بصره بين شجيرات الورد وأصص الزهور ، ثم
جلس على أركبة على كتب من السور المقام من
الأسلاك الشائكة الذي يفصل بين حديقة بيته
وحديقة البيت المجاور ، وبسط جريدة من جرائد
المساء كانت مطوية تحت إبطه ومضى يطالع ...

وكان في مشيته كما كان في جلسته آية للرزاة ؟
فمن كان يراه لا يشك لحظة في أنه بإزاء رب بيت
وعايل أسرة ؛ فركانه وإيمانه تترن دائماً بالهدوء
والإتزان ، ونظرة عينيه تلوح فيها الرزانة والرجولة
والمسؤولية ، ورأسه الكبير وشارب النزر يدلان على
أنه ابن أربعين وإن كان في الحقيقة لم يجاوز
الخامسة والثلاثين إلا بشهور قليلة . وكان مستغرقاً
في مطالعته حين استيقظ فجأة على صوت رقيق يهتف
به قائلاً :

— سميدة يا عمي ...

من الجلس الثاني التي رمت بها الأقدار في عزلة القاسية ... تقرب الحب إلى قلبه خفية ، في أناة وهدهد ، وبلا قصد وأحزن تسرب الكرى إلى أجفان حالم مستسلم إلى هبات النسيم اللطيفة في جلسة طويلة هادئة على شاطئ النيل ...

وكان في أول عهده بها يتمتع بطفولها السعيدة ومجد فيها منفذاً لحنان صدره المكتوم ، فلما أن انقلب عاشقاً أنشبت فيه الحيرة أطرافها وحرمت التناعة السعيدة وصار يذب به كل شيء حتى طفلهما وحدهما ، لأنها كانت تقبل عليه براءة ولم تشر حياله شعور امرأة بأزاء رجل ، وقد حجبها مرأت بنظرات نفذ منها غيب الهوى فقرأ فلم تستجب له ولم تحس به وأصرت على أنه «عما العزيز» لا أقل ولا أكثر ! ما عسى أن يكون ردها لو طلب يدها ؟ ... كيف يكون شعورها ؟ ... وكيف تكون دهشتها ؟ ... وماذا تقول لأبيها ؟ ... وماذا تقول لنفسها ؟ ... وهل يمكن أن يراها بعد ذلك كما يراها الآن في حديثها وأن يتمتع برؤيتها مقبلة مبدية محدثة مداعبة أم ينقطع عهده بها إلى الأبد ؟

وهب أنه وجد من نفسه الشجاعة الكافية لأن يفتح أبوابها — صديقه العزيز — في هذا الشأن الخطير فما عسى أن يقول له ؟ ... ياله من قول عسير ... وفكر طويل ، ثم أغض عينيه وحدث نفسه وكأنه يحدث صديقه : «صديقي العزيز لقد جئت أحدثك في أمر خطير لم تكن تتوقع أن أحدثك فيه أبداً ، وربما لم أكن أتوقع ذلك أنا أيضاً ، ولست واثقاً من موافقتك ولا من أهليتي للطلب الذي أتقدم به ولكني لم أرد أن أضيع فرصة ذهبية لجرد توهي الإخفاق ... سيدي ... وصديقي ... »

ولم يتم حديثه لأن صوتاً عذبا أيقظه من حلمه قائلاً :

— أأنت ؟

فأثبه خافق القلب وقد تولاها ما يشبه الرعب ، وقال :

الطويل ، ومضى الكلب يلحق يدها مسروراً ويثب على ركبتيها وذنبه يرقص طرباً ، وفي أثناء ذلك تدلت خصلات شعرها الحريري وحامت حول عنقها وخديها ، وكان في مشاهدته سعيداً متبهجاً ، ولكن انقبض صدره فجأة ، فلوى رأسه ونظر إلى الأمام بعينين لا تريان شيئاً ، لأنه تذكر أن سلوكها نحوه لم يتغير منذ كانت تدرج في الطفولة والصبا ، وأنها ما تزال تناديه بقولها « عسى » كما كانت تفعل وهي صغيرة تلعب بالمراس ، وكان فيما مضى يفرح بهذا النداء ويمدد آية على ما له في نفسها ونفس أبيها من المودة والصداقة ، أما الآن فهو يضييق به ويتأذى منه ولا يكاد يسمعه حتى ينقبض صدره وتتولى عنه البسرة وأنجه بصره إليها مرة أخرى وتسامل — ولم يكن يفعل ذلك للمرة الأولى — أمن للمستحيل أن تصير سمارة زوجي يوماً من الأيام ؟

وهز رأسه في إنكار واستغراب كأن الفرض من المستحيلات حقاً ، ولكنه لم يسلم بلا جدال فتساءل مرة أخرى : ما وجه الاستحالة ؟ ... المرء ! ... فهو ابن ستة وثلاثين وهي بنت ستة عشر ، فعشرون عاماً تفصل بينهما وهو عمر طويل يدر «عمومته» لها فكيف يتأتى للهم أن يصير زوجاً وحييماً ؟! حقاً إن الكثيرين لا يعترفون بمقبة العمر ، ولا ينزلون عند حكمها ويذلونها بشير مبالاة ، ولكن لكل نصيحة من هذا القبيل ثمن ، فما عسى أن يكون الثمن الذي يذله لثل هذه النصيحة الغالية ؟ ... هو في الواقع ليس إلا موظفاً منسياً في وزارة الداخلية لا يتجاوز مرتبه خمسة عشر جنياً فلا مكانة له يعتد بها ، ولا مال له يسدل به على نقائصه متراً من الزوا والجلال ؟ ومع ذلك فهو يحبها ، ويدوله أنه لم يكن من جهاد به ، وكيف كانت تتاح له النجاة منه وقد كانت تنمو تحت بصره يوماً بعد يوم ستة عشر عاماً ؟ ... وكانت إلى ذلك الإنسانية الوحيدة

جلس الشاب إلى جانبه وقال :

— كان قصر المني أمس حافلاً بالحوادث المزعجة
ومضيت أغلب الليل أستقبل صرعى القضاء والقدر
وكان عبد الرحمن يرمق شقيقه وهو يتكلم
بمبتين سامعتين وعقله دائب على التفكير ... كان
ذا قلب كبير يفيض حناؤه ، فهو يحب شقيقه وقد
أمدّه هذا الحب الأخوي بالمون والصبر فرباه ورعاه
كما ربى أخوين له من قبل ، ولكن يداخله أحياناً
من ناحيته خوف وجفول وربما أكثر من ذلك ...
نم هي الحقيقة فهو يكرهه أحياناً وهو أشد ما يكون
كراهية له إذا جرى ذكر سمارا على لسانه ، فمجرد
نطقه لذلك الاسم الحبيب يؤذيه ويمدبه وتستحيل
هذه الكراهية المؤتحة مقتاً إذا وقمت عينا الفتى
عليها أو عيناها عليه كما حدث منذ حين قليل ...
على أن هذا لا يعني أن هذه الكراهية عاطفة ثابتة
فهي مجرد انفعال عنيف ، وغير ذلك فهو محبه ، وينظر
إلى مستقبله كشيء جميل من صنع قلبه وكده ، فأى
حيرة وأى عذاب ... ترى هل يفتن الشاب إلى
ما يحدثه في نفس شقيقه الأكبر من الشقاء ... ؟
كلا ... هو بلا شك لا يتصور أن مثله يمكن أن
يجب هذه الصبغة الجيلة !

وكان الدكتور الشاب يفكر في تلك اللحظة
من حياته السعيدة في أمور هامة فقال لأخيه :
— لئى أمور هامة أريد أن أفضى إليك بها
ولم يدعه قلبه الفلق يرتاح إلى هذه الرغبة فقال :
— إخلع ملاسك أولاً وارنح قليلاً ...
ولكن الشاب قال بإصرار :
— استمع لى أولاً يا أخى فإن حياتى في مفترق
الطرق ...

فسكت الرجل وأردف الشاب :

— سنتتحي بعد أشهر مدة تمرى كلبيب
امتياز في القصر وقد أخبرنى أستاذى الدكتور

— كلا ...

— مبذرة ... رأيتك منمض العنين ...

— كنت أفكر ...

— وفيه تفكر ؟

حلق في وجهها بمبتين حائرتين وتساءل بماذا
يجب ؟ ... أيقول لها فيك أنت ؟ ... ولكنها مجازفة
سابقة لأوانها ، فلأزم الصمت ، وأحس رغم ارتباطه
بإذنه سخرية لا تضطرا به أمام هذه الطفلة ، وكان يتم
النظر في عينيها السوداءين ، وصرت دقيقة على جوده ،
فشمس بسرائر تحدير للبدن ولم يد يد يرى إلا سواداً
جبيلاً ، ثم لاحظ تنمراً فجائياً يطرأ عليها ، فرأى
وجنتها تتوردان وشفتيها تفلقان ، وعينيها تتحولان
إلى هدف وراءه ... وشاهدها تفر نافرة إلى داخل
البيت ، ونظر خلفه دهشاً فرأى أخاه أنور يقف مبتسماً
ويعد له يده للسلام . وأحس بكآبة لم يد ما سبها
وخفق قلبه خفقان الخوف والخيبة ، ولكنه سلم
عليه مبتسماً وقال له : أهلاً كيف حالك يا دكتور ؟
فضحك الشاب وقال بصراحة :

— كم أنت سعيد يا أخى !

وأدرك ما يعنى من اتجاه بصره ولحجته ، وآله
ذلك غاية الألم ، ولكنه تجاهل الأمر وقال بإنكار :

— سعيد ؟

— طبعاً ، من يتحدث سمارا يبنى أن يكون سعيداً
فانتمس ابتسامة صفراء وقال لنفسه : إما أن هذا
الشاب خبيث ما كره ، وإما أنه غي لا يفقه لما يقول معنى .
ليس السعيد حقاً من محبة سمارا ولكنه من تحجل
من محادثته ومن يتورد وجهها حين رؤيته فلا تملك
إلا أن تفر هاربة . . . هذا هو السعيد حقاً . . .
أفلا يفهم ذلك هذا الشاب أم أنه يتنابى ويمكر ؟
على أنه كان يحرص على ألا يبدو عليه شيء مما
في نفسه ، فقال بغير تجرى الحديث :

— كيف كانت ليلتك بالأمس ؟

فمدني أن نذهب غداً إلى مقابلة والدها ولعل لا أصدم
هناك بما يجيب أُملي

— حسن .. ولكن ما الداعي إلى هذه السرعة؟
— لا بد من السرعة فليس أُملي سوى شهرور
قلائل يبين أن يم في أثنائها الاتفاق والاستعداد
للسفر إلى إنجلترا

ثم ضحك الشاب وقال وهو يهيم بالوقوف :
— ألا ترى أني سأضفي شهر المسلى خارج
القطر كالوجهاء ؟

فأقسم الرجل ، وجياها الشاب وذهب إلى داخل
البيت ...

وتيمته عيناه حتى غيبه الباب ثم عادتا تنظران
إلى الدنيا المحيطة نظرة ذاهلة لا تمي التفاصيل ،
فأحس إحساساً غامضاً بالسمره التي أخذت تشوب
الكون والسكون السارى في مفاصله ، وضاق بمجلسته
فقام يتمشى في الحديقة الصغيرة يائساً محزوناً غتتفكاً
ودار دورتين ثم رجع إلى الأريكة وارتوى عليها
بشيء من العنف كأنه يسلم إليها حظه التمس لاجسمه
التهلوك ...

ووجد في تلك اللحظة رغبة خفية قاهرة
في الفرار إلى الماضي ...

فطار خياله في الزمان عشرين عاماً في غمضة
عين إلى تلك الفترة من العمر التي تبدو فيها الحياة
كقطعة من المعجن في يد الخيال يعبث بها كما يشاء
ويصنع منها ما يعلى عليه هواه. بعيداً عن قسوة
الواقع . في ذلك الوقت البعيد كان هذا الرجل
المتعلل رزانه وهماً وحزناً صلياً صرحاً مدلاً يفيض
قلبه بالأفراح والآمال وقد ميزته الطبيعة منذ رأى
النور ، فكان أول من خفق له قلب والديه بالأوبة
والأمومة من الأبناء . ثم كان من بعد ذلك غلاماً
مجتهداً تضيء حياته المدرسية استمدادات عالية
ومواهب فامية تبشر بالنبوغ والفوق والمستقبل

راون بأن التنية متجهة إلى اختياري عضواً في بثة
كلية الطب ...

فأحس الرجل بارتياح غير منتظر وقال بفرح :
— مبارك. مبارك . أنت أهل لتلك بغير شك.
والظاهر أنه كان لدى الشاب ما يقوله غير ذلك
لأنه قال بارتياك وبصوت خافت :

ولكني ... أهي ... أريد أن أقول ... إنني
إذا سافرت فلن أسافر منفرداً ...
— لا أفهم شيئاً ...

في الواقع أنه يفهم كثيراً ، أو فهم على الأقل
ما جعل قلبه يرتد إلى الجفول ، وكان الشاب قد
تغلب على ارتباك فقال :

— سأسافر زوجاً إن شاء الله
— يا لها من مفاجأة ! إنه لم يسبق لك
التحدث إلى أحد في هذا الموضوع ... أليس
كذلك ؟

— بلى ...
— هل نبت في رأسك على حين غرة ؟
— كلا ولكني أوتر الصمت حتى أخرجني
عنه السفر المنتظر !

وسكت الأخ لحظة يتألم عواطفه ثم قال :
— هل أفهم من ذلك أنك وقتت إلى الاختيار ؟
فأخى الشاب رأسه وأشار بذقنه إلى بيت
الجار وقال :

— سمعنا ...
وساد الصمت ، وقلق الشاب لسكون أخيه ،
فسأله بهلغة :

— ما رأيك يا أخي ؟ ... ألا تسجيك ؟
فقال الآخر بسرعة :

— نعم الاختيار ... نعم الاختيار ...
فأبهج الشاب وقال :
— أشكرك يا أخي ... وأرجو ألا تتوانى ،

وربما كان الزمن في ذلك شأن وأى شأن، فأكاد أكرم بخروج ضابطاً في مدرسة البوليس حتى تزوج وترك الحب له وحده وتبعه بمد قليل أخوه الثاني المهندس فاضطر إلى البقاء أعزب حتى هذه السن ...

ثم ذكر كيف أنه كاد يختار أخيراً ما يكمل به حياته وكيف جاء الاختيار ببيدٍ عن التوفيق وكيف أتته الطعنة النجلاء من يد طالباً آثرها بالحب والمطف، وقد طمنه وهو يضحك ضحكة مشرقة بالأمل والسعادة كأنه ذاك الحكيم الذى يترنم بأنشودة السلام وقدمه تقتل عشرات الأحياء التى لا تراها العين ...

وفيا هو في أحلامه إذ سمع صوتاً ينادى قائلاً: « عبده ... لماذا تبقى في الظلام » هذا صوت أمه الحبيب ... رياه ... لقد لفه الليل وهو لا يدري ...

وقام من جلسته متثاقلاً وسار يبطء إلى الداخل وبادرته أمه قائلة :

— هل حدثك أنور؟

فقال : « نعم ... »

— ما رأيك؟

— اختيار جميل يا أمه ، سأذهب غداً لمقابلة جارتنا وأطلب يد ابنته الجميلة لابنتنا النابهة !

فقال بجمان :

— لم يبق إلا أنت !

ولازم الصمت هذه المرة ...

من يعلم ؟ ... ليس الذى يلقى الآن بأشد قساوة مما لقي في ماضيه ، وما هذه بأول كارثة يجتحن بها قلبه الكبير ، وقد علمته الحياة فضيلة الصبر كما علمته حقيقة أجل : هي أنه يستطيع أن يسمد وهو يحقق السعادة للآخرين ... حبيب محفوظ

النسام ، ولكن الحقيقة أن ما خفى من فضائله كان أعظم ، وأنه كان ينتظر الفرصة فقط للظهور في أبهى الحلل ، وقد جاءت هذه الفرصة ولكنها لم تكن وأأسفاه سوى وفاة والده ...

ترك الوالد المتوفى أسرة مكونة من أرملة وأربعة أبناء أكبرهم — عبد الرحمن — في مستهل الشباب ، وأربعة جنهات معاشاً ، وهكذا تصدت الحياة للشاب السعيد الواسع الآمال بوجه عبوس ، استأذنه أشد الراجيات ، وحثمت عليه أن يخلف رداء الطفولة ليحمل على عاتقه اللدن أثقل التبعات ... وكان عليه قبل كل شيء أن يقنأى أطعاه ، ويدير في الأكفان أماله ، ويقبر مواهبه لكي يهيى للأسرة الضعيفة حياة سعيدة ، وولها بعض العناية التى كان يولها لإياها الأب الراحل ، ورضى كرهاً بوظيفة بائسة لم يتصور قط أن تنتهى إليها آماله ...

كانت تلك الأيام في بدئها مؤلة شديدة المرارة تبيت في النفس الأسى والحسرة والياس ؛ ولكنها لم تبلغ به قط حد الثورة أو الغضب الهائل . لماذا ؟ كان قلبه كبيراً يتضح بالحنان والأخوة . فوهبه أمه وإخوته ، وهامت لذلك تماسه ، وخففت الأيام من وقع الخيبة في نفسه ، وتجددت في قلبه آمال أخرى لا تتعلق بمستقبله هو ، ولكن بسعادة إخوته ومستقبلهم ، وذاق سعادة جديدة ، هي السعادة التى يمدحها بذل النفس والعمل من أجل سعادة الغير ، وبذلك شغل الشاب مكان أبيه ، ودخل في طور الرجولة الحق قبل الألوان ...

وذكر هنا كيف أنه كان يشعر بالفراغ الأليم رغم امتلاء حياته بالأمال والأعمال، ولكنه كان ينجح دائماً في إبعاد فكرة الزواج عن قلبه حباً في أسرته وإشارة لإخوته ، واستوصى بالصبر، لكن أثبت له الأيام أن إخوته أقل صبراً وأعمى بنفوسهم منه

الليلة قد انتهت من تمرير
السيدة شيد بمد وضعا ولدها
الثالث ، وقد تركتها هي وطفلها
في حجة جيدة .

وفكرت وأنا أسير في
الطريق في مسكني المريح في بيت
السيدة ميل حيث قضيت الحصة
عشر عاماً الأخيرة . فكرت

مسرورة في مطبخي النظيف النير ، واعتزمت أن
أتمشي الليلة سجعاً وخبيص البطاطس . فذلك الجو
هو الجو المناسب لثل هذا المشاء .

ولقد كنت دائماً أشعر باللذة عند عودتي إلى
مسكني ، وكان في واجهة الطابق الأول من الدار .
فلما وصلت إلى الباب فتحتة وضغطت زر الكهرباء
فناست غرفة الجلوس بضوء لطيف .

وإذ تلفت لأغلق الباب سمعت صوت نشيج
مكتوم فوقفت أسمع فكان الصوت آتياً من المسكن
المواجه لمسكني .

كانت تقم في ذلك المسكن سيدة اسمها مسز
فرانكلن استأجرته منذ بضعة أسابيع ولم أعرف من
أمرها إلا الشيء القليل جداً . كانت شاباً لا تتجاوز
سنها السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين ،
طويلة القامة ملفوفة ، سوداء العينين جذابتهما في
وجه أبيض مستطيل ، وقد تعودت أن تصبغ شفيتها
بالأحمر الزاهي ، وكان ذوقها في لباسها جيلاً بسيطاً .
ولم أشك في أنها حين كانت أصغر سناً كانت مغرطة
الجمال . وقد أخبرني مسز ميل صاحبة الدار أن
الساكنة الشابة تشغل بالتصوير للمجلات ، وتبعث

وهيئتها حياً ثانياً

(قصة استحققت ما نتيج فيه)
عن الانجلى لبرية
بقلم الأستاذ عبد الحليم درجدي

[لم ترد أن تميش بغير الرجل الوحيد
الذي حرك عوامل الحب في قلبها]

مضى على الآن ثلاثون عاماً في مهنة التمريض ؛
فقد أصيب زوجي — وأنا في الثانية والعشرين من
عمرى — بمرض طالت أيامه ؛ فميتت بتمريره
طوال العشرة الأشهر التي قضاها في الفراش ، حتى
إذا انتقل إلى العالم الآخر واصلت حياة التمريض .
ولقد خلقت بعض النساء عمرضات بالطبيعة ،
وأنا واحدة من هؤلاء ، وقد وجدت عملاً كثيراً
في بلدة أيسست انجليان التي ولست فيها ؛ وقضيت
حياتي بين أهلها الذين أعرفهم ، وأستطيع التناغم
مهم .

وكان الأجر الذي أتأوله قليلاً ، لذلك لم أدرق قط
مالاً كثيراً ، ولكنني ادخرت طائفة كبيرة من
الذكريات لا تقوم بحال مهما كثر ؛ والآن يعرفني
جميع أهل المقاطعة باسم العمة سارة كشتنج .

وفي ليلة قارسة البرد من ليالي شهر نوفمبر عدت
إلى بيتي بسرعة ، وكانت الأمشواء منبثة من نوافذ
البيوت التي صرخت بها . وكنت كلما استنشقت الريح
الباردة شعرت بأن الحياة شيء جميل . وكنت في تلك

بالمناجيز إلى كتب الأزياء .

وإذ كتبت أليفة الروح فإني لم ألبث على أثر سكن مسز فرانكن في الدار أن خطبت ودهابنية الصداقة ، وكانت الشابة كريمة النفس ، ولكنني لاحظت بعد قليل أنها لا تريد أن ترتبط بروابط الصداقة مع أحد من الناس .

فلما سمعت صوت النشيج المكتوم نظرت خلال فتحات بابها فلم أرَ أراً للضوء ، ففكرت فيها وحيدة في الظلام ، وقد تكون مصابة بأزمة مرضية حادة فأتجه قلبى إليها .

وقلت في نفسى : « إننى لا أستطيع أن أقصم الدار عليها غير مستأذنة » ، ثم خطر لى خاطر سريع فدخلت إلى مسكنى ، ووضعت كيس نقودى على كرسي ، وخطمت قبعتى ومططفى ، وكانت ساعتى فى هذه اللحظة بدق التاسعة .

رتبت شعرى ، واجترت الرذعة ، وطرقت باب مسز فرانكن فلم أسمع جواباً ؛ فأعدت الطرق بأشد ما فعلت أول الأمر . فسمعت صوتاً مكتوماً يقول :

« مرحى ! من الطارق ؟ »

فأجبت :

« إنها العمة سارة » .

ثم قلت :

« أيمكن أن تقرضىنى شيئاً ؟ »

فقلت :

« أرجو أن تنتظرى لحظة واحدة » .

وسمعت حركة مشيها من وراء الباب المغلق . ثم انبث الضوء فجأة من فتحة عتبتها ، ولم يلبث أن فتح في بقاء ، ووقفت الشابة كالخيال بينى وبين

الضوء . وقالت :

— أفضضلين بالدخول ؟

فشكرتها وخطوت إلى داخل الغرفة .

والتفتت إلى : فسقط الضوء على وجهها فغمرة ، وكان شعرها الأسود الكثيف مرثياً غير مشوش . وكان ثوبها الأسود منتظماً فى بساطته ، كذلك كانت عيناها السوداوان براقتين لا أثر للدموع فيهما . نظيل إلى أنه يكاد يكون من المستحيل أننى سمعت نشيجها منذ لحظة .

وسألتنى الشابة فى اقتضاب وعلى فيها ابتسامة

رفيقة منتصبة :

— أى شئ أستطيع أن أقرضك ؟

قلت :

— ليس عندى شئ من الشاى . فهل يمكن أن تعطينى ما يكفى قحداً أو قحدين ؟

فأجابت :

— بدون شك وسأحضره فى الحال !

فلما سارت متجهة إلى المطبخ خفصت الغرفة بنظرة سريمة لعل أعتثر على ما يفسر أسباب حزنها كخطاب أو تلفراف مثلاً .

ولكنى لم أرَ شيئاً غير جريدة المساء ملقاة على الأرض إلى جانب كرسي موضوع تحت المصباح .

وعادت مسز فرانكن إلى الغرفة وفى يدها علبة من الشاى . وقالت ملحة فى لهجة سريمة مقوَّرة :

— أرجو أن تأخذنها كلها فمئدى غيرها !

فشكرتها وأمالاً أزال غير رافية فى الانصراف .

فقد كانت روح النأسة تسود الغرفة ، ولقد كنت على يقين من ذلك . فقلت :

— إن البرد شديد فى الخارج .

فارتجفت الشابة وقالت :

— أهو كذلك ؟

ثم اصطبغ وجهها بلون أخضر ، ورأيت أصابعها الدقيقة تنقلص على ساعديها ، وقد ضممتها إلى صدرها من أثر التألم . فسألها بسرعة :

— أمرضة أنت ؟

فالت نحوى مترنحة ، والتفت نظرانا ، وكان الألم الصارخ يبدو جلياً في عينيها ، ولكنها قالت في لهجة القلق الذي فرغ صبره :

— لا . لا . أنا لست مريضة .

وخيل إلى أن عينيها تيمثان بنظراتهما إلى داخل نفسي ، وكأنهما لا تريان شيئاً .

واستمرت الجريدة اللقاة على الأرض نظري ، ففي رأس الصفحة الأولى كتبت هذه الكلمات بالخط المريض :

« سيشق كريح غداً . الرجل التهم بقتل زوجته بلى جزاءه » .

ودون أن أفكر في كفاي قلت :

— إذن سيشقون كريح غداً .

لم أكد أطلق بهذه الكلمات حتى تصلبت الفتاة ونكصت عني كما لو كنت قد ضربتها ، وسقط ساعداها في دفعة واحدة إلى جانبيها ، ومال رأسها إلى الوراء ، وخرجت من حلقها صرخة فظيعة مجتذعة حبست بين شفتيها الحراوين . وكانت صرخة غير دينوية تجمد لها نخاع عظامي . فأمسكت بكتفيها وهزتها في لطف . وقلت في لهجة الأمر :

— قفي هذا يا مسز فرانكلن !

فانفتحت عيناها في بقاء ، فكانتا قفيضان يجرع بمجرع القول عن وصفه . ثم قالت في همس حاد :

— نعم سيشقونه غداً .

وترنحت الشابة مائلة نحوى فأمسكت بها وأسندها وأجلسها على الكرسي . ثم لم تلبث أن استولت عليها قشعررة حادة . فكان الفزع الشديد الكامن في نفسها يهزها في عنف كإيهز ريح الشتاء الفاضب شجيرة ضميقة .

فقلت وقد ألت لحالها :

— سأحضر لك شيئاً من الخمر فلا تتحرك حتى أعود إليك .

واجترت الدفعة جارية حتى وصلت إلى مطبخي فصببت نصف زجاجة من الخمر في قدح وعدت مسرعة إلى حيث كانت الشابة لا تزال ترتجف .

فركزت حافة القدح بين شفتيها وقلت :

— اشربي هذا !

فشربت جرعة أو جرعتين من الفدح ، وفي لحظات قليلة وقفت القشعررة فقالت وهي كالتائهة :

— شكراً لك ، وأنا الآن على أحسن حال .

كانت هذه الكلمات إيذاناً لي بالانصراف ، ولكنني لم أسغ لها . وقلت في لهجة الاعتراض :

— لا أستطيع أن أتركك على هذه الحال من المرض ، وأنت تعرفين أنني ممرضة . فاصمحي لي أن أبقى معك فترة قصيرة .

فهزت رأسها في إشارة رفض سريعة ، ولكن كتفها لم تلبث أن مالتا متصبتين . وقالت :

— نعم ، أرجو أن تبقى معي . لا تتركي وحيدة . إبقى معي حتى ... الصباح .

قلت :

— ألا تردين وتسمحين لي بأن أرحمك ؟

فقالت الشابة وكان صوتها الألم الجسم :

وما نمت كلمات الشابة المنكوبة حتى طوقها
بساعدى وصحت في لهجة المواساة والحنو :

« عزيزتى ! »

وعادت هيلارى تشج نسيجها جافاً لا يصحبه
دمع حتى ليخيل إلى الإنسان أنه يمزق قلبها قطعاً
وقلت لها في لهجة الرجاء :

— حديثي بأمرك يا هيلارى ، ففى الكلام
تفريج عن نفسك
فقلت في صوت متوتر خففتي :

— ولم لا أنكم ، ليس في تاريخ حياتي ما يبد
أمراً خاصاً أحاول إخفاؤه ، فلقد قرأ كل من أراد
قصتي منشورة على صفحات الجرائد ، فلماذا أخفى
عن إنسان واحد وجه الحقيقة فيها ؟

وبدأت هيلارى تدرع أرض الترفة من جديد
جيشة وذهباً ؛ وكانت عيناها مسبلتين وشفتاها
ترجفان وقد لاحظها بينما عادت ذاكرتي إلى الماضي
مسرعة تستعرض ما قرأته من قصة هيلارى لي
وما قرأته بلخص في أن هيلارى كانت الابنة
الوحيدة لرجل غنى . وكانت يقيمة الأم منذ طفولتها
وكانت فتاة جميلة صلبة الرأي ، تملك المال الزائد جداً
على حاجتها . وقد أذيع أنها غلبت ثلاث أو أربع
مرات ، وقيل إنها هجرت أحد خطابها في اليوم
الذى حدد لمقد الزواج

وقد شملت الصحف وقتاً ما صفحاتها الأولى
بقصة حب هيلارى للشباب الجميل الذى كان يشغل
عند أبيها مركز رئيس الركيبة وهى قصة قصيرة
مكفهرة ، ولقد فصل أبوها هذا الموظف من عمله
وأسرع فصاحب ابنته في رحلة في أرجاء العالم المختلفة
وبذلك تلاشت قصة ذلك الترام

— ترجميني ؟ وهل أعرف الراحة بينما هو
ينتظر الموت ؟

ثم وثبت ووقت على قدميها ، وشرعت تدرع
أرض الترفة ذهباً وجيشة . ثم وقت أمانى على حين
جأه ، وكانت عيناها في نظري كالجرتين المتقدتين .
وكان صوتها وهى تتكلم أشد ففاعة من عيناها ،
وقد قالت :

— إنهم سيشتقونه غداً . وليس في يدي من
شيء أستطيع عمله لإتقائه . . . نعم لا شيء على
الإطلاق !

فسألتها في صوت بالغ في الرقة :

— أو تحببته ؟

فأجابت :

— أنا هيلارى لي
عندئذ أدركت سبب جزعها وآلامها
فقد قرأت ما كتب عن جنابة القتل التي اقترعتها
كريج ، كما قرأها كل من يطلع على الصحف ، فقد
شملت الصفحات الأولى من الجرائد أشهراً طوالاً ،
وفى أول الأمر تكرر اسم هيلارى لى عدة مرات
مقترناً بالظروف التي أدت إلى الجريمة ، ولكن في
الاسم الأخير من المحاكمة اختفى هذا الاسم فلم يسمع
به أحد

نشرت قصة غرام هيلارى لى القصيرة على
جمهور متعطش للأخبار المثيرة ، وأضيفت لها الحواشي
التي تزيد الرغبة في قراءتها ، ولكن قصة هذا الترام
انتهت وطويت صفحاتها قبل حدث القتل بزمان طويل
ولم يستطع القارئ ولا الصحافة أن يجعدا أية حلقة
تربط بين حب نيكولاز كريج لهيلارى وبين قتله
أمر أنه ليلى

لقد جعلت الصحف من جنبا « أنا ونيكولاز » شيئاً رخيصاً فاجراً ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك . فقد كان نيكولاز يشرف على خيل أبي شهوياً عديدة قبل أن أحبه ، ولم يكن في نظري غير واحد من الموظفين المدينين الذين يملكون في اصطبلات أبي ، على الرغم من أننا قد ركبنا معاً مرات عديدة ، إلى أن جاء اليوم الذي ذهب فيه لمقابلة أبي في بيتنا الرقيق بنيو فرست وقد طلب أبي منه أن يصحبني في السيارة إلى ذلك البيت

ولما اقتربنا من منتصف الطريق داهمتنا عاصفة

هائلة

فتركنا السيارة وعدنا على الأقدام تحت المطر التهمر إلى كوخ على مقربة من الطريق كان نيكولاز قد لمح . وطرقنا باب الكوخ ولكننا لم نسمع لطرقتنا جواباً ، ولم يكن هناك من مكان آخر نستطيع أن نأوى إليه إثناء المطر ، لذلك عاجل نيكولاز قفل الباب بسكين ففتحه . وأسرع فأشعل النار وبجئنا في المكان فوجدنا ملابس جافة ، ولم أكن قد رأيت نيكولاز قبل هذا اليوم في غير ملابس الركوب فلما رأيته يرتدي سراويل من الصوف الأبيض وقميصاً من الصوف الأزرق رأيته إنساناً آخر غافلاً للذي كنت أراه

وطبخ نيكولاز لنا عشاء من بعض المأكولات المحفوظة في الملب التي وجدها في أحد الأصونة ، وكانت العاصفة لا تزال في عنفوانها ، وخيل إلينا أنها تشتد عنفاً مع توالي ساعات الليل ، وكان المطر يطرق النوافذ في شدة ، وكان عصف الرياح أشبه بولولة مجموعة كبيرة من الشياطين

وقال نيكولاز :

وحدث بعد ذلك أن أباهما ادوارد لي فقد ثروته ما بين عشية وضحاها نتيجة معلومات خاطئة اتصلت به في أعماله ، فلم يستطع الرجل احتمال التفكير في حياة الفقر فانتحر في غرفة مكتبة بيته في «سوري» وعادت الصحف مرة أخرى تذكر اسم هيلاري في رؤوس صفحاتها

وبعد ذلك تركتها الصحف مطمئنة فترة من الزمن إلى الليلة التي فيها أطلق نيكولاز كرجج الرصاص على زوجته في مسكن بوست أند

كان نيكولاز كرجج وزوجته متباعدين منذ سنوات ، لم يستطع أحد أن يكشف قط عن السبب الحقيقي لارتكاب الجريمة ، فمادت الصحف إلى ذكر قصة غرام هيلاري لي ولكنها لم تستطع أن تجد هيلاري لي

ولقد تخيلت هيلاري فتاة متفطرة حجرية القلب ، أول تفكيرها وآخره وكله في نفسها ، وكان من الصعب أن أصدق أن السيدة الشاحبة اللون ذات العينين السوداوين اللتين تلبث منهنما آلام المذاب النفس هي حقاً هيلاري لي المشموذة الخداعة ثم بدأت الفتاة تتكلم في جمل قصيرة مقتضبة كما لو كانت كل كلمة تنطق بها قطرة جديدة من الألم الصارخ تمصر من قلبها ، وكانت وهي تتكلم تدرع أرض الغرفة بخطواتها ، ولقد سبق لي أن رأيت حيواناً محبوساً في قفص يحطو مثل هذه الخطوات اليائسة

ولم أأطعمها في أثناء حديثها ، بل جلست أصني لها وقلبي يتفطر تألماً لها مع كل كلمة تنطق بها . وهذا ما قاله :

وماكدت ألفظ بهذه الكلمات حتى اختفت
ابتسامة نيكولاز ورأيت شفتيه تنطبقان في خط
متجهم عابس ، وقال :

— إننى متزوج بالفعل يا هيلارى
وسمعتنى أقول سأحبة :

— لا ، يا نيكولاز لا لا لا !

ولكن خيل إلى أن الصوت الذى يصيح بهذه
الكلمات لم يكن صوت المؤلف
فاقترن حاجباه في تعظيية محزنة وقال في صوت
يقطر منه الألم :

— إننى متزوج منذ أربعة أهوام ، ولم أكن
إلا طفلاً عندما التقيت بلبلى ، وكانت راقصة فى أحد
المنتديات الليلية ، فخيّل إلى أننى أحببتها ، ولست
أدرى لماذا تزوجت منى فقد ملت معاشرتى بعد بضعة
أشهر من الزواج

ثم ازدادت غنة الألم فى صوته وهو يقول :

— أنا لست إلا زوج المصادفة ، فإننا نعيش
أحياناً بسيدتين أحدهما عن الآخر أشهراً عديدة متتالية ،
ثم نرسل إلى فإوانيا - كالكلب الذى يسير فى كعب
صاحبه .

فسأله فى بلاهة :

— هل تحبها ؟

فأجاب :

« لا - لا أحبها الآن ، لا أحبها بعد الليلة
الماضية

فصحت محمداً :

— كان يجب أن تقول لى ذلك فى الليلة الماضية
فضمنى بين ساعديه وقال :

— لقد كانت الليلة الماضية جنوناً - جنوناً عذبا

— يدولى أنك مقرورة فدمعنى ألف هذا الدثار
حولك .

ووضع الدثار على كعفى فابتسمت له ، فإذا به
يضمنى على حين فجأة بين ساعديه ، واندفع يقبلنى
قبلات ما عهدتها من رجل قبله ... قبلات جالمة ...
كما لو كان ذا مسغبة من الحب

ولقد تملكت به وقلت فى نفسى : « إن هذا هو
الحب ، وإننى لم أعرف قط ما هو الحب حتى هذه
اللحظة »

لم أعد أشعر بشيء من البرد فلقد كنت
ألهب بنار سرور غريب ، فتركت له شفتى وقلبي
ونفسى ، وقد رأيت أن حق الحياة يقضى بأن
أكون معه فى ذلك المكان أغمره بحبى ، بل بدالى
أن ذلك أحق من كل شيء آخر عجلته فى حياتى
ولما أشرق الصباح أشعل نيكولاز النار وأعد

لنا قهوة قوية . فلما انتهيت من شرب فتجانتى
ابتسمت له فى كثير من الإعجاب ، فلقد كان الرجل
الذى لا تملك امرأة نفسها دون الإعجاب به والافتخار
بقربه . كان طويل القامة يقرب طوله من ستة أقدام
عريض الكتفين دقيق الوسط والردفين ، وكان

شعره الكثيف الجعد فى لون القمح الناضج . رمادى
البينين وأسمهما فى وجه قوى ترينه سمرة مبهجة ،
ورد نيكولاز على ابتسامتى بابتسامة عذبة رقيقة ،
فلمحت برين أسنانه البيضاء القوية

وصحت فى لفنة :

— لنزوج يا عزيزى بأسرع ما نستطيع ،
وسنخبر أبى زواجنا بعد عقده ، فإذا حاج غضبه
— وهو لا بد أن يهيج — فلنمنس بيداً عنه حتى
يمود إلى نفسه ويهدأ غضبه

فقال في بطة :

— لقد ظننت أنك أحببتني ، بل لقد كنت واثقاً أنك أحببتني في الليلة الماضية .

فقلت غاضبة وقد سحبت معطفي :
« فلتنس ذلك »

وحين وصلنا إلى ميتا الريفي انهار أبي على نيكولاز بكلمات الغضب العنيفة . ثم أزعجني أن سمعت نيكولاز يرد على أبي صائحاً بأنه قد أحبنى

واتصل خبر هذه المشادة بالصحف فخلقت منها قصة كبيرة ، وقد أعادتني أبي إلى لندن في تلك الليلة نفسها وبعد يومين ركبنا الباخرة في رحلتنا العالمية ولم أحول أن أكتب لنيكولاز قبل سفرنا فقد كنت لا أزال أشعر بالجرح الذي أصابني وكنت في حيرة شديدة

وفي أقل من أسبوع في البحر فقد ظني ما أصابه من مجود وعاد يشعر بالألم ، فأدركت أن نيكولاز قد أحبنى حقاً وأنتى كنت قاسية في صرفه من غير كلمة أزوده بها

لقد عرفت أننا لن نكون أبداً أحداً للآخر ، فهو قد أحب ليلى على طرازه إلى الليلة التي أحبنى فيها ، ولقد تأرت نفسي على فكرة الطلاق وسهرت ليلة كاملة في الكتابة إليه ، فقلت له في كتابي إنني أحببتك ، وإنني لن أستطيع أن أنساه أبداً ، وتذكرت غيبوبة حينا وسألتك أن يذكركني دائماً ، وخضعت الكتاب بأن طلبت منه ألا يراني بعد ذلك

وضعت هذا الخطاب في صندوق البريد بأول صرماً رسونا فيه . ترى لماذا تضع النساء قلوبهن على صفحات الورق ؟ لماذا يكنن كلمات قد تهلك الرجل الرسالة إليه ؟

جديداً على يا عزيزتي . وإنك لتنج من الساء يا هيلاري ولقد صنعت إليك ولستك . ولن أكون أبداً بعد ليلة أمس كما كنت من قبل ، لقد ضمت بين ساعدي النار والتلج وتربة النجم . ولن أدعك تتركيني أبداً ويجب أن تطلقني ليلى ، فهل تتزوجين مني متى أصبحت حراً طليقاً ؟

ولكنني قد جرحت في عواطفى جرْحاً بالثأ قاسياً ، فقد كان الفتى رجل امرأة غيرى .

فصعنت وأنا أجاهد للتخلص من بين ساعديه :
— لا ، لا ، لا أنا لا أريد زوج امرأة أخرى ، لقد كتنا مجنونين في الليلة الماضية . نم كتنا مجنونين وقمنا في شرك الغرام . أنا في هذا الصباح فقد عاد إلينا صوابنا . فلتنس ما كان يا نيكولاز ولنبداً من اليوم حياة جديدة

فاقترب مني وتناول وجهي بين كفيه وقبلني في رقة ولطف وسألني :

— أنتعقدين حقاً يا عزيزتي أننا نستطيع نسيان الليلة الماضية ؟ لقد تذوقت عنوبة تربة النجم يا هيلاري ، فلن أقتنع بعد الآن بما هو دونها . وسيأتي اليوم الذي تصبحين فيه لي دون سائر الناس فقلت له في خشونة :

— لا فائدة فيما تقول يا نيكولاز فلي أتزوج منك أبداً ، وسأنساك ، ويجب أن أنساك . وكان ما حدث ليلة أمس لم يحدث قط ، وإنى لا أريد أن تجري الأمور بيننا على هذا الأساس ولنعد الآن إلى السيارة !

ثم قلت في لهجة وحشية :

— من يدري إن لم يكن الفلق قد بلغ بابي في هذه اللحظة حد الجنون !

الأيام وظن أنه قد يساوي عندك مائتي جنيه وأخرجت من قطرها كتاباً رأيت على غلافه طابعاً أجنبياً والكتابة التي عليه من خط يدى ... وقالت المرأة وهي تبسم ابتسامتها الوحشة :

— إن في هذا الخطاب مادة ساخنة ، فهل يمسحك أن تنشر محتوياته على الجمهور ؟ وهل تخمين أن أقرأ لك تذكرة بما فيه ؟

فأمسكت بحجب المكتب ورأيت لأسند نفسي وصحت بها ألا تقرأ شيئاً من الخطاب الذى شخص به نظرى وهى بمسكة به فى وجهي . لقد أحببت رجلاً فى وقت من الأوقات ... أحبته حباً كلياً وكل حبي له كان مكتوباً على صفحات هذا الكتاب . والآن يرسل هذا الرجل امرأته لتستبدل بهذا الحب تقوداً جامدة

ولقد سألت المرأة فى صرارة :

— لماذا لم يحضر نيكولاز بنفسه ؟

فضحكت وقالت :

— نيكولاز عامل فقير مسكين

ولقد شعرت كأن شفتى قد بردتا وتجمدتا حين قلت :

— أنت تطلين مائتي جنيه ثمناً للكتاب ؟

أجابت المرأة :

— هو ذاك !

فشعرت بأن مرر رجل الغضب بقل داخل نفسي وفكرت لحظة فى أن أتناول سماعة التليفون وأدعو رجال البوليس ، ثم خيل إلى أننى أرى تلك الكلمات التى كتبها بخطى منشورة على صفحات الجرائد فلم أحتمل هذه الفكرة وقلت :

— سأشتري الكتاب

قضيت وأبى حوالى ثلاثة أشهر فى رحلتنا بعيدين عن لندن ؟ فلما عدنا إلى دارنا لم يمض علينا أسبوع واحد حتى فقد أبى جميع ثروته واختار أسهل الطرق للخروج من نكبتة

تولانى الياأس فى الأشهر الأولى بعد موت أبى ، وكان لى قليل من المال وورثته عن أمى ، فاخففت عن العالم وعن أسدقائى إلى أن التأمت جروحى قليلاً وبعد عام من موت أبى استخدمت قسمها من مالى فى أحد حوانيت الملابس بمانشيستر ، ودخلت العمل باسم مستعار واجتهدت جادة فى استئصال حياة جديدة وفى يوم من الأيام جاءت ليلى لمقابلتى . ولقد عرفتها منذ اللحظة التى وطأت فيها قدمها أرض الحانوت ، عرفتها قبل أن تقول : « وأنا لى لى كريج فهل أستطيع أن أراك على انفراد ؟ »

كانت المرأة جميلة مكثرة من الصباغ ، وقد أhal شمرها إلى لون البلاتينيوم ولكن جذوره بقيت سوداء ، وقد تصلبت حواجبها بما استعملت من مواد ، وفى الجملة كانت ليلي شريرة رخيصة المدن وحقه

أجبتها :

« ألك أن تدخل إلى مكنتى ؟ »

فلما أغلق علينا الباب رمقتى من فة رأسى إلى إخصم قدمى وعلى فيها ابتسامة عريضة وحقه . وقالت وقد دخلت مباشرة فى الموضوع الذى جاءت من أجله :

— مى كتاب قد تخمين أن تشتريه . فقد نزل بى أنا ونيكولاز فى الأيام الأخيرة شىء من العسر المالى ، فنحن أشد ما نكون حاجة إلى المالى فتذكر زوجى هذا الكتاب الذى يشت به إليه فى يوم من

في الساعة الخامسة مساءً
وقد وجدت رقم تليفون نيكولاز في دفتر
التليفون فلما طلبته كان هو نفسه الذي أجاب النداء.
قلت له :

« لا بد لي من أن أراك »

فصاح صبيحة أستطيع أن أقسم بأن غنة الفرح
فيها كانت حقيقية صادقة وقد قال :

« أين أنت يا عزيزي فأسحضر لك في الحال »
خبرته باسم الشارع ورقم السكن وفي أقل من
عشرين دقيقة كان معي

فأكدت أراه وأسمع صوته حتى بدأ قلبي يدق
دقاً عتيقاً حتى يخيل لي أنني سأخفق

ولقد رأيت في عينيه نشوة الحب حين صاح :

« هيلاري حبيبتى إنني لم أجسر قط على أن
أؤمل في هذه السعادة ، لم أجسر قط على أن أؤمل
في أن ترسلي إليّ يوماً من الأيام

قلت في حرارة :

« إجلس يا نيكولاز ولننته من هذا الأمر ،
فأنا هنا لأشتري صورة كتابي ، فكم تطلب ثمناً لهذه
الصورة ؟ »

لم أكد ألفظ بهذه الكلمات حتى رأيت أمارات
الدهشة والارتباك تملأ وجهه ، وقال في حدة :

« إنك لم تخبريني هم تتحدثين »

خبرته بما حدث في بضع جمل قصيرة صريحة ،
قلت في ختامها :

« ولقد دفعت لامرأتك بالفلم مائتي جنيه وأريد
اليوم أن أنهي الصفقة مملك »

وهنا علا اصفرار الموت وجهه نيكولاز ، وقد

كان في خزانة مكتبي ما يزيد قليلاً على مائتي
جنيه ، فعددت المائتين ووضعتها على المكتب ،
فوضعت هي الكتاب إلى جانبها ثم أخذت الأوراق
المالية فعدتها في ثمان ووضعتها في قطرها . ولم أكن
حتى هذه اللحظة قد لمست الكتاب ، إذ لم أحتمل
لسه وهي معي في الغرفة

ومشت المرأة إلى الباب ثم وقفت وقالت بمكررة
ابتسامتها الفاجرة :

— إنك لطيفة جداً في المعاملة فهل من رسالة
أحملكها إلى نيكولاز ؟

قلت :

— لا رسالة له عندي

وترددت المرأة لحظة وهي ممسكة بأكرة الباب
ثم قالت :

— بهذه المناسبة أرى أن أخبرك بأن لدينا
صورة فوتوغرافية لهذا الكتاب ، فإذا أعسرنا
مرة أخرى فأبني أخشى أن أضطر عندئذ للمودة إليك
ثم اختفت وراء الباب

فالتقطت الكتاب وبدون أن أخرجه من غلافه
مرقته لإرباك

وكانت الأيام التي أعقبت هذا الحادث أشبه
بكابوس فظيع . ففي كل يوم يشرق عليّ كنت
أخشى أن تمود . وكلما دق جرس التليفون توقفت
أن أسمع صوته . ولما لم أعد أحتمل عذاب الانتظار
قصدت إلى لندن لأشتري صورة كتابي الفوتوغرافية
ذهبت مباشرة إلى مسكن صديقة قديمة وكانت
قد خرجت في الساعة العاشرة لقضاء بعض حاجتها ،
فكان المسكن تحت مطلق تصرفي إلى أن عادت

فأجابني واعدت:

— أبدأ يا حبيبتى .

صرمت الساعة وأنا ممسكة بالساعة بين يدي أحاول يائسة ألا تنفك منهما ، وحتى في هذا الموقف بين ساعديتي القويتين كنت أشعر شعوراً باطنياً بأن هذه هي آخر ساعة ألقاها فيها .

وقبل أن يتركني وكند لي أنه سيجد طريقة للحصول على صورة الكتاب . وقال في لهجة الوعد الصادق :

— فعلى لن تؤذيك أبداً بعد الآن يا حبيبتى .

ثم قال :

— إنني أعرف كيف أعاملها ، وسأعجلها الآن على أن تترك لي حريقي بالطلاق ، ويجب ألا يكون لك أى نصيب في الموضوع . فأنت نجمة السايو ؛ فلتعديني بأن تبقى بعيدة مهما حدث من أمر . فوعده ، قبلتي وانصرف .

وعدت لي مانستر في الليلة نفسها .

يا لله ! كم غنيت لو أنني لم أتركه .

لقد انتظرت طوال اليوم التالي أن تأتيني رسالة منه ، وقد حملت إليّ بحف الساء الرسالة التي كنت أنتظر . لقد قتلها في مسكنها ثم سلم نفسه للبوليس . وإلى لأعرف الآن أنه فعل ذلك في ثورة غضبه حين عنته بكتاتى ورفسته في وجهه وتحدته أن يجسر على الاقتراب منها لأخذه .

ولقد أخذه فملاً وأعدمه قبل أن يحضر رجال البوليس .

أخذت أول قطار إلى لندن وذهبت مباشرة إلى

أسودت عيناه من شدة الغضب ، وانتشل من جيبه الداخلي حافظة نقود رقيقة ، وفتح أحد جيوبها الداخلية ، فمهلث أن أحرق بصره بها بينما بدا الجزع في عينيه ، وقال :

« أنا أعرف أنها شيطانة ولكنني لم يخطر لي قط أنها تفعل ذلك ، لقد ضاع الكتاب ، وأحسب أنها قد استماتت يعض أصحابها خفاف الأيدي على سرقة »

فصحت :

« ألم ترسلها إليّ لتبيني الكتاب ؟ »

فأعاد حافظة نقوده إلى جيبه ، وفي أسرع من لمح البصر انتقل إلى جاني وطوقني بساعده وقبلني قبلات عنيفة وقال جواباً على سؤالى :

« إلى أجبك »

ثم صاح وقد تطوَّقني بساعديه

« سأقتلها من أجل ذلك »

فقلت راجية :

— لا تقل مثل هذا الكلام . فما أبلى ما حدث وكل ما يهمني أن أراي مرة أخرى بين ساعديتي يا حبيبتى

— ما كان أشد شعوري بالوحشة لبعديك ، وكمن مرة حملت بك ! وما كان أشد تشوق لرؤيتك ؟ إنني لم أحس قط معها ، حتى ولا ساعة واحدة بعد تلك الليلة التي قضيتها معها . فما كنت لأتخذ امرأة غيرك ، فإزلت أنت نجمتي التي بها أعتدى يا حبيبتى .

فقلت :

— لا تتركني أبداً يا نيكولاز ؟ فما أريد أن أفترق عنك .

معروف تقدمينه له هو أن تبقى بعيدة من هذه القضية »

وكان مستر لاين يحمل رسائل نيكولاز إلى ويحمل رسائل إليه. ومما قاله نيكولاز : « إن نجوم السماء لا مكان لها في السجن ولقد وعدتني بأن تبقى بعيدة من هذه المشكلة »

انتهت المحادثة إلى نتيجة سريعة ، وقد صدمني القرار صدمة شديدة وإن كنت قد توقعت من أول الأمر . فقد كيفت التجربة بأنها نتيجة الفكرة ، وقال نائب الاهتمام : إن نيكولاز قد ذهب إلى ليلى برجوها أن تعود إليه فلما رفضت أطلق عليها النار في ثورة الفكرة التي ملكت نفسه

وبعد أن صدر الحكم عليه حضرت إلى هذا المسكن حيث كنت واثقة أن ليس هناك من يعرفني . ولقد أردت أن أسهل حياة جديدة إذا أمكن إنقاذ نيكولاز

وكنت كلما مررت الأيام تملقت بالآمال تملق جنون ، أما الآن فلم يبق لي شيء حتى ولا الأمل . ولقد كنت أشعر واثقة بأنه سيرسل إلى لأراه مرة أخرى ولكن ها هي ذى الساعات الأخيرة تغشى مندفة في سرعتها ؟ وهو هناك ينتظر الموت الذي يوافيه صباح الغد . وأنا هنا على مسافة أميال عديدة منه أحاول أن أعيش خلال ساعات الليل النظمية المريحة وسيكون الصباح نهاية كل منا ، فما أستطيع أن أحيأ بعد موته ، ولن أحاول أن أبقى على قيد الحياة . وما أستطيع أن أتركه يموت وحده ، وما هي قيمة الوعد الآن ؟ يجب أن أذهب إليه ، ولا يزال (٢)

مستر لاين المحامي الذي كان يتولى أعمال أبي . فقلت له والزفرات تقطع حديثي :

— يجب أن تنفذه . فقد فعل ذلك من أجلي ، ويجب أن أذهب إليه فهو بحاجة إلى : فقال مستر لاين في حزم :

— يجب أن تبقى بعيدة عن هذا الأمر . فإنك لن تفيديه شيئاً بالدفاعك إليه الآن ، بل لملك بذلك تضرين قضيتي . فاركبي القطار التالي عائدة إلى مانستر ، وسأعمل باهيلاري كل ما أستطيع لإتقائه فقالت راجية :

— أرجو أن تكون دائماً على اتصال بي ؛ فيعندى بعض المال وسأفق كل ما أملك في الدفاع عنه فوعدني المحامي بقوله :

« سأبذل كل جهدي لمصلحته ، وسأصل بك يومياً »

وهكذا عدت إلى مانستر ، ولكنني علمت أن فترة اطمئنان القصيرة قد انتهت ، وأنه يجب أن أعود مرة أخرى إلى الاختفاء

وكانت شريكتي في التجرب رغبة أشد الرغبة في ابتلاع حصتي فيه ، فبعتها هذه الحصة وأرسلت ثمنها إلى مستر لاين لإتقائه في الدفاع عن نيكولاز ، ثم اختفيت من جديد

ولقد حاولت عدة مرات أن أرى نيكولاز ، ولكن محاولاتي ضاعت عبثاً ، فقد كان نيكولاز ومستر لاين متشددين في رفض طلبي . وقال مستر لاين في لطف :

« هو لا يريد أن تزوره يا هيلاري ، وأكبر

في الوقت متسع لذلك إذا أنا أردت الذهاب

وتناولت حقيبة يدها من فوق مائدة صغيرها
وقفتها لتعرف ما لديها من النقود ثم قالت :
« يجب أن أحصل على مال أكثر من هذا .
وستقضي بعض المال فهل تضمنين على بذلك ؟ »
وكانت عيناها براتنتين جامدتين كالأجاج وقد
تقلصت عضلات وجهها في حال عصبية خفيفة ، وقد
لاحظت أنها على وشك الإغماء ، لذلك أمسكت
يديها الباردتين بين يدي وأسندتها بقوة وقلت في
لهجة حازمة :

— اسمي يا هيلارى لى . لقد وعدته وعداً ،
ويجب أن تحافظى عليه . ومنذ بدء الخليقة نحي
الرجال أرواحهم في سبيل جهم المرأة . ولن يتحمل
نيكولاز مرارة توديعك له . فاركبه يقابل الموت
كما يريد أن يقابله . دعيه يذهب وهو لا يزال يشعر
بنعيم القبلات الساوية على شفتيه ، وعظمة نجمته
أمام عينيه . صدقيني أنه يريد أن يلقى الموت على هذه
الصورة ...

فبدأت الفتاة تنسج نسيجاً عنيقاً وسألتنى :
وأنا ؟ ماذا يكون من أمرى بعد موته ؟ ماذا
يكون من أمر الند وجميع الأيام التي تمعب الند ؟
ألا فأعلمى أن ليس لى بعد الآن مكان في هذه الدنيا
وليس هناك من به حاجة إلى . فلقد كان هو الرجل
الوحيد الذى يعنى بأمرى .

قلت :

إن لكل منا مكاناً في هذه الدنيا ، ولكل منا

عمل يؤديه . فنحن جميعاً أعضاء في مجموعة الدنيا
العظيمة ، وستجدين مكانك وعملك يا هيلارى لى ،
والأمر متوقف على شجاعتك وإيمانك
فإنجحت عيناها وقد ملتأنا بأننا إلى الساعة الملقاة
فوق الجدار ، وقالت منتحبة :

— لم تبلغ الساعة الحادية عشرة بعد ولا يزال
الوقت يسمح لى بالذهاب إليه .
قلت :

— إنهم لم يسمحوا لك برؤيته
فصاحت في عنف شديد :

— اللهم رحمتك في « اللهم رحمتك به وبى جميعاً ! »
ثم وجهت إلى الحديث وقد ملئت عيناها رعباً
فقلت :

— ابقى معى ولا تتركينى وحيدة ، فإذا جاءت
ساعة التنفيذ فأمسكى بيدي وادعى الله أن يميني
قلت :

— تعالى إلى مسكنى ، يا عزيزتى ، فيكون
الأمر أسهل عليك في غرفة لم تتألى فيها مثل ما تألت
في هذه الغرفة .

ثم طوقها بإحدى وقدها خلال الردهة حتى
دخلنا غرفة جلوسى فارتعت مترنحة على أحد الكراسى
وهى ترتجف في حال عصبية عنيفة .

لحمت حقيبة أدويتي وذهبت بها إلى المطبخ ،
فسخن ماء وصببت بعض الخمر في قنح ، وأخرجت
من علبة في الحقيبة قرصين ألقيهما في القنح ، فلما
ذاب صبيبت على الخمر الماء الساخن ، وعدت إليها
فوضعت حافة القنح بين شفتيها وقلت في لهجة الأمر :

— اشربى هذا كله

قالت متوجعة :

— إننى أشعر بالبرء الشديد

قلت :

— سيدفئك هذا

جفرت الفتاة كل ما فى القدر ثم وثبت واقفة .
وعادت إلى حركتها الاضطرابية تذرع العرفة ذهباً
وجيئة ، وكنت أرقبها عن كعب . وقد صاحت فى
صوت مختنق قظيح :

— تسع ساعات ... ألا خبرينى كيف أحتمل
عذاب هذه الساعات التسع ! خبرينى كيف أحفظ
بمضى إلى الساعة الثامنة ... والموت !
فقلت وأنا أطوقها بساعدى :

— قوى نفسك يا هيلارى واجتهدى فى ألا
تفكرى فى شيء .

فأغمضت عينها ومالت على متعبة وقالت همساً :
— أنا متعبة حائرة

ثم ارتجفت وهمت باسم نيكولاز ومالت إلى
الأمام فأمسكت بها وجلتها بين ساعدى

وأما امرأة قوية وكانت هى هزيلة ضعيفة فحملتها
إلى غرفة نوى وأرقدتها على سريرى ، وخلمت
حذاءها وجوربها وزعت ثوبها الخارجى وسحبت
عليها غطاء السرير ، وكان تنفضها إذ ذاك هادئة
منتظلة ، وكنت أعلم أنها ستنام إلى ساعة متأخرة
من الصباح ومن المحتمل أن تبغضنى متى استيقظت
ولكنى قد حيتها للذئاب التى ينزل بها وهى ترقب
عقارب الساعة تدنو من الساعة الثالثة

وسحبت كرسياً إلى جانب وجلست عليه أرقبها
وكان وجهها أشبه بقناع من الشمع . وإذا كنت
أعلم أنها ستنام ساعات عديدة فقد اختلست فترة
أرحت فيها جسمى بقليل من النوم

ولما استيقظت كانت عينها لا تزالان مغمضتين
وكانت مستغرقة فى النوم . وساءت نفسى لم لا تفلت
روحها المذنب من جسمها وتعرف بوسيلة ما غريبة
طريقها إلى الرجل الذى أحبته فتواسيه فى ساعاته
الأخيرة ؟ ورجوت الله أن يكون هذا هو الذى حدث
لم يبق غير خمس دقائق حتى تبلغ الساعة الثامنة
فأمسكت بيدها المترهلة بين يدى ، فقد وعدتها
أن أفضل ذلك ، وشمرت بحوشة السكوت الرب
الذى يكسر القلب ... ثم دقت الساعة الثامنة
فأحييت رأسى ودعوت الله فى بساطة أن
يبارك روحه

وما زالت هيلارى نائمة هادئة ، وقد ألقت
أهدابها السوداء خطوطاً بين الظلال على وجهها
الأيض النحيل

ودقت الساعة التاسعة ، فقلت فى نفسى :

— فلأبذل بشيء من طعام الأقطار
ثم دق جرس التليفون فاخطفقت الساعة قبل
أن يدق صرّة ثانية ، وسمعت المتكلم يقول :
— أنا الدكتور مارتن . أيمكنك الحضور
فى الحال ؟ عندى حالة وضع متعبة وأنا عتاج إليك
فأجبته :

— نعم يمكننى أن أحضر حالاً

فقال الدكتور :

